زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد الرابع
(سورة الزمر - سورة الناس)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ISBN 9953-27-016-3
9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون : 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
٣٩ ـ تفسير سورة الزمر	٧
٤٠ ـ تفسير سورة غافر	٢٩
٤١ ـ تفسير سورة فصلت	٤٥
٤٢ ـ تفسير سورة الشورى	٥٨
٤٣ ـ تفسير سورة الزخرف	٧٢
٤٤ ـ تفسير سورة الدخان	٨٧
٤٥ ـ تفسير سورة الجاثية	٩٦
٤٦ ـ تفسير سورة الأحقاف	١٠٢
٤٧ ـ تفسير سورة محمّد	١١٥
٤٨ ـ تفسير سورة الفتح	١٢٥
٤٩ ـ تفسير سورة الحجرات	١٤١
٥٠ ـ تفسير سورة قٓ	١٥٦
٥١ ـ تفسير سورة الذاريات	١٦٧
٥٢ ـ تفسير سورة الطور	١٧٥
٥٣ ـ تفسير سورة النجم	١٨٣
٥٤ ـ تفسير سورة القمر	١٩٦
٥٥ ـ تفسير سورة الرحمن	٢٠٥
٥٦ ـ تفسير سورة الواقعة	٢١٨
٥٧ ـ تفسير سورة الحديد	٢٣٢
٥٨ ـ تفسير سورة المجادلة	٢٤١

الموضوع	الصفحة
٥٩ ـ تفسير سورة الحشر	٢٥٣
٦٠ ـ تفسير سورة الممتحنة	٢٦٦
٦١ ـ تفسير سورة الصف	٢٧٦
٦٢ ـ تفسير سورة الجمعة	٢٨٠
٦٣ ـ تفسير سورة المنافقون	٢٨٦
٦٤ ـ تفسير سورة التغابن	٢٩١
٦٥ ـ تفسير سورة الطلاق	٢٩٥
٦٦ ـ تفسير سورة التحريم	٣٠٤
٦٧ ـ تفسير سورة الملك	٣١٣
٦٨ ـ تفسير سورة القلم	٣١٨
٦٩ ـ تفسير سورة الحاقة	٣٢٨
٧٠ ـ تفسير سورة المعارج	٣٣٥
٧١ ـ تفسير سورة نوح	٣٤١
٧٢ ـ تفسير سورة الجن	٣٤٦
٧٣ ـ تفسير سورة المزمل	٣٥٢
٧٤ ـ تفسير سورة المدثر	٣٥٨
٧٥ ـ تفسير سورة القيامة	٣٦٨
٧٦ ـ تفسير سورة الإنسان	٣٧٤
٧٧ ـ تفسير سورة المرسلات	٣٨٢
٧٨ ـ تفسير سورة النبإ	٣٨٧

الموضوع	الصفحة
٧٩ ـ تفسير سورة النازعات	٣٩٣
٨٠ ـ تفسير سورة عبس	٣٩٩
٨١ ـ تفسير سورة التكوير	٤٠٥
٨٢ ـ تفسير سورة الانفطار	٤١٠
٨٣ ـ تفسير سورة المطففين	٤١٣
٨٤ ـ تفسير سورة الانشقاق	٤١٩
٨٥ ـ تفسير سورة البروج	٤٢٣
٨٦ ـ تفسير سورة الطارق	٤٢٨
٨٧ ـ تفسير سورة الأعلى	٤٣١
٨٨ ـ تفسير سورة الغاشية	٤٣٤
٨٩ ـ تفسير سورة الفجر	٤٣٧
٩٠ ـ تفسير سورة البلد	٤٤٦
٩١ ـ تفسير سورة الشمس	٤٥٠
٩٢ ـ تفسير سورة الليل	٤٥٣
٩٣ ـ تفسير سورة الضحى	٤٥٦
٩٤ ـ تفسير سورة الشرح	٤٦٠
٩٥ ـ تفسير سورة التين	٤٦٣
٩٦ ـ تفسير سورة العلق	٤٦٦
٩٧ ـ تفسير سورة القدر	٤٦٩
٩٨ ـ تفسير سورة البينة	٤٧٥
٩٩ ـ تفسير سورة الزلزلة	٤٧٧
١٠٠ ـ تفسير سورة العاديات	٤٨٠
١٠١ ـ تفسير سورة القارعة	٤٨٣
١٠٢ ـ تفسير سورة التكاثر	٤٨٥
١٠٣ ـ تفسير سورة العصر	٤٨٧
١٠٤ ـ تفسير سورة الهمزة	٤٨٨
١٠٥ ـ تفسير سورة الفيل	٤٩٠
١٠٦ ـ تفسير سورة قريش	٤٩٣
١٠٧ ـ تفسير سورة الماعون	٤٩٥
١٠٨ ـ تفسير سورة الكوثر	٤٩٧
١٠٩ ـ تفسير سورة الكافرون	٤٩٩
١١٠ ـ تفسير سورة النصر	٥٠١
١١١ ـ تفسير سورة المسد	٥٠٢
١١٢ ـ تفسير سورة الإخلاص	٥٠٥
١١٣ ـ تفسير سورة الفلق	٥٠٧
١١٤ ـ تفسير سورة الناس	٥١٠

سُورَةُ الزُّمَر

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

وتُسمَّى سُورَة الغُرَف

فصلٌ في نُزولِها: رَوى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكِّيَّةٌ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: فيها آيتان نزلَتا بالمدينة: قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾(١) وقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾(٢) وقال مُقاتِلُ: فيها مِنَ المَدنيّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾(٣). وفي روايةٍ أخرى عنه قال: فيها آيتان مدنيَّتان: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾(٤). وقال بعضُ السَّلَفِ: فيها ثلاثُ آياتٍ مدنيَّاتٍ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾(٥).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الكتاب ها هنا القرآن، ورفع «تنزيلُ» مِنْ وجهين: **أحدهما**: الابتداء، ويكون الخبرُ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، فالمعنى: نَزلَ مِنْ عندِ الله. **والثاني**: على إضمارِ: هذا تنزيلُ الكتاب؛ و ﴿مُخۡلِصٗا﴾ منصوبٌ على الحَال؛ فالمعنى: فاعبُد الله مُوحِّداً لا تُشرِكْ به شيئاً. قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ يعني: الخالِص مِنَ الشِّرك، وما سِواه ليس بدِيْنِ الله الذي أمَرَ به؛ وقيل: المعنى: لا يَستحِقُّ الدِّينَ الخالِصَ إلاَّ اللهُ(٦). ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني آلهةً، ويَدخل

---

(١) الزمر: ٢٣. (٢) الزمر: ٥٣. (٣) الزمر: ١٠.
(٤) الزمر: ١٠. (٥) الزمر: ٥٣ ـ ٥٥.
(٦) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن»: ١٥/ ٢٠٥: قال ابن العربي: هذه الآية دليل على وجوب النية في كل عمل، وأعظمه الوضوء الذي هو شطر الإيمان، خلافاً لأبي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان إن الوضوء يكفي من غير نية، وما كان ليكون من الإيمان شطره ولا ليخرج الخطايا من بين الأظافر والشعر بغير نية.

في هؤلاء اليهودُ حين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ والنَّصارى لقولهم: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[١]، وجميعُ عُبَّادِ الأصنام، ويدلُّ عليه قولهُ بعد ذلك: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾. قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون: ما نعبُدُهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: إلاَّ لِيَشفَعوا لنا إلى الله. والزُّلْفى: القُربى، وهو اسمٌ أُقيمَ مقامَ المصدرِ، فكأنه قال: إلاَّ لِيُقرِّبونا إلى الله تقريباً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بينَ أهلِ الأديان فيما كانوا يختلفون فيه مِنْ أمرِ الدِّينِ. وذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الآيَةَ منسوخةٌ بآية السيفِ، ولا وَجْهَ لذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يُرْشِدُ ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في قوله: إنَّ الآلهةَ تشفعُ ﴿كَفَّارٌ﴾ أي: كافرٌ باتِّخاذِها آلهةً، وهذا إخبارٌ عمَّنْ سبقَ عليه القضاءُ بحرمانِ الهدايةِ.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: على ما يزعم مَنْ يَنسِبُ ذلك إلى الله ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ أي: لاخْتارَ ممَّا يخلُق. قال مُقاتِلٌ: أي: مِنَ الملائكة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لم يَخلُقْهما لغيرِ شيءٍ. قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ قال أبو عُبيدةَ: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابنُ قُتَيبةَ: وأصلُ التَّكْويرِ: اللَّفُّ، ومنه كَوْرُ العِمامَة. وقال غيرُه. التَّكويرُ: طَرْحُ الشيءِ بعضه على بعضٍ. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما للسَّير على ما أراد ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الأجلِ الذي وَقَّتَ اللَّهُ للدُّنيا. وقد شرحنا معنى العَزيزِ في البقرة[٢] ومعنى الغَفَّار في طه[٣].

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكم جعلَ منها زَوجَها، لأنَّ حَوَّاء خُلِقَتْ قَبْلَ الذُّرِّيَّة، ومِثْلُه في الكلام أنْ تقولَ: قد أعطيتُكَ اليومَ شيئاً، ثمَّ الذي أعطيتُكَ أمسِ أكثرُ؛ هذا اختيارُ الفَرَّاءِ. وقال غيرُه: ثم أخبَركُم أنه خَلَق منها زَوجَها ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: خَلَقَ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وقد بيَّنَّاها في سورةِ الأنعام[٤].

قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطَفاً ثُمَّ عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عَظْماً ثم لَحْماً ثم أنبتَ الشَّعرَ، إلى غيرِ ذلك مِنْ تقلُّبِ الأحوال إلى إخراجِ الأطفال، هذا قولُ الجمهور. وقال ابنُ زيدٍ: خَلْقاً في البُطون مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُم في ظَهْرِ آدمَ. قوله تعالى: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظُلْمةُ البَطْنِ، وظُلْمةُ الرَّحِم،

---

(١) التوبة: ٣٠.
(٢) البقرة: ١٢٩.
(٣) طه: ٨٢.
(٤) الأنعام: ١٤٣.

وظُلْمةُ المَشِيمَة[١]، قاله الجمهور، وابنُ زيدٍ معهم. وقال أبو عُبيدةَ: إنها ظُلمةُ صُلْبِ الأبِ، وظُلْمةُ بَطْنِ المرأة، وظُلمةُ الرَّحِمِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: مِنْ أينَ تُصْرَفون عن طريقِ الحَقِّ بعد هذا البيان؟!

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾

قوله تعالى ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي: عن إيمانِكم وعبادَتِكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَرضاهُ للمؤمنين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يَرضاهُ لأحدٍ وإنْ وقعَ بإرادَتِه، وفَرْقٌ بين الإرادة والرِّضى، وقد أشرنا إلى هذا في البقرة عند قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٢]. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشُّكرَ لكم، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين: **أحدهما**: في عُتْبَةَ ابنِ رَبيعةَ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: في أبي حُذيفَةَ بنِ المُغيرةِ، قاله مُقاتِلٌ. والضُّرُّ: البلاءُ والشِّدَّةُ. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه مِنْ شِرْكِه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أي: أعطاهُ ومَلَّكه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ بعد البَلاء الذي أصابَهُ، كالصِّحَّة بعدَ المرضِ، والغِني بعدَ الفقرِ ﴿نَسِيَ﴾ أي: تَرَكَ ﴿مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَسِيَ الدُّعاءَ الذي كان يَتضرَّعُ به إلى الله تعالى. **والثاني**: نَسِيَ الضُّرَّ الذي كان يَدعو اللهَ إلى كَشْفِهِ. **والثالث**: نَسِيَ اللهَ الذي كان يَتضرَّعُ إليه. قال الزَّجّاجُ: وقد تَدُلُّ «ما» على الله عزَّ وجلَّ، كقوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾. وقال الفرّاءُ: تَرَكَ ما كان يَدعو إليه. وقد سبقَ معنى الأَنْدادِ[٣] ومعنى ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤]. قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ لفظُه لفظُ الأمرِ ومعناه التَّهديدُ، ومثله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾

---

(١) في «اللسان»: المشيمة: هي للمرأة التي فيها الولد، والجمع مشيم، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الولد المشيمة، والكيس والحوران والقميص.

(٢) البقرة: ٢٠٥، وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع» ١٥/٢٠٨: وهذا مذهب أهل السنة أن الله تعالى لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا.

(٣) البقرة: ٢٢. (٤) الحج: ٩. (٥) النحل: ٥٥.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وحمزَةُ، وأبو جعفَر، والمُفَضَّلُ عن عاصم، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أمَنْ» بالتخفيف؛ وقرأ الباقون: بالتشديد. فأمَّا المُشدَّدةُ، فمعناها: أهَذا الذي ذَكَرْنا خيرٌ، أمَّنْ هو قانِت؟ والأصلُ في «أمَّن»: أمْ مَنْ، فأُدغِمتِ الميمُ في الميم. وأمَّا المُخفَّفة، ففي تقديرِها ثلاثةُ أوجُهٍ: **أحدها**: أنها بمعنى النداء. قال الفَرَّاءُ: فَسَّرها الذين قرؤوا بها فقالوا: يا مَنْ هو قانِتٌ، وهو وَجهٌ حسنٌ، والعرب تدعو بالألِفِ كما تَدعو بياءٍ، فيقولون: يا زيدُ أقبِلْ، و: أزَيْدُ أقْبِلْ، فيكون المعنى: أنه ذَكَر النَّاسي الكافرَ، ثم قصَّ قِصَّةَ الصَّالح بالنِّداء، كما تقول: فُلانٌ لا يَصوم ولا يُصلِّي، فيا مَنْ يَصوم أبْشِرْ. **والثاني**: أنَّ تقديرَها: أمَنْ هو قانِتٌ كمَنْ ليس بقانِتٍ؟! **والثالث**: أمَنْ هو قانِتٌ كمَنْ جَعلَ لله أندَاداً؟!

وقد ذكرنا معنى القُنوتِ في سُورَةِ البقرة[١] ومعنى ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ في آل عِمران[٢].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ يعني في الصلاة. وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال[٣]: **أحدها**: أنه أبو بكرٍ الصِّدِّيق، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: عثمانُ بنُ عفَّانَ، قاله ابنُ عمرَ. **والثالث**: عمَّارُ بنُ ياسرٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: ابنُ مسعودٍ، وعمَّارٌ، وصُهَيبٌ، وأبو ذَرٍّ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: أنه رسولُ الله ﷺ، حكاه يَحيى بنُ سَلام. قوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: عذابَ الآخرة. وقد قرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وعُروَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمْرَانَ: «يَحْذَرُ عذابَ الآخرة» بزيادة «عذابَ». ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها المَغفرةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: الجنَّةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ ما وَعدَ الله مِنَ الثَّواب والعِقاب حَقٌّ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾. وباقي الآية قد تقدَّمَ في الرَّعد[٤]، وكذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ قد تقدَّمَ في النَّحل[٥]. وفي قوله: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه حَثٌّ لهم على الهجرة مِنْ مكَّة إلى حيثُ يأمَنُون. **والثاني**: أنها أرضُ الجنَّة رَغَّبهم فيها. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ الذين صَبَروا لأجلِ الله تعالى على ما نالَهم ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي: يُعطَون عطاءً كثيراً أوسعَ مِنْ أن يُحْسَبَ وأعظمَ مِنْ أنْ يُحاطَ به، لا على قَدْر أعمالِهم.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) البقرة: ١١٦.
(٢) آل عمران: ١١٣.
(٣) الصواب أن الآية عامة.
(٤) الرعد: ١٩.
(٥) النحل: ٣٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾.

[١٢٢٣] قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ قالوا لرسولِ الله ﷺ: ما حَمَلَكَ على الذي أتيتَنا به؟! ألا تنظُرُ إلى مِلَّةِ آبائِكَ فتأخذ بها؟! فنزلت هذه الآيةُ.

والمعنى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أُمِرْتُ أنْ أعبُدَه على التوحيدِ والإخلاصِ السالمِ مِنَ الشِّركِ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هذه الأمَّةِ. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالرُّجوعِ إلى دِينِ آبائي، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقد اختلفوا في نَسْخِ هذه الآيةِ كما بيَّنَّا في نظيرَتِها في الأنعام[1]. ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ بالتوحيد، ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾، وهذا تهديدٌ، وبعضُهم يقول: هو مَنسُوخٌ بآيةِ السيفِ، وهذا باطلٌ، لأنه لو كان أمراً كان مَنسُوخاً، فأمَّا أنْ يكونَ بمعنى الوعيدِ، فلا وَجْهَ لِنَسْخِهِ. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأنْ صاروا إلى النَّارِ ﴿وَ﴾ خسروا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم خَسِروا الحُورَ العِينَ اللَّواتي أُعِدِدْنَ لهم في الجنَّةِ لو أطاعوا، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: خَسِروا الأهلَ في النَّارِ، إذ لا أهلَ لهم فيها، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: خَسِروا أهْلِيهم الذين كانوا في الدنيا، إذْ صاروا إلى النَّارِ بكُفرِهم، وصار أهلُوهم إلى الجنَّةِ بإيمانِهم، قاله المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وهي الأطباقُ مِنَ النَّار. وإنما قال: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لأنها ظُلَلٌ لِمَنْ تحتَهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وَصَفَ اللَّهُ مِنَ العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

[١٢٢٤] رَوى ابنُ زيدٍ عن أبيه أنَّ هذه الآيةَ والتي بعدَها نزلت في ثلاثةِ نَفَرٍ كانوا في الجاهليَّة يُوحِّدون الله تعالى: زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيلٍ، وأبي ذَرٍّ، وسَلْمانَ الفارسيِّ، رضيَ الله عنهم؛ قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ بغيرِ كتابٍ ولا نبيٍّ.

وفي المُراد بالطَّاغوتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشياطين، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الكَهَنةُ، قاله ابنُ السَّائب. **والثالث**: الأوثانُ، قاله مُقاتِلٌ، فعَلَى قول مُقاتِلٍ هذا: إنما قال: «يعبدوها» لأنها مؤنَّثة. وقال الأخفَشُ: إنما قال: «يعبدُوها» لأنَّ الطَّاغوتَ في معنى جماعةٍ، وإنْ شِئتَ جعلتَه واحداً مؤنَّثاً.

[١٢٢٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يصنع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

[١٢٢٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٠١٠٨ عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي... وهذا مرسل، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو متروك، والمتن منكر جداً، والصحيح عموم الآية. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٤ وكذلك ابن كثير ٤/٥٩ بدون سند.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٩: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلى عبادة الرحمن. فهؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) الأنعام: ١٥.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٨: قوله تعالى: **﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾** أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: رَجَعوا إليه بالطَّاعة ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالجنَّةِ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ بياءٍ، وحرَّكَ الياءَ أبو عمروٍ. ثم نَعتَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ وفيه قولان: **أحدها**: أنه القرآن، قاله الجمهور. فعَلى هذا، في معنى ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أقوال قد شرحناها في الأعراف[1] عند قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾. **والثاني**: أنه جميعُ الكلام. ثم في المعنى قولان. **أحدهما**: أنه الرَّجُل يَجْلِسُ مع القوم فيسمع كلامَهُم، فيَعمل بالمحاسِنِ ويُحدِّث بها، ويَكُفُّ عن المَساوئِ ولا يُظْهِرُها، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنه لمَّا ادَّعى مُسيلمَةُ أنه قد أتى بقرآنٍ، وأتَت الكَهنَةُ بالكلام المُزخرَفِ في الأباطيلِ، فرَّق المؤمنون بين ذلك وبينَ كلام الله، فاتَّبعوا كلامَ الله، ورَفضُوا أباطيلَ أولئك، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال ابنُ عباس: سبق في عِلْم الله أنَّه في النَّار. فإنْ قيلَ: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جوابٍ؟ قيلَ: أمَّا الفرَّاءُ، فإنه يقول: هذا ممَّا يُراد به استفهامٌ واحدٌ، فسبَقَ الاستفهامُ إلى غير موضعهِ فرُدَّ إلى موضعِه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنتَ تُنقِذُ مَنْ في النَّارِ مَنْ حقَّتْ عليه كلمةُ العذابِ؟ ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[2] فردَّ «أنَّكم» مرَّتين، والمعنى: أيَعِدُكُم أنكم مُخرَجون إذا مِتُّم؟ ومثلُه: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾[3] فردَّ «تَحْسَبَنَّ» مرتين، والمعنى: لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُون بمفازَةٍ مِنَ العذاب. وقال الزَّجاجُ: يجوز أنْ يكونَ في الكلام محذوفٌ، تقديره: أَفَمَنْ حَقَّ عليه كلمةُ العذاب فيتخلَّص منه أو يَنجو، أفأنتَ تُنقِذُهُ؟ قال المُفسِّرون: أفأنتَ تُخلِّصُه مِمَّا قُدِّر له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدِرُ على ذلك. قال عطاءٌ: يريد بهذه الآية أبا لَهَبٍ وولَدَهُ ومَنْ تخلَّفَ مِنْ عشيرة النبيِّ ﷺ عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو جعفرَ «لكِنَّ» بتشديد النون وفَتْحِها. قال الزَّجَّاج: والغُرَفُ: هي المنازلُ الرَّفيعة في الجنَّةِ، ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي: منازلُ أرفعُ منها. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر؛ فالمعنى: وعَدهم الله غُرَفاً وَعْداً. ومَنْ قرأ: «وَعْدُ الله» بالرَّفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ اللهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال الشَّعبيُّ: كُلُّ ما في الأرض فمِنَ السَّماء ينزلُ ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: أدخلَه فجعَلَهُ ينابيعَ، أي: عُيوناً تَنبُعُ، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: ييبس. قال الأصمَعيُّ: يُقال للنَّبتِ إذا تَمَّ جفافُه: قد هاجَ يَهيجُ هَيْجاً. فأمَّا الحُطامُ، فقال أبو عُبيد: هو ما يَبِسَ

(١) الأعراف: ١٤٥. (٢) المؤمنون: ٣٥. (٣) آل عمران: ١٨٨.

فتحاتٌ مِنَ النَّباتِ، ومثلُه الرُّفاتُ. قال مُقاتِلٌ: هذا مَثَلٌ ضُرِبَ للدنيا، بَيْنَا ترى النَّبتَ أخضرَ، إذْ تغيَّر فيبِسَ ثُمَّ هَلَكَ، وكذلك الدُّنيا وزِينَتُها. وقال غيرُه: هذا البيانُ للدَّلالة على قُدرةِ الله عزَّ وجلَّ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ قال الزَّجَّاجُ: جوابُه متروكٌ، لأنَّ الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمَنْ شَرَحَ الله صَدرَهُ فاهتَدَى كمَنْ طَبَعَ على قلبه فلَمْ يَهْتَدِ؟ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾.

[١٢٢٥] وقد رَوى ابنُ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ تَلاَ هذه الآيةَ، فَقُلْنا: يا رسولَ الله، وما هذا الشَّرْحُ؟ فذكَر حديثاً قد ذكرناه في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: اليقينُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كتابُ الله يأخذُ به وينتهي إليه، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: البيانُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: الهُدى، قاله مُقاتِلٌ.

وفيمَنْ نزلت هذه الآيةُ؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنَّها نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: في عليٍّ وحمزَةَ وأبي لَهَبٍ وولَدِه، قاله عطاءٌ. **والثالث**: في رسولِ الله ﷺ وفي أبي جَهلٍ، قاله مُقاتِلٌ.

[١٢٢٥] متن منكر بأسانيد واهية، وهو شبه موضوع. إسناده ضعيف جداً، محمد بن يزيد بن سنان وأبوه ضعيفان، وفي الإسناد مجاهيل. وبهذا الإسناد أخرجه البغوي في «التفسير» ١٨١٧.
وأخرجه الحاكم ٤/ ٣١١ من طريق محمد بن بشر بن مطر، والبيهقي في «الشعب» ١٠٥٥٢ من طريق ابن أبي الدنيا كلاهما عن محمد بن جعفر الوركاني عن عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود به. وإسناده ضعيف، لضعف عدي بن الفضل، وقد سكت عليه الحاكم، وأعله الذهبي بوهن ابن الفضل. هذا وله علة ثانية، المسعودي صدوق إلا أنه اختلط. وأخرجه الطبري ١٣٨٥٩ من وجه آخر عن أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود مرفوعاً، وإسناده ضعيف، ففي الإسناد مجاهيل، وعلة ثانية: وهي الإرسال بين أبي عبيدة، وابن مسعود. وأخرجه الطبري أيضاً ١٣٨٦١ من وجه آخر عن عبد الرحمن بن عتبة عن ابن مسعود به مرفوعاً وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن عن ابن مسعود معضل. وقد ورد من مرسل أبي جعفر، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٨٥٢ ومن طريقه الطبري ١٣٨٥٦ و ١٣٨٥٧ و ١٣٨٥٨. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣١٥ من وجه آخر عن أبي جعفر به، هذا مرسل، ومع إرساله، أبو جعفر هذا متهم بالوضع. قال أحمد: أحاديثه موضوعة. راجع «الميزان» ٤٦٠٨. وأخرجه الطبري ١٣٨٦٠ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٣٢٦ من وجه آخر عن عبد الله بن المسور. وعبد الله هذا هو أبو جعفر المدائني المتقدم ذكره، وهو متروك متهم، فالحديث ضعيف، ولا يصح عن النبي ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام من دون ابن مسعود، والله أعلم. وأخرجه البيهقي ٣٢٥ من وجه آخر عن أبي جعفر فجعله من قوله، ولم يرفعه وقال: وقد روي في هذا خبر مرفوع. وانظر الحديث المتقدم في سورة الأنعام عند آية: ١٢٥. الخلاصة: المتن منكر كونه مرفوعاً، وحسبه أن يكون موقوفاً، أو من كلام أبي جعفر المدني فإنه لا يشبه كلام النبوة، بل الأشبه أنه من كلام الصوفية والوعاظ، والله أعلم.

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) لا حجة في شيء من ذلك، والآية عامة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا معنى القَساوةِ في البقرة[1]. فإن قيل: كيف يقسُو القلبُ مِنْ ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ؟ فالجواب: أنه كُلَّما تُلِيَ عليهم ذِكْرُ الله الذي يُكذِّبونَ به، قَسَتْ قلوبُهم عن الإيمان به. وذهب مُقاتِلٌ في آخرين إلى أنَّ «مِنْ» ها هنا بمعنى «عَنْ»؛ قال الفَرَّاءُ: كما تقول: أُتخِمْتُ عن طعام أكَلْتُه، ومِنْ طعام أكَلْتُه؛ وإنما قَسَتْ قلوبُهم مِنْ ذِكرِ الله، لأنهم جعلوه كَذِباً فأقسَى قلوبَهم؛ ومَنْ قال: قَسَت قلوبُهم عنه، أراد: أعرَضَتْ عنه. وقد قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو عِمْرانَ: «قلوبُهم عن ذِكْر الله» مكان قوله: «مِنْ».

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن؛ وقد ذكرنا سببَ نُزولِها في أولِ يُوسف[2].

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ بَعضه يُشبِه بَعضاً في الآيِ والحروفِ، فالآيةُ تُشبِهُ الآيةَ، والكَلِمةُ تُشبِه الكَلِمةَ، والحَرْفُ يُشبه الحَرْفَ. **والثاني**: أنَّ بَعضَه يُصدِّق بَعضاً، فليس فيه اختلافٌ ولا تناقضٌ.

وإنَّما قيلَ له: ﴿مَّثَانِىَ﴾ لأنه كُرِّرت فيه القَصَصُ والفرائضُ والحدودُ والثَّوابُ والعقابُ.

فإنْ قيلَ: ما الحِكمةُ في تكرارِ القَصَصِ، والواحدةُ قد كانت تكفي؟

فالجواب: أنَّ وفودَ العرب كانت تَرِدُ على رسول الله ﷺ، فيُقرِئُهم المسلمون شيئاً مِنَ القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يَبْعثُ إلى القبائلِ المُتفرِّقة بالسُّورِ المختلفة، فلو لم تكُنِ الأنباءُ والقَصَصُ مُثنَّاةً مُكرَّرة، لَوقعَتْ قصَّةُ موسى إلى قوم، وقصةُ عيسى إلى قوم، وقصةُ نُوحٍ إلى قوم، فأرادَ الله تعالى أنْ يُشهِرَ هذه القَصَصَ في أطرافِ الأرضِ ويُلقِيَها إلى كلِّ سَمْعٍ. فأمَّا فائدَةُ تكرارِ الكلام مِنْ جنسٍ واحدٍ، كقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3]، وقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[5] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[6] فسنذكرها في سورةِ الرَّحمن عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: تأخذُهم قشَعْريرةٌ، وهو تغيُّرٌ يحدُث في جِلْدِ الإنسان مِنَ الوَجَلِ.

[١٢٢٦] وروى العبَّاسُ بنُ عبد المُطَّلبِ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اقشعرَّ جِلْدُ العَبْدِ مِنَ

[١٢٢٦] ضعيف. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥٧٨ والبيهقي في «الشعب» ٨٠٣ والبغوي في «تفسيره» ١٨١٨ من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني من حديث العباس وإسناده ضعيف جداً، يحيى الحماني متروك، متهم بسرقة الحديث، وعبد العزيز هو الدراوردي روى مناكير، وأم كلثوم مجهولة لا تُعرف، وقد توبع الحماني، وعلة الحديث جهالة أم كلثوم. وأخرجه البزار ٤/ ٧٤ «كشف» والبيهقي ٨٠٣ من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي بهذا الإسناد. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣١٠: وفيه أم كلثوم بنت العباس، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. قلت: الدراوردي، وإن وثقه غير واحد، فقد روى مناكير، راجع «الميزان». =

---

(١) البقرة: ٧٤.
(٢) يوسف: ٣.
(٣) الرحمن: ١٣.
(٤) الكافرون: ٢.
(٥) القيامة: ٣٤.
(٦) الانفطار: ١٧.

خَشيةِ الله، تَحاتَّتْ ذُنوبُه كما يَتحاتُّ عن الشجرةِ اليابسَةِ وَرَقُها».

وفي معنى الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: تَقْشَعِرُ مِنْ وَعيدِه، وتَلِينُ عندَ وَعْدِه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: تَقْشَعِرُ مِنَ الخَوْف، وتَلِينُ مِنَ الرَّجاءِ. **والثالث**: تَقْشَعِرُ الجُلود لإعظامه، وتَلِينُ عند تلاوَتِه، ذكرهما الماوَرديُّ. وقال بعضُ أهلِ المعاني: مفعولُ الذِّكرِ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ محذوفٌ، لأنه معلومٌ؛ والمعنى: تَطْمَئِنُّ قلوبُهم إلى ذِكْرِ الله الجنَّةَ والثَّوابَ. قال قَتادَةُ: هذا نَعْتُ أولياءِ الله، تَقشَعِرُ جُلودُهم وتَلِينُ قُلوبُهم، ولم يَنْعَتْهم بذَهاب عُقولِهم والغِشْيانِ عليهم، إنَّما هذا في أهلِ البِدَعِ، وهذا مِنَ الشَّيطان.

[١٢٢٧] وقد رَوى أبو حازِم، قال: مَرَّ ابنُ عمرَ برجُلٍ ساقطٍ مِنْ أهلِ العراقِ، فقال: ما شأنُه؟ فقالوا: إنه إذا قُرِئَ عليه القرآنُ يُصيبُه هذا، قال: إنَّا لَنخشَى الله عَزَّ وجلَّ، وما نَسْقُطُ.

[١٢٢٨] وقال عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ: جِئتُ أبي، فقال لي: أينَ كُنتَ؟ فقلتُ: وجدتُ قوماً، ما رأيتُ خيراً منهم قطُّ، يذكُرون الله عزَّ وجلَّ فيُرعَدُ واحدُهم حتى يُغْشَى عليه مِنْ خَشية الله عزَّ وجلَّ، فقَعَدْتُ معهم، فقال: لا تَقعُدْ معهم بعدَها أبداً، قال: فرآني كأنِّي لم يأخُذْ ذلك فيَّ، فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَتْلو القرآنَ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ يَتْلُوانِ القرآنَ فلا يُصيبُهم هذا مِنْ خَشيةِ الله

= وأخرجه أبو يعلى ٦٧٠٣ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٨٠٤ عن موسى بن محمد عن محمد بن عمر بن عبد الله الرومي قال: حدثني جابر بن يزيد بن رفاعه عن هارون بن أبي الجوزاء. هارون وبقية رجاله وثقوا، على ضعف في محمد بن عمر، وثقه ابن حبان. وأورده الحافظ في «المطالب العالية» ٣/٢١٨ و ٢١٩ ونسبه إلى أبي يعلى، ونقل الشيخ حبيب الرحمن عن البوصيري قوله: رواه أبو يعلى والبيهقي بسند ضعيف اهـ. وكذا ضعفه العراقي في «تخريج الإحياء» ٤/١٦٣، وانظر «الضعيفة» ٢٣٤٢.

[١٢٢٧] موقوف. أخرجه البغوي في «تفسيره» ١٨٢١، بإسناد ضعيف، فيه سعيد الجمحي لم يدرك ابن عمر.

[١٢٢٨] انظر ما بعده.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦١: وقوله: **﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾**، أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبّار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمونه من الوعيد والوعد، والتخويف والتهديد، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف. **﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** لما يرجون ويؤمّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجّار من وجوه: أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات. الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾** وقال تعالى: **﴿والذين إذا ذكرّوا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً﴾** أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمبانيها، فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم. الثالث: يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس يهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالقدح المُعَلى في الدنيا والآخرة.

تعالى، أفترى أنهم أخشى لله مِنْ أبي بكرٍ وعمرَ؟ قال: فرأيتُ ذلك كذلك. وقال عِكرِمَةُ: سُئِلَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ: هل كان أحدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغشَى عليه مِنَ الخَوفِ؟ قالت: لا، ولكنَّهم كانوا يبكون.

[١٢٢٩] وقال عبدُ الله بنُ عُروَةَ بنِ الزُّبير: قلتُ لجَدَّتي أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، كيف كان أصحابُ رسول الله ﷺ يفعلون إذا قُرِئَ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتَهم اللَّهُ تعالى، تَدمَعُ أعيُنُهم وتَقشَعِرُّ جلودُهم. فقلتُ لها: إنَّا ناساً اليومَ إذا قُرِئَ عليهم القرآنُ، خَرَّ أحدُهم مَغشِيّاً عليه، فقالتْ: أعوذُ بالله مِنَ الشيطان الرَّجيم.

وكان جَوَّابُ يُرْعَدُ عند الذِّكرِ، فقال له إبراهيمُ النَّخعيُّ: إنْ كُنتَ تَملِكه، فما أُبالي أنْ لا أعتَدَّ بكَ، وإنْ كنتَ لا تملكُه، فقد خالفتَ مَنْ كان قبلَكَ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ في المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه ما يَنزِلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن مِن اقشِعْرَارِ الجُلودِ عند الوعيد، ولِينِها عند الوَعدِ، قاله ابنُ الأنبَاري.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شِدَّته. قال الزَّجَّاج: جوابُه محذوفٌ، تقديره: كَمَنْ يدخُل الجنَّةَ؟ وجاء في التفسيرِ أنَّ الكافرَ يُلقى في النَّارِ مغلولاً، ولا يتهيَّأُ له أنْ يتَّقيَها إلاَّ بوَجْهِه. ثم أخبرَ عمَّا يقول الخزَنَةُ للكفَّارِ بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءَ كَسْبِكُم.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مِنْ قَبلِ كفَّارِ مكَّةَ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمِنون غافِلُون عن العذابِ، ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ يعني الهوانَ والعذابَ، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابَهُم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، ولكنهم لا يعلمون ذلك. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: وَصفْنا لهم ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: مِنْ كلِّ شبهٍ يُشبه أحوالَهُم.

قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قال الزَّجَّاج: «عربيّاً» منصوبٌ على الحالِ، المعنى: ضَربنا للناس في هذا القرآنِ في حالِ عربيَّته وبيانِه، فذَكر «قرآناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، وجاءني عمروٌ إنساناً عاقلاً، فذَكَر رجلاً وإنساناً توكيداً. قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ روى ابنُ أبي طَلحَة عن ابنِ عباسٍ قال: غيرُ مَخلوقٍ. وقال غيره: مستقيمٌ غيرُ مُختلِفٍ.

[١٢٢٩] موقوف. أخرجه البغوي في «التفسير» ١٨٢٠ بسند فيه خلف بن سالم فمن فوقه رجال الصحيح، ومن دونه بعضهم معروف، وبعضهم لم أجد له ترجمة، لكن توبعوا عند سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٥/ ٦١٠ فالخبر صحيح.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنهُ فقال: ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: مُختلِفون، يَتنازعون ويَتشاحُون فيه، يُقال: رجلٌ شَكِسٌ. وقال اليزيديُّ: الشَّكِسُ مِنَ الرِّجال: الضَّيِّقُ الخُلُقِ. قال المُفسِّرون: وهذا مَثَلٌ ضربَهُ اللَّهُ للمؤمِنِ والكافرِ، فإنَّ الكافرَ يعبُدُ آلهَةً شتَّى، فمَثَّله بعَبْدٍ يَملكُهُ جماعةٌ يتنافسون في خِدْمَتِه، ولا يَقدِرُ أنْ يبلُغَ رضاهم أجمعين؛ والمؤمنُ يعبُد اللَّهَ وحدَهُ، فمَثَّله بعبدٍ لرجلٍ واحدٍ، قد عَلِمَ مقاصِدَه وعَرَفَ الطريقَ إلى رِضاهُ، فهو في راحةٍ مِنْ تَشاكُسِ الخُلَطاءِ فيه، فذلك قولُه تعالى: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ إلاَّ عبدَ الوارثِ في غير روايةِ القَزَّازِ، وأبَانُ عن عاصِم: «ورجلاً سالِماً» بألِفٍ وكسرِ اللام وبالنَّصبِ والتنوين فيهما؛ والمعنى: ورجُلاً خالِصاً لرجُلٍ قد سَلِمَ لَه مِنْ غيرِ مُنازعٍ. ورواه عبدُ الوارثِ إلاَّ القَزَّازَ كذلك، إلاَّ أنه رَفَعَ الاسمَيْن، فقال: «ورجُلٌ سالِمٌ لرجُلٍ»، وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ: «سِلْمٌ لِرَجُلٍ» بكسرِ السين ورفعِ الميم. وقرأ الباقون: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ بفتحِ السين واللام وبالنصب فيهما والتنوين. والسَّلَمُ، بفتح السين واللام، معناه الصُّلْحُ، والسِّلْم، بكسرِ السين مثلُه. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «سِلْماً» و «سَلَماً» فَهُمَا مصدران وصفَ بهما، فالمعنى، ورجُلاً ذا سِلْم لرجُلٍ وذا سَلَم لرجُلٍ؛ فالمعنى: ذا سِلْم؛ والسَّلْمُ: الصُّلحُ، والسِّلْمُ، بكسرِ السين مِثْلُه. وقال ابنُ قُتيبةَ: من قرأ «سَلَماً لِرَجُلٍ» أراد: سَلَّمَ إليه فهو سِلْمٌ له. وقال أبو عُبيدَةَ: السِّلْمُ والسَّلَمُ الصُّلْحُ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكارُ، أي: لا يستويان، لأنَّ الخالِصَ لمالكٍ واحدٍ يَستحقُّ مِنْ مَعونتِه وإحسانِه ما لا يستحقُّه صاحبُ الشُّركاء المُتشاكِسين. وقيلَ: لا يستويان في بابِ الرَّاحة، لأنَّ هذا قد عرف الطريقَ إلى رِضى مالِكِه، وذاكَ مُتحيِّرٌ بين الشُّركاء. قال ثَعْلَبُ: وإنما قال: «هَلْ يَستَوِيانِ مَثَلاً» ولم يَقُلْ: مَثَلَيْنِ، لأنهما جميعاً ضُرِبا مَثَلاً واحداً، ومِثْلُه: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[(١)]، ولم يَقُلْ: آيتين، لأنَّ شأنَهما واحدٌ. وتَمَّ الكلامُ ها هنا، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: له الحَمدُ دونَ غيرِه مِنَ المَعبُودِينَ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بالأكثرِ الكُلُّ. ثم أخبرَ نبيَّهُ بما بعدَ هذا الكلام أنه يموتُ، وأنَّ الذين يُكذِّبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخُصومَةِ عند الله عزَّ وجلَّ، المُحِقُّ والمُبطلُ، والمظلومُ والظالم[(٢)].

---

(١) المؤمنون: ٥٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٣: وقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته، مع قوله ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾ ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم. فينجي المؤمنين المخلصين المُوحِّدين، ويعذِّب الكافرين الجاحدين المشركين المكذِّبين، ثم إن هذه الآية، وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة.

[١٢٣٠] وقال ابنُ عمرَ: نزلتْ هذه الآيةُ وما ندري ما تفسيرُها، وما نرى أنها نزلتْ إلاَّ فينا وفي أهلِ الكِتابَيْنِ، حتى قُتِلَ عثمانُ، فعَرفتُ أنها فينا نزلتْ. وفي لفظٍ آخرَ: حتى وقعت الفِتْنَةُ بين عليٍّ ومُعاويةَ.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأنْ دَعا له وَلَداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وهو التوحيدُ والقرآنُ ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مَقامٌ للجاحِدِين؟! وهذا استفهامٌ بمعنى التقريرِ؛ يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه رسولُ الله ﷺ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. ثم في الصِّدْقِ الذي جاء به قولان: **أحدهما**: أنه «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيد ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: القرآن، قاله قَتادةُ. وفي الذي صَدَّقَ به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه رسولُ الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصِّدْقِ، وهو صَدَّقَ به، قاله ابنُ عباسٍ، والشَّعْبيُ. **والثاني**: أنه أبو بكرٍ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. **والثالث**: أنهم المؤمنون، قاله قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ.

والقول الثاني: أن الذي جاء بالصِّدْقِ: أهلُ القرآن، وهو الصِّدْقُ الذي يُجيبون به يومَ القيامة، وقد أدَّوا حَقَّهُ، فَهُم الذين صدَّقوا به، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ الذي جاء بالصِّدْقِ الأنبياءُ، قاله الرَّبيعُ، فعَلَى هذا، يكون الذي صَدَّقَ به: المؤمنون. **والرابع**: أنَّ الذي جاء بالصِّدْقِ: جبريلُ، وصَدَّقَ به: محمَّدٌ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقوا الشِّركَ؛ وإنما قيلَ: «هُم»، لأنَّ معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ:

[١٢٣٠] حسن، أخرجه النسائي في «التفسير» ٤٦٧ والطبري ٣٠١٣٩ كلاهما عن ابن عمر، وإسناده حسن، رجاله ثقات معروفون، ويشهد له خبر عن أبي سعيد الخدري مثله. عزاه الشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٥٣٢ لسعيد بن منصور، وعزاه ابن حجر في «تخريجه» ٤/ ٢٧ للثعلبي.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾ كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال الصدق: هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه. ووافقه ابن كثير. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٦٥: وهذا القول الذي قاله مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

فإنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُم هُمُ القَوْمُ، كُلُّ القَوْمِ، يا أُمَّ خالِدِ[1]

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا لِيُكفِّرَ عنهم ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي: لِيَسْتُرَ ذلك بالمغفرة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ بمحَاسِنِ أعمالِهم، لا بمَساوئِها.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

[١٢٣١] ذكرَ المُفسِّرون أنَّ مُشركي مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ما تزالُ تذكرُ آلهتَنا وتَعيبُها، فاتَّقِ أنْ تُصيبَكَ بسُوءٍ، فنزلت هذه الآيةُ. والمراد بعَبْده ها هنا: محمَّدٌ ﷺ.

وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «عِبادَه» على الجمع، وهم الأنبياء، لأنَّ الأُمَمَ قَصدتْهم بالسُّوءِ؛ فالمعنى أنه كما كَفَى الأنبياءَ قَبْلَكَ يكفيكَ، وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ: «بِكافي» مُثبتةَ الياء «عَبْدِهِ» بكسرِ الدال والهاء مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو العَالِيَةِ، وأبو الجَوزاءِ، والشَّعبيُّ مِثْلَه، إلاَّ أنهم أثبَتُوا الألِفَ في «عبادة» وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو جعفرٍ، وشَيبَةُ، والأعمَشُ: «بِكافٍ» بالتنوين، «عباده» على الجمع. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ العُطارديُّ: «يُكافِيْ» بياءٍ مرفوعةٍ قبلَ الكاف وياءٍ ساكنةٍ بعد الفاء «عِبادَهُ» على الجمع.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: بالذين يعبدون من دونه، وهم الأصنام. ثم أعلم بما بعد هذا أن الإضلال والهِداية إليه تعالى، وأنه مُنتقِمٌ ممَّنْ عَصَاهُ. ثم أخبرَ أنهم مع عبادَتِهم، يُقِرُّونَ أنه الخالقُ. ثم أمرَ أنْ يُحتجَّ عليهم بأنَّ ما يعبدون لا يَملِكُ كَشْفَ ضُرٍّ ولا جَلْبَ خَيْرٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «كاشفاتٌ ضُرَّه» و«ممسكاتٌ رحمته» منوَّناً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرِّه» و«مُمسكاتُ رحمتِهِ» على الإضافة.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ ذَكر بعضُ المُفسِّرين أنها والآية التي تَلِيها نُسِخَتْ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخَلْقِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليس فيه

[١٢٣١] ضعيف. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢٦٣٤ عن قتادة قال: قال لي رجل... فذكره، وهو ضعيف لجهالة الرجل.

---

(١) البيت للأشهب بن رميلة، وهو في «الكتاب» ١/ ٩٦، وقد تقدم في الجزء الأول.

باطلٌ. وتمامُ الآية مفسَّرٌ في آخرِ يونس[١]، وذكروا أنه مَنسُوخٌ بآية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يَقبِضُ الأرواحَ حين موتِ أجسادِها ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ﴾ أي: ويَتوفَّى التي لَمْ تَمُتْ ﴿فِى مَنَامِهَا﴾. ﴿فَيُمْسِكُ﴾ أي: عن الجَسدِ والنفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «قُضِيَ» بضمِّ القاف وفتح الياء، «الموتُ» بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى الجَسدِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاءُ العُمرِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمرِ البَعثِ[٢]. وروى سعيد بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: تلتقي أرواحُ الأحياء وأرواحُ الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُرَدُّ أرواحُ الأحياءِ إلى أجسادِها، فلا يُخطأُ بشيءٍ منها، فذلك قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقال ابنُ عباسٍ في روايةٍ أخرى: في ابنِ آدمَ نَفسٌ ورُوحٌ، فبالنَّفسِ العقلُ والتَّمييزُ، وبالرُّوحِ النفس والتَّحريكُ، فإذا نامَ العبدُ، قَبَضَ اللَّهُ نَفْسَه ولم يَقْبِضْ رُوحَهُ[٣]. وقال ابنُ جُرَيج: في الإنسانِ رُوحٌ ونَفسٌ، بينهما حاجزٌ، فهو تعالى يَقبِضُ النَّفْسَ عند النَّوم ثم يَرُدُّها إلى الجَسدِ عند الانتباه، فإذا أراد إماتةَ العبدِ في نَومِه، لم يَرُدَّ النَّفْسَ وقبضَ الرُّوحَ. وقد اختلف العلماء، هل بينَ النَّفسِ والرُّوحِ فَرْقٌ[٤]؟ على قولين: قد ذكرتُهما في «الوجوه والنظائر»، وزِدْتُ هذه الآيةَ شرحاً في

---

(١) يونس: ١٠٨.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٠: وقوله تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بَعْدُ نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبّر، وبياناً له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

(٣) أثر ابن عباس، قال عنه الحافظ في «تخريجه» ٤/ ١٣١: لم أجده.
قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/ ٢٢٨: قال القشيري أبو النصر ـ رحمه الله ـ: وفي هذا بُعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد ولهذا قال: ﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾ فإذاً يقبض الله الروح في حالين: في حالة النوم وحالة الموت، فما قبضه في حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض، وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿**ويرسل الأخرى**﴾ أي يزيل الحابس عنه فيعود كما كان. فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك. وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية.

(٤) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع» ١٥/ ٢٢٩: والأظهر أنهما شيء واحد، وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح على ما نذكره في هذا الباب، من ذلك: حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقّ بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قُبِض تبعه البصر» أخرجه مسلم ٩٢٠. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره» قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه» أخرجه مسلم ٩٢١. وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيها النفس الطيبة كانت في الجسر الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء». وإسناده صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٨٨ وابن ماجة ٤٢٦٢. وفي صحيح مسلم ٢٨٧٢ عنه رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها». وقال بلال في حديث الوادي الذي أخرجه مسلم ٢٨٧٢: أخذ بنفسي يا رسول الله =

«باب التَّوفّي» في كتاب «النظائر». وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ التَّوفّي المذكورَ في حقِّ النَّائم هو نَوْمُه. وهذا اختيار الفَرَّاءِ وابنِ الأنبارِي؛ فعَلَى هذا، يكون معنى توفِّي النَّائم: قبضُ نَفْسِه عن التصرُّفِ، وإرسالُها: إطلاقُها باليَقَظَة للتَّصرُّفِ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ يعني كُفَّارَ مكَّةَ[١]. وفي المُراد بالشُّفعاءِ قولان: **أحدهما**: أنَّها الأصنام، زعموا أنها تَشفع لهم في حاجاتِهم، قاله الأكثرون. **والثاني**: الملائكة، قاله مُقاتِلٌ.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ مِنَ الشَّفاعة ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّكم تعبدونَهم؟! وجوابُ هذا الاستفهام محذوفٌ، تقديره: أوَلَو كانوا بهذه الصِّفةِ تَتَّخذونَهم؟!.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ أي: لا يَملِكُها أحَدٌ إلاَّ بتمليكِه، ولا يشفعُ عنده أحَدٌ إلاَّ بإذنِه.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: انقبَضَت عن التوحيد، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: استكبَرتْ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: نفَرتْ، قاله أبو عُبيدَةَ، والزَّجاجُ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون. وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُهُ[٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾. قال السُّدِّيُّ: ظَنُّوا أنَّ أعمالَهم حسناتٌ، فبَدَتْ لهم سيئاتٌ. وقال غيرُه: عَمِلوا أعمالاً ظنُّوا أنَّها تنفعُهم، فلم تَنفَعْ مع شِرْكِهم. قال مُقاتِلٌ: ظهر لهم حين بُعِثوا ما لم يحتَسِبوا أنَّه نازلٌ بهم؛ فهذا

= الذي بنفسك. وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي ـ متفق عليه ـ: «يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا».

(١) قال الطبري رحمه الله في «جامع البيان» ١١/ ١٠: يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: **﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ولا يعقلون شيئاً، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله. وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعاً له لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولاً، وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، شفعكم **﴿له ملك السماوات والأرض﴾** فاعبدوا الذي له سلطان السموات والأرض وملكها ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

(٢) البقرة: ١١٣، الأنعام: ١٤ ـ ٧٣، الرعد: ١٨.

القولُ يحمل وجهين: **أحدهما**: أنهم كانوا يَرجُون القُرْبَ مِنَ الله بعبادةِ الأصنام، فلمَّا عُوقِبوا عليها، بَدَا لهم ما لم يكونوا يحتَسِبون. **والثاني**: أنَّ البَعْثَ والجزاء لم يَكُن في حِسَابِهم. ورُوي عن محمَّدِ بن المُنْكَدِرِ أنه جَزِعَ عند الموتِ وقال: أخشى هذه الآيةَ أنْ يبدوَ لي ما لا أحتسِبُ. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: ما كانوا يُنْكِرونَهُ ويُكذِّبون به.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ قال مُقاتِلٌ: هو أبو حُذَيفةَ بنُ المُغيرةِ، وقد سبق في هذه السُّورةِ نظيرُها[1]. وإنما كَنَّى عن النِّعمَةِ بقوله تعالى: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾، لأنَّ المرادَ بالنِّعمة: الإنعامُ. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي، أي: على خيرٍ عَلِمَهُ اللّهُ عندي. وقيلَ: على عِلْمٍ مِنَ الله بأنِّي له أهلٌ، قال اللّهُ تعالى: ﴿بَلْ هِىَ﴾ يعني النِّعمةَ التي أنعمَ اللّهُ عليه بها ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: بَلْوَى يُبْتلى بها العبدُ لِيَشكُرَ أو يكفُر، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ذلك استدراجٌ لهم وامتحانٌ. وقيل: «بل هي» أي: المَقالةُ التي قالَها «فِتْنةٌ». ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ يعني تلك الكلمةَ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: «إنما أوتيتُه على عِلْم» ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنَّهم الأُمَمُ الماضيةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: قارُونُ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي: ما دَفَع عنهم العذابَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الكُفرِ. **والثاني**: مِنْ عبادة الأصنام. **والثالث**: مِنَ الأموال. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: جزاءُ سيِّئاتِهم، وهو العذابُ. ثم أوعَدَ كُفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: إنهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه. قال مُقاتِلٌ: ثم وَعَظَهُم لِيَعلَموا وحدانيَّتَهُ حين مُطِرُوا بعدَ سبعِ سنين، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في بسط الرزق وتقتيره ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سببِ نُزولِها أربعةُ أقوالٍ:

[١٢٣٢] **أحدها**: أنَّ ناساً مِنَ المُشركين كانوا قد قَتَلُوا فأكثَروا، وزَنَوا فأكثَروا، ثم أَتَوا رسول

[١٢٣٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٠ عن إبراهيم بن موسى به عن ابن عباس وأخرجه مسلم ١٢٢ وأبو داود =

---

(١) الزمر: ٨.

الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تَدْعو إليه لَحَسَنٌ، لو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٣٣] والثاني: أنها نزلت في عَيَّاشِ بنِ أبي رَبيعَةَ والوليدِ بنِ الوليدِ ونَفَرٍ مِنَ المسلمين كانوا قد أسلَمُوا، ثم عُذِّبوا فافتُتِنوا، فكان أصحابُ رسول الله يقولون: لا يَقبَلُ اللَّهُ مِنْ هؤلاء صَرْفاً ولا عَدْلاً، قومٌ تركوا دِينَهم بعذابٍ عُذِّبُوه؛ فنزلت هذه الآيةُ، فكَتَبها عمرُ إلى عَيَّاشٍ والوليدِ وأولئك النَّفرِ، فأسلَموا وهاجروا؛ وهذا قولُ ابنِ عمرَ.

والثالث: أنها نزلتْ في وَحْشِيٍّ؛ وهذا القول ذكرناه مَشْرُوحاً في آخِرِ الفُرقان[١] عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٣٤] والرابع: أنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثانَ وقَتَلَ النَّفْسَ التي حرَّمَ اللَّهُ لم يُغفَرْ له، فكيف نُهاجِرُ ونُسْلِمُ وقد فَعَلْنا ذلك؟! فنزلت هذه الآيةُ؛ وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

ومعنى ﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ارتكَبوا الكبائرَ. والقُنوطُ بمعنى اليأسِ. ﴿وَأَنِيبُوٓا﴾ بمعنى ارْجِعُوا إلى الله مِنَ الشِّركِ والذُّنوبِ، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُۥ﴾ أي: أخلِصُوا له التوحيدَ. و «تُنْصَرون» بمعنى تُمْنَعُون. ﴿وَاتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قد بيَّنَّاه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[٢].

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ قال المُبَرِّدُ: المعنى: بادِروا قَبْلَ أنْ تقولَ نَفْسٌ، وحَذَراً مِنْ أنْ تقولَ نَفْسٌ. وقال الزَّجَّاجُ: خوفَ أنْ تَصِيرُوا إلى حالٍ تقولون فيها هذا القولَ. ومعنى ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ يا

= ٤٢٧٤ والنسائي في «التفسير» ٤٦٩ والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٠٣ والبيهقي ٩/ ٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٨ كلهم من طريق يعلى بن مسلم به. وأخرجه الطبري ٢٦٥١٢ من طريق منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير به.

[١٢٣٣] حسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٥ والطبري ٢٠١٨٢ و ٢٠١٨٣ والواحدي ٧٣٠ من حديث ابن عمر عن عمر به، صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث فانتفت شبهة التدليس. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥٣١٤ بتخريجنا.

[١٢٣٤] أخرجه الواحدي ٧٢٧ معلقاً، ووصله ابن أبي حاتم كما في أسباب النزول للسيوطي ٩٥٥ عن ابن عباس، وصححه السيوطي. والحديث ١٢٣٢ أصح منه. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٣١٦ بتخريجنا.

قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى الله تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عمّ بقوله: **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف.

وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٧٠: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبارٌ بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر ما لم يتب منه.

---

(١) الفرقان: ٦٨. (٢) الأعراف: ١٤٥.

نَدَامَتا ويا حُزنا. والتَّحسُّرُ: الاغتمامُ على ما فاتَ. والألِفُ في «يا حَسْرَتا» هي ياءُ المُتكلِّم، والمعنى: يا حَسْرَتي، على الإضافة. قال الفرَّاءُ: والعرب تُحوِّلُ الياءَ إلى الألِفِ في كلِّ كلام معناه الاستِغاثةُ ويخرج على لفظِ الدُّعاءِ، وربما أدخَلتِ العربُ الهاءَ بعد هذه الألِفِ، فيَخفِضُونَها مَرَّةً، ويَرفَعونَها أخرى. وقرأ الحسَنُ، وأبو العالِيَةِ، وأبو عِمرانَ، وأبو الجَوزاءِ: «يا حسرتي» بكسرِ التاء، على الإضافة إلى النَّفسِ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو جعفرَ: «يا حسرتايَ»، بألِفٍ بعدَ التاء وياءٍ مفتوحةٍ، قال الزَّجَّاجُ: وزَعَمَ الفرَّاءُ أنه يجوز «يا حسرتاهَ على كذا» بفتحِ الهاء، و «يا حسرتاهُ» بالضمِّ والكسرِ، والنَّحويّون أجمَعُون لا يُجيزون أنْ تُثبَتَ هذه الهاءُ مع الوَصْلِ.

قوله تعالى: ﴿فِى جَنبِ ٱللَّهِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: في طاعة الله تعالى، قاله الحسَنُ. **والثاني**: في حقِّ الله، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. **والثالث**: في أمرِ الله، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: في ذِكرِ الله، قاله عِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: في قُرْبِ الله؛ رُوِيَ عن الفرَّاءَ أنه قال: الجَنْبُ: القُرْب، أي: في قُرْبِ الله وجِوارِه، يُقال: فلانٌ يعيش في جَنْبِ فُلانٍ، أي: في قُربِه وجِوارِه؛ فعلَى هذا يكون المعنى: على ما فرَّطتُ في طَلَبِ قُرْبِ الله تعالى، وهو الجنَّةُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: وما كنتُ إلاَّ مِنَ المُستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين في الدُّنيا. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ أي: أرشَدَني إلى دِينِه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشِّرْكَ؛ فيُقال لهذا القائلِ: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ قال الزَّجَّاجُ: و «بلى» جوابُ النَّفي، وليس في الكلام لفظُ النَّفي، غيرَ أنَّ معنى «لو أن الله هداني»: ما هُدِيتُ، فقيلَ: «بلى قد جاءتك آياتي». وروى ابنُ أبي سُرَيجٍ عن الكِسائي: «جاءتْكِ»، «فكذَّبتِ»، «واستكبَرتِ»، «وكُنتِ»، بكسرِ التاء فيهنَّ، مُخاطَبَةً للنَّفسِ. ومعنى «استَكبَرتَ»: تكبَّرتَ عن الإيمان بها.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أنَّ له وَلَداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾. وقال الحَسَنُ: هم الذين يقولون: إنْ شِئْنا فعَلْنا، وإنْ شِئْنا لم نفعَلْ. وباقي الآيةِ قد ذكرناه آنِفاً. قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «بمفازاتهم». قال الفرَّاءُ. وهو كما قد تقول: قد تبيَّنَ أمرُ القوم وأمورُهم، وارتفعَ الصوتُ والأصواتُ، والمعنى واحدٌ. وفيها للمُفسِّرين ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بفضائِلهم، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: بأعمالِهم، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: بفوزِهم مِنَ النَّارِ. قال المُبرِّدُ: المَفازَةُ: مَفْعَلَةٌ مِنَ الفوزِ، وإنْ جُمِعَ فحسَنٌ، كقولِكَ: السَّعادةُ والسَّعاداتُ، والمعنى: يُنَجِّيهم اللَّهُ بفوزِهم، أي: بنَجاتِهم مِنَ النَّارِ وفوزِهم بالجنَّةِ.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: مَفاتيحُها وخزائنُها، لأنَّ مالِكَ المَفاتيحِ مالِكُ الخزائنِ، واحدُها: إقْلِيدٌ، وجُمِعَ على غيرِ واحدٍ، كما قالوا: مَذاكِيرُ جمع ذَكَرٍ، ويُقال: هو

فارسيٌّ معرَّبٌ. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرَّب، قال الراجز:

لـم يُـؤذِهـا الـدِّيـكُ بـصَـوتِ تـغـريـدْ ... ولَـمْ تُـعـالِـجْ غَـلَـقـاً بـإقْـلِـيـدْ

والمِقْلِيدُ: لغةٌ في الإقليدِ، والجمع: مَقالِيْدُ. وللمُفسِّرين في المَقالِيْدِ قولان: **أحدهما**: المفاتيحُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الخزائنُ، قاله الضَّحَّاكُ. وقال الزَّجَّاجُ: تفسيره أنَّ كلَّ شيءٍ في السَّمواتِ والأرضِ، فهو خالِقُهُ وفاتِحُ بابِه. قال المفسِّرون: مفاتيحُ السَّمواتِ: المطرُ، ومفاتيحُ الأرضِ: النَّباتُ.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تأمُرُوني أعْبُدُ» مخفَّفةً، غيرَ أنَّ نافعاً فَتَحَ الياءَ، ولم يَفتَحْها ابنُ عامرٍ. وقرأ ابنُ كثيرٍ: «تأمرونّيَ» بتشديدِ النونِ وفتحِ الياءِ، وقرأ الباقون بسكونِ الياءِ. وذلك حينَ دَعَوْه إلى دِيْنِ آبائِه ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: فيما تأمرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ولقد أُوحِيَ إليك لَئِنْ أشرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَملُكَ، وكذلك أوحيَ إلى الذين مِنْ قَبْلِكَ. قال أبو عُبيدَةَ: ومَجازُها مَجازُ الأمرَيْنِ اللَّذين يُخبَرُ عن أحدِهما ويُكفُّ عن الآخرِ. قال ابنُ عباسٍ: هذا أدبٌ مِنَ الله تعالى لِنبيِّه ﷺ وتهديدٌ لِغيرِهِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عَصَمَهُ مِنَ الشِّركِ. وقال غيرُه: إنما خاطبَهُ بذلك، لِيَعْرِفَ مَنْ دُونَهُ أنَّ الشِّركَ يُحبِطُ الأعمالَ المُتقدِّمةَ كلَّها ولو وَقَعَ مِنْ نبيٍّ. وقرأ أبو عِمْرانَ وابنُ السَّمَيفَع ويعقوبُ: «لَنُحبِطَنَّ» بالنون، «عَمَلَكَ»، بالنَّصب. ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ أي: وَحِّدْ.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

[١٢٣٥] سببُ نُزولِها أنَّ رجلاً مِنْ أهل الكتاب أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، بَلَغَكَ أنَّ الله تعالى يَحْمِلُ الخلائِقَ على إصْبَعٍ والأرضينَ على إصْبَعٍ والشَّجَرَ على إصْبَعٍ والثَّرى على إصْبَعٍ؟ فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نَواجِذُه، فأنزلَ اللَّهُ تعالى هذه الآيةَ، قاله ابنُ مسعودٍ. وقد أخرجَ البخاري ومسلم في الصحيحين نحوه عن ابن مسعود.

[١٢٣٥] صحيح. وليس فيه سبب نزول الآية. وورد عند الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣١ وفيه سبب نزول الآية. وأخرجه البخاري ٤٨١١ والبغوي في شرح السنة ٤١٩٩ بإسنادهما من حديث ابن مسعود، وأحمد ١/٤٥٧ والآجري في «الشريعة» ٧٥١ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ٣٣٤ من طريق شيبان به. وأخرجه البخاري ٧٥١٣ ومسلم ٢٧٨٦ح ٢٠ والنسائي في «التفسير» ٤٧٠ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٧٨ والآجري في «الشريعة» ٧٥٠ وابن حبان ٧٣٢٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٤١ والبيهقي ص ٣٣٥ من طرق عن جرير به. وأخرجه البخاري ٧٤١٤ ومسلم ٢٧٨٦ح ١٩ والترمذي ٣٢٣٨ و ٣٢٣٩ والنسائي في «التفسير» ٤٧١ والطبري ٣٠٢١٧ وابن خزيمة ص ٧٧ والآجري ٧٥٣ وابن أبي عاصم ٥٤٢ والبيهقي ص ٣٣٥ من طرق عن منصور به. وأخرجه البخاري ٧٤١٥ ومسلم ٢٧٨٦ح ٢١ و ٢٢ والنسائي ٤٧٢ من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة به.

وقد فسَّرنا أولَ هذه الآية في الأنعام[1]. قال ابنُ عباسٍ: هذه الآيةُ في الكفَّارِ، فأمَّا مَنْ آمَنَ بأنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فقد قَدَرَ الله حَقَّ قَدْرِهِ. ثم ذكرَ عَظَمته بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

[١٢٣٦] وقد أخرج البُخاريُّ ومسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي هُريرَةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَقْبِضُ الله الأرضَ يومَ القيامة ويَطْوي السماءَ بيمينِه، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أينَ ملوكُ الأرضِ؟».

[١٢٣٧] وأخرجا مِنْ حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَطْوي الله عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامة، ثم يأخذُهنَّ بيدهِ اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أينَ الجبَّارون، أينَ المُتكبِّرون؟». قال ابنُ عباسٍ: الأرضُ والسمواتُ كلُّها بيمينِه. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: السمواتُ قَبْضَةٌ والأرَضُونَ قَبْضَةٌ.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمُر، والجَحْدَريُّ: «فصُعِقَ» بضمِّ الصاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ماتوا مِنَ الفزع وشِدَّة الصَّوتِ. وقد بيَّنا هذه الآيةَ والخلافَ في الذين استُثنوا في سُورةِ النَّمْل[2]. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وهي نفخةُ البَعثِ ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ يعني الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءَت. والمراد بالأرض: عَرَصَاتُ القيامة. قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كتابُ الأعمال، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الحِساب، قاله السُّدِّيُّ. وفي الشهداء قولان: **أحدهما**: أنهم الذين يَشْهَدونَ على الناس بأعمالِهم، قاله الجمهور. ثم فيهم أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم المُرْسَلون مِنَ الأنبياء. والثاني: أُمَّةُ محمَّدٍ يَشهدونَ للرُّسلِ بتبليغِ الرِّسالة، وتكذيبِ الأُمَمِ إيَّاهم، رُويا عن ابن عباس رضي الله عنه. والثالث: الحَفَظَه، قاله عطاءٌ. الرابع: النَّبيُّون والملائكةُ وأُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ والجَوارِحُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنهم الشهداءُ الذين قُتِلوا في سبيل الله، قاله قَتادَةُ، والأولُ أصحُّ. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءَ عَمَلِها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا يَحتاجُ إلى كاتبٍ ولا شاهدٍ.

[١٢٣٦] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥١٩ ومسلم ٢٧٨٧ وأبو يعلى ٥٨٥٠ من طريق ابن المبارك به عن أبي هريرة.
وأخرجه البخاري ٧٣٨٢ والنسائي في «التفسير» ٤٧٥ وابن ماجة ١٩٢ من طريق ابن وهب عن يونس به.
وأخرجه البخاري ٤٨١٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ من طريقين عن الزهري: سمعت أبا سلمة، سمعت أبا هريرة....

[١٢٣٧] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٨٨ح ٢٤ وأبو داود ٤٧٣٢ وأبو يعلى ٥٥٥٨ وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٤٧ والطبري ٣٠٢٢٨ وأبو الشيخ في «العظمة» ١٣٩ من طرق عن أبي أسامة به. وذكره البخاري ٧٤١٣ تعليقاً عن عمر بن حمزة به. وأخرجه مسلم ٢٧٨٨ وابن ماجة ١٩٨ و ٤٢٧٥ والطبري ٣٠٢٢٣ والطبراني ١٣٣٢٧ وأبو الشيخ في «العظمة» ١٣١ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٧٢ ـ ٧٣ وابن حبان ٧٣٢٤ من طرق عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر به.

---

(١) الأنعام: ٩١. (٢) النمل: ٨٧.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ قال أبو عُبيدَة: الزُّمَرُ: جماعاتٌ في تَفرقَةٍ بعضُهم على إثرِ بعض، واحدُها: زُمْرَةٌ. قوله تعالى: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أي: أنفُسكم. و ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ هي قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[(١)]. قوله تعالى: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «فُتِّحَتْ» «وفُتِّحَتْ» مشدَّدتين، وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالتخفيف. وفي هذه الواوِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها زائدةٌ، رُوِيَ عن جماعةٍ مِنَ اللغويِّين منهم الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها واوُ الحَالِ؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتِحتْ أبوابُها، فدَخلَتِ الواوُ لبيان أنَّ الأبوابَ كانت مُفتَّحةً قبلَ مَجيئِهم، وحُذِفت مِنْ قصة أهلِ النار لبيانِ أنها كانت مُغلَقةً قبل مَجيئِهم، ووَجهُ الحِكمَةِ في ذلك مِنْ ثلاثة أوجُهٍ: أحدها: أنَّ أهلَ الجنَّةِ جاؤوها وقد فُتِحتْ أبوابُها لِيَستعجلوا السُّرورَ والفَرَحَ إذا رَأَوا الأبوابَ مُفتَّحةً، وأهلُ النَّارِ يأتُونها وأبوابُها مُغلَقةٌ ليكونَ أشدَّ لِحَرِّها، ذكره أبو إسحاقَ ابنُ شاقْلا مِنْ أصحابِنا. والثاني: أنَّ الوقوفَ على الباب المُغلَقِ نوعُ ذُلٍّ، فَصِينَ أهلُ الجنَّةِ عنه، وجُعِلَ في حقِّ أهل النَّارِ، ذكره لي بعضُ مشايخِنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أهلُ الجنَّةِ بابَها مُغلَقاً لأثَّرَ انتظارُ فَتْحِه في كمالِ الكَرَم، ومِنْ كمالِ الكَرَم غَلْقُ باب النَّارِ إلى حين مجيءِ أهلِها، لأنَّ الكريمَ يُعجِّلُ المَثُوبةَ، ويؤخِّرُ العقوبَةَ، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾[(٢)]؛ قال المُصنِّفُ: هذا وَجهٌ خطَرَ لي. **والقول الثالث**: أنَّ الواوَ زِيدتْ، لأنَّ أبوابَ الجنَّةِ ثمانيةٌ، وأبوابَ النَّارِ سبعةٌ، والعرب تَعطِفُ في العددِ بالواو على ما فوقَ السبعة على ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾[(٣)]، حكى هذا القولَ والذي قبلَهُ الثَّعلَبيُ. واختلف العلماء أينَ جوابُ هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الجوابَ محذوفٌ، قاله أبو عُبيدَة، والمُبرِّدُ، والزَّجَّاجُ في آخِرين. وفي تقدير هذا المحذوفِ قولان: أحدهما: أنَّ تقديرَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ... سُعِدُوا، قاله المُبرِّدُ. والثاني: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.. دَخلوها، وإنَّما حُذِفَ، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجِ. **والقول الثاني**: أنَّ الجوابَ: قال لهم خَزنتُها، والواو زائدةٌ، ذكرَهُ الأخفشُ، قال: ومثله في الشِّعْرِ.

---

(١) الأعراف: ١٨. (٢) النساء: ١٤٧. (٣) الكهف: ٢٢.

فإذا وذلكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ ... إلاَّ كَلَمَّةِ حالِمٍ بِخَيالِ[١]

أي: فإذا ذلك. **والثالث**: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتِحتْ أبوابُها، والواو زائدةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ عن قومٍ مِنْ أهل اللغة.

وفي قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ﴾ خمسة أقوال: **أحدها**: أنهم إذا انتهَوا إلى باب الجنَّةِ وَجدوا عند بابِها شجرةً يخرج مِنْ تحت ساقِها عَيْنانِ، فيَشربون مِنْ إحداهما، فلا يبقى في بُطونِهم أذىً ولا قَذَىً إلاَّ خرَجَ، ويغتَسِلون مِنَ الأخرى، فلا تَغْبَرُّ جُلودُهم ولا تَشعَّثُ أشعارُهم أبداً. حتى إذا انتَهَوا إلى باب الجنَّةِ قال لهم عند ذلك خَزَنَتُها: «سلامٌ عليكم طِبْتُم»، رواه عاصِمُ بنُ ضَمْرَةَ عن عليٍّ رضي الله عنه[٢]، وقد ذكرنا في الأعراف[٣] نحوَهُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: طابَ لكم المقامُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: طِبْتُم بطاعةِ الله، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنهم طُيِّبوا قَبْلَ دخول الجنَّةِ بالمغفرة، واقتُصَّ مِنْ بَعْضِهم لِبَعضٍ، فلمَّا هُذِّبوا قالت لهم الخَزَنَةُ: طِبْتُم، قاله قَتادَةُ[٤]. **والخامس**: كنتمُ طيِّبينَ في الدُّنيا، قاله الزَّجَّاجُ. فلَمَّا دَخلوها قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنَّةِ ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنَّةِ نتبوَّأُ منها حيثُ نشاءُ منها أي: نَتَّخِذُ فيها مِنَ المنازل ما نشاءُ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ أنَّ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ يدخلون الجنَّةَ قبلَ الأُمَمِ، فينزلون منها حيثُ شاؤوا، ثم تنزلُ الأُمَمُ بعدَهُم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾؛ يقول اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ أي: نِعْمَ ثوابُ المُطيعينَ في الدُّنيا الجنَّةُ.

قولـه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: أي مُحْدِقِينَ به، يُقال: حَفَّ القومُ بفُلانٍ: إذا أَحدَقوا به؛ ودخلتْ «مِنْ» للتوكيد، كقولكَ: ما جاءني مِنْ أحدٍ. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ: بأَمرِ ربِّهم. وقال بعضُهم: يُسبِّحونَ بالحَمدِ له حيثُ دخلَ المُوحِّدون الجنَّةَ. وقال ابنُ جَريرٍ: التَّسبيحُ ها هنا بمعنى الصَّلاة.

قولـه تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أي: بينَ الخلائقِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا قولُ أهلِ الجنَّةِ شُكراً لله تعالى على إنعامِه. قال المُفسِّرون: ابتدأَ اللَّهُ ذِكْرَ الخَلْقِ بالحَمْدِ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٥] وخَتَمَ غايةَ الأمرِ ـ وهو استقرارُ الفريقين في منازِلِهم ـ بالحمدِ لله بهذه الآيةِ، فنبَّهَ على تحميدِه في بدايةِ كُلِّ أَمْرٍ وخاتِمَتِه.

---

(١) البيت لتميم بن مقبل، وهو في ديوانه ٢٥٩.

(٢) أخرجه الطبري ٣٠٢٥٤ وابن المبارك في «الزهد» ص ٥٠٩ ـ ٥١٠ والبيهقي في «البعث» ٢٧٢ عن عاصم عن علي، وإسناده لا بأس به.

(٣) الأعراف: ٤٤.

(٤) ورد في هذا المعنى حديث أخرجه البخاري ٢٤٤٠ و ٦٥٣٥ وابن أبي عاصم ٨٥٨ وابن مندة في «الإيمان» ٨٣٨ واستدركه الحاكم ٢/ ٣٥٤ وابن حبان ٧٤٣٤ كلهم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار منحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» لفظ البخاري. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٣٤٠ بتخريجنا.

(٥) الأنعام: ١.

سُورَةُ غَافِر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ: ويُقال لها: سُورَةُ الطَّوْلِ[1]. وهي مكِّيَّةٌ! قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ: ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. وحُكيَ عن ابن عباسٍ وقَتادَةَ أنَّ فيها آيتين نَزلَتا بالمدينة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ والتي بعدَها[2]. قال الزَّجَّاجُ: وذُكِرَ أنَّ الحَوَامِيْم كلَّها نزلت بمكَّةَ.

قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: إنَّ «حمٓ» اسمٌ مِنْ أسماءِ الله أُضيفَتْ هذه السُّورةُ إليه. كأنه قيلَ: سُورةُ اللَّهِ، لِشَرَفِها وفَضْلِها، فقيلَ: آلُ حامِيْمَ، وإنْ كان القرآنُ كلُّه سُورَ الله، وإنَّ هذا كما يُقال: بَيْتُ الله، وحَرَمُ الله، وناقَةُ اللَّهِ، قال الكُمَيْتُ:

وَجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حامِيْمَ آيَةً ... تأَوَّلَها مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ[3]

وقد تُجعَلُ «حمٓ» اسماً للسُّورة، ويدخُل الإعرابُ ولا يُصْرَفُ، ومَنْ قال هذا في الجميع: الحَوامِيْمُ، كما يُقال: «طسٓ» والطَّواسِيْنُ. وقال محمَّدُ بنُ القاسِمِ الأنبارِيُ: العربُ تقول: وقع في الحَوَامِيْمِ، وفي آلِ حَمِيْمَ، أنشد أبو عُبيدَةَ:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّواتي طُوِّلَتْ ... وبِمِئِيْنٍ بَعْدَها قَدْ أُمْئِيَتْ

وبِمَثانٍ ثُنِّيَتْ فكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّواسِينِ اللَّواتي ثُلِّثَتْ

وبالحَوامِيْمَ اللَّواتي سُبِّعَتْ

فمَنْ قال: وَقَع في آلِ حامِيْمَ، جعلَ حامِيْمَ اسماً لِكُلِّهِنَّ؛ ومَنْ قال: وقع في الحَوَامِيمِ، جَعَلَ «حمٓ» كأنه حرفٌ واحدٌ بمنزلة قابِيْلَ وهابِيْلَ.

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويِّ قال: مِنَ الخطأ أنْ تقولَ: قرأتُ الحَوامِيمَ، وليس مِنْ كلام العرب، والصَّوابُ أنْ تقولَ: قرأتُ آلَ حامِيْمَ. وفي حديثِ ابنِ مسعودٍ: «إذا وقعتُ في آلِ حمٓ وقعتُ في رَوضاتٍ دَمِثاتٍ»[4]، وقال الكُمَيْتُ:

وجَدْنا لَكُمْ في آلِ حامِيمَ آيةً

---

(١) ويقال لها: سورة المؤمن. (٢) غافر: ٣٥ ـ ٣٦.
(٣) البيت في «الكتاب» ٢/ ٣٠ و «مجاز القرآن» ٢/ ١٩٣ و «اللسان» ـ عرب ـ.
(٤) في «اللسان» الدَّمِثُ: المكان اللين ذو رمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

وفي (حمٓ) أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ به وهو مِنْ أسمائهِ عزَّ وجلَّ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ: قال أبو سُليمانَ: وقد قيلَ: إنَّ جوابَ القَسَم قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾[٢]. **والثاني**: أنها حروفٌ مِنْ أسماء الله عزَّ وجلَّ، ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ «آلر» و «حمٓ» و «ن» حروفُ الرَّحمن، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنَّ الحاءَ مِفتاحُ اسمِه «حميد»، والميمَ مفتاحُ اسمِه «مجيد»، قاله أبو العَالِيةِ. والثالث: أنَّ الحاءَ مِفتاحُ كلِّ اسم لله ابتداؤه حاءٌ، مثل «حكيم»، و «حليم»، و «حَيّ»، والمِيمَ مِفتاحُ كلِّ اسم له ابتداؤه ميمٌ مثل «ملك»، و «متكبِّر»، و «مجيد»، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. ورُوي نحوهُ عن عطاءٍ الخُراسانيِّ. **والثالث**: أنَّ معنى «حمٓ»: قُضِيَ ما هو كائنٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. ورُويَ عن الضَّحَّاكِ والكِسَائيِّ مثلُ هذا، كأنهما أرادا الإشارة إلى حُمَّ، بِضَمِّ الحاء وتشديدِ الميم. قال الزَّجَّاجُ: وقد قيلَ في «حمٓ»: حُمَّ الأمرُ. **والرابع**: أنَّ «حمٓ» اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «حَمٓ» بفتح الحاء؛ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بكَسْرِها؛ واختلفَ عن الباقين. قال الزَّجَّاجُ: أمَّا الميمُ، فساكِنةٌ في قراءة القُرَّاءِ كلِّهم إلاَّ عيسى بنَ عمرَ، فإنه فَتَحها؛ وفتحها على ضَرْبَيْنِ. **أحدهما**: أنْ يجعلَ «حمٓ» اسماً للسُّورة، فينصِبهُ ولا يُنوِّنهُ، لأنه على لفظ الأسماء الأعجميَّةِ نحو هابيل وقابيلَ. **والثاني**: على معنى: اتْلُ حمَ؛ والأجودُ أنْ يكون فَتح لالتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ حيث جَعَلَهُ اسماً للسُّورَةِ، ويكون حكايةَ حروفِ الهِجاء.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: هذا تنزيلُ الكتاب. والتَّوْبُ: جمعُ تَوْبَةٍ، وجائزٌ أنْ يكونَ مصدراً مِنْ تابَ يَتُوبُ تَوْباً. والطَّوْلُ: الفَضْلُ. قال أبو عُبيدَةَ: يُقال: فُلانٌ ذُو طَوْلٍ على قومِه، أي: ذو فَضْلٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يُقالُ: طُلْ عليَّ يرحمُكَ اللَّهُ، أي: تَفَضَّلْ. قال الخَطَّابيُّ: ذو: حرفُ النِّسبَةِ، والنسبة في كلامِهم على ثلاثة أوجُهٍ: بالياء، كقولِهم: أَسَدِيّ، وبَكْرِيّ. **والثاني**: على الجمع، كقولِهم: المَهالِبَة، والمَسامِعَة، والأزارِقَة. **والثالث**: بـ «ذي» و «ذات»، كقولِهم: رجُلُ مالٍ، أي: ذو مالٍ، وكَبشٌ صافٍ، أي: ذُو صُوفٍ، وناقةٌ ضامِرٌ، أي: ذاتُ ضُمْرٍ؛ فقوله: ذُو الطَّوْلِ، معناه: أَهْلُ الطَّوْلِ والفَضْلِ.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣٨/١١: والقول عندي في ذلك نظير القول في أخواتها، وقد بيّنا ذلك في قوله تعالى (الٓم) ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في (حمٓ) وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجي قولاً واحداً. اهـ.

(٢) غافر: ١٠.

فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما يُخاصِمُ فيها بالتَّكذيب لها ودَفْعِها بالباطل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وباقي الآية في آل عمران[1]؛ والمعنى: إنَّ عاقبة أمرِهم إلى العذاب كَعاقبةِ مَنْ قَبْلَهم. قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لِيَقتُلوه، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: لِيَحبِسوه ويُعذِّبوه، ويقال للأسير: أخِيذٌ، حكاه ابنُ قُتيبة. قال الأخفشُ: وإنما قال: «ليأخذوه» فجمعَ على الكُلِّ، لأنَّ الكُلَّ مذكَّرٌ ومعناه معنى الجماعة. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الكهف[2] إلى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: عاقبْتُهم وأهلكتُم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهامُ تقريرٍ لِعقوبَتِهم الواقعةِ بهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ الذي حَقَّ على الأُمَمِ المكذِّبةِ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[3]، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾مِنْ قومِكَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «حقَّتْ كلمات ربك»، ﴿أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفشُ: لأنهم أو بأنَّهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

ثم أخبرَ بفضلِ المؤمنين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ وهم أربعةُ أملاكٍ، فإذا كان يومَ القيامة جُعِلُوا ثمانيةً ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: حَوْلَ العَرشِ سبعون ألفَ صفٍّ مِنَ الملائكة يَطوفون به، ومِنْ وراءِ هؤلاءِ مائةُ ألفِ صَفٍّ مِنَ الملائكة ليس فيهم أحدٌ إلاّ وهو يُسبِّح بما لا يُسبِّحه الآخرُ. وقال غيرُه: الذين حولَ العَرشِ هم الكروبيُّون وهم سادةُ الملائكة. وقد ذكرنا في السُّورَةِ المُتقدِّمةِ معنى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[4]. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: رَبَّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قال الزَّجّاجُ: هو منصوبٌ على التَّمييز. وقال غيرُه: المعنى: وسِعَتْ رحمتُكَ وعِلْمُكَ كلَّ شيءٍ ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ وهو دِينُ الإسلام. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال قَتادةُ: يعني العذابَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون[5]: لمَّا رَأَوْا أعمالَهم

---

(١) آل عمران: ١٩٦.
(٢) الكهف: ٥٦
(٣) الأعراف: ١٨.
(٤) الزمر: ٧٥.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٨٧: يقول تعالى مخبراً عن الكفار: أنهم ينادَون يوم القيامة وهم في =

وأُدخِلوا النَّارَ مَقَتُوا أنفسَهم لِسُوءِ فِعْلِهم، فناداهم مُنادٍ: لَمَقْتُ الله إيَّاكُم في الدُّنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أكبرُ مِنْ مَقْتِكم أنفسَكم. ثم أخبرَ عمَّا يقولون في النَّارِ بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وهذا مِثْلُ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[(١)] وقد فسَّرناهُ هنالك. قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ أي: مِنَ النَّارِ إلى الدنيا لِنَعملَ بالطاعة ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾؟ وفي الكلام اختصارٌ، تقديرُه: فأُجيبوا أنْ لا سبيلَ إلى ذلك؛ وقيلَ لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ يعني العذابَ الذي نَزلَ بهم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: إذا قيلَ «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ» أنكرتُم، وإنْ جُعِلَ له شريكٌ آمَنتُم، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ فهو الذي حَكَمَ على المشركين بالنَّارِ، وقد بَيَّنَّا في سُورةِ البقرة[(٢)] معنى العَلِيِّ، وفي الرَّعد[(٣)] معنى الكَبِير.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: مَصنوعاتِه التي تَدُلُّ على وَحدانيَّتِه وقُدرتِه، والرِّزقُ ها هنا: المطرُ، سُمِّيَ رزقاً، لأنه سببُ الأرزاق. و «يتذكَّر» بمعنى يَتَّعِظُ، و «يُنيب» بمعنى يَرْجِعُ إلى الطاعة. ثم أمَرَ المؤمنين بتوحيدِه فقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: مُوَحِّدين.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني رَافِعُ السَّمواتِ، وحكى المَاوَرْديُّ عن بعضِ المُفسِّرين قال: معناه: عظيمُ الصِّفاتِ. قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: خالِقُهُ ومالِكُهُ. قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن. **والثاني**: النُّبوةُ. والقولان مَرويَّانِ عن ابنِ عباسٍ. وبالأولِ قال ابنُ زيدٍ، وبالثاني قال السُّدِّيُّ. **والثالث**: الوَحْيُ، قاله قَتادةُ، وإنما سُمِّيَ القرآن والوَحْيُ رُوحاً، لأنَّ قِوام الدِّين به كما أنَّ قِوَامَ البَدَنِ بالرُّوح. **والرابع**: جبريلُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: الرَّحمةُ، حكاه إبراهيمُ الحَرْبيُّ. قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ قضائِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بأمرِهِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: مِنْ قوله تعالى، ذكره الثَّعلَبيُّ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني الأنبياء. ﴿لِيُنذِرَ﴾ في المشار إليه قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: النبيُّ الذي يُوحَى إليه. والمُراد بـ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم القيامة. وأثبَتَ ياءَ «التلاقي» في الحالَين ابنُ كَثيرٍ ويعقوبُ، وأبو جعفرَ وافقهُما في الوَصْلِ؛ والباقون بغيرِ ياءٍ في الحالَين. وفي سببِ تسميتِهِ بذلك خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يلتقي فيه أهلُ السماء والأرض، رواه يُوسُفُ بنُ مِهْرَانَ عن ابنِ

= غمرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَل لأحدٍ به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار: فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً نادوهم نداءً بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم، أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة.

(١) البقرة: ٢٨. (٢) البقرة: ٢٥٥. (٣) الرعد: ٩.

عباسٍ. **والثاني**: يلتقي فيه الأوَّلون والآخِرون، رُويَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: يلتقي فيه الخَلْقُ والخالِقُ، قاله قَتادةُ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: يلتقي المظلومُ والظَّالمُ، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرَانَ. **والخامس**: يلتقي المرءُ بعمَلِه، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ أي: ظاهِرون مِنْ قُبورِهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾. فإنْ قيلَ: فهل يَخفَى عليه منهم اليومَ شيءٌ؟. فالجواب: أنْ لا، غيرَ أنَّ معنى الكلامِ التَّهديدُ بالجَزاءِ؛ وللمُفسِّرين فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَخفَى عليه مِمَّا عَمِلُوا شيءٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يَستَتِرون منه بجَبَلٍ ولا مَدَرٍ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أبرَزَهُم جميعاً، لأنه لا يَخفَى عليه منهم شيءٌ، حكاه الماوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ اتَّفقوا على أنَّ هذا يقوله اللّٰهُ عزَّ وجلَّ بعدَ فَناءِ الخلائقِ. واختلفوا في وقتِ قولِه عزَّ وجلَّ له على قولين: **أحدهما**: أنه يقوله عند فَناءِ الخلائقِ إذا لم يَبْقَ مُجيبٌ. فَيَرُدُّ هو على نفسِه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه يقولُهُ يومَ القيامة. وفيمَنْ يُجيبُه حِينَئذٍ قولان: **أحدهما**: أنَّهُ يُجيبُ نفسَه وقد سَكَتَ الخلائقُ لقوله تعالى؛ قاله عطاءٌ. **والثاني**: أنَّ الخلائقَ كلَّهم يُجيبونَهُ فيقولون: «لِلّٰهِ الواحِدِ القهارِ»، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يوم القيامةِ، قاله الجمهور. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وسُمِّيَتِ القيامةُ بذلك لِقُربِها، يُقال: أَزِفَ شُخوصُ فُلانٍ، أي: قَرُبَ. **والثاني**: أنه يومُ حُضورِ المنيَّة، قاله قُطْرُبٌ. قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها ترتقي إلى الحَناجِرِ فلا تخرجُ ولا تعودُ، هذا على القولِ الأول، وعلى الثاني: القلوب هي النُّفوسُ تَبلُغُ الحَناجرَ عند حضورِ المَنيَّةِ؛ قال الزَّجَّاجُ: و﴿كَٰظِمِينَ﴾ منصوبٌ على الحَالِ، والحالُ محمُولَةٌ على المعنى؛ لأنَّ القلوبَ لا يُقالُ لها: كاظِمِينَ، وإنما الكاظِمُونَ أصحابُ القلوبِ؛ فالمعنى: إذ قلوبُ الناسِ لَدَى الحَناجِرِ في حالِ كَظْمِهِم. قال المُفسِّرون: «كاظمين» أي: مَغمومِينَ مُمتَلِئِينَ خوفاً وحُزناً، والكاظِمُ: المُمْسِكُ للشيءِ على ما فيه، وقد أشرنا إلى هذا عندَ قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[1]. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: قريبٍ ينفعُهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيهم فتُقبَل شَفاعتُه. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال ابنُ قُتيبَةَ: الخائِنَةُ والخِيانَةُ واحدٌ. وللمُفسِّرين فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرجُلُ يكون في القومِ فتَمُرُّ به المرأةُ فيُريهم أنه يغُضُّ بصرَهُ، فإذا رأى منهم غفلةً لَحَظَ إليها، فإنْ خافَ أنْ يَفطُنوا له غَضَّ بصرَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه نَظَرُ العَينِ إلى ما نُهِيَ عنه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الغَمزُ بالعَينِ، قاله الضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ. قال قَتادَةُ: هو الغمزُ بالعَينِ فيما لا يُحِبُّه الله ولا يَرضاه. **والرابع**: النَّظرةُ بعد النَّظرةِ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما تُضمِرُه مِنَ الفعلِ أنْ لو قَدَرتَ على ما نَظَرتَ إليه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الوَسوسةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: ما

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

يُسِرُّه القلبُ مِنْ أمانةٍ أو خيانةٍ، حكاه الماوَرديُّ.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾
۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت
تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ
بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ
ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: يَحكم به فيجزي بالحسنةِ والسيئةِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ مِنَ الآلهةِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تدْعون» بالتاء، على معنى: قُلْ لهم: ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ أي: لا يَحكُمون بشيءٍ ولا يُجازُون به؛ وقد نبَّهَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بهذا على أنه حَيٌّ، لأنه إنَّما يأمرُ ويَقضي مَنْ كان حيًّا، وأيَّدَ ذلك بذِكرِ السَّمعِ والبَصرِ، لأنهما إنما يَثبُتان لِحَيٍّ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بعضُه[1]. وبعضُه ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «أشَدَّ مِنكُم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحِفِهم، وهو على الانصرافِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عذابِ الله ﴿مِن وَاقٖ﴾ يَقِي العذابَ عنهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك العذابُ الذي نزَلَ بهم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ . . .﴾ إلى آخرِ الآية. ثم ذَكرَ قصةَ موسى وفِرعَونَ لِيَعتبِروا. وأراد بقولِه تعالى: ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ أعيدُوا القَتْلَ عليهم كما كان أوَّلاً، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قَتادةُ: كان فِرعَونُ قَدْ كَفَّ عن قَتْلِ الوِلْدانِ، فلمَّا بعَثَ اللَّهُ موسى، أعادَ عليهم القَتْلَ لِيَصُدَّهم بذلك عن مُتابعةِ موسى. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: إنه يَذْهَبُ باطلاً ويَحِيقُ بهم ما يُريده اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ
رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن
رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ
يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ

(١) يوسف: ١٠٩.

يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ وإنما قال هذا، لأنه كان في خاصَّةِ فِرعونَ مَنْ يَمْنَعُه مِنْ قَتْلِه خوفاً مِنَ الهلاك ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعمُ أنه أرسلَهُ فلْيَمْنَعْهُ مِنَ القتل ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي: عبادتَكم إيَّايَ ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «وأن» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أو أن» بألِفٍ قبلَ الواو، على معنى: إنْ لم يُبدِّلْ دِيْنَكُم أَوْقَعَ الفَسادَ، إلاَّ أنَّ نافعاً وأبا عمروٍ قرأ: «يُظْهَرَ» بضمِّ الياءِ «الفسادَ» بالنَّصب. وقرأ الباقون: «يَظْهَرَ» بفتحِ الياء «الفسادُ» بالرفعِ، والمعنى: يُظهر الفَسادَ بتغييرِ أحكامِنا، فجعلَ ذلك فَساداً بزَعْمِه؛ وقيلَ: يقتلُ أبناءَكم كما تفعلون بهم.

فلمَّا قال فِرعَونُ هذا، استَعاذَ موسى بربِّهِ فقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «عُذْتُ» مُبيِّنةَ الذَّالِ، وأدغمَها أبو عمروٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وخلَفٌ ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: مُتعظِّمٌ عن الإيمان. فقصدَ فِرعَونُ قَتْلَ موسى، فقال حِينئذٍ ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي الآلِ ها هنا قولان[1]: **أحدهما**: أنه بمعنى الأهلِ والنَّسبِ، قال السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ: كان ابنَ عَمِّ فِرعَونَ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2]. **والثاني**: أنه بمعنى القبيلةِ والعَشيرةِ، قال قَتادةُ ومُقاتِلٌ: كان قِبْطِيّاً. وقال قومٌ: كان إسرائيليّاً، وإنما المعنى: قال رجلٌ مؤمنٌ يَكْتُمُ إيمانَهُ مِنْ آلِ فِرعَونَ. وفي اسمِه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حزبيل، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: حَبيب، قاله كَعبٌ. **والثالث**: سمعون، بالسِّين المُهمَلَةِ، قاله شُعَيبٌ الجبَّائيُّ. **الرابع**: جِبريلُ. **والخامس**: شمعان، بالشين المُعجَمةِ، رُويا عن ابنِ إسحاقَ، وكذلك حكى الزَّجَّاجُ «شمعان» بالشين، وذكره ابنُ ماكولا بالشين المُعجَمةِ أيضاً. والأكثرون على أنه آمَنَ بموسى لمَّا جاء. وقال الحسَنُ: كان مؤمناً قبلَ مجيءِ موسى. وكذلك امرأةُ فِرعَونَ، قال مُقاتِلٌ: كَتَمَ إيمانَهُ مِنْ فِرعَونَ مائةَ سنةٍ.

قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ أي: لأنْ يقولَ ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بما يدُلُّ على صِدْقِه ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي لا يَضرُّكُم ذلك ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ مِنَ العذاب. وفي «بَعْض» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «كُلّ»، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشدَ لِلَبِيْدٍ:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٩٢: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون قال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال: إنه الذي نجا مع موسى، واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون انفعل لكلامه واستحقه، وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل له بالعقوبة، لأنه منهم.

(٢) القصص: ٢٠.

تَـرَّاكُ أَمْـكِـنَـةٍ إذا لَـمْ أَرْضَـهـا ... أوْ يَـعْـتَـلِقْ بَـعْـضَ الـنُّـفـوسِ حِـمَـامُـهـا

أراد: كُلَّ النُّفوس. **والثاني**: أنها صِلَةٌ، والمعنى: يُصِبْكُم الذي يَعِدُكم، حُكِيَ عن اللَّيْث.

والثالث: أنها على أصلِها، ثم في ذلك قولان **أحدهما**: أنه وَعدَهُم النَّجاةَ إنْ آمنوا، والهَلاكَ إنْ كَفروا، فدَخلَ ذِكْرُ البعضِ لأنهم على أحدِ الحالَيْن. **والثاني**: أنه وَعدَهم على كُفرِهم الهلاكَ في الدنيا والعذابَ في الآخرة، فَصارَ هلاكُهم في الدنيا بعضَ الوَعْدِ، ذكرهما الماوَرديُ.

قال الزَّجَّاجُ: هذا بابٌ مِنَ النَّظرِ يذهب فيه المُناظِرُ إلى إلزامِ الحُجَّةِ بأيسَرِ ما في الأمرِ، وليس في هذا نَفيُ إصابةِ الكُلِّ، ومثلُه قول الشاعر:

قَـدْ يُـدْرِكُ الـمُـتَـأَنِّي بَـعْـضَ حَـاجَـتِـهِ ... وَقَـدْ يَـكُـونُ مِـنَ الـمُـسْـتَـعْـجِـلِ الـزَّلَـلُ[1]

وإنما ذَكَر البعضَ لِيُوجِبَ الكُلَّ، لأنَّ البعضَ مِنَ الكلِّ، ولكنَّ القائلَ إذا قال: أقَلُّ ما يكون للمُتأنِّي إدراكُ بعضِ الحاجةِ، وأقلُّ ما يكون للمُستَعجلِ الزَّللُ، فقد أبَانَ فَضلَ المُتأنِّي على المُستعجِلِ، بما لا يَقْدِر الخَصمُ أنْ يدفعَهُ، فكأنَّ المؤمنَ قال لهم: أقَلُّ ما يكون في صِدْقِه أنْ يُصيبَكم بعضُ الذي يَعِدُكم وفي بعضِ ذلك هلاكُكُم، قال: وأمَّا بيتُ لَبِيدٍ: فإنه أراد ببعضِ النُّفوس: نَفْسَه وحدَها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يُوفِّقُ للصَّواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه المُشرِكُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه السَّفَّاكُ الدَّم، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عَالِينَ في أرضِ مِصْرَ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ أي: مَنْ يَمْنَعُنا ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عذابِه؛ والمعنى: لا تَتعرَّضوا للعذابِ بالتَّكذيبِ وقَتْلِ النَّبيِّ؛ فقال فِرعونُ عند ذلك: ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾ مِنَ الرَّأيِ والنَّصيحةِ ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لِنَفسِي ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ أي: أدْعُوكم إلاَّ إلى طريقِ الهُدى في تكذيبِ موسى والإيمانِ بي، وهذا يَدُلُّ على أنه انقطَعَ عن جوابِ المؤمنِ. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مِثْلَ يَوْمِ حِزْبٍ حِزْبٍ؛ والمعنى: أخافُ أنْ تُقيموا على كُفرِكُم فينزلَ بكم مِنَ العذابِ مِثْلُ ما نَزلَ بالأُمَمِ المُكَذِّبةِ رُسُلَهُم. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ قرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «التَّنادِ» بغيرِ ياءٍ. وأثبتَ الياءَ في الوَصْلِ والوَقْفِ ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ، وَافَقَهُم أبو جعفرَ في الوَصْلِ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ، وأبو العَاليةِ، والضَّحَّاكُ: «التَّنادِّ» بتشديدِ الدالِ. قال الزَّجَّاجُ: أمَّا إثباتُ الياءِ فهو الأصلُ، وحَذفُها حسنٌ جميلٌ، لأنَّ الكسرةَ تدلُّ على الياءِ، وهو رأسُ آيةٍ، وأواخرُ هذه الآياتِ على الدَّالِ، ومَنْ قرأ بالتشديد، فهو مِنْ قولِهم: نَدَّ فُلانٌ، ونَدَّ البَعيرُ: إذا هربَ على وَجْهِه، ويدلُّ على هذا قوله: «يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ» وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[2]؛ قال أبو عليٍّ: معنى الكلام: إنِّي أخافُ عليكم عذابَ يوم التَّنادِ. قال الضَّحَّاكُ: إذا سمعَ النَّاسُ زَفيرَ جهنَّمَ وشَهيقَهَا نَدُّوا فِراراً منها في الأرضِ، فلا يَتوجَّهونَ قُطْراً مِنْ أقطارِ الأرض إلاَّ رَأوْا ملائكةً، فيَرجِعون مِنْ حيثُ جاؤوا. وقال غيرُه: يُؤمَر بهم إلى النَّارِ فَيَفِرُّون ولا عاصِمَ لهم. فأمَّا قراءةُ التخفيفِ، فهي مِنَ النِّداءِ، وفيها للمُفسِّرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عندَ نَفخةِ الفَزعِ يُنادي النَّاسُ بعضُهم بعضاً.

---

(١) البيت للقطامي، واسمه عمير.

(٢) عبس: ٣٤.

[١٢٣٨] روى أبو هُريرَة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يأمرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إسرَافيلَ بالنَّفخةِ الأولى فيقول: انفُخ نفخَةَ الفَزعِ، فيَفزَعُ أهلُ السمواتِ والأرضِ إلاَّ مَنْ شاء اللَّهُ، فتُسيَّر الجبالُ، وتُرَجُّ الأرضُ، وتَذْهَلُ المَراضِعُ، وتضعُ الحَوامِلُ، ويُولِّي الناسُ مُدبِرينَ يُنادي بعضُهم بعضاً، وهو قوله: «يومَ التَّناد».

والثاني: أنه نِداءُ أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ بعضِهم بعضاً كما ذُكِرَ في الأعراف[١]، وهذا قولُ قَتادَةَ. **والثالث**: أنه قولُهم: يا حَسْرَتنا، يا وَيْلَتنا، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والرابع**: أنه يُنادي فيه كلُّ أُناسٍ بإمامِهم بسعادةِ السُّعداءِ وشَقاوَةِ الأشقياءِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: هرباً مِنَ النَّارِ. **والثاني**: أنه انصِرَافُهم إلى النَّارِ. قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: مِنْ مانعٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ وهو يُوسفُ بنُ يعقوبَ، ويُقال: إنه ليس به، وليس بشيءٍ. قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وهي الدَّلالاتُ على التوحيدِ، كقوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ...﴾ الآية[٢]، وقال ابنُ السَّائبِ: البيِّناتُ: تعبيرُ الرُّؤيا وشَقُّ القميصِ،

[١٢٣٨] هو بعض حديث الصور الطويل: أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦ وأبو الشيخ في «العظمة ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩ والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ ـ ٣١ ـ ٣٢. وإسحق بن راهوية كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واهٍ، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في «الميزان» ٨٧٢: ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر اهـ باختصار وقد اضطرب فيه فرواه عن مجهول عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن كعب عن مجهول عن أبي هريرة، وتارة بدون واسطة وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله. فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف اهـ وقال البوصيري في ١/ ٢١: تابعيه مجهول، وجاء في «الفتح» ١١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه تارة عن القرظي بلا واسطة، وتارة بذكر رجل مبهم بينهما، وتارة عن القرظي عن أبي هريرة، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل، فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقاً واحداً. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع: القاضي: أبو بكر العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ. وتكلم عليه أيضاً ابن كثير رحمه الله في «نهاية البداية» ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وخلاصة القول أنه حديث ضعيف بتمامه، وبعض ألفاظه في الصحيحين، وغيرهما، وبعضه في الكتب المعتبرة. وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠ بتخريجنا.

---

(١) الأعراف: ٤٤، ٥٠. (٢) يوسف: ٣٩.

وقيل: بل بعثَهُ اللَّهُ تعالى بعد موتِ مَلِكِ مِصْرَ إلى القِبْطِ. قوله تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ أي: مِنْ عبادة الله وحدَهُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ أي: مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي: إنكم أقمتُم على كُفرِكُم وظَنَنتُم أنَّ الله لا يُجَدِّد إيجابَ الحُجَّةِ عليكم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ هذا الضَّلالِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي: مُشْرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾ أي: شاكٌّ في التوحيدِ وصِدْقِ الرُّسلِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا تفسيرُ المُسْرِفِ المُرْتابِ، والمعنى: هُمُ الذين يُجادِلونَ في آياتِ الله. قال المُفسِّرون: يُجادِلونَ في إبطالِها والتكذيبِ بها بغيرِ سُلطانٍ، أي: بغيرِ حُجَّةٍ أتتْهم مِنَ الله. ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي: كَبُرَ جِدالُهم مَقتاً عندَ الله وعندَ الذين آمنوا، والمعنى: يَمْقُتُهم اللَّهُ ويَمْقُتُهم المؤمنون بذلك الجِدالِ. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طَبَعَ اللَّهُ على قلوبِهم حتى كذَّبوا وجادَلُوا بالباطلِ، يَطْبَعُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ عن عبادةِ الله وتوحيدِه. وقد سبقَ بيانُ معنى الجَبَّارِ في هود[1]. وقرأ أبو عمروٍ: «على كلِّ قلبٍ» بالتنوين، وغيرُه مِنَ القُرَّاءِ السبعةِ يُضيفه. وقال أبو عليٍّ: المعنى: يَطبعُ على جملةِ القلبِ مِنَ المُتكبِّر. واختار قراءةَ الإضافةِ الزَّجَّاجُ، قال: لأنَّ المُتكبِّرَ هو الإنسانُ لا القلبُ. فإنْ قِيلَ: لو كانت هذه القراءةُ أصوبَ لَتقدَّم القلبُ على الكُلِّ؟ فالجواب: أنَّ هذا جائزٌ عند العرب، قال الفَرَّاءُ: تقدُّمُ هذا وتأخُّره واحدٌ، سمعتُ بعضَ العربِ يقول: هو يُرَجِّل شَعْرَهُ يومَ كلِّ جُمعةٍ، يريد: كلَّ يومِ جُمعةٍ، والمعنى واحدٌ. وقد قرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عِمرانَ الجَوْنيّ: «على قلبِ كلِّ متكبِّرٍ» بتقديم القلبِ.

قال المُفسِّرون: فلمَّا وَعظ المؤمنُ فِرعَونَ وزَجرهُ عن قَتْلِ موسى، قال فِرعَونُ لِوَزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ وقد ذكرناه في القَصص[2]. قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وقَتادةُ: يعني أبوابَها. وقال أبو صالح: طُرُقها. وقال غيرُه: المعنى: لَعَلِّي أبلُغُ الطُّرُقَ مِنْ سماءٍ إلى سماءٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لَعَلِّي أبلُغ ما يُؤدِّيني إلى السَّمواتِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في القَصص[3] إلى قولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومِثْلُ ما وَصَفْنا ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ﴾ عن سبيلِ الهُدى. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ والكِسائيُّ: «وصُدَّ» بضمِّ الصاد، والباقون بفتحِها، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطالِ آياتِ موسى ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي: في بُطلانٍ وخُسرانٍ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) هود: ٥٩. (٢) القصص: ٣٨. (٣) القصص: ٣٨.

ثم عادَ الكلامُ إلى نصيحةِ المؤمنِ لِقومِه، وهو قوله: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أي: طريقَ الهُدى، ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يعني: الحياةُ في هذه الدَّارِ مَتاعٌ يُتَمتَّع بها أياماً ثم تنقطِعُ ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ التي لا زوالَ لها. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الشركُ، ومِثلُها جهنَّمُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: المعاصي، ومِثلُها: العقوبةُ بمقدارِها، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. فعلَى الأول، العملُ الصَّالحُ: التوحيدُ، وعلى الثاني، هو على الإطلاقِ. قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يُدخلونَ» بضمِّ الياء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالفتح، وعن عاصِمٍ كالقراءتَيْنِ. وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم لا تَبِعَةَ عليهم فيما يُعطَوْنَ في الجنَّةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه يُصَبُّ عليهم الرِّزقُ صَبّاً بغيرِ تقتيرٍ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيَ إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ﴾ أي ما لَكُم، كما تقول: ما لي أراكَ حزيناً، معناه: ما لَكَ، ومعنى الآية: أخبِرُوني كيفَ هذه الحالُ، أدعُوكم ﴿إِلَى النَّجَوٰةِ﴾ مِنَ النَّارِ بالإيمانِ ﴿وَتَدْعُونَنِيَ إِلَى النَّارِ﴾ أي إلى الشِّركِ الذي يُوجِبُ النَّارَ؟! ثم فسَّرَ الدَّعوتَين بما بعدَ هذا.

ومعنى ﴿لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: لا أعلَمُ هذا الذي ادَّعوْه شريكاً له. وقد سبَقَ بيانُ ما بعدَ هذا[١] إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: ليس له استِجابةُ دَعوَةٍ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: ليس له شفاعةٌ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَرْجِعُنا؛ والمعنى أنه يُجازينا بأعمالِنا. وفي المُسْرِفِينَ قولان قد ذكرناهما عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِيةِ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ، وأبو رَجاءٍ: «فستَذَّكَّرونَ» بفتحِ الذال وتخفيفِها وتشديدِ الكاف وفَتْحِها؛ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ؛ بفتحِ الذالِ والكافِ وتشديدِهِما جميعاً. أي: إذا نَزلَ العذابُ بكُم، ما أقولُ لكُم في الدنيا مِنَ النَّصيحةِ؟! ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أرُدُّه، وذلك أنهم تَواعَدُوه لِمُخالَفتِهِ دِينَهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ﴾ أي: بأوليائِه وأعدائِه. ثم خَرجَ المؤمنُ عنهم، فطَلَبوه فلم يَقدِروا عليه، ونَجا مع

---

(١) البقرة: ١٢٩، طه: ٨٢.
(٢) غافر: ٢٨.

موسى لمّا عَبَرَ البحرَ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ أي: ما أرادوا به مِنَ الشَّرِّ ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ لَمّا لَجُوا في البحرِ ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال المُفسِّرون: هو الغرقُ. قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾(١)، قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ: إنَّ أرواحَ آلِ فِرعَوْنَ في أجوافِ طَيْرٍ سُودٍ يُعْرَضُونَ على النَّارِ كُلَّ يوم مرّتين فيُقال: يا آلَ فِرعَوْنَ هذه دَارُكُم. ورَوى ابنُ جريرٍ قال: حدَّثنا عبدُ الكريم بنُ أبي عُمَيرٍ، قال: حدَّثنا حَمَّادُ بنُ محمَّدٍ البَلْخيُّ قال: سمعتُ الأوزاعيَّ، وسأله رجلٌ، فقال: رأينا طُيوراً تخرجُ مِنَ البحر فتأخذُ ناحيةَ الغربِ بيضاً، فَوْجاً فَوْجاً، لا يعلَمُ عددَها إلاّ اللَّهُ، فإذا كان العَشِيُّ رَجعَ مثلُها سُوداً، قال: وفَطَنْتُم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إنَّ تلكَ الطَّيرَ في حواصِلِها أرواحُ آلِ فِرعَونَ يُعْرَضُونَ على النَّارِ غُدوّاً وعَشِيّاً، فترجِعُ إلى وَكُورِها وقد احترقَتْ رِياشُها وصارت سَوداءَ، فيَنْبتُ عليها مِنَ الليل رِياشٌ بِيْضٌ، وتَتناثَرُ السُّودُ، ثم تَغدُو ويُعْرَضون على النَّارِ غُدوّاً وعشِيّاً، فذلك دَأْبُها في الدنيا، فإذا كانَ يومُ القيامة قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٢).

[١٢٣٩] وقد رَوى البُخاريُ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُه بالغَداةِ والعَشِيِّ، إنْ كان مِنْ أهلِ الجنَّةِ فَمِنْ أهلِ الجنَّةِ، وإنْ كان مِنْ أهلِ النَّارِ فَمِنْ أهلِ النَّارِ، يُقال: هذا مَقعَدُكَ حتى يَبعثَكَ اللَّهُ إليه يومَ القيامةِ».

وهذه الآيةُ تدلُّ على عذابِ القبرِ، لأنه بَيَّنَ ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾

[١٢٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ١٣٧٩ ومسلم ٢٨٦٦ح ٦٥ والنسائي ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨ وأحمد ٢/ ١١٣ ومالك ١/ ٢٣٩ والبغوي في «شرح السنة ١٥١٨ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٤٨ من طرق عن مالك به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٠ و ٦٥١٥ والترمذي ١٠٧٢ والنسائي ٤/ ١٠٧ وابن ماجة ٤٢٧٠ وأحمد ٢/ ١٦ و ٥١ و ١٢٣ والطيالسي ١٨٣٢ من طرق عن نافع به. وأخرجه مسلم ٢٨٦٦ح ٦٦ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٤٩ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر به.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٩٦: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾. ولكن ها هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، والجواب: أن الآية دلّت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث التي تدل أنه لا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. ومن الأحاديث ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعَرتِ أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟» وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر. هكذا رواه مسلم. وفي رواية البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «نعم، عذاب القبر حق». قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر. وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً.

(٢) أثر باطل. أخرجه الطبري ٣٠٣٧ وإسناده واهٍ، عبد الكريم، قال عنه الذهبي في «الميزان» ٢/ ٦٤٤: فيه جهالة اهـ. وشيخه لم أجد له ترجمة، والأثر باطل.

قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ وأبو عمرو، وأبو بكرٍ وأبَانُ عن عاصِم: «الساعةُ ادْخُلوا» بالضمِّ، وضمُّ الخاء على معنى الأمرِ لهم بالدخول، والابتداءُ على قراءةِ هؤلاءِ بضمِّ الألِفِ. وقرأ الباقون: بالقَطْعِ مع كَسْرِ الخاء على جِهةِ الأمرِ للملائكة بإدخالِهم، وهؤلاء يَبْتَدِئون بفَتْحِ الألِفِ.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ المعنى: واذكر لِقومكَ يا محمَّدُ إذ يختَصِمون، يعني أهلَ النَّار، والآيةُ مفسَّرة في إبراهيم[1]. والذين استكبَروا هم القادة. ومعنى ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ أي: قَضى هذا علينا وعليكم. ومعنى قول الخَزَنَةِ لهم: ﴿فَٱدْعُواْ﴾ أي: نحنُ لا نَدْعو لكُم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: إنَّ ذلك يَبْطُلُ ولا يَنفَعُ.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ذلك بإثباتِ حُجَجِهم. **والثاني**: بإهلاكِ عَدوِّهم. **والثالث**: بأنَّ العاقبةَ تكون لهم. وفَصْلُ الخِطَابِ: أنَّ نصرَهُم حاصلٌ لا بُدَّ منه، فتارةً يكون بإعلاءِ أمرِهم كما أعطى داودَ وسُليمانَ مِنَ المُلْكِ ما قَهرا به كلَّ كافرٍ، وأظْهَرَ محمَّداً ﷺ على مُكذِّبيهِ، وتارةً يكون بالانتقام مِنْ مُكذِّبيهم بإنجاءِ الرُّسلِ وإهلاكِ أعدائِهم، كما فعلَ بنُوحٍ وقومِه وموسى وقومِه، وتارةً يكون بالانتقام مِنْ مُكذِّبيهم بعدَ وفاةِ الرُّسُلِ، كتَسْليطِه بُخْتنصَّرَ على قَتَلةِ يَحيى بن زكريَّا. وأمَّا نصرُهم يومَ يقومُ الأشهادُ، فإنَّ الله مُنجِّيهم مِنَ العذاب، وواحدُ الأشهادِ شاهِدٌ، كما أنَّ واحدَ الأصحابِ صاحِبٌ. وفي الأشهادِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الملائكةُ، شَهِدوا للأنبياءِ بالإبلاغ وعلى الأُمَمِ بالتَّكذيب، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. قال مُقاتِلٌ: وهم الحَفَظَةُ مِنَ الملائكة. **والثاني**: الملائكةُ والأنبياءُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنهم أربعةٌ: الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون والجَوارِحُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «تَنفَعُ» بالتاء، والباقون بالياء؛ لأنَّ المعذرةَ والاعتِذارَ بمعنىً ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إنِ اعتَذَروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعدُ مِنَ الرَّحمةِ. وقد بَيَّنَّا في الرَّعد[2] أنَّ «لهم» بمعنى «عليهم»، و ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: النَّارُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) إبراهيم: ٢١.
(٢) الرعد: ٢٥.

يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ
بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا
ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ
تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي
وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى
وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ، يعني التَّوراةَ ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بعدَ موسى، وهو التَّوراةُ أيضاً في قولِ الأكثرين، وقال ابنُ السَّائبِ: التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ، والذِّكرى بمعنى التَّذكيرِ. ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ في نَصرِكَ، وهذه الآيةُ في هذه السُّورةِ في موضعين[1]، وقد ذكروا أنها مَنسوخةٌ بآيةِ السيفِ. ومعنى «سَبِّح»: صَلِّ. وفي المراد بصلاةِ العَشيِّ والإبكارِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الصَّلواتُ الخمسُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ الغداةِ وصلاةُ العصرِ، قاله قتادةُ. **والثالث**: أنها صلاةٌ كانت قبلَ أنْ تُفرضَ الصَّلواتُ، رَكعتانِ غُدوةً، ورَكعتانِ عَشيَّةً، قاله الحسَنُ.

وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ آنِفاً[2] إلى قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ الآيةُ، نزلت في قُريشٍ؛ والمعنى: ما يَحمِلُهم على تكذيبِكَ إلاَّ ما في صُدورِهم مِنَ التكبُّرِ عليكَ، وما هم بِبالِغي مقتضى ذلك الكِبرِ، لأنَّ الله تعالى مُذِلُّهم، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ مِنْ شَرِّهم؛ ثم نَبَّهَ على قُدرتِه بقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مِنْ إعادتِهم، وذلك لِكثرةِ أجزائِها وعِظَمِ جِرْمِها، فنبَّهَهم على قُدرتِه على إعادةِ الخَلْقِ. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني الكفَّارَ حينَ لا يَستدِلُّون بذلك على

(١) غافر: ٥٥، ٧٧.
(٢) غافر: ٤.

التوحيد. وقال مُقاتِلٌ[(١)]. عَظَّمَتِ اليهودُ الدَّجَّالَ وقالوا: إنَّ صاحبَنا يُبعَثُ في آخرِ الزَّمانِ وله سُلطانٌ، فقال اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ الدَّجَّالَ مِنْ آياته، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ أي: بغيرِ حُجَّةٍ، فاستَعِذْ بالله مِنْ فِتنةِ الدَّجَّالِ. قال: والمُراد بـ «خَلْق الناس»: الدَّجَّالُ، وإلى نحوِ هذا ذهب أبو العَالِيةِ، والأولُ أصحُّ[(٢)].

وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَحِّدُوني واعبُدُوني أُثِبْكُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: سَلُوني أُعطِكُم، قاله السُّدِّيُّ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عن تَوحيدِي. **والثاني**: عن دُعائِي ومَسْألَتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ، وعباسُ بنُ الفَضلِ عن أبي عمروٍ: «سيُدْخَلونَ» بضَمِّ الياء، والباقون بفَتحِها، والدَّاخِرُ: الصَّاغِرُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ في مواضِعَ مُتفرِّقةٍ[(٣)] إلى قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وهو أجَلُ الحياة إلى الموتِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ توحيدَ اللَّهِ وقُدرتَهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن، يقولون: ليس مِنْ عندِ الله، ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف صُرِفوا عن الحقِّ إلى الباطلِ؟! وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم القَدريَّةُ، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين، وكان ابنُ سِيرِينَ يقول: إنْ لم تكُنْ نزلت في القَدَريَّةِ فلا أدري فيمَنْ نزلَتْ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَزٍ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «والسلاسلَ يَسحبونَ» بفتحِ اللام والياء. وقال ابنُ عباسٍ: إذا سَحَبُوها كان أشدَّ عليهم.

قوله تعالى: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ قال مجاهد: تُوقَد بهم النارُ فصاروا وَقودَها.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ مفسَّر في الأعراف[(٤)]. وفي قوله: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا أنَّ الأصنامَ لم تكُنْ شيئاً، لأنها لم تكُنْ تضرُّ ولا تنفعُ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنهم قالوه على وَجْهِ الجُحودِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أَضَلَّ اللَّهُ هؤلاءِ يُضِلُّ الكافرين.

---

(١) عزاه لمقاتل، وهو متروك متهم.
(٢) مراد المصنف، أنها نزلت في قريش، هو الأصح. والله أعلم. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٠٠: وقال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود. وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.
(٣) يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، الأنعام: ٩٥، النمل: ٦١، الأعراف: ٢٩، الحج: ٥.
(٤) الأعراف: ١٩٠.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ
نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ الذي نَزلَ بكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالباطلِ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقد شرحنا المَرَحَ في بني إسرائيل[1]، وما بعدَ هذا قد تقدَّم بتمامِه[2] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وذلك لأنهم كانوا يقترحون عليه الآياتِ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو قضاؤه بينَ الأنبياء وأُممِهم، و ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أصحابُ الباطل.

قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي: حَوائجَكم في البلاد. قوله تعالى: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخ. قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: أنها للنفي. **والثاني**: أنها للاستفهام، ذكرهما ابنُ جرير.

قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأُمَمُ المكذِّبةُ، قاله الجمهور، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلَمُ منهم لن نُبْعَثَ ولن نُحَاسَبَ، قاله مُجاهِدٌ. والثاني: فَرِحوا بما كان عندهم أنه عِلْمٌ، قاله السُّدِّيُّ. **والقول الثاني**: أنهم الرُّسل، والمعنى: فَرِحَ الرُّسلُ لمَّا هَلَكَ المُكذِّبون ونَجَوْا بما عندهم مِنَ العِلْم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه أبو سُليمانَ وغيرُه. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعني بالمُكذِّبينَ العذاب الذي كانوا به يستهزئون. والبَأْسُ: العذابُ. ومعنى ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾: أنه سَنَّ هذه السُّنَّةَ في الأُمَمِ، أي: أنَّ إيمانَهم لا ينفعُهم إذا رأَوا العذابَ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

فإنْ قيلَ: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبلَ ذلك؟ فعَنْهُ جوابان. **أحدهما**: أنَّ «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه إنما بيَّن لهم خُسرانَهم عند نزولِ العذاب، قاله الزَّجَّاجُ.

---

(١) الإسراء: ٣٧.
(٢) النحل: ٢٩، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤.

سورة فصلت

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

مكية كلها بإجماعهم، ويقال لها: سجدة المؤمن، ويقال لها: المصابيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ
وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ
۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ قال الفرَّاءُ: يجوز أنْ يرتفعَ «تنزيلٌ» بـ ﴿حمٓ﴾، ويجوز أنْ يرتفعَ بإضمارِ «هذا». وقال الزَّجاجُ: «تنزيلٌ» مبتدأ، وخبره «كتابٌ فُصِّلَتْ آياته»، هذا مذهبُ البَصريِّين، و ﴿قُرْءَانًا﴾ منصوبٌ على الحالِ، المعنى: بُيِّنَتْ آياتُه في حالِ جَمْعِه، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي لِمَنْ يَعلَمُ. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبُّراً عنه، ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أي: في أغطِيةٍ فلا نَفقَهُ قولَك. وقد سبق بيانُ «الأكِنَّة» و «الوَقْر» في الأنعام[1]. ومعنى الكلام: إنَّا في تَرْكِ القَبولِ منكَ بمنزلةِ مَنْ لا يَسمعُ ولا يَفهمُ، ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ أي: حاجزٌ في النِّحْلَةِ والدِّينِ. قال الأخفشُ: «ومن» ها هنا للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿فَٱعْمَلْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اعْمَلْ في إبطالِ أمرِنا إنَّا عامِلُون على إبطالِ أمرِكَ.
والثاني: اعْمَلْ على دِيْنِكَ إنَّا عاملونَ على دِيْنِنا. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: لولا الوَحْيُ لَمَا دَعوتُكم. ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: توجَّهوا إليه بالطاعة. واستغفِروه مِنَ الشِّرْكِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لا يَشهدونَ أنْ «لا إلهَ إلاَّ

---

(١) الأنعام: ٢٥

(٢) قال الطبري رحمه الله في «التفسير» ١١/٨٦: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة.
ـ وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٠٩: قال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم. وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر. لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة =

اللَّهُ»، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عكرمَةُ، والمعنى: لا يُطهِّرون أنفُسَهم مِنَ الشِّركِ بالتوحيد. **والثاني**: لا يُؤمِنون بالزَّكاة ولا يُقِرُّون بها، قاله الحَسنُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: لا يُزكُّون أعمالَهم، قاله مُجاهِدٌ، والرَّبيعُ. **والرابع**: لا يَتصدَّقون، ولا يُنفِقون في الطَّاعاتِ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: لا يُعطُون زكاةَ أموالِهم، قال ابنُ السَّائبِ: كانوا يَحُجُّون ويَعتَمِرون ولا يُزكُّون.

قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مَقطوعٍ ولا مَنقوصٍ.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: في يوم الأحدِ والاثنينِ، وبه قال عبدُ اللهِ بنُ سَلامٍ، والسُّدِّيُّ، والأكثرون. وقال مُقاتِلٌ: في يومِ الثلاثاءِ والأربعاءِ.

[١٢٤٠] وقد أخرجَ مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث أبي هُريرةَ قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بيدي، فقال: «خَلَقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التُّربةَ يومَ السَّبتِ، وخَلَقَ الجبالَ فيها يومَ الأحدِ، وخَلَقَ الشَّجرَ فيها يومَ الاثنينِ، وخَلَقَ المَكروهَ يومَ الثلاثاءِ، وخَلَقَ النُّورَ يومَ الأربعاءِ، وبَثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميسِ»، وهذا الحديثُ يُخالِف ما تقدَّم وهو أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ قد شرحناه في البقرة[(١)] و﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ ما ذُكِرَ ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ثَوابِتَ مِنْ فوق الأرض، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بالأشجارِ والثِّمارِ والحُبوبِ والأنهارِ، وقيلَ: البَركةُ فيها: أنْ يُنميَ فيها الزَّرعَ، فتخرج الحبَّةُ حبَّاتٍ، والنَّواةُ نخلةً ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي جمعُ قُوتٍ، وهي الأرزاقُ وما يُحتاجُ إليه. وللمُفسِّرين في هذا التَّقدير خمسةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: أنه شَقَّقَ الأنهارَ وغَرسَ الأشجارَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه قَسَمَ أرزاقَ العِبادِ والبَهائِم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أقواتُها مِنَ المطرِ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: قدَّرَ لكلِّ بلدةٍ ما لم

[١٢٤٠] تقدم تخريجه في الجزء الأول، وهو أحد الأحاديث التي تكلم فيها، وهو في صحيح مسلم ٢٧٨٩.

= مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ فأما الزكاة ذات النُّصب والمقادير فإنما بُيِّن أمرُها بالمدينة، ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والله أعلم.

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٩٠: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾، ولا قول في ذلك أصح مما قال جل ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة.

يجعله في الأخرى كما أنَّ ثيابَ اليَمَنِ لا تَصلُحُ إلاَّ بـ «اليَمَن» والهرويَّة بـ «هراة» ليعيشَ بعضُهم مِنْ بعضٍ بالتجارة، قاله عِكرمَةُ والضَّحَّاكُ. **والخامس**: قدَّر البُرَّ لأهلِ قُطرٍ، والتَّمرَ لأهلِ قُطرٍ، والذُّرَةَ لأهلِ قُطرٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في تتمةِ أربعةِ أيَّام. قال الأخفشُ: ومثلُه أنْ تقولَ: تَزوَّجتُ أمسِ امرأةً، واليومَ ثِنتَين، وإحداهُما التي تَزوَّجتَها أمسِ. قال المُفسِّرون: يعني: الثلاثاءَ والأربعاءَ، وهما مع الأحدِ والاثنينِ أربعةُ أيام. قوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ قرأ أبو جعفرَ: «سواءٌ» بالرفع. وقرأ يعقوبُ، وعبدُ الوَارثِ: «سواءٍ» بالجَرِّ. وقرأ الباقون مِنَ العَشَرة: بالنَّصبِ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالخَفضِ، جَعلَ «سواء» مِنْ صفة الأيَّام؛ فالمعنى: في أربعةِ أيَّامٍ مُستوياتٍ تامَّاتٍ؛ ومَنْ نَصبَ، فَعلى المصدر؛ فالمعنى: استَوَتْ سواءً واستِواءً؛ ومَنْ رَفعَ، فَعلى معنى: هي سواءٌ. وفي قوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ وجهان: **أحدهما**: للسائلين القُوت، لأنَّ كُلاًّ يَطلُبُ القُوْتَ ويَسألُه. **والثاني**: لِمَنْ يَسألُ: في كَمْ خُلِقَتِ الأرضُ؟ فيُقال: خُلِقَتْ في أربعة أيَّام سواءً، لا زيادةَ ولا نُقصانَ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قد شَرحناه في البقرة[1] ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه لمَّا خَلَقَ الماءَ أَرسَلَ عليه الرِّيحَ فثارَ منه دُخانٌ فارتفعَ وسَما، فَسمَّاه سماءً. **والثاني**: أنه لمَّا خَلَقَ الأرضَ أَرسَلَ عليها ناراً، فارتفعَ منها دُخانٌ فَسما. قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: قال للسَّماء: أَظْهِري شَمْسَكِ وقَمرَكِ ونُجومَكِ، وقال للأرضِ: شَقِّقي أنهارَكِ، وأَخرِجي ثِمارَكِ، ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ، وإنما لم يَقُلْ: طائعاتٍ، لأنهنَّ جَرَيْنَ مَجرى ما يَعْقِلُ ويُميِّز، كما قال في النُّجوم: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾[2]، قال: وقد قيلَ: أَتَيْنا نحنُ ومَنْ فينا طائِعين. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: خَلقَهنَّ وصَنَعهنَّ، قال أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ:

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ[3]

معناه: عَمِلَهما وصَنَعهما.

قوله تعالى: ﴿فِى يَوۡمَيۡنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وعبدُ الله بنُ سَلاَم: وهما يومُ الخميسِ ويومُ الجُمعةِ. وقال مُقاتِلٌ: الأحدُ والاثنينُ، لأنَّ مذهبَهُ أنها خُلِقتْ قبلَ الأرض. وقد بَيَّنا مِقدارَ هذه الأيام في الأعراف[4]. ﴿وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَوْحَى ما أراد، وأَمرَ بما شاء، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: خَلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: القُربى إلى الأرضِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي النُّجومُ، والمَصابيحُ: السُّرُجُ، فسُمِّيَ الكوكبُ مصباحاً، لإضاءَتِه ﴿وَحِفۡظًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: وحَفِظناها مِن استماعِ الشياطين بالكواكبِ حِفْظاً.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٌ

(١) البقرة: ٢٩. (٢) يس: ٤٠.
(٣) في «اللسان» يقال: رجلٌ صَنَعٌ وامرأة صناع، إذا كان لهما صنعة يعملانها بأيديهما ويكسبان بها.
(٤) الأعراف: ٥٤.

فَأَسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ
فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعدَ هذا البيانِ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ الصَّاعِقةُ: المُهلِكُ مِنْ كلِّ شيءٍ؛ والمعنى: أَنْذرتُكم عذاباً مثلَ عذابِهم. وإنَّما خَصَّ القبيلتَيْنِ، لأنَّ قُريشاً يمرُّون على قُرى القومِ في أسفارهم. ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أَتَتْ آباءَهُم ومَنْ كان قبلَهُم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مِنْ خَلْفِ الآباءِ، وهم الذين أُرسِلوا إلى هؤلاءِ المُهْلَكين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا﴾ أي بأنْ لا تَعبُدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ أي لو أرادَ دَعوةَ الخَلْقِ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تكبَّروا عن الإيمان وعَمِلوا بغيرِ الحقِّ. وكان هُودُ قد تهدَّدَهُم بالعذاب فقالوا: نحنُ نَقْدِرُ على دَفْعِه بفَضْلِ قوَّتِنا. والآياتُ ها هنا: الحُجَجُ. وفي الرِّيحِ الصَّرْصَرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الباردةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ، والضَّحَّاكُ. وقال الفَرَّاءُ: هي الرِّيحُ الباردةُ تُحرِقُ كالنار، وكذلك قال الزَّجَّاجُ: هي الشديدةُ البَرْدِ جدّاً؛ فالصَّرْصَرُ مُتكرِّرٌ فيها البَرْدُ، كما تقول: أقلَلْتُ الشيءَ وقَلْقَلْتُه، فأَقْلَلْتُه بمعنى رَفَعتُه، وقَلْقَلْتُه: كَرَّرتُ رَفْعَهُ. **والثاني**: أنها الشَّديدةُ السَّمُوم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الشَّديدةُ الصَّوتِ، قاله السُّدِّيُّ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: الباردةُ الشَّديدةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «نَحْساتٍ» بإسكانِ الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسرَ الحاءَ، فَواحِدُهن «نَحِس»، ومَنْ أسكَنَها، فواحِدُهنَّ «نَحْس»؛ والمعنى: مَشؤومَات. وفي أوَّلِ هذه الأيَّامِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: غَداةُ يومِ الأحدِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: يومُ الجُمعةِ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثالث**: يومُ الأربعاءِ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ. والخِزْيُ: الهَوانُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَيَّنَّا لهم، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال قَتادَةُ: بَيَّنَّا لهم سبيلَ الخيرِ والشرِّ. **والثاني**: دَعَوْناهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: دَلَلْناهم على مذهبِ الخيرِ، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ﴾ أي اختاروا الكُفرَ على الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أي ذِي الهَوانِ، وهو الذي يُهينُهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ

(١) وهذا من الشؤم المنهي عنه، حيث لا دليل عليه، وإنما هي روايات إسرائيلية، ولا يصح تعيين اسم هذا اليوم، والقرآن لم يذكر ذلك. قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/١١٢: وقوله ﴿في أيام نحسات﴾ أي متتابعات، ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾: أي ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام، حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة.

وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا
جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع: «نَحْشُرُ» بالنُّون «أعداءَ» بالنَّصب. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُحبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهِم لِيَتلاحَقوا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ يعني النَّارَ التي حُشِروا إليها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾، وفي المُرادِ بالجُلُودِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأيدي والأرْجُلُ. **والثاني**: الفُرُوجُ، رُوِيا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الجُلُودُ نفسُها، حكاه الماوَرديُّ. وقد أخرَجَ مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ قال:

[١٢٤١] كنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ فضَحِكَ فقال: «هل تَدرون مِمَّ أَضحَكُ؟» قال: قُلنا: اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: «مِنْ مُخاطبةِ العَبدِ رَبَّهُ، يقول: يا ربِّ ألَمْ تُجِرْني مِنَ الظُّلمِ؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنِّي لا أُجيزُ عليَّ إلاَّ شاهداً منِّي، قال: فيقول: كَفَى بنَفسِكَ اليومَ عليكَ شهيداً، وبالكِرام الكاتِبِينَ شُهوداً، قال: فيُختَمُ على فِيهِ، فيُقال لأركانِه: انطِقي، قال: فتَنطِقُ بأعمالِه، قال: ثُمَّ يُخلَّى بينَه وبينَ الكلام، فيقول: بُعداً لَكُنَّ وسُحقاً، فعَنكُنَّ كنتُ أُناضِلُ».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: مِمَّا نَطَقَ. وها هنا تَمَّ الكلامُ. وما بعدَهُ ليس مِنْ جوابِ الجُلُودِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾.

[١٢٤٢] روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: كُنتُ مُستَتِراً بأستارِ الكعبةِ، فجاءَ ثلاثةُ نفرٍ، قُرَشيٌّ وخَتَناهُ ثَقَفِيَّان، أو ثَقَفيٌّ وخَتَناهُ قُرَشيَّانِ، كثيرٌ شَحْمُ بُطونِهم، قليلٌ فِقْهُ قُلوبِهم، فتكلَّموا بكلامٍ لم أسمَعْهُ، فقال أحدُهم: أتَرَوْنَ اللهَ يَسمَعُ كلامَنا هذا؟ فقال الآخَرانِ: إنَّا إذا

[١٢٤١] صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٦٩ عن أبي بكر بن أبي النضر من حديث أنس. وأخرجه أبو يعلى ٣٩٧٧ وابن حبان ٧٣٥٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٦٧ من طرق عن أبي بكر بن أبي النضر به.

[١٢٤٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٧ والبغوي في «التفسير» ١٨٦٤ عن الحميدي من حديث ابن مسعود. وأخرجه البخاري ٤٨١٦ و ٧٥٢١ ومسلم ٢٧٧٥ والترمذي ٣٢٤٥ والطيالسي ١٩٧٢ والنسائي في «التفسير» ٤٨٨ والطبري ٣٠٤٩٦ والبيهقي في «الأسماء الصفات» ١٧٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٢ من طرق عن منصور به. وأخرجه مسلم ٢٧٧٥ وأحمد ١/ ٣٨١ و ٤٢٦ و ٤٤٢ و ٤٤٤ وأبو يعلى ٥٢٠٤ والطبري ٣٠٤٩٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٣ من طريق الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود به. وأخرجه الحميدي ٨٧ من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

رَفعنا أصواتَنا سَمِعَهُ، وإنْ لم نَرفَعْ لم يَسمَعْ، وقال الآخرُ: إنْ سَمِعَ منه شيئاً سَمِعهُ كُلَّهُ، فذكرتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فأنزلَ اللّهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ومعنى «تَستَتِرون»: تَستَخفُون «أنْ يَشهد» أي: مِنْ أنْ يَشهَد «عليكم سَمْعُكم» لأنَّكم لا تَقدِرُون على الاستِخفاءِ مِنْ جوارِحِكُم، ولا تظُنُّون أنها تشهدُ ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان الكفَّارُ يقولون: إنَّ الله لا يَعلَمُ ما في أنفُسِنا، ولكنه يعلم ما يَظهَرُ، ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ أي: أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ ما تعملون، ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلَكَكُم. ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ أي: على النَّارِ فهي مَسكَنُهم، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ أي: يَسألوا أنْ يُرجَع لهم إلى ما يُحبُّون، لم يُرجَعْ لهم، لأنهم لا يَستحقُّون ذلك. يُقال: أَعتَبَني فُلانٌ، أي: أرْضاني بعد إسخَاطِه إيَّايَ. واستَعْتَبتُه، أي: طَلبتُ منه أنْ يُعْتِبَ، أي: يَرضى. قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: سَبَّبنا لهم قُرناءَ مِنَ الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بينَ أيديهم مِنْ أمرِ الآخرة أنه لا جنَّةَ ولا نارَ ولا بَعْثَ ولا حِسابَ، وما خَلْفَهم مِنْ أمرِ الدنيا، فزَيَّنوا لهم اللَّذاتِ وجَمعَ الأموالِ وتَرْكَ الإنفاقِ في الخير. **والثاني**: ما بينَ أيديهم مِنْ أمرِ الدنيا، وما خَلْفَهُم مِنْ أمرِ الآخرة، على عكسِ الأول. **والثالث**: ما بينَ أيديهم: ما فعلُوه، وما خَلْفَهُم: ما عَزَموا على فِعْلِه. وباقي الآية قد تقدَّمَ تفسيرُه[١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: لا تَسمَعوه ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ أي: عارِضُوه باللَّغوِ، وهو الكلام الخالي عن فائدةٍ. وكان الكفَّارُ يُوصي بعضُهم بعضاً: إذا سَمِعتُم القرآنَ مِنْ محمَّدٍ وأصحابِه فارْفَعُوا أصواتَكُم حتى تُلَبِّسوا عليهم قولَهُم. وقال مُجاهِدٌ: والغَوْا فيه بالمُكاءِ والصَّفيرِ والتَّخليطِ مِنَ القولِ على رسولِ الله ﷺ إذا قرأ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكُتون.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ يعني العذابَ المذكورَ. وقوله: ﴿النَّارُ﴾ بدلٌ مِنَ الجزاء ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: دار الإقامة. قال الزَّجَّاجُ: النَّارُ هي الدَّارُ، ولكنه كما تقول: لكَ في هذه الدَّارِ دارُ السُّرور، وأنت تعني الدَّارَ بعَيْنِها، قال الشاعر:

أخو رَغائِبَ يُعطيها ويسألُها ... يأبَى الظُّلامَةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ[٢]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ

---

(١) الأعراف: ٣٨، الإسراء: ١٦.
(٢) البيت لأعشى باهلة كما في «الأصمعيات» ٨٩ و «خزانة الأدب» ١/ ٨٩. والرغائب: العطايا الواسعة. والنَّوفَل: السيد المعطاء. والزفر: السيد. وقال في «اللسان» لأنه يزدفر بالأموال في الحمالات مطيقاً له، والمعنى: يأبى الظلامة لأنه النوفل الزفر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ٢٩
وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لمَّا دَخلوا النَّار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «أَرْنا» بسكونِ الراء. قال المُفسِّرون: يَعنُونَ إبليسَ وقابيلَ، لأنهما سَنَّا المعصيةَ، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: في الدَّرْكِ الأسفلِ، وهو أشدُّ عذاباً مِنْ غيرِه. ثم ذَكَرَ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: وَحَّدوه ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: استقاموا على التوحيدِ، قاله أبو بكرٍ الصِّديق، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: على طاعة الله وأداءِ فرائِضه، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العَالِية، والسُّدِّيُّ.

[١٢٤٣] وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، وذلك أنَّ المشركين قالوا: ربُّنا اللَّهُ، والملائكةُ بَناتُه، وهؤلاءِ شُفعاؤنا عندَ الله، فلم يَستقيموا، وقالت اليهودُ: ربُّنا اللَّهُ، وعُزَير ابنُه، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، فلم يَستقيموا، وقالت النَّصارى: ربُّنا اللَّهُ، والمَسيحُ ابنُهُ، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، فلم يَستقيموا، وقال أبو بكرٍ: رَبُّنا اللَّهُ وحدَهُ، ومحمَّدٌ عبدُه ورسولُه، فاستَقامَ.

قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي: بأنْ لا تخافوا. وفي وقتِ نُزولِها عليهم قولان[1]: **أحدهما**: عندَ الموت، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ؛ فَعلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: **أحدهما**: لا تخافوا الموتَ، ولا تَحزنوا على أولادِكم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تخافوا ما أمامَكم، ولا تَحزنوا على ما خَلْفَكم، قاله عِكرمَةُ، والسُّدِّيُّ. **والقول الثاني**: تتنزَّل عليهم إذا قاموا مِنَ القبور، قاله قَتادَةُ؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم يُبشِّرونهم بزَوالِ الخوف والحُزنِ يومَ القيامة. قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: هذا قولُ الملائكة لهم، والمعنى: نحن الذين كُنَّا نتولاَّكم في الدُّنيا، لأنَّ الملائكة تتولَّى المؤمنين وتُحبُّهم لِمَا ترى مِنْ أعمالِهم المرفوعةِ إلى السماء، ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: ونحنُ معكم في الآخرة لا نُفارِقُكم حتى تدخلوا الجنَّةَ. وقال السُّدِّيُّ: هم الحفَظَةُ على ابنِ آدمَ، فلذلك قالوا: «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة»؛ وقيل: هم الملائكةُ الذين يأتون لِقَبضِ الأرواح.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّةِ. ﴿نُزُلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: أَبْشِروا بالجنَّةِ تَنزِلُونها نُزُلاً. وقال الأخفشُ: لكم فيها ما تشتهي أنفُسُكم أنزلناهُ نُزُلاً.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِي
ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا

[١٢٤٣] ذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٧٣٤، ولم أره مسنداً، فهو لا شيء، لخلوه عن الإسناد، والصحيح عموم الآية، وذكر اليهود والنصارى في هذا الخبر منكر جداً.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١١٧: قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. وهذا القول يجمع الأقوال كلها. وهو حس جداً، وهو الواقع.

يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيمَنْ أُرِيدَ بهذا ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم المُؤذِّنون. روَى جابرُ بنُ عبدِ الله عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١٢٤٤] «نزلت في المُؤذِّنين»، وهذا قولُ عائشةَ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ.

[١٢٤٥] **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ دَعا إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه المؤمنُ أجابَ الله إلى ما دَعاهُ، ودَعا الناسَ إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في إجابَتِه، قاله الحَسنُ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صَلَّى رَكعَتَيْنِ بعدَ الأَذانِ، وهو قولُ عائشةَ، ومُجاهِدٍ، وروَى إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ عن قَيسِ بنِ أبي حازم: «ومن أحسنُ قولاً ممَّن دعا إلى الله» قال: الأذانُ «وعمل صالحاً» قال: الصَّلاةُ بينَ الأذانِ والإقامةِ. **والثاني**: أدَّى الفرائضَ وقام لله بالحقُوقِ، قاله عطاءٌ. **والثالث**: صام وصلَّى، قاله عِكرمَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الزَّجّاجُ: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ والمعنى: ولا تستوي الحَسنةُ والسَّيِّئةُ، وللمُفسِّرين فيهما ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحسنةَ: الإيمانُ، والسَّيِّئةَ: الشِّركُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحِلْمُ والفُحْشُ، قاله الضَّحّاكُ. **والثالث**: النُّفورُ والصَّبرُ، حكاه الماوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وذلك كَدَفعِ الغضبِ بالصَّبرِ، والإساءةِ بالعَفوِ، فإذا فَعلْتَ ذلك صارَ الذي بينكَ وبينه عداوةٌ كالصَّديقِ القريبِ[2]. وقال عطاءٌ. هو السَّلامُ على مَن تُعاديه إذا

[١٢٤٤] لم أره في شيء من كتب التفسير والأثر، والأشبه أن المصنف أخذه من تفسير الكلبي أو مقاتل أو نحوهما، فإن المتن باطل. والصحيح العموم في كل داع يدعو إلى الله تعالى.

[١٢٤٥] أثر واهٍ. أخرجه الطبري ٣٠٥٤٢ عن ابن زيدٍ، واسمه عبد الرحمن، وهو متروك، ليس بشيء. وأخرجه ٣٠٥٤١ عن السدي به، ولم أره عن ابن عباس. ولا يصح، وانظر التعليق المتقدم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١١٨ ـ ١١٩: وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ، أولى الناس بذلك. وقال بعد أن ذكر الأقوال فيمن نزلت: والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه، فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتاً.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/١١٩: **﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾** أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما عاقبتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وقوله **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم، أي: قريب إليك. من الشفقة عليك والإحسان إليك وقال في ٢/ ٣٤٩: وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده.

لَقِيته. قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ مَنسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ. قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: ما يُعْطَاها. قال الزَّجَّاجُ: ما يُلَقَّى هذه الفَعْلَةَ: وهي دَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسنةِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كَظْمِ الغيظِ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ مِنَ الخيرِ. وقال السُّدِّيُّ: إلاَّ ذو جَدٍّ. وقال قَتادةُ: الحَظُّ العظيمُ: الجَنَّةُ؛ فالمعنى: ما يُلَقَّاها إلاَّ مَنْ وَجَبَتْ له الجنَّةُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ قد فسَّرناه في الأعراف[١].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ أي: تكبَّروا عن التوحيدِ والعبادةِ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يُصلُّون. و «يَسأمون» بمعنى يَمَلُّون. وفي موضعِ السَّجدةِ قولان[٢]: **أحدهما**: أنه عند قوله: «يَسأمون»، قاله ابنُ عباسٍ، ومَسرُوقٌ، وقَتادةُ، واختاره القاضي أبو يَعلَى، لأنه تمامُ الكلامِ. **والثاني**: أنه عندَ قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، رُوِيَ عن أصحابِ عبدِ الله، والحَسنِ، وأبي عبد الرَّحمنِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ قال قَتادةُ: غَبراءَ مُتهشِّمَةً، قال الأزهريُّ: إذا يَبِسَتِ الأرضُ ولم تُمطَر، قيلَ: خَشَعَتْ. قوله تعالى: ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكَتْ بالنَّباتِ ﴿وَرَبَتْ﴾ أي عَلَتْ، لأنَّ النَّبتَ إذا أراد أنْ يَظْهَر ارتفعت له الأرضُ؛ وقد سبق بيانُ هذا[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في أبي جَهلٍ، وقد شرحنا معنى الإلحادِ في النحل[٤]؛ وفي المُرادِ به ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه وَضْعُ الكلامِ على غيرِ موضعِه،

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» ١٥/٣١٧: وقوله تعالى: **﴿ومن آيته الليل والنهار والشمس والقمر...﴾** الآية، هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك: موضعه **﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾** لأنه متصل بالأمر وكان علي وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهم يسجدون عند قوله: **﴿تعبدون﴾**. وقال ابن وهب والشافعي: موضعه **﴿وهم لا يسأمون﴾** لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال وبه قال أبو حنيفة، وكان ابن عباس يسجد عند قوله: «يسأمون». وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي قال ابن العربي: والأمر قريب.

(٣) الحج: ٥. (٤) النحل: ١٠٣.

رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُكَاءُ والصَّفيرُ عند تلاوةِ القرآن، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه التكذيبُ بالآيات، قاله قَتادةُ. **والرابع**: أنه المُعانَدَةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنه المَيْلُ عن الإيمان بالآياتِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ هذا وَعيدٌ بالجزاءِ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذا عامٌّ، غيرَ أنَّ المُفسِّرين ذَكَروا فيمَنْ أُريدَ به سبعةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أبو جَهلٍ وأبو بكرٍ الصِّدِّيق، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أبو جَهلٍ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: أبو جَهلٍ ورسولُ الله ﷺ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أبو جَهلٍ وعُثمانُ بنُ عَفَّانَ، حكاه الثَّعلَبيُّ. **والخامس**: أبو جَهلٍ وحمزَةُ، حكاه الواحِديُّ. **والسادس**: أبو جَهلٍ وعمرُ بنُ الخَطَّابِ. **والسابع**: الكافرُ والمؤمنُ، حكاهما المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لَفظُه لفظُ الأمرِ، ومعناه الوَعيدُ والتَّهديدُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ يعني القرآنَ؛ ثم أخذَ في وَصفِ الذِّكرِ؛ وتَركَ جوابَ «إنَّ»، وفي جوابِها ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه «أولئك ينادَوْنَ من مكان بعيد»، ذَكرهُ الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنه متروكٌ، وفي تقديره قولان: **أحدهما**: إنَّ الذين كَفَروا بالذِّكرِ لمَّا جاءَهُم كَفَروا به. **والثاني**: إنَّ الذين كفروا يُجازَون بكُفرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنيعٌ مِنَ الشيطان لا يَجدُ إليه سبيلاً، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: كريمٌ على الله، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: مَنيعٌ مِنَ الباطلِ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: يَمتَنِعُ على الناس أنْ يقولوا مِثلَه، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: التكذيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: الشيطان. **والثالث**: التَّبديلُ، رُويا عن مُجاهِدٍ. قال قَتادةُ: لا يستطيع إبليسُ أنْ يَنْقُصَ منه حقّاً ولا يَزيدَ فيه باطلاً، وقال مُجاهِدٌ: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بينَ يَدَي تنزيلِه وبعدَ نزولِه. **والثاني**: أنه ليس قَبْلَه كتابٌ يُبْطِله ولا يأتي بعدَهُ كتابٌ يُبطِلُه. **والثالث**: لا يأتيه الباطلُ في إخبارِه عمَّا تقدَّم ولا في إخبارِه عمَّا تأخَّرَ.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قد قيلَ فيمَنْ أُرسِلَ قَبْلَكَ: ساحرٌ وكاهِنٌ ومجنونٌ. وكُذِّبوا كما كُذِّبتَ، هذا قولُ الحسَنِ، وقَتادَةَ، والجمهور. **والثاني**: ما تُخبرُ إلاَّ بما أُخبرَ الأنبياءُ قَبْلَكَ مِنْ أنَّ اللَّه غفورٌ، وأنه ذو عِقابٍ، حكاه المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الكتاب الذي أُنزلَ عليه ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي: بغيرِ لُغةِ العرب ﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: هَلاَّ بُيِّنت آياته بالعربية حتى نَفْهَمَهُ؟! ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «آعجمي» بهمزةٍ ممدودةٍ، وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ؛ وأبو بكرٍ

عن عاصم: «أأعجمي» بهمزتين، والمعنى: أكِتابٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ؟! وهذا استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لو كان كذلكَ لَكانَ أشدَّ لِتكذيبهم. ﴿قُلْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ مِنَ الضَّلالةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ للشُكُوكِ والأوجاع. و «الوَقْر»: الصَّمَمُ؛ فهُم في تَرْكِ القَبولِ بمنزلة مَنْ في أذنِه صَمَمٌ. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ذُو عَمَىً. قال قَتادَةُ: صَمُّوا عن القرآن وعَمُوا عنه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُنادَى مِنْ بعيدٍ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ هذه تسليةٌ لِرَسولِ الله ﷺ؛ والمعنى: كما آمَنَ بكتابِكَ قومٌ وكَذَّب به قومٌ. فكذلك كتابُ موسى، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ العذاب إلى أجَلٍ مسمَّىً وهو القيامةُ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بالعذابِ الواقعِ بالمُكذِّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ﴾ مِنْ صِدقِكَ وكتابِكَ، ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: مُوقِعٌ لهم الرِّيبة.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ سببُ نزولِها أنَّ اليهودَ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: أَخْبِرْنا عن السَّاعةِ إنْ كُنتَ رسولاً كما تَزعُمُ، قاله مُقاتِلٌ[1]. ومعنى الآية: لا يَعْلَمُ قيامَها إلاّ هو، فإذا سُئِلَ عنها فعِلْمُها مَرْدُودٌ إليه. ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «من ثمرةٍ». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: «من ثمراتٍ» على الجمع ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: أوْعِيَتِها. قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: مِنَ المَواضعِ التي كانت فيها مُستَتِرةً، وغِلافُ كلِّ شيءٍ: كُمُّه، وإنما قيلَ: كُمُّ القميصِ، مِنْ هذا. قال الزَّجَّاجُ: الأكمامُ: ما غَطَّى، وكلُّ شجرةٍ تُخرِجُ ما هو مُكَمَّمٌ فهي ذاتُ أكمامٍ، وأكمامُ النَّخلَةِ: ما غطَّى جُمَّارَها مِنَ السَّعَفِ واللِّيفِ والجِذْعِ، وكلُّ ما أخرجَتْهُ النَّخلَةُ فهو ذُو أكمامٍ، فالطَّلْعَةُ كُمُّها قِشرُها، ومِنْ هذا قيلَ للقَلَنسُوَةِ: كُمَّة، لأنها تُغطِّي الرأسَ، ومِنْ هذا كُمَّا القميصِ، لأنهما يُغطِّيان اليدين.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كُنتم تَزعُمون ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ قال الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ: أعلَمناكَ، وقال مُقاتِلٌ: أسمَعناكَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قول المشركين؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شهيدٍ بأنَّ لكَ شريكاً، فَيتبرَّؤون يومَئذٍ ممَّا كانوا يقولون، هذا قولُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: أنه مِن قولِ الآلهَةِ التي كانت تُعبَدُ؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شهيدٍ لهم بما قالوا، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ.

---

(١) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والمتن باطل فإن السورة مكية بإجماع، وأخبار يهود وسآلاتهم كانت في المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ أي بَطَلَ عنهم في الآخرة ﴿مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ﴾ أي يَعبُدون في الدنيا ﴿وَظَنُّواْ﴾ أي أيْقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ وقد شرحنا المَحِيص في سُورة النِّساء[1].

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ قال المُفسِّرون: المراد به الكافرُ؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافرُ ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: مِنْ دُعائِه بالخير، وهو المالُ والعافيةُ. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وهو الفقرُ والشِّدَّةُ، والمعنى: إذا اختُبِر بذلك يَئِس مِنْ رَوْح الله وقَنِطَ مِنْ رَحمتِه. وقال أبو عُبيدَةَ: اليَؤوسُ، فَعُولٌ مِنْ يأسَ، والقنُوط، فَعُول مِنْ قَنَط.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ أي: خيراً وعافيةً وغِنىً، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: هذا واجبٌ لي بعملي وأنا محقوقٌ به، ثم يشُكُّ في البَعثِ فيقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أي: لستُ على يقينٍ مِنَ البعثِ ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يعني الجنَّة، أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لَنُخبِرَنَّهم بمساوئ أعمالِهم. وما بعدَهُ قد سَبقَ[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، «ونأى» مثل «نعى»، وقرأ ابنُ عامر: «وناء» مفتوحةَ النون، ممدودةً والهمزة بعدَ الألِفِ. وقرأ حمزةُ: «نئي» مكسورَة النون والهمزةِ. ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ قال الفَرّاءُ، وابنُ قُتيبَة: معنى العَريض: الكثير، وإنْ وصفتَهُ بالطُّول أو بالعَرْض جازَ في الكلام. ﴿قُلۡ﴾ يا محمَّدُ لأهل مكَّةَ ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ﴾ أي خِلافٍ للحقِّ ﴿بَعِيدٖ﴾ عنه؟ وهو اسمٌ؛ والمعنى: فلا أحدَ أضلُّ منكم. وقال ابنُ جَريرٍ: معنى الآية: ثُمَّ كفرتُم به، ألَستُم في شِقاقٍ للحقِّ وبُعدٍ عن الصَّواب؟! فجعلَ مكانَ هذا باقي الآية.

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: في الآفاقِ:

---

(١) النساء: ١٢١. (٢) إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٨٣.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٢٥: إن الله وعد نبيه أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهديدهم بأن يريهم ما هم راؤوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا أراؤه قبل من ظهور نبي الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٢٣ وقال: ويحتمل أيضاً أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركّب منه وفيه وعليه من =

فَتحُ أقطارِ الأرض، وفي أنفُسِهم: فَتحُ مكّةَ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنها في الآفاقِ: وقائعُ الله في الأُمَم الخاليَةِ، وفي أنفُسِهم: يومُ بَدْرٍ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّها في الآفاق: إمساكُ القَطْرِ عن الأرض كلِّها، وفي أنفُسِهم: البلايا التي تكون في أجسادِهم، قاله ابنُ جُرَيج. **والرابع**: أنها في الآفاق: آياتُ السماء كالشمسِ والقمرِ والنُّجوم، وفي أنفُسِهم: حوادثُ الأرض، قاله ابنُ زيدٍ. وحُكيَ عن ابنِ زيدٍ؛ أنَّ التي في أنفُسِهم: سبيلُ الغائطِ والبَولِ، فإنَّ الإنسانَ يأكل ويشرب مِنْ مكانٍ واحدٍ، ويخرج مِنْ مكانين. **والخامس**: أنها في الآفاقِ: آثارُ مَنْ مَضى قَبْلَهم مِنَ المُكذِّبين، وفي أنفُسِهم: كونُهم خُلِقوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عظاماً إلى أنْ نُقِلوا إلى العقل والتمييز، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القرآن. **والثاني**: إلى جميع ما دعاهُم إليه الرسولُ. وقال ابنُ جَريرٍ: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقةَ ما أنزلنا على محمَّدٍ وأوحَيْنا إليه مِنَ الوَعدِ له بأنَّا مُظهِرو دِينِهِ على الأديان كلِّها. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أوَ لَمْ يَكْفِ به أنه شاهدٌ على كلِّ شيءٍ؟! قال الزجّاجُ: المعنى: أو لَمْ يَكْفِهم شهادةُ ربِّك؟! ومعنى الكفايةِ ها هنا: أنه قد بَيَّنَ لهم ما فيه كفايةٌ في الدَّلالة على توحيدِه وتثبيتِ رُسلِه.

= المواد والأخلاط والهيئات العجيبة. كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع ـ تبارك وتعالى ـ وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة. من حسن وقبيح وبين ذلك. وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يحوزها ولا يتعدّاها.

سورة الشورى

ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

وتسمى: سورة حم، عسق. وهي مكّيَّةٌ، رواه العَوفيُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والجمهور. وحُكيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ قالا: إلاَّ أربعَ آياتٍ نَزلْنَ بالمدينةِ، أوَّلُها: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1] وقال مُقاتِلٌ: فيها مِنَ المَدنيِّ قولُه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى قولِه: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2] وقولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ إلى قولِه: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قد سَبقَ تفسيرُه. قوله تعالى: ﴿عٓسٓقٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[4]. **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه حروفٌ مِنْ أسماء؛ ثم فيه خمسةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ العينَ عِلْمُ الله، والسينَ سَناؤه، والقافَ قُدرتُه، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ. والثاني: أنَّ العينَ فيها عذابٌ، والسينَ فيها مَسْخٌ، والقافَ فيها قَذْفٌ، رواه أبو الجَوزَّاءِ عن ابنِ عباسٍ. والثالث: أنَّ الحاءَ مِنْ حَربٍ، والميمَ مِنْ تحويلِ مُلْكٍ، والعينَ مِنْ عدوٍّ مقهورٍ، والسينَ استئصالٌ بِسِنِيْنَ كسِنِيِّ يوسفَ، والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين مِنْ قُدُّوس، والقافَ مِنْ قاهِرٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والخامس: أنَّ العينَ مِنَ العَزيزِ، والسينَ مِنَ السَّلام، والقافَ مِنَ القادِرِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ.

---

(١) الشورى: ٢٣. (٢) الشورى: ٢٣ ـ ٢٤. (٣) الشورى: ٣٩ ـ ٤١.

(٤) قال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٠٢: قد تقدم الكلام في أمثال هذه الفواتح، واختلفوا في (حم عسق) وقيل فيها، مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، وقد ذكرنا قبل ذلك ما روي من ذلك مما لا أصل له.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه كما أَوحيتُ «حمٓ عٓسٓقٓ» إلى كلِّ نبيٍّ، كذلك نُوحيها إليكَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ[٢]. **والثاني**: كذلك نُوحي إليكَ أخبارَ الغَيْبِ كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، رواه عطاءٌ عنِ ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ «حمٓ عٓسٓقٓ» نزلت في أمرِ العذابِ، فقِيلَ: كذلك نُوحِي إليكَ أنَّ العذابَ نازلٌ بمَنْ كذَّبكَ كما أَوحينا ذلك إلى مَنْ كان قَبْلَكَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى: هكذا نُوحي إليكَ، قاله ابنُ جريرٍ.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يُوحى» بضمِّ الياء وفتحِ الحاء كأنه إذا قيلَ: مَن يُوحي؟ قيلَ: اللهُ. وروى أبَانُ عن عاصمٍ: «نوحي» بالنونِ وكسرِ الحاء.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «تكاد» بالتاء «يَتَفَطَّرْنَ» بياءٍ وتاءٍ مفتوحةٍ وَفَتْحِ الطاء وتشديدِها. وقرأ نافعٌ، والكِسائيُّ، «يكاد» بالياء «يَتَفَطَّرْنَ» مثلَ قراءةِ ابنِ كَثيرٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «تكاد» بالتاء «يَنفطِرْنَ» بالنونِ وكسرِ الطاء وتخفيفِها، أي: يَتَشقَّقْنَ ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: مِنْ فوقِ الأَرَضِين مِنْ عَظَمةِ الرَّحمن؛ وقيلَ: مِنْ قولِ المشركين: «اتَّخذ الله ولداً». ونظيرُها التي في مريم[٣]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضُهم: يُصَلُّون بأمرِ ربِّهم؛ وقال بعضُهم: يُنزِّهونه عمَّا لا يجوز في صِفَتِه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد المؤمنين، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلمَّا ابتُلِيَ هاروتُ وماروتُ استَغْفَروا لِمَنْ في الأرض. ومعنى استِغفَارِهم: سُؤالُهم الرِّزقَ لهم، قاله ابنُ السَّائب. وقد زَعم قومٌ منهم مُقاتِلٌ أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤]، وليس بشيءٍ، لأنهم إنَّما يَستغفرون للمؤمنين دونَ الكفَّار، فلَفظُ هذه الآيةِ عامٌّ، ومعناها خاصٌّ، ويدلُّ على التَّخصِيصِ قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأنَّ الكافرَ لا يستحقُّ أنْ يُستغفر له.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ اتَّخذوا آلهةً فَعبدوها مِنْ دُونِه ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافظٌ لأعمالِهم لِيُجازيَهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نُوكِّلْكَ بهم فتؤخَذ بهم. وهذه الآيةُ عند جمهورِ المُفسِّرين منسوخةٌ بآية السَّيفِ، ولا يصحُّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٢١٣: (كذلك يوحي إليك) أي مثل ذلك الوحي. أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل (من قبلك) يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله، على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده في الأولين والآخرين، ولم يقل: أوحي إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيحاء مثله عادته.

(٢) أبو صالح غير ثقة وبخاصة في ابن عباس، وراويته الكلبي، وهو وضاع.

(٣) مريم: ٩٠.

(٤) غافر: ٧.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومِثلَ ما ذكرنا ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ لِيفهموا ما فيه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني مكّةَ، والمراد: أهلُها، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي: وتُنذِرَهم يومَ الجَمْع، وهو يومُ القيامة، يَجمَعُ الله فيه الأوَّلِينَ والآخِرِينَ وأهلَ السمواتِ والأرَضِين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ في هذا الجَمع أنه كائنٌ، ثم بعدَ الجَمْع يتفرَّقون، وهو قوله: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾. ثم ذِكرَ سببَ افتراقِهم فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على دِينٍ واحدٍ، كقوله: ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1] ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي في دِينِه ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهم الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ يَدفعُ عنهم العذابَ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعُهم منه. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي بل اتَّخذَ الكافرون مِنْ دُونِ الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني آلهةً يتولَّونهم ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي وليُّ أوليائه، فَلْيتَّخذوه وليّاً دونَ الآلهةِ؛ وقال ابنُ عباسٍ: وَليُّكَ يا محمَّدُ ووليُّ مَنِ اتَّبعك.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: مِنْ أمرِ الدِّينِ؛ وقيلَ: بل هو عامٌّ ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: عِلْمُه عندَ الله. والثاني: هو يَحكُم فيه. قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ أهل مكّةَ كَفَرَ بعضُهم بالقرآن وآمَنَ بعضُهم، فقال الله: أنا الذي أحكُم فيه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي يَحكُم بين المُختلِفين هو ﴿رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مُهمّاتي ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي أرجِعُ في المَعادِ. ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قد سبق بيانُه[2]، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي مِنْ مِثلِ خَلقِكم ﴿أَزْوَٰجًا﴾ نساءً ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ذكوراً وإناثاً، والمعنى أنه خَلَقَ لكم الذَّكرَ والأُنثى مِنَ الحيوانِ كلِّه ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: يَخلُقكم، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: يُعيِّشُكم، قاله مُقاتِلٌ. والثالث: يُكثِّرُكم، قاله الفرَّاءُ. وفي قوله ﴿فِيهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها على أصلِها، قاله الأكثرون. فعَلى هذا في هاءِ الكِنايةِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها ترجع إلى بُطونِ الإناث وقد تقدَّمَ ذِكْرُ الأزواج، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. فعَلى هذا يكون المعنى: يخلقُكم في بُطونِ النِّساء، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ قُتيبةَ، فقال: يَخلقُكم في الرَّحِم أو في الزَّوجِ؛ وقال ابنُ جريرٍ: يَخلقُكم فيما جَعَلَ لكم مِنْ أزواجِكم؛ ويُعيِّشُكم فيما جعلَ لكم مِنَ الأنعامِ.

---

(١) الأنعام: ٣٥.
(٢) الأنعام: ١٤.

والثاني: أنها ترجعُ إلى الأرض، قاله ابنُ زيدٍ؛ فَعَلى هذا يكون المعنى: يَذرَؤكم فيما خَلَقَ مِنَ السمواتِ والأرضِ. والثالث: أنها ترجع إلى الجَعْلِ المذكورِ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يُعيِّشكُم فيما جعلَ مِنَ الأنعام، قاله مُقاتِلٌ، والثاني: يَخلُقكُم في هذا الوجه الذي ذَكر مِنْ جَعْلِ الأزواج، قاله الواحِديّ. **والقولَ الثاني**: أنَّ «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يُكثِّركُم بما جعلَ لكم، قاله الفرَّاءُ والزَّجاجُ. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: ليس كَهُوَ شيءٌ، والعرب تُقيمُ المِثْلَ مُقامَ النَّفْسِ، فتقول: مِثْلي لا يُقال له هذا، أي: أنا لا يُقال لي هذا. وقال الزَّجاجُ: الكافُ مؤكِّدةٌ؛ والمعنى: ليس مِثْلَه شيءٌ، وما بعدَ هذا قد سَبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أي: بَيَّن وأَوضَحَ ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَحليلُ الحلالِ وتحريمُ الحَرام، قاله قَتادةُ. **والثاني**: تحريمُ الأخَواتِ والأُمَّهاتِ، قاله الحَكَمُ. **والثالث**: التوحيدُ وتَرْكُ الشِّرْكِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: مِنَ القرآن وشرائعِ الإسلام. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وشَرعَ الذي أوحينا إليك وشَرَعَ لكم ما وَصَّى به إبراهيمَ وموسى وعيسى. وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ تفسيرُ قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ وجائزٌ أنْ يكونَ تفسيراً لـ ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ ولقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، فيكون المعنى: شَرعَ لكم ولِمَن قبلَكم إقامةَ الدِّين وتَرْكَ الفُرقةِ، وشَرعَ الاجتماعَ على اتِّباع الرُّسلِ. وقال مُقاتِلٌ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أي لا تختلِفوا ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي عَظُمَ على مشركي مكَّة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمَّدُ مِنَ التَّوحيد.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي: يَصطفي مِنْ عباده لِدِينِه ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ﴾ إلى دِينِه، ﴿مَن يُنِيبُ﴾ أي: يَرجع إلى طاعته. ثم ذَكر افتِراقَهم بعد أنْ أوصاهم بتَرْكِ الفُرقَةِ، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ يعني أهلَ الكتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بعدِ كثرةِ عِلْمِهم للبَغي. **والثاني**: مِنْ بعدِ أنْ علموا أنَّ الفُرقةَ ضلالٌ. **والثالث**: مِنْ بعدِ ما جاءهم القرآن، بَغْياً منهم على محمَّدٍ ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ المُكذِّبين مِنْ هذه الأُمَّة إلى يوم القيامة، ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزالِ العذاب على المُكذِّبِين ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني اليهودَ والنَّصارى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مِنْ بعدِ أنبيائهم ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: مِنْ محمَّدٍ ﷺ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى، فإلى ذلك، تقول: دَعوتُ إلى فُلانٍ، ودَعوت

(١) الرعد: ٢٦، الزمر: ٦٣.

لِفُلانٍ، و «ذلك» بمعنى «هذا»، وللمُفسِّرين فيه قولان[١]: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: أنه التوحيد، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يعني أهلَ الكتاب، لأنهم دَعَوه إلى دِيْنِهم. قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال بعضُ النَّحويِّين: المعنى: أمرت كي أعدل. وقال غيرُه: المعنى: أُمِرْتُ بالعَدْل. وتقع «أُمِرْتُ» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يُقال: أُمِرْتُ أنْ أعدِلَ، وكي أعدِلَ، ولأعدِلَ. ثم في ما أُمِرَ أنْ يَعْدِلَ فيه قولان: **أحدهما**: في الأحكام إذا تَرافَعوا إليه. **والثاني**: في تبليغ الرِّسالة. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو إلهُنا وإن اختلفنا، فهو يُجازينا بأعمالِنا، فذلك قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال مُجاهِدٌ: لا خُصومةَ بيننا وبينَكم.

فصل: وفي هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها اقتضَت الاقتِصارَ على الإنذارِ، وذلك قبلَ القتال، ثم نزلت آيةُ السَّيفِ فَنسختْها، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنَّ معناها: إنَّ الكلام ـ بعد ظُهور الحُجَج والبراهين ـ قد سَقط بيننا، فعَلى هذا هي مُحْكَمةٌ، حكاه شيخنا عليُّ بنُ عبيدِ الله عن طائفةٍ مِنَ المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يُخاصمون في دِيْنِهِ. قال قَتادَةُ: هم اليهودُ، قالوا: كتابُنا قَبْلَ كتابكم، ونبيُّنا قبل نبيِّكم، فنَحنُ خيرٌ منكم. وعلى قولِ مُجاهِدٍ: هم المشركون، طمعوا أنْ تعودَ الجاهلية. قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: مِنْ بعد إجابة الناس إلى الإسلام ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومَتُهم باطلةٌ.

﴿اللَّهُ الَّذِيٓ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِيٓ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يُنزِلْهُ لغيرِ شيءٍ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه العَدْلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، والجمهور. **والثاني**: أنه الذي يُوزَنُ به، حُكي عن مُجاهِدٍ. ومعنى إنزالِه؛ إلهامُ الخَلْقِ أنْ يَعملوا به، وأمرُ الله عزَّ وجلَّ إيَّاهُم بالإنصاف. وسُمِّي العَدْلُ ميزاناً لأنَّ الميزانَ آلةُ الإنصافِ والتَّسويةِ بينَ الخَلْقِ. وتمامُ الآية مشروحٌ في الأحزاب[٢].

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٢٢٠: فلأجل ذلك التفرق ولما حدث سببه من تشعب الكفر شعباً (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفة القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب، أي كتاب صح أن أنزله، يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة، لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٢٩: اشتملت هذه الآية على عشر كلمات مستقلة، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حُكْمٌ برأسه، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

(٢) الأحزاب: ٦٣.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذْ لم يُؤمنوا بكَوْنِها، فهم يَطلُبون قيامَها استبعاداً واستهزاءً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿مِنْهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحاسَبون ومَجزِيُّون، ولا يَدرون ما يكون منهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ أي: أنها كائنةٌ لا مَحالةَ ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: يُخاصِمون في كَونها ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ حينَ لم يتفكَّروا، فيَعلموا قدرة الله على إقامَتِها. ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ قد شرحنا معنى اسمِه «اللطيف» في الأنعام[1]، وفي عبادِه ها هنا قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون. **والثاني**: أنه عامٌّ في الكُلّ. ولُطفُه بالفاجرِ: أنه لا يُهلِكه. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُوسِّع له الرِّزقَ. قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي عَمَل الآخرة، يُقال: فلانٌ يَحرُثُ للدُّنيا، أي: يعملُ لها ويجمع المالَ؛ فالمعنى مَنْ أراد بعمله الآخرةَ ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ أي: نُضاعِفُ له الحَسناتِ. قال المُفسِّرون: مَنْ أراد العملَ لله بما يُرضيه، أعانَهُ اللَّهُ على عبادتِه، ومَنْ أراد الدُّنيا مُؤْثِراً لها على الآخرةِ لأنه غيرُ مؤمنٍ بالآخرة، يُؤتِهِ منها، وهو الذي قَسَم له، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنه كافرٌ بها لم يَعمَلْ لها.

فصل: اتَّفق العلماء على أنَّ أول هذه الآية إلى «حرثه» مُحْكَمٌ، واختلفوا في باقيها على قولين: **أحدهما**: أنه مَنسوخٌ بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[2]، وهذا قولُ جماعةٍ منهم مُقاتِلُ. **والثاني**: أنَّ الآيتين مُحكَمتان متَّفِقتان في المعنى، لأنه لم يَقُلْ في هذه الآية: نُؤتِه مُرادَهُ، فعُلِمَ أنه إنما يُؤتيه اللَّهُ ما أراد، وهذا مُوافقٌ لقوله: «لِمَنْ نُريد»، ويُحقِّقُ هذا أنَّ لفظَ الآيتين لفظُ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يَدخُله النَّسخُ، وهذا مذهبُ جماعةٍ منهم قَتادةُ.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا﴾ يعني كفَّار مكَّةَ؛ والمعنى: أَلَهُمْ آلهةٌ ﴿شَرَعُوا﴾ أي ابتدعوا ﴿لَهُم﴾ دِيناً لم يأذن به الله؟! ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ وهي: القضاءُ السَّابقُ بأنَّ الجزاءَ يكون في القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا بنُزولِ العذاب على المُكذِّبين. والظالمون في هذه الآيةِ والتي تَليها: يُراد بهم المشركون. والإشفَاقُ: الخوف. والذي كَسَبوا: هو الكُفرُ والتَّكذيبُ، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يعني جزاءَهُ. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما تقدَّمَ ذِكْرُه مِنَ الجناتِ ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «ذلك» بمعنى: هذا الذي أخبرتُكم به بُشرى يُبشِّر اللَّه بها عِبادَهُ. وقرأ

(١) الأنعام: ١٠٣.
(٢) الإسراء: ١٨.

ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «يَبْشُرُ» بفتحِ الياء وسكونِ الباء وضمِّ الشين.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ في سبب نُزولِ هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٢٤٦] أحدها: أنَّ المشركين كانوا يُؤذون رسولَ الله ﷺ بمكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٤٧] والثاني: أنه لمّا قَدِمَ المدينةَ كانت تَنُوبُه نَوائبُ وليس في يَدِه سَعةٌ، فقال الأنصارُ: إنَّ هذا الرجلَ قد هَداكُم اللَّهُ به، وليس في يَدِه سَعَةٌ، فاجْمَعوا له مِنْ أموالِكُم ما لا يَضرُّكم، ففعلوا ثم أَتَوْه به، فنزلت هذه الآيةُ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

[١٢٤٨] والثالث: أنَّ المشركين اجتمعوا في مَجمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أتُرَونَ محمَّداً يسأل على ما يَتعاطاهُ أجراً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

والهاء في «عليه» كنايةٌ عمَّا جاء به مِنَ الهُدى. وفي الاستثناء ها هنا قولان: أحدهما: أنه مِنَ الجنس، فعَلَى هذا يكون سائلاً أجراً. وقد أشارَ ابنُ عباسٍ في رواية الضَّحَّاكِ إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسِخَتْ هذه بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ الآيَة[1]، وإلى هذا المعنى ذهب مُقاتِلٌ. والثاني: أنه استثناءٌ مِنْ غيرِ الأول، لأنَّ الأنبياءَ لا يَسألون على تبليغِهم أجراً، وإنما المعنى: لكنّي أُذكِّرُكم المَوَدَّةَ في القُرْبى، وقد رَوى هذا المعنى جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، منهم العَوفيُّ، وهذا اختيارُ المُحقِّقين، وهو الصحيحُ، فلا يتوجَّه النَّسخُ أصلاً.

وفي المراد بالقُربى خمسةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ معنى الكلام: إلاّ أنْ تَوَدُّوني لقرابَتي منكم، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ في الأكثرين. قال ابنُ عباسٍ: ولم يكُنْ بطنٌ مِنْ بطونِ قُريشٍ إلاَّ ولرسولِ الله ﷺ فيهم قرابةٌ. والثاني: إلاّ أنْ تَوَدُّوا قرابَتي، قالَه عليُّ بنُ الحُسينِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. ثم في المراد بقرابته قولان:

[١٢٤٩] أحدهما: عليٌّ وفاطمةُ وولَدُها، وقد رَوَوهُ مرفوعاً إلى رسولِ الله ﷺ. والثاني: أنهم الذين تَحرُم عليهم الصَّدقةُ ويُقسَمُ فيهم الخُمُس وهم بَنو هاشمٍ وبَنو المطَّلِبِ.

[١٢٤٦] أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٧٠٠ عن الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس.

[١٢٤٧] ضعيف جداً. ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٣٥ عن ابن عباس بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٢٢١ ذكره الثعلبي والواحدي في «الأسباب» عن ابن عباس بغير سند، ويشبه أن يكون عن الكلبي وعن أبي صالح اهـ. وهذا هو الراجح فإن الواحدي إذا وجد الكلبي في إسناد ما. فإنه يحذف الإسناد فيذكره تعليقاً ليبين أنه حديث واهٍ.

[١٢٤٨] واهٍ، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٦ عن قتادة مرسلاً، ولم أره عن غيره، فهو واهٍ.

[١٢٤٩] تقدم في سورة آل عمران.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٤٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبههما بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بينكم وبيني.

والثالث: أنَّ المعنى: إلاَّ أنْ تَوَدَّدوا إلى الله تعالى فيما يُقرِّبكم إليه مِنَ العمل الصَّالح، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والرابع**: إلاَّ أنْ تَوَدُّوني، كما تَوَدُّون قرابَتَكُم، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: إلاَّ أنْ تَوَدُّوا قرابَتَكُم وتَصِلوا أرحامَكُم، حكاه المَاوَرديُّ. والأول: أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي: مَنْ يَكْتَسِبْ ﴿حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: نُضاعِفُها بالواحدةِ عشراً فصاعِداً. وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمُرَ، والجَحْدَريُّ: «يزد له» بالياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليلِ حتى يُضاعفه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفارُ مكَّةَ ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حينَ زعمَ أنَّ القرآن مِنْ عند الله! ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يَخْتِمُ على قلبكَ فيُنسيكَ القرآنَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: يَرْبِطُ على قلبكَ بالصَّبر على أذاهُم فلا يَشُقُّ عليكَ قولُهم: إنكَ مُفْتَرٍ، قاله مُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ قال الفَرَّاءُ: ليس بمَردودٍ على «يَخْتِمْ» فيكونَ جزماً، وإنما هو مُستأنَفٌ، ومثله ممَّا حُذِفتْ منه الواوُ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[1]. وقال الكِسائيُّ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ. تقديره: واللَّهُ يَمحو الباطلَ. وقال الزَّجَّاجُ: الوَقفُ عليها «ويمحوا» بواوٍ وألِفٍ؛ والمعنى: والله يَمحُو الباطلَ على كلِّ حالٍ، غيرَ أنها كُتِبتْ في المَصاحفِ بغيرِ واوٍ، لأنَّ الواوَ تَسقطُ في اللفظ لالتقاءِ الساكِنَيْن، فكُتِبتْ على الوصلِ، ولفظُ الواو ثابتٌ؛ والمعنى: ويَمحُو الله الشِّركَ ويُحِقُّ الحقَّ بما أنزلَهُ مِنْ كتابه على لسانِ نبيِّه ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ قد ذكرناه في براءة[2].

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: مِنْ خيرٍ وشرٍّ. قرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، على الإخبار عن المشركين والتَّهديدِ لهم. و «يستجيب» بمعنى يُجيب، وفيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الفعلَ فيه لله، والمعنى: يُجيبُهم إذا سألوه؛ وقد روى قَتادَةُ عن أبي إبراهيمَ اللَّخمي ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: يُشفَّعون في إخوانِهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: يُشفَّعون في إخوانِ إخوانِهم. **والثاني**: أنه للمؤمنين؛ فالمعنى: يُجيبونَهُ. والأولُ أصحُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

[١٢٥٠] قال خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ: فينا نَزَلَتْ هذه الآيةُ، وذلك أنَّا نَظَرنا إلى أموالِ بَني قُريظَة والنَّضيرِ فتَمنَّيناها، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٢٥٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٣٧ عن خباب بدون إسناد فلا يحتج به، ولا يصح فالسورة مكية، والخبر مدني. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٠٠ بتخريجنا.

---

(١) الإسراء: ١١. (٢) التوبة: ١٠٤.

ومعنى الآية: لو أوسعَ الله الرِّزقَ لِعبادِه لَبَطِروا وعَصَوْا وبغى بعضُهم على بعض، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: يُنزل أمرَهُ بتقدير ما يشاء ممَّا يُصلِحُ أمورَهُم ولا يُطغِيهم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ فمنهم مَنْ لا يُصلحه إلاَّ الغِنى، ومنهم مَنْ لا يُصلحه إلاَّ الفقرُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ يعني المطرَ وقتَ الحاجة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أي: يَئِسوا، وذلك أَدْعى لهم إلى شُكرِ مُنزِلِه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ في الرَّحمة ها هنا قولان: **أحدهما**: المطر، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: الشمس بعدَ المطرِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقد ذكرنا «الوليّ» في سُورَةِ النِّساء[1] و «الحميد» في البقرة[2]. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ وهو ما يلحق المؤمنَ مِنْ مكروهٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ مِنَ المعاصي. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «بما كَسَبتْ أيديكم» بغيرِ فاءٍ، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشَّام ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ مِنَ السَّيِّئاتِ فلا يُعاقِبُ بها. وقيلَ لأبي سُليمانَ الدَّارانيِّ: ما بالُ العقلاءِ أَزَالوا اللَّومَ عمَّن أساءَ إليهم؟ قال: إنَّهم علموا أنَّ الله تعالى إنما ابتلاهُم بذُنوبِهم، وقرأ هذه الآيةَ. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إنْ أرادَ اللَّهُ عقوبتَكُم، وهذا يدخل فيه الكفَّارُ والعُصاةُ كلُّهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ والمراد بالجَوارِ: السُّفن. قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ: «الجَواري» بياءٍ في الوصلِ، إلاَّ أنَّ ابنَ كَثيرٍ يقف أيضاً بياءٍ، وأبو عمروٍ بغيرِ ياءٍ، ويعقوبُ يُوافق ابنَ كَثيرٍ، والباقون بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ؛ قال أبو عليٍّ: والقياسُ ما ذهب إليه ابنُ كثيرٍ، ومَنْ حَذفَ فقد كَثُر حَذفُ مثلِ هذا في كلامِهم. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: كالجبال، واحدها: عَلَم. ورُوِيَ عن الخليلِ بنِ أحمدَ أنه قال: كلُّ شيءٍ مرتفعٌ عند العرب فهو عَلَمٌ.

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تُجريها ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ يعني الجَواري ﴿رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: سَواكِنَ على ظهرِ البحر لا يَجْرِينَ. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يُهلِكْهُنَّ ويُغرِقْهُنَّ، والمراد أهلُ السُّفن،

---

(١) النساء: ٤٥.
(٢) البقرة: ٢٦٧.

ولذلك قال: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: مِنَ الذُّنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ مِنْ ذُنوبِهم، فيُنجيهم من الهلاك. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ويَعْلَمُ» بالرفع على الاستئناف وقَطْعِه من الأول: وقرأ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ الباقون بالنَّصب، قال الفرَّاءُ: هو مَردودٌ على الجزم؛ إلاَّ أنه صُرِفَ، والجزمُ إذا صُرِفَ عنه معطوفُه نُصِبَ. وللمُفسِّرين في معنى الآية قولان: **أحدهما**: ويعلم الذين يُخاصِمون في آياتِ الله حينَ يُؤخَذون بالغَرَقِ أنه لا ملجأَ لهم. **والثاني**: أنهم يعلمون بعدَ البَعثِ أنه لا مَهْرَبَ لهم مِنَ العذاب. قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما أُعطِيتُم مِنَ الدنيا فهو مَتاعٌ تتمتَّعون به، ثم يزولُ سريعاً، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعدَّ لهم في الآخرة العذابَ.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «كبيرَ الإثم» على التوحيد مِن غير ألِفٍ، والباقون بألِفٍ. وقد شرحنا الكبائرَ في سُورةِ النِّساء[1]. وفي المراد بالفواحش ها هنا قولان: **أحدهما**: الزِّنا. **والثاني**: مُوجِباتُ الحدود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يَعفُون عمَّن ظَلَمهم طلباً لثوابِ الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه فيما دَعاهم إليه. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي يتشاورون فيه بينهم، وقال الزَّجَّاجُ: المعنى أنهم لا ينفردون برأيٍ حتى يجتمعوا عليه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ اختلفوا في هذا البَغْي على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بَغْيُ الكفَّارِ على المسلمين، قال عطاءٌ: هم المؤمنون الذين أخرجَهم الكفَّارُ مِن مكَّةَ وبَغَوْا عليهم، ثم مَكَّنهم اللهُ منهم فانتصروا. وقال زيدُ بنُ أسلَمَ: كان أصحابُ رسول الله ﷺ فِرقتين بمكَّةَ، فِرقةٌ كانت تُؤذَى فتعفو عن المشركين، وفِرقةٌ كانت تُؤذَى فتَنتصر، فأثنى الله عزَّ وجلَّ عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وقال في المنتصِرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: مِنَ المشركين. وقال ابنُ زيدٍ: ذَكَرَ المهاجرين، وكانوا صِنفَيْن، صنفاً عَفَا، وصِنفاً انتصرَ، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، فبدأ بهم، وقال في المُنتصِرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: مِنَ المشركين؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: «يُنفِقون» وهم الأنصار: ثم ذَكَرَ الصِّنفَ الثالث فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ مِنَ المشركين. **والثاني**: أنه بَغْيُ المسلمين على المسلمين خاصَّةً. **والثالث**: أنه عامٌّ في جميع البُغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

فصل: واختلف في هذه الآية علماءُ النَّاسخِ والمَنسوخِ، فذهب بعضُ القائلين بأنها في المشركين

---

(١) النساء: ٣١.

إلى أنها مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ، فكأنهم يُشيرون إلى أنها أثبتَت الانتصارَ بعد بَغْي المشركين، فلمَّا جازَ لنا أنْ نبدأهم بالقتال، دَلَّ على أنها مَنسوخةٌ. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: **أحدهما**: أنها مَنسوخةٌ بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾[1] فكأنها نبَّهت على مَدْح المُنتصِرِ، ثم أعلَمَنا أنَّ الصبرَ والغُفرانَ أمدحُ، فبانَ وجهُ النَّسخ. **والثاني**: أنها مُحكمةٌ، لأنَّ الصبرَ والغُفرانَ فضيلةٌ، والانتصار مباحٌ، فَعَلى هذا تكون مُحكمةً، وهو الأصحُّ.

فإن قيلَ: كيف الجمعُ بين هذه الآية ـ وظاهرُها مدحُ المُنتصِرِ ـ وبينَ آياتِ الحَثِّ على العفوِ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه انتصارُ المسلمين مِنَ الكافرين، وتلك رُتبةُ الجهاد كما ذكرنا عن عطاءٍ. **والثاني**: أنَّ المنتصِرَ لم يَخرج عن فعلٍ أُبيحَ له، وإنْ كان العفوُ أفضلَ، ومَنْ لم يَخرج مِنَ الشَّرعِ بفعله، حَسُنَ مدحُه. قال ابنُ زيدٍ: جعلَ اللَّهُ المؤمنين صِنفَيْن! صِنفٌ يعفو، فبدأ بذكره، وصِنفٌ ينتصر. **والثالث**: أنه إذا بَغى على المؤمِن فاسقٌ، فلأنَّ له اجتراءَ الفُسَّاقِ عليه، وليس للمؤمن أنْ يُذِلَّ نَفْسَه، فينبغي له أنْ يَكسِرَ شوكةَ العُصاة لتكونَ العِزَّةُ لأهل الدِّيْنِ. قال إبراهيمُ النَّخعيُ: كانوا يَكرهون للمؤمنين أنْ يُذِلُّوا أنفسَهم فيجترئ عليهم الفُسَّاقُ، فإذا قَدَروا عَفَوا، وقال القاضي أبو يَعلَى: هذه الآيةُ محمولةٌ على مَنْ تعدَّى وأَصَرَّ على ذلك، وآياتُ العفوِ محمولةٌ على أنْ يكونَ الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ قال مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ: هو جوابُ القبيح، إذا قال له كلمةً أجابه بمِثْلِها مِنْ غير أنْ يعتديَ. وقال مُقاتِلٌ: هذا في القِصاصِ في الجِراحاتِ والدِّماءِ. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ فلم يقتصَّ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العملَ ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني مَنْ بدأ بالظُّلم. وإنما سمَّى المُجازاةَ سيِّئةً، لِمَا بيَّنَّا عند قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[2] قال الحَسَنُ: إذا كان يومُ القيامة نادى مُنادٍ: لِيَقُمْ مَنْ كان أجرُه على الله، فلا يقوم إلاَّ مَنْ عَفا. ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: بعدَ ظُلم الظَّالم إيَّاه؛ والمصدر ها هنا مضافٌ إلى المفعول، ونظيرُه: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾[3] و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾[4]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المُنتصِرين ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: مِنْ طريقٍ إلى لَوْم ولا حَدٍّ، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: يبتدئون بالظُّلم ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي. قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصِرْ ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبر والتَّجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وقد شرحناه في آل عِمرانَ[5].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ﴾ أي: مِنْ أحدٍ يلي هدايته بعد إضلالِ الله إيَّاه. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة يسألون الرَّجعةَ إلى الدنيا ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ

(١) الشورى: ٤٣.
(٢) البقرة: ١٩٤.
(٣) فصلت: ٤٩.
(٤) صَ: ٢٤.
(٥) آل عمران: ١٨٦.

مِن سَبِيلٍ﴾؟ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النَّارِ ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أي: خاضعين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ طَرْفٍ ذليلٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقال الأخفَش: يَنظُرون مِنْ عينٍ ضعيفةٍ. وقال غيرُه: «مِنْ» بمعنى «الباء». **والثاني**: يُسارقون النَّظرَ، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: ينظُرون ببعضِ العَيْنِ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والرابع**: أنهم ينظُرون إلى النَّارِ بقلوبهم، لأنهم قد حُشِروا عُمْياً، فلم يَرَوها بأعيُنهم، حكاه الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونَهم مِنْ عذاب الله.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أي: أجيبوه، فقد دَعاكُم برسوله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهو يومُ القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يَقْدِرُ أحدٌ على رَدِّه ودَفْعِه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: مِنْ ناصرٍ ينصُركم، وقال غيرُه: مِنْ قُدرةٍ على تغيير ما نزلَ بكم. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابةِ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفظِ أعمالِهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: ما عليكَ إلاَّ أنْ تبلِّغَهم. وهذا عندَ المُفسِّرين مَنسوخٌ بآية السَّيفِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ قال المُفسِّرون: المراد به: الكافر؛ والرَّحمةُ: الغِنى والصِّحةُ والمطرُ ونحو ذلك، والسَّيِّئةُ: المرضُ والفقرُ والقَحطُ ونحو ذلك، والإنسانُ ها هنا: اسمُ جنسٍ، فلذلك قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما سَلَف مِنْ مُخالَفتِهم ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ بما سَلَفَ مِنَ النِّعَم. ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له التصرُّفُ فيها بما يريد، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني البناتِ ليس فيهنَّ ذكَرٌ، كما وَهَب لِلُوطٍ ﷺ، فلَمْ يولَدْ له إلاَّ البناتُ ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يعني البَنِينَ ليس معهم أُنثى، كما وَهَبَ لإبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسلامُ، فلم يُولَدْ له إلاَّ الذُّكورُ. ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يعني الإناثَ والذُّكورَ، قال الزَّجَّاجُ: ومعنى «يزوِّجهم»: يَقْرُنُهم، وكلُّ شيئين يَقترِنُ أحدُهما بالآخر، فهما زَوجانِ، ويُقال لكلِّ واحدٍ منهما: زَوج، تقول: عندي زوجانِ مِنَ الخِفافِ، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أنه وَضعُ المرأة غلاماً ثم جاريةً ثم غلاماً ثم جارية، قاله مُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنه وَضعُ المرأة جاريةً وغلاماً توأمين، قاله ابنُ الحَنفيَّةِ. قالوا: وذلك كما جُمِعَ لمحمدٍ ﷺ فإنه وَهَبَ له بَنِينَ وبناتٍ، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يولد له، كيَحيى بنِ زكريَّا عليهما السلامُ. وهذه الأقسامُ موجودةٌ في سائرِ الناس، وإنما ذَكروا الأنبياءَ تمثيلاً.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ

(١) الأنعام: ١٢، هود: ٣٩.

إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾. قال المُفسِّرون:

[١٢٥١] سببُ نُزولِها أنَّ اليهودَ قالوا للنبيِّ ﷺ: ألا تُكلِّم الله وتنظرُ إليه إنْ كنتَ نبياً صادقاً كما كلَّمه موسى ونَظرَ إليه؟ فقال لهم: «لم ينظر موسى إلى الله»، ونزلت هذه الآيةُ.

والمراد بالوَحي ها هنا: الوَحيُ في المنامِ. ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ كما كَلَّم موسى. ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «يُرْسِلُ» بالرفع ﴿فَيُوحِىَ﴾ بسكونِ الياء. وقرأ الباقون: «يُرْسِلَ» بنصبِ اللام «فيوحي» بتحريكِ الياء، والمعنى: «أو يرسِلَ رسولاً» كجبرائيلَ «فَيُوحي» ذلك الرسولُ إلى المُرسَلِ إليه ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾. قال مَكّيُّ بنُ أبي طالبٍ: مَنْ قرأ «أو يرسِلَ» بالنَّصبِ، عَطفَهُ على معنى قوله: «إلاّ وحياً» لأنه بمعنى: إلاَّ أنْ يُوحيَ. ومَنْ قرأ بالرفع، فعلى الابتداء، كأنه قال: أو هو يُرسِلُ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآيةُ محمولةٌ على أنه لا يُكلِّم بشراً إلاَّ مِنْ وراء حجابٍ في دار الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسلِ ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، وقيلَ: الواو عطفٌ على أولِ السُّورةِ، فالمعنى: كذلك نُوحي إليكَ وإلى الذين مِنْ قبلِكَ. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القرآن، وقال مُقاتِلٌ: وَحياً بأمرِنا.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ﴾ وذلك أنه لم يكُنْ يَعرفُ القرآنَ قبلَ الوحي ﴿وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه بمعنى الدَّعوةِ إلى الإيمان، قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنَّ المرادَ به: شرائعُ الإيمان ومعالِمُه، وهي كلُّها إيمانٌ، وقد سَمَّى الصَّلاةَ إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[(٢)] هذا اختيارُ ابنِ قُتَيبةَ، ومحمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ. **والثالث**: أنه ما كان يعرفُ الإيمانَ حين كان في المَهدِ وإذْ كان طفلاً قبلَ البلوغ، حكاه الواحِديُّ. والقولُ ما اختاره ابنُ قُتَيبةَ، وابنُ خُزَيمةَ، وقد اشتُهِرَ في الحديث عنه عليه السلامُ أنه كان قبلَ النُّبوَّة يُوحِّدُ اللَّه، ويُبْغِضُ اللاَّتَ والعُزَّى، ويَحُجُّ ويَعتمرُ، ويتَّبِعُ شريعةَ إبراهيمَ عليه السلامُ[(٣)]. قال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبَلٍ رحمة اللَّهُ: مَنْ زعمَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان على دِيْنِ قومِه، فهو قولُ سوءٍ، أليسَ كان لا يأكلُ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ؟ وقال ابنُ قُتَيبَةَ:

[١٢٥١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٩ بدون إسناد، ومن غير عزوٍ لأحد، فهو ساقط. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/٢٣٤: لم أجده. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٢٠ بتخريجنا.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/٥٣: اختلف العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ قلت: الصحيح أنه ﷺ كان مؤمناً بالله عز وجل من حين نشأ إلى حين بلوغه وقيل: ـ في معنى الآية ـ أي كنت في قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان، حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم، وهو كقوله تعالى: ﴿**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) انظر «السيرة النبوية» للذهبي ص ٤١ ـ ٤٣.

قد جاء في الحديث أنه كان على دِيْنِ قومِه أربعينَ سنة[١]. ومعناه: أنَّ العربَ لم يزالوا على بقايا مِنْ دِيْنِ إسماعيلَ، مِنْ ذلك حِجُّ البيتِ، والخِتانُ، وإيقاعُ الطلاقِ إذا كان ثلاثاً، وأنَّ للزوج الرَّجعةَ في الواحدةِ والاثنتين، ودِيَةُ النَّفسِ مائةً مِنَ الإبلِ، والغُسلُ مِنَ الجَنابةِ، وتحريمُ ذواتِ المحارمِ بالقَرابةِ والصِّهرِ، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ على ما كانوا عليه مِنَ الإيمان بالله والعملِ بشرائِعهم في الخِتان والغُسلِ والحَجِّ، وكان لا يَقربُ الأوثانَ، ويَعيبُها. وكان لا يَعرف شرائعَ الله التي شَرَعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يعني شرائعَ الإيمان؛ ولم يُرِد الإيمانَ الذي هو الإقرارُ بالله، لأنَّ آباءَه الذين ماتوا على الشِّركِ كانوا يُؤمنون بالله ويَحجُّون له البيتَ مع شِركِهم. قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنَّها ترجعُ إلى القرآن. **والثاني**: إلى الإيمانِ. ﴿نُورًا﴾ أي: ضياءً ودليلاً على التوحيد ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى دِيْنِ الحقِّ. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ أي: لَتَدعوَ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلامُ.

(١) ليس بحديث، وإنما هو رأي لبعض أهل العلم، وهو مرجوح، بل الصواب أنه على دين إبراهيم عليه السلام، لأن قومه كانوا على الشرك كما نطق القرآن بذلك في آيات كثيرة فمن ذلك **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة...﴾** والمراد بالمشركين هنا قريش وما والاها، فتنبه، والله أعلم.

سورة الزخرف

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

وهي مكية بإجماعهم. وقال مقاتل: هي مكيّة، إلاّ آيةً، وهي قوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قد تقدَّم بيانه. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قسمٌ بالقرآن. ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ قال سعيدُ بن جُبَير: أنزلْناه. وما بعدَ هذا قد تقدَّم بيانه(٢) إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: في أصل الكتاب، وأصلُ كلِّ شيءٍ: أُمُّه، والقرآن مُثْبَتٌ عند الله عزَّ وجلَّ في اللَّوح المحفوظِ. قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي: رَفيعٌ. وفي معنى الحكيم قولان: **أحدهما**: مُحْكَمٌ، أي: ممنوعٌ مِنَ الباطل، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: حاكمٌ لأهل الإيمان بالجنَّةِ ولأهل الكُفرِ بالنَّار، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، والمعنى: إنْ كذَّبتم به يا أهلَ مكَّةَ فإنه عندنا شريفٌ عظيمُ المَحَلِّ. قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: نُمْسِكُ عنكم فلا نذكُركم صَفحاً، أي: إعراضاً، يُقال: صَفَحْتُ عن فُلانٍ: إذا أعرضتَ عنه، والأصل في ذلك أنْ تُولِّيه صَفْحة عُنقِك، قال كُثَيِّرٌ يصف امرأةً:

صَفُوحاً فما تَلْقاكَ إلاَّ بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلَّ منها ذلك الوَصْلَ مَلَّتِ(٣)

أي: مُعْرِضة بوجهِها، يُقال؛ ضَرَبْتُ عن فُلانٍ كذا: إذا أمسكتَه، وأضربتَ عنه. ﴿أَن كُنتُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «أن كنتم» بالنَّصب، أي: لأَنْ كنتم قوماً مُسرفين. وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إن كنتم» بكسرِ الهمزة. قال الزَّجَّاجُ: وهذا على معنى الاستقبال،

---

(١) الزخرف: ٤٥.
(٢) النساء: ٨٢، يوسف: ٢.
(٣) البيت لكثير عزة كما في «اللسان» ـ صفح ـ

أي: إنْ تكونوا مُسرفين نَضْرِبْ عنكم الذِّكرَ. وفي المراد بالذِّكرِ قولان(١): **أحدهما**: أنه ذِكْرُ العذاب، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن عذابِكُم ونترُكُكم على كُفرِكُم؟! وهذا معنى قول ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ. **والثاني**: أنه القرآن، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن إنزالِ القرآن مِنْ أجل أنكم لا تُؤمنون به؟! وهو معنى قول قَتادَة، وابنِ زيدٍ. وقال قَتادَةُ: «مُسْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلَمَ نبيَّه أنِّي قد بَعثتُ رُسُلاً فكُذِّبوا فأهلكتُ المُكذِّبين بالآيات التي تَلِي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ أي: مِنْ قُريشٍ ﴿بَطْشًا﴾ أي: قُوَّةً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سَبَق وصفُ عِقابِهم فيما أُنزلَ عليكَ. وقيلَ: سبقَ تشبيهُ حالِ أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المُشابهةُ بينهم في الإهلاك. ثم أخبرَ عن جهلِهم حين أقَرُّوا بأنه خالقُ السَّمواتِ والأرضِ ثم عَبَدوا غيرَهُ بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسَّرةٌ في طه(٢) إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفارِكُم إلى مقاصِدِكُم.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أنه ليس كما أنزل على قومِ نوحٍ بغير قَدَرٍ فأغرقَهُم، بل هو بقَدَرٍ ليكونَ نافعاً. ومعنى «أنشَرْنا» أحيَيْنا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وابنُ عامرٍ: «تَخْرُجُونَ» بفتح التاء وضمِّ الراء، والباقون بضمِّ التاء وفتحِ الراء. وما بعدَ هذا قد سبقَ(٣) إلى قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هاء التذكير لـ «ما». ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ إذْ سخَّر لكم ذلك المَركبَ في البرِّ والبحر، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ: أي: مُطيقين، قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: أنا مُقْرِنٌ لكَ، أي: مُطيقٌ لكَ، ويُقال: هو مِنْ قولهم: أنا قِرْنٌ لفلانٍ: إذا كنتَ مثلَهُ في الشِّدة، فإنْ قلتَ: أنا قَرْنٌ لِفلانٍ ـ بفتح القاف ـ فمعناه: أنْ تكونَ مثلَهُ بالسِّنِّ. وقال أبو عُبيدَةَ: «مُقْرِنِينَ» أي: ضابِطين، يُقال: فلانٌ مُقْرِنٌ لفلانٍ: أي: ضابطٌ له.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أي: راجعون في الآخرة.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ أمَّا الجَعْلُ ها هنا، فمعناه: الحُكمُ بالشيء، وهم الذين

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/١٦٧: وأولى التأولين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوماً مسرفين لا تؤمنون بربكم.

(٢) طه: ٥٣.

(٣) يس: ٣٦، ٤٢.

زعموا أنَّ الملائكة بناتُ الله؛ والمعنى: جَعلوا له نصيباً مِنَ الولدِ، قال الزَّجَّاجُ: وأنشدني بعضُ أهل اللغة بيتاً يدل على أنَّ معنى «جزءٍ» معنى الإناث ـ ولا أدري البيتَ قديمٌ أو مصنوعٌ:

إنْ أجْزَأَتْ حُرَّةٌ، يَوْماً، فلا عَجَبٌ ... قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أحيانا

أي: آنثَتْ، وَلَدَتْ أُنثى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جَحودٌ لِنعمَ الله عزَّ وجلَّ ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهرُ الكُفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهامُ توبيخ وإنكارٍ ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أي: أخلصَكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: بما جعلَ لله شَبهاً، وذلك أنَّ وَلدَ كلِّ شيءٍ شبهُه وجنسُه. والآية مفسَّرةٌ في النَّحل[1].

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ، وحفصٌ: «يُنَشَّأُ» بضم الياء وفتح النون وتشديدِ الشين؛ وقرأ الباقون: بفتح الياء وسكونِ النون. قال المُبَرِّدُ: تقديره: أوَ يجعلون مَنْ يُنَشَّأُ ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الحِلْية: الحِلَى. قال المُفسِّرون: والمراد بذلك: البنات، فإنَّهنَّ زُيِّنَّ في الحُليِّ. والخِصامُ بمعنى المُخاصمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حُجَّة. قال قَتادةُ: قلَّما تتكلَّمُ امرأةٌ بحُجَّتها إلاَّ تكلَّمتْ بالحُجَّة عليها. وقال بعضُهم: هي الأصنام.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾
وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن
قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الجَعْلُ ها هنا بمعنى القول والحُكم على الشيء، تقول: قد جعلتُ زيداً أعلَمَ الناسِ، أي: قد وَصفتُهُ بذلك وحَكمتُ به. قال المُفسِّرون: وجَعْلُهم الملائكةَ إناثاً قولُهم: هُنَّ بناتُ الله. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبَانُ عن عاصِمٍ، والشَّيزَريُّ عن الكِسَائيِّ: «عِنْدَ الرحمن» بنونٍ مِنْ غيرِ ألِفٍ، وقرأ الباقون: «عِبادُ الرحمن» ومعنى هذه القراءة: جعلوا له مِنْ عباده بناتٍ. والقراءةُ الأُولى موافقةٌ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[2]، وإذا كانوا في السماء كان أبْعَدَ لِلعِلْم بحالِهم. ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ قرأ نافعٌ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «أَأُشهِدوا» بهمزتين، الأولى مفتوحةٌ والثانية مضمومةٌ. وروى المُسَيَّبِيُّ عن نافعٍ: «أوُشهِدُوا» ممدودةً مِنْ أَشهدتُ، والباقون لا يُمدُّون. «أشهِدوا» مِنْ شَهِدتُ، أي: أحضَروه فعرَفوا أنهم إناثٌ؟! وهذا توبيخٌ لهم إذ قالوا فيما يُعْلَم بالمُشاهدةِ مِنْ غيرِ مُشاهدَةٍ. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ على الملائكة أنها بناتُ الله.

---

(١) النحل: ٥٨. (٢) الأعراف: ٢٠٦.

[١٢٥٢] وقال مُقاتِلٌ: لمَّا قال الله عزَّ وجلّ: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾، سُئِلوا عن ذلك فقالوا: لا، فقال النبيُّ ﷺ: «فما يُدريكُم أنها إناثٌ؟» فقالوا: سَمِعنا مِنَ آبائِنا، ونحنُ نَشهَدُ أنهم لم يَكذِبوا، فقال الله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة.

وقرأ أبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ: «سَنَكْتُبُ» بنونٍ مفتوحةٍ «شهادَتهم» بنَصبِ التاء، ووافقهم ابنُ أبي عَبلَة في «سنكْتُبُ» وقرأ: «شهاداتِهم» بألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ في المَكنيِّ عنهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ في آخرين. **والثاني**: الأوثان، قاله مُجاهِدٌ. وإنَّما عَنَوْا بهذا أنه لو لم يَرْضَ عبادَتَنا لها لَعجَّلَ عقوبَتَنا، فردَّ عليهم قولَهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾. وبعضُ المُفسِّرين يقول: إنما أشارَ بقوله: «ما لهم بذلك مِنْ عِلْم» إلى ادعائِهم أنَّ الملائكةَ إناثٌ، قال: ولم يَتعرَّضْ لقولِهم: «لو شاء الرَّحمنُ ما عَبَدْناهُم» لأنه قولٌ صحيحٌ؛ والذي اعتمدنا عليه أصحُّ، لأنَّ هذه الآيةَ كقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾(١)، وقوله: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾(٢)، وقد كشفنا عن هذا المعنى هنالك. و «يَخرُصُونَ» بمعنى: يكذبون. وإنَّما كذَّبهم، لأنهم اعتقدوا أنه رَضِيَ منهم الكُفرَ دِيناً. ﴿أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ هذا القرآن، أي: بأَنْ يعبدوا غيرَ الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ يأخذون بما فيه. ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على سُنَّةٍ ومِلَّةٍ ودِينٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ فجعلوا أنفسَهم مُهتَدين بمجرَّدِ تقليد الآباء مِنْ غيرِ حُجَّةٍ؛ ثم أخبرَ أنَّ غيرَهم قد قال هذا القولَ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما قالوا قال مُترَفو القُرى مِنْ قَبلِهم، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ بهم. ﴿قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «قال أوَلَوْ جِئتُكم» بألِفٍ. قال أبو عليٍّ: فاعلُ «قال» النَّذيرُ، المعنى: فقال لهم النَّذيرُ. وقرأ أبو جعفرَ: «أوَلَوْ جئناكم» بألِفٍ ونونٍ ﴿بِأَهْدَىٰ﴾ أي: بأصوبَ وأرشَدَ. قال الزَّجّاجُ: ومعنى الكلام: قُلْ: أتَّبعونَ ما وَجدتُم عليه آباءَكُم وإنْ جِئتُكُم بأهدَى منه؟! وفي هذه الآيةِ إبطالُ القولِ بالتقليد. قال مُقاتِلٌ: فَرَدُّوا على النبيِّ ﷺ فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾؛ ثم رجعَ إلى الأُمَمِ الخالية، فقال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ قال الزَّجّاجُ: البَراءُ بمعنى البَريء، والعرب تقول للواحد: أنا البَراءُ منكَ، وكذلك للاثنين والجماعة، وللذَّكر والأنثى، يقولون: نحنُ البَراءُ منك والخَلاءُ منكَ، لا يقولون: نحن البَراءانِ منك، ولا البَراءونَ منك، وإنما المعنى: أنا ذو البَراءِ منكَ، ونحن ذو البَراءِ

[١٢٥٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث. وعزاه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٦٨ للكلبي ومقاتل، والكلبي كذاب أيضاً، فهذا الخبر لا شيء.

---

(١) الأنعام: ١٤٨. (٢) يسۤ: ٤٧.

منكَ، كما يُقال: رجلُ عَدْلٌ، وامرأةُ عدلٌ. وقد بيَّنَّا استثناءَ إبراهيمَ ربَّه عزَّ وجلَّ مما يعبدون عند قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني كلمةَ التوحيد، وهي: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: فيمَنْ يأتي بعدهُ مِنْ وَلَدِه، فلا يزال فيهم مُوحِّدٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد كلُّهم إذا سمعوا أنَّ أباهم تبرَّأَ مِنَ الأصنام ووَحَّدَ اللهَ عزَّ وجلَّ.

ثم ذَكر نِعمتَهُ على قُريشٍ فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ والمعنى: إنِّي أجزلتُ لهم النِّعمَ ولم أعاجِلْهُم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ، فكان ينبغي لهم أنْ يُقابِلوا النِّعَمَ بالطَّاعةِ للرَّسولِ، فخالَفوا. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني قُريشاً في قولِ الأكثرين. وقال قَتادةُ: هم اليهود. و ﴿ٱلْحَقُّ﴾ القرآن.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أمَّا القَرْيتان، فمَكَّةُ والطَّائفُ، قاله ابنُ عباسٍ، والجماعة؛ وأمَّا عظيمُ مكَّةَ، ففيه قولان[2]: **أحدهما**: الوليدُ بنُ المُغيرةِ القُرشِيّ، رَواه العَوفيُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ، قاله مُجاهِدٌ. وفي عظيمِ الطَّائفِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حبيبُ بنُ عمروِ بنِ عُميرِ الثَّقفيُّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَسعودُ بنُ عمروِ بنِ عُبيدِ الله، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه أبو مسعودٍ عُروةُ بنُ مسعودٍ الثَّقفيُّ، رَواه ليثٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادةُ. **والرابع**: أنه ابنُ عَبْدِ ياليل، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: كِنانَةُ بنُ عبدِ بنِ عمروِ بنِ عُميرِ الطَّائفيُّ، قاله السُّدِّيُّ.

فقال الله عزَّ وجلَّ رَدّاً عليهم وإنكاراً: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني النُّبوَّةَ، فيَضعُونها حيث شاؤوا، لأنهم اعترضوا على الله بما قالوا. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ المعنى أنه إذا كانت الأرزاقُ بقَدَرِ الله، لا بحَوْلِ المُحتالِ ـ وهو دونَ النُّبوَّة ـ فكيف تكون النُّبوَّةُ؟! قال قَتادةُ: إنكَ لَتَلْقَى ضعيفَ الحِيلَةِ عييَّ اللِّسان قد بُسِطَ له الرِّزْقُ، وتَلْقَى شديدَ الحِيلَةِ بسيطَ اللسانِ وهو مَقتورٌ عليه. قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بالغِنى والفقرِ. **والثاني**: بالحُرِّيَةِ والرِّقِ ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ مُحيصِنٍ: «سِخْرِيّاً» بكسرِ السين. ثم فيه قولان: **أحدهما**: يستخدم الأغنياءُ الفقراءَ بأموالِهم، فيَلْتَئِمُ قِوامُ العالَم، وهذا على القولِ الأول. **والثاني**: لِيملِكَ بعضُهم بعضاً بالأموال فيتَّخذونَهم عبيداً، وهذا على الثاني. قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**:

---

(١) الشعراء: ٧٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٥٠: والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان. وبه قال الطبري.

النُّبوّة خيرٌ مِنْ أموالِهم التي يَجمعونَها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الجنَّةُ خيرٌ ممَّا يجمعون في الدنيا، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لولا أنْ يجتمعوا على الكُفرِ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: على إيثارِ الدنيا على الدِّينِ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ لِهَوانِ الدنيا عندَنا. قال الفَرَّاءُ: إنْ شئتَ جعلتَ اللامَ في «لبيُوتهم» مكرَّرةً، كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[1] وإنْ شئتَ جعلتَها بمعنى «على»، كأنه قال: جَعَلْنا لهم على بيُوتهم، تقول للرجل: جعلتُ لكَ لقومكَ الأعطيةَ، أي: جعلتُها مِنْ أجلكَ لهم.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «سَقْفاً» على التوحيد. وقرأ الباقون: «سُقُفاً» بضمِّ السينِ والقافِ جميعاً[2]. قال الزَّجَّاج: والسَّقفُ واحدٌ يدلُّ على الجمع؛ فالمعنى: جعلْنا لبيتِ كلِّ واحدٍ منهم سقفاً مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَمَعَارِجَ﴾ وهي الدَّرجُ؛ والمعنى: وجعلْنا معارجَ مِنْ فِضَّةٍ، وكذلك «ولبيوتهم أبواباً» أي مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَسُرُرًا﴾ أي مِنْ فِضَّةٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يَعْلُون، يُقال: ظَهَرْتُ على البيتِ: إذا عَلَوْتَ سَطحَهُ. قوله تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وهو الذَّهبُ؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وغِنىً ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المعنى: لَمَتاعُ الحياة الدنيا، و «ما» زائدةٌ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ: «لَمّا» بالتشديد، فجعَلاهُ بمعنى «إلاّ»؛ والمعنى: إنَّ ذلك يُتمتَّع به قليلاً ثم يزولُ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصَّةً لهم.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/ ٧٤: استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن السقف لاحق لرب العلو، لأن الله تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل الأبواب لها. وهذا مذهب مالك رحمه الله.
قال ابن العربي: وذلك لأن البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب. فمن له البيت فله أركانه ولا خلاف أن العلو له إلى السماء. واختلفوا في السفل، فمنهم من قال: هو له ومنهم من قال: ليس له في باطن الأرض شيء. وفي مذهبنا القولان. ومن أحكام العلو والسفل: إذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل السفل أو يريد صاحبه هدمه فذكر سحنون عن أشهب أنه قال: إذا أراد صاحب السفل أن يهدم، أو أراد صاحب العلو أن يبني علوه فليس لصاحب السفل أن يهدم إلا من ضرورة. ويكون هدمه له أرفق لصاحب العلو، لئلا ينهدم بانهدامه العلو، وليس لربّ العلو أن يبني على علوه شيئاً لم يكن قبل ذلك إلا الشيء الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل. وحجة مالك وأشهب، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». أخرجه البخاري ٢٤٩٣ وغيره. وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُعرِض، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والفَرَّاءُ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: يَعْمَ، رُوِيَ عن ابنِ عباس أيضاً، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه البَصَرُ الضَّعيفُ، حكاه المَاوَرديُ. وقال أبو عُبيدَةَ: تُظْلِمْ عينُه عنه. وقال الفَرّاءُ: مَنْ قرأ: «يَعْشُ»، فمعناه: يُعرِضْ، ومَنْ نصب الشينَ، أراد: يَعْمَ عنه؛ قال ابنُ قُتَيبة: لا أرى القولَ إلاَّ قولَ أبي عُبيدَةَ، ولم نَرَ أحداً يُجيزُ «عَشَوْتُ عن الشيءِ»: أعرضتُ عنه، إنَّما يُقال: «تَعاشَيْتُ عن كذا»، أي: تغافلتُ عنه، كأنّي لم أرَهُ، ومثلُه: تعامَيْتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النَّار»: إذا استدَلَلْتَ إليها ببَصَرٍ ضعيفٍ، قال الحُطَيئةُ:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

ومنه حديثُ ابنِ المُسَيِّبِ: «أنَّ إحدى عينَيْه ذهبتْ، وهو يَعْشُو بالأخرى»، أي: يُبْصِرُ بها بَصَراً ضعيفاً. قال المُفسِّرون: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فلم يَخَفْ عِقابَهُ ولم يلتفِتْ إلى كلامه نقيِّضْ له أي: نُسَبِّبْ له شيطاناً فنجعل ذلك جزاءَهُ فهو له قرين لا يُفارقه. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ يعني الكافرين، أي: يمنَعونَهم عن سبيل الهُدى؛ وإنما جمع، لأنَّ «مَنْ» في موضعِ جمعٍ، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ يعني كفَّارَ بني آدمَ ﴿أَنَّهُم﴾ على هُدىً. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «جاءنا» واحدٌ، يعني الكافر. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «جاءانا» بألِفَيْنِ على التثنية، يَعنونَ الكافرَ وشيطانَهُ. وجاء في التفسير أنهما يُجعلان يومَ البَعثِ في سِلسِلَةٍ، فلا يفترقان حتى يُصيِّرَهما اللّهُ إلى النَّارِ، قال الكافرُ للشيطانِ: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: بُعْدَ ما بينَ المَشرِقَيْنِ؛ وفيهما قولان: **أحدهما**: أنهما مَشرِقُ الشمس في أقصرِ يوم في السَّنةِ، ومَشرِقُها في أطولِ يوم، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه أراد المَشرِقَ والمَغرِبَ، فغلَّبَ ذِكْر المَشرِقِ، كما قالوا: سُنَّةُ العُمَرَيْن، يريدون: أبا بكرٍ وعمرَ، وأنشدوا مِنْ ذلك:

أَخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ ... لَنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ(١)

يريد: الشمسَ والقمرَ؛ وأنشدوا:

فَبَصْرَةُ الأزْدِ مِنَّا والعِراقُ لَنا ... والمَوْصِلانِ ومِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ

يريد: الجزيرةَ والمَوصِلَ، وهذا اختيارُ الفَرّاءِ، والزَّجّاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أي: أنتَ أيُّها الشَّيطانُ. ويقول الله عزَّ وجلَّ يومئذٍ للكفَّارِ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: أشركتُم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعَكم الشَّرِكَةُ في العذاب، لأنَّ لكلِّ واحدٍ منه الحظَّ الأوفرَ. قال المُبرِّدُ: مُنِعوا رُوحَ التَّأسِّي، لأن التَّأسِّيَ يُسهِّل المُصيبةَ، وأنشد للخَنساءِ أختِ صَخرِ بنِ مالكٍ في هذا المعنى:

ولَوْلا كَثْرَةُ الباكِينَ حَوْلِي ... عَلى إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يَبْكُونَ مِثْلَ أخِي ولَكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأسِّي

وقرأ ابنُ عامرٍ: «إِنَّكم» بكسرِ الألِفِ. ثم أخبرَ عنهم بما سبق لهم مِنَ الشَّقاوةِ بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ...﴾ الآيَة.

(١) البيت للفرزدق، ديوانه: ٥١٩، و «الكامل» ١٢٤.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ قال أبو عُبيدَة: معناها: فإنْ نَذْهَبَنَّ؛ وقال الزَّجَّاجُ: دخلت «ما» توكيداً للشَّرط، ودخلت النونُ الثقيلةُ في «نَذْهَبَنَّ» توكيداً أيضاً؛ والمعنى: إنَّا ننتقِم منهم إنْ تُوفِّيتَ أوْ نُرِيَنَّكَ ما وَعَدْناهم ووعَدْناكَ فيهم مِنَ النَّصرِ. قال ابنُ عباسٍ: ذلك يومَ بدرٍ. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ منسوخٌ بآية السَّيفِ، ولا وجهَ له.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي شَرَفٌ لَكَ بما أعطاكَ الله ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ في قومه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العرب قاطبةً. **والثاني**: قُريشٌ. **والثالث**: جميع مَنْ آمَنَ به.

[١٢٥٣] وقد روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سُئِلَ: لِمَنْ هذا الأمرُ مِنْ بعدِكَ؟ لم يُخْبِر بشيءٍ، حتى نزلت هذه الآيةُ، فكان بعدَ ذلك إذا سُئِلَ قال: «لقريش» وهذا يَدُلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ فَهِمَ مِنْ هذا أنه يَلِي على المسلمين بحُكْمِ النُّبوَّة وشَرَفِ القرآن، وأنَّ قومَهُ يَخْلُفونَهُ مِنْ بعدِه في الوِلايةِ لِشَرفِ القرآن الذي أُنزلَ على رجُلٍ منهم. ومذهبُ مُجاهِدٍ أنَّ القومَ ها هنا: العرب، والقرآنُ شَرَفٌ لهم إذْ أُنزلَ بلُغتِهم.

قال ابنُ قُتيبَة: إنما وُضِعَ الذِّكرُ موضعَ الشَّرَفِ لأنَّ الشَّريفَ يُذْكَر. وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قولان. **أحدهما**: عن شُكرِ ما أُعطِيتُم مِنْ ذلك. **والثاني**: عمَّا لَزِمَكُم فيه مِنَ الحقوقِ.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ إنْ قيلَ: كيف يسأل الرُّسلَ وقد ماتوا قبلَهُ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ[1]: **أحدها**: أنه لمَّا أُسرِيَ به جُمِعَ له الأنبياءُ فصلَّى بهم، ثم قال له جِبريلُ: سَلْ مَنْ أرسلْنا

[١٢٥٣] لا أصل له ذكره المصنف تعليقاً، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، حيث روى تفسيراً كاملاً عن الضحاك عن ابن عباس، وهو مصنوع، والضحاك لم يلق ابن عباس.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/١٩٢: وأولى القولين بالصوال في تأويل ذلك قول من قال: عني به: =

قَبْلَكَ. . . الآية. فقال: لا أسألُ، قد اكتَفَيْتُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، والزُّهري، وابنِ زيدٍ، قالوا: جُمِعَ له الرُّسلُ ليلةَ أُسرِيَ به، فَلَقِيَهم، وأُمِرَ أنْ يسأَلهم، فما شَكَّ ولا سأَلَ. والثاني: أنَّ المراد: اسأَلْ مؤمني أهلِ الكتاب مِنَ الذين أُرسِلَتْ إليهم الأنبياءَ، رُويَ عن ابنِ عباسٍ، والحَسنِ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ في آخرين. قال ابنُ الأنْبَاري: والمعنى سَلْ أتباعَ مَنْ أرسَلْنا قَبْلَكَ، كما تقول: السَّخاءُ حاتِمٌ، أي: سَخَاءُ حاتِمٍ، والشِّعرُ زهيرٌ، أي: شِعرُ زُهيرٍ. وعند المُفسِّرين أنه لم يسأَلْ على القولين. وقال الزَّجَّاجُ: هذا سؤالُ تقريرٍ، فإذا سأَل جميعَ الأمم، لم يأتوا بأن في كُتبهم: أنِ اعبُدُوا غيري. والثالث: أنَّ المُراد بخطاب النبيِّ ﷺ: خطابُ أُمَّتِه، فيكون المعنى سَلُوا، قاله الزَّجَّاجُ. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بها وتكذيباً. ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ يعني ما تَرادفَ عليهم مِنَ الطُّوفانِ والجَرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ والدَّمِ والطَّمْسِ[١]، فكانت كُلُّ آيةٍ أكبرَ مِنَ التي قَبْلَها، وهي العذابُ المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾، فكانت عذاباً لهم، ومعجزاتٍ لموسى عليه السلام. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾، في خطابهم له بهذا ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم أرادوا: يا أيُّها العالِمُ، وكان السَّاحرُ فيهم عظيماً، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنهم قالوه على جهةِ الاستهزاءِ، قاله الحَسنُ. والثالث: أنهم خاطبوه بما تقدَّم له عندهم مِنَ التَّسمية بالسَّاحرِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون بكَ. فَدَعا موسى، فكُشِفَ عنهم، فلم يُؤمِنوا. وقد ذكرنا ما تركناه ها هنا في الأعراف[٢]. قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي: مِنْ تحتِ قُصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمَتي وشِدَّة مُلْكِي؟! ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أراد: بل أنا خَيْرٌ. وحكى الزَّجَّاجُ عن سِيْبَويه والخَليلِ أنهما قالا: عطف «أنا» بـ «أمْ» على «أفلا تُبْصِرون» فكأنه قال: أفلا تُبْصِرون أَمْ أنتم بُصَراءُ؟! لأنهم إذا قالوا: أنتَ خيرٌ منه، فقد صاروا عنده بُصَراءَ. قال الزَّجَّاجُ: والمَهِين: القليل؛ يُقال: شيءٌ مَهِينٌ، أي: قليل. وقال مُقاتِلٌ: «مَهِين» بمعنى ذليل ضعيف. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أشار إلى عُقدَةِ لسانه التي كانت به ثم أذهبَها اللَّهُ عنه، فكأنه عَيَّرَهُ بشيءٍ قد كان وزالَ، ويدلُ على زَوالِه قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٣]، وكان في سؤاله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾[٤]. وقال بعضُ العلماء: ولا يكاد يُبِين الحُجَّةَ ولا يأتي ببيانٍ يُفْهِمُ. ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: فهلاَّ ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ وقرأ حَفْصٌ عن عاصِم: «أَسْوِرَةٌ» بغير ألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: واحد الأساوِرة إسْوَار، وقد تكون الأساوِرَة جمعَ أَسْوِرَةٍ، كما يُقالُ في جمع الأسْقِيَة: الأساقي، وفي جمع الأكْرُع: الأكارع. وقال الزَّجَّاجُ: يصلُح أنْ تكونَ الأساوِرَة جمعَ الجمع، تقول: أَسْوِرَة وأساوِرة، كما تقول: أقوال وأقاويل، ويجوز أن تكونَ جمعَ إسْوَار، وإنما صَرفتَ أساوِرَة، لأنكَ ضَممتَ الهاءَ إلى أساوِر، فصارَ اسماً واحداً، وصار له مثالٌ في الواحد، نحو «علانية».

= سل مؤمني أهل الكتابين. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٥٢: قوله: **﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾**: أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد.

(١) في «اللسان»: الطموس: الدّروس والانمحاء، وطموس البصر: ذهاب نوره وضوئه.

(٢) الأعراف: ١٣٥. (٣) طه: ٣٦. (٤) طه: ٢٧.

قال المُفسّرون: إنما قال فِرعَونُ هذا، لأنهم كانوا إذا سَوَّدوا الرجلَ منهم سَوَّرُوه بِسِوَارٍ. ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: متتابعين، قاله قتادة: **والثاني**: يمشون معه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ قال الفَرَّاءُ: استفزَّهم؛ وقال غيره: استخَفَّ أحلامَهم وحَملَهم على خِفَّة الحِلْم بكَيدِه وغُروره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ في تكذيب موسى. ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: أغضبونا. قال ابنُ قُتيبَة: الأسَفُ: الغَضَب، يُقال: أسِفتُ آسَفُ أسَفاً، أي: غَضِبْتُ. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ أي: قوماً تقدَّموا. وقرأها أبو هُريرَةَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ الأعرَجُ: «سُلَفاً» بضمّ السين وفتحِ اللام، كأنَّ واحدتَهُ سُلْفَةٌ مِنَ الناس، مثل القِطعة، يُقال: تقدّمتْ سُلْفَةٌ مِنَ الناس، أي: قِطعةٌ منهم. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «سُلُفاً» بضمّ السين واللام، وهو جمع «سَلَف»، كما قالوا: خَشَب وخُشُب، وثَمَر وثُمُر، ويُقال: هو جمع سَلِيفٍ، وكلُّه مِن التقدم. وقال الزَّجّاجُ: السَّلِيف جمعٌ قد مضى؛ والمعنى: جعلْناهم سَلَفاً متقدِّمين لِيتَّعظَ بهم الآخرون. قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا﴾ أي: عِبرةً وعِظَةً.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ
لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم
بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثرُ المُفسّرين على أنَّ هذه الآيةَ نزلت في مُجادَلةِ ابنِ الزِّبَعْرى رسولَ الله ﷺ حينَ نزلَ قولُه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ. . .﴾ الآيةَ[١]. وقد شرحنا القصة في سُورَة الأنبياء[٢]. والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مَثَلاً لآلِهَتِهم وشَبَّهوه بها، لأنَّ تلكَ الآيةَ إنما تضمَّنت ذِكرَ الأصنام، لأنها عُبِدَتْ مِنْ دونِ الله، فألزَمُوه عيسى، وضربوه مَثَلاً لأصنامِهم، لأنه معبودُ النَّصارى، والمراد بقومه: المشركون. فأمَّا ﴿يَصِدُّونَ﴾ فقرأ ابنُ عامرٍ، ونافعٌ، والكِسَائيُّ: بضم الصاد، وكَسرَها الباقون؛ قال الزَّجّاجُ: ومعناهما جميعاً: يَضِجُّون، ويجوز أن يكونَ معنى المضمومَة: يُعْرِضون. وقال أبو عُبيدَةَ: مَنْ كسرَ الصادَ، فمَجازُها: يَضِجُّون، ومَنْ ضمَّها، فمَجازُها: يَعْدِلون.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإنْ كان في النّارِ لأنه عُبِدَ مِنْ دون الله، فقد رضينا أنْ تكونَ آلهتُنا بمنزلَتِه. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي: ما ذَكَروا عيسى إلاَّ لِيُجادلوكَ به، لأنهم قد عَلِموا أنَّ المراد بـ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٣] ما اتَّخذوه مِنَ المَواتِ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: أصحاب خصوماتٍ.

---

(١) الأنبياء: ٩٨. (٢) الأنبياء: ١٠١. (٣) الأنبياء: ١٠١.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾ أي: آيةً وعِبرةً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعرِفون به قُدرةَ الله على ما يريد، إذ خَلَقَهُ مِنْ غيرِ أبٍ. ثم خاطب كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: لَجَعَلْنا بدلاً منكم ملائكةً؛ ثم في معنى «يَخْلُفُونَ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَخلُف بعضُهم بعضاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَخلُفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: يخلُفون الرُّسلَ فيكونون رُسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه المَاوَرديُّ.

والقول الثاني: أنَّ المعنى: «ولو نشاء لَجعَلْنا منكم ملائكة» أي: قَلَبْنا الخِلْقةَ فجعَلْنا بعضَكم ملائكةً يخلُفون مَنْ ذَهب منكم، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها تَرْجِعُ إلى عيسى عليه السلامُ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: نُزولُ عيسى مِنْ أشراطِ الساعةِ يُعْلَم به قُرْبُها، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادَةَ والضَّحَّاكِ والسُّدِّيِّ. والثاني: أنَّ إحياءَ عيسى المَوتى دليلٌ على الساعةِ وبَعثِ الموتى، قاله ابنُ إسحاقَ. **والقول الثاني**: أنها تَرْجِع إلى القرآن، قاله الحسَنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقرأ الجمهور: «لَعِلْمٌ» بكسرِ العين وتسكينِ اللام؛ وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِ الرَّحمن وقَتادَةُ وحُمَيدٌ وابنُ مُحَيصنٍ بفتحِهما. قال ابنُ قُتَيبَة: مَنْ قرأ بكسرِ العين فالمعنى أنه يُعْلَم به قُرْبُ الساعة، ومَنْ فتحَ العينَ واللامَ فإنه بمعنى العلامةِ والدليلِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: فلا تَشُكُّنَّ فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ قد شرحنا هذا في سُورةِ البَقرة[1]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: النُّبوَّة، قاله عطاءٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: الإنجيل، قاله مُقاتِلٌ. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: مِنْ أمرِ دِينِكم؛ وقال مُجاهِدٌ: «بعضَ الذي تختلفون فيه» مِنْ تبديل التَّوراةِ؛ وقال ابنُ جَريرٍ: مِنْ أحكام التَّوراةِ. وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ البعضَ ها هنا بمعنى الكُلِّ. وقد شرحنا ذلك في حَم المؤمن[2]؛ قال الزَّجَّاج: والصحيح أنَّ البعضَ لا يكون في معنى الكُلِّ، وإنما بيَّنَ لهم عيسى بعضَ الذي اختلَفوا فيه ممَّا احتاجوا إليه؛ وقد قال ابنُ جرير: كان بينهم اختلافٌ في أمرِ دِينِهم ودُنياهم، فبيَّنَ لهم أمرَ دِينِهم فقط. وما بعدَ هذا قد سبَقَ بيانُه[3] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ.

﴿الْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّآءُ﴾ أي في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأنَّ الخُلَّةَ إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوةً يومَ القيامة؛ وقال مُقاتِلٌ: نزلت في أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ وعُقبَة بنِ

(١) البقرة: ٨٧. (٢) غافر: ٢٨. (٣) النساء: ١٧٥ ـ مريم: ٣٧.

أبي مُعَيطٍ ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. فإذا وقعَ الخوفُ يومَ القيامة نادى مُنادٍ ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرفع الخلائقُ رؤوسَهم، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، فيُنكِّس الكفارُ رؤوسَهم. قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحالين وإسكانِها، وحَذَفها في الحالين ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ، والمُفضَّلُ عن عاصمٍ، وخَلفٌ. وفي أزواجِهم قولان: **أحدهما**: زَوجاتُهم. **والثاني**: قُرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ قال الزَّجَّاج: واحدها صَحْفَة، وهي القَصْعَة. والأكواب، واحدها: كُوب، وهو إناءٌ مستديرٌ لا عُرْوَة له؛ قال الفَرَّاءُ: الكُوب: الكُوز المستديرُ الرأسِ الذي لا أُذُنَ له، وقال عَدِيٌّ:

مُـتَّـكِـئـاً تَـصْـفِـقُ أبـوابُـه   يَـسْـعَـى عـلـيـه الـعَـبْـدُ بـالـكُـوبِ[2]

وقال ابنُ قُتَيبَة: الأكوابُ: الأباريق التي لا عُرَى لها. وقال شيخنا أبو منصورٍ اللغويُ: وإنما كانت بغيرِ عُرَىً لِيَشربَ الشاربُ مِنْ أينَ شاء، لأنَّ العُروةَ تَرُدُّ الشاربَ مِن بعضِ الجهات.

قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهي الأنفس﴾ وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصم: «تشتهيه» بزيادةِ هاءٍ. وحذفُ الهاءِ كإثباتِها في المعنى. قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشيءَ، واستَلْذَذْتُه، والمعنى: ما مِنْ شيءٍ اشتهتْهُ نَفسٌ أو استَلَذَّتْه عينٌ إلاَّ وهو في الجنَّةِ، وقد جمعَ اللَّهُ تعالى جميعَ نعيم الجنَّةِ في هذين الوصفين، فإنه ما مِنْ نِعمةٍ إلاَّ وهي نصيبُ النَّفسِ أو العينِ، وتمامُ النَّعيم الخلودُ، لأنه لو انقطعَ لم تَطِبْ. ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ يعني التي ذَكرها في قوله: «ادخُلوا الجنَّة» ﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ قد شرحنا هذا في الأعراف[3] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ أي: لا يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾ يعني في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: آيِسونَ مِن رحمة الله. وقد شرحنا هذا في الأنعام[4]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ﴾ أي: ما عذَّبناهم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لأنفسِهم بما جَنَوْا عليها. قال الزَّجَّاجُ: والبَصريُّون يقولون: «هُم» ها هنا فَصلٌ، كذلك يُسمُّونها، ويُسمِّيها الكوفيُّون: العِمَاد. قوله تعالى:

---

(١) الروم: ١٥.
(٢) البيت لعدي بن زيد وهو في «مجاز القرآن»: ٢/٢٠٦ و «تفسير القرطبي» ١٦/٩٩.
(٣) الأعراف: ٤٣.
(٤) الأنعام: ٤٤.

﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وابنُ مسعودٍ، وابنُ يعمَرَ: «يا مالِ» بغيرِ كافٍ مع كسرِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: وهذا يسميه النَّحويون: التَّرخِيمَ، ولكني أكرَهُها لِمخالفةِ المُصحفِ. قال المُفسِّرون: يَدْعُون مالِكاً خازنَ النَّارِ فيقولون: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: لِيُمِتْنا؛ والمعنى: أنهم توسَّلوا به لِيَسألَ الله تعالى لهم الموتَ فيستَرِيحوا مِنَ العذاب؛ فيَسكُت عن جوابِهم مُدَّةً، فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أربعونَ عاماً، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ثلاثون سنةً، قاله أنسٌ. **والثالث**: ألفُ سنةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: مائةُ سنةٍ، قاله كَعبٌ. وفي سكوتِه عن جوابِهم هذه المُدَّةِ قولان. **أحدهما**: أنه سكتَ حتى أوحى اللَّهُ إليه أنْ أجِبْهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: لأنَّ بُعْدَ ما بينَ النداء والجواب أخزَى لهم وأذلُّ. قال المَاوَرديُّ: فَرَدَّ عليهم مالكٌ فقال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: مُقيمون في العذاب. ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أرسَلْنا رُسلنا بالتوحيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: كُلُّكم ﴿كَٰرِهُونَ﴾ لِمَا جاء به محمَّدٌ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ في «أَمْ» قولان: **أحدهما**: أنها للاستفهام. **والثاني**: بمعنى «بل». والإبرامُ: الإحكَامُ. وفي هذا الأمرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَكرُ برسولِ الله ﷺ لِيَقتُلوه أو يُخرِجوه حين اجتمعوا في دارِ النَّدْوةِ؛ وقد سبقَ بيانُ القصة[1]، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه إحكامُ أمرِهم في تكذيبِهم، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه: إبرامُ أمرِهم يُنجيهم مِنَ العذاب، قاله الفَرَّاءُ. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي: مُحْكِمون أمراً في مُجازاتِهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما يُسِرُّونه مِنْ غيرِهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يَتناجَوْن به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ والمعنى: إنَّا نسمعُ ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يعني مِنَ الحَفَظَةِ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ في «إنْ» قولان[2]: **أحدهما**: أنَّها بمعنى الشَّرطِ، والمعنى: إنْ كان له وَلدٌ في قولِكُم وعلى زَعمِكُم، فَعَلَى هذا في قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: أحدها: فأنا أوَّلُ الجاحِدِينَ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ: أنَّ أعرابيَّين اختصما إليه، فقال أحدهما: إنَّ هذا كانت لي في يدِه أرضٌ، فعَبَدَنِيها، فقال ابنُ عباسٍ: اللَّهُ أكبرُ، فأنا أوَّلُ

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ١١/٢١٦: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى (إن) الشرط الذي يقتضي الجزاء وذلك أن «إن» لا تعدو في هذا الموضع أحد معنيين: إما أن يكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط الذي يطلب الجزاء، أو تكون بمعنى الجحد، وهب إذا وجهت إلى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى لأنه يصير بمعنى: قل ما كان للرحمن ولد، مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، أن يقولوا له: صدقت، وهو كما قلت ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد، ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه ﷺ وعلى مكذبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه، ذلك إذ كان في توجيهنا «إن» إلى معنى الجحد على ما ذكرنا، فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط، ومعنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له، وهذا لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب. ووافقه ابن كثير وقال في «تفسيره» ٤/١٦٠: أي لو فُرض هذا لعبدته على ذلك لأني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي إباء عن عبادته، فلو فُرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال تعالى: **﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار﴾**.

العَابِدينَ الجاحِدِينَ أنَّ لله وَلَداً. والثاني: فأنا أوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّه مخالفاً لقولِكم، هذا قولُ مُجاهِدٍ. وقال الزَّجَّاج: معناه: إنْ كنتم تزعُمون للرَّحمن وَلَداً، فأنا أوَّلُ المُوحِّدين. والثالث: فأنا أولُ الآنِفِينَ للَّهِ مما قُلتُم، قاله ابنُ السَّائبِ، وأبو عُبيدَة[١]. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: عَبِدْتُ مِنْ كذا، أعبَدُ عَبَداً، فأنا عَبِدٌ وعابِدٌ، قال الفَرَزْدَقُ:

وأَعْـبَـدُ أنْ تُـهْـجَـى تَـمِـيـمٌ بِـدَارِمِ[٢]

أي: آنَفُ. وأنشد أبو عُبيدَةَ:

وأَعْـبَـدُ أنْ أسُـبَّـهُـمُ بِـقَـوْمِـي ... وأُوثِـــرُ دَارِمـــاً وبَـــنِـــي رَزَاحِ

والرابع: أنَّ معنى الآية: كما أنِّي لستُ أولَ عابِدٍ لله، فكذلك ليس له ولدٌ؛ وهذا كما تقول: إنْ كنتَ كاتباً فأنا حاسِبٌ، أي: لستَ كاتباً ولا أنا حاسِبٌ؛ حكى هذا القولَ الواحِديُّ عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ. **والقول الثاني**: أنَّ «إنْ» بمعنى «ما»، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ؛ فيكون المعنى: ما كان للرَّحمن وَلَدٌ، فأنا أولُ مَنْ عَبَدَ الله على يقينٍ أنه لا وَلَدَ له. وقال أبو عُبيدَةَ: الفاء على هذا القولِ بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل وأبو الجَوزاءِ وابنُ مُحَيصنٍ وأبو جعفرَ: «حتى يَلْقَوا» بفتح الياء والقاف وسكونِ اللام مِنْ غير ألِفٍ. والمراد: يُلاقوا يومَ القيامة، وهذه الآيةُ عندَ الجمهور مَنْسوخَةٌ بآية السَّيفِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ قال مُجاهِدٌ، وقَتادةُ: يُعْبَدُ في السماء ويُعْبَدُ في الأرض. وقال الزَّجَّاجُ: هو المُوَحَّدُ في السماءِ وفي الأرض. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمَرَ، والجَحْدريُّ: «في السماء الله وفي الأرض الله» بألِفٍ ولام مِنْ غيرِ تنوينٍ ولا همزٍ فيهما. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[٣] إلى قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾.

[١٢٥٤] سببُ نزولِها أنَّ النَّضْرَ بنَ الحارثِ ونَفَراً معه قالوا: إنْ كان ما يقول محمَّدٌ حَقّاً، فنحن

[١٢٥٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٦١: وهذا القول فيه نظر، لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره: إن كان هذا فأنا ممتنع منه؟ هذا فيه نظر فليتأمل. اللهم إلا أن يقال: إن (إن) ليست شرطاً، وإنما هي نافية.

(٢) هو عجز بيت وصدره: أولئك قومٌ إن هجوني هجوتهم.

(٣) الأعراف: ٥٤، لقمان: ٣٤.

نتولَّى الملائكةَ، فهم أحقُّ بالشَّفاعةِ مِنْ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتِلٌ.

وفي معنى الآية قولان[1]: **أحدهما**: أنه أراد بالذين يَدْعُون مِنْ دونه: آلهتَهُم، ثم استثنى عيسى وعُزَيرَ والملائكةَ، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أن يشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّٰهُ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شَهِدوا به بألسِنَتِهم، وهذا مذهبُ الأكثرين، منهم قَتَادَةُ. **والثاني**: أنَّ المراد بالذين يَدْعُون: عيسى وعُزيرُ والملائكةُ الذين عَبدَهم المشركون بالله لا يَمْلِك هؤلاءِ الشفاعةَ لأحدٍ ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ أي: إلاَّ لِمَنْ شَهِدَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وهي كلمةُ الإخلاص ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَق عيسى وعُزَيرَ والملائكةَ، وهذا مذهبُ قومٍ، منهم مُجاهِدٌ. وفي الآية دليلٌ على أنَّ شرطَ جميع الشَّهاداتِ أنْ يكونَ الشاهد عالِمَاً بما يَشْهدُ به.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ قال قَتَادَةُ: هذا نبيُّكم يَشكُو قومَه إلى ربِّه. وقال ابنُ عباسٍ: شَكا إلى الله تَخلُّفَ قومِه عن الإيمان. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرو: «وقيلَه» بنصبِ اللام؛ وفيها ثلاثةُ أوجهٍ: **أحدها**: أنه أضمَرَ معها قولاً، كأنَّه قال: وقال قِيلَه، وشَكا شَكوَاه إلى ربِّه. **والثاني**: أنه عَطَف على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ وقِيلَه فالمعنى: ونَسمعُ قِيلَه، ذَكَر القولين الفرَّاءُ، والأخفَشُ. **والثالث**: أنه منصوبٌ على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة ويَعْلَم قِيلَه، لأنَّ معنى «وعنده عِلْمُ الساعة»: يَعْلَم الساعةَ ويَعْلَم قِيلَهُ، هذا اختيارُ الزَّجَّاج. وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: «وقيلِه» بكسرِ اللام والهاءِ حتى تبلغَ إلى الياء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ الساعةِ وعِلْمُ قِيلِه. وقرأ أبو هُريرَةَ وأبو رَزِينٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وأبو رَجاءٍ والجَحْدَرِيُ وقَتادَةُ وحُمَيدٌ برفعِ اللام؛ والمعنى: ونِداؤه هذه الكلمة: يا ربِّ؛ ذَكَرَ عِلَّةَ الخَفْضِ والرَّفع الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أي: فأعْرِضْ عنهم ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُلْ خيراً بدلاً مِنْ شرِّهم، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: ارْدُدْ عليهم معروفاً، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: قُلْ ما تَسْلَمُ به مِنْ شرِّهم، حكاه المَاوَرديُ. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَعْلَمون عاقبةَ كُفرِهم. **والثاني**: أنكَ صادقٌ. **والثالث**: حُلولَ العذاب بهم، وهذا تهديدٌ لهم: «فسوف يعلمون». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تعلمون» بالتاء. ومَنْ قرأ بالياء، فعَلَى الأمرِ للنبيِّ ﷺ بأنْ يُخاطِبَهم بهذا، قاله مُقاتِلٌ؛ فنَسختْ آيةُ السيفِ الإعراضَ والسَّلامَ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦١: قوله تعالى: **﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾** أي من الأصنام، والأوثان (الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة لهم، **﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾**، هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢١٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق، وشهادته بالحق: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه. ووافقهما القرطبي في «تفسيره» ١٦/ ١٠٦ وقال: وقوله تعالى: **﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾** يدل على معنيين: أحدهما ـ أن الشفاعة بالحق غير نافعة إلا مع العلم، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة. والثاني ـ أي شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها.

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

وهي مكّيّة كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قد تقدَّمَ بيانُه، وجوابُ القَسم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ والهاءُ كنايةٌ عن الكتاب، وهو القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وفيها قولان[1]. **أحدهما**: أنها لَيلةُ القَدْرِ، وهو قولُ الأكثرين. ورَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: أُنزلَ القرآنُ مِنْ عند الرحمن ليلةَ القَدْرِ جُملةً واحدةً، فوُضِع في السماء الدنيا، ثم أُنزلَ نجوماً. وقال مُقاتِلٌ: نَزلَ القرآنُ كلُّه في ليلةِ القَدْرِ مِنَ اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. **والثاني**: أنها ليلةُ النِّصفِ مِنْ شعبانَ، قاله عِكرمَةُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مُخوِّفين عقابنا. ﴿فِيهَآ﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفْصَلُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو نَهِيْكٍ، ومعاذٌ القارئ: «يَفْرُقُ» بفتحِ الياء وكسرِ الراء «كُلَّ» بنصب اللام ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم. قال ابنُ عباسٍ: يُكتَبُ مِنْ أُمِّ الكتابِ في ليلةِ القَدْرِ ما هو كائنٌ في السَّنةِ مِنَ الخير والشرِّ والأرزاقِ والآجالِ، حتى الحَاجّ، وإنكَ لَترى الرجلَ يمشي في الأسواق وقد وقع اسمُه في المَوتى. وعلى ما رُويَ عن عِكرمَةَ أنَّ ذلك في ليلةِ النِّصفِ مِنْ شعبانَ، والرواية عنه بذلك مضطربةٌ قد خُولِفَ الراوي لها، فرُوِيَ عن عِكرمَة أنه قال: في ليلةِ القَدْرِ، وعلى هذا المُفسِّرون.

قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ قال الأخفشُ: «أمراً» و «رحمةً» منصوبان على الحال؛ المعنى: إنَّا أنزلْناه آمِرِينَ أمراً وراحِمِينَ رحمةً. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يكونَ منصوباً بـ «يُفرَقُ» بمنزلة يُفرَقُ فَرْقاً، لأنَّ «أمراً» بمعنى «فَرْقاً». قال الفرَّاءُ: ويجوز أنْ تُنصبَ الرَّحمةُ بوقوع «مرسِلِين» عليها، فتكون الرحمةُ هي النبيُّ ﷺ. وقال مُقاتِلُ: «مرسِلِين» بمعنى مُنزلِين هذا القرآنَ، أنزلْناه رحمةً لِمَن آمنَ به. وقال

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٢٣: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر. وهذا اختيار ابن كثير والقرطبي.

غيره: «أمراً من عندنا» أي: إنَّا نأمرُ بنَسخِ ما يُنسَخُ مِنَ اللوح ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَحْمَةً﴾ منَّا بخَلْقنا. ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «ربُّ» بالرفع. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ربِّ» بكسرِ الباء. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني الكفَّار ﴿فِى شَكٍّ﴾ مما جئناهم به ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يهزؤون به.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي: فانتظِرْ ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ اختلفوا في هذا الدُّخانِ ووَقْتِه على ثلاثةِ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه دُخانٌ يجيء قبلَ قيام الساعة.

[١٢٥٥] فرُوِيَ عن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الدُّخانَ يجيء فيأخذُ بأنفاسِ الكفَّارِ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئةِ الزُّكام. ورَوى عبدُ الله بنُ أبي مُلَيكةَ قال: غدوتُ على ابنِ عباسٍ ذاتَ يوم، فقال: ما نِمتُ الليلةَ حتى أصبحتُ، قلتُ: لِمَ؟ قال: طَلعَ الكوكبُ ذو الذَّنَبِ، فخشيتُ أنْ يَطرقَ الدُّخانُ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن عليٍّ، وابنِ عمرَ، وأبي هُريرَةَ، والحَسنِ.

والثاني: أنَّ قريشاً أصابهم جوعٌ، فكانوا يَرون بينهم وبين السماء دُخاناً مِنَ الجوعِ.

[١٢٥٥] لم أره عن ابن عباس سواء مرفوعاً أو موقوفاً، ولعله سبق قلم. وورد من حديث جماعة من الصحابة فمن ذلك: حديث حذيفة بن اليمان: أخرجه الطبري ٣١٠٦١ وفيه رواد بن الجراح واهٍ. وورد من حديث أبي مالك الأشعري، أخرجه الطبري ٣١٠٦٢ وإسناده حسن في الشواهد. وله شواهد متعددة تراجع في كتب أشراط الساعة.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٢٨: وأولى القولين بالصواب في ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود لأن الله جل ثناؤه توعّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: **﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون﴾** ثم أتبع قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** أمراً منه بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديداً للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم. قلت: وحديث ابن مسعود صحيح كالشمس كما سيأتي. لكنه رأي له. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦٥ بعد أن ساق أحاديث مرفوعة في أن الدخان هو عند قيام الساعة وعقب ذلك بآثار موقوفة ومنها أثر عن ابن عباس ـ وهو الآتي برواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس موقوفاً. فقال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان التي أوردناها مما فيه دلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** أي بين واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسره ابن مسعود إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع، وهكذا قوله **﴿يغشى الناس﴾** أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل: **﴿يغشى الناس﴾**. اهـ.

[١٢٥٦] فروى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مَسرُوقٍ، قال: كنّا عند عبد الله، فدخل علينا رجلٌ، فقال: جئتُكَ مِنَ المسجد وتركتُ رجلاً يقول في هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: يغشاهم يومَ القيامة دُخانٌ يأخذ بأنفاسِهم حتى يُصيبَهم منه كهيئةِ الزُّكام؛ فقال عبدُ الله: مَنْ عَلِمَ عِلْماً فلْيَقُل به، ومَنْ لم يَعْلَمْ فلْيَقُلْ: اللّهُ أعلَمُ، إنما كان هذا لأنَّ قُريشاً لمَّا استعصَتْ على النبيِّ ﷺ دَعا عليهم بسنين كسِنِيِّ يُوسفَ، فأصابَهم قَحطٌ وجهدٌ، حتى أكلوا العِظامَ والمَيْتَةَ، وجعل الرجلُ ينظرُ إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئةِ الدُّخانِ مِنَ الجهدِ، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾، فكَشفَ عنهم، ثم عادوا إلى الكُفرِ، فأُخِذوا يومَ بدرٍ، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ وأبو العَاليةِ والضَّحَّاكُ وابنُ السَّائبِ ومُقاتِلٌ.

والثالث: أنه يومُ فَتحِ مكَّةَ لمَّا حُجبت السماءُ بالغَبَرةِ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذابٌ. ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الجوع. **والثاني**: الدُّخان ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ. ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: مِنْ أينَ لهم التَّذكُّر والاتِّعاظُ بعد نزولِ هذا البلاءِ، وحالُهم أنه قد ﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهرُ الصِّدقِ؟! ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ أي: أعْرَضوا ولم يَقبلوا قوله ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي: هو مُعلَّم يُعلِّمه بشرٌ، مجنونٌ بادِّعائه النُّبوَّة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زماناً يسيراً[(١)]. وفي العذاب قولان: **أحدهما**: الضُّرُّ الذي نَزلَ بهم كُشِفَ بالخِصبِ، هذا على قول ابنِ مسعودٍ. قال مُقاتِلٌ: كَشفَه إلى يوم بدرٍ. **والثاني**: أنَّه الدُّخانُ، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلى الشِّركِ، قاله ابنُ

[١٢٥٦] صحيح الإسناد. أخرجه البخاري ٤٧٧٤ عن محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق به. وأخرجه ابن حبان ٦٥٨٥ والطبراني ٩٠٤٨ وأبو نعيم في «الدلائل» ٣٦٩ من طريق محمد بن كثير به. وأخرجه البخاري ٤٦٩٣ والحميدي ١١٦ من طريق سفيان به. وأخرجه البخاري ٤٨٢٤ والترمذي ٣٢٥٤ وأحمد ١/ ٤٤١ من طريق شعبه عن الأعمش ومنصور به. وأخرجه البخاري ١٠٠٧ و ٤٨٢١ و ٤٨٢٢ و ٤٨٢٣ ومسلم ٢٧٩٨ح ٤٠ والطبري ٣١٠٤٣ والطبراني ٩٠٤٦ و ٩٠٤٧ وأحمد ١/ ٣٨٠ و ٤٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه مسلم ٢٧٩٨ والطبري ٣١٠٤٥ والبيهقي ٢/ ٣٢٦ من طرق عن جرير عن منصور به.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦٦: وقوله **﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾** يحتمل معنيين أحدهما: أنه يقول تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: **﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾** وكقوله: **﴿ولو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾** والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد سببه ووصوله كقوله تعالى: **﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾**. ولم يكن العذاب، باشرهم واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال: أو لو كنا كارهين. قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾** وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقهم. اهـ.

مسعودٍ. **والثاني**: إلى عذاب الله، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وقرأ الحسَنُ، وابنُ يَعمُرَ، وأبو عِمْرانَ: «يوم تُبْطَشُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتح الطاء «البَطْشَةُ» بالرفع. قال الزَّجّاجُ: المعنى: واذْكُرْ يومَ نَبْطِشُ، ولا يجوز أنْ يكونَ منصوباً بقوله: «منتقِمون»، لأنَّ ما بعدَ «إنّا» لا يجوز أنْ يعملَ فيما قبلَها. وفي هذا اليوم قولان: **أحدهما**: يومُ بدرٍ، قاله ابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بنُ كَعب وأبو هُريرَةَ وأبو العاليةِ ومُجاهِدٌ والضَّحّاكُ. **والثاني**: يومُ القيامة، قاله ابنُ عباسٍ والحَسنُ. والبَطْش: الأَخْذُ بقوّةٍ.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتَلَينا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي: قَبلَ قومكَ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بنُ عِمرانَ. وفي معنى «كريم» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَسَنُ الخُلُق، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: كريمٌ على ربِّه، قاله الفَرّاءُ. **والثالث**: شريفٌ وَسِيطُ النَّسَبِ، قاله أبو سُليمانَ. قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ﴾ أي: بأنْ أدُّوا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أَدُّوا إليَّ ما أدعوكُم إليه مِنَ الحقِّ باتِّباعي، رَوى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا ينتصبُ «عبادَ الله» بالنداءِ. قال الزَّجّاجُ: ويكون المعنى: أنْ أدُّوا إليَّ ما آمُرُكم به يا عبادَ اللّهِ. **والثاني**: أَرسِلوا معي بَني إسرائيلَ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والمعنى: أَطْلِقوهم مِنْ تسخيرِكُم، وسَلِّموهم إليَّ. ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تفتروا عليه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تَعْتُوا عليه، قاله قَتادةُ. **والثالث**: لا تَعظَّموا عليه، قاله ابنُ جُرَيج ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحُجّةٍ تدلُّ على صِدْقِي. فلمّا قال هذا تَواعَدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه رَجْمُ القولِ، قاله ابنُ عباسٍ؛ فيكون المعنى: أنْ يقولوا: شاعرٌ أو مجنونٌ. **والثاني**: القتلُ، قاله السُّدِّيُّ. ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي: فاتركوني لا معيَ ولا عَليَّ، فكفروا ولم يُؤمنوا، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال الزَّجّاجُ: مَنْ فتحَ «أنَّ»، فالمعنى: بأنَّ هؤلاء؛ ومَنْ كسرَ، فالمعنى: قال: إنَّ هؤلاء، و «إنّ» بعد القول مكسورةٌ. وقال المُفسِّرون: المجرمون ها هنا: المشركون. فأجاب الله دُعاءَهُ، وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ يعني بالمؤمنين[1] ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يَتبعُكم فِرعَونُ وقومُه؛ فأعلَمَهُم أنهم يَتبعُونَهم، وأنه سيكون

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/١١٨: السرى: سير الليل. والإدلاج: سير السحر والإسآد: سيره كله. والتأويب: سير النهار. وقوله تعالى: **﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾** أمر بالخروج بالليل، وسير الليل يكون من الخوف، والخوف يكون من وجهين: إما من العدو فيتخذ الليل ستراً مسدلاً، فهو من أستار الله تعالى، وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحرّ أو جدب. فيتخذ السرى مصلحة من ذلك. وكان النبي ﷺ يسري ويدلج ويترفق ويستعجل قدر الحاجة وحسب العجلة، وما تقتضيه المصلحة. وفي «جامع الموطأ»: ««إن الله =

سبباً لغرقهم. ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾ أي: ساكناً على حالِه بعد أنِ انفرَقَ لكَ، ولا تأمره أنْ يرجعَ كما كان حتى يدخُلَه فِرعَونُ وجنودُه. والرَّهو: مشيٌ في سُكونٍ. قال قَتادةُ: لمَّا قطع موسى عليه السلام البحرَ، عطف يضربُ البحرَ بعصاه لِيلتئِمَ، وخاف أنْ يتبعه فِرعَونُ وجنودُه، فقيلَ له: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾ أي كما هو طريقاً يابساً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ أخبره الله عزَّ وجلَّ بغرقِهم لِيَطْمَئِنَّ قلبُه في تركِ البحر على حالِه. ﴿كَمۡ تَرَكُواْ﴾ أي: بعد غَرَقِهم ﴿مِن جَنَّٰتٖ﴾ وقد فسَّرنا الآيةَ في الشُّعَراء[1]. فأمَّا «النَّعمة» فهو العيشُ اللَّيِّنُ الرَّغدُ. وما بعد هذا قد سبق بيانُه[2] إلى قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني بَني إسرائيلَ. ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي على آلِ فِرعَونَ، وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه على الحقيقة.

[١٢٥٧] روى أنسُ بنُ مالكٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِنْ مُسْلِمٍ إلاَّ وله في السماء بَابَانِ، بابٌ يصعَدُ فيه عملُه، وبابٌ ينزل منه رِزقُه، فإذا ماتَ بَكَيَا عليه» وتَلا ﷺ هذه الآيةَ. وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاَّهُ مِنَ الأرض ومَصْعَدُ عملِه مِنَ السماء، وإنَّ آلَ فِرعَونَ لم يكن لهم في الأرض مُصلًى ولا في السماءِ مَصْعَدُ عملٍ، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ. وقال ابنُ عباسٍ: الحُمرَةُ التي في السماء

[١٢٥٧] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣٢٥٥ وأبو يعلى ٤١٣٣ وأبو نعيم ٣/ ٥٣ من طريق موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن أنس به مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف جداً، موسى بن عبيدة ضعيف ليس بشيء، وشيخه يزيد ضعيف روى مناكير كثيرة عن أنس، وهذا منها. وضعفه الترمذي بقوله: موسى ويزيد يضعفان، وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٠٤ والحافظ في «المطالب العالية» ٣/ ٣٦٩. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٥٣ من طريق صفوان بن سليم عن يزيد بن أبان به والراوي عن صفوان هو إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، وهو ضعيف. ولعجزه شاهد مرسل، أخرجه الطبري ٣١١٢٩ ومع ذلك المتن منكر، وحسبه الوقف، وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٦٩ بتخريجنا.

= رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدّوابّ العجم فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها، وعليكم بسير الليل فإن الأرض تُطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، وإياكم والتعريس على الطريق فإنه طرق الدّوابّ ومأوى الحيّات». **قلت**: حديث صحيح. أخرجه مالك ٢/ ٩٧٩ عن خالد بن معدان مرسلاً. وورد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه مسلم ١٩٢٦.

(١) الشعراء: ٥٧.
(٢) يسٓ: ٥٥.
(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦٨: وقوله: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم. وقال القرطبي في «تفسيره» ١٦/ ١٢١: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ أي لكفرهم. وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض، أي عمّت مصيبته الأشياء، وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، والمعنى أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فَقْد. وتقدير الآية: **فما بكت عليهم** مصاعد عملهم من السماء ولا موضع عبادتهم من الأرض وفي بكاء السماء والأرض أنه كالمعروف من بكاء الحيوان، ولا استحالة في ذلك. وإذا كانت السماوات والأرض تسبح وتسمع وتتكلم فكذلك تبكي مع ما جاء من الخبر في ذلك، والله أعلم بصواب هذه الأقوال.

بُكاؤها. وقال مُجاهِدٌ: ما مات مؤمنٌ إلاَّ بَكَتْ عليه السماءُ والأرضُ أربعين صباحاً، فقيلَ له: أوَ تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يَعمُرها بالرُّكوع والسجودِ؟! وما للسماءِ لا تبكي على عبدٍ كان لتسبيحهِ وتكبيرهِ فيها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحلِ؟!.

والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسَنُ، ونظيرُ هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[(١)]، أي: أهل الحرب. **والثالث**: أنَّ العرب تقول إذا أرادت تعظيمَ مَهلِكِ عظيم: أظلمت الشمسُ له، وكَسَفَ القمرُ لِفَقدِه، وبكتْهُ الرِّيحُ والبَرقُ والسماءُ والأرضُ، يريدون المُبالغةَ في وَصْفِ المُصيبة، وليس ذلك بكذبٍ منهم، لأنهم جميعاً مُتواطِئون عليه، والسَّامِعُ له يَعرف مذهبَ القائلِ فيه؛ ونِيَّتُهم في قولهم: أظلمت الشمسُ؛ كادت تُظلِمُ، وكَسَفَ القمرُ: كادَ يَكْسِف، ومعنى «كاد»: هَمَّ أنْ يَفعَلَ ولم يفعل؛ قال ابنُ مُفرِّغٍ يرثي رجلاً:

الـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَه ... والـبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ فـي غَـمـامَـة[(٢)]

وقال الآخر:

الـشَّـمْـسُ طـالِـعَـةٌ لَـيْـسَـتْ بِـكـاسِـفَـةٍ ... تَبْكي عَلَيْكَ ـ نُجُومَ اللَّيلِ والْقَمَرا[(٣)]

أراد: الشمسُ طالعةٌ تبكي عليه، وليست مع طلوعِها كاسِفةً النُّجومَ والقمرَ، لأنها مُظْلِمةٌ، وإنما تَكْسِفُ بضوئِها، فنُجومُ الليل بادِيةٌ بالنَّهار، فيكون معنى الكلام: إنَّ الله لمَّا أهلكَ قومَ فِرعَونَ لم يَبْكِ عليهم باكٍ، ولم يَجْزَعْ جازِعٌ، ولم يُوجَدْ لهم فَقْدٌ، هذا كلُّه كلامُ ابنِ قُتَيبةَ.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني قتلَ الأبناء واستخدامَ النِّساء والتَّعبَ في أعمال فِرعَونَ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ أي: جبَّاراً. ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ يعني بَني إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه الله فيهم على عالَمي زمانِهم، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كانفراقِ البحر، وتظليلِ الغَمامِ، وإنزالِ المَنِّ والسَّلْوى، إلى غيرِ ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ أي: نِعمةٌ ظاهرةٌ.

ثم رجعَ إلى ذِكرِ كفَّارِ مكَّةَ، فقال ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنُون التي تكون في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: بمَبعوثِينَ، ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي: ابعثُوهم لنا ﴿إِن كُنتُمْ

(١) محمد: ٤.

(٢) البيت ليزيد بن مفرّغ الحميري، وهو في «الأغاني» ١٨/ ١٨٧ و «الأضداد» ٤٢٤ للأنباري.

(٣) البيت لجرير يرثي عمر بن عبد العزيز، ديوانه: ٣٠٤ و «اللسان» ـ بكى ـ

﴿صَٰدِقِينَ﴾ في البَعثِ. وهذا جَهلٌ منهم مِن وجهين: **أحدهما**: أنهم قد رَأَوا مِنَ الآيات ما يكفي في الدَّلالة؛ فليس لهم أنْ يَتنَطَّعوا[١]. **والثاني**: أنَّ الإعادَةَ للجزاءِ؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خَوَّفهم عذابَ الأُمَمِ قَبلَهم، فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: أشَدُّ وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟! أي: ليسوا خيراً منهم.

[١٢٥٨] روى أبو هُريرَة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أدري تُبَّعاً، نبيٌّ، أو غيرُ نبيٍّ».

وقالت عائشةُ: لا تسُبُّوا تُبَّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألاَ ترى أنَّ الله تعالى ذَمَّ قومَه ولم يذُمَّه. وقال وَهْبٌ: أسلَم تُبَّعُ ولم يُسلِمْ قومُه، فلذلك ذُكِرَ قومُه ولم يُذْكَرْ. وذكر بعضُ المُفسِّرين أنه كان يعبدُ النارَ، فأسلَمَ ودَعا قومَه ـ وهم حِمْيَر ـ إلى الإسلام، فكذَّبوه. فأمَّا تسميتُه بـ «تُبَّع» فقال أبو عُبيدَة: كلُّ مَلِكٍ مِنْ ملوك اليمنِ كان يُسمَّى: تُبَّعاً، لأنه يَتْبَعُ صاحبَه، فموضعُ «تُبَّع» في الجاهلية موضعُ الخليفةِ في الإسلام، وقال مُقاتِلٌ: إنما سُمِّي تُبَّعاً لكثرة أتباعِه، واسمه: مَلْكَيْكَرِب. وإنما ذكر قوم تُبَّعٍ، لأنهم كانوا أقربَ في الهلاكِ إلى كفَّارِ مكَّةَ مِنْ غيرِهم.

وما بعد هذا قد تقدَّم[٢] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ وهو يومٌ يَفْصِلُ الله عزَّ وجلَّ بين العباد ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾ أي: ميعادهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأوَّلون والآخِرون. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَنْفَعُ قريبٌ قريباً، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: لا يُغْنِي وَليٌّ عن وليّه بالقَرابةِ أو غيرِها. **والثاني**: لا يَنفَعُ ابنُ عمٍّ ابنَ عمِّه، قاله أبو عُبيدَةَ. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي، لا يُمْنَعون مِنْ عذابِ الله، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفعُ بعضُهم في بعضٍ.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

[١٢٥٨] صحيح. أخرجه أبو داود ٤٦٧٤ والبيهقي ٨/ ٣٢٩ من طريق عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب المقبري عن أبي هريرة. لكن بلفظ. «ما أدري أتبع لعينٌ هو أم لا، وما أدري أعزير نبي هو أم لا؟». وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٥٠ من طريق آخر عن ابن أبي ذئب به، بلفظ أبي داود لكن عنده «ذو القرنين» بدل «عزير». وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في «الصحيحة» ٢٢١٧ على شرط البخاري فقط، فإن في إسناده آدم بن أبي إياس لم يروِ له مسلم.

---

(١) في «اللسان»: التَنَطُّع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه، وفي الحديث «هلك المتنطعون» المتعمقون المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً.

(٢) الأنبياء: ١٦ ـ الحجر: ٨٥.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ قد ذكرناها في الصَّافَّات[١]. و «الأثيم»: الفاجر؛ وقال مُقاتِلٌ: هو أبو جَهْلٍ. وقد ذكرنا معنى «المُهْل» في الكهف[٢].

قوله تعالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «يغلي» بالياء؛ والباقون: بالتاء. فمَنْ قرأ «تغلي» بالتاء، فلِتأنيث الشجرة؛ ومَنْ قرأ بالياء، حَمَلَهُ على الطعام، قال أبو عليٍّ الفَارِسيُ: ولا يجوز أنْ يُحْمَلَ الغَلْيُ على المُهْلِ، لأنَّ المُهلَ ذُكِرَ للتشبيه في الذَّوْبِ، وإنما يغلي ما شُبِّه به ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الحارُّ إذا اشتدَّ غَلَيَانُه.

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يُقال للزَّبانية: خُذوه ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بضمِّ التاء؛ وكَسَرَها الباقون؛ قال ابنُ قُتَيبَة: ومعناه: قُودُوه بالعُنفِ، يُقال: جيء بفُلانٍ يُعْتَلُ إلى السلطان، و «سواء الجحيم»: وسَطُ النَّارِ. قال مُقاتِلٌ: الآياتُ في أبي جَهْلٍ يضربه المَلَكُ مِنْ خُزَّانِ جهنَّم على رأسه بمَقمَعةٍ مِنْ حديدٍ فتنقُب عن دِماغِه، فيجري دِماغُه على جسده، ثم يَصُبُّ المَلَكُ في النَّقْب ماءً حميماً قد انتهى حَرُّه، فيقع في بطنه، ثم يقول له المَلَكُ: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ هذا توبيخٌ له بذلك؛ وكان أبو جَهْلٍ يقول: أنا أعَزُّ قُريشٍ وأكرَمُها. وقرأ الكِسَائيُّ: «ذُقْ أنَّكَ» بفتحِ الهمزة؛ والباقون: بكسرِها. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسَرَها، فالمعنى: أنتَ العزيزُ في زَعمِك، ومَنْ فَتحَ، فالمعنى: بأنَّكَ.

فإنْ قيلَ: كيف سُمِّي بالعزيزِ وليس به؟! فالجواب مِنْ ثلاثةِ أوجهٍ: **أحدها**: أنه قيلَ ذلك استهزاءً به، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنتَ العزيزُ الكريمُ عند نَفسِكَ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنتَ العزيزُ في قومكَ، الكريمُ على أهلكَ، حكاه المَاوَرديُ.

ويقول الخُزَّانُ لأهلِ النَّارِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تَشكُّون في كونه. ثم ذَكَر مُستقَرَّ المُتَّقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: «في مُقام» بضمِّ الميم؛ والباقون: بفَتْحِها. قال الفَرَّاءُ: المَقام، بفتحِ الميم: المكان، وبضمِّها: الإقامة. قوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ أي: أَمِنُوا فيه الغِيَر والحوادثِ. وقد ذكرنا «الجنَّات» في البقرة[٣]، وذكرنا معنى «العُيون» ومعنى «متقابِلين» في الحِجْر[٤]، وذكرنا «السُّندُس والإستبرق» في الكهف[٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كما وَصَفْنا ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: قَرَنَّاهم بِهِنَّ، وليس مِنْ عَقدِ التزويج. قال أبو عُبيدَةَ: المعنى: جَعَلْنا ذكورَ أهل الجنَّةِ أزواجاً ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ مِنَ النساء، تقول للرجل: زَوِّجْ هذه النَّعلَ الفردَ بالنَّعلِ الفَردِ، أي: اجعلهما زَوْجاً، والمعنى: جَعَلْناهم اثنين اثنين. وقال يُونسُ: العرب لا تقول: تَزوَّج بها، إنما يقولون: تزوَّجها. ومعنى ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قَرَنَّاهم. وقال ابنُ قُتَيبَة: يُقال: زوَّجته امرأةً، وزوَّجته بامرأةٍ. وقال أبو عليٍّ الفارِسيُ: والتنزيل على ما قال يُونسُ، وهو قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٦]، وما قال: زَوَّجْناكَ بها. فأمَّا الحُورُ، فقال مُجاهِدٌ: الحُور: النساءُ النَّقيَّاتُ البَياضِ. وقال الفَرَّاءُ: الحَوْراء: البيضاءُ مِنَ الإبلِ؛ قال: وفي «الحُور العِين» لُغتان: حُور عِين، وحِير عِين، وأنشد:

---

(١) الصافات: ٦٢.
(٢) الكهف: ٢٩.
(٣) البقرة: ٢٥.
(٤) الحجر: ٤٥ ـ ٤٧.
(٥) الكهف: ٣١.
(٦) الأحزاب: ٣٧.

أزمانَ عيناءُ سُرورُ المَسيرِ وحَوْرَاءُ عيناءُ مِنَ العِينِ الحِيْر

وقال أبو عبيدة: الحَورَاءُ: الشديدة بياضِ بياضِ العَيْنِ، الشديدةُ سوادِ سوادِها. وقد بيَّنَّا معنى «العِين» في الصَّافَّات[1].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: آمِنِيْنَ مِنَ انقطاعِها في بعض الأزمنة. **والثاني**: آمِنِيْنَ مِنَ التُّخَم والأسقام والآفاتِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكَلام: لا يذوقون في الجنَّةِ الموتَ سوى المَوتَةِ التي ذاقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[3] أي: سِوى ما شاء لهم ربُّك مِنَ الزِّيادة على مقدارِ الدنيا، هذا قولُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنَّ السُّعداءَ حين يموتون يصيرون إلى الرَّوحِ والرَّيحانِ وأسبابٍ مِنَ الجنَّةِ يَرَوْنَ منازلَهُم منها، وإذا ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنَّةِ، لاتِّصالِهم بأسبابها، ومشاهدتِهم إيَّاها، قاله ابنُ قُتَيبَة. **والثالث**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «بَعْدَ»، كما ذكرنا في أحدِ الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4]، وهذا قولُ ابنِ جرير. قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: فعلَ اللّهُ ذلك بهم فَضلاً منه. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي: سَهَّلْناه، والكنايةُ عن القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلُغةِ العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتَّعِظوا فيؤمِنوا، ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي: انتَظِرْ بهم العذابَ ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هلاكَكَ؛ وهذه عندَ أكثر المُفسِّرين مَنسوخَةٌ بآيَة السَّيفِ، وليس بصحيحٍ.

---

(١) الصافات: ٤٨.
(٢) النساء: ٢٢.
(٣) هود: ١٠٧.
(٤) النساء: ٢٢.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

وتسمَّى: سورة الشريعة. روى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكِّيَّةٌ، وهو قولُ الحَسنِ وعِكرمَةَ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ والجمهورِ. وقال مُقاتِلٌ: هي مكِّيَّةٌ كُلُّها. وحُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادةَ أنهما قالا: هي مكِّيَّةٌ إلاَّ آيةً، وهي قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغۡفِرُوا۟﴾[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي
خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا
بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ
بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ
يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ
جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ
بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُوا۟ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قد شرحناه في أوّلِ المؤمن.

قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ أي: مِنْ ترابٍ ثم مِنْ نُطفةٍ إلى أنْ يتكاملَ خَلْقُ الإنسان ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: وما يفرق في الأرض مِنْ جميع ما خَلَق على اختلاف ذلك في الخَلْقِ والصُّور ﴿ءَايَٰتٞ﴾ تدلُّ على وَحدانيّته. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «آياتٌ» رفعاً «وتصريفِ الرِّياح آياتٌ» رفعاً أيضاً. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: بالكسرِ فيهما. والرِّزق ها هنا بمعنى المطر. قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه حُجَجُ الله ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعدَ حديثه ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ يؤمِنُ هؤلاءِ المشركون؟!

(١) الجاثية: ١٤.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباسٍ أنها نزلت في النَّضْرِ بنِ الحارثِ. وقد بيَّنَّا معناها في الشُّعَراء[1]، والآية التي تليها مفسَّرةٌ في لُقمان[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ قال مُقاتِلٌ: معناه: إذا سمع. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «وإذا عُلِّمَ» برفع العين وكسرِ اللام وتشديدِها. قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: سَخِرَ منها، وذلك كفعلِ أبي جَهْلٍ حينَ نزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[3] فدعا بتَمْرٍ وزُبْدٍ، وقال: تَزَقَّموا فما يَعِدُكم محمَّدٌ إلاَّ هذا، وإنما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لأنه ردَّ الكلام إلى معنى «كُلّ». ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قد فسَّرناه في إبراهيم[4] ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ مِنَ الأموال، ولا ما عبدوا مِنَ الآلهةِ. قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعني القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ به، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «أليمٌ» بالرفع على نَعْتِ العذاب. وقرأ الباقون: بالكسرِ على نَعْتِ الرِّجزِ. والرِّجزُ بمعنى العذاب، وقد شرحناه في الأعراف[5]. قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: ذلك التَّسخيرُ منه لا مِنْ غيره، فهو مِنْ فَضْلِه. وقرأ عبدُ الله بنُ عمروٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وابنُ السَّميفع، وابنُ مُحيصنٍ، والجَحْدَريُ: «جميعاً مِنَّةً» بفتح النون وتشديدِها وتاءٍ منصوبةٍ منوَّنةٍ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «مَنُّهُ» بفتحِ الميم ورفعِ النون والهاء مشددةَ النون.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟...﴾ الآية، في سبب نزولها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم نزلوا في غَزاةِ بني المُصطَلِقِ على بئرٍ يُقال لها: «المُرَيسيع»، فأرسلَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ غُلامَه ليستقيَ الماءَ، فأبطأ عليه، فلمَّا أتاه قال له: ما حَبَسَكَ؟ قال: غلامُ عمرَ، ما تركَ أحداً يستقي حتى ملأ قُرَبَ النبيِّ ﷺ وقُرَبَ أبي بكرٍ، وملأ لِمَولاه، فقال عبدُ الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلاَّ كما قيل: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلْكَ، فبلغَ قولُه عمرَ، فاشتملَ سيفَه يريد التوجُّهَ إليه، فنزلت هذه **الآيةُ**، رواه عطاءٌ

---

(١) الشعراء: ٢٢٢.
(٢) لقمان: ٧.
(٣) الدخان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٤) إبراهيم: ١٦.
(٥) الأعراف: ١٣٤.

عن ابنِ عباسٍ[(١)].

[١٢٥٩] **والثاني**: أنها لمَّا نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(٢)] قال يهوديٌّ بالمدينة يُقال له فِنحَاصُ: احتاج ربُّ محمَّدٍ. فلمَّا سمعَ بذلك عمرُ، اشتملَ على سيفِهِ وخرج في طلبه، فنزل جِبريلُ عليه السلام بهذه الآية، فبعثَ النبيُّ ﷺ في طلب عمرَ، فلمَّا جاء، قال: «يا عمرُ، ضَعْ سيفَكَ» وتلا عليه الآيَةَ، رواه مَيْمُونُ بن مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٦٠] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ مِنْ أهل مكّةَ كانوا في أذىً شديدٍ مِنَ المشركين قبل أنْ يُؤمَروا بالقتال، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله القُرَظيُّ، والسُّدِّيُّ.

والرابع: أنَّ رجلاً مِنْ كفَّارِ قُريشٍ شتم عمرَ بنَ الخطَّابِ، فهَمَّ عمرُ أنْ يبطشَ به، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ[(٣)].

ومعنى الآية: قُلْ للذين آمنوا: اغفِروا، ولكن شُبِّه بالشَّرطِ والجزاءِ، كقوله: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٤)]، وقد مضى بيانُ هذا. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون وقائعَ الله في الأُمَمِ الخاليةِ، لأنهم لا يُؤمنون به، فلا يخافون عقابَهُ. وقيل: لا يَدْرُون أنْعَمَ الله عليهم، أَمْ لا. وقد سبقَ بيانُ معنى «أيَّام الله» في سُورَةِ إبراهيم[(٥)].

فصل: وجمهور المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيَةَ مَنسوخةٌ، لأنها تضمَّنت الأمرَ بالإعراض عن المشركين. واختلفوا في ناسِخها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٦)]، رواه مَعمَرُ عن قَتادةَ. **والثاني**: أنه قوله في الأنفال: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾[(٧)]، وقوله في براءة: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[(٨)]، رواه سعيدُ عن قَتادَةَ. **والثالث**: أنه قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[(٩)]، قاله أبو صالحٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «لِنَجْزِيَ» بالنون «قوماً» يعني الكفَّارَ، فكأنه قال: لا تُكافِئوهم أنتم لِنُكافِئَهم نحن. وما بعد هذا قد سبقَ[(١٠)] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

[١٢٥٩] ضعيف جداً، أخرجه الواحدي ٧٤٣م في «أسباب النزول» عن ميمون عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً محمد بن زياد اليشكري متروك متهم.

[١٢٦٠] عزاه المصنف للقرظي وهو محمد بن كعب، وللسدي، ولم أقف على إسناده، وكلاهما مرسل.
وأخرج الطبري ٣١١٨٥ بسند فيه مجاهيل عن ابن عباس نحوه. وهذا القول أقرب للصواب، وإن لم يصح بوجه من الوجوه. وكون السورة نزلت في عمر، واهٍ بمرة.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٣ بدون إسناد، فهو لا شيء.
(٢) البقرة: ٢٤٥.
(٣) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم بالكذب، فالخبر لا شيء.
(٤) إبراهيم: ٣١. (٥) إبراهيم: ٥. (٦) التوبة: ٥.
(٧) الأنفال: ٥٧. (٨) التوبة: ٣٦. (٩) الحج: ٣٩.
(١٠) الإسراء: ٧.

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التَّوراةَ ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ وهو الفَهْمُ في الكتاب، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني المَنَّ والسَّلوى ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زمانِهم. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيانُ الحلالِ والحَرام، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: العِلْمُ بمَبْعثِ النبيِّ ﷺ وشواهدِ نبوَّتِه، ذكره المَاوَرديّ. وما بعدَ هذا قد تقدَّم بيانُه[1] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾[2] سبب نُزولِها أنَّ رؤساءَ قُريشٍ دَعَوا رسولَ الله ﷺ إلى مِلَّةِ آبائه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. فأمَّا قوله: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾ فقال ابنُ قُتَيْبَة: أي على مِلَّةٍ ومذهبٍ، ومنه يُقال: شَرَعَ فلانٌ في كذا: إذا أخَذ فيه، ومنه «مَشارِعُ الماء» وهي الفُرَضُ التي شرعَ فيها الوارِدَ. قال المُفسِّرون: ثم جعلناكَ بعد موسى على طريقةٍ مِنَ الأمر، أي: مِنَ الدِّين ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾. و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كفَّارُ قُريشٍ. ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ﴾ أي: لن يَدفَعوا عنكَ عذابَ الله إنِ اتَّبعتَهم، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الشِّركَ. والآيةُ التي بعدَها مفسَّرةٌ في آخِرِ الأعراف[3]. ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ سببُ نُزولِها أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا للمؤمنين: إنَّا نُعطى في الآخرة مثلما تُعطَون مِنَ الأجرِ، قاله مُقاتِلٌ[4]. والاستفهام ها هنا استفهامُ إنكارٍ. و «اجترحوا» بمعنى اكتَسَبوا. ﴿سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم، وزيدٌ عن يعقوبَ: «سواءً» نصباً؛ وقرأ الباقون: بالرفع. فمَنْ رَفَعَ، فعلَى الابتداء؛ ومَنْ نَصبَ، جعله مفعولاً ثانياً، على تقدير: أنْ نجعلَ مَحياهُم ومَماتَهم سواءً؛ والمعنى: إنَّ هؤلاءِ يَحيَون مؤمنين ويموتون مؤمنين، وهؤلاءِ يَحيَون كافرين ويموتون كافرين؛ وشَتَّانَ ما هم في الحالِ والمآلِ ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بِئْسَ ما يقْضُون. ثم ذَكر بالآية التي تَلي هذه أنه خلَق السمواتِ والأرضَ بالحقِّ، أي: للحقِّ والجزاءِ بالعَدْلِ، لِئلاَّ يظُنَّ الكافرُ أنه لا يُجزى بكُفرِه.

﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/١٢٣: ظن بعض من تكلم في العلم أن هذه الآية دليل على أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، ولا ننكر أن النبي ﷺ وأمته منفردان بشريعة، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي ﷺ من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء والعظة هل يلزم اتباعه أم لا؟ ولا إشكال في لزوم ذلك، ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع بحسب ما علمه سبحانه.

(٣) الأعراف: ٢٠٣.　　(٤) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، لا حجة فيه البتة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قد شرحناه في الفرقان[1]. وقال مُقاتِلٌ: نزلت هذه الآية في الحارثِ بن قيسِ السَّهْمِي. قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على عِلْمِه السابقِ فيه أنه لا يَهتدي ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ أي: طَبَعَ عليه فلم يَسمَعِ الهُدى ﴿وَ﴾ على ﴿قَلْبِهِۦ﴾ فلم يَعْقِلِ الهُدى، وقد ذكرنا الغِشَاوةَ والخَتْمَ في (البقرة)[2]. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ إضلاله إيَّاهُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتَعرِفوا قُدرَتَه على ما يشاء؟!. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في سُورةِ المؤمنون[3] إلى قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قالوه عن عِلْمٍ، إنَّما قالوه شاكِّينَ فيه. ومِنْ أجلِ هذا قال نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

[١٢٦١] «لا تَسُبُّوا الدَّهر فإنَّ الله هو الدَّهرُ»، أي: هو الذي يُهلِكُكم، لا ما تتوهَّمونَهُ مِنْ مرورِ الزَّمانِ.

وما بعدَ هذا ظاهرٌ، وقد تقدَّم بيانُه[4] إلى قوله: ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني المُكذِّبين الكافرين أصحابَ الأباطيل؛ والمعنى: يَظهر خُسرانُهم يَومئذٍ. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: ترى أهلَ كلِّ دِينٍ ﴿جَاثِيَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: جالسةً على الرُّكَبِ، يُقال: قد جَثَا فُلانٌ جُثُوّاً: إذا جلس على رُكبتيه، ومِثْلُه: جَذا يَجذو. والجُذُوُّ أشدُّ استيفازاً مِنَ الجُثُوِّ، لأنَّ الجُذُوَّ: أنْ يجلسَ صاحبُه على أطرافِ أصابعِه. قال ابنُ قُتَيبَة: والمعنى أنها غيرُ مُطمئنَّةٍ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كتابُها الذي فيه حسناتُها وسيئاتُها، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه حِسابُها، قاله الشَّعْبيّ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبة. **والثالث**: كتابُها الذي أنزلَ على رسولِه، حكاه المَاوَرديُ. ويُقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كتابُ الأعمال الذي تكتبه الحَفَظَةُ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: القرآن، والمعنى أنهم يَقرؤونَهُ فيَدُلُّهم ويُذَكِّرُهم، فكأنَّه يَنْطِقُ عليهم، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نَأمرُ الملائكةَ بنَسْخِ أعمالِكُم، أي بكَتْبِها وإثباتِها. وأكثرُ المُفسِّرينَ على أنَّ هذا الاستِنساخَ، مِنَ اللَّوحِ المَحفوظِ، تَستَنسِخُ الملائكةُ كلَّ عامٍ ما

[١٢٦١] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٢٦ و ٧٤٩١ ومسلم ٢٢٤٦ والحميدي ١٠٩٦ وأبو داود ٥٢٧٤ وأحمد ٢/ ٢٣٨ وابن حبان ٥٧١٥ والبغوي ٣٣٨٩ والبيهقي في «السنن ٣/ ٣٦٥ والطبري ٣١٢٠٧ كلهم من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم ورواه البخاري بمعناه. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٧٩: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبّوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم. وقد غَلِطَ ابنُ حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذاً من هذا الحديث.

---

(١) الفرقان: ٤٣.
(٢) البقرة: ٧.
(٣) المؤمنون: ٣٧.
(٤) البقرة: ٢٨، الشورى: ٧.

يكون مِنْ أعمال بني آدمَ، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستِنسَاخُ لا يكون إلاَّ مِنْ أصلٍ. قال الفَرَّاءُ: يرفع المَلَكانِ العملَ كلَّه، فيُثْبِتُ اللَّهُ منه ما فيه ثوابٌ أو عقابٌ، ويَطرحُ منه اللَّغوَ. وقال الزَّجَّاجُ: نَستَنسِخُ ما تكتبه الحَفَظَةُ، ويَثبتُ عندَ الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: في جَنَّتِه.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: فيُقال لهم أَلَمْ تكُنْ آياتي، يعني آياتِ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمانِ بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ ﴿حَقٌّ﴾ أي: كائنٌ ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ قرأ حمزةُ: «والساعةَ» بالنَّصبِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: كائنةٌ بلا شكٍّ ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي أنكرتُموها ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلمُ ذلك إلاَّ ظناً وحَدْساً، ولا نَسْتَيْقِنُ كونَها.

وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ(١) إلى قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي: نَترُكُكم في النَّارِ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: كما تركتُم الإيمانَ والعملَ للقاءِ هذا اليوم. ﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي فعَلْنا بكم ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: مَهزوءاً بها ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قُلتُم: إنه لا بعْثَ ولا حسابَ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «لا يَخرُجونَ» بفتح الياء وضمِّ الراء. وقرأ الباقون: «لا يُخرَجونَ» بضمِّ الياء وفتحِ الراءِ ﴿مِنْهَا﴾ أي: مِنَ النَّارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلَبُ منهم أنْ يَرْجِعوا إلى طاعةِ الله عزَّ وجلَّ، لأنه ليس بحين توبةٍ ولا اعتذارٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: السُّلطان، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الشَّرَفُ، قاله ابنُ زيد. **والثالث**: العَظَمةُ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ، والزَّجَّاجُ.

---

(١) الزمر: ٤٨.

ترتيبها ٤٦ — سورة الأحقاف — آياتها ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾

فصل في نزولها[١]: رَوى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكيَّةٌ، وبه قال الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادةُ، والجمهور. ورُويَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادةَ أنهما قالا: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢]. وقال مُقاتِلٌ: نزلت بمكَّةَ غيرَ آيتَيْن: قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣]. نزلَتا بالمدينة.

وقد تقدَّمَ تفسيرُ فاتِحتِها[٤] إلى قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجَلُ فَناءِ السَّمواتِ والأرض، وهو يومُ القيامة. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ مفسَّرٌ في فاطر[٥] إلى قوله: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾[٦]، وفي الآية اختصارٌ، تقديره: فإنِ ادَّعَوْا أنَّ شيئاً مِنَ المخلوقاتِ صَنعةُ آلهتِهم، فقُلْ لهم: إيتُوني بكتابٍ ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآن فيه برهانُ ما تدَّعونَ مِنْ أنَّ الأصنامَ شركاءُ اللَّهِ، ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[٧]: **أحدها**: أنه الشيءُ يُثيرُه مُستَخرِجُه، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: بَقيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ تُؤثَر عن

---

(١) سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم، كما في «تفسير القرطبي» ١٦/ ١٥٤ و «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٨٢، و «تفسير الشوكاني» ٥/ ١٦.

(٢) الأحقاف: ١٠.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) المؤمن: ١ ـ ٢.

(٥) فاطر: ٤٠.

(٦) قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ٤/ ١٢٤: وهي أشرف آية في القرآن، فإنها استوفت أدلة الشرع عقليها وسمعيّها، لقوله تعالى: **﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾** فهذه بيان لأدلة العقل المتعلقة بالتوحيد، وحدوث العالم، وانفراد الباري سبحانه بالقدرة والعلم والوجود والخلق، ثم قال: **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾** على ما تقولون وهذه بيان لأدلة السمع فإن مدرك الحق إنما يكون بدليل العقل أو بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الأدلة في كتب الأصول.

(٧) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٧٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية =

الأوَّلين، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وإلى نحوه ذهب الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ. **والثالث**: علامةٌ مِنْ عِلْم، قاله الزَّجَّاجُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ، وأيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ، ويعقوبُ: «أَثَرَةٍ» بفتحِ الثاء، مثل شَجَرة. ثم ذكروا في معناها ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الخطُّ، قاله ابنُ عباسٍ؛ وقال: هو خَطٌّ كانت العرب تخُطُّه في الأرض، قال أبو بكرِ بنِ عيَّاشٍ: الخطُّ هو العِيَافَةُ. **والثاني**: أو عِلْم تأثُرونَهُ عن غيرِكُم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: خاصَّةٍ مِنْ عِلْم، قاله قَتادةُ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عَبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، والحَسَنُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «أَثْرَةٍ» بسكونِ الثاء مِنْ غير ألِفٍ بوزنِ نَظْرَةٍ. وقال الفَرَّاء: قُرِئَتْ «أثارةٍ» و «أَثَرَةٍ»، وهي لُغاتٌ، ومعنى الكُلِّ: بقيَّةٍ مِنْ عِلْم، ويُقال: أو شيءٍ مأثورٍ مِنْ كُتب الأوَّلين، فمَنْ قرأ «أثارةٍ» فهو المصدر، مثل قولك: السَّماحةُ والشَّجاعَة، ومَنْ قرأ «أَثَرَةٍ» فإنه بَناهُ على الأثَر، كما قيل: قَتَرة، ومَنْ قرأ «أَثْرَةٍ» فكأنه أراد قوله: «الخَطْفَةَ»(١) و «الرَّجْفَة»(٢). وقال اليَزيدِي: الأَثَارَةُ: البقيَّةُ؛ والأَثْرَة، مصدرُ أَثَرَه يأثُره، أي: يذكرُه ويَرويه، ومنه: حديثٌ مأثورٌ.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ يعني الأصنام ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنها جمادٌ لا تسمعُ، فإذا قامتِ القيامةُ صارت الآلهةُ أعداءً لعابديها في الدنيا. ثم ذَكَر بما بعدَ هذا أنَّهم يُسمُّونَ القرآنَ سِحراً وأنَّ محمَّداً افتراهُ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدِرون على أنْ تَرُدُّوا عني عذابَهُ، أي: فكيف أفتري مِنْ أجلِكُم وأنتم لا تقدرون على دفع عذابهِ عنّي؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه مِنَ التَّكذيبِ والقولِ بأنه سِحرٌ ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أنَّ القرآنَ جاء مِنْ عندِ الله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تأخيرِ العذاب عنكم. وقال الزَّجَّاجُ: إنما ذَكرَ ها هنا الغُفرانَ والرَّحمةَ ليُعْلِمَهم أنَّ مَنْ أتى ما أَتَيْتُم ثم تابَ فإنَّ الله تعالى غفورٌ له رحيمٌ به.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: ما أنا بأوَّلِ رسولٍ. والبِدْعُ والبَديعُ مِنْ كلِّ شيءٍ: المبتدأ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ وقرأ ابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ما يَفعَلُ» بفتحِ الياء ثم فيه

= من علم، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه «أو أثرة» بسكون الثاء، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علم استثير من كتب الأولين ومن خاصة علم أوثروا به.

(١) الصافات: ١٠. (٢) الأعراف: ٧٨.

قولان: **أحدهما**: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان(١):

[١٢٦٢] أحدهما: أنه لمّا اشتدَّ البلاءُ بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجَرَ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فقصَّها على أصحابه، فاستَبْشَروا بذلك لِمَا يلقَون مِنْ أذى المشركين. ثم أنهم مكثوا بُرهةً لا يَروْن ذلك، فقالوا: يا رسولَ الله متى تُهاجِر إلى الأرض التي رأيتَ؟ فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ يعني لا أدري، أخرُجُ إلى الموضع الذي رأيته في منامي أَمْ لا؟ ثم قال: إنّما هو شيءٌ رأيته في منامي، وما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وكذلك قال عَطِيَّةُ: ما أدري هل يَترُكني بمكّةَ أو يُخرِجُني منها.

والثاني: ما أدري هل أُخرَجُ كما أُخرِجَ الأنبياءُ قَبْلي، أو أُقتَلُ كما قُتِلوا، ولا أدري ما يُفعَلُ بكم، أتُعذَّبون أَمْ تؤخَّرونَ؟ أتصدقون أَمْ تُكذِّبونَ؟ قاله الحَسَن.

والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة.

[١٢٦٣] رَوى ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا نزلتْ هذه الآيةُ، نَزلَ بعدها ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(٢) وقال: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ...﴾ الآية(٣)، فأعلَم ما يُفعَلُ به وبالمؤمنين. وقيلَ: إنَّ المشركين فرحوا عندَ نزولِ هذه الآيةِ وقالوا: ما أَمْرُنا وأَمْرُ محمَّدٍ إلاّ واحدٌ، ولولا أنه ابتَدَعَ ما يقوله لأَخبَرَهُ الذي بعثَهُ بما يفعل به، فنزلَ قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ...﴾ الآية، فقال الصحابةُ: هنيئاً لكَ يا رسولَ الله، فماذا يُفعَلُ بنا؟ فنزلتْ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ...﴾ الآية؛ وممَّنْ ذهب إلى هذا القولِ أنسٌ وعِكرمَةُ وقَتادَةُ. ورُوِيَ عن الحسَنِ ذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان(٤): **أحدهما**: أنه عبدُ الله بنُ سَلامٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال

[١٢٦٢] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٤ معلقاً عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا ساقط، الكلبي متروك كذاب، والخبر واهٍ بمرة ليس بشيء.

[١٢٦٣] أخرجه الطبري ٣١٢٣٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مختصراً، وفيه إرسال بينهما.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٧٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري. ومحال أن يقول لرسول الله ﷺ: قل للمشركين ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غداً في القيامة. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٨٤: وهذا القول الذي عوّل عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره، ولا شك في أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره، وأمر مشركي قريش إلى ماذا؟ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم؟

(٢) الفتح: ٢. (٣) الفتح: ٥.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٨١: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق: هو موسى والتوراة، لا ابن سلام، لأنه أسلم بالمدينة والسورة مكية، في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن الآية في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه ﷺ، وهذه الآية نظير سائر الآيات قبلها =

الحسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه موسى بنُ عِمْرانَ عليه السلام، قاله الشَّعْبي، ومَسرُوقٌ. فعَلَى القولِ الأولِ يكون ذِكْرُ المَثَلِ صِلةً، فيكون المعنى: وشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بَني إسرائيلَ عليه، أي: على أنه مِنْ عند الله، ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهدُ، وهو ابنُ سَلام ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يا مَعشَرَ اليهودِ. وعلى الثاني يكون المعنى: وشَهِدَ موسى على التَّوراةِ التي هي مِثْلُ القرآن أنها مِنْ عند الله، كما شَهِدَ محمَّدٌ على القرآن أنه كلامُ الله، «فآمن» مَنْ آمَنَ بموسى والتَّوراةِ «واستَكْبرتُم» أنتم يا مَعشرَ العربِ أنْ تُؤمنوا بمحمَّدٍ والقرآنِ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «إنْ» قيلَ: هو مُضمَرٌ؛ وفي تقديره ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ جوابه: فمَنْ أضلُّ منكم، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ تقدير الكلام: وشَهِدَ شاهدٌ مِن بني إسرائيلَ على مِثْلِه فآمَنَ، أتؤمنون؟ قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ تقديره: أتَأْمَنون عقوبةَ الله؟ قاله أبو عليٍّ الفَارِسيُ. **والرابع**: أنَّ تقديره: أفَما تهلكون؟ ذكره المَاوَرديُ. **والخامس**: مَنِ المُحِقُّ مِنَّا ومِنكم ومَنِ المُبْطِلُ؟ ذكره الثَّعلَبيُ. **والسادس**: أنَّ تقديره: أليسَ قد ظَلَمْتُمْ؟ ويدُلُّ على هذا المحذوفِ قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ذكره الوَاحِديُ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، في سببِ نُزولها خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**:

= ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه الآية إلى أنها فيهم نزلت، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به.

ـ وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٢: ويجوز أن تكون الآية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية، فإن الآية كانت تنزل فيقول النبي ﷺ: ضعوها في سورة كذا، والآية في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء، أي شهادتهم لهم وشهادة نبيهم هي من أوضح الحجج، ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٨٥: وقوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾** أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في =

أنَّ الكفَّارَ قالوا: لو كان دِيْنُ محمَّدٍ خيراً ما سَبقَنا إليه اليهودُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مَسرُوقٌ[١]. **والثاني**: أنَّ امرأةً ضعيفةَ البَصَرِ أسلَمَتْ، وكان الأشرافُ مِنْ قُريش يهزؤون بها ويقولون: واللّهِ لو كان ما جاء به محمَّدٌ خيراً ما سَبقَتْنا هذه إليه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو الزِّنادِ[٢]. **والثالث**: أنَّ أبا ذَرٍّ الغِفَارِي أسلَمَ واستجاب به قومُه إلى الإسلام، فقالت قُريشٌ: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو المُتوكِّلِ[٣]. **والرابع**: أنه لمَّا اهتدَتْ مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأسلَمَتْ، قالت أسَدُ وغَطَفانُ: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رِعاءُ الشَّاءِ، يَعْنُونَ مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَة، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ السَّائبِ[٤]. **والخامس**: أنَّ اليهودَ قالوا: لو كان دِينُ محمَّدٍ خيراً ما سَبقْتُمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لكم بذلك، ولو كان حقَّاً لَدَخلْنا فيه، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ وقال: هو قولُ مَنْ يقول: إنَّ الآيةَ نزلت بالمدينةِ؛ ومَنْ قال: هي مكِّيَّةٌ، قال: هو قولُ المشركين. فقد خرجَ في «الذين كفروا» قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: اليهود.

وقوله: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا﴾ أي: لو كان دِيْنُ محمَّدٍ خيراً ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾. فمَنْ قال: هم المشركون، قال: أرادوا: إنَّا أعزُّ وأفضلُ؛ ومنْ قال: هم اليهود، قال: أرادوا: لأنَّا أعلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ أي: كَذِبٌ مُتقدِّمٌ، يَعنون أساطيرَ الأوَّلين. ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآن التَّوراةُ. وفي الكلام محذوفٌ، تقديره: فلَمْ يهتدوا، لأن المشركين لم يهتدوا بالتَّوراة. ﴿إِمَامٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ ﴿وَرَحۡمَةٗۚ﴾ عطفٌ عليه ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾ المعنى: مُصدِّقٌ للتَّوراةِ ﴿لِّسَانًا عَرَبِيّٗا﴾ منصوبٌ على الحالِ؛ المعنى: مُصدِّقٌ لِما بين يديه عربيَّاً؛ وذَكَر «لساناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً.

قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قرأ عاصِمٌ وأبو عمروٍ وحمزَةُ والكِسَائيُّ: «لِيُنْذِرَ» بالياء. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء. وعن ابنِ كَثيرٍ كالقراءتين. «والذين ظلموا» المشركون ﴿وَبُشۡرَىٰ﴾ أي وهو بُشرى ﴿لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وهم المُوحِّدون يُبشِّرهم بالجنَّةِ.

وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[٥] إلى قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ﴾ وقرأ عاصِمُ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ:

= ذلك غلطاً فاحشاً، وأخطؤوا خطأً بيناً، كما قال تعالى: **﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾** أي: يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: **﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾**، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة، لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها.

(١) عزاه المصنف لمسروق: ولم أقف على إسناده، وهو مرسل.
ـ وأخرج الطبري ٣١٢٦١ عن قتادة نحوه وليس فيه ذكر اليهود وإنما بنو فلان.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٨/٦: أخرج ابن المنذر عن عون بن شداد قال كان لعمر أمة أسلمت قبله، يقال لها زيزة.. فذكره بنحوه وعزاه المصنف لأبي الزناد، ولم أقف عليه.

(٣) عزاه المصنف لأبي المتوكل، واسمه علي بن دؤاد، وهو في عداد التابعين، فالخبر مرسل، ولم أقف على إسناده.

(٤) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم بالكذب.

(٥) فصلت: ٣٠.

﴿إِحۡسَٰنًاۖ﴾ بألِفٍ. ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «كَرهاً» بفتح الكاف، وقرأ الباقون بضمِّها. قال الفرّاءُ: والنَّحويُّون يستحبُّون الضَّمَّ ها هنا، ويكرهون الفتحَ، للعلَّةِ التي بيَّنَّاها عند قوله: ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾[1]، قال الزَّجّاجُ: والمعنى: حَملَتْهُ على مَشقَّةٍ ﴿وَوَضَعَتۡهُ﴾ على مَشقَّةٍ. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فِطَامُه. وقرأ يعقوبُ: «وفَصْلُهُ» بفتحِ الفاء وسكونِ الصاد مِنْ غيرِ ألِفٍ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾. قال ابنُ عباسٍ: «ووَضعَتْه كُرْهاً» يريد به شِدَّةَ الطَّلْقِ. واعلَمْ أنَّ هذه المُدَّةَ قُدِّرَتْ لأقلِّ الحَمْلِ وأكثرِ الرَّضاعِ؛ فأمّا الأشُدُّ، ففيه أقوالٌ قد تقدَّمت؛ واختارَ الزَّجّاج أنه بلوغُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، لأنه وقتُ كمالِ الإنسان في بَدنِه وقوَّتِه واستحكام شأنِه وتمييزِه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أشُدُّ الرجلِ غيرُ أشُدِّ اليتيم، لأنَّ أشُدَّ الرَّجُلِ: الاكتِهالُ والحُنكَةُ وأنْ يشتدَّ رأيُه وعقلُه، وذلك ثلاثون سنةً، ويُقال: ثمانٍ وثلاثُون سنةً، وأشُدُّ الغُلام: أنْ يشتدَّ خَلْقُه ويتناهى نَباتُه. وقد ذكرنا بيانَ الأشُدِّ في الأنعام[2] وفي يوسف[3] وهذا تحقيقُه. واختلفوا فيمَنْ نزلت هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١٢٦٤] **أحدها**: أنها نزلَت في أبي بكرٍ الصِّدّيقِ رضي الله عنه، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثمانِ عشرةَ سنةً ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرينَ سنةً وهم يريدون الشّامَ في تجارةٍ، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرَةٌ، فقعدَ رسولُ الله ﷺ في ظِلِّها، ومضى أبو بكرٍ إلى رَاهبٍ هناك يسأله عن الدِّيْنِ، فقال له: مَنِ الرَّجُل الذي في ظِلِّ السِّدْرَةِ؟ فقال: ذاكَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللّه بنِ عبدِ المُطَّلبِ، فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، وما استظَلَّ تحتَها أحدٌ بعدَ عيسى إلاّ محمَّدٌ نبيُّ الله، فوقَع في قلبِ أبي بكرٍ اليقينُ والتصديقُ، فكان لا يُفارِقُ رسولَ الله ﷺ في أسفارِه وحَضَرِه، فلمّا نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ - وهو ابنُ أربعين سنةً وأبو بكرٍ ابنُ ثمانٍ وثلاثينَ سنةً - صدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمّا بلغَ أربعينَ سنةً قال: ربِّ أوْزِعْني أنْ أشكُرَ نِعمَتَكَ التي أنعمتَ عليَّ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون: قالوا: فلمّا بلغَ أبو بكرٍ أربعين سنةً، دعا الله عزَّ وجلَّ بما ذكره في هذه الآية، فأجابَهُ الله، فأسلَمَ والدَاهُ وأولادُهُ ذُكورُهم وإِناثُهم، ولم يجتمع ذلك لغيرِه مِنَ الصحابة.

والقول الثاني: أنها نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ، وقد شرحنا قصتَهُ في العَنكبوت[4]، وهذا مذهبُ الضَّحّاكِ، والسُّدِّيِّ. **والثالث**: أنها نزلَتْ على العموم، قاله الحسَنُ.

وقد شرحنا في سورَةِ النَّمل[5] معنى قوله: ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أجابه الله - يعني أبا بكرٍ - فأعتَقَ تسعةً مِنَ المؤمنين كانوا يُعذَّبون في الله عزَّ وجلَّ، ولم يُرِدْ شيئاً مِنَ الخير إلاّ أعانَهُ الله عليه، واستجاب له في ذُرِّيتِه فآمنوا، ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ أي: رَجَعْتُ إلى كلِّ ما تُحِبُّ.

[١٢٦٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٥ عن ابن عباس من رواية عطاء بدون إسناد، ولم أقف عليه، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ١٠ لابن مردويه لكن ساقه مختصراً، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه.

---

(١) البقرة: ٢١٦.
(٢) الأنعام: ١٥٣.
(٣) يوسف: ٢٢.
(٤) العنكبوت: ٨.
(٥) النمل: ١٩.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «يُتَقَبَّلُ» «ويُتَجاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم، وخَلفٌ: «نَتَقَبَّلُ» و «نَتَجاوَزُ» بالنون فيهما، وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ: «يَتَقَبَّلُ» «ويَتَجاوَزُ» بياءٍ مفتوحةٍ فيهما، يعني أهلَ هذا القولِ، والأحسَنُ بمعنى الحَسَن. ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي: في جملة مَنْ يُتجاوزُ عنهم، وهم أصحاب الجنَّةِ. وقيلَ: «في» بمعنى «مع». ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ، لأنه مصدر مؤكِّدٌ لِمَا قبْله، لأنَّ قوله: «أولئك الذين نَتقبَّلُ عنهم» بمعنى الوَعدِ، لأنه وَعَدهم القَبولَ بقوله: «وَعْدَ الصِّدْقِ»، يؤكِّدُ ذلك قولُه: ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: على ألسنة الرُّسلِ في الدنيا.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾(١) قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ. وأبو بكرٍ عن عاصِم: «أُفِّ لكما» بالخَفضِ من غيرِ تنوينٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: بفتح الفاء. وقرأ نافعٌ، وحَفصٌ عن عاصِم: «أُفٍّ» بالخَفضِ والتنوين. وقرأ ابنُ يَعمُرَ: «أُفٌّ» بتشديد الفاء مَرفوعةً منوَّنةً. وقرأ حُمَيدٌ، والجَحْدَرِيُّ: «أُفًّا» بتشديد الفاء وبالنَّصب والتنوين. وقرأ عمرُو بنُ دِينارٍ: «أُفُّ» بتشديدِ الفاء وبالرفع مِنْ غير تنوينٍ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وعِكرِمَةُ، وأبو رَجاءٍ: «أُفْ لكما» بإسكانِ الفاءِ خفيفةً. وقرأ أبو العَالِيَةِ، وأبو عِمْرانَ: «أُفِّي» بتشديدِ الفاء وياءٍ ساكنةٍ مُمالَةٍ.

[١٢٦٥] ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنها نزلت في عبدِ الرَّحمنِ بن أبي بكرٍ قَبْلَ إسلامِه، كان أبوَاهُ يَدعُوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهورُ المُفسِّرين.

[١٢٦٦] وقد رُوِيَ عن عائشَة أنها كانت تُنكِر أنْ تكونَ الآيةُ نزلت في عبدِ الرَّحمن، وتَحْلِفُ

[١٢٦٥] أخرجه الطبري ٣١٢٧٥ عن ابن عباس برواية عطية العوفي، قال: هذا ابن لأبي بكر. ولا يصح هذا، فإن راويه عطية العوفي ضعيف، وعنه من لا يُعرف.

[١٢٦٦] أخرجه النسائي في «التفسير» ٥١١ والحاكم ٤/ ٤٨١ والخطابي في «غريب الحديث» ٢/ ٥١٧ عن محمد بن زياد عن عائشة، وهذا منقطع، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: محمد لم يسمع من عائشة. وللقصة طريق أخرى عند البزار ١٦٢٤ «كشف» وفيه عبد الله البهي، وثقه قوم، وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٤١ إسناد البزار حسن. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ٨٩: =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «جامع البيان» ١١/ ٢٨٧: وهذا نعت من الله تعالى ذكره، نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما له إلا عتواً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله.

على ذلك وتقول: لو شِئتُ لَسَمَّيتُ الذي نزلَتْ فيه.

قال الزَّجَّاجُ: وقولُ مَنْ قال: إنها نزلت في عبدِ الرَّحمن، باطلٌ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ فأعلَمَ اللَّهُ أنَّ هؤلاءِ لا يُؤمِنون، وعبدُ الرحمنِ مؤمِنٌ، والتفسيرُ الصَّحيحُ أنها نزلت في الكافرِ العَاقِّ. ورُوِيَ عن مُجاهِدٍ أنها نزلت في عبدِ الله بنِ أبي بكرٍ، وعن الحَسنِ أنها نزلت في جماعةٍ مِنْ كفَّارِ قُريشٍ قالوا ذلك لآبائِهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَضَتِ القُرونُ فلم يرجع منهم أحدٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: مضت القُرون مكذِّبةً بهذا، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يَدْعُوَان اللَّهَ له بالهُدى ويقولان له: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ أي: صَدِّقْ بالبَعثِ، ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ الذي تقولان ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وقد سبق شرحُها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الكفَّارَ ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: وَجَبَ عليهم قضاءُ الله أنهم مِنْ أهلِ النَّارِ ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ أي: مع أُمَمٍ. فذكرَ اللَّهُ تعالى في الآيتين قَبْلَ هذه مَنْ بَرَّ والدَيْه وعَمِلَ بوصيَّة الله عزَّ وجلَّ، ثم ذكرَ مَنْ لم يَعْمَلْ بالوَصيَّة ولم يُطِعْ ربَّه ولا والِدَيْه، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو عِمرانَ: «أنَّهم» بفتحِ الهمزة. ثم قال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: منازل ومراتبُ بحسب ما اكتسبوه مِنْ إيمانٍ وكُفرٍ، فيتفاضل أهلُ الجنَّةِ في الكرامة، وأهلُ النَّارِ في العذاب ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ: «وليُوفِّيَهُمْ» بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاءَ أعمالِهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ المعنى: واذكُرْ لهم يومَ يُعْرَضُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ أي: ويُقال لهم: أذهَبْتُم، قرأ ابنُ كَثيرٍ: «آذهَبْتُمْ» بهمزةٍ مُطوَّلةٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «أأذهبتم» بهمزتين. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أذْهَبْتُمْ» على الخبرِ، وهو توبيخٌ لهم. قال الفَرَّاءُ والزَّجَّاجُ: العربُ تُوبِّخ بالألِفِ وبغيرِ الألفِ، فتقول: أذْهَبْتَ وفعلتَ كذا؟! وذهبتَ ففعلْتَ؟! قال المُفسِّرون: والمراد بطَيِّباتهم: ما كانوا فيه مِنَ اللَّذَّاتِ مُشتغِلين بها عن الآخرة مُعرِضين عن شُكرها. ولمَّا وَبَّخهم الله بذلك، آثَرَ النبيُّ ﷺ وأصحابه والصَّالحون بعدَهم اجتنابَ نعيمِ العيش ولذَّته ليتكاملَ أجرُهم ولئلاَّ يُلهيَهم عن مَعادِهم.

[١٢٦٧] وقد رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ أنه دخل على رسولِ الله ﷺ وهو مُضطجعٌ على خَصفةٍ وبعضُه على التراب وتحت رأسه وِسادةٌ مَحشوَّة لِيفاً، فقال: يا رسولَ الله، أنتَ نبيُّ الله وصفوتُه، وكِسْرَى وقَيصَرُ على سُرُرِ الذَّهب وفُرُشِ الدِّيباج والحرير؟! فقال ﷺ: «يا عمرُ، إنَّ أولئكَ قومٌ عُجِّلَتْ

= لا يصح هذا عن عائشة. قلت: الذي صح في ذلك هو ما أخرجه البخاري ٤٨٢٧ عن يوسف بن ماهيك. قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه **﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾** فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري».

[١٢٦٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٦٨ ومسلم ١٤٧٩ والترمذي ٣٣١٨ وابن حبان ٤٢٦٨ من حديث ابن عباس في خبر مطوّل. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٩٧.

لهم طيِّباتهم، وهي وَشيكَةُ الانقطاعِ، وإنَّا أُخِّرَتْ لنا طيِّباتُنا».

ورَوى جابرُ بنُ عبدِ الله قال: رأى عمرُ بنُ الخَطَّابِ لحماً مُعلَّقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابرُ؟ فقلتُ: اشتهيتُ لحماً فاشتريتُه، فقال: أَوَ كلَّما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابرُ؟! أَمَا تخافُ هذه الآيةَ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾. ورُوِيَ عن عمرَ أنه قيلَ له: لو أَمَرتَ أنْ نصنعَ لكَ طعاماً ألينَ مِنْ هذا، فقال: إني سمعتُ الله عَيَّرَ أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تتكبَّرون عن عبادةِ الله والإيمانِ به.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هُوداً ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ قال الخليلُ: الأحقافُ: الرِّمالُ العِظامُ، وقال ابنُ قُتيبةَ: واحدُ الأحقافِ: حِقْفٌ، وهو من الرَّمْلِ: ما أشرَفَ مِنْ كُثبانِه واستطالَ وانحنَى. وقال ابنُ جريرٍ: هو ما استطالَ مِنَ الرَّمْلِ ولم يبلُغ أنْ يكونَ جَبَلاً. واختلفوا في المكان الذي سُمِّيَ بهذا الاسم على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جبلٌ بالشَّام، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه وادٍ، ذكره عَطِيَّةُ. وقال مُجاهِدٌ: هي أرضٌ. وحكى ابنُ جريرٍ أنه وادٍ بين عُمانَ ومَهْرة. وقال ابنُ إسحاقَ: كانوا ينزِلون ما بينَ عُمانَ وحَضْرَمَوْتَ، واليمنُ كلُّه. **والثالث**: أنَّ الأحقافَ: رمالٌ مُشرِفةٌ على البحر بأرضٍ يُقال لها: الشِّحْر، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: قد مَضتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هُودٍ ومِنْ بَعدِه بإنذارِ أُمَمِها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ والمعنى: لم يُبعَثْ رسولٌ قَبْلَ هُودٍ ولا بعدَهُ إلاَّ بالأمرِ بعبادة الله وحدَهُ. وهذا كلامٌ اعترَضَ بين إنذارِ هُودٍ وكلامِه لقومِه، ثم عادَ إلى كلام هُودٍ فقال ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ أي: لِتَصرِفَنا عن عبادةِ آلهَتِنا بالإفْكِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو يَعْلَمُ متى يأتيكم العذابُ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يُوعَدون في قوله: «بما تَعِدُنا» ﴿عَارِضًا﴾ أي: سحابٌ يعرِضُ مِنْ ناحيةِ السماء. قال ابنُ قُتيبةَ: العَارِضُ: السَّحابُ. قال المُفسِّرون: كان المطر قد حُبِسَ عن عادٍ، فسَاقَ الله إليهم سحابةً سوداءَ، فلمَّا رأَوها فَرِحوا و ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فقال لهم هُودٌ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾، ثم بَيَّنَ ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فنَشأتِ الرِّيحُ مِنْ تلك السَّحابةِ، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: تُهْلِكُ كلَّ شيءٍ مَرَّت به مِنَ الناس والدَّوابِّ والأموالِ. قال عمرُو بنُ مَيمُونٍ: لقد كانت الرِّيحُ تحتمل الظَّعينةَ فترفعها حتى تُرى كأنها جرادةٌ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ يعني عاداً ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزةُ: «لا يُرى» برفع الياء «إلاَّ مساكِنُهم» برفعِ النون. وقرأ عليٌّ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، والحسَنُ، وقَتادةُ، والجَحْدَرِيُّ: «لا

تُرَى» بتاءٍ مضمومةٍ. وقرأ أبو عِمرَانَ، وابنُ السَّمَيفَع: «لا تَرى» بتاءٍ مفتوحةٍ «إلاّ مسكَنهم» على التوحيد. وهذا لأنَّ السُّكّانَ هلكوا، فقيلَ: أصبحوا وقد غطَّتهم الرِّيحُ بالرَّملِ فلا يُرَوْنَ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

ثم خوَّفَ كفَّار مكَّةَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ في «إنْ» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «لَمْ» فتقديره: فيما لم نُمكِّنكم فيه، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ قُتيبةَ. وقال الفرَّاءُ: هي بمنزلة «ما» في الجحدِ، فتقدير الكلام: في الذي لم نُمكِّنكُم فيه. **والثاني**: أنها زائدةٌ؛ والمعنى: فيما مكَّنَّاكم فيه، وحكاه ابنُ قُتيبَة أيضاً.

ثم أخبرَ أنه جعلَ لهم آلاتِ الفهم، فلم يتدبَّروا بها، ولم يتفكَّروا فيما يدلُّهم على التوحيدِ، قال المُفسِّرون: والمراد بالأفئدة: القلوب؛ وهذه الآلاتُ لم تَرُدَّ عنهم عذابَ الله.

ثم زادَ كفَّارَ مكَّةَ في التَّخويفِ، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كدِيَارِ عادٍ وثَمودَ وقوم لُوطٍ وغيرهم مِنَ الأُمَمِ المُهلَكةِ ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أي: بيَّنَّاها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني أهلَ القرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن كُفرهم. وها هنا محذوفٌ، تقديره: فما رَجعوا عن كُفرهم. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاَّ ﴿نَصَرَهُمُ﴾ أي: مَنعهم مِنْ عذاب الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ يعني الأصنام التي تقرَّبوا بعبادَتِها إلى الله على زَعمِهم؛ وهذا استفهامُ إنكارٍ، معناه: لم ينصروهم ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزولِ العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني دُعاءَهُم الآلهةَ ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كَذِبُهم، وقرأ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ وابنُ يَعمَرَ وأبو عِمرَانَ: «وذلك أَفَكَهم» بفتحِ الهمزة وقصرِها وفتح الفاء وتشديدِها ونصبِ الكاف. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ والشَّعْبيُّ وأبو العَاليةِ والجَحْدَريُّ: «أَفَكَهم» بفتحِ الهمزة وقصرِها ونصبِ الكافِ والفاء وتخفيفِها. قال ابنُ جَريرٍ: أي: أضَلَّهم. وقال الزَّجَّاجُ: معناها: صَرَفهم عن الحقِّ فجعلَهم ضُلاّلاً. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو المُتوكِّلِ: «آفِكهم» بفتحِ الهمزة ومدِّها وكسر الفاء وتخفيفِها ورفعِ الكاف، أي: مُضِلُّهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وبَّخَ الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية كُفَّار قريشٍ بما آمنت به

الجِنُّ. وفي سببِ صَرفِهِم إلى النبيِّ ﷺ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم صُرِفوا إليه بسبب ما حَدثَ مِنْ رَجْمِهم بالشُّهب. روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث ابنِ عباسٍ قال:

[١٢٦٨] انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ مِنْ أصحابه عامِدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ، وقد حِيْلَ بين الشياطين وبين خبرِ السماء، وأُرسِلتْ عليهم الشُّهُبُ، فرجعت الشياطينُ، فقالوا: ما لَكُم؟ قالوا: حِيْلَ بينَنا وبينَ خبرِ السماء وأُرسِلتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما ذاكَ إلاَّ مِنْ شيءٍ حَدثَ، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغارِبَها فانظُروا ما هذا الأمرُ، فمَرَّ النَّفرُ الذين توجَّهوا نحوَ تِهامةَ بالنبيِّ ﷺ وهو بـ «نَخْلَة» وهو يُصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ، فلَمَّا سمعوا القرآنَ تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حالَ بينكم وبينَ خبرِ السماء، فهنالكَ رَجَعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾(١)، فأنزلَ الله على نبيِّهُ ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾(٢).

[١٢٦٩] وروَى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجِنّ، ولا رآهم، وإنَّما أتَوْه وهو بـ «نَخْلَة» فسَمِعوا القرآن.

والثاني: أنهم صُرِفوا إليه لِيُنذِرَهم وأُمِرَ أنْ يقرأَ عليهم القرآن هذا مذهبُ جماعةٍ، منهم قَتادةُ.

[١٢٧٠] وفي أفرادِ مُسلم مِنْ حديث عَلقَمَةَ قال: قلتُ لعبدِ الله: مَنْ كان منكم مع النبيِّ ﷺ ليلةَ الجِنِّ؟ فقال: ما كان منَّا معهُ أحدٌ، فَقَدْناه ذاتَ ليلةٍ ونحن بمكَّةَ، فقلنا: اغتِيْلَ رسولُ الله ﷺ أو استُطِيرَ، فانطَلَقْنا نطلبه في الشِّعاب، فلَقِيناهُ مُقبلاً مِنْ نحو حِراءَ، فقلنا: يا رسولَ الله، أينَ كنتَ؟ لقد أشفَقْنا عليكَ، وقلنا له: بِتْنا الليلةَ بِشرِّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ حينَ فَقَدْناكَ، فقال: «إنه أتاني دَاعي الجِنِّ، فذهبتُ أُقرِئُهم القرآن»، فذهبَ بنا، فأرانا آثارَهم وآثارَ نيرانِهم.

[١٢٧١] وقال قَتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنِّي أُمِرْتُ أنْ أقرأَ على الجِنِّ، فأيُّكم يَتبعُني؟» فأطرَقوا، ثم استَتْبَعهُم فأطرَقُوا ثم استَتْبَعهُم الثالثةَ فأطرَقُوا، فأتبَعَهُ عبدُ اللَّه بنُ مسعودٍ، فدخلَ

[١٢٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٣ عن مسدد ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وأخرجه البخاري ٣٣٢٠ ومسلم ٤٤٩ والترمذي ٣٣٢٠ وأحمد ١/ ٢٥٢ و ٢٧٠ وأبو يعلى ٢٣٦٩ من طرق عن أبي عوانة به. وأخرجه أحمد ١/ ٢٧٤ وأبو يعلى ٢٥٠٢ من طريق أبي إسحاق عن سعيد به.

[١٢٦٩] هو صدر الحديث المتقدم.

[١٢٧٠] صحيح. أخرجه مسلم ٤٥٠ عن محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود قال سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود.
وأخرجه أبو داود ٨٥ مختصراً والترمذي ١٨ و ٤٢٥٨ وابن أبي شيبة ١/ ١٥٥ وابن خزيمة ٨٢ وأبو عوانة ١/ ٢١٩ وابن حبان ١٤٣٢ والبيهقي ١/١٠٨ ـ ١٠٩ وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٢٢٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٧٨ مختصراً من طرق عن داود بن أبي هند به.

[١٢٧١] هذا الخبر هو عند الطبري منجماً ٣١٣١٥ من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً. و ٣١٣١٦ من طريق معمر عن قتادة و ٣١٣١٧ من طريق عبد الله بن عمرو بن غيلان عن ابن مسعود و ٣١٣١٨ من طريق عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي عن ابن مسعود. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها من جهة الإسناد، لكن هي معارضة بالحديث الصحيح المتقدم.

---

(١) الجن: ١ ـ ٢. (٢) الجن: ١.

نبيُّ الله ﷺ شِعْباً يُقال له: «شِعْبُ الحَجونِ»، وخَطَّ على عبدِ الله خطّاً ليُثبِتَهُ به، قال: فسمعتُ لَغطاً شديداً حتى خِفتُ على نبيِّ الله ﷺ، فلمَّا رجَعَ قلتُ: يا نبيَّ الله، ما اللَّغطُ الذي سمعتُ؟ قال: «اجتمعوا إليَّ في قتيلٍ كان بينهم، فقضَيتُ بينهم بالحقِّ».

والثالث: أنهم مَرُّوا به وهو يقرأ، فسَمِعوا القرآن.

[١٢٧٢] فذكَرَ بعضُ المُفسِّرين أنه لمَّا يَئِسَ مِنْ أهل مكَّةَ أنْ يُجيبوه، خرج إلى الطَّائفِ لِيَدعوَهم إلى الإسلام ـ وقيلَ: ليلتَمِسَ نَصرَهُم ـ وذلك بعد موتِ أبي طالبٍ، فلمَّا كان ببطنِ نَخْلَة قام يقرأ القرآن في صلاةِ الفجرِ، فمَرَّ به نفرٌ مِنْ أشراف جِنِّ نَصِيْبِيْنَ، فاستمعوا القرآنَ.

فعَلَى هذا القولِ والقولِ الأولِ، لم يَعلَمْ بحضورِهم حتى أخبرَهُ الله تعالى؛ وعلى القولِ الثاني: عَلِمَ بهم حين جاؤوا. وفي المكان الذي سمِعوا فيه تلاوةَ النبيِّ ﷺ قولان: **أحدهما**: الحَجونُ، وقد ذكرناه عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: بَطْنُ نَخلَةَ، وقد ذكرناهُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. وأمَّا النَّفرُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: إنَّ النَّفَرَ ما بين الثلاثة إلى العَشرةِ. وللمُفسِّرين في عددِ هؤلاءِ النَّفر ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا سبعةً، قاله ابنُ مسعودٍ وزِرُّ بنُ حُبَيشٍ ومُجاهِدٌ، ورواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تسعةٌ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: اثني عشرَ ألفاً، رُوِيَ عن عِكرِمَةَ، ولا يصحُّ، لأنَّ النَّفر لا يُطلَق على الكثير.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: حضروا استِماعَهُ، و﴿قُضِيَ﴾ يعني: فُرِغَ مِنْ تلاوته ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: مُحذِّرين عذابَ الله عزَّ وجلَّ إنْ لم يُؤمِنوا. وهل أَنذَروا قومَهم مِنْ قِبَلِ أنفسِهم، أم جعلَهم رسولُ الله ﷺ رُسُلاً إلى قومِهم؟ فيه قولان.

قال عطاء: كان دِيْنُ أولئكَ الجِنِّ اليهوديةَ، فلذلكَ قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ يعنونَ محمَّداً ﷺ. وهذا يدلُّ على أنه أُرسِلَ إلى الجِنِّ والإنسِ.

قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِنْ» ها هنا صِلَةٌ.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا يُعجِزُ اللَّهَ تعالى ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أي أنصارٌ يمنعونه مِنْ عذابِ الله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يُجيبون الرُّسلَ ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم احتجَّ على إحياءِ الموتى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ . . .﴾ إلى آخرِ الآية. والرُّؤيةُ ها هنا بمعنى العِلْم. ﴿وَلَمْ يَعْىَ﴾ أي: لم يَعجَزْ عن ذلك؛ يُقال: عَيَّ فلانٌ بأمرِه، إذا لم يَهتَدِ له ولم يَقدِرْ عليه. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَيِيتُ بالأمرِ، إذا لم تعرِفْ وجهَهُ، وأعيَيْتُ، إذا تعبت.

[١٢٧٢] ضعيف. رواه ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٢١ ـ ٢٣ من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي... فذكره. وهذا مرسل، فهو ضعيف، ويزيد غير قوي.

قوله تعالى: ﴿بِقَادِرٍ﴾ قال أبو عُبيدَة والأخفَش: الباء زائدةٌ مؤكِّدةٌ. وقال الفرَّاءُ: العربُ تُدخِل الباءَ مع الجحدِ، مثل قولك: ما أظُنُّك بقائم، وهذا قولُ الكِسَائيّ، والزَّجَّاج: وقرأ يعقوبُ: «يَقْدِرُ» بياءٍ مفتوحةٍ مكانَ الباء وسكونِ القاف ورفعِ الراءِ مِنْ غير ألِفٍ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ أي: ذَوو الحَزْم والصَّبْرِ؛ وفيهم عشرةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنهم نُوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمَّدٌ ﷺ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وعطاءٌ الخُراسانيُ، وابنُ السَّائب. **والثاني**: نُوحٌ، وهُودٌ، وإبراهيمُ، ومحمَّدٌ ﷺ، قاله أبو العَاليةِ الرِّياحيُ. **والثالث**: أنهم الذين لم تُصِبْهم فتنةٌ مِنَ الأنبياء، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنهم العرب مِنَ الأنبياء، قاله مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُ. **والخامس**: أنهم إبراهيمُ، وموسى، وداودُ، وسُليمانُ، وعيسى، ومحمَّدٌ ﷺ، قاله السُّدِّيُ. **والسادس**: أنَّ منهم إسماعيلَ، ويعقوبَ؛ وأيُّوبَ، وليس منهم آدمُ، ولا يونسُ، ولا سُليمانُ، قاله ابنُ جُرَيج. **والسابع**: أنهم الذين أُمِروا بالجهاد والقتال، قاله ابنُ السَّائبِ، وحُكِيَ عن السُّدِّيّ. **والثامن**: أنَّهم جميعُ الرُّسلِ، فإنَّ الله لم يَبْعثْ رسولاً إلاّ كان مِنْ أولي العَزم، قاله ابنُ زيدٍ، واختاره ابنُ الأنبَاري، وقال: «مِنْ» دخلتْ للتَّجنيس لا للتَّبعيض، كما تقول: قد رأيتُ الثيابَ مِنَ الخَزِّ والجِبابَ مِنَ القَزِّ. **والتاسع**: أنهم الأنبياء الثَّمانيةَ عشر المذكورون في سُورَةِ (الأنعام)، قاله الحُسينُ بنُ الفضلِ. **العاشر**: أنهم جميعُ الأنبياء إلاّ يونسَ، حكاه الثَّعلَبيُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ يعني العذاب، قال بعضُ المُفسِّرين: كان النبيُّ ﷺ ضَجِرَ بعضَ الضَّجَرِ، وأحبَّ أنْ ينزلَ العذاب بمَنْ أبى مِنْ قومه، فأُمِرَ بالصَّبر.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ لأنَّ ما مضى كأنه لم يكُنْ وإنْ كان طويلاً. وقيلَ: لأنَّ مقدارَ مَكْثِهم في الدُّنيا قليلٌ في جَنْبِ مَكْثِهم في عذاب الآخرة. وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه مِنَ البيان بلاغٌ عن الله إليكم. وفي معنى وَصْفِ القرآنِ بالبلاغ قولان: **أحدهما**: أنَّ البلاغَ بمعنى التبليغ. **والثاني**: أنَّ معناه: الكِفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفايةٌ وغِنىً.

وذكر ابنُ جريرٍ وجهاً آخر، وهو أنَّ المعنى: لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ ساعةً مِنْ نهارٍ، ذلك لُبْثُ بلاغٍ، أي: ذلك بلاغٌ لهم في الدنيا إلى آجالِهم، ثُمَّ حُذِفتْ «ذلك لُبْث» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِرَ في الكلام عليها. وقرأ أبو العَاليةِ، وأبو عِمرَانَ: «بَلِّغْ» بكسرِ اللام وتشديدِها وسكونِ الغين مِنْ غير أَلِفٍ.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ وأبو المُتوكِّل وابنُ مُحَيصِنٍ: «يَهْلِكُ» بفتحِ الياء وكسرِ اللام، أي عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمرِ الله عزَّ وجلَّ؟!.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٠٢: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ مثبته على المضي لما قلّده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة ﷺ، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا من قومهم من المكاره، ونالهم فيه من الأذى والشدائد (فاصبر) يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار (كما صبر أولو العزم) على القيام بأمر الله والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم.

سورة محمد

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

صلى الله عليه وآله وسلم

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادةُ أنها مدنيَّةٌ، إلاَّ آيةً منها نزلت عليه بعدَ حَجِّه حين خرجَ مِنْ مكَّةَ وجعلَ ينظُر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾(١). **والثاني**: أنَّها مكِّيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناسَ عن الإيمان به، وهم مُشركو قُريشٍ، ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلَها، ولم يجعلْ لها ثواباً، فكأنَّها لم تكُنْ، وقد كانوا يُطعِمُون الطَّعامَ، ويَصِلُونَ الأرحامَ، ويَتصدَّقون، ويفعلون ما يعتقدونَهُ قُرْبَةً. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني أصحابَ محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ. ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ: «نَزَّلَ» بفتحِ النون والزَّاي وتشديدِها. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ ومعاذٌ القارئُ: «أُنْزِلَ» بهمزةٍ مضمومةٍ مكسورةِ الزَّاي. وقرأ أبو رَزِينٍ وأبو الجَوزاءِ وأبو عِمرانَ: «نَزَلَ» بفتحِ النون والزَّاي وتخفيفِها، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي غفرَها لهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي حالَهم، قاله قَتادةُ، والمُبرِّدُ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: الأمرُ ذلك، وجائزٌ أنْ يكونَ: ذلك الإضلال، لاتِّباعِهم الباطلَ، وتلك الهِداية والكفَّاراتُ باتِّباع المؤمنين الحقَّ، ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: كذلك يُبيِّن أمثالَ حسناتِ المؤمنين وسيِّئاتِ الكافرين كهذا البيان. قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ إغراءٌ،

(١) محمد: ١٣.

والمعنى: فاقتلوهم[1]، لأنَّ الأغلبَ في موضع القتل ضَربُ العُنقِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتم فيهم القتلَ ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ يعني في الأسر؛ وإنما يكون الأسْرُ بعد المبالغةِ في القتلِ. و «الوثاق» اسمٌ مِنَ الإيثاقِ؛ تقول: أوثقته إيثاقاً ووَثاقاً، إذا شَددتَ أسرَهُ لئلاً يُفلِتَ ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ قال أبو عُبيدَة: إمَّا أنْ تمنُّوا، وإمَّا أنْ تُفادوا، ومثلُه: سَقْياً، ورَعْياً، وإنما هو سُقِيتَ ورُعِيتَ. وقال الزَّجاجُ: إمَّا مَنَنْتم عليهم بعدَ أنْ تأسِرُوهم مَنّاً، وإمَّا أطلقتُموهم بِفِداءٍ.

فصل: وهذه الآيةُ مُحكَمةٌ عند عامَّة العلماء. وممَّن ذهب إلى أنَّ حُكمَ المَنِّ والفِداءِ باقٍ لم يُنسَخ ابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ، والحَسنُ، وابنُ سِيرِينَ، وأحمدُ، والشَّافعيُّ. وذهب قومٌ إلى نَسْخ المَنِّ والفِداءِ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[2]، وممَّن ذهب إلى هذا ابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّيُّ، وأبو حنيفةَ وقد أشرنا إلى القولين في براءة.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: حتى لا يبقى أحدٌ مِنَ المشركين. وقال مُجاهِدٌ: حتى لا يكونَ دِينٌ إلاَّ دِينَ الإسلام. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: حتى يخرُجَ المسيحَ. وقال الفَرَّاءُ: حتى لا يبقى إلاَّ مُسْلِمٌ أو مُسالِمٌ. وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: حتى يضعَ أهلُ الحرب سلاحَهم؛ قال الأعشى:

وَأَعْـدَدْتُ لِـلْـحَـرْبِ أَوْزَارَهَـا ... رِمَـاحـاً طِـوَالاً وَخَـيْـلاً ذُكُـورَا

وأصلُ «الوِزْرِ» ما حَملتَهُ، فسُمِّيَ السلاحُ «أوزاراً» لأنه يُحمَلُ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ.

والثاني: حتى تضعَ حربُكم وقتالُكم أوزارَ المشركين وقبائحَ أعمالِهم بأنْ يُسْلِموا ولا يعبُدوا إلاَّ الله، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذَكَرنا ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ بإهلاكِهم أو تعذيبِهم بما شاءَ ﴿وَلَٰكِن﴾ أمَرَكُم بالحربِ ﴿لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ فيُثيبَ المؤمنَ ويُكرِمه بالشهادةِ، ويُخزي الكافرَ بالقتلِ والعذابِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «قُتِلوا» بضمِّ القاف وكسرِ التاء؛ والباقون: «قاتَلوا» بألِفٍ. قوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها:**

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٣١: اعلموا وفقكم الله أن هذه الآية من أمهات الآيات ومحكماتها، أمر الله سبحانه فيها بالقتال، وبين كيفيته كما في قوله تعالى: **﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾** فإذا تمكّن المسلم من عنق الكافر أجهز عليه، وإذا تمكن من ضرب يده التي يدفع بها عن نفسه ويتناول قتال غيره فعل ذلك به، فإن لم يتمكن إلا ضرب فرسه التي يتوصل بها إلى مراده فيصير حينئذ راجلاً مثله أو دونه، والمآل إعلاء كلمة الله تعالى، وذلك لأن الله سبحانه لما أمر بالقتال أولاً، وعلم أن ستبلغ إلى الإثخان والغلبة بيّن سبحانه حكم الغلبة بشدّ الوثاق، فيتخير حينئذ المسلمون بين المن والفداء وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: إنما لهم القتل والاسترقاق، وهذه الآية عنده منسوخة. والصحيح إحكامها، فإن شروط النسخ معدومة فيها من المعارضة، وتحصيل المتقدم من المتأخر. وقد عضدت السنة ذلك كله، فروى مسلم أن النبي ﷺ أخذ من سلمة بن الأكوع جارية ففدى بها ناساً من المسلمين، وقد هبط على النبي ﷺ من أهل مكة قوم، فأخذهم النبي ﷺ ومَنَّ عليهم. وقال الحسن وعطاء: المعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، فإذا أثختنموهم فشدوا الوثاق، وليس للإمام أن يقتل الأسير.

(٢) التوبة: ٥.

يهديهم إلى أرشدِ الأمور، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُحقق لهم الهِداية، قاله الحَسنُ. **والثالث**: إلى مُحاجَّةِ مُنكرٍ ونَكيرٍ. **والرابع**: إلى طريق الجنَّةِ، حكاهما الماوَرديُّ. وفي قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: عَرَّفهم منازلَهُم فيها فلا يستدِلُّون عليها ولا يُخطِئونَها، هذا قولُ الجمهور، منهم مُجاهِدٌ وقَتادَةُ واختاره الفَرّاءُ، وأبو عُبيدَةَ. **والثاني**: طَيَّبها لهم، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ قُتيبةَ: وهو قولُ أصحابِ اللغة، يُقال: طعامٌ مُعرَّفٌ، أي مُطَيَّب. وقرأ أبو مِجْلَزٍ وأبو رَجاءٍ وابنُ مُحَيصِنٍ: «عَرَفَها لهم» بتخفيفِ الراء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تنصروا دِينَهُ ورسولَه ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوِّكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ عند القتال. ورَوى المُفَضَّلُ عن عاصِم: «ويُثْبِتْ» بالتخفيف. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ قال الفَرّاءُ: المعنى: فأتعَسَهم اللّهُ، والدُّعاءُ قد يجري مَجرى الأمرِ والنَّهي. قال ابنُ قُتيبةَ: هو مِنْ قولِكَ: تَعَسْتُ، أي: عَثَرْتُ وسَقَطْتُ. وقال الزَّجّاجُ: التَّعْسُ في اللغة: الانحِطاطُ والعُثُور. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: أهلكَهُم الله ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ أي: أمثالُ تلك العاقبة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله بالمؤمنين من النصر، وبالكافرين من الدَّمار ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وليُّهم. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي: إنَّ الأنعامَ تأكُل وتَشرب، ولا تَدري ما في غدٍ، فكذلك الكفَّارُ لا يلتَفِتون إلى الآخرة. و «المَثْوَى»: المَنزل. ﴿وَكَأَيِّن﴾ مَشروحٌ في آل عِمران[2]. والمراد بقريته: مكَّةُ؛ وأضاف القوةَ والإخراجَ إليها، والمراد أهلُها ولذلك قال: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾. قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه رسولُ الله ﷺ؛ قاله أبو العَاليةِ. **والثاني**: أنه المؤمن، قاله الحَسنُ. وفي «البيِّنة» قولان: **أحدهما**: القرآن، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: الدِّينُ، قاله ابنُ السَّائبِ. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ يعني عبادةَ الأوثان، وهو الكافرُ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ بعبادَتِها.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩.
(٢) آل عمران: ١٤٦.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: صِفَتُها، وقد شرحناه في الرَّعد[1]. و «المتَّقون» عند المُفسِّرين: الذين يَتَّقون الشِّرْكَ. و «الآسِن» المتغيِّرُ الرِّيح، قاله أبو عُبيدَة، والزَّجَّاجُ. وقال ابنُ قُتيبة: هو المُتغيِّر الرِّيح والطَّعم، و «الآجِن» نحوه. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «غير أسِنٍ» بغيرِ مدٍّ. وقد شرحنا قولَه: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ في الصَّافَّات[2]: قوله تعالى: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي: مِنْ عسل ليس فيه عَكَرٌ ولا كَدَرٌ كعسلِ أهلِ الدنيا. قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ قال الفرَّاءُ: أراد: مَنْ كان في هذا النَّعيم، كمَنْ هو خالدٌ في النَّارِ؟! قوله تعالى: ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: حارّاً شديدَ الحرارةِ. و «الأمعاء» جميعُ ما في البَطنِ من الحَوايا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: **أحدهما**: أنه سَماعُ خُطبةِ رسولِ ﷺ يومَ الجُمعةِ. **والثاني**: سَماعُ قولِه على عمومِ الأوقاتِ. فأمَّا الذين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، فالمراد بهم: علماءُ الصحابةِ.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ماذا قال السَّاعةَ، وهو مِنْ قولكَ: استَأنَفتُ الشيءَ: إذا ابتدأتَه، وروضَة أُنُفٌ: لم تُرْعَ، أي: لها أوَّلُ يُرعَى؛ فالمعنى: ماذا قال في أوَّلِ وقتٍ يَقْرُبُ مِنّا. وحُدِّثْنا عن أبي عمرَ غلام ثَعْلَبٍ أنه قال: «آنِفاً» مُذ ساعةٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، في بعضِ الرِّوايات عنه: «أنِفاً» بالقَصرِ، وهذه قراءةُ عِكرِمةَ، وحُمَيدٍ، وابنِ مُحَيصِنٍ. قال أبو عليٍّ: يجوز أنْ يكونَ ابنُ كَثيرٍ توهَّم، مثلَ حاذِرٍ وحَذِرٍ، وفاكِه وفَكِه. وفي استِفهامِهم قولان: **أحدهما**: لأنهم لم يَعْقِلوا ما يقول، ويدُلُّ عليه باقي الآيةِ. **والثاني**: أنهم قالوه استِهزاءً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. **والثاني**: قومٌ مِنْ أهلِ الكتاب كانوا على الإيمان بأنبيائِهم وبمحمَّدٍ ﷺ، فلمَّا بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ آمنوا به، قاله عِكرِمَةُ. وفي الذي زَادَهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ. **والثاني**: قولُ الرَّسولِ. **والثالث**: استهزاءُ المنافقين زادَ المؤمنين هُدىً، ذكرهُنَّ الزَّجَّاجُ. وفي معنى الهُدى قولان: **أحدهما**: أنه العِلْمُ. **والثاني**: البصيرة. وفي قوله: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثوابُ تقواهُم في الآخرة، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: اتِّقاءَ المَنسُوخِ والعملِ بالنَّاسخِ، قاله عَطيَّةُ. **والثالث**: أعطاهم التقوى مع الهُدى، فاتَّقوا معصيتَهُ خوفاً مِنْ عقوبتِهِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. و ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى ينتظِرون، ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الأشهَبِ، وحُمَيدٌ: «إنْ تأتِهم» بكسرِ الهمزة مِنْ غيرِ ياءٍ بعد التاء. والأشراطُ: العلامات؛ قال أبو عُبيدَةَ: الأشراطُ: الأعلامُ، وإنما سُمِّيَ الشُّرَطُ ـ فيما ترى ـ لأنهم أعلَموا أنفسَهُم. قال المُفسِّرون: ظُهور النبيِّ ﷺ مِنْ أشراطِ الساعة، وانشقاقُ القمرِ والدُّخانُ وغيرُ ذلك. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾

---

(١) الرعد: ٣٥.
(٢) الصافات: ٤٦.

أي: فمِنْ أينَ لهم ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾؟! قال قَتادَةُ: أنّى لهم أنْ يَذَّكَّروا ويتوبوا إذا جاءَتْ؟!

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال بعضُهم: اثبُتْ على عِلْمِكَ، وقال قومٌ: المراد بهذا الخطابِ غيرُه؛ وقد شرحنا هذا في فاتحةِ الأحزاب. وقيلَ: إنه كان يَضيقُ صدرُه بما يقولون، فقيلَ له: اعْلَمْ أنه لا كاشفَ لِمَا بِكَ إلاَّ الله.

فأمّا قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فإنه كان يستغفر في اليوم مائةَ مرّةٍ، وأُمِرَ أنْ يستغفرَ للمؤمنين والمؤمناتِ إكراماً لهم لأنه شفيعٌ مُجابٌ. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُتقلَّبكم في الدنيا ومَثْواكُم في الآخرة، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مُتقلَّبكم في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامَكُم في القبور، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: «مُتقلَّبكم» بالنهار و «مثواكم» أي: مَأْوَاكُم بالليل، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ قال المُفسِّرون: سألوا ربَّهم أنْ يُنزلَ سُورةً فيها ثوابُ القتال في سبيل الله، اشتياقاً منهم إلى الوحي وحِرصاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هَلاَّ؛ وكان أبو مالكٍ الأشجعيُ يقول: «لا» ها هنا صِلةٌ، فالمعنى: لو أُنزِلتْ سُورَةٌ، شَوقاً منهم إلى الزيادة في العِلْم، ورغبةً في الثَّواب والأجرِ بالاستكثارِ مِنَ الفرائضِ. وفي معنى «محكمة» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التي يُذكَرُ فيها القتال، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها التي يُذكَرُ فيها الحلالُ والحرامُ. **والثالث**: التي لا مَنسُوخَ فيها، حكاهما أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ. ومعنى قوله: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ فيها الجهاد. وفي المُراد بالمَرضِ قولان: **أحدهما**: النِّفاقُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: الشَّكُّ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يَشخَصون نحوكَ بأبصارِهم ينظرون نَظراً شديداً كما يَنظر الشاخِصُ ببصرِه عند الموت، لأنهم يكرهون القتالَ، ويخافون إنْ قَعدوا أنْ يتبيَّن نِفاقُهم.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الأصمعيُ: معنى قولِهم في التَّهديدِ: «أَوْلَى لَكَ» أي: وَلِيَكَ وقارَبَكَ ما تَكْرَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: هذا وَعيدٌ وتهديدٌ، تقولُ للرجُل ـ إذا أردتَ به سُوءاً، فَفَاتَكَ ـ أَوْلَى لكَ، ثم ابتدأ، فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ. . .﴾. وقال سِيبَويه والخَليلُ: المعنى: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثَلُ. وقال الفَرّاءُ: الطاعةُ معروفةٌ في كلام العرب، إذا قيلَ لهم: افعَلُوا كذلك، قالوا: سَمعٌ وطاعةٌ، فوَصَفَ اللّهُ قولَهم قبلَ أنْ تنزلَ السُّورةُ أنهم يقولون: سمعٌ وطاعةٌ، فإذا نزلَ الأمرُ كرهوا. وأخبرني حبّانُ عن الكَلْبي عن أبي صالح عن ابنِ عباسٍ قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ﴾، ثم قال: ﴿لَهُمْ﴾ أي: للذين آمنوا منهم (طاعةٌ)، فصارَتْ «أَوْلَى» وَعيداً لِمَن كَرِهَها، واستأنفَ الطاعةَ بـ «لهم»؛ والأول عندنا كلامُ

العرب، وهذا غيرُ مَردودٍ، يعني حديثَ أبي صالحِ. وذَكَر بعضُ المُفسِّرين أنَّ الكلامَ مُتَّصلٌ بما قبله؛ والمعنى: فأَوْلَى لهم أنْ يُطيعوا وأنْ يقولوا معروفاً بالإجابة. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال الحسَنُ: جَدَّ الأمْرُ. وقال غيره: جَدَّ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في الجهاد، ولَزِمَ فرضُ القتال، وصار الأمرُ معروفاً عليه. وجوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره: فإذا عَزَمَ الأمرُ نَكَلُوا؛ يدُلُّ على المحذوفِ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: في إيمانِهم وجهادِهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مِنَ المعصية والكراهة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المُخاطَب بهذا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المنافقون، وهو الظَّاهرُ. **والثاني**: مُنافِقو اليهودِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الخَوارجُ، قاله بكرُ بنُ عبدِ الله المُزَنيُّ. **والرابع**: قُريشٌ، حكاه جماعةٌ منهم المَاوَرديُّ. وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قولان[1]: **أحدهما**: أنه بمعنى الإعراضِ. فالمعنى: إنْ أعرَضْتُم عن الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأنْ تعودوا إلى الجاهليَّةِ يقتلُ بعضُكم بعضاً، ويُغيرُ بعضُكم على بعضٍ، ذكرَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنه مِنَ الوِلايةِ لأمورِ الناس، قاله القُرَظيُّ. فعَلَى هذا يكون معنى «أنْ تُفسِدوا في الأرض»: بالجَوْرِ والظُّلم. وقرأ يعقوبُ: «وتَقْطَعوا» بفتح التاء والطاء وتخفيفِها وسكونِ القاف، ثم ذَمَّ مَنْ يريد ذلك بالآيةِ التي بعْدَ هذه. وما بعدَ هذا قد سبقَ[2] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ «أمْ» بمعنى «بَلْ»، وذِكْرُ الأقفالِ استعارةٌ، والمراد أنَّ القَلْبَ يكون كالبيت المُقفَلِ لا يَصِلُ إليه الهُدى. قال مُجاهِدٌ: الرَّانُ أيسَرُ مِنَ الطَّبْع، والطَّبعُ أيسرُ مِنَ الإقفالِ، والإقفالُ أشدُّ ذلك كُلِّه. وقال خالدُ بنُ مَعْدانَ: ما مِنْ آدميٍّ إلاَّ وله أربعُ أعيُنٍ، عَيْنانِ في رأسِه لِدُنياه وما يُصْلِحه مِنْ معيشته، وعَيْنانِ في قَلْبه لِدِينِه وما وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الغَيْبِ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أبصَرَتْ عيناه اللتانِ في قلبه، وإذا أرادَ به غيرَ ذلك طَمَس عليهما، فذلك قوله: «أمْ على قلوب أقفالُها».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ أي: رَجَعوا كُفَّاراً؛ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المنافقون، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنهم اليهودُ، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي: مِنْ بَعْدِ مَا وَضَحَ لهم الحقُّ. ومَنْ قال: هم اليهودُ، قال: مِنْ بَعْدَ أنْ تبيَّن لهم

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢١١: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قل أمر تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام.
(٢) النساء: ٨٢.

وَصفُ رسولِ الله ﷺ ونعتُه في كتابهم. و ﴿سَوَّلَ﴾ بمعنى زَيَّنَ. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «وأُمْلِي لَهم» بضمِّ الهمزة وكسرِ اللام وبعدها ياءٌ مفتوحةٌ. وقرأ يعقوبُ إلاَّ زيداً، وأبانُ عن عاصِمٍ كذلك، إلاَّ أنهما أسكنَا الياءَ. وقرأ الباقون بفتحِ الهمزة واللام. وقد سبقَ معنى الإِملاءِ(١).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمْرُ ذلك، أي: ذلكَ الإِضلالُ بقولِهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وفي الكارِهِينَ قولان: **أحدهما**: أنهم المنافقون، فعَلَى هذا في معنى قوله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: في القُعودِ عن نُصرَةِ محمَّدٍ ﷺ، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: في المَيْلِ إليكم والمُظاهرةِ على محمَّدٍ ﷺ والثالث: في الارتِدادِ بعد الإِيمان، حكاهما الماوَرديُّ. **والثاني**: أنهم اليهود، فعَلَى هذا في الذي أطاعُوهم فيه قولان: أحدهما: في أنْ لا يُصدِّقوا شيئاً مِنْ مَقالةِ رسولِ الله ﷺ، قاله الضَّحَّاكُ. والثاني: في كَتْمِ ما عَلِموه مِنْ نُبوَّتِه، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، والوليدُ عن يعقوبَ: بكسرِ الألف على أنه مصدرُ أسْرَرْتُ: وقرأ الباقون: بفتحِها على أنه جمعُ سِرٍّ، والمعنى أنه يَعْلَمُ ما بينَ اليهودِ والمنافقين مِنَ السِّرِّ.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؟ أي: فكيف يكون حالُهم حِينئذٍ؟ وقد بيَّنَّا في الأنفال(٢) معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: كَرِهوا ما فيه الرِّضوانُ، وهو الإِيمانُ والطَّاعةُ.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نِفاقٌ ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: أي لن يُبْدِيَ الله عداوتَهم وبُغْضَهم لمحمَّدٍ ﷺ. وقال الزَّجَّاجُ: أي: لن يُبْدِيَ عداوتَهم لرسولِه ﷺ ويُظهِرَه على نِفاقِهم. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لَعَرَّفْناكَهُم، تقول: قد أرَيْتُكَ هذا الأمرَ، أي: قد عرَّفْتُكَ إيَّاهُ، المعنى: لو نشاءُ لجَعلْنا على المنافقين علامةً، وهي السِّيماءُ ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بتلك العلامة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فَحْوَى القَوْلِ، فدَلَّ بهذا على أنَّ قولَ القائلِ وفِعلَهُ يدُلُّ على نِيَّتِه. وقولُ الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أخَذَ في ناحيةٍ عن الصَّواب، وعَدَلَ عن الصَّواب إليها. وقولُ الشاعر:

مَـنْـطِـقٌ صـائِـبٌ وتَـلْـحَـنُ أحـيـا ... نـاً، وخَـيْـرُ الـحَـديـثِ ما كـانَ لَـحْـنـا(٣)

---

(١) آل عمران: ١٧٨، والأعراف: ١٨٣. (٢) الأنفال: ٥٠.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزازي وهو في «اللسان» ـ لحن ـ قال في «اللسان»: ومعنى صائب: قاصد =

تأويله: خيرُ الحديث مِنْ مِثْلِ هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحدٍ، إنَّما يُعْرَفُ قولُها في أنحاءِ قولِها. قال المُفسِّرون: ولَتَعْرِفَنَّهم في فَحْوَى الكلام ومعناه ومقْصدِه، فإنهم يتعرَّضون بتَهجِينِ أمرِكَ والاستهزاءِ بالمسلمين. قال ابنُ جَرير: ثم عرَّفَهُ الله إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: ولَنُعامِلَنَّكم معامَلةَ المُخْتَبِر بأنْ نأمُرَكُم بالجهاد ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ العِلْمَ الذي هو عِلْمُ وجودٍ، وبه يقع الجَزاءُ؛ وقد شرحنا هذا في العَنكَبوت[١].

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: نُظْهِرها ونَكْشِفها بإباءِ مَنْ يأبى القتالَ ولا يَصْبِرُ على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «وَلَيَبْلُوَنَّكم» بالياء «حتى يَعْلَمَ» بالياء «وَيَبْلُوَ» بالياء فيهنَّ. وقرأ معاذُ القارئ، وأيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ: «أخيارَكم» بالياء جمع «خير».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية، اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها في المُطْعِمِينَ يومَ بدرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها نزلت في الحارثِ بنِ سُوَيْدٍ، ووحوح الأنصاري، أسلَمَا ثم ارتَدَّا، فتابَ الحارثُ ورَجعَ إلى رسولِ الله ﷺ، وأَبَى صاحبُه أنْ يَرْجِعَ حتى ماتَ، قاله السُّدِّيُّ[٢]. **والثالث**: أنها في اليهود، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنها في قُرَيظةَ والنَّضيرِ، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ اختلفوا في مُبْطِلها على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: المعاصي والكبائر، قاله الحَسنُ. **والثاني**: الشَّكُّ والنِّفاقُ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: الرِّياءُ والسُّمعَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: بالمنِّ.

[١٢٧٣] وذلك أنَّ قوماً مِنَ الأعراب قدِموا على رسولِ الله ﷺ فقالوا: أتيناكَ طائعين، فلنا عليكَ حقٌّ، فنزلت هذه الآية، ونزلَ قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾[٣]، هذا قولُ مُقاتِلٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا يدُلُّ على أنَّ كُلَّ مَنْ دخل في قُرْبةٍ لم يَجُزْ له الخُروجُ منها قبلَ إتمامِها، وهذا على ظاهرِه في الحَجِّ، فأمَّا في الصَّلاةِ والصيامِ، فهو على سبيل الاستِحبابِ[٤].

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟

[١٢٧٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم بالكذب.

= الصواب وإن لم يصب، وتلحن أحياناً أي تصيب وتفطن قال: فصار تفسير اللحن في البيت على ثلاثة أوجه: الفطنة والفهم، والتعرض، والخطأ في الإعراب.

(١) العنكبوت: ٣.

(٢) عزاه المصنف للسدي، وهذا مرسل، فهو واهٍ.

(٣) الحجرات: ١٧.

(٤) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٣٣: اختلف العلماء فيمن افتتح نافلة من صوم أو صلاة، ثم أراد تركها، قال الشافعي: له ذلك. وقال مالك وأبو حنيفة: ليس له ذلك لأنه إبطال لعمله الذي انعقد له، وقال الشافعي هو تطوّع فإلزامه إياه يخرجه عن الطواعية. قلنا: إنما يكون ذلك قبل الشروع في الفعل، فإذا شرع لزمه كالشروع في المعاملات. ولا تكون عبادة ببعض ركعة ولا ببعض يوم في صوم، فإذا قطع في بعض الركعة أو في بعض اليوم إن قال: إنه يعتد به فقد ناقض الإجماع، وإن قال: إنه ليس بشيء فقد نقض الإلزام. وذلك مستقصى في مسائل الخلاف.

وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: فلا تَضعُفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «إلى السَّلْم» بفتح السين؛ وقرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: بكسرِ السين، والمعنى: لا تدعُوا الكفَّار إلى الصُّلح ابتداءً. وفي هذا دلالةٌ على أنه لا يجوز طلبُ الصُّلح مِنَ المشركين، ودلالةٌ على أنَّ النبيَّ ﷺ لم يدخل مكَّةَ صُلحاً، لأنه نَهاهُ عن الصُّلحِ. قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: أنتم أعزُّ منهم، والحُجَّةُ لكم، وآخِرُ الأمرِ لكم وإنْ غَلَبوكُم في بعضِ الأوقاتِ ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعَوْن والنُّصرةِ ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي لن يَنقُصَكُم ولَن يَظلِمَكم، يُقال: وتَرَتني حَقِّي، أي: بَخَستَنيه. قال المُفسِّرون: المعنى: لن يَنقُصَكُم من ثواب أعمالكم شيئاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: لن يَسألَكُموها كُلَّها.

قوله تعالى: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: يُجْهِدكم. وقال ابنُ قُتَيبة: يُلِحُّ عليكم بما يُوجِبه في أموالِكم ﴿تَبْخَلُوا۟﴾، يُقال: أَحفَاني بالمسألةِ وألحَفَ: إذا ألَحَّ. وقال السُّدِّيُّ: إنْ يسألْكم جميعَ ما في أيديكم تَبخلوا. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ يَعمُر: «ويُخرَج» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الراء «أضغانُكم» بالرفع. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرمَةُ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ مُحَيصِنٍ، والجَحْدَريُّ: «وتَخرُج» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفع الراء «أضغانُكم» بالرفع. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والوليدُ عن يعقوبَ: «ونُخرِج» بنونٍ مرفوعةٍ وكسرِ الراءِ «أضغانَكم» بنَصبِ النون، أي: يُظهِرْ بُغضَكم وعَداوتَكم للهِ ولِرَسولِه ﷺ؛ ولكنه فُرِضَ عليكم يسيراً. وفيمَنْ يضاف إليه هذا الإخراجُ وجهان: **أحدهما**: إلى الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: البُخل، حكاهما الفرَّاءُ. وقد زعم قومٌ أنَّ هذه الآيَةَ مَنسوخةٌ بآية الزَّكاةِ، وليس بصحيحٍ لأنَّا قد بيَّنَّا أنَّ معنى الآية: إنْ يسألْكم جميعَ أموالِكم، والزَّكاةُ لا تُنافي ذلك.

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني ما فَرضَ عليكم في أموالِكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بما فُرِضَ عليه مِنَ الزَّكاة ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: على نفسه بما ينفعُها في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنكم وعن أموالِكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه وإلى ما عنده مِنَ الخيرِ والرَّحمةِ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعتِه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطوَعَ له منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ بل خيراً منكم. وفي هؤلاءِ القوم ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم العَجَمُ، قاله الحسَنُ، وفيه حديثٌ يَرويه أبو هُريرَةَ قال:

[١٢٧٤] لمَّا نزلت: «وإن تتولَّوا يَستَبدِلْ قَوماً غيرَكم» كان سَلمانُ إلى جَنْبِ رسولِ الله ﷺ،

[١٢٧٤] عجزه صحيح، وتأويل الآية بأهل فارس لا يصح، فهو حديث ضعيف، فيه مسلم بن خالد الزنجي ضعيف أخرجه البغوي في «شرح السنة» ٣٨٩٥. وأخرجه الطبري ٣١٤٤٣ وابن حبان ٧١٢٣ وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١/ ٣ من طرق عن ابن وهب ثنا مسلم بن خالد به. وأخرجه الطبري ٣١٤٤٢ و ٣١٤٤ وأبو نعيم ١/ ٢ و ٣ من طرق عن مسلم بن خالد به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦١ وأبو نعيم ١/ ٣ والواحدي ٤/ ١٣١ من =

فقالوا: يا رسولَ الله، مَنْ هؤلاءِ الذين إذا تولَّينا استُبْدِلوا بنا؟ فضربَ رسولُ الله ﷺ يدَه على مَنْكِبِ سَلمانَ، فقال: «هذا وقومُه، والذي نَفْسِي بيدِهِ! لو أنَّ الدِّينَ مُعلَّقٌ بالثُّريَّا لَتناولَهُ رِجالٌ مِنْ فارِسَ».

والثاني: فارسُ والرُّومُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: مَنْ يشاء مِنْ جميع الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: يأتي بخَلْقٍ جديدٍ غيرِكم. وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والخامس**: كِنْدَةُ والنَّخَعُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والسادس**: أهلُ اليَمنِ، قاله رَاشِدُ بنُ سعدٍ، وعبدُ الرَّحمنِ بن جُبَيرٍ، وشُرَيحُ بنُ عُبيدٍ. **والسابع**: الأنصار، قاله مُقاتِلٌ. **والثامن**: أنهم الملائكةُ، حكاه الزَّجَّاجُ وقال: فيه بُعْدٌ لأنه لا يُقال للملائكة «قَوْمٌ»؛ إنَّما يُقال ذلك للآدَميِّين، قال: وقد قيلَ: إنْ تولَّى أهلُ مكَّةَ استَبْدَلَ اللَّهُ بهم أهلَ المدينةِ، وهذا معنى ما ذكَرْنا عن مُقاتِلٍ.

= طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن جعفر بن نجيع عن العلاء به وعبد الله بن جعفر، ضعيف متروك. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٣٤ من طريق أبي الربيع سليمان بن داود الزهراني عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء به، والظاهر أنه منقطع بين إسماعيل وسليمان بدليل الواسطة بينهما. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٠ من طريق عبد الرزاق عن شيخ من أهل المدينة عن العلاء به. قال الترمذي: هذا حديث غريب في إسناده مقال. قلت: هو ضعيف فيه من لم يسم، ولعل المراد إبراهيم المدني الآتي ذكره. وأخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١/ ٣ ـ ٤ من طريق عبد الله بن جعفر ومن طريق إبراهيم بن محمد المدني كلاهما عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. وعبد الله بن جعفر ضعيف، والمدني أظنه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ذاك المتروك المتهم. وعجزه دون ذكر الآية. أخرجه مسلم ٢٥٤٦ح ٢٣٠ وأحمد ٢/ ٣٠٩ وأبو نعيم ١/ ٤ من طريق يزيد بن الأصم عن أبي هريرة. ويشهد لعجزه حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري ٤٧٩٨ ومسلم ٢٥٤٦ح ٢٣١ والنسائي في «فضائل الصحابة» ١٧٣ وأحمد ٢/ ٤١٧ وابن حبان ٧٣٠٨ من طرق عن عبد العزيز الداروردي به. ورواية البخاري لعبد العزيز إنما هي متابعة، فقد تابعه سليمان بن بلال، وأخرجه البخاري ٤٨٩٧ والترمذي ٣٣١٠ و ٣٩٣٣ من طريق ثور بن يزيد به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦١ وابن حبان ٧١٢٣ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٣٤ من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به. ولفظ البخاري في الرواية ٤٨٩٨ «لناله رجال من هؤلاء». ولفظ البخاري في الرواية ٤٨٩٧ «عن أبي هريرة رضي عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا﴾ بهم قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ـ أو رجل ـ من هؤلاء». وانظر «فتح القدير» ٢٢٨١ بتخريجنا.

سُورَةُ الفَتْح

ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

وهي مدنيّةٌ كُلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية.

[١٢٧٥] سببُ نُزولِها أنه لمّا نزلَ قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[١]، قال اليهود: كيف نتّبعُ رجُلاً لا يَدري ما يُفعَلُ به؟! فاشتدَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ فنزلت هذه الآية، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وفي المُراد بالفَتحِ أربعةُ أقوال[٢]:

أحدها: أنه كان يومَ الحُدَيبيةِ، قاله الأكثرون. قال البَراءُ بنُ عازِبٍ: نحن نَعُدُّ الفتحَ بَيْعةَ الرِّضوانَ. وقال الشَّعْبيُّ: هو فتحُ الحُدَيبيَةِ، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخّر، وأُطعِموا نَخل خَيْبَر، وبلغ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، وظَهرت الرُّومُ على فارسَ، ففرحَ المؤمنون بظهورِ أهلِ الكتاب على المَجُوسِ. قال الزُّهريُّ: لم يكن فتحٌ أعظمَ مِنْ صُلح الحُدَيبيَةِ، وذلك أنَّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامَهُم فتمكّن الإِسلامُ في قلوبهم، وأسلَمَ في ثلاثِ سنين خَلْقٌ كثيرٌ وكَثُر بهم سوادُ الإِسلام، قال مُجاهِدٌ: يعني بالفتح ما قضى الله له مِنْ نَحرِ الهَدْي بالحُدَيبيَةِ وحَلْقِ رأسه. وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ أي: قَضَينا لكَ قضاءً عظيماً، ويُقال للقاضي: الفتّاح. قال الفَرّاءُ: والفَتْحُ قد يكون صُلْحاً، ويكون أَخْذَ الشيء عَنوَةً، ويكون بالقتال. وقال غيرُه: معنى الفَتْح في اللغة: فتحُ المُنغَلِقِ، والصُّلْحُ الذي جُعِلَ مع المشركين بالحُدَيبيَةِ كان مَسدُوداً متعذِّراً حتى فَتَحَهُ الله تعالى.

[١٢٧٥] ذكره الواحدي ٧٤٨ في «أسباب النزول» قاله عطاء عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، والمتن باطل، فإن الآية المذكورة في الخبر مكية، عند الجمهور وسورة الفتح مدنية.

---

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢١٥: فقوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ أي: بيناً ظاهراً والمراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه حيز جزيل، وأمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلّم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان. وهذا اختيار الطبري والشوكاني وغيرهما من المفسرين.

الإشارة إلى قصّة الحُدَيبيَة

[١٢٧٦] رَوتْ عائشةُ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في النَّوم كأنَّ قائلاً يقول له: لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ الله آمِنِينَ، فأصبحَ فحدَّثَ النَّاسَ برُؤياه، وأمرَهُم بالخروج للعُمْرةِ؛ فذكر أهلُ العِلْمِ بالسِّيَرِ أنَّه خرجَ واستَنْفر أصحابَه للعُمرَةِ، وذلك في سنةِ ستٍ، ولم يخرج بسلاحٍ إلاَّ السيوفِ في القُرُبِ[١].

[١٢٧٧] وساقَ هو وأصحابُه البُدْنَ، فصلَّى الظُّهرَ بـ «ذي الحُلَيْفَة»، ثم دَعا بالبُدْنِ فجُلِّلَتْ، ثم أشعَرَها وقلَّدَها، وفعلَ ذلك أصحابُه، وأحرَمَ ولَبَّى، فبلغَ المشركينَ خروجُه، فأجمعَ رأيُهم على صدِّه عن المسجدِ الحرام، وخرجوا حتى عَسكَروا بـ «بَلْدَح»، وقدَّموا مائتي فارسٍ إلى كُراعِ الغَمِيم[٢]، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتى دَنا مِنَ الحُدَيبيَةِ؛ قال الزَّجَّاجُ: وهي بئرٌ، فسُمِّي المكان باسم البئرِ؛ قالوا: وبينها وبين مكَّة تسعةُ أميالٍ، فوقفت يَدَا رَاحلَتِه، فقال المسلمون: حَلْ حَلْ[٣]، يزجرونَها، فأبَتْ، فقالوا: خَلأَتِ القَصْواءُ ـ والخِلاءُ في النَّاقة مثل الحِرَانِ في الفَرَسِ ـ فقال: «ما خَلأَتْ، ولكن حَبَسها حابِسُ الفِيلِ، أَمَا واللهِ لا يسألوني خُطَّةً فيها تعظيمُ حُرْمةِ اللهِ إلاَّ أعطَيتُهم إيَّاها»، ثم جَرَّها فقامَتْ، فولَّى راجعاً عَوْدَهُ على بَدْئِه حتى نَزَلَ على ثَمَدٍ[٤] مِنْ أثمادِ الحُدَيبيَةِ قليلِ الماء، فانتزَعَ سَهْماً مِنْ كِنانَتِه فغرزَهُ فيها، فجاشَتْ لهم بالرِّواءِ، وجاءه بُدَيْلُ بنُ وَرقاءَ في رَكْبٍ فسلَّموا وقالوا: جئناكَ مِنْ عند قومكَ وقد استنفروا لكَ الأحابيشَ ومَنْ أطاعَهم، يُقسِمون، لا يُخلُّون بينكَ وبينَ البيت حتى تُبِيدَ خَضْراءَهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ نأتِ لقتالِ أحدٍ إنما جئنا لِنَطُوفَ بهذا البيت، فمَنْ صدَّنا عنه قاتلْناهُ». فرجعَ بُدَيلٌ فأخبرَ قُريشاً، فبَعثوا عُروةَ بنَ مسعودٍ، فكلَّمه بنحوِ ذلك، فأخبرَ قُريشاً، فقالوا: نَرُدُّه مِنْ عامِنا هذا، ويَرْجِع مِن قابلٍ فيَدْخُل مكَّةَ ويطوفُ بالبيت، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفَّانَ، قال: «اذْهَبْ إلى قُريشٍ فأَخْبِرْهم أنَّا لَمْ نأتِ لقتالِ أحدٍ، وإنما جِئْنا زُوَّاراً لهذا البيتِ، معنا الهَدْيُ ننحره وننصرف، فأتاهُم فأخبرَهُم، فقالوا: لا كانَ هذا أبداً، ولا يَدخُلها العامَ، وبَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ عُثمانَ قد قُتِلَ، فقال: «لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَهُم»[٥]، فذاكَ حين دَعا المسلمين إلى بَيْعةِ الرِّضوانِ، فبايَعهُم تحت

[١٢٧٦] لم أره عن عائشة، وهو غريب هكذا، وقد نبه الحافظ على ذلك في تخريج «الكشاف» ٤/ ٣٤٥، وقد ورد منجماً وبمعناه عند الطبري ٣١٦٠١ و ٣١٦٠٢ و ٣١٦٠٣ و ٣١٦٠٤ وعامة هذه الروايات مراسيل.

[١٢٧٧] خبر الحديبية. صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٣١ و ٢٧٣٢ و ٤١٧٨ و ٤١٧٩ وأبو داود ٢٧٦٥ مختصراً وأحمد ٤/ ٣٢٨ والطبري ٣١٥٦٦ وابن حبان ٤٨٧٢ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٩٩ ـ ١٠٨.

---

(١) أخرجه الطبري ٣١٤٨٤ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦٥ عن مجاهد مرسلاً بنحوه.

(٢) كُراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٣) حلْ حلْ: كلمة تقال للناقة إذا توقفت عن السير.

(٤) في «اللسان»: الثَّمْد: قال أبو مالك: أن يعمد إلى موضع يلزم ماء السماء يجعله صنعاً وهو المكان يجتمع فيه الماء، وله مسايل من الماء، ويحفر في نواحيه ركايا فيملأها من ذلك الماء فيشرب الناس الماء الظاهر حتى يجف، وتبقى تلك الركايا، وهي الثماد. والثمد: الماء القليل الذي لا مادّ له.

(٥) ورد هذا القول «فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى...» عند الطبري ٣١٥١٦ عن ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر.

الشجرةِ. وفي عَددِهم يومئذٍ أربعةُ أقوالٍ:

[١٢٧٨] **أحدها**: ألفٌ وأربعمائةٍ، قاله البَراءُ، وسَلمةُ بنُ الأكوَع، وجابرٌ، ومَعْقِلُ بنُ يسَارٍ.

[١٢٧٩] **والثاني**: ألفٌ وخمسمائةٍ، رُويَ عن جابرٍ أيضاً، وبه قال قَتادَةُ.

[١٢٨٠] **والثالث**: ألفٌ وخمسمائةٍ وخمسٌ وعشرون، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٨١] **والرابع**: ألفٌ وثلاثمائةٍ، قاله عبدُالله بنُ أبي أوْفى.

[١٢٨٢] قال: وضَرَب يومئذٍ رسولُ الله ﷺ بشِمالِه على يمينِه لِعُثمانَ، وقال: إنه ذهب في حاجة الله ورسولِه. وجَعَلَتِ الرُّسُل تختلفُ بينهم، فأجمَعوا على الصُّلح، فبَعثوا سُهيلَ بنَ عمروٍ في عِدَّةِ رِجالٍ فصالَحهُ كما ذكرنا في براءة[١]؛ فأقام بالحُدَيبيَةِ بضعةَ عشرَ يوماً، ويُقال: عشرين ليلةً، ثم انصرَف.

[١٢٨٣] فلمَّا كان بـ «ضَجنَان» نزلَ عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال جِبريلُ: يَهنِيكَ يا رسولَ الله، وهنَّأهُ المسلمون.

والقول الثاني: أنَّ هذا الفتحَ فتحُ مكَّةَ، رواه مَسرُوقٌ عن عائشةَ، وبه قال السُّدِّيُّ. وقال بعضُ مَن ذَهَب إلى هذا: إنما وُعِدَ بفتحِ مكَّةَ بهذه الآية. **والثالث**: أنه فتحُ خَيْبَر، قاله مُجاهِدٌ، والعَوفيُّ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ كالقولين. **والرابع**: أنه القضاءُ له بالإسلام، قاله مُقاتِلٌ. وقال غيره: حَكَمْنا لكَ بإظهارِ دِينِكَ والنُّصرة على عدوِّكَ.

قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قال ثَعلَبٌ: اللام لامُ «كي»، والمعنى[٢]: لكي يجتمعَ لكَ مع المغفرةِ تمامُ النِّعمة في الفتحِ، فلمَّا انضمَّ إلى المغفرةِ شيء حادِثٌ، حَسُنَ معنى «كي»، وغَلِطَ مَنْ قال:

[١٢٧٨] أخرجه البخاري ٤١٥٠ و ٤١٥١ من حديث البراء بن عازب. وورد أيضاً من حديث جابر، أخرجه البخاري ٤١٥٤ ومسلم ١٨٥٦ح ٧١ و ٧٢ و ٧٤، ومن حديث سلمة بن الأكوع، أخرجه مسلم ١٨٠٧.

[١٢٧٩] أخرجه الطبري ٣١٥٢٤ عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قيل له «إن جابر بن عبد الله يقول: إن أصحاب الشجرة كانوا ألفاً وخمس مئة، قال سعيد: نسي جابر، هو قال لي: كانوا ألفاً وأربع مئة».

[١٢٨٠] أخرجه الطبري ٣١٥٢٦ عن ابن عباس بسند واهٍ.

[١٢٨١] أخرجه البخاري ٤١٥٥ ومسلم ١٨٥٧ عن عبد الله بن أبي أوفى.

[١٢٨٢] لم أره بهذا اللفظ، وخبر البيعة عن عثمان، أخرجه الترمذي ٣٧٠٢ من حديث أنس، وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف.

[١٢٨٣] لم أره بهذا اللفظ، وذكر جبريل غريب جداً. وانظر الآتي برقم ١٢٨٥.

---

(١) التوبة: ٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢١٧/٤: وقوله: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**، هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره. وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ - وهو في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة. ولما كان أطوع خلق الله لله، وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه. فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله له: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾**.

ليس الفتح سبب المغفرة. قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: والمعنى: «ما تقدَّم» في الجاهلية و «ما تأخَّر» ما لم تعلَمْهُ، وهذا على سبيلِ التأكيدِ، كما تقول: فُلانٌ يَضرِب مَنْ يلقاه ومَنْ لا يلقاه. قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ ذلك في الجنَّةِ. والثاني: أنه بالنُّبوَّةِ والمغفرةِ، رُوِيَا عن ابنِ عباسٍ. والثالث: بفتح مكَّةَ والطَّائِفِ وخَيْبَرَ، حكاه المَاوَرديُّ. والرابع: بإظهار دينك على سائر الأديان، قاله أبو سليمان الدمشقي. قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويُثبِّتكَ عليه؛ وقيل: ويهدي بكَ، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ على عدوِّكَ ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: نصراً ذا عِزٍّ لا يقع معه ذُلٌّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: السُّكون والطُّمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلاَّ تنزعجَ قلوبُهم لِمَا يَرِدُ عليهم، فسلَّموا لقضاءِ الله، وكانوا قد اشتدَّ عليهم صَدُّ المشركين لهم عن البيت، حتى قال عمرُ: علامَ نُعطي الدَّنيَّةَ في دِينِنا؟ فقال رسولُ الله ﷺ:

[١٢٨٤] «أنا عَبْدُ الله ورسولُه، لَنْ أُخالِفَ أمرَهُ ولن يُضيِّعَني».

ثم أَوْقَعَ اللهُ الرِّضى بما جرى في قلوبِ المسلمين، فسلَّموا وأطاعوا. ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ وذلك أنه كلَّما نزلت فريضةٌ زادَ إِيمانُهم. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد أنَّ جميعَ أهلِ السَّمواتِ والأرضِ مُلْكٌ له، لو أراد نُصرةَ نبيِّهِ بغيرِكُم لَفعَلَ، ولكنه اختارَكُم لذلك، فاشكرُوه.

قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية.

[١٢٨٥] سببُ نُزولِها أنه لمَّا نزلَ قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قال أصحابُ رسول الله ﷺ: هنيئاً لك يا

[١٢٨٤] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٨٢ ومسلم ١٧٨٥ والنسائي في الكبرى ١١٥٠٤ من حديث أبي وائل عن سهل بن حنيف. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٣٠٢.

[١٢٨٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٧٢ و ٤٨٣٤ وأحمد ٣/ ١٧٣ من طريق شعبة. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ وأحمد ٣/ ١٢٢ و ١٣٤ والطبري ٣١٤٥٤ من طريقين عن همام به. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والبيهقي ٥/ ٢١٧ من طريق شيبان. وأخرجه أحمد ٣/ ٢٥٢ عن عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس رضي الله عنه. وهو في «شرح السنة» ٣٩١٤ بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٣ وأحمد ٣/ ١٩٧ عن طريق معمر. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ =

رسولَ الله بما أعطاكَ الله، فمَا لَنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١٢٨٦] قال مُقاتِلٌ: فلَمّا سمعَ عبدُالله بنُ أُبيّ بذلك، انطلَق في نَفَرٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: ما لَنا عندَ الله؟ فنزلت: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ...﴾ الآية.

قال ابنُ جَريرٍ؛ كُرِّرت اللامُ في «لِيُدْخِلَ» على اللام في «لِيَغْفِرَ»، فالمعنى: إِنَّا فَتَحْنا لكَ لِيَغْفِرَ لكَ الله لِيُدْخِلَ المؤمنين، ولذلكَ لم يُدخِلْ بينهما واوَ العطفِ، والمعنى: لِيُدْخل ولِيعَذِّبَ.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ بضمِّ السين؛ والباقون بفَتْحِها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوَعْدُ بإدخالِهم الجنَّةَ وتكفيرِ سيِّئاتِهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حُكْمِه ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حَكَمَ لهم بالفَوْزِ، فلذلك وَعدَهُم إدخالَ الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ظَنُّوا أنَّ لله شريكاً. **والثاني**: أنَّ الله لا يَنصُر محمَّداً وأصحابَهُ. **والثالث**: أنهم ظنُّوا به حينَ خرج إلى الحُدَيبيَةِ أنه سيُقتَلُ أو يُهزَمُ ولا يعود ظَافِراً. **والرابع**: أنهم ظنُّوا أنهم ورسولَ الله ﷺ بمنزلةٍ واحدةٍ عندَ الله. **والخامس**: ظنُّوا أنَّ الله لا يَبعثُ المَوتى. وقد بيَّنَّا معنى «دائِرَة السَّوء» في براءة[1]. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[2] إلى قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ: «لِيُؤْمِنوا» بالياء «ويُعَزروه ويُوقِّروه ويُسبِّحوه» كلُّهنَّ بالياء، والباقون: بالتاء، على معنى: قُلْ لهم: إنَّا أرسلنَاكَ، لِتُؤمنوا، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وابنُ السَّمَيفَع: «ويُعَزِّزوه» بزاءَيْنِ. وقد ذكرنا في الأعرَاف[3] معنى «ويُعَزِّروه» عند قوله: «وعزَّروه ونصروه». قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تُعظِّموه وتُبجِّلوه. واختار كثيرٌ مِنَ القُرَّاء الوَقْفَ هاهنا، لاختلاف الكنايةِ فيه وفيما بعده. قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هذه الهاءُ ترجع إلى الله عزَّ وجلَّ. والمراد بتسبيحِه هاهنا: الصَّلاةُ له. قال المفسِّرون: والمراد بصَلاةِ البُكْرَةِ: الفجرُ، وبصَلاةِ الأصيلِ: باقي الصَّلواتِ الخَمسِ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يعني بَيْعَةَ الرِّضوَانِ بالحُدَيبيَةِ. وعلى ماذا بايَعُوه؟ فيه قولان:

[١٢٨٧] **أحدهما**: أنهم بايَعُوه على الموت، قاله عُبادَةُ بنُ الصَّامتِ.

[١٢٨٨] **والثاني**: على أنْ لا يَفِرُّوا، قاله جابرُ بنُ عبدِالله. ومعناهما متقاربٌ، لأنه أراد: على أنْ لا تَفِرُّوا ولو مُتُّم.

= والطبري ٣١٤٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣ من طريق سليمان بن طرخان. وأخرجه الطبري ٣١٤٥٣ من طريق سعيد بن أبي عروبة. كلهم عن قتادة به. وأخرجه ابن حبان ٣٧١ من طريق سفيان عن الحسن عن أنس به.

[١٢٨٦] واه بمرة. مقاتل هو ابن سليمان كذبه غير واحد، والصحيح في هذا ما رواه البخاري ومسلم، وتقدم.

[١٢٨٧] انظر الحديث الآتي.

[١٢٨٨] هو عند مسلم ١٨٥٦ عن جابر قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وقال: بايعناه على ألا نفر، ولم نبايعه على الموت» وفي رواية: فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره» فلم يبايع أصلاً. وقد نبه على هذا الحافظ في تخريجه ٤/ ٣٣٥. **وأما لفظ فبايعوه على** =

---

(١) التوبة: ٩٨. (٢) الفتح: ٤، الأحزاب: ٤٥. (٣) الأعراف: ١٥٧.

وسُمِّيت بَيْعَةً، لأنهم باعوا أنفسَهم مِنَ الله بالجنَّةِ، وكان العَقْدُ مع رسول الله ﷺ فكأنَّهم بايَعوا الله عزَّ وجلَّ، لأنه ضَمِنَ لهم الجنَّةَ بوفائِهم. ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَدُ الله في الوفاءِ فوقَ أيديهم. **والثاني**: يَدُ الله في الثَّوابِ فوقَ أيديهم. **والثالث**: يَدُ الله عليهم في المِنَّةِ بالهداية فوقَ أيديهم بالطَّاعة، ذَكَرَ هذه الأقوالَ الزَّجَّاجُ. **والرابع**: قُوَّةُ الله ونُصرَتُه فوقَ قُوَّتِهم ونُصرَتِهم، ذكره ابنُ جَريرٍ، وابنُ كَيسَانَ.

قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي: نَقَضَ ما عَقَدَهُ مِنْ هذه البَيْعَةِ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ أي: يَرْجِعُ ذلك النَّقضُ عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ مِنَ البَيْعَةِ ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ؛ وأبَانُ عن عاصِمٍ: «فسنؤتيه» بالنون. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنَّةُ. قالَ ابنُ السَّائِبِ: فلَمْ ينكُثِ العَهدَ منهم غيرُ رجلٍ واحدٍ يُقال له: الجدُّ بنُ قيسٍ، وكان مُنافقاً.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾

[١٢٨٩] قال ابنُ إسحَاقَ: لمَّا أرادَ العُمرَةَ استنفرَ مَنْ حَوْلَ المدينةِ مِنْ أهلِ البَوادي والأعرابِ ليخرجوا معه، خوفاً مِنْ قومِه أنْ يَعْرِضوا له بحَرْبٍ أو بصَدٍّ، فتثاقلَ عنه كثيرٌ منهم، فهُم الذين عَنى الله بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾،

[١٢٩٠] قال أبو صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ: وهم غِفَارٌ ومُزَيْنَةُ وجهينة وأَشجَعُ والدِّيْلُ وأَسلَمُ. قال يُونسُ النَّحويُ: الدِّيْلُ في عبدِ القيسِ ساكنُ الياءِ. والدُّولُ مِن حَنيفَةَ ساكنُ الواو، والدُّئِل في كِنانَةَ رَهطُ أبي الأسَودِ الدُّؤَلي.

فأمَّا المُخلَّفون، فإنَّهم تَخلَّفوا مَخافةَ القتلِ. ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ أي: خِفْنا عليهم الضَّيعَةَ

= الموت فقد ورد في خبر مرسل أخرجه الطبري ٣١٥١٦ عن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر وفيه «فكان رسول الله ﷺ بايعهم على الموت، فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكنه بايعنا على ألانفر». وورد من حديث معقل بن يسار عند مسلم ١٨٥٨ ولفظه «لقد رأيتني يوم الشجرة، والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشر مائة. قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر» فهذا كله يرد ما ذُكر من أنهم بايعوه على الموت.

[١٢٨٩] أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦٥ عن مجاهد بنحوه، وهذا مرسل، وقد أخرجه الطبري ٣١٤٨٤ عن مجاهد أيضاً.

[١٢٩٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح ساقط الرواية وبخاصة عن ابن عباس.

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: ادعُ الله أنْ يَغفِرَ لنا تخلُّفنا عنك ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ما يُبالون استغفرتَ لهم أمْ لم تستغفرْ لهم. قوله تعالى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ضُرّاً» بضمِّ الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو عليٍّ: «الضَّرُّ» بالفتح: خلافُ النَّفع، وبالضمِّ: سُوءُ الحالِ، ويجوز أنْ يكونا لُغتين كالفَقْرِ والفُقْرِ، وذلك أنهم ظنُّوا أنَّ تَخلُّفَهم يدفعُ عنهم الضَّرَّ. ويُعجِّلُ لهم النَّفعَ بسلامة أنفُسِهم وأموالِهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إنْ أراد بهم شيئاً، لم يَقدِرْ أحدٌ على دَفعِه عنهم، ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ مِن تخلُّفِهم وقولِهم عن المسلمين أنهم سيَهلِكون، وذلك قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ أي: توهَّمتُم ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾ أي لا يَرْجِعون إلى المدينة، لاستِئصالِ العدوِّ إيَّاهم، ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وذلك مِن تزيينِ الشيطانِ. قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ قد ذكرناه في الفُرقان[1].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلَّفوا عن الحُدَيبيَةِ ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ وذلك أنهم لمَّا انصرفوا عن الحُدَيبيَةِ بالصُّلح وعَدَهم الله فَتحَ خَيبَر، وخَصَّ بها مَن شَهد الحُدَيبيَةَ فانطلَقوا إليها، فقال هؤلاءِ المُخلَّفون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «أن يبدِّلوا كَلِمَ الله» بكسرِ اللام. وفي المعنى قولان: **أحدهما**: أنه مواعيدُ الله بغنيمةِ خَيبَرَ لأهلِ الحُدَيبيَةِ خاصَّةً، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أَمْرُ الله نبيَّهُ أنْ لا يسيرَ معه منهم أحدٌ، وذلك أنَّ الله وَعدَهُ وهو بالحُدَيبيَةِ أنْ يفتحَ عليه خَيبَرَ، ونَهاهُ أنْ يسيرَ معه أحدٌ مِن المُتخلِّفين، قاله مُقاتِلٌ. وعلى القولين: قصدوا أنْ يُجيزَ لهم رسولُ الله ﷺ ما يُخالِفُ أَمْرَ الله، فيكون تبديلاً لأمرِه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: قال: إنَّ غنائمَ خَيبَرَ لِمَن شَهِد الحُدَيبيَةَ، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: قال: لن تتَّبِعُونا، وهذا قولُ مُقاتِلٍ.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يَمنعُكم الحَسدُ مِن أنْ نُصيبَ معكم الغنائمَ.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ المعنى: إنْ كنتم تريدون الغزوَ والغَنيمةَ فستُدْعَون إلى جهادِ قومٍ ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وفي هؤلاءِ القومِ ستةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم فارسُ، رواه ابنُ أبي **طَلحةَ عن ابنِ**

---

(١) الفرقان: ١٨.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣٤٦/١١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: **إن الله تعالى ذكره** =

عباسٍ، وبه قال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ، وعَطاءُ الخُراسانيُّ، وابنُ أبي لَيلى، وابنُ جُرَيجٍ في آخرين. **والثاني**: فارسُ والرُّومُ، قاله الحسَنُ، ورواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنهم أهلُ الأوثان، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنهم الرُّومُ، قاله كَعبٌ. **والخامس**: أنهم هَوازِنُ وغَطفانُ، وذلك يومَ حُنَينٍ، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، وقتادَةُ. **والسادس**: بَنو حَنيفَةَ يومَ اليَمامةِ، وهم أصحابُ مُسَيلَمةَ الكذَّاب، قاله الزُّهريُّ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قال مُقاتِلٌ: خِلافةُ أبي بكرٍ في هذه بَيِّنةٌ مؤكَّدةٌ. وقال رافعُ بنُ خَديجٍ: كُنَّا نقرأ هذه الآيةَ ولا نَعلَمُ مَنْ هُمْ حتى دُعِيَ أبو بكرٍ إلى قتال بَني حَنيفَةَ، فعَلِمنا أنهم هُمْ. وقال بعضُ أهلِ العِلْم: لا يجوز أنْ تكونَ هذه الآيةُ إلاَّ في العرب، لقوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾، وفارسُ والرُّومُ إنَّما يقاتَلون حتى يُسْلِموا أو يُؤدُّوا الجِزيةَ. وقد استدلَّ جماعةٌ مِنَ العلماء على صِحَّة إمامةِ أبي بكرٍ وعمرَ بهذه الآية، لأنه إنْ أُريدَ بها بَنو حَنيفَةَ، فأبو بكرٍ دعا إلى قتالِهم، وإنْ أُريدَ بها فارسُ والرُّومُ، فعُمرُ دَعا إلى قتالِهم، والآيةُ تُلزِمُهم اتِّباعَ طاعةِ مَنْ يَدعُوهم، وتَتوعَّدُهم على التَّخلُّفِ بالعقابِ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا يدلُّ على صِحَّةِ إمامَتِهما إذا كان المُتولِّي عن طاعَتِهما مُستَحِقّاً للعقاب. قوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ قال ابنُ جُرَيجٍ: فإنْ تُطيعوا أبا بكرٍ وعمرَ، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعَتِهما ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم﴾ عن طاعةِ محمَّدٍ ﷺ في المَسيرِ إلى الحُدَيبيَةِ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنْ تُبتُم وتَركتُم نِفاقَكُم وجاهَدتُم، يؤتِكُم الله أجراً حسناً، وإنْ تولَّيتم فأقَمْتُم على نِفاقِكُم، وأعرَضتُم عن الإيمان والجهاد كما تولَّيتُم على عهدِ رسولِ الله ﷺ يُعذِّبْكُم عذاباً أليماً. قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ قال المُفسِّرون: عَذَرَ الله أهلَ الزَّمانَةِ الذين تخلَّفوا عن المسيرِ إلى الحُدَيبيَةِ بهذه الآية. قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «نُدْخِلْه» و«نُعذِّبْه» بالنون فيهما؛ والباقون: بالياء.

﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

ثم ذَكَرَ الذين أخلصوا نِيَّتَهم وشَهِدوا بَيْعَةَ الرِّضوَانِ بقوله: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وقد

= أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قومٍ أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل على أن المعني بذلك أعيان بأعيانهم.

ـ وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٣٥: وقوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾ وهذا يدل على أنهم باليمامة لا بفارس ولا بالروم، لأن الذي تعين عليه القتال حتى يسلم من غير قبول جزية هم العرب في أصح الأقوال والمرتدون. وأما فارس والروم فلا يقاتلون حتى يسلموا، بل إن بذلوا الجزية قبلت منهم، وجاءت الآية معجزة للنبي ﷺ وإخباراً بالغيب الآتي.

ذكرنا سببَ هذه البَيْعةِ آنِفاً. وإنما سُمّيت بَيْعةَ الرِّضوَانِ، لقولِه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. رَوى إياسُ بنُ سَلَمَةَ بنِ الأكوَعِ عن أبيه، قال:

[١٢٩١] بينما نحنُ قائلون زمنَ الحُدَيبيَةِ، نادى مُنادي رسولِ اللهِ ﷺ: أيُها النَّاسُ، البَيْعَةَ، البيعةَ، نَزَل رُوحُ القُدُسِ، قال: فثُرْنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو تحتَ شجرةِ سَمُرةٍ، فبايَعْناه.

[١٢٩٢] وقال عبدُالله بنُ مُغفَّلٍ: كان رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ الشجرةِ يُبايعُ الناسَ، وإني لأرفعُ أغصانَها عن رأسِه. وقال بُكَيْرُ بنِ الأشَجِّ: كانت الشجرة بفجّ نحوَ مكّةَ. قال نافعٌ: كان الناسُ يأتون تلك الشجرةَ فَيُصلُّون عندَها، فبلغَ ذلك عُمرَ بنَ الخطَّابِ، فأوعَدَهُم فيها، وأَمرَ بها فقُطِعتْ.

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: مِنَ الصّدق والوفاءِ، والمعنى: عَلِمَ أنهم مُخْلِصُون ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الطُمأنينةَ والرّضى حتى بايَعوا على أنْ يُقاتلوا ولا يَفِرُّوا ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾ أي: عوَّضهم على الرّضى بقضائِه والصَّبرِ على أمرِه ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو خَيْبرُ، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ أي: مِنْ خَيْبَرَ، لأنها كانت ذا عَقارٍ وأموالٍ. فأمّا قولُه بعدَ هذا: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فقال المُفسِّرون: هي الفُتوحُ التي تُفتَحُ على المسلمين إلى يومِ القيامة. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها غنيمةُ خَيْبَرَ، قاله مُجاهِدٌ وقَتادةُ والجمهورُ. **والثاني**: أنه الصُّلحُ الذي كان بينَ رسول اللهِ ﷺ وبينَ قريشٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنهم اليهود هَمُّوا أنْ يَغتالوا عِيالَ المسلمين الذين خَلَّفوهم في المدينةِ، فكَفَّهُم اللهُ عن ذلك، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم أَسدُ وغَطَفانُ جاؤوا لِيَنصروا أهلَ خَيْبَرَ، فقَذَفَ اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ فانصَرَفوا عنهم، قاله مُقاتِلٌ. وقال الفَرَّاءُ: كانت أَسدُ وغَطَفانُ مع أهلِ خَيْبَرَ، فقَصدَهُم رسولُ اللهِ ﷺ فصَالَحوه، وخَلَّوا بينه وبينَ خَيْبَرَ. وقال غيرهما: بل هَمَّتْ أَسدُ وغَطَفانُ باغتيالِ أهلِ المدينةِ، فكَفَّهم اللهُ عن ذلك. **والثالث**: أنهم أهلُ مكّةَ كَفَّهم الله بالصُّلحِ، حكاهما الثَّعلَبيُّ وغيره. ففي قوله: «عنكم» قولان: **أحدهما**: أنه على أصله، قاله الأكثرون. **والثاني**: عن عِيالِكم، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وهو مُقتضى قولِ قَتادَةَ. ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: أنها الفَعْلَةُ التي فَعَلَها بكم مِنْ كَفّ أيديهم عنكم كانت آيةً للمؤمنين، فعَلِموا أنَّ اللهَ تعالى مُتولّي حِراسَتِهم في مَشهَدِهم ومَغِيبِهم. **والثاني**: أنها خَيْبَرُ كان فَتْحُها علامةً للمؤمنين في تصديقِ رسولِ اللهِ ﷺ فيما وَعَدَهُم به.

[١٢٩١] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٢٥ وفيه موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف الحديث، والمتن غريب. وانظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٢٥ بتخريجنا.

[١٢٩٢] صحيح. أخرجه النسائي ٥٣١ في «التفسير» والطبري ٣١٥٥٤ من حديث عبد الله بن مغفل بإسناد صحيح على شرط مسلم. وورد من حديث معقل بن يسار عند مسلم ١٨٥٨ كما سبق في الحديث ١٢٨٨.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٣٥٢: والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾** فعلم بذلك أن الكفّ الذي ذكره الله تعالى في قوله **﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾** غير الكف الذي ذكره الله بعد هذه الآية في قوله تعالى: **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم﴾**.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: طريقَ التَّوكُّلِ عليه والتَّفويضِ إليه، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: يَزيدُكم هُدىً بالتصديقِ بمحمَّدٍ ﷺ فيما جاء به مِنْ وَعدِ الله تعالى بالفَتْحِ والغَنيمةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ المعنى: وَعدَكُم اللهُ مَغَانِمَ أخرى؛ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما فُتِحَ للمسلمين بعد ذلك. روَى سماكُ الحَنَفيُّ عن ابنِ عباسٍ: «وأُخرى لَمْ تَقدِروا عليها» قال: ما فَتَح لكم مِنْ هذه الفُتوحِ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها خَيبرُ، رواه عَطِيَّةُ، والضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ. **والثالث**: فارسُ والرُّومُ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الحسَنُ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي لَيلى. **والرابع**: مكَّةُ، ذكره قَتادةُ، وابنُ قُتَيبةَ. قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أحاطَ بها عِلْماً أنها ستكون مِنْ فُتوحِكُم. **والثاني**: حَفِظَها لكم ومَنَعها مِنْ غيرِكم حتى فَتَحتُموها. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذا خطابٌ لأهلِ الحُدَيْبِيَةِ، قاله قَتادةُ؛ والذين كَفروا مُشركو قُريشٍ. فعَلَى هذا يكون المعنى: لو قَاتَلُوكم يومَ الحُدَيبِيَةِ ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لِمَا في قلوبهم مِنَ الرُّعبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ لأنَّ الله قد خَذَلَهم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو قَاتَلَكَ مَنْ لم يُقاتِلْكَ لنُصِرتَ عليه، لأنَّ سُنَّةَ الله النُّصْرَةُ لأوليائِه. و «سُنَّةَ الله» منصوبةٌ على المصدر، لأنَّ قولَه: «لولَّوُا الأدبار» معناه: سَنَّ الله عزَّ وجلَّ خِذلانَهُم سُنَّةً. وقد مَرَّ مِثْلُ هذا في قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(١)، وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾(٢). قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾.

[١٢٩٣] رَوى أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ ثمانين رجلاً مِنْ أهل مكَّةَ هَبطوا على رسولِ الله ﷺ مِنْ جبلِ التَّنعيم مُتسلِّحين يريدون غِرَّةَ(٣) النبيِّ ﷺ وأصحابِه، فأخذَهم سِلْماً، فاستَحياهم، وأنزلَ الله هذه الآيةَ.

[١٢٩٤] وروى عبدُالله بنُ مُغَفَّلٍ قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ بالحُدَيبيَةِ في أصلِ الشجرة، فبَيْنَا نحنُ كذلك إذْ خرجَ علينا ثلاثون شابّاً، فثَارُوا في وُجوهِنا، فدَعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جِئتُم في عهدٍ؟» أو «هل جعلَ لكم أحدٌ أماناً؟» قالوا: اللهُمَّ لا، فخَلَّى سبيلَهُم، ونزلت هذه الآيةَ.

[١٢٩٣] صحيح. أخرجه مسلم ١٨٠٨ عن عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن أبي سلمة عن ثابت ـ وهو ابن أسلم البناني ـ عن أنس بن مالك به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٤٢ من طريق إبراهيم بن محمد بهذا الإسناد. وأخرجه أبو داود ٢٦٨٨ والترمذي ٣٢٦٤ والنسائي في «التفسير» ٥٣٠ والطبري ٣١٥٥٨ وأحمد ٣/ ١٢٤ و ٢٩٠ والطحاوي في «المشكل» ٦٠ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٤١ من طرق عن حمّاد بن سلمة به. وورد بنحوه في أثناء حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم ١٨٠٧ وأحمد ٤/ ٤٩ والطحاوي ٦٢.

[١٢٩٤] صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٣١ وأحمد ٤/ ٨٦ ـ ٨٧ والحاكم ٢/ ٤٦٠ ـ والطبري ٣١٥٥٤ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٤٢ والبيهقي ٦/ ٣١٩ من طرق عن الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله بن المغفل به. وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٤٥: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وهو كما قالوا. وقال ابن حجر في «فتح الباري» ٥/ ٣٥١: أخرجه أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بسند صحيح.

---

(١) النساء: ٢٤. (٢) النمل: ٨٨. (٣) في «اللسان» الغرة: الغفلة.

[١٢٩٥] وذكر قَتادَةُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ خَيْلاً، فأتوه باثني عشرَ فارساً مِنَ الكفّارِ، فأرسَلَهُم.

[١٢٩٦] وقال مُقاتِلٌ: خرجوا يُقاتِلون رسولَ الله ﷺ، فهَزمَهُم النبيُّ ﷺ بالطَّعنِ والنَّبلِ حتى أدخَلَهُم بيوتَ مكَّةَ.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآيَة: إنَّ اللهَ تعالى ذَكَر مِنَّتَهُ إذْ حَجزَ بين الفريقين فلم يَقْتَتِلاَ حتى تَمَّ الصُّلحُ بينهم. وفي بَطْنِ مكَّةَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحُدَيبيَةُ، قاله أنسٌ. **والثاني**: وادي مكَّة، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: التَّنعيمُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. فأمَّا «مكَّة» فقال الزَّجَّاجُ: «مكَّةُ» لا تَنصرِفُ لأنها مؤنَّثةٌ، وهي مَعرِفةٌ، ويَصلُحُ أنْ يكونَ اشتقاقُها كاشتقاقِ «بَكَّة»، والميم تُبدَلُ مِنَ الباء، يُقال: ضَرْبة لازِم، ولازِب، ويَصلُح أنْ يكونَ اشتقاقُها مِنْ قولهم: امْتَكَّ الفَصِيلُ ما في ضَرْعِ النَّاقةِ: إذا مَصَّ مَصّاً شديداً حتى لا يُبقي فيه شيئاً، فيكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها، قال: والقول الأول أحسَنُ. وقال قُطْرُبٌ: مكَّةُ مِنْ تَمَكَّكْتُ المُخَّ: إذا أكلتَهُ. وقال ابنُ فارسٍ: تَمَكَّكْتُ العَظْمَ: إذا أخرجتَ مُخَّهُ؛ والتَّمكُّكُ: الاستِقصاءُ.

[١٢٩٧] وفي الحديث: «لا تُمَكِّكُوا على غُرمائِكم». وفي تسميةِ «مكَّة» أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لأنها مَثابَةٌ يَؤُمُّها الخلْقُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وكأنها هي التي تَجذِبُهم إليها، وذلك مِنْ قول العرب: امْتَكَّ الفَصِيلُ ما في ضَرْعِ النَّاقةِ. **والثاني**: أنها سُمِّيَتْ (مكَّة) مِنْ قولك: بَكَكْتُ الرجُلَ: إذا وَضَعْتَ منه ورَدَدْتَ نَخْوتَهُ، فكأنَّها تَمُكُّ مَنْ ظَلَم فيها، أي: تُهلِكه وتُنقِصه، وأنشدوا:

يا مَكَّةُ، الفاجِرَ مُكِّي مَكَّا ... ولا تَمُكِّي مَذْحِجاً وعَكَّا[1]

والثالث: أنها سُمِّيتْ بذلك لِجَهْدِ أهلِها. **والرابع**: لِقِلَّةِ الماءِ بها.

وهل مكَّةُ وبكَّةُ واحدٌ؟ قد ذكرناه في آل عِمْرانَ[2].

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: بهم؛ يُقال: ظَفِرْتُ بفُلانٍ، وظَفِرْتُ عليه. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قرأ أبو عمروٍ: «يعملون» بالياء؛ والباقون: بالتاء.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾﴾

[١٢٩٥] أخرجه الطبري ٣١٥٥٩ عن قتادة مرسلاً.

[١٢٩٦] تقدم أن هذا الخبر غير صحيح، ومقاتل متروك متهم بالكذب.

[١٢٩٧] لم أقف عليه، والظاهر أنه لا أصل له لخلوه عن كتب الحديث والأثر.

---

(١) الرجز غير منسوب في «اللسان» ـ مكة ـ.
(٢) آل عمران: ٩٦.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أهلَ مكّة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أنْ تطوفوا به وتحلُّوا مِنْ عُمرتِكم ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: وَصَدُّوا الهَدْيَ ﴿مَعْكُوفًا﴾ أي: محبوساً ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ أي: عن أنْ يبلُغَ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: «مَحِلّه» مَنحره، وهو حيثُ يَحِلُّ نَحْرُه ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ وهم المُستضعَفون بمكّة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لم تعرفوهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتلِ. ومعنى الآية: لولا أنْ تَطَؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ بالقَتلِ، وتُوقِعوا بهم ولا تَعرِفونَهم، ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إثمٌ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: غُرْمُ الدِّيَةِ، قاله ابنُ إسحاقَ. **والثالث**: كفَّارةُ قتلِ الخطأ، قاله ابنُ السّائبِ. **والرابع**: عَيْبٌ بقتلِ مَنْ هو على دِينِكم، حكاه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. وفي الآية محذوفٌ، تقديره: لأَدخَلْتُكم مِنْ عامِكم هذا؛ وإنّما حُلْتُ بينكم وبينَهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: في دِينِه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ أهل مكّةَ، وهم الذين أسلَموا بعدَ الصُّلْحِ ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لو تفرَّقوا. وقال ابنُ قُتيبةَ، والزَّجّاجُ: لو تَميَّزوا. قال المُفسِّرون: لو انمازَ المؤمنون مِنَ المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والسَّبْي بأيدِيكم. وقال قومٌ: لو تَزيَّلَ المؤمنون مِنْ أصلاب الكُفَّار لَعذَّبْنا الكفّارَ. وقال بعضُهم: قوله: «لعذَّبنا» جوابٌ لِكلامَيْنِ، أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: «لو تزيلوا» وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ مِنْ صِلَةِ قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والحَمِيَّةُ: الأنَفَةُ والجَبْرِيَّةُ.

[١٢٩٨] قال المُفسِّرون: وإنما أخذَتْهُم الحَمِيَّةُ حين أراد رسولُ الله ﷺ دخولَ مكّة، فقالوا: يدخلون علينا، وقد قتلوا أبناءَنا وإخوانَنا فتتحدَّثُ العربُ بذلك! واللهِ لا يكونُ ذلك، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يَدخُلْهم ما دخلَ أولئكَ فَيُخالِفوا الله في قتالِهم.

[١٢٩٩] وقيلَ: الحَمِيَّةُ ما تَداخلَ سُهيلَ بنَ عمروٍ مِنَ الأَنَفَةِ أنْ يكتُبَ في كتاب الصُّلحِ ذِكْرَ «الرَّحمن الرَّحيم» وذِكْرَ «رسول الله» ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

[١٣٠٠] **أحدها**: «لا إلَه إلاّ الله»، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرِمَةُ وقَتادَةُ

[١٢٩٨] عزاه المصنف للمفسرين. وذكره البغوي ٤/ ٢٠٤ وعزاه لمقاتل، وهو متروك متهم.

[١٢٩٩] أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٤ عن عروة أثناء خبر مطول، وهذا مرسل ومرسلات عروة جياد، وأصله في الصحيح من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وقد تقدم.

[١٣٠٠] المرفوع ضعيف، والصحيح موقوف. أخرجه الترمذي ٣٢٦٥ والطبري ٣١٥٧٩ وعبد الله في «زوائد المسند» ٥/ ١٣٨ والطبراني في «الكبير» ٥٣٦ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢٠٠ من طريق الحسن بن قزعة عن سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل عن أُبيّ عن أبيه، وإسناده ضعيف جداً، ثوير بن أبي فاختة متروك الحديث بل قال الثوري: هو ركن من أركان الكذب. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً، إلا من حديث الحسن بن قزعة. قال الترمذي: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه اهـ.

تنبيه: وقد وهم الألباني في هذا الحديث حيث حكم بصحته في «صحيح الترمذي» ٢٦٠٣.

ـ وأخرجه الطبراني في «الدعاء» ١٥٣٠ من حديث سلمة بن الأكوع، وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف، ليس بشيء. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٨٠ من حديث أبي هريرة، وابن مردويه يروي الموضوعات، لا يحتج بما ينفرد، وقد تفرد به عن أبي هريرة، فهو لا شيء، وقد ورد موقوفاً عن غير واحد من الصحابة والتابعين، وهو الصواب، وقد وهم ثوير وموسى الربذي فروياه مرفوعاً.

والضَّحّاكُ والسُّدِّيُ وابنُ زيدٍ في آخرين، وقد رُوِيَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ؛ فعلى هذا يكون معنى: «ألزَمَهم»: حَكَمَ لهم بها، وهي التي تنفي الشِّركَ.

والثاني: «لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبَرُ»، قاله ابنُ عمرَ. وعن عليِّ بن أبي طالبٍ كالقولين.

والثالث: «لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ. **والرابع**: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ»، قاله عَطاءٌ الخُراساني. **والخامس**: «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»، قاله الزُّهريُ. فعلى هذا يكون المعنى أنه لمَّا أبى المشركون أنْ يكتُبوا هذا في كتابِ الصُّلْحِ، ألْزَمَهُ الله المؤمنين ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ مِنَ المشركين ﴿وَ﴾ كانوا ﴿أَهْلَهَا﴾ في عِلْمِ الله تعالى.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾.

[١٣٠١] قال المُفسِّرون. سبب نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان أُرِيَ في المنام قبلَ خروجه إلى الحُدَيبيَةِ قائلاً يقولُ له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يدخُلون مكَّةَ وقد حَلقوا وقَصَّروا، فأخبرَ بذلك أصحابَه ففرِحوا، فلمَّا خرجوا إلى الحُدَيبيَةِ حَسِبُوا أنهم يدخُلون مكَّةَ في عامِهم ذلك، فلمَّا رَجعوا ولم يدخُلوا قال المنافقون: أينَ رُؤياهُ التي رَأى؟ فنزلت هذه الآيةُ، فدَخلوا في العامِ المُقبِلِ.

وفي قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ «إن» بمعنى «إذ»، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أنه استثناءٌ مِنَ الله، وقد عَلِمَهُ، والخَلْقُ يَستثنُون فيما لا يَعْلَمون، قاله ثَعلَبٌ؛ فعلى هذا يكون المعنى أنه عَلِمَ أنهم سيدخُلونَهُ، ولكن استثنَى على ما أُمِرَ الخَلْقُ به مِنَ الاستثناء. **والثالث**: أن المعنى: لَتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ أمرَكُم اللهُ به، قاله الزَّجّاجُ. **والرابع**: أنَّ الاستثناءَ يعود إلى دخولِ بعضِهم أو جميعِهم، لأنه عَلِمَ أنَّ بعضَهم يموتُ، حكاه المَاوَرْدِيُ. **والخامس**: أنه على وَجهِ الحكايةِ لِمَا رآهُ النبيُّ ﷺ في المنام أنَّ قائلاً يقول: «لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاء الله آمنين»، حكاه القاضي أبو يَعلَى. **والسادس**: أنه يعودُ إلى الأمنِ والخوفِ، فأمَّا الدُّخولُ، فلا شَكَّ فيه، حكاه الثَّعلَبيُ.

قوله تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنَ العَدُوِّ ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ مِنَ الشَّعْرِ ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ عدوّاً.

[١٣٠١] غريب هكذا، وقد نبه الحافظ على ذلك في تخريجه ٤/ ٣٤٥ وقد ورد منجماً وبمعناه عند الطبري ٣١٦٠١ و ٣١٦٠٢ و ٣١٦٠٣ و ٣١٦٠٤ وعامة هذه الروايات مراسيل.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٣٦: هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٣٤٧: قلت فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة تعليماً لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك، متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عَلِم أنَّ الصَّلاحَ في الصُّلْحِ. **والثاني**: أنَّ في تأخيرِ الدُّخولِ صلاحاً. **والثالث**: فعَلِمَ أنْ يفتحَ عليكم خَيْبَرَ قبلَ ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: فَتْحُ خَيْبَرَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: صُلْحُ الحُدَيبيَةِ، قاله مُجاهِدٌ والزُّهْريّ وابنُ إسحاقَ. وقد بيَّنّا كيف كان فَتْحاً في أوَّلِ السُّورَةِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في براءة[2]: إلى قوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه شَهِدَ على نَفْسِه أنه يُظْهِرُه على الدِّينِ كُلِّه، قاله الحسَنُ. **والثاني**: كفى به شهيداً أنَّ محمَّداً رسولُه، قاله مُقاتِلٌ.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ وقرأ الشَّعْبيُ، وأبو رَجاءٍ، وأبو المُتوكِّلِ، والجَحْدَرِيُ: «محمَّداً رسولَ الله» بالنَّصبِ فيهما. قال ابنُ عباسٍ: شَهِدَ له بالرِّسالة. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني أصحابَه، والأشدَّاءُ: جمعُ شديدٍ. قال الزَّجَّاجُ: والأصل: أَشْدِداءُ، نحو نَصِيبٍ وأَنْصِباء، ولكنَّ الدَّالَين تحرَّكتا، فأُدغِمَتِ الأولى في الثانية، ومثلُه: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الرُّحماء جمعُ رَحيمٍ، والمعنى أنهم يُغْلِظُون على الكفَّارِ، ويَتوادُّون بينَهم ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يَصِفُ كثرةَ صَلاتِهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ وهو الجنَّةُ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ وهو رِضى اللهِ عنهم. وهذا الوَصْفُ لجميعِ الصحابةِ عند الجُمهورِ.

[١٣٠٢] وروى مُبارَكُ بنُ فَضالَةَ عن الحسَنِ البَصْري أنه قال: «والذين معه» أبو بكرٍ «أشداء على الكفار» عمرُ «رحماء بينهم» عُثمانُ «تراهم ركَّعاً سُجَّداً» عليُّ بن أبي طالبٍ «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» طَلْحَةُ والزُّبيرُ وعبدُ الرَّحمنِ وسَعدٌ وسَعيدٌ وأبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي: علامَتُهم ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾، وهل هذه العَلامةُ في الدنيا، أَمْ في الآخرة؟ فيه قولان[4]: **أحدهما**: في الدنيا. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السَّمْتُ الحسَنُ، قاله ابنُ

[١٣٠٢] لا يصح هذا عن الحسن، مبارك غير قوي، والأثر من بدع التأويل.

---

(١) انظر الكلام على أرجح الأقوال في المراد بالفتح في أول السورة.
(٢) التوبة: ٣٣.
(٣) المائدة: ٥٤.
(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٧٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم في وجوههم من أثر السجود، وذلك في كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه. وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود.

عباسٍ في روايةِ ابنِ أبي طَلحَةَ؛ وقال في روايةِ مُجاهِدٍ: أَمَا إنه ليس بالذي تَرَونَ، ولكنه سِيمَا الإسلامِ وسَمْتُه وخُشوعُه، وكذلك قال مُجاهِدٌ: ليس بِنَدَبِ التُّرابِ في الوجهِ، ولكنه الخُشوعُ والوَقارُ والتَّواضعُ. **والثاني**: أنه نَدَى الطَّهورِ وثَرَى الأرضِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال أبو العَاليةِ: لأنهم يَسجُدون على الترابِ لا على الأثوابِ. وقال الأَوْزاعِيُّ: بَلَغني أنه ما حَمَلتْ جِباهُهم مِنَ الأرضِ. **والثالث**: أنه السُّهومُ، فإذا سَهِمَ وجهُ الرجلِ مِنَ الليلِ أصبحَ مُصفارًّا. قال الحسَنُ البَصْرِيُّ: «سيماهم في وجوههم»: الصُّفرَةُ؛ وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أَثَرُ السَّهرِ؛ وقال شِمْرُ بن عَطيَّةَ: هو تهيُّجٌ في الوجهِ مِنْ سَهَرِ الليلِ.

والقول الثاني: أنها في الآخرة. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ مواضعَ السجودِ مِنْ وجوهِهم يكون أشدَّ وجوههم بياضاً يومَ القيامة، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ، وإلى نحوِ هذا ذهب الحَسَنُ، والزُّهْرِيُّ. وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: صلاتُهم تبدو في وجوههم يومَ القيامة. **والثاني**: أنهم يُبعَثون غرّاً مُحجَّلِين مِنْ أثرِ الطَّهورِ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: صِفتُهم، والمعنى أنَّ صفةَ محمَّدٍ ﷺ وأصحابه ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ هذا. فأمَّا قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ ففيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ هذا المَثَلَ المذكورَ أنه في التَّوراةِ هو مَثَلُهم في الإنجيلِ. قال مُجاهِدٌ: مَثَلُهم في التَّوراة والإنجيل واحدٌ. **والثاني**: أنَّ المتقدِّمَ مَثَلُهم في التَّوراةِ. فأمَّا مَثَلُهم في الإنجيلِ فهو قولُه: ﴿كَزَرْعٍ﴾، وهذا قولُ الضَّحَّاكِ وابنِ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ مَثَلَهم في التَّوراةِ والإنجيلِ كزَرْعٍ، ذَكَرَ هذه الأقوالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: «شَطَأَهُ» بفتحِ الطاء والهمزة. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «شطْأَه» بسكونِ الطاء. وكلُّهم يقرأ بهمزةٍ مفتوحةٍ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو العَاليةِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «شَطَاءَهُ» بفتح الطاء وبالمَدِّ والهمزةِ وبألِفٍ. قال أبو عُبَيدَةَ: أي: فِراخَه، يُقال: أشطَأَ الزَّرعُ فهو مُشطِئٌ: إذا أفرخَ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: سَاوَاهُ وصارَ مِثلَ الأُمِّ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «فأزَرَهُ» مقصورةَ الهمزةِ مثلَ فَعلَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: آزرَهَ: أعانَهُ وقوَّاهُ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: غَلُظَ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ وهي جمعُ «ساق»، وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ عزَّ وجلَّ للنبيِّ ﷺ إذ خرجَ وحدَهُ، فأيَّدَهُ بأصحابه، كما قوَّى الطَّاقةَ مِنَ الزَّرْعِ بما نَبَتَ منها حتى كَبُرتْ وغَلُظَتْ واستحكَمَتْ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «على سُؤْقه» مهموزةً، والباقون: بلا همزةٍ. وقال قَتادَةُ: في الإنجيلِ: سيَخرج قومٌ ينبُتون نباتَ الزَّرْعِ، وفيمَنْ أُرِيدَ بهذا المَثَلِ قولان[2]: **أحدهما**: أنَّ أصلَ الزَّرْعِ: عبدُ المُطَّلِبِ «أخرج شطأه» أخرجَ محمَّداً ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بأبي بكرٍ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعُمَر ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: بعُثمانَ ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٧٣: الصواب قول من قال: مثلهم في التوراة غير مثلهم في الإنجيل وأن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله: ﴿**ذلك مثلهم في التوراة**﴾ وذلك لو كان القول: أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل، ومثلهم في الإنجيل وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله: ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾ وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: (كزرع) دليل بيّن على صحة ما قلنا.

(٢) لا يصح مثل هذا عن ابن عباس ولا عن سعيد بن جبير، بل هو من بدع التأويل.

ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ المرادَ بالزَّرعِ: محمَّدٌ ﷺ «أخرج شطأهُ»: أبو بكرٍ «فآزره»: بعُمرَ «فاستغلظ»: بعُثمانَ «فاستوى على سوقه»: بعليٍّ ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: يعني المؤمنين «لِيَغيظَ بهم الكُفّار» وهو قولُ عمرَ لأهلِ مكَّةَ: لا يُعْبَدُ اللهُ سِرّاً بعدَ اليوم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، ومُبارَكٌ عن الحسَنِ. قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ أي: إنَّما كَثَّرهم وقوَّاهم لِيَغيظَ بهم الكُفَّارَ، وقال مالكُ بنُ أنسٍ[١]: مَنْ أصبحَ وفي قلبِهِ غَيْظٌ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقد أصابَتْهُ هذه الآيةُ. وقال ابنَ إدريس لا آمَنُ أنْ يكونوا قد ضارَعوا الكُفَّارَ، يعني الرَّافِضةَ، لأنَّ الله تعالى يقول: «لِيَغيظَ بهم الكُفَّار». قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ قال الزَّجَّاجُ: في «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنْ يكونَ تخليصاً للجِنسِ مِنْ غيرِه، كقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[٢]، ومِثلُه أنْ تقولَ: أنْفِقْ مِنَ الدَّراهِم، أي: اجعَلْ نفقتَكَ مِنْ هذا الجنسِ، قال ابنُ الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ الله الذين آمَنوا مِنْ هذا الجِنسِ، أي: مِنْ جِنسِ الصَّحابةِ. **والثاني**: أنْ يكونَ هذا الوَعْدُ لِمَنْ أقامَ منهم على الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير» ٤/ ٢٤١: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم ثم قال: ﴿وعد الله الذين آمنوا منهم﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿مغفرة﴾ أي لذنوبهم، ﴿وأجراً عظيماً﴾ أي ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً. ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مثواهم، وقد فعل.
- وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/ ٢٥٤: الصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، وهذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر. وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلائهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة. وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخبارهم لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب قال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» متفق عليه وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه.

(٢) الحج: ٣٠.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

وهي مدنيّة بإجماعهم

[١٣٠٣] رَوى ثَوبَانُ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الله أعطاني السَّبْعَ الطُّولَ مكانَ التَّوراةِ، وأعطاني المِئِينَ مكانَ الإنجيلِ، وأعطاني مكانَ الزَّبورِ المَثاني، وفَضَّلني ربِّي بالمُفَصَّلِ».

أمَّا السَّبْعُ الطُّولُ فقد ذكرناها «عند قوله»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[١]. وأمّا المِئُون، فقال ابنُ قُتَيبة: هي ما وَلي الطُّولَ، وإنَّما سُمِّيتْ بالمِئِين، لأنَّ كلَّ سُورَةٍ تزيد على مائةِ آيةٍ أو تُقارِبُها، والمَثاني: ما وَلي المِئِينَ مِنَ السُّوَرِ التي دونَ المائةِ، كأنَّ المِئِينَ مَبادٍ، وهذه مَثانٍ. وأمَّا المُفصَّلُ فهو ما يَلي المَثاني مِنْ قِصَار السُّوَرَ، وإنما سُمِّيتْ مُفصَّلاً لِقِصَرها وكثرةِ الفُصولِ فيها بسَطرِ: بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم. وقد ذَكَرَ المَاوَرديُّ في أولِ «تفسيره» في المُفصَّلِ ثلاثةَ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه مِنْ أول سُورَةِ (محمَّد) إلى آخرِ القرآن، قاله الأكثرون. **والثاني**: مِنْ سُورَةِ (قاف) إلى آخرِه، حكاه عيسى بنُ عمرَ عن كثيرٍ مِنَ الصحابةِ. **والثالث**: مِنَ (الضُّحى) إلى آخرِه، قاله ابنُ عباسٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في سبب نُزولِها أربعةُ أقوالٍ:

[١٣٠٤] **أحدها**: أنَّ رَكْباً مِنْ بَني تَميمٍ قَدِموا على رسولِ الله ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أَمِّرِ القَعْقاعَ بنَ

[١٣٠٣] جيد. أخرجه الطيالسي ١٠٧٤ وأحمد ٤/١٠٧ والطبري ١٢٦ والطحاوي في «المشكل» ١٣٧٩ من حديث واثلة بن الأسقع، وإسناده حسن. وله طرق وشواهد ذكرتها في «معالم التنزيل» للبغوي برقم (١١) والله الموفق.

[١٣٠٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٣٦٧ عن إبراهيم بن موسى به. وأخرجه أبو يعلى ٦٨١٦ من طريق هشام بن =

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٢٥٨: سورة قٓ هي أول الحزب المفصّل على الصحيح، وقيل: من الحجرات، وأما ما يقوله العامة: إنه من (عمّ)، فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم.

مَعْبَدٍ، وقال عمرُ: أَمِّرِ الأَقْرَعَ بنَ حابِسٍ، فقال أبو بكرٍ: ما أَردتَ إلاَّ خِلافي، وقال عمرُ: ما أَردتُ خلافَكَ، فتماريا حتى ارتفعَتْ أصواتُهما، فنزلَ قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾، فما كان عمرُ يُسْمِعِ رسولَ الله ﷺ بعدَ هذه الآيةِ حتى يَستفهِمَه، رواه عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ.

[١٣٠٥] **والثاني**: أنَّ قوماً ذَبحوا قبلَ أنْ يُصلِّي رسولُ الله ﷺ يومَ النَّحرِ، فأَمرهم رسولُ الله ﷺ أنْ يُعيدوا الذَّبحَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الحسَنُ.

[١٣٠٦] **والثالث**: أنها نَزلَتْ في قومٍ كانوا يقولون: لو أنزلَ اللهُ فِيَّ كذا وكذا! فكَرِهَ اللهُ ذلك، وقَدَّمَ فيه، قاله قَتادةُ.

[١٣٠٧] **والرابع**: أنها نَزلَتْ في عمرِو بنِ أُميَّةَ الضَّمْريّ، وكان قد قَتلَ رجُلين من بَني سليم قبلَ أنْ يستأذن رسولَ الله ﷺ، قاله ابنُ السَّائبِ.

ورَوى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: لا تقولوا خلافَ الكتابِ والسُّنَّةِ. ورَوى العَوفيُّ عنه قال: نُهوا أنْ يتكلَّموا بينَ يَدَيْ كلامِه، ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها في هذه الآية قالت: لا تَصوموا قبلَ أنْ يصومَ نبيُّكُم. ومعنى الآيةِ على جميع الأقوال[(١)]: لا تَعجَلُوا بقولٍ أو فعلٍ قبلَ أنْ يقولَ رسولُ

= يوسف به. وأخرجه البخاري ٤٨٤٧ والنسائي ٨/ ٢٢٦ وفي «التفسير» ٥٣٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٥٢ من طريق الحسن بن محمد عن حجاج بن محمد عن ابن جريج به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٢ والطبري ٣١٦٧٣ من طريق مؤمن بن إسماعيل عن نافع عن عمر بن جميل عن ابن أبي مليكه به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب حسن، وقد رواه بعضهم عن ابن أبي مليكة ـ مرسلاً، ولم يذكر عن عبد الله بن الزبير.

[١٣٠٥] ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢٩٢٣ عن الحسن مرسلاً، وفيه انقطاع بين معمر والحسن، ومع ذلك مراسيل الحسن واهية كما هو مقرر عند علماء هذا الفن. وأخرجه الطبري ٣١٦٦٠ و ٣١٦٦١ عن الحسن أيضاً والصحيح في ذلك ما رواه البخاري وقد تقدم. **فائدة**: قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٣٥٣: وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله، إلا أن تزول الشمس. وعند الشافعي يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة. وقد تقدم الكلام عليه في سورة الحج.

[١٣٠٦] أخرجه الطبري ٣١٦٦١ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

[١٣٠٧] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم بالوضع. والقول الأول هو الراجح.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٤٢: هذه آداب أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية، أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور. وقال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٤٤: إذا قلنا إنها نزلت في تقديم الطاعات على أوقاتها فهو صحيح، لأن كل عبادة مؤقتة بميقات لا يجوز تقديمها عليه، كالصلاة والصوم والحج، وذلك بين، إلا أن العلماء اختلفوا في الزكاة لما كانت عبادة مالية، وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم، وهو سد خلّة الفقير، ولأن النبي ﷺ استعجل من العباس صدقة عامين، ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقها يوم الوجوب، وهو يوم الفطر، فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها. وقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز تقديمها لعام ولاثنين. فإن جاء رأس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها، وإن جاء رأس الحول وقد تغير النصاب تبين أنها صدقة تطوع. وقال أشهب: لا يجوز تقديمها على الحول لحظة، كالصلاة، وكأنه طرد الأصل في العبادات فرأى أنها إحدى دعائم الإسلام، فوفّاها =

الله ﷺ أو يفعلَ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال فُلانٌ يُقدِّم بين يَدَي الإمامِ وبينَ يدَي أبيه، أي: يُعجِّلُ بالأمرِ والنَّهي دونَهُ. فأمّا «تُقدِّموا» فقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو هُريرَةَ، وأبو رَزينٍ، وعائشةُ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ وابنُ سِيرينَ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمُرَ، ويعقوبُ: بفتحِ التاء والدال؛ وقرأ الباقون: بضمِّ التاء وكسرِ الدال. قال الفَرَّاءُ: كلاهما صوابٌ، يُقال: قَدَّمتُ، وتَقَدَّمتُ؛ وقال الزَّجّاجُ: كلاهما واحدٌ؛ فأمّا «بينَ يَدَي الله ورسولِه» فهو عبارةٌ عن الأمامِ، لأنَّ ما بين يَدَيِ الإِنسانِ أمامَه؛ فالمعنى: لا تَقَدَّموا قُدّامَ الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٠٨] أحدهما: أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَفَعا أصواتَهما فيما ذكرناه آنِفاً في حديثِ ابنِ الزُّبيرِ، وهذا قولُ ابنِ أبي مُلَيكَةَ.

[١٣٠٩] والثاني: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس، وكان جهوريَّ الصَّوت، فربما كان إذا تكلّم تأذّى رسول الله ﷺ بصوته. قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن الجهر بالصَّوت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تدعوه باسمه يا محمد كما يدعو بعضكم بعضاً ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبيَّ الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تحبط. وقال الأخفش: مخافة أن تحبط، قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المنزلة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾.

[١٣١٠] قال ابنُ عباسٍ: لمّا نَزلَ قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ تألّى أبو بكرٍ أنْ لا يُكلِّم رسول

[١٣٠٨] انظر الحديث المتقدم ١٣٠٤.

[١٣٠٩] غريب. قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٣٥٣: لم أجده اهـ. قلت: ويغني عنه حديث أنس. أخرجه البخاري ٣٦١٣ و ٤٨٤٦ ومسلم ١٨٨ والنسائي في «التفسير» ٥٣٣ والواحدي في «أسبابه» ٧٥٣ والبغوي في «التفسير» ٤/ ٨٩. وله شواهد كثيرة راجع الطبري ٣١٦٦٩ ـ ٣١٦٧٩ ـ ٣١٧١. ولفظ البخاري في الرواية الأولى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: «ما شأنك» فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى بن أنس فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: «إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة».

[١٣١٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٥٥ بدون إسناد عن ابن عباس. وأخرجه البزار ٢٢٥٧ «كشف» وابن عدي ٢/ ٣٩٦ والحاكم ٣/ ٧٤ من حديث أبي بكر، وإسناده ضعيف لضعف حصين بن عمر الأحمسي، فإنه =

= حقّها في النظام وحسن الترتيب. ورأى سائر علمائنا أن التقديم اليسير فيها جائز، لأنه معفوٌ عنه في الشرع، بخلاف الكثير. وما قاله أشهب أصح، فإن مفارقة اليسير الكثير في أصول الشريعة صحيح، ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير، فأما في مسألتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة، فإما تقديم كلي كما قال أبو حنيفة والشافعي، وإما حفظ العبادة وقصرها على ميقاتها كما قال أشهب وغيره، وذلك يقوى في النظر، والله أعلم.

الله ﷺ إلاّ كأخي السِّرَارِ، فأنزلَ الله في أبي بكرٍ: «إنَّ الذين يَغُضُّون أصواتَهم».

والغضُّ: النَّقصُ كما بيَّنَّا عندَ قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾(١). ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أخلَصَها ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ مِنَ المَعصيةِ. وقال الزَّجَّاجُ: اختبَرَ قلوبَهُم فوجدَهُم مُخلِصِينَ، كما تقول: قد امتَحَنْتُ هذا الذَّهبَ والفِضَّةَ، أي: اختَبَرْتَهما بأَنْ أَذَبْتَهما حتى خَلَصا، فَعَلِمتَ حقيقةَ كلِّ واحدٍ منهما. وقال ابنُ جَريرٍ: اختبَرَها بامتِحانِهِ إيَّاها، فاصطَفَاها وأخلَصَها للتَّقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣١١] **أحدها**: أنَّ بَني تَميمٍ جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ فنادَوْا على الباب: يا محمَّدُ اخرُجْ إلينا، فإنَّ مَدْحَنا زَيْن وإنَّ ذَمَّنا شَيْن، فخرجَ وهو يقول: «إنما ذلكم الله» فقالوا: نحن ناسٌ مِنْ بني تَميمٍ جئنا بشَاعِرِنا وخَطِيبِنا نُشاعِرَكَ ونُفاخِرَكَ، فقال: «ما بالشِّعرِ بُعِثْتُ ولا بالفخارِ أُمِرْتُ، ولكنْ هاتوا»، فقال الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ لِشَابٍّ منهم: قُمْ فاذكُرْ فَضْلَكَ وفَضْلَ قومِكَ، فقام فذَكَرَ ذلك، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ ثابتَ بنَ قيسٍ، فأجابه، وقام شاعِرُهم، فأجابه حسَّانُ، فقال الأقرَعُ بنُ حابِسٍ: واللهِ ما أدري ما هذا الأمرُ؟! تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وتكلَّم شاعرُنا فكان شاعرُهم أشعَرَ، ثم دَنَا فأسلَمَ، فأعطاهم رسولُ الله ﷺ وكَسَاهم، وارتفعَتِ الأصواتُ وكَثُرَ اللَّغَطُ عندَ رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، هذا قولُ جابرِ بنِ عبدِالله في آخرين.

[١٣١٢] وقال ابنُ إسحَاق: نزلت في جُفَاةِ بَني تَميمٍ، وكان فيهم الأقرَعُ بنُ حابِسٍ، وعُيَينَةُ بنُ

= متروك، وبه أعله ابن عدي، وأما الحاكم فقد صححه! وتعقبه الذهبي فقال: حصين بن عمر واهٍ.
وورد من حديث أبي هريرة، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٦٢ وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقد ذهب ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٤٢ إلى أن هذا الحديث يتأيد بشواهده والله أعلم.

[١٣١١] أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٥٩ من حديث جابر مطوّلاً وفيه معلى بن عبد الرحمن ضعيف.
وهذا الخبر أخرجه ابن سعد في «الطبقات ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ من طريق الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري، وعن عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو مرسلاً بنحوه، والواقدي متروك. وأخرجه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٩٠ من حديث ابن عباس بنحوه. وصدر الحديث ورد مسنداً عند الترمذي ٣٢٦٧ والنسائي في «التفسير» ٥٣٥ والطبري ٣١٦٧٦ من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء: «﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن حمدي زين، وإن ذمي شين فقال: ذاك الله تبارك وتعالى». قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال ابن كثير في «السيرة» بعد ذكر هذا الحديث ٤/ ٨٦: وهذا إسناد جيد متصل. وله شاهد من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس. أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٨ و٦/ ٣٩٣ و٣٩٤ والطبري ٣١٦٧٩ والطبراني ٨٧٨. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٠٨: وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا فهو مرسل. وأخرجه الطبري ٣١٦٨١ عن قتادة مرسلاً و٣١٦٨٤ عن الحسن مرسلاً.

[١٣١٢] عزاه المصنف لابن إسحق، وهذا معضل انظر «الدر» ٦/ ٩٠.

---

(١) النور: ٣٠.

حصن، والزِّبْرِقان بن بَدرٍ، وقيسُ بن عاصِم المِنقَرِيُ، وخالدُ بنُ مالكٍ، وسُوَيدُ بنُ هشامٍ، وهما نَهشَلِيَّانِ، والقعقاعُ بن مَعْبَدٍ، وعطاءُ ابنُ حابسٍ، ووَكِيعُ بنُ وَكِيعٍ.

[١٣١٣] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ سريَّةً إلى بني العنبرِ، وأمَّرَ عليهم عُيَينَةَ بنَ حِصنٍ الفَزارِيَ، فلمَّا عَلِموا بذلك هربوا وتركوا عِيالَهم، فسَباهُم عُيَينةُ، فجاء رِجالُهم يَفْدُون الذَّرارِي، فقَدِموا وقتَ الظَّهيرةِ ورسولُ الله ﷺ قائِلٌ، فجعلوا يُنادون: يا محمَّدُ اخرُجْ إلينا، حتى أيقظوهُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٣١٤] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنَ العرب قال بعضُهم لبعضٍ: انطَلِقوا بنا إلى هذا الرجلِ، فإنْ يكن نبيّاً نَكُنْ أسعَدَ الناسِ به، وإنْ يكُنْ مَلِكاً نَعِشْ في جناحِه، فجاؤوا، فجعلوا يُنادون: يا محمَّدُ، يا محمَّدُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله زيدُ بنُ أرقَمَ.

فأمَّا «الحُجرات» فقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ، وأبو عبدِالرَّحمنِ السُّلَميُ، ومُجاهِدٌ وأبو العَالِيَةِ، وابنُ يَعمَرَ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: بفتحِ الجيم؛ وأسكنَها أبو رَزِينٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ أبي عَبلَةَ؛ وضمَّها الباقون. قال الفَرَّاءُ: وجهُ الكلام أنْ تُضَمَّ الحاءُ والجيمُ، وبعضُ العرب يقول: الحُجَرات والرُّكَبات، وربما خَفَّفوا فقالوا: «الحُجْرات» والتخفيفُ في تَميم، والتثقيلُ في أهلِ الحِجازِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: وأحدُ الحُجُرات حُجْرَة، مثل ظُلْمَة وظُلُمات، قال المُفسِّرون: وإنما نادَوا مِنْ وراء الحُجراتِ، لأنهم لم يعلموا في أيِّ الحُجَرِ رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: لَكانَ الصَّبرُ خيراً لهم، وفي وَجهِ كونِه خيراً لهم قولان: **أحدهما**: لَكانَ خيراً لهم فيما قَدموا له مِنْ فِداءِ ذَرارِيهم، فلو صَبَروا خَلَّى سبيلَهُم بغيرِ فِداءٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: لَكانَ أحسنَ لآدابِهم في طاعةِ الله ورسولِه، ذكره المَاوَرديُ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لِمَنْ تَابَ منهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

[١٣١٣] غريب: لم أقف عليه بهذا السياق. وهذا الخبر قد ورد في السيّر. فقد أخرجه الواقدي في «المغازي» ص ٩٧٣ ـ ٩٧٩ عن سعيد بن عمرو، والزهري مطولاً. والواقدي متروك. وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٥ و «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٠٣ و «سيرة ابن كثير» ٤/ ٧٩ ـ ٨٥.

[١٣١٤] أخرجه الطبري ٣١٦٧٨ من طريق داود الطفاوي عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم به، وإسناده ضعيف، أبو مسلم مجهول، وداود ضعفه ابن معين، ووثقه ابن حبان، ومع ذلك يشهد له حديث جابر.

الخلاصة: أكثر هذه الروايات يذكر فيها الأقرع بن حابس، والظاهر أنه قدم معه وفد فتارة يذكر الرواة الوفد، وتارة يذكرون الأقرع ويسمونه لأنه أمير الوفد من بني تميم، فالحديث أصله محفوظ، وقد جوّد ابن كثير أحد طرقه كما تقدم، وتقدم أيضاً أسباباً أخرى لنزول هذه الآيات، والظاهر تعدد الأسباب، والله أعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾.

[١٣١٥] نزلت في الوليدِ بن عُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، بَعثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى بَني المُصطَلِقِ ليقبض صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوةٌ في الجاهليَّةِ، فلما سمع به القوم تلقَّوهُ تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، ثم إنه رجعَ إلى النبيِّ ﷺ وقال: إنَّ بَني المُصطَلِقِ قد مَنَعوا الصَّدقةَ وأرادوا قتلي، فصَرفَ رسولُ الله ﷺ البَعثَ إليهم، فنزلت هذه الآيةُ.

وقد ذَكرتُ القصد في كتاب «المُغني» وفي «الحدائق» مُستوفَاة، وذَكرتُ معنى «فتبيَّنوا» في سُورَةِ النِّساء[1]، والنَّبأ: الخَبرُ، و «أنْ» بمعنى «لِئلاً»، والجَهالَةُ هاهنا: أنْ يجهلَ حالَ القومِ، ﴿فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ مِنْ إصابَتِهم بالخطأ ﴿نَـٰدِمِينَ﴾. ثم خوَّفَهُم فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي إنْ كَذَبتُموه أخبره الله فافتُضِحتُم، ثم قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي ممَّا تُخبرونَهُ فيه بالباطِلِ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ أي لَوَقَعتُم في عَنَتٍ. قال ابنُ قُتيبة: وهو الضَّررُ والفَسادُ. وقال غيرُه: هو الإِثمُ والهَلاكُ. وذلك أنَّ المسلمين لمَّا سَمِعوا أنَّ أولئكَ القومَ قد كفروا قالوا:

[١٣١٦] ابْعَثْ إليهم يا رسولَ الله واغزُهم واقتُلْهم.

ثم خاطبَ المؤمنين فقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾، ثم عادَ إلى الخبرِ عنهم فقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي: المُهتَدون إلى محاسنِ الأمورِ، ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ففعلَ بكم ذلك فضلاً، أي: للفَضلِ والنِّعمةِ.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

[١٣١٥] جيد. أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٩ والطبراني في «الكبير» ٣٣٩٥ والواحدي في «أسباب النزول» من حديث الحارث بن ضرار. قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٣٥٢: رجال أحمد ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٠٩ هذا الحديث أحسن ما روي في هذه القصة اهـ. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣٨٠٩ من حديث جابر، وإسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد القدوس وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٣٥٥. وورد من حديث علقمة بن ناجية: أخرجه الطبراني ١٧/ ٦ ـ ٨ وإسناده ضعيف، لضعف يعقوب بن كاسب، لكن توبع كما ذكر الهيثمي في «المجمع» ١١٣٥٤. وورد من حديث أم سلمة: أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٣/ ٤٠١ وقال الهيثمي ١١٣٥٧: فيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. وورد عن قتادة مرسلاً. أخرجه الطبري ٣١٦٨٨. وورد من مرسل يزيد بن رومان: أخرجه الطبري ٣١٦٩٢. وورد من مرسل ابن أبي ليلى. أخرجه الطبري ٣١٦٩٠ و ٣١٦٩١. فالحديث بهذه الشواهد الموصولة والمرسلة يتقوى ويرقى إلى درجة الحسن الصحيح والله أعلم. وانظر مزيد الكلام عليه في «أحكام القرآن» لابن العربي ١٩٨٦ و «تفسير القرطبي» ٥٥٦١ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

[١٣١٦] لم أجده بهذا اللفظ. وأخرجه الطبري ٣١٦٩٢ عن ابن إسحق عن يزيد بن رومان بنحوه.

---

(١) النساء: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ. . .﴾ الآية، في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣١٧] أحدهما: ما رَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ قال: قيلَ لرسولِ الله ﷺ: لو أتيتَ عبدَالله بنَ أُبيٍّ، فرَكِبَ حماراً وانطلَقَ معه المسلمون يمشون، فلمَّا أتاهُ النبيُّ ﷺ، قال: إليكَ عنِي، فَوَاللهِ لقد آذاني نَتَنُ حمارِكَ، فقال رجلٌ مِنَ الأنصار: واللهِ لَحِمارُ رسولِ الله أطيبُ ريحاً منكَ، فغضبَ لعبدِ اللهِ رجلٌ مِنْ قومه، وغضبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهم ضربٌ بالجَريدِ والأيدي والنِعالِ، فبلَغنا أنه أُنزِلت فيهم «وإنْ طائفتان. . .» الآية.

[١٣١٨] وقد أخرجا جميعاً مِنْ حديث أسامةَ بنِ زيدٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج يعودُ سعدَ بنَ عُبادَةَ، فمَرَّ بمجلسٍ فيهم عبدُالله بن أُبيٍّ، وعبدُالله بن رَواحةَ، فخَمَّرَ ابن أُبيٍّ وجهَهُ بردائِه، وقال: لا تُغَبِّروا علينا، فذكَر الحديثَ، وأنَّ المسلمين والمشركين واليهودَ استَبُّوا. وقد ذكرتُ الحديثَ بطُولِه في «المغني» و «الحدائق».

[١٣١٩] وقال مُقاتِلٌ: وقفَ رسولُ الله ﷺ على الأنصار وهو على حمارٍ له، فبَالَ الحمارُ، فقال عبدُالله بنُ أُبَي: أُفٍّ، وأمسَكَ على أنفِه، فقال عبدُالله بنُ رَواحةَ: واللهِ لَهُوَ أطيبُ ريحاً منكَ، فكان بينَ قومِ ابنِ أُبيٍّ وابنِ رَواحةَ ضَربٌ بالنِّعالِ والأيدي والسَّعَفِ، ونزلت هذه الآيةُ.

[١٣٢٠] والقول الثاني: أنها نزلت في رَجُلَين مِنَ الأنصار كانت بينهما مُماراةٌ في حقٍ بينهما، فقال أحدهما: لآخُذنَّ حقي عَنوةً، وذلك لكثرةِ عشيرَتِه، ودعاه الآخرُ لِيُحاكِمَهُ إلى رسولِ الله ﷺ، فلم يَزَلِ الأمرُ بينهما حتى تناولَ بعضُهم بعضاً بالأيدي والنِّعالِ، قاله قَتادةُ.

وقال مُجاهِدٌ: المراد بالطَّائفتين: الأَوسُ والخَزرَجُ؛ اقتَتَلُوا بالعِصِي بينهم. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ: «اقتتلا» على فعلِ اثنين مُذَكَّرين. وقرأ أبو المُتوكِلِ النَّاجي، وأبو الجَوْنِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «اقتتلتا» بتاءٍ وألِفٍ بعدَ اللام على فعلِ اثنين مؤنَّثتين. وقال الحسَنُ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(١) بالدعاء إلى حُكمِ كتابِ الله عزَّ وجلَّ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنْ

[١٣١٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٩١ عن مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول، وأخرجه مسلم ١٧٩٩ وأحمد ٣/١٥٧ و ٢١٩ وأبو يعلى ٤٠٨٣ والطبري ٣١٦٩٩ والبيهقي ٨/ ١٧٢ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٦١ و «الوسيط» ٤/ ١٥٣ من طرق عن المعتمر بن سليمان به. فالحديث صحيح، ولكن ذكر نزول الآية الظاهر أنه من كلام سليمان، وأنه مدرج في الحديث، والله أعلم.

[١٣١٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٦٦ و ٥٦٦٣ و ٦٢٥٤ ومسلم ١٧٩٨ وأحمد ٥/ ٢٠٣ وابن حبان ٦٥٨١ من حديث أسامة بن زيد، وهو حديث مطول.

[١٣١٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو واهٍ، لكن ورد أيضاً عن الزهري، أخرجه الطبري ٣١٧١٠ مع اختلاف يسير فيه ولأصله شواهد، لكن ذكر نزول الآية لا يصح.

[١٣٢٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣١٧٠٧ و ٣١٧٠٨ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٤٩: هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة. ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة. وقوله تعالى: **﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾** أمر الله تعالى بالقتال، وهو فرض على الكفاية وإن الله سبحانه أمر بالصلح قبل القتال، وعين القتال عند =

بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ طلبَتْ ما ليس لها ولم ترجعْ إلى الصُّلح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي ترجعَ ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي إلى طاعتِه في الصُّلحِ الذي أَمَر به. قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي: أعدِلُوا في الإِصلاحِ بينهما.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إذا كانوا مُتَّفِقين في دِيْنِهم رَجَعوا باتِّفاقِهم إلى أصلِ النَّسَبِ، لأنهم لآدمَ وحَوَّاءَ، فإذا اختلفتْ أديانُهم افترَقوا في النَّسَبِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «بين أخويكم» بياءٍ على التثنية. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومُعاويةُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، وأبو العَاليةِ، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «بين إخوتكم» بتاءٍ مع كسرِ الهمزة على الجمع. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو عبدِالرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، والشَّعْبيُّ، وابنُ سِيْرِينَ: «بين إخوانكم» بالنونِ وألِفٍ قبلَها. قال قَتادةُ: ويعني بذلك الأَوْسَ والخَزْرَجَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ هذه الآيةُ نزلت على ثلاثةِ أسبابٍ؛ فأمَّا أوَّلُها إلى قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه قولان:

[١٣٢١] أحدهما: أنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ جاء يوماً يريد الدُّنُوَّ مِنْ رسول الله ﷺ، وكان به صَمَمٌ، فقال لرجلٍ بين يديه: افسَحْ، فقال له الرجلُ: قد أَصَبْتَ مجلساً، فجلسَ مُغْضَباً، ثم قال للرجل: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا فلانٌ، فقال ثابتٌ: أنتَ ابنُ فُلانةٍ!! فذكَر أُمّاً له كان يُعَيَّرُ بها في الجاهلية، فأغضى الرجلُ ونَكَسَ رأسَهُ، ونزلَ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٣٢٢] والثاني: أنَّ وَفدَ تَميم استهزؤوا بفقراءِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ لِمَا رأَوا مِنْ رَثَاثةِ حالِهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٢١] لا أصل له، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٢ بدون إسناد. وقال الحافظ في «الكشاف» ٤/ ٣٧٠ ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بدون إسناد. وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس.

[١٣٢٢] عزاه المصنف للضحاك ومقاتل، أما الضحاك فقد روى مناكير كثيرة، وأما مقاتل، فهو ممن يضع الحديث، فهذا الخبر لا شيء.

= البغي وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه البغاة والمرتدين، فأما البغاة فهم الذين منعوا الزكاة بتأويل ظناً منهم أنها سقطت بموت النبي ﷺ - وفي قتال المسلمين للفئة الباغية قال: ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع منهزمهم، لأن المقصود دفعهم لا قتلهم.

[١٣٢٣] **أحدها**: أنَّ نساءَ رسول الله ﷺ عَيَّرنَ أُمَّ سَلَمَةَ بالقِصَرِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. وزعَمَ مُقاتِلٌ أنَّ عائشةَ استهزأَتْ مِنْ قِصَرِ أُمِّ سَلَمَةَ.

[١٣٢٤] **والثاني**: أنَّ امرأتين مِنْ أزواجِ رسولِ الله ﷺ سَخِرَتا مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ زوجِ رسولِ الله ﷺ، وكانت أُمُّ سَلَمَةَ قد خرجت ذاتَ يوم وقد ربطَتْ أحدَ طَرَفَيْ جِلبَابِها على حَقْوِها، وأرْخَتِ الطَّرفَ الآخرَ خلفَها، ولا تَعلَمُ، فقالت إحداهُما للأخرى: انظُرِي ما خَلْفَ أُمِّ سَلَمَةَ كأنه لِسانُ كلبٍ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٣٢٥] **والثالث**: أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطَبَ أتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ النساءَ يُعيِّرنَني ويَقُلْنَ: يا يهوديَّة بنتَ يَهُودِيِّين، فقال رسولُ الله ﷺ: «هَلاَّ قُلْتِ: إنَّ أبي هارُونُ، وإنَّ عمِّي موسى، وإنَّ زوجي محمَّدٌ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٢٦] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَدِمَ المدينةَ ولهم ألقابٌ يُدْعَون بها، فجعلَ الرجلُ يدعو الرجلَ بلَقَبِه، فقِيلَ له: يا رسولَ الله، إنهم يَكرهون هذا، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾، قاله أبو جَبِيرةَ بنُ الضَّحَّاكِ.

[١٣٢٧] **والثاني**: أنَّ أبا ذَرٍّ كان بينه وبين رجلٍ مُنازَعةٌ، فقال له الرجلُ: يا ابنَ اليَهوديَّةِ، فنزلَتْ: «ولا تَنابزوا بالألقاب»، قاله الحسَنُ.

[١٣٢٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٣م عن أنس بدون إسناد، فهو لا شيء. وقول مقاتل واهٍ فهو يضع الحديث.

[١٣٢٤] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسير موضوعاً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٦٣ بدون إسناد، ومن غير عزو لقائل، وذلك دليل أنه من رواية الكلبي، والأئمة ينأون عن ذكره، فإن وجد في إسناد أسقطوا الإسناد.

[١٣٢٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٤ عن عكرمة عن ابن عباس به معلقاً بدون إسناد، وأخرج الترمذي ٣٨٩٤ وابن حبان ٧٢١١ وعبد الرزاق في «المصنف» ٢٠٩٢١ وأحمد ٦/ ١٣٥ ـ ١٣٦ عن أنس قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال لها النبي ﷺ: وما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة. إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي فبم تفخر عليك، ثم قال: اتق الله يا حفصة. وإسناده على شرط الشيخين، لكن ليس فيه ذكر نزول الآية كما ترى. فهذا الذي صح في شأن صفية، وذكر نزول الآية لا يصح.

[١٣٢٦] جيد. أخرجه أبو داود ٤٩٦٢ والترمذي ٣٢٦٨ والنسائي في «التفسير» ٥٣٦ وابن ماجة ٣٧٤١ وأحمد ٤/ ٢٦٠ والبخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٠ والحاكم ٢/ ٤٦٣ و٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ والطبري ٣١٧١٧ و٣١٧١٨ و٣١٧١٩ و٣١٧٢٠ من حديث أبي جبيرة بن الضحاك، ورجاله رجال مسلم، لكن اختلف في صحبة أبي جبيرة وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه أحمد ٤/ ٦٩ و٥/ ٣٨٠ بإسناد جيد عن أبي جبيرة عن عمومة له، وهذا موصول قوي الإسناد. وانظر «فتح القدير» ٢٣٢٠ و«أحكام القرآن» ١٩٩٩ بتخريجنا.

[١٣٢٧] عزاه المصنف للحسن، ولم أقف عليه، وهو مرسل، ومراسيل الحسن واهية. وورد بنحوه دون ذكر نزول الآية. أخرجه أحمد ٥/ ١٥٨ عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى». قال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٨٣: رجاله ثقات إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من =

[١٣٢٨] **والثالث**: أنَّ كَعبَ بنَ مالكٍ الأنصاريَّ كان بينه وبينَ عبدِالله بنِ أبي حَدْرَد الأسلَميّ كلامٌ، فقال له: يا أعرابيُّ، فقال له عبدُالله: يا يَهوديُّ، فنزلت فيهما: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾، قاله مُقاتِلٌ.

وأمّا التَّفسيرُ، فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أي: لا يَستهزئ غنيٌّ بفقيرٍ، ولا مَستورٌ عليه ذَنْبُه بمَنْ لم يُستَرْ عليه، ولا ذو حَسَبٍ بلئيم الحَسَبِ، وأشباه ذلك ممّا يتنقَّصه به، عسى أنْ يكونَ عند اللهِ خيراً منه. وقد بيَّنّا في البقرة[1] أنَّ القومَ اسمُ الرِّجال دونَ النِّساءِ، ولذلك قال: «ولا نساءٌ من نساء» و «تَلْمِزوا» بمعنى تَعيبوا، وقد سبق بيانُه[2]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تَعيبوا إخوانَكم مِنَ المسلمين لأنهم كأنفسِكم. والتَّنابُز: التَّفَاعُل مِنَ النَّبزِ، وهو مصدرٌ، والنَّبَز الاسمُ. والألقابُ جمعُ لَقَبٍ، وهو اسمٌ يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سُمِي به. قال ابنُ قُتَيبةَ: «ولا تَنابزوا بالألقاب» أي لا تَتداعَوْا بها. و الألقاب و الأنباز واحدٌ.

[١٣٢٩] ومنه الحديث: «نَبْزُهم الرافضة» أي: لَقبُهم.

وللمُفسِّرين في المراد بهذه الألقاب أربعةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: تَعييرُ التَّائبِ بسيِّئاتٍ قد كان عمِلَها، رواه عَطِيَّةُ العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه تسميتُه بعد إسلامِه بدِينِه قبلَ الإسلام، كقولِه لليَهوديِّ إذا أَسلَمَ: يا يَهوديّ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الحَسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعَطاءٌ الخُراسانيُّ، والقُرظيُّ. **والثالث**: أنه قولُ الرجلِ للرجلِ: يا كافرُ، يا مُنافقُ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنه تسميتُه بالأعمالِ السَّيئةِ، كقوله: يا زاني؛ يا سَارِقُ، يا فاسِقُ، قاله ابنُ زيدٍ. قال أهلُ العلم: والمراد بهذه الألقاب: ما يَكرهه المُنادَى به، أو يُعَدُّ ذمّاً له. فأمّا الألقابُ التي تُكسِبُ حمداً وتكون صِدْقاً، فلا تُكرَهُ، كما قيلَ لأبي بكرٍ: عَتيق، ولِعُمَر: فارُوق، ولِعُثمانَ: ذو النُّورَين، ولعليٍّ: أبو تُرابٍ: ولِخالدٍ:

= أبي ذر. فالإسناد ضعيف. وذكر نزول الآية لم أره أصلاً، وكذا قوله: «يا ابن اليهودية». والذي صح في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ٦٠٥٠ ومسلم ١٦٦١ وأبو داود ١٥٧ والترمذي ١٩٤٥ من حديث أبي ذر «... كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: أسابيت فلاناً؟ قلت: نعم، قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم، قال: إنك امرؤ فيك جاهلية». وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٠٠ بتخريجنا.

[١٣٢٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، كذبة غير واحدة فهذا خبر ليس له أصل.
وأصح هذه الأقول هو الحديث ١٣٢٦.

[١٣٢٩] باطل. أخرجه البغوي في «معالم التنزيل» ١٩٨٨ من حديث علي، وإسناده ساقط، فيه فضيل بن مرزوق ضعيف، ومن فوقه مجاهيل. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه ابن عدي ٥/ ١٥٣ وأعله بعمر بن المخرم، وقال: يروي عن ابن عيينة وغيره البواطيل.

(١) البقرة: ٥٤. (٢) التوبة: ٥٨.
(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٩٢: والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهي المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها.

سيفُ الله، ونحو ذلك. وقوله: ﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ أي: تسميته فاسقاً أو كافراً وقد آمَنَ، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ مِنَ التَّنابزِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: الضَّارُّونِ لأنفسِهم بمَعصيتِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: هم أظلَمُ مِنَ الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابنُ زيدٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نهى الله تعالى المؤمنَ أنْ يَظُنَّ بالمؤمن شرّاً. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الرجل يسمعُ مِنْ أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يَدخُل مَدخلاً لا يريد به سُوءاً، فيَراهُ أخوه المسلمُ فيَظُنُّ به سوءاً. وقال الزَّجَّاجُ: هو أنْ يظُنَّ بأهلِ الخير سُوءاً. فأمَّا أهلُ السوءِ والفِسْقِ، فلنا أنْ نظنَّ بهم مِثْلَ الذي ظَهَر منهم. قال القاضي أبو يَعلَى: هذه الآية تدلُّ على أنه لم يُنْهَ عن جميع الظَّنِّ؛ والظَّنُّ على أربعةِ أَضْرُبٍ. مَحظُورٌ، ومأمُورٌ به، ومُباحٌ، ومَندُوبٌ إليه، فأمَّا المَحظُور، فهو سوءُ الظَّنِّ بالله تعالى، والواجبُ: حُسْنُ الظَّنِّ بالله، وكذلك سُوءُ الظَّنِّ بالمسلمين الذين ظاهِرُهم العَدالةُ مَحظُورٌ، وأمَّا الظَّنُّ المَأمورُ به، فهو ما لم يُنْصَبْ عليه دليلٌ يُوصِلُ إلى العِلْمِ به، وقد تُعبِدنا بتنفيذ الحُكْمِ فيه، والاقتصارِ على غالبِ الظَّنِّ، وإجراءُ الحُكم عليه واجبٌ، وذلك نحو ما تُعبِدنا به مِنْ قَبولِ شهادةَ العُدُولِ، وتَحرّي القِبلَةِ، وتقويم المُستهلَكاتِ، وأروشِ الجِناياتِ التي لم يَرِدْ بمقاديرِها توقيفٌ، فهذا وما كان مِنْ نظائره قد تُعُبّدنا فيه بأحكامِ غالبِ الظُّنونِ. فأمَّا الظَّنُّ المُباحُ، فَكالشَّاكِّ في الصلاة إذا كان إماماً، أَمرَهُ النبيُّ ﷺ بالتَّحري والعملِ على ما يَغْلِبُ في ظَنه، وإنْ فعلَهُ كان مُباحاً، وإنْ عَدَلَ عنه إلى البِناءِ على اليقينِ كان جائزاً.

[١٣٣٠] ورَوى أبو هُريرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا ظَنَنْتم فلا تُحقّقوا»، وهذا مِنَ الظَّنِّ الذي يَعرِض في قلبِ الإنسان في أخيه فيما يُوجب الرِيبةَ، فلا ينبغي له أنْ يُحَقِّقَهُ.

وأمَّا الظَّنُّ المَندوبُ إليه، فهو إحسانُ الظَّنِّ بالأخِ المسلمِ يُندَب إليه ويُثابُ عليه.

[١٣٣١] فأمَّا ما رُوِيَ في الحديث: «احترِسُوا مِنَ الناس بسُوءِ الظَّنِّ»، فالمراد: الاحتِراسُ بحفظِ المالِ، مثل أنْ يقولَ: إنْ تركتُ بابي مفتوحاً خشيتُ السُّرّاقَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قال المُفسِّرون: هو ما تكلَّم به ممَّا ظنَّه مِنَ السُّوءِ بأخيه المسلم، فإنْ لم يتكلَّم به فلا بأسَ، وذهب بعضُهم إلى أنه يأثَم بنَفسِ ذلك الظَّن وإنْ لم يَنْطِق به. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ والحسَنُ والضَّحَّاكُ وابنُ سِيرِينَ وأبو رَجاءٍ وابنُ يَعمَرَ: بالحاء. قال أبو عُبيدَةَ: التجسس والتَّحسسُ واحدٌ، وهو التَّبحُث، ومنه الجَاسوس. ورُوي عن يَحيى بنِ أبي

[١٣٣٠] لم أره من حديث أبي هريرة. وورد من حديث حارثة بن النعمان، أخرجه الطبراني ٣٢٢٧ وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٧٧. وورد من مرسل إسماعيل بن أمية، أخرجه عبد الرزاق ١٩٥٠٤ فهو شاهد له.

[١٣٣١] ضعيف جداً، أخرجه تمام في «فوائده» ١١٦٧ من حديث أنس، وفيه أبان بن أبي عياش متروك، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٠٢ من وجه آخر، وفيه معاوية الصدفي واهٍ.

كثيرٍ أنه قال: التَّجَسسُ، بالجيم: البَحثُ عن عَوراتِ النَّاسِ، وبالحاء: الاستِماعُ لحديثِ القومِ. قال المُفسِّرون: التَّجَسسُ: البَحثُ عن عيبِ المسلمين وعَوراتِهم؛ فالمعنى: لا يَبحثْ أحدُكم عن عيبِ أخيهِ لِيَطَّلعَ عليه إذْ سَترَهُ الله. وقيلَ لابنِ مسعودٍ: هٰذا الوليدُ بنُ عقبة تَقطرُ لِحيتُه خمراً، فقال: إنَّا نُهينا عن التَّجسسِ، فإنْ يَظهَرْ لنا شيءٌ نأخُذه به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لا يتناولْ بعضُكم بعضاً بظَهرِ الغَيب بما يَسُوؤُه.

[١٣٣٢] وقد رَوى أبو هُريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ ما الغِيبَةُ؟ قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكره. قال: أرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «إنْ كان في أخيكَ ما تقولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فقد بَهَتَّهُ».

ثم ضَرَبَ الله للغِيبَةِ مَثَلاً، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ وقرأ نافعٌ «ميّتاً» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: وبيانه أنَّ ذِكركَ بسُوءٍ مَنْ لم يَحْضُرْ، بمنزلةِ أكلِ لحمِه وهو مَيتٌ لا يُحِسُّ بذلك. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا تأكيدٌ لتحريم الغِيبَةِ، لأنَّ أكلَ لحمِ المسلم محظورٌ، ولأنَّ النُّفوسَ تَعافُه مِنْ طريق الطَّبعِ، فينبغي أنْ تكونَ الغِيبَةُ بمنزلَتِه في الكراهة.

قوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ: «فكُرِّهتموه» برفع الكافِ وتشديدِ الراء. قال الفَرَّاءُ: أي وقد كَرِهتُموه فلا تفعلوه، ومَنْ قرأ «فكُرِّهتموه» أي: فقد بُغِّضَ إليكم، والمعنى واحدٌ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: كما تكرهون أكلَ لحمِه ميتاً فكذلك تَجنَّبوا ذِكْرَهُ بالسُّوءِ غائباً. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي في الغيبة ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٣٣] **أحدها**: نزلت في ثابتِ بنِ قيسٍ وقوله في الرجل الذي لم يَفسَحْ له: أنتَ ابنُ فُلانةٍ، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾.

[١٣٣٤] **والثاني**: أنه لمَّا كان يومُ الفَتحِ أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بلالاً فصَعِدَ على ظهرِ الكعبةِ فأذَّنَ،

[١٣٣٢] صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٨٩ عن يحيى بن أيوب، وقتيبة، وعلي بن حجر عن إسماعيل بن العلاء به.
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٣٤٥٤ عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه ابن حبان ٥٧٥٩ والبيهقي ١٠/٢٤٧ وفي «الآداب» ١٥٤ من طريق إسماعيل بن جعفر به.
وأخرجه أبو داود ٤٨٧٤ والترمذي ١٩٣٤ وأحمد ٢/ ٣٢٠ و ٣٨٤ و ٤٥٨ والدارمي ٢/ ٢٩٧ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٥٦ والأصبهاني في «الترغيب» ٢٢٢٩. وابن حبان ٥٧٥٨ من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[١٣٣٣] لم أقف له على إسناد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥ عن ابن عباس بدون إسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي الكذاب، وتقدم أن الذي صح في ثابت هو حديث أنس المتفق عليه، انظر تخريج الحديث ١٣٠٩.

[١٣٣٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، يضع الحديث. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥م عن مقاتل بدون إسناد.

وأراد أنْ يُذِلَّ المشركين بذلك، فلمّا أذَّن، قال عَتّابُ بنُ أَسِيدٍ: الحمدُ لله الذي قبضَ أَسِيداً قبلَ اليوم، وقال الحَارثُ بنُ هِشام: أمَا وجدَ محمّدٌ غير هذا الغُرابِ الأسودِ مُؤذِناً؟! وقال سُهَيلُ بنُ عمروٍ: إنْ يَكْرهِ الله شيئاً يُغيِّره، وقال أبو سُفيانَ: أمّا أنا فلا أقولُ شيئاً، فإنِّي إنْ قُلتُ شيئاً لَتَشهَدَنَّ عليَّ السماءُ، ولَتُخبِرَنَّ عنّي الأرضُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

[١٣٣٥] والثالث: أنَّ عبداً أسودَ مَرِضَ فعادَهُ رسولُ الله ﷺ، ثم قُبِضَ فتولّى غَسلَهُ وتكفينَهُ ودَفنَهُ، فأثَّرَ ذلك عند الصحابةِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله يَزيدُ بنُ شجرةَ.

فأمّا المراد بالذَّكَر والأُنثى، فآدمُ وحوّاءُ. والمعنى: إنكم تَتساوَوْن في النَّسَبِ؛ وهذا زَجْرٌ عن التفاخرِ بالأنسابِ. فأمّا الشُّعوبِ، فهي جمعُ شَعْبٍ. وهو الحَيُّ العظيمُ، مثل مُضَر ورَبيعَة، والقبائل دُونَها، كبَكْرٍ مِنْ رَبيعَة، وتَميمٍ من مُضَرَ، هذا قولُ الجمهور مِنَ المُفسِّرين وأهلِ اللغة. ورَوى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: يريد بالشعوبِ المَوالِي، وبالقبائل العربَ. وقال أبو رَزِينٍ: الشعوب: أهلُ الجبال الذين لا يَعتَزُون لأحدٍ، والقبائل: قبائلُ العرب. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وقد قيلَ إنَّ القبائلَ هي الأصولُ، والشُّعوب هي البُطونُ التي تتشعَّبُ منها، وهذا ضِدُّ القولِ الأولِ.

قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً في قُربِ النَّسَبِ وبُعْدِه. قال الزَّجّاج: المعنى: جعلْناكم كذلك لِتعارَفوا، لا لِتَفاخَروا. ثم أعلَمَهُم أنَّ أرْفعَهُم عنده منزلةً أتْقاهُم، وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، والضَّحّاكُ، وابنُ يَعمَرَ، وأبَانُ عن عاصِم: «لِتَعْرِفوا» بإسكانِ العين وكسرِ الراء مِنْ غير أَلِفٍ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لِتَّعارَفوا» بتاءٍ واحدةٍ مشددةٍ وبألفٍ مفتوحةِ الراء مخففةٍ. وقرأ أبو نَهِيكٍ، والأعمَشُ: «لِتتعرَّفوا» بتاءين مفتوحةَ الراء وبتشديدِها مِنْ غير أَلِفٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، ومُجاهِدٌ، وأبو الجَوزاءِ: «أنَّ» بفتح الهمزة. قال الفَرّاءُ: مَنْ فَتَحَ «أنَّ» فكأنه قال: لِتَعارَفوا أنَّ الكريمَ التَّقيُّ، ولو كان كذلك لَكانت «لِتَعْرِفوا»، غيرَ أنه يجوز «لِتَعارفوا» على معنى: لِيُعَرِّفَ بعضُكم بعضاً أنَّ أكرمَكم عندَ الله أتقاكم.

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾.

[١٣٣٥] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٦٦م هكذا بدون إسناد، وكذا الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» ٤/ ٣٧٥، فهو خبر ساقط، ليس بشيء.

[١٣٣٦] قال مُجاهِدٌ: نزلت في أعرابِ بني أَسدِ بنِ خُزَيمةَ. ووصَفَ غيرُه حالَهم، فقال: قَدِموا المدينةَ في سنةٍ مُجْدِبةٍ، فأظهروا الإسلامَ ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدُوا طُرقَ المدينة بالعَذِرَاتِ، وأَغْلَوا أسعارَهم، وكانوا يَمُنُّونَ على رسولِ الله ﷺ فيقولون: أتيناكَ بالأثقالِ والعِيالِ، ولَمْ نُقاتِلْكَ، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

[١٣٣٧] وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أعرابِ مُزَينةَ وَجُهَينةَ وأَسلَمَ وأَشجَعَ وغِفَارَ، وهم الذين ذَكَرَهُم اللَّهُ تعالى في سُورَةِ الفتح، وكانوا يقولون: آمَنَّا بالله، لِيَأْمَنوا على أنفُسِهم، فلمَّا استُنفِروا إلى الحُدَيبيَةِ تَخلَّفوا، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

[١٣٣٨] وقال مُقاتِلٌ: كانت منازلُهم بينَ مكَّةَ والمدينةِ، فكانوا إذا مَرَّتْ بهم سَرِيَّةٌ مِنْ سرايا رسولِ الله ﷺ قالوا: آمَنَّا، لِيَأْمَنُوا على دِمائِهم وأموالِهم، فلمَّا سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الحُدَيبِيَةِ استَنفَرَهُم فلم يَنفِروا معه.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لَمْ تُصدِّقوا ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: استَسْلَمْنا مِنْ خوفِ السَّيفِ، وانقَدْنا. قال الزَّجَّاجُ: الإسلامُ: إظهَارُ الخُضوعِ والقَبولِ لِمَا أتى به رسولُ الله ﷺ، وبذلك يُحقَنُ الدَّمُ، فإنْ كان معه اعتقادٌ وتصديقٌ بالقلبِ، فذلك الإيمانُ، فأخرَجَ الله هؤلاءِ مِنَ الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصدِّقوا، إنما أسلَمْتُم تعَوُّذاً مِنَ القتلِ، وقال مُقاتِلٌ: «ولمّا» بمعنى «ولم» يدخُلِ التَّصديقُ في قلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنْ تُخلِصوا الإيمانَ ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمرٍو: «يألِتكم» بألِفٍ وهمزٍ؛ ورُوِيَ عنه بألِفٍ ساكنةٍ مع تركِ الهمزة. وقرأ الباقون: «يَلِتكُم» بغير ألِفٍ ولا همزٍ. فقراءةُ أبي عَمرٍو مِنْ ألَتَ يألِتُ، وقراءةُ الباقين مِنْ لاتَ يَليتُ، قال الفرَّاءُ: وهما لُغتان، قال الزَّجَّاجُ: معناهما واحدٌ. والمعنى: لا يُنقِصْكُم. وقال أبو عُبيدَةَ: فيها ثلاثُ لُغاتٍ: ألَتَ يألِتُ، تقديرها: أفَكَ يأفِكُ، وألاتَ يُليتُ، تقديرها: أقالَ يُقِيلُ، ولاتَ يَليتُ، قال رُؤْبَةُ:

وليـلـةٍ ذاتِ نَـدًى سَـرَيْـتُ ... ولم يَـلِـتْـنِـي عـن سُـراهـا لَـيْـتُ

قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: مِنْ ثوابِها. ثم نَعتَ الصَّادقينَ في إيمانِهم بالآية التي تَلِي هذه، ومعنى: ﴿يَرْتَابُوا﴾ يَشُكُّوا. وإنما ذَكَر الجهادَ، لأنَّ الجهادَ مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك

[١٣٣٦] أخرجه الطبري ٣١٧٧٥ عن مجاهد مختصراً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٧ بدون إسناد، وذكره البغوي في «تفسيره» ٢٠١٧ تعليقاً، ومن غير عزو لقائل. وورد بنحوه من حديث ابن عباس عند النسائي في «التفسير» ٥٣٩ والبزار كما في «تفسير ابن كثير» ٤/٢٥٨ من طريقين ضعيفين عن سعيد بن جبير به. وورد من حديث أبي قلابة مرسلاً، أخرجه ابن سعد ١/٢/٣٩. وورد عن قتادة مرسلاً، أخرجه الطبري ٣١٧٨١. وورد عن عبد الله بن أبي أوفى، أخرجه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» كما في «المجمع» ٧/١١٢. قال الهيثمي: وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. رووه بألفاظ متقاربة، والمعنى واحد، فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «فتح القدير» ٢٣٢٤ للشوكاني بتخريجنا.

[١٣٣٧] عزاه المصنف للسدي، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

[١٣٣٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، لكن هو موافق لما قبله في أكثر الخبر.

الوقت، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم، فلمّا نزلت هاتانِ الآيتانِ أتَوا رسولَ الله ﷺ يَحلِفون أنهم مؤمنون صادقون، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ و «علَّم» بمعنى «أعلَمَ» ولذلك دخلت الباءُ في قوله: «بدِينِكُم» والمعنى: أَتُخبِرُونَ الله بالدِّينِ الذي أنتم عليه؟!، أي: هو عالِمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخبارِكُم؛ وفيهم نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ قالوا: أسْلَمْنا ولم نُقاتِلْك، واللّهُ تعالى أعلَمُ.

سُورَةُ قٓ

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

ويقال لها: سورة الباسقات. رَوى العَوفيُّ وغيره عن ابنِ عباس أنها مكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والجمهور. وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ الآية(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿قٓ﴾ قرأ الجمهور بإسكانِ الفاء. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجاءٍ، وأبو الجَوزَاءِ: «قافَ» بنَصبِ الفاء. وقرأ أبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ: «قافُ» برفع الفاء. وقرأ الحسَنُ، وأبو عِمرانَ: «قافِ» بكسرِ الفاء. وفي «قٓ» خمسةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه جَبلٌ مِنْ زَبَرْجَدةٍ خضراءَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. ورَوى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: خَلَقَ اللَّهُ جبلاً يُقال له: «قٓ» مُحيطٌ بالعالَم،

---

(١) قٓ: ٣٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢٦٠: «قٓ»: حرف من حروف الهجاء التي تقدم ذكرها في أوائل السور بما أغنى عن إعادته. وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: قٓ: جبل محيط بجميع الأرض يقال له قاف وكأن هذا. والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يُصدَّق ولا يُكذَّب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى على هذه الأمة ـ مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها ـ أحاديث عن النبي ﷺ ـ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلّة الحفّاظ النقّاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل. فأما ما تحيله العقول ويُحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، والله أعلم.
وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة.

وعرُوقُه إلى الصخرة التي عليها الأرضُ، فإذا أراد اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنْ يُزَلزِلَ قريةً، أمَرَ ذلك الجبَلَ فحرَّكَ العِرْقَ الذي يلي تلك القريةَ. وقال مُجاهِدٌ: هو جبلٌ مُحيطٌ بالأرض. ورُوِيَ عن الضَّحَّاكِ أنه مِنْ زُمُرُّدةٍ خضراءَ، وعليه كنَفَا السماءِ، وخُضرةُ السماءِ منه. **والثالث**: أنه جبلٌ مِنْ نارٍ في النَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ في روايةٍ عنه عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنه حَرفٌ مِنْ كلمةٍ. ثم فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه افتتاحُ اسمِه «قدير»، قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنه افتتاحُ أسمائِه: القدِير والقاهِر والقَرِيب ونحو ذلك، قاله القُرَظيُّ. **والثالث**: أنه افتتاحُ «قُضِيَ الأمرُ» وأنشدوا:

قُلْنا لها قِفي فقالتْ قافْ

معناه: أَقِفُ، فاكتَفتْ بالقاف مِنْ «أقف»، حكاه جماعةٌ منهم الزَّجَّاجُ. **والرابع**: قِفْ عند أمرِنا ونَهْيِنا، ولا تَعْدُهُما، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والخامس**: قُلْ يا محمَّدُ، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قال ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ: المَجيد: الكريم. وفي جوابِ هذا القَسَم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مُضمرٌ، تقديره: لَيُبْعَثُنَّ بَعْدَ الموت. قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، ويدلُّ عليه قولُ الكفَّارِ: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾. **والثاني**: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى: قاف والقرآنِ المجيدِ لقدْ علِمْنا، فحذِفت اللامُ لأنَّ ما قَبْلَها عِوَضٌ منها، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾... ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[1] أي: لقد أفلحَ، أجازَ هذا القولَ الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه قولُه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[2]، حُكيَ عن الأخفَشِ. **والرابع**: أنه في سُورةٍ أُخرى، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، ولم يُبيِّن في أيِّ سُورةٍ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ مُفسَّرٌ في «صَ»[3] إلى قوله: ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: مُعْجِبٌ. ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ قال الأخفَشُ: هذا الكلام على جوابٍ، كأنه قيلَ لهم: إنَّكم تَرجِعون، فقالوا: أئِذا مِتْنا وكُنَّا تراباً؟ وقال غيرُه: تقدير الكلام: ق والقرآن لَيُبْعَثُنَّ، فقال: أئِذا مِتنا وكنَّا تراباً؛ والمعنى: أَنُبعَثُ إذا كنَّا كذلك؟!

وقال ابنُ جَرير: لمَّا تعجَّبوا مِنْ وعيدِ الله على تكذيبِهم بمحمَّدٍ ﷺ فقالوا: هذا شيءٌ عجيبٌ، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بُعِثْتم ما يكون حالُكم في تكذيبِكم محمَّداً، فقالوا: أئِذا مِتنا وكُنَّا تُراباً؟!

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ﴾ أي: ردٌّ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أيْ لا يكون. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل مِنْ لحومِهم ودمائِهم وأشعارِهم إذا ماتوا، يعني أنَّ ذلك لا يَعْزُبُ عن عِلْمِه ﴿وَعِندَنَا﴾ مع عِلْمِنا بذلك ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ أي حافظٌ لِعدَدِهم وأسمائِهم ولِمَا تَنقُص الأرضُ منهم، وهو اللَّوحُ المَحفوظُ قد أُثبِتَ فيه ما يكون. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو القرآنُ. والمَرِيجُ: المُختَلط، قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال مَرِجَ أمرُ الناسِ، ومَرِجَ الدِّينُ، وأصل هذا أنْ يَقلَقَ الشيءُ ولا يستقرَّ، يُقال: مرِجَ الخاتمُ في يدي: إذا قَلِقَ للهُزالِ. قال المُفسِّرون: ومعنى اختِلاطِ أمرِهم: أنهم كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ مَرَّةً ساحر، ومرَّةً شاعر، ومرَّةً مُعلَّم، ويقولون للقرآن مرَّةً سِحر، ومرَّةً مُفْتَرى، ومرَّةً رَجَز، فكان أمرُهم مُلتبِساً مُختَلِطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا

(١) الشمس: ١ ـ ٩. (٢) ق: ١٨. (٣) صَ: ٤.

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

ثم دلَّهم على قُدرته على البَعثِ بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكبِ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: مِنْ صُدوعٍ وشُقوقٍ، والزَّوج: الجِنسُ. والبَهيجُ: الحَسَنُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: البَهيجُ: الذي يُبْتَهَجُ به.

قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: فَعَلنا ذلك لِنُبصِّرَ ونَدُلَّ على القُدرةِ. والمُنيبُ: الذي يَرجِعُ إلى الله ويُفكِّرُ في قُدرَتِه.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر ﴿مُّبَارَكًا﴾ أي: كثير الخيرِ، فيه حياةُ كلِّ شيءٍ ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أراد: الحبَّ الحَصِيدَ، فأضافَهُ إلى نَفْسِه، كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾(١) وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) فالحَبْلُ هو الوَريدُ، وكما يُقال: صلاةُ الأولى، يُراد: الصَّلاةُ الأولى، ويُقال: مسجدُ الجامعِ، يراد: المَسجدُ الجامعُ، وإنما تُضاف هذه الأشياء إلى أنفسِها لاختلافِ لفظِ اسمِها، وهذا قولُ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ. وقال غيرُهما: أراد حَبَّ النَّبتِ الحَصِيد. ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أي: وأنبَتْنا النَّخلَ ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ و «بسوقها»: طُولُها؛ قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: بَسَقَ الشيءُ يَبْسُقُ بُسُوقاً: إذا طالَ، والنَّضِيدُ: المَنضودُ بعضُه فوق بعضٍ، وذلك قبلَ أنْ يتفتَّحَ، فإذا انشَقَّ جُفُّ طَلْعِه وتفرَّقَ فليس بنَضِيدٍ. قوله تعالى: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: أنبَتْنا هذه الأشياءَ للرِّزقِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطرِ ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مِنَ القبور.

ثم ذكرَ الأممَ المُكذِّبةَ بما بعدَ هذا، وقد سبقَ بيانُه إلى قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وَجَبَ عليهم عذابي. ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ هذا جوابٌ لقولِهم: ذلك رَجْعٌ بعيدٌ. والمعنى: أَعَجَزْنا عن ابتداءِ الخَلقِ، وهو الخَلقُ الأوَّلُ، فَنَعْيَا بالبعث وهو الخَلْقُ الثاني؟! وهذا تقريرٌ لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخَالِقُ وأنكروا البَعثَ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي في شَكٍّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البَعثُ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) الواقعة: ٩٥.
(٢) ق: ١٦.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني ابنَ آدمَ ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ أي ما تُحدِّثُه به نفسُه. وقال الزَّجَّاجُ: نَعلمُ ما يُكِنُّه في نفسِه. قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي بالعِلْم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ الحَبْلُ هو الوَرِيدُ، وإنَّما أضافه إلى نَفْسِه لِمَا شرحناه آنفاً في قوله: «وحَبَّ الحَصِيدِ»(١). قال الفَرَّاءُ: والوَرِيدُ: عِرْقٌ بين الحُلْقومِ والعِلْباوين. وعنه أيضاً قال: عِرْقٌ بين اللَّبَّة والعِلْبَاوَيْن. وقال الزَّجَّاجُ: الوَرِيدُ: عِرْقٌ في باطِنِ العُنُقِ، وهما وَرِيدَانِ، والعِلْبَاوَانِ: العَصبتانِ الصَّفراوانِ في مَتْنِ العُنُقِ، واللَّبَّتانِ: مَجْرَى القُرْطِ في العُنُقِ. وقال ابنُ الأنباري: اللَّبَّةُ حيث يَتذَبذَبُ القُرْطُ مِمَّا يَقْرُبُ مِنْ شَحمةِ الأُذنِ. وحكى بعضُ العلماء أَنَّ الوَرِيدَ: عِرْقٌ متفرِّقٌ في البَدنِ مُخالِطٌ لجميعِ الأعضاء، فلمَّا كانت أبعاضُ الإنسان يَحجُبُ بعضُها بعضاً، أَعْلَمَ أَنَّ عِلْمَهُ لا يَحجُبه شيءٌ. والمعنى: ونحن أقربُ إليه حينَ يَتلقَّى المُتلقِّيَانِ، وهما المَلكَانِ المُوكَّلانِ بابنِ آدمَ يتلقَّيانِ عَمَلَه. وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذانِ ذلك ويُثبِتانِه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ كاتبُ الحسناتِ ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ كاتبُ السَّيِّئاتِ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عن اليمينِ قَعِيدٌ، وعن الشِّمالِ قَعِيدٌ، فدَلَّ أحدُهما على الآخرِ، فحُذِفَ المدلولُ عليه، قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأَنْتَ بِمَا عِنْـ ... ـدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيئاً، ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي(٢)

المعنى: كنتُ منه بريئاً. وقال ابنُ قُتَيبَة: القَعِيدُ بمعنى قاعِد، كما يُقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القَعِيدُ بمعنى مُقاعِد، كالأكِيلِ والشَّرِيبِ بمنزلةِ: المُؤاكِلِ والمُشَارِبِ.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلَّم مِنْ كلام فيَلْفِظُه، أي يَرميه مِنْ فَمِه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ أي: حافظٌ، وهو المَلَكُ الموكَّلُ به، إمَّا صاحبُ اليمين، وإمَّا صاحبُ الشِّمال ﴿عَتِيدٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: العَتِيدُ: الثَّابِتُ اللازِمُ. وقال غيرُه: العَتِيدُ: الحاضرُ معه أينما كان.

[١٣٣٩] ورَوى أبو أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كاتِبُ الحَسَناتِ على يمينِ الرَّجُلِ، وكاتبُ

[١٣٣٩] حديث ضعيف. في إسناده جعفر بن الزبير متروك متهم، والقاسم وإن وثقه ابن معين والترمذي، فقد ضعفه ابن حبان، وقال أحمد: روى عنه علي بن زيد أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم، وقال ابن معين بعد أن وثقه: والثقات يروون عنه الأحاديث. أي الواهية ـ ولا يرفعونها ثم قال: يجيئ من المشايخ الضعفاء ما يدل حديثهم على ضعفه. وأخرجه الطبراني في «الكبيرة» ٧٩٧١ من طريق عبد القاهر بن شعيب، والبيهقي في «الشعب» ٧٠٤٩ من طريق مروان بن معاوية كلاهما عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٠٥٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦ من طريقين عن إسماعيل بن عيسى العطار عن المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم به دون صدره، وإسماعيل ضعيف ومثله القاسم. وورد بلفظ «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة». أخرجه البيهقي ٧٠٥١ وأبو نعيم ٦/ ١٢٤ والواحدي ٤/ ١٦٥ والطبراني ٧٧٦٥ من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن القاسم به. وإسناده ضعيف، وعلته القاسم، وكذا إسماعيل ضعفه غير واحد مطلقاً. وضعفه بعضهم في روايته خاصة عن =

---

(١) قٓ: ٩.
(٢) البيت لعمرو بن أحمر، أو للأزرق بن طرفة وهو في «الكتاب» ١/ ٣٨٠ و «اللسان» ـ حول.

السَّيِّئاتِ على يسارِه، فكاتِبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيِّئاتِ، فإذا عَمِلَ حسنةً كَتَبها له صاحبُ اليمينِ عشراً، وإذا عَمِلَ سيِّئةً، وأراد صاحبُ الشِّمالِ أنْ يكتُبَها، قال صاحبُ اليمينِ: أمسِكْ، فيُمسِكُ عنه سَبْعَ ساعاتٍ، فإنِ استغفرَ منها لم يُكتَبْ عليه شيءٌ، وإنْ لم يستَغفِرْ كُتِبَ عليه سيِّئةٌ واحدةٌ». وقال ابنُ عباسٍ: جَعَلَ الله على ابنِ آدمَ حافِظَيْنِ في الليل، وحافِظَيْنِ في النَّهارِ. واختلفوا هل يَكتُبانِ جميعَ أفعالِه وأقوالِه على قولين[1]: **أحدهما**: أنهما يكتُبان عليه كلَّ شيءٍ حتى أنينَهُ في مرضه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهما لا يكتبانِ إلاَّ ما يُؤجر عليه أو يُوزَر، قاله عِكرِمَةُ. فأمَّا مجلِسُهما فقد نَطقَ القرآنُ بأنهما عن اليمينِ وعن الشِّمالِ، وكذلك ذكرنا في حديثِ أبي أُمامَةَ.

[١٣٤٠] وقد رَوى عليٌّ كرَّم الله وَجهَهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مقعدَ ملَكَيك على ثَنِيَّتيكَ، ولسانُكَ قلَمَهُما، وريقُكَ مِدادُهما، وأنتَ تجري فيما لا يَعنِيكَ»، ورُوِيَ عن الحَسنِ والضَّحَّاكِ قالا: مَجلِسُهما تحتَ الشَّعرِ على الحَنكِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وهي غَمرتُه وشِدَّته التي تَغشى الإنسانَ وتَغلِبُ على عقلِه وتدلُّه على أنه ميتٌ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وفيه وَجهانِ: **أحدهما**: أنَّ معناه: جاءت بحقيقةِ الموتِ. **والثاني**: بالحقِّ مِنْ أمر الآخرة، فأبانَتْ للإنسان ما لم يكُنْ بَيِّناً له مِنْ أمرِ الآخرة. ذكر الوجهين الفَرَّاءُ، وابنُ جَريرٍ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «وجاءت سَكْرةُ الحقِّ بالموت»، قال ابنُ جَريرٍ: ولهذه القراءةِ وَجهانِ. **أحدهما**: أنْ يكونَ الحقُّ هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سَكرَةُ الله بالموتِ. **والثاني**: أنْ تكونَ السَّكرةُ هي الموتُ، أُضِيفَتْ إلى نَفسِها، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[2]، فيكون المعنى: وجاءتْ السَّكرةُ الحَقُّ بالموتِ، بتقديم «الحَقّ». وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ: «وجاءت سَكَراتُ»

= غير الشاميين. قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٢٠٨: وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب، ولكن ورد من وجه آخر رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا! قلت: فيه القاسم كما تقدم، ولا يحتج بما ينفرد به، وتعيين ست ساعات أو سبع ساعات غريب جداً. وله شاهد من حديث أم عصمة فيه «ثلاث ساعات» وفي الإسناد سعيد بن سنان وهو متروك، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧، فهذا شاهد لا يفرح به، وهو يعارض الأول في تعيين الزمن. **الخلاصة**: لفظ المصنف ضعيف جداً، واللفظ المختصر عن إسماعيل بن عياش الذي أوردته ضعيف فقط، وشاهده ليس بشيء، وقد أورده الألباني في «الصحيحة» ١٢٠٩ وحسنه وليس كما قال بل الإسناد ضعيف والمتن غريب، ولا يتدين بحديث ينفرد به القاسم، وفي الطريق إليه جعفر وهو متروك أو ابن عياش، وهو غير حجة.

[١٣٤٠] ضعيف جداً. أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطاة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مقعد مليكك...» فذكره. كذا قاله الحافظ في تخريج الكشاف ٤/ ٣٨٤ وسكت عليه. وإسناده ضعيف جداً فيه جميل بن الحسن جرحه عبدان، ووثقه ابن حبان، وفيه أرطاة بن أشعث قال عنه في «الميزان» هالك. وهاه ابن حبان. ثم ذكر الذهبي له خبراً غير هذا وقال: هو المتهم به، ثم هو منقطع بين علي ومحمد الباقر. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٦٣١ بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٦٣: وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب؟ وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.
(٢) الواقعة: ٩٥.

على الجمع «الحَقّ بالموتِ» بتقديم «الحَق». وقرأ أُبيّ بنُ كَعب، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «وجاءتَ سَكَراتُ الموت» على الجمع «بالحق» بتأخير «الحق». قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فيُقال للإنسان حِينئذٍ: «ذلك»: أي ذلك الموتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تهرُبُ وتَفِرُّ. وقال ابنُ عباسٍ: تَكرَهُ. قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني نَفخَةَ البَعثِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي يومَ وقوعِ الوعيدِ. قوله تعالى: ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ السَّائقَ مَلَكٌ يَسوقُها إلى مَحشَرِها، قاله أبو هُريرَةَ: **والثاني**: أنه قَرينُها مِنَ الشياطين، سُمِّي سائقاً لأنه يتبَعُها وإنْ لم يَحُثَّها. وفي (الشَّهيدِ) ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَلَكٌ يَشهدُ عليها بعمَلِها، قاله عُثمانُ بنُ عفَّانَ والحسَنُ. وقال مُجاهِدٌ: المَلَكان سائِقٌ وشَهيدٌ. وقال ابنُ السَّائبِ: السَّائقُ الذي كان يكتب عليه السَّيِّئاتِ، والشَهيدُ الذي كان يكتب الحَسناتِ. **والثاني**: أنه العملُ يَشهدُ على الإنسانِ، قاله أبو هُريرَةَ. **والثالث**: الأيدي والأرجلُ تَشهدُ عليه بعمَلِه، قاله الضَّحَّاكُ. وهل هذه الآياتُ عامَّةٌ، أَمْ خاصَّةٌ؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنها عامَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: خاصَّةٌ في الكافرِ، قاله الضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ أي: ويُقال له: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم، وفي المُخاطَبِ بهذه الآياتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكافر، قاله ابنُ عباسٍ، وصالحُ بنُ كَيسانَ في آخرين. **والثاني**: أنه عامٌّ في البَرِّ والفاجرِ، قاله حُسَينُ بنُ عبدِ الله بنِ عُبيدِ الله بنِ عباسٍ، واختاره ابنُ جَريرٍ. **والثالث**: أنه النبيُّ ﷺ، وهذا قولُ ابنِ زيدٍ. فعَلَى القولِ الأول يكون المعنى: لقد كنتَ في غفلةٍ مِنْ هذا اليوم في الدنيا بكُفرِكَ به؛ وعلى الثاني: كنتَ غافلاً عن أهوالِ القيامة ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبَكَ وسَمعَكَ وبَصَرَكَ. وقيلَ معناه: أريناكَ ما كان مَستوراً عنكَ؛ وعلى الثالث: لقد كنتَ قبلَ الوحي في غفلةٍ عمَّا أُوحِيَ إليكَ، فكَشفنا عنكَ غِطاءَكَ بالوحي ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصرِ قولان: **أحدهما**: البَصرُ المعروفُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: العِلْمُ، قاله الزَّجَّاجُ. وفي قوله: «اليوم» قولان: **أحدهما**: أنه يومُ القيامة، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه في الدنيا، وهذا على قولِ ابنِ زيدٍ. فأمَّا قوله: «حديدٌ» فقال ابنُ قُتَيبة: الحديدُ بمعنى الحَادّ. أي: فأنتَ ثاقِبُ البصرِ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَبصَرُكَ حديدٌ إلى لسانِ الميزانِ حين تُوزَنُ حسناتُكَ وسيِّئاتُكَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه شاخِصٌ لا يطرف لِمُعاينةِ الآخرة، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه العِلْمُ النَّافذُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ: هو مَلَكُه الذي كان يكتب عملَه السَّيِّءَ في دارِ الدنيا، يقولُ لِربِّه: قد كتبتُ ما وكَّلتَني به، فهذا عندي مُعَدٌّ حاضرٌ مِنْ عمله الخبيثِ، فقد أتيتُكَ به وبعمَلِه. وفي «ما» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «من» قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيءٌ لديَّ عَتِيدٌ، قاله الزَّجَّاجُ. وقد ذكرنا معنى العَتيدِ في هذه السُّورَة[1]، فيقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) ق: ١٨.

وفي معنى هذا الخطاب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مُخاطبةٌ للواحد بلفظِ الخطاب للاثنين، قال الفَرّاءُ: والعرب تأمُر الواحدَ والقومَ بأمرِ الاثنين، فيقولون للرجُلِ: وَيلَكَ ارْحَلاها وازْجُراها، سَمِعتها مِنَ العرب، وأنشدني بعضُهم:

فـقُـلْـتُ لِـصَـاحِـبِـي لا تَـحْـبِـسَـانـا بِـنَـزْعِ أُصُـولِـهِ واجْـتَـزَّ شِـيـحَـا[1]

وأنشدني أبو ثَرْوان:

فـإِنْ تَـزْجُـرانِـي يـابْـنَ عَـفَّـانُ أَنْـزَجِـرْ وإِنْ تَـدَعـانِـي أَحـمِ عِـرْضـاً مُـمَـنَّـعـا

ونرى أنَّ ذلك منهم، لأنَّ أدنى أعوانِ الرجُل في إبلِه وغَنمِه اثنان، وكذلك الرُّفقَة أدنى ما تكون ثلاثةٌ، فجَرى الكلامُ على صاحبَيْهِ، ألا ترى الشِّعرَ أكثرَ شيءٍ قِيلاً: يا صَاحِبَيَّ ويا خليليَّ. قال امرؤ القيسِ:

خَـلِـيـلَـيَّ مُـرَّا بِـي عـلـى أُمِّ جُـنْـدَبٍ نُـقَـضِّـي لُـبـانـاتِ الـفُـؤادِ الـمُـعَـذَّبِ[2]

ثم قال:

أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي كُـلَّـمـا جِـئْـتُ طـارِقـاً وَجَـدْتُ بـهـا طِـيْـبـاً وإِنْ لَـمْ تَـطَـيَّـبِ

فرجعَ إلى الواحدِ، وأولُ كلامِه إثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مُقاتِلٌ، وقال: «ألقيا» خطابٌ للخازِنِ، يعني خازنَ النَّارِ. **والثاني**: أنه فِعلٌ ثُني توكيداً، كأنه لمَّا قال: «ألقيا»، نابَ عن أَلْقِ أَلْقِ، وكذلك: قِفا نَبْكِ، معناه: قِفْ قِفْ، فلمَّا نابَ عن فِعْلَيْنِ، ثُنِّي، قاله المُبَرِّدُ. **والثالث**: أنه أمرٌ للمَلَكين، يعني السَّائقَ والشَّهيدَ، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجِ. فأمَّا «الكَفّارُ»، فهو أشَدُّ مُبالَغةً مِنَ الكافر. و «العنيد» قد فسَّرناهُ في هود[3].

قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ في المراد بالخير ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الزكاة المَفروضةُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه الإسلام، يمنع النَّاسَ مِنَ الدُّخول فيه، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وذَكرَ أنها نزلت في الوَليدِ بنِ المُغيرةِ، مَنعَ بني أخيه عن الإسلام. **والثالث**: أنه عامٌّ في كلِّ خيرٍ مِنْ قولٍ أو فعلٍ، حكاه المَاورديُّ. قوله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: ظالمٌ لا يُقِرُّ بالتوحيدِ ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاكٌّ في الحقِّ، مِنْ قولهم: أَرَابَ الرَّجُلُ: إذا صارَ ذا رَيْبٍ. قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: شيطانُه، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ والجمهور. وفي الكلام اختصارٌ تقديره: إنَّ الإنسان ادَّعى على قرينِه مِنَ الشياطين أنه أضَلَّهُ فقال: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي لم يكُنْ لي قُوَّةٌ على إضلالِه بالإكراهِ، وإنما طَغى هو بضَلالِه. **والثاني**: أنه المَلَكُ الذي كان يَكْتب السَّيِّئاتِ. ثم فيما يدَّعيه الكافرُ على المَلَكِ قولان: **أحدهما**: أنه يقول: زادَ عليَّ فيما كَتَبَ، فيقول المَلَكُ: ما أطغَيْتُه، أي ما زِدتُ عليه، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنه يقول: كان يُعْجِلني عن التَّوبةِ، فيقول: رَبَّنا ما أطغَيتُه، هذا قولُ الفَرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيد مِنَ الهُدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟

---

(١) البيت لمضرس بن ربعي الأسدي وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤ و «اللسان» جزز.
واجتزّ: قطع، والشيح: نبت سهلي من الفصيلة المركبة وهو كثير الأنواع ترعاه الماشية.

(٢) في «المعجم الوسيط» اللبان: جمع اللبانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من نهمة.

(٣) هود: ٥٩.

لَدَىَّ﴾. في هذا الخِصام قولان: **أحدهما**: أنه اعتِذارُهم بغيرِ عُذرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه خِصامُهم مع قُرنائِهم الذين أغوَوْهم، قاله أبو العَاليةِ. فأمَّا اختِصامُهم فيما كان بينهم مِنَ المظالم في الدنيا، فلا يجوزُ أنْ يُهمَلَ، لأنه يومُ التَّناصُفِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أي: قد أخبرتُكم على ألسُنِ الرُّسلِ بعذابي في الآخرة لِمَنْ كَفر. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما يُبدَّلُ القولُ فيما وَعدتُه مِنْ ثوابٍ وعقابٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: ما يُكذَّبُ عندي ولا يُغيَّر القولُ عن جِهتِه، لأني أعْلَمُ الغيبَ وأعْلَمُ كيف ضلُّوا وكيف أضلَلْتُموهم، هذا قولُ ابنِ السَّائبِ واختيارُ الفَرَّاءِ وابنِ قُتَيبةَ، ويدلُّ عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ ولم يَقُلْ: ما يُبدَّل قولي ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأزيدَ على إساءةِ المُسيءِ، أو أنْقص مِنْ إحسانِ المُحسنِ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ؛ وحمزةُ، والكِسائيُّ: «يومَ نقول» بالنونِ المفتوحةِ وضمِّ القاف. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «يوم يقول» بالياء المفتوحةِ وضمِّ القاف. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وعبدُ الوارث عن أبي عمروٍ: «يومَ يُقال» بياءٍ مضمومةٍ وفتح القاف وإثباتِ ألفٍ. قال الزَّجَّاجُ: وانتصابُ «يومَ» على وجهين، **أحدهما**: على معنى: ما يُبدَّلُ القولُ لديَّ في ذلك اليوم. **والثاني**: على معنى: وأَنْذِرْهم يومَ نقولُ لجهنَّمَ.

فأمَّا فائدةُ سؤالِه إيَّاها، وقد عَلِمَ هل امتلأتْ أمْ لا، فإنه توبيخٌ لِمَنْ أُدخِلَها، وزيادةٌ في مكروهِه، ودليلٌ على تصديقِ قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[(١)].

وفي قولِها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قولان عند أهلِ اللغة: **أحدهما**: أنها تقول ذلك بعد امتِلائِها، فالمعنى: هل بقيَ فيَّ موضعٌ لم يمتَلِئ؟ أي: قد امتلأتُ. **والثاني**: أنها تقول تغيُّظاً على مَنْ عصى الله تعالى، وجَعلَ الله فيها أنْ تُميِّزَ وتُخاطِبَ، كما جَعلَ في النَّملةِ أنْ قالت: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[(٢)]، وفي المخلوقاتِ أنْ تُسبِّحَ بحَمْدِه.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي قُرِّبَتْ للمُتَّقين الشِّركَ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي جُعِلت عن يمينِ العَرشِ حيثُ يراها أهلُ المَوقفِ، ويُقال لهم: ﴿هَٰذَا﴾ الذي ترونَه ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، وقرأ عُثمانُ بنُ

---

(١) الأعراف: ١٨.   (٢) النمل: ١٨.

عفَّانَ، وابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ، وعِكرَمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «يُوعَدونَ» بالياء ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ وفيه أقوالٌ قد ذكرناها في بني إسرَائيل[1]. وفي ﴿حَفِيظٍ﴾ قولان: **أحدهما**: الحافظُ لذنوبِه حتى يرجعَ عنها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحافظُ لأمرِ الله تعالى، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قد بيَّنّاه في (الأنبياء)[2] ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجعٍ إلى طاعةِ الله عن معصيَتِه. ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي: يُقال لهم: ادخُلو الجنَّةَ ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ وذلك أنهم سَلِمُوا مِنْ عذابِ الله، وسَلِمُوا فيها مِنَ الغُمومِ والتغيُّرِ والزَّوالِ، وسَلَّمَ اللهُ وملائكتُه عليهم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ في الجنَّة، لأنه لا موتَ فيها ولا زوالَ. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ وذلك أنهم يَسألون اللهَ حتى تنتهيَ مسائلُهم، فيُعطَوْن ما شاؤوا، ثم يَزيدُهم ما لم يَسألُوا، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. وللمُفسِّرين في المراد بهذا المزيدِ ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٤١] **أحدها**: أنه النَّظرُ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ رَوى عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ عليه السلام في قوله: «ولدينا مَزيدٌ» قال: «يتجلَّى لهم». وقال أنسُ بنُ مالكٍ في قوله: «ولدينا مزيد»: يتجلَّى لهم الرَّبُّ تعالى في كلِّ جُمعةٍ.

[١٣٤٢] **والثاني**: أنَّ السَّحابَ يَمرُّ بأهلِ الجنَّةِ، فيُمطِرُهم الحُورَ، فتقول الحُورُ: نحن اللواتي قال الله عزَّ وجلَّ: «ولدينا مزيد»، حكاه الزَّجَّاجُ.

والثالث: أنَّ الزِّيادَةَ على ما تَمنَّوه وسألوا ممَّا لم تسمع به أُذُنٌ ولم يَخطُرْ على قلبِ بشرٍ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

ثم خوَّفَ كفَّارَ مكَّةَ بما بعدَ هذا إلى قوله: ﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ قرأ الجمهور «فنقَّبوا» بفتح النون والقاف مع تشديدِها. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وابنُ السَّمَيفَع، ويَحيى بنُ يَعمَرَ كذلك، إلاَّ أنهم كَسَروا القافَ على جهةِ الأمرِ تهدُّداً. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وعمرُ بنُ عبدِالعزيزِ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وعُبيدَ عن أبي عمروٍ: «فنَقَبوا» بفتحِ القاف وتخفيفِها. قال الفَرَّاءُ: ومعنى «فنقَّبوا»: سَاروا في البلادِ، فهل كان لهم مِنَ الموت ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ فأُضمِرَتْ «كان» ها هنا، كقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[3] أي: فلم يُكن لهم ناصِرٌ. ومَنْ قرأ «فنقِّبوا» بكسرِ القاف، فإنه كالوَعيدِ؛ والمعنى: اذهَبُوا في البلاد وجِيئُوا فهل مِنَ الموتِ مِنْ مَحِيصٍ؟! وقال الزَّجَّاجُ: «نَقَّبوا»: طَوَّفُوا وفتَّشُوا، فلم تَروا مَحِيصاً مِنَ الموتِ. قال امرؤُ القيسِ:

لَقَدْ نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيابِ

[١٣٤١] لم أقف عليه، وهو غريب جداً.

[١٣٤٢] لم أره بهذا اللفظ، وصدره ليس له أصل، وأما عجزه فقد ورد مرفوعاً بسند ضعيف. أخرجه أبو يعلى ١٣٨٦ وأحمد ٣/ ٧٥ كلاهما عن أبي سعيد مرفوعاً: «إن الرجل ليتكئ في الجنة مسيرة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد. . .» حسنه الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٩ والسيوطي في «الدر» ٦/ ١٢٧ مع أنَّ فيه ابن لهيعة ضعيف، وشيخه دراج في روايته عن أبي الهيثم ضعيف وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٦٤٥ بتخريجنا.

---

(١) الإسراء: ٢٥. (٢) الأنبياء: ٤٩. (٣) محمد: ١٣.

فأمَّا المَحِيصُ فهو المَعْدِلُ؛ وقد استوفَيْنا شرحَهُ في سُورَ النِّساء(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذَكرَهُ مِنْ إهلاك القُرى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: تَذكِرةٌ وعِظَةٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي: عَقلٌ. قال الفرَّاءُ: وهذا جائزٌ في اللغة أنْ تقولَ: ما لَكَ قلبٌ، وما معكَ قَلبُكَ، تريد العقلَ. وقال ابنُ قُتيبةَ: لَمَّا كان القلبُ موضعاً للعقلِ كَنَّى به عنه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: لِمَنْ صُرِفَ قلبُه إلى التَّفهُّمِ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: استمَعَ مِنِّي ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: وقَلْبُه فيما يسمعُ. وقال الفرَّاءُ: «وهو شهيد» أيَ: شاهدٌ ليس بغائبٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

[١٣٤٣] ذَكرَ المُفسِّرون أنَّ اليهودَ قالت: خَلَقَ الله السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيام، آخرُها يومُ الجُمعةِ، واستراحَ يومَ السبتِ، فلذلك لا نعملُ فيه شيئاً، فنزلت هذه الآياتُ، فأكْذَبَهُم الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾. قال الزَّجَّاجُ: واللُّغُوبُ: التَّعبُ والإعْيَاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: مِنْ بَهْتِهم وكَذِبِهم. قال المُفسِّرون: ونُسِخَ معنى قوله: «فاصْبِر» بآية السَّيفِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صَلِّ بالثَّناء على ربِّكَ والتَّنزيهِ له ممَّا يقول المُبْطِلون ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وهي صلاةُ الفَجرِ. ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: صلاةُ الظُّهرِ والعَصرِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ العَصرِ، قاله قَتادَةُ.

[١٣٤٤] وروى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث جَريرِ بنِ عبدِالله، قال: كُنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ ليلةَ البَدْرِ، فقال: «إنَّكم سَتَرَونَ ربَّكُم عِياناً كما تَرون هذا القمرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيَتِه، فإنِ استطَعتُم أنْ لا تُغلَبوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ وقبلَ الغُروبِ فافعَلُوا» وقرأ: «فَسَبِّحْ بحمدِ ربِّك قبلَ طُلوعِ الشمس وقبلَ الغروب».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها صلاةُ الليل كلِّهِ، أيَّ وقتٍ صلَّى منه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صلاةُ العِشاءِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: صلاةُ المَغربِ والعِشاءِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، وخَلَفٌ: بكسرِ الهمزة؛ وقرأ الباقون بفَتحِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ فَتَحَ ألفَ «أدبار» فهو جمعُ دُبُرٍ، ومَنْ كَسرَها فهو مصدر: أدْبَرَ يُدْبِرُ إدْباراً. وللمُفسِّرين في هذا التَّسبيح ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرَّكعتانِ بعدَ صلاةِ المَغربِ، رُوِيَ عن عمرَ، وعليٍّ، والحسَنِ بنِ عليٍّ، رضي الله عنهم، وأبي هُريرَةَ، والحسَنِ، ومُجاهِد، والشَّعبي، والنَّخعيِّ،

[١٣٤٣] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٩ من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس: أن اليهود أتت النبي ﷺ... فذكره. وإسناده ضعيف جداً لضعف أبي سعد، بل هو متروك. وأخرجه الطبري ٣١٩٦٠ من طريق أبي سنان عن أبي بكر قال: جاءت اليهود النبي ﷺ فقالوا:... فذكره. وهذا معضل، وهو أصح من الموصول، والمتن منكر جداً بذكر نزول الآية، فإن السورة مكية وسآلات اليهود كانت في المدينة، وقد ورد نحو هذا الخبر بدون ذكر هذه الآية، وهو أصح.

[١٣٤٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥١ ومسلم ٦٣٣ وأبو داود ٤٧٢٩ والترمذي ٢٥٥١ وابن ماجة ١٧٧ والنسائي في «التفسير» ٣٥٠ من حديث جرير، ولفظ «عيانا» ليس في «الصحيحين».

---

(١) النساء: ١٢١.

وقَتادَةَ في آخرين، وهو روايةُ العَوفيِّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه النَّوافِلُ بعدَ المَفروضاتِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه التسبيحُ باللسانِ في أدبارِ الصَّلواتِ المكتوباتِ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. ورُوِيَ عن أبي الأحوَصِ أنه قال في جميعِ التسبيحِ المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ «ينادي المُنادي» بياءٍ في الوَصْلِ. ووَقَفَ ابنُ كَثيرٍ بياءٍ، ووقفَ نافعٌ وأبو عمروٍ بغيرِ ياءٍ. ووقفَ الباقون ووَصَلوا بياءٍ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: المعنى: واستَمِعْ حديثَ يوم يُنادي المُنادي. قال المُفسِّرون: والمُنادي: إسرافيلُ، يَقِفُ على صخرةِ بيتِ المقدسِ فيُنادي: يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى الحسابِ، إنَّ الله يأمرُكم أنْ تجتمعوا لِفَصلِ القضاءِ؛ وهذه هي النَّفخةُ الأخيرةُ. والمكان القريب: صخرةُ بيتِ المَقدسِ. قال كَعبٌ ومُقاتِلٌ: هي أقربُ الأرضِ إلى السماء بثمانيةَ عشرَ ميلاً. وقال ابنُ السَّائبِ باثني عشرَ ميلاً. قال الزَّجَّاجُ: ويُقال: إنَّ تلك الصخرةَ في وسطِ الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ وهي هذه النَّفخةُ الثانيةُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالبَعثِ الذي لا شَكَّ فيه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِنَ القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي: نُميتُ في الدنيا ونُحيي للبَعثِ ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ بعدَ البَعثِ، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تَشَّقَّقُ» بتشديد الشين؛ وقرأ الباقون بتخفيفِها ﴿سِرَاعًا﴾ أي: فيخرجون منها سِراعاً ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هَيِّنٌ. ثم عَزَّى نبيَّهُ فقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في تكذيبِكَ، يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لم تُبعَثْ لِتُجبرَهم على الإسلام إنَّما بُعِثتَ مُذكِّراً، وذلك قبلَ أنْ يؤمَرَ بقتالِهم؛ وأنكرَ الفَرَّاءُ هذا القولَ فقال: العرب لا تقول: «فَعَّال مِنْ أفعَلتُ» لا يقولون: «خَرَّاج» يريدون «مُخرِج» ولا «دَخَّال» يريدون «مُدخِل»، إنَّما يقولون: «فَعَّال» مِنْ «فَعَلْتُ»، وإنما الجَبَّارُ هنا في موضعِ السلطانِ مِنَ الجَبْريَّةِ، وقد قالت العرب في حرفٍ واحدٍ: «دَرَّاك» مِنْ «أدرَكْتُ» وهو شاذ، فإنْ جعلَ هذا على هذه الكلمة فهو وَجْهٌ. وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمُسلَّطٍ. والجبَّارُ: المَلِكُ، سُمِّيَ بذلك لِتَجبُّره، يقول: لستَ عليهم بمَلِكٍ مُسَلَّطٍ. قال اليَزيديُّ: لستَ بمُسلَّطٍ فتقْهرهُم على الإسلام. وقال مُقاتِلٌ: لِتَقتُلَهم. وذكر المُفسِّرون أنَّ قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ منسوخٌ بآية السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: فَعِظْ به ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وقرأ يعقوبُ: «وعيدي» بياءٍ في الحالَين، أي: ما أوعَدتُ مَنْ عَصاني مِنَ العذاب.

سُورَةُ الذَّارِيَات

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)
وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ
(١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ
هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
(١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ يعني الرِّياح، يقال: ذَرَت الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْواً: إذا فرَّقته. قال الزَّجَّاج: يُقال: ذَرَت فهي ذارِيةٌ، وأذرَتْ فهي مُذْرِيةٌ، بمعنًى واحدٍ. ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾، مجرورةٌ على القَسَم، المعنى: أحْلِفُ بالذارياتِ وهذه الأشياء، والجواب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾، قال قومٌ: المعنى: وربِّ الذارياتِ، وربِّ الجارياتِ. قوله تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ يعني السَّحابَ التي تحملُ وِقْرَها مِنَ الماء. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ يعني السُّفنَ تجري مُيسَّرةً في الماء جَرْياً سهلاً. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ يعني الملائكة تَقسِمُ الأمورَ على ما أمَرَ الله به. قال ابنُ السَّائب: والمُقسِّماتُ أربعةٌ، جِبريلُ، وهو صاحبُ الوَحي والغِلظةِ، ومِيكائيلُ، وهو صاحبُ الرِّزق والرَّحمة، وإسرافِيلُ، وهو صاحبُ الصُّورِ واللَّوح، وعِزرائيلُ، وهو قابضُ الأرواح. وإنما أقسَمَ بهذه الأشياء لِمَا فيها مِنَ الدلالة على صُنعِه وقُدرتِه. ثم ذكَر المُقسَمَ عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ الثَّواب والعقاب يومَ القيامة ﴿لَصَادِقٌ﴾ أي: لَحَقٌّ. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الحساب. **والثاني**: الجزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي: لَكائنٌ.

ثم ذكَرَ قَسَماً آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وأبو رَزِينٍ: «الحِبِكِ» بكسرِ الحاء والباء جميعاً. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والشَّعبيُّ، وأبو العالِيةِ، وأبو حَيْوَةَ: «الحِبْكِ» بكسرِ الحاء وإسكانِ الباء. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «الحُبْكِ» برفعِ الحاء وإسكانِ الباء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرمةُ: «الحَبَكِ» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «الحَبِكِ» بفتحِ الحاء وكسرِ الباءِ.

ثم في معنى «الحُبُك» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ذاتُ الخَلْقِ الحَسَنِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: البُنيان المُتقَن، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: ذاتُ الزِّينة، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. وقال الحَسنُ: حُبُكها: نُجومُها. **والرابع**: ذاتُ الطَّرائِق، قاله الضَّحَّاكُ واللغويون. وقال الفَرَّاءُ: الحُبُك: تَكَسُّر كُلِّ شيءٍ كالرَّمْلِ إذا مَرَّت به الرِّيحُ السَّاكنةُ، والماء القائم إذا مَرَّت به الرِّيحُ، والشَّعرةُ الجَعْدَة تكسُّرها حُبُكٌ، وواحدُ الحُبُك: حِباكٌ وحَبيكَة. وقال الزَّجَّاجُ: أهل اللغة يقولون: الحُبُك: الطَّرائِقُ الحَسَنة، والمَحْبوك في اللغة: ما أُجيدَ عملُه، وكلُّ ما تراهُ مِنَ الطَّرائِق في الماء وفي الرَّمْلِ إذا أصابَتْهُ الرِّيحُ فهو حُبُك. ورُوِيَ عن عبدِالله بنِ عمرو أنه قال: هذه هي السماءُ السابعةُ.

ثم ذَكَرَ جوابَ القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في أمر محمَّدٍ ﷺ، بعضُكم يقول: شاعرٌ، وبعضُكم يقول: مجنونٌ. وفي القرآن، بعضُكم يقول: سِحْرٌ، وبعضُكم يقول: كَهانَةٌ ورَجَزٌ، إلى غيرِ ذلك. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يُصرَف عن الإيمان به مَنْ صُرِفَ فحُرِمَه. والهاء في «عنه» عائدةٌ إلى القرآن، وقيلَ: يُصْرَف عن هذا القول، أي: مِنْ أجْلِه وسببه، عن الإيمان مَنْ صُرِفَ. وقرأ قَتادَةُ: «مَنْ أَفَكَ» بفتح الألف والفاء. وقرأ عمرُو بنُ دِينَارٍ: «مَنْ أَفِكَ» بفتح الألِفِ وكسرِ الفاء. ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: يعني: لُعِنَ الكذَّابون الذين قالوا: إنَّ النبيَّ ﷺ ساحرٌ وكذابٌ وشاعرٌ، خَرَصوا ما لا عِلْمَ لهم به. وفي روايةِ العَوفيِّ عن ابنِ عباسٍ: أنهم الكَهَنَةُ. وقال ابنُ الأنباري: والقتلُ إذا أُخبِرَ عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأنَّ مَنْ لَعَنَهُ الله فهو بمنزلة المقتولِ الهالكِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي في عَمًى وجهالةٍ بأمرِ الآخرة ﴿سَاهُونَ﴾ أي غافلون. والسَّهو: الغفلةُ عن الشيءِ وذهابُ القلبِ عنه. ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يقولون: يا محمَّدُ متى يومُ الجزاءِ؟! تكذيباً منهم واستهزاءً. ثم أخبرَ عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «اليومَ» منصوبٌ على معنى: يقع الجزاءُ يومَ هُم على النَّارِ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي يُحرَقون ويُعذَّبون، ومِنْ ذلك يُقال للحجارة السُّود التي كأنها قد أُحرِقت بالنَّارِ: الفَتِين. قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟﴾ المعنى: يُقال لهم: ذُوقوا ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: تكذيبُكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: حَريقَكُم، قاله مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: هاهنا تَمَّ الكلامُ، ثم ائْتَنَفَ، فقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ قال المُفسِّرون: يعني الذي كنتم تستعجلونَهُ في الدنيا استهزاءً.

ثم ذَكَرَ ما وَعَدَ الله لأهل الجنَّةِ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وقد سبَق شرحُ هذا[1].

قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحال، فالمعنى: في جنَّاتٍ وعيونٍ في حالِ أخْذِ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: أي ما أعطاهم الله مِنَ الكرامةِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ في أعمالِهم. وفي الآية وجهٌ آخرُ: «آخذين ما آتاهم ربُّهم» أي: عامِلين بما أَمرَهُم به مِنَ الفرائض «إنهم كانوا قبلَ» أنْ تُفرضَ الفرائضُ عليهم، «محسِنين» أي: مطيعين، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية مُسلم البَطِين.

ثم ذَكَرَ إحسانَهم فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجوع: النَّومُ بالليل دونَ النهارِ. وفي **«ما» قولان**: **أحدهما**: **النَّفي**. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً مِنَ الليل. قال **أنسُ بنُ مالكٍ**، وأبو العَاليةِ: هو ما بينَ المَغربِ والعِشاءِ. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً مِنَ الليل.

---

(١) البقرة: ٢٥، الحجر: ٤٥.

واختار قومٌ الوقفَ على قوله: «قليلاً» على معنى: كانوا مِنَ الناس قليلاً، ثم ابتدأ فقال: «مِنَ الليل ما يهجعون» على معنى نفي النَّوم عنهم البتَّة، وهذا مذهبُ الضَّحَّاكِ، ومُقاتِلٍ. **والقول الثاني**: أنَّ «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً مِنَ الليل الذي يَهجعُونَهُ، وهذا مذهبُ الحَسَنِ، والأحنفِ بنِ قيسٍ، والزُّهري. وعلى هذا يحتمل أن تكونَ «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقد شرحناه في آل عمران[١].

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: نصيبٌ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه ما يَصِلون به رَحِماً، أو يَقْرُون به ضيفاً، أو يحملون به كَلاً، أو يُعينون به محروماً، وليس بالزَّكاة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الزكاة، قاله قَتادةُ، وابنُ سِيرِينَ. قوله تعالى: ﴿لِلسَّائِلِ﴾ وهو الطَّالبُ. وفي «المحروم» ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي ليس له سَهمٌ في فَيءِ المسلمين، وهو المُحارَفُ[٢]، قاله ابنُ عباسٍ. وقال إبراهيمُ: هو الذي لا سَهْمَ له في الغنيمةِ. **والثاني**: أنه الذي لا يَنمى له شيءٌ، قاله مُجاهِدٌ، وكذلك قال عَطاءٌ: هو المحرومُ في الرِّزقِ والتجارةِ. **والثالث**: أنه المُسلمُ الفقير، قاله محمَّدُ بنُ عليٍّ. **والرابع**: أنه المُتعفِّفُ الذي لا يسألُ شيئاً، قاله قَتادةُ، والزُّهريُ. **والخامس**: أنه الذي يجيء بعد الغنيمةِ، وليس له فيها سَهْمٌ، قاله الحَسنُ بنُ محمَّدِ ابنُ الحَنفيَّةِ. **والسادس**: أنه المُصابُ ثَمرتُه وزرعُه أو نَسلُ ماشيتِه، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: أنه المملوكُ، حكاه المَاوَرديُ. **والثامن**: أنه الكَلْبُ، رُوِيَ عن عمرَ بنِ عبد العزيزِ، وكان الشَّعْبيُ يقول: أعياني أنْ أعلَمَ ما المحرومُ. وأظهرُ الأقوالِ قولُ قتادةَ والزُّهري، لأنه قَرنَهُ بالسائلِ، والمُتعفِّفُ لا يَسألُ ـ ولا يكادُ الناسُ يُعطون مَنْ لا يسأل ـ ثم يتحفَّظُ بالتعفُّفِ مِنْ ظُهور أثر الفاقةِ عليه، فيكون محروماً مِنْ قِبَل نفسه حين لم يَسألْ، ومِنْ قِبَلِ الناس حين لا يُعطونه، وإنما يَفطَنُ له مُتيقِّظٌ. وقد ذكر المُفسِّرون أنَّ هذه الآيَةَ مَنسُوخَةٌ بآيَةِ الزكاة، ولا يصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثِّمار وغير ذلك ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ بالله عزَّ وجلَّ الذين يعرفونه بصُنعِه. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ إذْ كنتم نُطَفاً ثم عظاماً، ثم عَلَقاً، ثم مُضَغاً إلى غيرِ ذلك مِنْ أحوال الاختلاف؛ ثم اختلافُ الصُّوَرِ والألوانِ والطَّبائعِ، وتقويمُ الأدواتِ، والسَّمعُ والبَصرُ والعَقلُ، وتسهيلُ سبيل الحَدَثِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ العجائب المُودَعةِ في ابنِ آدمَ. وتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾، ثم قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أفلا تُبصِرون كيف خَلَقكم فتَعرِفوا قُدرتَهُ على البَعث.

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ وقرأ أُبيُ بنُ كَعبٍ، وحُمَيدٌ، وأبو حَصينٍ الأسَديُ: «أرزاقُكم» براءٍ ساكنةٍ، وبألفٍ بين الزاي والقاف. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو نَهِيكٍ: «رازِقُكم» بفتحِ الراء وكسرِ الزَّاي وبألفٍ بينهما. وعن ابن مُحيصنٍ كهاتين القراءتين. وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المطرُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وليثٌ عن مُجاهِدٍ، وهو قولُ الجمهورِ. **والثاني**: الجنَّةُ، رواه ابنُ نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الخيرُ والشرُّ كلاهما يأتي مِنَ السماء، قالَه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: الجنَّةُ، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. قال أبو

---

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) في «القاموس» المحارف: المحدود والمحروم.

عُبيدَةَ: في هذه الآية مُضمَرٌ مَجازُه: عندَ مَنْ في السماءِ رِزقُكم، وعنده ما تُوعَدون، والعربُ تُضمِر، قال نابغةُ ذُبيانَ:

كــأنَّــكَ مِــنْ جِـمــالِ بَـنــي أُقَـيْـشٍ ... يُـقَـعْـقَـعُ خَـلْـفَ رِجْـلَـيْـهِ بِـشَـنٍّ[١]

أراد: كأنكَ جَملٌ مِنْ جِمالِ بَني أُقَيْشٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يعني ما ذكره مِنْ أمرِ الآياتِ والرِّزقِ وما تُوعَدون وأمرِ النبيِّ ﷺ ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «مِثْلُ» برفع اللام. وقرأ الباقون بنَصبِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: فمَنْ رَفَعَ «مِثْلُ» فهي مِن صفةِ الحقِّ، والمعنى: إنه لَحَقٌّ مِثْلُ نُطقِكم؛ ومَنْ نَصبَ فَعَلى ضربين: **أحدهما**: أنْ يكونَ في موضعِ رفعٍ، إلاَّ أنه لمَّا أُضِيفَ إلى «أنَّ» فُتِحَ. **والثاني**: أنْ يكونَ منصوباً على التأكيدِ، على معنى: إنه لَحَقٌّ حَقّاً مِثْلَ نُطقِكم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لَحَقٌّ كما أنَّكَ تتكلَّم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ «هل» بمعنى «قد» في قولِ ابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ، فيكون المعنى: قد أتاكَ فاستمِعْ نَقُصَّهُ عليك، وضَيفُه: هم الذين جاؤوا بالبُشرى. وقد ذكرنا عددَهُم في هود[٢]، وذكرنا هناكَ معنى الضَّيفِ. وفي معنى «المُكْرَمِينَ» أربعةُ أقوالٍ: **أحدهما**: لأنه أكرَمَهُم بالعِجْلِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: بأنْ خَدمَهُم هو وامرأته بأنفسِهما، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم مُكْرَمون عندَ الله، قاله عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى. **والرابع**: لأنهم أضيافٌ، والأضيافُ مُكْرَمون، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ قد ذكرناه في هود[٣].

قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ارتفعَ على معنى: أنتم قومٌ مُنكَرونَ. وللمُفسِّرين في سببِ إنكارِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه لم يعرِفْهُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأنهم سَلَّموا عليه، فأنكرَ سلامَهُم في ذلك الزَّمانِ وفي تلك الأرضِ، قاله أبو العَالِيةِ. **والثالث**: لأنهم دَخلوا عليه مِن غيرِ استئذانٍ. **والرابع**: لأنه رأى فيهم صورةَ البَشرِ وصورةَ الملائكةِ.

---

(١) في «القاموس» الشَّنّ: وبهاء القربة الخَلَق.

(٢) هود: ٧٠.

(٣) هود: ٧٠.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي: عَدَلَ إليهم في خُفيةٍ، ولا يكون الرَّوَاغُ إلاَّ أنْ تُخفيَ ذهابَكَ ومَجيئَكَ. قوله تعالى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وكان مشوياً ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزَّجاجُ: والمعنى: فقرَّبَهُ إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟! على النَّكِيرِ، أي: أمْرُكم في تركِ الأكلِ ممَّا أُنْكِرُه. قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قد شرحناه في هود[1]. وذكرنا معنى: «غلام عليم» في (الحِجر)[2]. ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي: سارَةُ. قال الفرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ: لم تُقبِلْ مِنْ موضعٍ إلى مَوضِعٍ، وإنما هو كقولكَ: أقبلَ يَشتُمني، وأقبلَ يَصيحُ ويتكلَّمُ أي: أخَذَ في ذلك، والصَّرَّة: الصَّيحةُ. وقال أبو عُبيدَة: الصَّرَّة: شِدَّةُ الصَّوتِ. وفيما قالت في صَيحَتِها قولان: **أحدهما**: أنها تأوَّهَتْ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنها قالت: ياوَيْلَتَا، ذكره الفرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لَطمتْ وجهها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ضَربَتْ جبينها تعجُّباً، قاله مُجاهِدٌ، ومعنى الصكِّ، ضَرْبُ الشيءِ بالشيءِ العريضِ. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ قال الفرَّاءُ: هذا مرفوعٌ بإضمارِ «أتَلِدُ عجوزٌ». وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنا عجوزٌ عقيمٌ، فكيفَ أَلِدُ؟! وقد ذكرنا معنى «العَقِيم» في هود[3]. ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أنَّكِ ستَلِدِيْنَ غُلاماً؛ والمعنى: إنَّما نُخبركِ عن الله عزَّ وجلَّ، وهو حكيمٌ عليمٌ يَقْدِرُ أنْ يَجعلَ العقِيمَ وَلُوداً، فَعَلِمَ حِينئذٍ إبراهيمُ أنهم ملائكةٌ. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مفسَّرٌ في الحِجر[4].

قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الآجُرُ. قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ قد شرحناه في هود[5]. قوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: للمشركين. قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾، أي: مِنْ قُرى لُوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الآية[6]. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لُوطٌ وابنتاه، وصَفَهُم اللهُ عزَّ وجلَّ بالإيمان والإسلام، لأنه ما مِنْ مؤمنٍ إلاَّ وهو مُسْلِمٌ. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي: علامةً للخائفين مِنْ عذاب الله تَدُلُّهم على أنَّ الله أهلكَهُم. وقد شرحنا هذا في العَنكبوت[7] وبيَّنَّا المَكْنِيَّ عنها.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ أي وفيه أيضاً آيةٌ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحُجَّةٍ ظاهرةٍ

---

(١) هود: ٧٠. (٢) الحجر: ٥٤. (٣) هود: ٧٢.
(٤) الحجر: ٥٧. (٥) هود: ٨٣. (٦) هود: ٨١.
(٧) العنكبوت: ٣٥.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرَضَ ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ قال مُجاهِدٌ: بأصحابه. وقال أبو عُبيدَةَ: «بِرُكْنه» و «بجانبه» سواءٌ، إنما هي ناحِيتَهُ ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي وقال لِموسى: هذا ساحرٌ ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ وكان أبو عُبيدَةَ يقول: «أو» بمعنى الواو. فأمَّا «اليمُّ» فقد ذكرناه في الأعراف[1] و «مُليم» في الصَّافَّات[2].

قوله تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ﴾ أي في إهلاكِهم آيةٌ أيضاً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وهي التي لا خيرَ فيها ولا بَرَكةَ، لا تُلْقِحُ شجراً ولا تَحمِلُ مطراً، وإنما هي للإهلاكِ. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: هي الجَنوب. ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي مِنْ أنفسِهم وأموالِهم ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي كالشيءِ الهالِكِ البالي، قال الفَرَّاءُ: الرَّمِيمُ: نباتُ الأرضِ إذا يَبِسَ ودِيسَ. وقال الزَّجَّاجُ: الرَّمِيمُ: الورَقُ الجافُّ المُتحطِّمُ مثلَ الهَشِيمِ. ﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ آيةٌ أيضاً ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قيل لهم: تمتَّعوا في الدُّنيا إلى وقت انقضاءِ آجالِكم تَهدُّداً لهم. **والثاني**: أنَّ صالحاً قال لهم بعد عَقْرِ النَّاقة: تَمتَّعوا ثلاثةَ أيام: فكان الحِينُ وقتَ فَناءِ آجالِهم، ﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: عَصَوا أَمْرَه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعني العذابَ، وهو الموتُ مِنْ صَيحةِ جِبريلَ. وقرأ الكِسَائيُّ وحدَهُ: «الصعْقَةُ» بسكونِ العين مِنْ غير أَلِفٍ؛ وهي الصَّوتُ الذي يكون عن الصاعقةِ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يرون ذلك عياناً، **والثاني**: وهم ينتظرون العذاب فأتاهم صبيحة يوم السبت. قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما استطاعوا نُهوضاً مِنْ تلك الصَّرعَةِ. **والثاني**: ما أطاقوا ثُبوتاً لعذابِ الله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي مُمتَنِعين مِنَ العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قرأ أبو عمرٍو إلاَّ عبدَ الوارثِ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ: بخَفْضِ الميم، ورَوى عبدُ الوارثِ رفعَ الميم. والباقون بنَصْبِها. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ خَفَضَ (القوم) فالمعنى: وفي قوم نُوحٍ آيةٌ، ومَنْ نَصَبَ فهو عَطفٌ على معنى قوله: «فأخذتْهم الصَّاعقةُ» فإنَّ معناه: أهلَكْناهم، فيكونُ المعنى: وأهلَكْنا قوْمَ نُوحٍ، والأحسَنُ ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ أنْ يكونَ محمولاً على قوله: «فأخذْناهُ وجنُودَهُ فَنَبذْناهم في اليَمِّ» لأنَّ المعنى: أغرقناه، وأغرَقنا قومَ نُوحٍ.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ المعنى: وبَنَينا السماءَ بَنيناها ﴿بِأَيْيدٍ﴾ أي بقوَّةٍ، وكذلك قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وسائرُ المُفسِّرين واللغويين: «بأيْدٍ» أي: بقُوَّةٍ. وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: لَمُوسِعون الرِّزقَ بالمطرِ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: لَمُوسِعُونَ السماءَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: لَقادِرونَ، قاله ابنُ قُتَيبة. **والرابع**: لَمُوسِعونَ ما بينَ السماءِ والأرضِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: لَذُو سعةٍ لا يَضيقُ عمَّا يُريد، حكاه المَاوَرديُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا عَطفٌ على ما قبلَهُ منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ محذوفٍ يدلُّ عليه قولُه: «فَرَشْناها»؛ فالمعنى فَرشْنا الأرضَ فَرَشْناها «فنِعْم الماهِدُون» أي: فنِعْمَ المَاهِدون نحنُ. قال مُقاتِلٌ: «فرشْناها» أي: بَسَطْناها مسيرةَ خمسمائةِ عامٍ، وهذا بعيدٌ، وقد قال قَتادَةُ: الأرضُ عشرونَ ألفَ فَرْسَخٍ، واللَّهُ تعالى أعلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صِنفَين ونَوعَين كالذَّكرِ والأُنثى، والبَرِّ والبحرِ،

---

(١) الأعراف: ١٣٦. (٢) الصافات: ١٤٢.

والليلِ والنَّهارِ، والحُلوِ والمُرِّ، والنُّورِ والظُّلمةِ، وأشباه ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلَموا أنَّ خالقَ الأزواج واحدٌ. ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتَّوبة مِنْ ذُنوبكم؛ والمعنى: اهربوا ممَّا يُوجب العِقابَ مِنَ الكُفرِ والعِصيانِ إلى ما يُوجِبُ الثَّواب مِنَ الطَّاعة والإيمان.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما كذَّبكَ قومُكَ وقالوا: ساحرٌ أو مجنونٌ؛ كانوا مِنْ قبلِكَ يقولون للأنبياء. قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أي: أوصى أوَّلُهم آخرَهم بالتَّكذيب؟، وهذا استفهامُ توبيخ. وقال أبو عُبيدَة: أتواطَؤوا عليه فأخذَهُ بعضُهم مِنْ بعضٍ؟!. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحمِلُهم الطُّغيانُ فيا أُعطُوا مِنَ الدُّنيا على التَّكذيبِ؛ والمُشارُ إليهم أهلُ مكَّةَ. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فقد بلَّغتَهم ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لأنَّكَ قد أدَّيتَ الرِّسالةَ. ومذهب أكثرِ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ منسُوخةٌ ولهم في ناسِخِها قولان: **أحدهما**: أنه قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. **والثاني**: آيةُ السَّيفِ. وفي قوله: «وذكِّر» قولان: **أحدهما**: عِظْ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ذكِّرْهم بأيَّامِ الله وعذابِه ورحمتِه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في «يعبدون» و «يُطْعِمون» و «لا يستعجِلون» في الحالَين يعقوبُ. واختلفوا في هذه الآية على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: إلاَّ لآمُرَهم أنْ يَعبُدوني، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، واختاره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: إلاَّ لِيُقِرُّوا بالعُبوديةِ طَوْعاً وكَرْهاً، قاله ابنُ عباسٍ؛ وبيانُ هذا قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(١). **والثالث**: أنه خاصٌّ في حقِّ المؤمنين. قال سعيدُ بنُ المُسيَّبِ: ما خَلقتُ مَنْ يَعبدُني إلاَّ لِيَعبُدَني. وقال الضَّحَّاكُ والفرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ: هذا خاصٌّ لأهلِ طاعتِه، وهذا اختيارُ القاضي أبي يَعلَى فإنه قال: معنى هذا الخُصوصُ لا العمومُ، لأنَّ البُلْهَ والأطفالَ والمَجانين لا يدخلون تحتَ الخطابِ وإنْ كانوا مِنَ الإنسِ؛ فكذلك الكُفَّارُ يَخرجُون مِنْ هذا بدليلِ قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٢)، فمَنْ خُلِقَ للشَّقاء ولِجَهنَّم لم يُخلَقْ للعبادة. **والرابع**: إلاَّ لِيَخضَعوا إليَّ ويتذلَّلوا، ومعنى العِبادةِ في اللغة: الذُّلُّ والانقِيادُ. وكُلُّ الخَلقِ خاضِعٌ ذليلٌ لقضاءِ الله عزَّ وجلَّ، لا يملك خروجاً عمَّا قضاه الله عزَّ وجلَّ، هذا مذهبُ جماعةٍ مِنْ أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أُريدُ أنْ يَرزقُوا أنفسَهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي أنْ يُطعِموا أحداً مِنْ خَلقي، لأني أنا الرَّزَّاقُ. وإنما أسنَدَ الإطعامَ إلى نَفسِه، لأنَّ الخَلْقَ عِيالُ الله، ومَنْ أطعمَ عِيالَ أحدٍ فقد أطعَمَهُ.

---

(١) الزخرف: ٨٧.
(٢) الأعراف: ١٧٩.

[١٣٤٥] وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يقول اللّهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة. يا ابنَ آدمَ: استَطْعَمتُكَ فلَمْ تُطعِمْني»، أي: لم تُطْعِمْ عبدي.

فأمّا ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ فقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «الرازق» بوزنِ «العالِم». قال الخَطَّابيُّ: هو المُتكفِّلُ بالرِّزقِ القائمُ على كلِّ نَفسٍ بما يُقيمُها مِنْ قُوتِها. و﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديدُ القُوَّةِ الذي لا تنقطع قُوَّته ولا يَلحَقُه في أفعالِه مَشقَّةٌ. وقد رَوى قُتَيبةُ عن الكِسائي أنه قرأ: «المتين» بكسرِ النون. وكذا قرأ أبو رَزِينٍ، وقَتادةُ، وأبو العَالِيةِ، والأعمَشُ. قال الزَّجَّاجُ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: ذو الاقتِدارِ الشديدِ، ومَنْ رَفَعَ «المتين» فهو صِفةُ الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ خفضَهُ جعله صِفةً للقُوَّةِ، لأنَّ تأنيثَ القُوَّةِ كتأنيثِ المَوعظةِ، فهو كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: نصيباً مِنَ العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ الذين أُهلِكوا، كقوم نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ. قال الفَرَّاءُ: الذَّنوب في كلام العرب: الدَّلْوُ العظيمةُ، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصِيبِ والحَظِّ، قال الشاعر:

لَـنَـا ذَنُـوبٌ ولَـكُـمْ ذَنُـوبٌ ... فـإنْ أَبَـيْـتُـم فَـلَـنَـا الْـقَـلِـيـبُ[٢]

والذَّنوب، يُذكَّر ويؤنَّث. وقال ابنُ قُتَيبةَ، أصلُ الذَّنوب: الدَّلْوُ العظيمةُ، وكانوا يَستَقُون، فيكون لكلِّ واحدٍ ذَنوبٌ، فجُعِلَ «الذَّنوب» مكانَ «الحَظ والنَّصيب».

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: بالعذابِ إنْ أُخِّروا إلى يومِ القيامة، وهو يومُهم الذي يُوعَدون، ويُقال: هو يومُ بدرٍ.

[١٣٤٥] صحيح. وهذا اللفظ جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ٢٥٦٩.

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) في «القاموس» القليب: البئر.

ترتيبها ٥٢ — سُورَةُ الطُّورِ — آياتها ٤٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا
۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ
لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ هذا قَسَمٌ بالجبل الذي كلَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه موسى عليه السلام، وهو بأرضِ مَدْيَنَ واسمهُ زَبير. ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي: مكتوبٌ، وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: كُتبُ أعمالِ بَني آدمَ، قاله مُقاتِلٌ والزَّجَّاجُ. **والثالث**: التَّوراةُ. **والرابع**: القرآن، حكاهما المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الرَّقُّ: الوَرَق. فأمَّا المَنشُورُ فهو المَبسُوطُ. قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه بيتٌ في السماء. وفي أيِّ سماءٍ هو؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٤٦] أحدها: أنه في السماءِ السابعةِ، رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ.

[١٣٤٧] وحديثُ مالكِ بنِ صَعْصَعةَ الذي أُخرجَ في «الصَّحيحين» يدلُّ عليه.

والثاني: أنه في السماءِ السادسةِ، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

[١٣٤٨] والثالث: أنه في السماءِ الدُّنيا، رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ. وقال ابنُ عباسٍ: هو

[١٣٤٦] أخرجه الحاكم ٢/ ١١٧ والبيهقي في «الشعب» ٣٩٩٣ والطبري ٣٢٣٠١ من حديث أنس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ويشهد له ما بعده.

[١٣٤٧] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ١/ ١٤٩ والطبري ٣٢٢٨٧ عن أنس عن مالك بن صعصعة مرفوعاً، في أثناء حديث الإسراء المطوّل، وتقدّم في أوائل سورة الإسراء.

[١٣٤٨] لا أصل له في المرفوع. أخرجه العقيلي ٢/ ٥٩ ـ ٦٠ وابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٨٢، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٧ من حديث أبي هريرة، ساقه العقيلي في ترجمة روح بن جناح، وقال: لا يتابع عليه، وقال ابن حبان في ترجمته: يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس =

حِيالَ الكعبة يحُجُّهُ كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملَكٍ ثم لا يَعودون فيه حتى تقومَ الساعةُ، يُسمَّى الضُّراح. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كانَ البيتُ المَعمورُ مكانَ الكعبةِ في زمانِ آدم، فلمَّا كان زمنُ نُوحٍ أمَرَ الناسَ بحَجِّهِ، فعَصَوهُ فلمَّا طَغى الماءُ رُفِعَ فجُعِلَ بحِذاءِ البيت في السماءِ الدُّنيا.

والثاني: أنه البيتُ الحَرامُ، قاله الحَسنُ، وقال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «المعمور»: الكثيرُ الغاشِيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه السماءُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه والجمهورُ. **والثاني**: العَرشُ، قاله الرَّبيعُ. قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ فيه قولان. **أحدهما**: أنه بَحرٌ تحتَ العَرشِ ماؤُه غليظٌ يُمطَر العبادُ منه بعد النَّفخَةِ الأولى أربعينَ صباحاً فينبتُون في قبورهم، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه بحرُ الأرضِ، ذكره المَاوَرديُ. وفي ﴿ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَملوءُ، قاله الحَسنُ وأبو صالح وابنُ السَّائبِ وجميعُ اللغويين. **والثاني**: أنه المُوقَدُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. وقال شِمرُ بنُ عَطِيَّةَ: هو بمنزلةِ التَّنُّورِ المَسجُورِ. **والثالث**: أنه اليابسُ الذي قد ذهبَ ماؤُه ونَضبَ، قاله أبو العَاليةِ. ورُوِيَ عن الحسَنِ، قال: تُسجَرُ، يعني البحارَ، حتى يذهبَ ماؤُها فلا يبقى فيها قطرةٌ. وقولُ هذين يرجعُ إلى معنى قولِ مُجاهِدٍ.

[١٣٤٩] وقد نُقِلَ في الحديثِ أنَّ الله تعالى يجعلُ البحارَ كلَّها ناراً، فتُزاد في نارِ جهنَّم.

والرابع: أنَّ «المَسجُور» المُختَلِط عذبُه بمِلحِه، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. فأقسَمَ الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيهِ على ما فيها مِنْ عظيم قُدرته على أنَّ تعذيبَ المشركين حقٌّ، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ أي: لَكائنٌ في الآخرة. ثم بَيَّنَ متى يقعُ، فقال: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تدورُ دَوْراً رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وهو اختيارُ الفَرَّاءِ وابنِ قُتيبَةَ والزَّجَّاج. **والثاني**: تحرَّكُ تحرُّكاً، رواه ابنُ أبي طَلَحَة عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال أبو عُبيدَةَ «تَمُور» أي: تَكَفَّأُ، وقال الأعْشى.

كأنَّ مِشيَتَها مِنْ بيتِ جارَتِها ... مَوْرُ السَّحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَلُ

والثالث: يَموجُ بعضُها في بعضٍ لأمرِ الله تعالى، قاله الضَّحَّاكُ.

وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه(١) إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢﴾ أي: يخوضون في حديثِ محمَّدٍ ﷺ بالتَّكذيبِ والاستهزاءِ، ويَلهُون بِذِكْرِه، فالوَيل لهم ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يُدْفَعون، يُقال: دَعَعْتُه أدعُّه؛ أي: دَفعتُه، ومنه قوله ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾(٢)، قال ابنُ عباسٍ: يُدفع في

= بالمتبحر في صناعة الحديث شهد لها بالوضع. وقال ابن الجوزي رحمه الله: هذا حديث لا يتهم به إلا روح بن جناح، قال الحافظ عبد الغني: هذا حديث منكر، ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد ولا عن أبي هريرة، ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق ولا من غيرها اهـ. ونقل الذهبي في «الميزان» ٢٧٩٩ عن أبي أحمد الحاكم قوله: حديث في البيت المعمور لا أصل له.

[١٣٤٩] غريب مرفوعاً. وقد ذكره البغوي في «تفسيره» ٢٣٧ بقوله وروي من غير عزو لأحد. وذكره الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٤١١ أيضاً بقوله روي من غير عزو لأحد ولم يخرجه الحافظ، وهذا دليل على أنه غير مرفوع. والله أعلم.

---

(١) النمل: ٨٨. (٢) الماعون: ٢.

أعناقِهم حتى يَرِدُوا النّارَ. وقال مُقاتِلٌ: تُغلُّ أيديهم إلى أعناقِهم وتُجمعُ نواصِيهم إلى أقدامِهم، ثم يُدفَعون إلى جهنّم على وجوهِهم، حتى إذا دَنوا منها قالت لهم خَزَنَتُها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭﴾ في الدنيا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون؟ فإنكم زَعمتُم أنّ الرُّسلَ سَحرةٌ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ النّار؟ فلمّا أُلقُوا فيها قال لهم خَزَنَتُها: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾. وقال غيرُه: لمّا نَسبُوا محمّداً ﷺ إلى أنه ساحرٌ يُغطّي على الأبصارِ بالسِّحْرِ، وُبِّخُوا عند رؤيةِ النّارِ بهذا التوبيخ، وقيلَ: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسُوا شِدَّتَها ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصَّبرُ والجَزَعُ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكُفرِ والتكذيبِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ⑰ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ⑱ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑲ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ⑳﴾

ثم وَصفَ ما للمؤمنين بما بعدَ هذا، وقوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ قُرِئَت بألفٍ وبغيرِ ألفٍ. وقد شرحناها في يس[1]، ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ أي: صَرفَ عنهم، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مذكورٌ في البقرة[2]. ﴿كُلُوا۟﴾ أي يُقال لهم: كُلوا ﴿وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ تأمنون حدوثَ المرضِ عنه. قال الزَّجّاج: المعنى: لِيَنهكم ما صِرتُم إليه، وقد شرحنا هذا في سُورةِ النِّساءِ. ثم ذَكر حالَهم عند أكلِهم وشربِهم، فقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ وقال ابنُ جَريرٍ: فيه محذوفٌ تقديره: على نمارقَ على سُرُرٍ، وهي جمعُ سريرٍ ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قد وُضِعَ بعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ. وباقي الآيةِ مفسَّرٌ في سُورةِ الدُّخان[3].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ㉑ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ㉒ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ㉓ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ㉔ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ㉕ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ㉖ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ㉗ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ㉘﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ، : «واتَّبعتهم» بالتاء «ذُرِّيَّتهم» واحدة ﴿بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدةً أيضاً. وقرأ نافعٌ: «واتَّبعتهم ذُرِّيَّتُهم» واحدة «بهم ذُرِّيَّاتِهم» جمعاً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «وأَتْبَعْناهم ذُرِّيَّاتِهم» «بهم ذُرِّيَّاتِهم» جمعاً في الموضعين. واختلفوا في تفسيرِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناها: واتَّبعتْهُم ذُرِّيَّتهم بإيمانٍ ألْحقْنا بهم ذُرِّياتِهم مِنَ المؤمنين في الجنّةِ وإنْ كانوا لم يَبْلُغوا أعمالَ آبائِهم تكرمةً مِنَ الله تعالى لآبائِهم المؤمنين باجتماعِ أولادِهم معهم، رَوى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: واتَّبعتْهم ذُرِّيَّتهم بإيمانٍ، أي: بلغَتْ أنْ آمنَتْ، ألْحقْنا بهم ذُرِّيَّتهم الصِّغارَ الذين لم يبلُغوا الإيمانَ. ورَوى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحّاكُ. ومعنى هذا القول، أنَّ أولادَهم الكبارَ، تَبِعُوهم بإيمانٍ منهم، وأولادُهم الصِّغارُ تَبِعُوهم

---

(١) يس: ٥٥.
(٢) البقرة: ١١٩.
(٣) الدخان: ٥٤.

بإيمانِ الآباء، لأنَّ الولدَ يُحكَم له بالإسلام تَبَعاً لوالدِه. **والثالث**: «وأتبعْناهم ذُرِّياتهم» بإيمانِ الآباء فأدْخلناهم الجنَّةَ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ قرأ نافعٌ: وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «وما ألتناهم» بالهمزةِ وفتحِ اللام. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ما ألِتناهم» بكسرِ اللام. ورَوى ابنُ شَنْبُوذَ عن قُنْبُلٍ عنه «وما لِتناهم» بإسقاطِ الهمزة مع كسرِ اللام. وقرأ أبو العَاليةِ، وأبو نَهِيْكٍ، ومعاذٌ القارئُ بإسقاطِ الهمزة مع فتحِ اللام. وقرأ ابنُ السَّمَيفع «وما آلَتناهم» بمَدِّ الهمزة وفتحِها. وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «وما وَلَتناهم» بواوٍ مفتوحةٍ مِنْ غير همزةٍ وبنصبِ اللام. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المُتوكِّل: «وما أَلَتُّهُم» مثلَ: جعلتُهم. وقد ذكرنا هذه الكلمةَ في الحُجرات[(١)]، والمعنى: ما نقَصْنا الآباءَ بما أعطَيْنا الذُّرِّيَّةَ.

﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يُؤاخَذُ أحدٌ بذَنْبِ أحدٍ، وقيلَ: هذا الكلام يختصُّ بصفةِ أهلِ النَّارِ، وذلك الكلامُ قد تَمَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: يَتعاطَون ويَتداولون: وأنشد الأخطَلُ:

نـازَعْتُـهُ طَيِّـبَ الـرَّاحِ الشَّـمُـولِ وقَـدْ ... صَاحَ الـدَّجاجُ وحانَـتْ وَقْـعَةُ السَّـاري

قال الزَّجَّاجُ: يتناول هذا الكأسَ مِنْ يَدِ هذا، وهذا مِنْ يَدِ هذا. فأمَّا الكأس فقد شرحناها في الصَّافَّات[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ: «لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ» نصباً، وقرأ الباقون: «لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ» رفعاً مُنوَّناً. قال ابنُ قُتَيبةَ: أي لا تَذهبُ بعقولِهم فَيلْغُوا ويَرْفثُوا فيأثَموا كما يكون ذلك في خمرِ الدنيا. وقال غيرُه: التأثيمُ: تفعيلٌ مِنَ الإثمِ، يُقال: آثَمَهُ: إذا جعله ذا إثمٍ. والمعنى أنَّ تلك الكأسَ لا تجعَلُهم آثِمِينَ. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ للخدمةِ ﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ﴾ في الحُسْنِ والبياضِ ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ أي: مَصُونٌ لم تَمَسَّه الأيدي.

[١٣٥٠] وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ فقيلَ: يا نبيَّ الله، هذا الخادمُ، فكيف المَخدُومُ؟ فقال: «إنَّ فَضلَ المَخدومِ على الخادمِ كفَضْلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ».

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا مِنَ الخوفِ والتَّعبِ، وهو قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ أي: في دارِ الدنيا ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ أي: خائفين مِنَ العذاب، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: عذابَ النَّارِ. وقال الحسَنُ: السَّمُومُ مِنْ أسماء جهنَّمَ. وقال غيرُه: سَمُوم جهنَّمَ، وهو ما يوجد مِنْ نَفحِها وحَرِّها، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ﴾ أي: نُوحِّدُه ونُخلِصُ له ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ﴾ وقرأ نافعٌ والكِسائيُّ: «أنَّه» بفتحِ الهمزة. وفي معنى «البَرّ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصادقُ فيما وَعدَ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: اللطِيفُ، رواه

[١٣٥٠] ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٠١٢ والطبري ٣٢٢٣٧ من طريق معمر عن قتادة مرسلاً، وبصيغة التمريض. وعامة مراسيل قتادة في التفسير إنما هي عن الحسن، ومراسيل الحس واهية.

---

(١) الحجرات: ١٤٠.
(٢) الصافات: ٤٥.

ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العَطوفُ على عبادِهِ المُحسِنُ إليهم الذي عَمَّ بِبِرِّهِ جميعَ خَلْقِه، قاله أبو سُليمانَ الخَطَّابِيُّ.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فعِظْ بالقرآن ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامِه عليك بالنُّبوَّة ﴿بِكَاهِنٍ﴾ وهو الذي يُوهِمُ أنه يَعلمُ الغيبَ ويُخبِرُ عمَّا في غَدٍ مِن غير وَحيٍ. والمعنى: إنما تَنطِقُ بالوَحيِ لا كما يقول فيكَ كفَّارُ مكَّة. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعرٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: «أم» بمعنى «بل»، قال الأخطَلُ:

كَذَبَتْكَ عَينُكَ أَمْ رَأَيتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خَيالا

لم يستفهِمْ، إنما أوجَبَ أنه رأى. قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الموت، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: حوادثُ الدَّهر، قاله مُجاهِدٌ، قال ابنُ قُتيبة: حوادثُ الدَّهرِ وأوجاعُه ومصائِبُه، و«المَنون» الدَّهرُ، قال أبو ذُؤيب:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ... والدَّهرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

هكذا أنشدَناهُ أصحابُ الأَصمَعيِّ عنه، وكان يذهب إلى أنَّ المَنونَ الدَّهرُ، قال: وقوله «والدَّهرُ ليس بمُعتِبٍ» يدلُّ على ذلك، كأنه قال: «أمِنَ الدَّهرِ ورَيبِهِ تَتَوجَّعُ؟!» قال الكِسائيُّ: العرب تقول: لا أُكلِّمُكَ آخِرَ المَنونِ، أي: آخِرَ الدَّهرِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظِرُوا بي ذلك ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: مِنَ المُنتَظِرين عذابَكُم، فعُذِّبوا يومَ بدرٍ بالسَّيفِ. وبعضُ المُفسِّرين يقول: هذا مَنسوخٌ بآية السَّيفِ، ولا يصِحُّ، إذْ لا تضادَّ بينَ الآيتين. قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ قال المُفسِّرون: كانت عظماءُ قُريشٍ تُوصَفُ بالأحلام، وهي العُقول، فأزرى الله بحُلومِهم، إذ لم تُثمِرْ لهم معرفةَ الحقِّ مِنَ الباطلِ. وقيلَ لعمرِو بنِ العَاصِ: ما بالُ قومِكَ لم يُؤمِنوا وقد وَصفَهُم الله تعالى بالعُقولِ؟! فقال: تلكَ عُقولٌ كادَها بارِئُها، أي: لم يَصْحَبْها التَّوفيقُ.

وفي قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ وقوله ﴿أَمْ هُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهما بمعنى «بل» قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: بمعنى ألِفِ الاستفهام، قاله الزَّجَّاجُ: قال: والمعنى: أتأمُرُهم أحلامُهم بتَركِ القَبولِ ممَّن يدعُوهم إلى التَّوحيدِ ويأتيهم على ذلك بالدَّلائِل، أَم يكفُرون طُغياناً وقد ظهرَ لهم الحقُّ؟! وقال ابنُ قُتيبَةَ: المعنى: أَمْ تدُلُّهم عقولُهم على هذا؟! لأنَّ الحِلْمَ يكون بالعقلِ، فكُنِيَ عنه به.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي افتَعَلَ القرآنَ مِن تِلقاءِ نَفْسِه؟ والتَّقوُّلُ: تكلُّفُ القولِ، ولا يُستَعملُ إلاَّ في الكذبِ ﴿بَل﴾ أي ليس الأمرُ كما زعموا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن؛ استِكباراً. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ في نَظْمِه وحُسنِ بيانِه. وقرأ أبو رَجاءٍ وأبو نَهيكٍ ومُوَرِّقٌ العِجليُّ وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «بحديثِ مِثْلِه» بغير تنوينٍ ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ محمَّداً تقوَّلَه.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ رَبٍّ خالقٍ؟ **والثاني**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ آباءٍ ولا أُمَّهاتٍ، فهم كالجمادِ لا يَعقِلون؟ **والثالث**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ شيءٍ كالسَّماواتِ والأرضِ؟ أي: إنهم ليسوا بأشدَّ خَلْقاً مِنَ السَّماواتِ والأرضِ. لأنها خُلِقَتْ مِنْ غيرِ شيءٍ، وهم خُلِقوا مِنْ آدمَ، وآدمُ مِنْ تُرابٍ. **والرابع**: أَمْ خُلِقُوا لغيرِ شيءٍ؟ فتكون «مِنْ» بمعنى اللام. والمعنى: ما خُلِقُوا عَبَثاً فلا يُؤمَرون ولا يُنهَون. قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ فلذلك لا يأتمِرون ولا ينتهون؟ لأنَّ الخالِقَ لا يُؤمَرُ ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بالحقِّ، وهو توحيدُ الله وقُدرتُه على البَعثِ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المطرُ والرِّزقُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: النُّبوَّةُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: عِلْمُ ما يكون مِنَ الغَيْبِ، ذكره الثَّعلَبيُّ، وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أَعِندَهُم ما في خزائنِ ربِّكَ مِنَ العِلْمِ، وقيلَ: مِنَ الرِّزق، فهم مُعْرِضون عن ربِّهم لاستغنائِهم؟!. قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «المُسيطِرُونَ» بالسين. وقال ابنُ عباسٍ: المُسَلَّطون. قال أبو عُبيدَةَ: «المُصيطِرون»: الأرباب. يُقال تسيطَرتَ عليَّ، اتَّخذتني خَوَلاً، قال: ولم يأتِ في كلام العرب اسمٌ على «مُفَيْعِل» إلاَّ خمسةُ أسماءٍ: مُهَيْمِن، ومجيمر ومسيطر ومبيطر ومبيقر. فالمهيمن: الله الناظر المُحصي الذي لا يفوته شيء. ومُجَيمِر: جبلٌ. والمُسَيْطِر: المُسَلَّطُ؛ ومُبَيْطِر: بَيْطَار؛ والمُبَيْقِر: الذي يَخرجُ مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ، يُقال: بَيْقَرَ: إذا خرجَ مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ، قال امرؤُ القَيسِ:

ألاَ هَـلْ أتـاهَـا والـحـوادِثُ جَـمَّـةٌ بـأنَّ امـرأَ الـقَـيْـسِ بـنَ تَـمْـلِـكَ بَـيْـقَـرا؟

قال الزَّجَّاجُ: المُسَيطِرون: الأربابُ المُسلَّطون، يقال: قد تَسيطَرَ علينا وتَصَيْطَرَ: بالسين والصاد، والأصل السين، وكلُّ سينٍ بعدَها طاءٌ، فيجوز أنْ تُقلَبَ صاداً، تقول: سَطر وصَطر، وسَطا علينا وصَطا. قال المُفسِّرون: معنى الكلام: أَمْ هُمُ الأربابُ فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحتَ أمرٍ ولا نهيٍ؟! قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: مَرْقَىً ومَصعَدٌ إلى السماءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه الوحيَ، كقوله: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1]، فالمعنى: يستمِعونَ الوحيَ فيعلمونَ أنَّ ما هُم عليه حقٌّ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ إنِ ادَّعى ذلك ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي، بحُجَّةٍ واضحةٍ كما أتى محمَّدٌ بحُجَّةٍ على قوله. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ هذا إنكارٌ عليهم حين جعلوا لله البَناتِ. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: هل سألْتَهم أجراً على ما جِئتَ به، فأثقلَهم ذلك الذي تطلبه منهم فمنَعَهم عن الإسلام؟ والمَغرَمُ بمعنى الغُرْمِ، وقد شرحناه في براءة[2].

---

(١) طه: ٧١.
(٢) التوبة: ٩٨.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ هذا جوابٌ لقولِهم: «نَتربَّص به رَيْبَ المَنون»؛ والمعنى: أَعِندَهُم الغَيبِ؟ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه اللَّوحُ المَحفوظُ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه ويُخبِرون الناسَ. قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَعِندَهُم عِلْمُ الغَيبِ فيعلمون أنَّ محمَّداً يموتُ قبلَهم ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي، يَحكمون فيقولون: سَنَقْهَرُكَ. والكتاب: الحُكْمُ.

[١٣٥١] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «سأَقْضي بينَكما بكتابِ الله» أي: بحُكْمِ الله عزَّ وجلَّ؛ وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو ما كانوا عَزَموا عليه في دارِ النَّدْوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١)؛ ومعنى ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ هم المَجْزِيُّون بكَيدِهم، ولأنَّ ضَررَ ذلك عادَ عليهم فقُتِلوا ببدرٍ وغيرِها. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أي ألَهم إلهٌ يرزُقُهم ويَحفَظُهم غيرُ اللهِ؟ والمعنى أنَّ الأصنامَ ليست بآلهةٍ لأنها لا تنفعُ ولا تدفعُ. ثم نزَّهَ نَفْسَهُ عن شِرْكِهم بباقي الآية.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

ثم ذكر عِنادَهم فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ والمعنى: لو سَقَطَ بعضُ السماء عليهم، لَمَا انتهَوا عن كُفرِهم، ولَقالوا: هذه قِطعةٌ مِنَ السَّحاب قد رُكِمَ بعضُه على بعضٍ. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي خَلِّ عنهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ قرأ أبو جعفر «يَلْقَوا» بفتحِ الياء والقاف وسكونِ اللام مِنْ غيرِ ألِفٍ ﴿يَوْمَهُمُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يومُ موتِهم. **والثاني**: يومُ القيامة. **والثالث**: يومُ النَّفخةِ الأولى. قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرأ عاصمٌ، وابنُ عامر: «يُصْعَقُون» بِرفعِ الياء، مِنْ أصعقَهم غيرُهم، والباقون بفَتحِها، مِنْ صَعِقوا هُمْ. وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يموتون. **والثاني**: يُغشَى عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢)، وهذا يخرج على قولِ مَنْ قال: هو يومُ القيامة، فإنَّهم يُغشَى عليهم مِنَ الأهوالِ. وذَكرَ المُفسِّرون أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ، ولا يَصحُّ، لأنَّ معنى الآية الوعيدُ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ هذا اليومُ الأول: والمعنى: لا يَنفَعُهم مَكرُهم، ولا يَدفعُ عنهم العذابَ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنَعون مِنَ العذاب: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبلَ ذلك اليومِ؛ وفيه أربعةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه عذابُ القبر، قاله البَراءُ، وابنُ عباسٍ.

[١٣٥١] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٢٤ و ٦٦٣٣ ومسلم ١٦٩٧ ومالك ٢/ ٨٨٢ من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في أثناء خبر العسيف. وتقدم في سورة النساء والنور.

---

(١) الأنفال: ٣٠.
(٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٤٩٩: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال، إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر =

والثاني: عذابُ القتلِ يومَ بدرٍ، ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: مصائِبُهم في الدنيا، قاله الحَسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: عذابُ الجوعِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازل بهم. ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لِمَا يَحكُم به عليك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال الزَّجّاجُ: فإنكَ بحيث نَراكَ ونَحفَظُكَ ونَرعاكَ، فلا يَصِلونَ إلى مكرُوهِكَ. وذكر المُفسِّرون: أنَّ معنى الصبرِ نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ، ولا يصحُّ، لأنه لا تضادَّ. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: صَلِّ لله حينَ تقوم مِنْ منامِكَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: قُلْ: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحَمْدِكَ حينَ تقومُ مِنْ مَجْلِسِكَ، قاله عطاءٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومُجاهِدٌ في آخرين. **والثالث**: قُلْ: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ وتباركَ اسمُكَ وتعالى جَدُّكَ ولا إلهَ غيرُكَ حين تقوم في الصَّلاةِ، قاله الضَّحّاكُ. **والرابع**: سَبِّحِ اللهَ إذا قُمْتَ مِنْ نومِكَ، قاله حسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ. **والخامس**: صَلِّ صلاةَ الظُّهرِ إذا قُمْتَ مِنْ نومِ القائلةِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والسادس**: اذْكُرِ اللهَ بلسانِكَ حينَ تقوم مِنْ فِراشِكَ إلى أنْ تدخُلَ في الصَّلاة، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال مُقاتِلٌ: صَلِّ المَغربَ وصَلِّ العِشاءَ ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قرأ زيدٌ عن يعقوبَ، وهارُونُ عن أبي عمرٍو، والجُعْفيُّ عن أبي بكرٍ: «وأدبار النُّجوم» بفتح الهمزة؛ وقرأ الباقون بكسرها وقد شرحناها في «قٓ»[1]؛ والمعنى: صَلِّ له في إدْبَارِ النُّجومِ، أي: حينَ تُدبِرُ، أي: تغيبُ بضَوءِ الصُّبحِ. وفي هذه الصَّلاة قولان:

[١٣٥٢] **أحدهما**: أنها الرَّكعتانِ قَبْلَ صلاة الفَجرِ، رواه عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، وهو قولُ الجمهور. **والثاني**: أنها صلاةُ الغَداةِ، قاله الضَّحّاكُ، وابنُ زيدٍ.

[١٣٥٢] لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث والتفسير، فهو لا شيء لخلوه عن كتب الأصول.
وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٢ لأبي هريرة قوله، ونسبه لابن مردويه.

= دون عذاب يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة. ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ، فكل ذلك لهم عذاب.

(١) قٓ: ٤٠.

سورة النجم

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

وهي مكيَّة بإجماعهم، إلاَّ أنه قد حُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنهما قالا: إلاَّ آيةً منها، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾(١) وكذلك قال مُقاتِلٌ؛

[١٣٥٣] قال: وهذه أولُ سُورَةٍ أعلَنها رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هذا قَسَمٌ. وفي المراد بالنَّجم خمسةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنه الثُّريَّا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والعرب تسمي الثُّريَّا ـ وهي ستةُ أنجُم ـ نجماً. وقال غيره: هي سبعةٌ، فستةٌ ظاهرةٌ، وواحدٌ خَفِيٌّ يَمتَحِنُ به الناسُ أبصارَهُم. **والثاني**: الرُّجوم مِنَ النُّجوم، يعني ما يُرمى به الشياطين، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه القرآن نَزلَ نُجوماً مُتفرِّقةً، قاله عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، والأعمَشُ عن مُجاهِدٍ. وقال مُجاهِدٌ: كان ينزل نُجوماً ثلاثَ آياتٍ وأربعَ آياتٍ ونحو ذلك. **والرابع**: نجومُ السماءِ كُلُّها، وهو مَرويٌّ عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والخامس**: أنها الزُّهَرةُ: قاله السُّدِّيُّ.

فعَلَى قولِ مَنْ قال: النَّجمُ: الثُّريَّا، يكون «هَوى» بمعنى «غابَ»؛ ومَنْ قال: هو الرُّجومُ، يكون هُوِيُّها في رَمْيِ الشياطين، ومَنْ قال: القرآن، يكون معنى «هَوَى»: نزلَ، ومَنْ قال: نجومُ السماءِ كلُّها، ففيه قولان: **أحدهما**: أنَّ هُوِيَّها أنْ تغيبَ. **والثاني**: أنْ تنتثرَ يومَ القيامة.

قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ هذه السُّورَةَ كلَّها بفتحِ أواخِرِ آياتِها. وقرأ أبو عمروٍ ونافعٌ بين الفتحِ والكسرِ. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ ذلك كلَّه بالإمالَةِ..

[١٣٥٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٣ لابن مردويه عن ابن مسعود، وابن مردويه يروي الواهيات والموضوعات.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٥٠٤: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد، من أنه عني بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جوابُ القَسَم؛ والمعنى: ما ضَلَّ عن طريقِ الهُدى، والمراد به: رسولُ الله ﷺ. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ما يَتكلَّم بالباطلِ. وقال أبو عُبيدَةَ: «عن» بمعنى الباء. وذلك أنهم قالوا: إنه يقول القرآنَ مِنْ تِلقاءِ نَفْسِهِ. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآنُ ﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ مِنَ الله ﴿يُوحَىٰ﴾ وهذا ممَّا يَحتجُّ به مَنْ لا يُجيزُ للنبيِّ ﷺ أن يجتهدَ، وليس كما ظَنُّوا، لأنَّ اجتهادَ الرأي إذا صَدرَ عن الوَحي، جازَ أنْ يُنسَبَ إلى الوَحي.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهو جِبريلُ عليه السلام علَّمَ النبيَّ ﷺ؛ قال ابنُ قُتيبة: وأصل هذا مِنْ «قُوَى الحَبْلِ» وهي طاقاتُه، الواحدة: قُوَّةٌ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قُوَّةٍ، وأصلُ المِرَّة: الفَتْلُ. قال المُفسِّرون: وكان مِنْ قُوَّتِه أنه قَلعَ قَرْياتِ لُوطٍ وحَملَها على جناحِه فقَلَبها، وصاحَ بثَمُودَ فأصبحوا خامِدِينَ. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فاستوى جِبريلُ، (وهو) يعني النبيَّ ﷺ؛ والمعنى أنهما استوَيا بالأفقِ الأعلى لمَّا أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: فاستوى جِبريلُ، و(هو) يعني جِبريلَ. بالأفقِ الأعلى على صورَتِه الحقيقية.

[١٣٥٤] لأنه كان يَتمثَّلُ لرسولِ الله ﷺ إذا هَبطَ عليه بالوحي في صورةِ رجُلٍ، وأحبَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يراه على حقيقتِه، فاستوَى في أُفقِ المَشرِقِ، فملأَ الأُفقَ. فيكون المعنى: فاستوَى جِبريلُ بالأفقِ الأعلى في صورتِه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. قال مُجاهِدٌ: والأُفقُ الأعلى: هو مَطْلَعُ الشمس. وقال غيرُه: إنما قيلَ له: «الأعلى» لأنه فوقَ جانبِ المغرِبِ في صعيدِ الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: ثم تَدلَّى فَدَنا، ولكنه جائزٌ أنْ تُقدِّمَ أيَّ الفعلين شِئتَ إذا كان المعنى فيهما واحداً، فتقول: قد دَنا فقرُبَ، وقَرُبَ فدَنا، وشَتَم فأساءَ، وأساءَ فشَتَم، ومنه قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1]، المعنى ـ واللهُ أعلَمُ ـ: انشقَّ القمرُ واقتربتِ الساعةُ. قال

[١٣٥٤] ساقه المصنف بمعناه. ورد من حديث مسروق عن عائشة: أخرجه البخاري ٣٢٣٥ ثنا أبي أسامة ثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشرع به. وأخرجه مسلم ١٧٧ح ٢٩٠ والطبري ٣٢٤٥٠ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٢١ وأبو عوانة ١/ ١٥٥ من طريق أبي أسامة بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري ٤٦١٢ و ٤٨٥٥ و ٧٣٨٠ و ٧٥٣١ ومسلم ١٧٧ح ١٨٩ وأحمد ٦/ ٤٩ وأبو عوانة ١/ ١٥٤ من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي به. وأخرجه مسلم ١٧٧ح ٢٨٧ و ٢٨٨ والترمذي ٣٠٦٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ و٥٥٢ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ وأبو يعلى ٤٩٠٠ وابن حبان ٦٠ والطبري ٣٢٤٧٥ وابن منده في «الإيمان» ٧٦٣ و ٧٦٦ وأبو عوانة ١/ ١٥٣ و ١٥٤ من طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي به. وأخرجه الترمذي ٣٢٧٨ =

(١) القمر: ١.

ابنُ قُتيبةَ، المعنى: تدلَّى فَدَنا، لأنه تَدَلَّى للدُّنُوِّ، ودَنَا بالتَّدلِّي، وقال الزَّجَّاجُ: دَنا بمعنى قَرُبَ، وتَدَلَّى: زادَ في القُرْبِ، ومعنى اللفظتين واحدٌ. وقال غيرُهم: أصلُ التَّدَلِّي: النُّزول إلى الشيء حتى يَقرُبَ منه، فوُضِعَ موضعَ القُرْبِ. وفي المُشارِ إليه بقوله: «ثُم دنا» ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**، أنه الله عزَّ وجلَّ.

[١٣٥٥] روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصحيحين. مِن حديث شَريكِ بنِ أبي نمرٍ عن أنسِ بن مالكٍ قال: دَنا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فتدَلَّى حتى كان منه قابَ قوسَيْنِ أو أدْنَى.

[١٣٥٦] وروَى أبو سَلَمَة عن ابنِ عباسٍ: «ثم دَنا» قال: دَنا ربُّه فتدلَّى.

وهذا اختيارُ مُقاتِلٍ. قال: دَنا الرَّبُّ مِنْ محمَّدٍ ليلَةَ أُسْرِيَ به، فكان منه قابَ قوسَيْنِ أو أدنَى. وقد كَشَفتُ هذا الوجهَ في كتاب المُغْني وبَيَّنتُ أنه ليس كما يخطُر بالبَالِ مِنْ قُربِ الأجسام وقَطْعِ المسافة، لأنَّ ذلك يختصُّ بالأجسامِ، والله مُنزَّهٌ عن ذلك. **والثاني**: أنه محمَّدٌ دنا مِنْ ربِّه، قاله ابنُ عباسٍ، والقُرَظيُّ. **والثالث**: أنه جِبريلُ. ثم في الكلام قولان: **أحدهما**: دَنا جبريلُ بعد استِوائِه بالأُفقِ الأعلى مِنَ الأرض، فنَزلَ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: دَنا جِبريلُ مِنْ ربِّه عزَّ وجلَّ فكان منه قابَ قوسَيْنِ أو أدنى، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ: «فكان قاد قوسين» بالدال. وقال أبو عُبيدَةَ: القابُ والقادُ: القَدْرُ. وقال ابنُ فارسٍ: القابُ: القَدْرُ. ويُقال: بل القابُ: ما بين

= من طريق مجالد عن الشعبي به. وأخرجه البخاري ٣٢٣٤ من طريق ابن عون عن القاسم عن عائشة به. وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٢٥ من طريق أبي معشر عن إبراهيم عن مسروق به. وأخرجه أبو عوانة ١/ ١٥٥ من طريق بيان عن قيس عن عائشة به. ولفظ البخاري برقم ٣٢٣٥: عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله: ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنما أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق.

[١٣٥٥] شاذ، أخرجه البخاري ٧٥١٧ ومسلم ١٦٢ح ٢٦٢ كلاهما من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس، وشريك متكلم فيه، وقد تفرد في حديث الإسراء بعشرة أشياء لم يتابع عليها، ومنها هذه العبارة، وهي من منكراته. انظر ما ذكره الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣.

[١٣٥٦] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٦ح ٢٨٦ والنسائي في «التفسير» ٥٥٥ والطبري ٣٢٤٦٦ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه مسلم ١٧٦ح ٢٨٥ عن ابن أبي شيبة وأبي سعيد الأشج به. وأخرجه الترمذي ٣٢٨٠ وابن خزيمة ص ٢٠٠ والطبري ٣٢٤٨٩ وابن حبان ٥٧ والطبراني ١٠٧٢٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٣٣ من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن ابن عباس.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٣: وقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما إذا مدّا. وهو قول عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة. وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربَّه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما وحديث شريك عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى» تكلم الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه الآية كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ فهذه ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

المَقْبِضِ والسِّيَة، ولكلِّ قوسٍ قابانِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: سِيَة القَوْسِ: ما عُطِفَ مِنْ طَرَفَيْها. وفي المراد بالقَوسَيْنِ قولان: **أحدهما**: أنها القوسُ التي يُرمى بها، قاله ابنُ عباسٍ، واختاره ابنُ قُتيبةَ، فقال: قَدْرَ قوسَيْنِ، وقال الكِسَائيُّ: أراد بالقوسَيْنِ: قوساً واحداً. **والثاني**: أنَّ القوسَ: الذِّراعُ: فالمعنى: كان بينَهما قَدْرَ ذراعَيْنِ، حكاه ابنُ قُتيبةَ؛ وهو قولُ ابنِ مسعودٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، والسُّدِّيِّ. قال ابنُ مسعودٍ: دَنا جِبريلُ منه حتى كان قَدْرَ ذِراعٍ أو ذِراعَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿أَدۡنَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «بل»، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم خُوطِبوا على لُغَتِهم، والمعنى: كان على ما تُقدِّرونه أنتم قَدْرَ قوسَيْنِ أو أقلَّ، هذا اختيارُ الزَّجَّاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أوحى الله إلى محمَّدٍ كِفاحاً بلا واسِطَةٍ، وهذا على قولِ مَنْ يقول: إنه كان في ليلةِ المِعراجِ. **والثاني**: أوحَى جِبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ما أوحى اللَّهُ إليه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أوحَى الله إلى جِبريلَ ما يُوحيه، رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها، والحَسنِ، وقَتادَةَ.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قرأ أبو جعفرَ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، وأَبانُ عن عاصِمٍ: «ما كَذَّب» بتشديدِ الذَّال، وقرأ الباقون بالتخفيفِ. فمَنْ شدَّدَ أراد: ما أَنكَرَ فؤاده ما رَأَتْه عينُه؛ ومَنْ خفَّفَ أراد: ما أوهَمَهُ فؤادُه أنه رأى، ولم يرَ؛ بل صَدَّقَ الفؤادُ رؤيَتَهُ. وفي الذي رأى قولان(1): **أحدهما**: أنه رأى ربَّه عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ وأنسٌ والحسَنُ وعِكرمَةُ. **والثاني**: أنه رأى جِبريلَ في صورَتِه التي خُلِقَ عليها، قاله ابنُ مسعودٍ وعائشةُ. قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ قرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ والمُفضَّلُ وخَلَفٌ ويعقوبُ: «أفتَمرونه». قال ابنُ قُتيبةَ: معنى «أفتُمارونه»: أفتُجادِلُونه، مِنَ المِراءِ، ومعنى «أفتَمْرونه»: أفتَجحَدُونَهُ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي رآه مَرَّةً أخرى. قال ابنُ عباسٍ: رأى محمَّدٌ ربَّه؛ وبيانُ هذا أنه تردَّد لأجلِ الصَّلواتِ مِراراً، فرأى ربَّه في بعضِ تلك المرَّاتِ مَرَّةً أخرى. قال كَعبٌ: إنَّ الله تعالى قَسَمَ كلامَهُ ورؤيتَهُ بين محمَّدٍ وموسى، فرآه محمَّدٌ مرتين، وكلَّمَهُ موسى مرَّتين.

[١٣٥٧] وقد رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أنَّ هذه الرؤيةَ لِجبريلَ أيضاً، رآه على صورَتِه التي خُلِقَ عليها. فأمّا سِدْرَةُ المُنتهى فالسِّدْرَةُ: شجرةُ النَّبِقِ.

[١٣٥٨] وقد صحَّ في الحديث عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «نَبِقُها مِثْلُ قِلالَ هَجَر، ووَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيَلَة». وفي مكانِها قولان:

[١٣٥٧] حديث صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥٦ ومسلم ١٧٤ح ٢٨١ والترمذي ٣٢٧٧ والنسائي في «التفسير» ٥٥٤ و ٥٦٠ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٠ و ٢٠٣ وأبو عوانة ١/ ١٥٣ من طرق عن الشيباني به. وأخرجه الترمذي ٣٢٨٣ وابن خزيمة ص ٢٠٤ والحاكم ٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ وابن حبان ٥٩ وأحمد ١/ ٤٩٤ و ٤١٨ من طرق عن إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[١٣٥٨] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥١٧ ومسلم ١٦٢ح ٢٦٢ وقد تقدم في سورة الإسراء.

---

(1) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٥: رواية إطلاق الرؤية عن ابن عباس محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم.

[١٣٥٩] **أحدهما**: أنها فوقَ السماءِ السابعةِ، وهذا مذكورٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ. قال مُقاتِلٌ: وهي عن يمينِ العَرْشِ.

[١٣٦٠] **والثاني**: أنها في السماءِ السادسةِ، أخرجه مُسلمٌ في أفرادِه عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ.

قال المُفسِّرون: وإنما سُمِّيتْ سِدْرَةَ المُنتهى، لأنه إليها مُنتهى ما يُصْعَدُ به مِنَ الأرض، فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به مِنْ فوقِها فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهى عِلْمُ جميع الملائكةِ.

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا﴾ وقرأ معاذٌ القارئ وابنُ يَعمُر وأبو نَهِيكٍ: «عِنْدَهُ» بهاءٍ مرفوعةٍ على ضميرِ مذكَّرٍ ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي جنَّةٌ يأوي إليها جِبريلُ والملائكةُ. وقال الحَسنُ: هي التي يصيرُ إليها أهلُ الجنَّةِ. وقال مُقَاتلٌ: هي جنَّةٌ إليها تأوي أرواحُ الشهداء. وقرأ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ والشَّعْبِيُ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ وأبو العَاليةِ: «جَنَّهُ المأوى» بهاءٍ صحيحةٍ مرفوعةٍ. قال ثَعلَبٌ: يريدون أجَنَّهُ، وهي شاذَّةٌ. وقيلَ: معنى «عندها»: أدرَكَهُ المَبيتُ يعني رسولَ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

[١٣٦١] رَوى مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: غَشِيَها فِراشٌ مِنْ ذهبٍ.

[١٣٦٢] وفي حديث مالكِ بنِ صَعْصَعةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «لمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ الله ما غَشِيَها، تغيَّرتْ، فما أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللّهِ يستطيع أنْ يَصِفَها مِنْ حُسنِها». وقال الحسَنُ ومُقاتِلٌ: تَغْشَاها الملائكةُ أمثالَ الغِرْبانِ حين يَقَعْنَ على الشجرة. وقال الضَّحَّاكُ: غَشِيها نورُ ربِّ العالَمين.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي ما عَدَلَ بَصَرُ رسولِ الله ﷺ يميناً ولا شِمالاً ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما زادَ ولا جاوَزَ ما رأى: وهذا وَصفُ أدَبِه ﷺ في ذلك المَقام. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فيه قولان(١): **أحدهما**: لقد رأى مِنْ آيات ربِّه العِظَام. **والثاني**: لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الآيةَ الكُبرى. وللمُفسِّرين في المراد بما رأى مِنَ الآياتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه رأى رَفْرَفاً أخضرَ مِنَ الجنَّةِ قد سَدَّ الأفقَ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه رأى جِبريلَ في صورَتِه التي يكون عليها في السَّماواتِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه رأى مِنْ أعلامِ ربِّه وأدِلَّته الأعلامَ والأدِلَّةَ الكُبرى، قاله ابنُ جَريرٍ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ

[١٣٥٩] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ١/١٤٩ والطبري ٣٢٢٨٧ عن أنس بن مالك بن صعصعة مرفوعاً، وفي أثناء حديث الإسراء المطوّل وتقدّم في أول سورة الإسراء.

[١٣٦٠] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ من حديث ابن مسعود.

[١٣٦١] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ من حديث ابن مسعود.

[١٣٦٢] انظر الحديث المتقدم ١٣٥٩.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢٩٨/٤ وقوله: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** كقوله: **﴿لنريك من آياتنا﴾** أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، لأنه قال: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦)﴾

قال الزَّجَّاجُ: فلمّا قصَّ اللَّهُ تعالى هذه الأقاصِيصَ قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ المعنى: أخبِرُونا عن هذه الآلِهَةِ التي تَعبدُونَها هل لها مِنَ القُدرة والعَظَمَةِ التي وُصِفَ بها ربُّ العِزَّة شيءٌ؟!. فأمّا «اللات» فقرأ الجمهور بتخفيفِ التاء، وهو اسمُ صَنَم كان لِثَقيف اتَّخذوه مِنْ دونِ الله، وكانوا يَشتقُّون لأصنامِهم مِنْ أسماء الله تعالى؛ فقالوا مِنَ «الله»: اللاَّت: ومِنَ «العزيز»: العُزَّى. قال أبو سُليمان الخَطَّابيُّ: كان المشركون يَتعاطَون «الله» اسماً لبعضِ أصنامِهم، فصَرفَهُ الله إلى اللاَّتِ صيانةً لهذا الاسم وذَبّاً عنه. وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ والضَّحَّاكُ وابنُ السَّمَيفَع ومُجاهِدٌ وابنُ يَعمُرَ والأعمَشُ، ورَوْشٌ عن يعقوبَ: «اللاتّ» بتشديدِ التاء؛ وَرَدَ في تفسير ذلك عن ابنِ عباسٍ ومُجاهدٍ أنَّ رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ للحَاجِّ، فلمّا مات عَكَفوا على قبرِه فعَبدُوه. وقال الزَّجَّاجُ: زعموا أنَّ رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ ويبيعُه عند ذلك الصَّنم، فسمِّي الصَّنمُ: اللاَّت. وكان الكِسائيُّ يقفُ عليها بالهاء، فيقول: «اللاه»؛ وهذا قياسٌ، والأجودُ الوقفُ بالتاء، لاتباع المُصحفِ. وأمّا «العُزَّى» ففيها قولان: **أحدهما**: أنها شجرةٌ لِغَطفَانَ كانوا يَعبدونَها، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صَنَمٌ لهم، قاله الضَّحَّاكُ. قال: وأمّا «مَناة» فهو صَنَمٌ لِهُذَيل وخُزَاعة يَعبُده أهلُ مكَّةَ. وقال قَتادَةُ: بل كانت للأنصار. وقال أبو عُبيدَةَ: كانت اللاَّتُ والعُزَّى ومَناةُ أصناماً مِنْ حجارةٍ في جَوفِ الكَعبةِ يَعبدُونها. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ومَناءَة» ممدودةً مهموزةً. فأمّا قوله: ﴿الثَّالِثَةَ﴾ فإنه نعتٌ لـ «مَناة»، هي ثالثةُ الصَّنَمَين في الذِّكرِ، و «الأخرى» نعتٌ لها. قال الثَّعلَبيُّ: العرب لا تقول للثالثة: الأُخرى، وإنَّما الأُخرى نَعتٌ للثانية؛ فيكون في المعنى وَجْهانِ: **أحدهما**: أن ذلك لِوفاقِ رُؤوسِ الآية، كقوله ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1] ولم يَقُلْ، أُخَر، قاله الخَليلُ. **والثاني**: أنَّ في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: أفرأيتُم اللاَّتَ والعُزَّى الأُخرى ومَناةَ الثالثةَ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضْلِ.

قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: إنَّ مشركي قُريشٍ قالوا للأصنام والملائكة: بناتُ الله، وكان الرَّجلُ منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كَرِهَ، فقال الله تعالى مُنكِراً عليهم: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾؟ يعني الأصنامَ وهي إناثٌ في أسمائِها. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ قرأ عاصِمٌ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسَائيُّ: «ضِيزَى» بكسرِ الضاد مِنْ غير همزٍ؛ وافَقهم ابنُ كَثيرٍ في كسرِ الضاد لكنه هَمَزَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ ومعاذٌ القارئُ: «ضَيْزى» بفتحِ الضاد مِنْ غيرِ همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: الضِّيزَى في كلام العرب: الناقصةُ الجائرةُ، يُقال: ضَازَهُ يَضِيزُه: إذا نَقَصَهُ حَقَّه، ويُقال: ضَأَزَه يَضْأَزُه بالهمز. وأجمع النَّحويُّون أنَّ أصلَ ضِيزَى: ضُوزَى، وحُجَّتُهم أنها نُقِلَتْ مِنْ «فُعلى» مِنْ ضُوزى إلى ضِيزَى، لِتَسلَمَ الياءُ، كما قالوا: أبيض وبِيض، وأصله: بُوضٌ، فَنُقِلَتْ الضَّمَّةُ إلى الكسرة. وقرأتُ على بعضِ العلماء باللُّغة: في «ضِيزَى» لغات؛ يُقال: ضِيزَى وضُوزَى وضُؤزَى وضَأْزَى على «فَعْلى» مفتوحةً؛ ولا يجوز

(١) طه: ١٨.

في القرآن إلاَّ «ضِيزَى» بياءٍ غير مهموزةٍ؛ وإنما لم يَقُلِ النَّحويُّون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فِعْلى» صفةً، إنما يعرفون الصِّفاتِ على «فَعْلَى» بالفتح، نحو سَكْرَى وغَضْبَى، أو بالضمِّ؛ نحو حُبْلى وفُضْلى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ والمعني: إنَّ هذه الأوثانَ التي سَمَّوها بهذه الأسامي لا معنى تحتها، لأنها لا تَضرُّ ولا تنفعُ، فهي تسمياتُ أُلقِيَتْ على جماداتٍ، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: لم يُنزلْ كتاباً فيه حُجَّةٌ بما يقولون: أنها آلهةٌ. ثم رجعَ إلى الإخبار عنهم بعد الخِطابِ لهم فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في أنها آلهةٌ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وهو ما زَيَّنَ لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو البيانُ بالكتابِ والرَّسولِ، وهذا تعجيبٌ مِنْ حالِهم إذْ لم يتركوا عبادَتَها بعد وُضوحِ البيانِ. ثم أنكرَ عليهم تَمنِّيهم شفاعتَها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ مِنْ شفاعةِ الأصنامِ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي لا يَملِكُ فيهما أحدٌ شيئاً إلاَّ بإذنِه، ثم أكَّدَ هذا بقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ فجمعَ في الكنايةِ، لأنَّ معنى الكلام الجمعُ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾؛ والمعنى أنهم لا يَشفعون إلاَّ لِمَنْ رضيَ اللّهُ عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي بالبعثِ ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وذلك حين زعموا أنها بناتُ الله، ﴿وَمَا لَهُم﴾ بذلك ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما يَستيقنون أنها إناثٌ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي لا يقوم مَقامَ العِلْم؛ فالحَقُّ ها هنا بمعنى العِلْم. ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن، وهذا عند المُفسِّرين منسوخٌ بآية السيفِ. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنما يَعلمون ما يَحتاجون إليه في معايشِهم، وقد نَبَذُوا أمرَ الآخرة. قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية: والمعنى أنه عالِمٌ بالفريقين فيُجازيهم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا إخبارٌ عن قُدرتِه وسَعَةِ مُلْكِه، وهو كلامٌ معترضٌ بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ لأنَّ اللامَ في «ليجزي» متعلقةٌ بمعنى الآيةِ الأولى، لأنه إذا كان أعلَمَ بهما؛ جازى كُلاً بما يستحقُّه، وهذه لامُ العاقِبةِ، وذلك أنَّ عِلْمَهُ بالفريقين أدَّى إلى جزائِهم باستحقاقِهم، وإنَّما يَقدِرُ على مُجازاةِ الفريقين إذا كان واسعَ المُلْكِ، فلذلك أخبرَ به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قال المُفسِّرون: و «أساؤوا» بمعنى أشركوا، و «أحسنوا»

بمعنى وَحَّدُوا. والحُسْنَى: الجنَّة. والكبائرُ مذكورةٌ في سُورَةِ النِّساء[١]. وقيلَ: كبائرُ الإثم. كُلُّ ذَنْبٍ خُتِمَ بالنَّارِ، والفواحِشُ كُلُّ ذَنْبٍ فيه الحَدُّ. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ والمُفَضَّلُ وخَلَفٌ: «يَجْتَنِبون كبِيرَ الإثم» واللَّمَمُ في كلامِ العرب: المُقَارَبَةُ للشيءِ. وفي المراد به ها هنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما أَلَمُّوا به مِنَ الإثم والفواحِشِ في الجاهلية، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام، قاله زَيدُ بنُ ثابتٍ. **والثاني**: أنْ يُلِمَّ بالذَّنْبِ مَرَّة ثم يتوبُ ولا يعودُ، قاله ابنُ عباسٍ والحَسنُ والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه صِغارُ الذُّنوب، كالنَّظرةِ والقُبْلَةِ وما كان دونَ الزِّنا، قاله ابنُ مسعودٍ وأبو هُرَيرَةَ والشَّعْبي ومَسْرُوقٌ.

[١٣٦٣] ويؤيِّد هذا حديثُ أبي هُرَيرَةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ على ابنِ آدمَ حظَّهُ مِنَ الزِّنا، فَزِنا العَيْنَينِ النَّظرُ، وزِنا اللسانِ النُّطْقُ، والنَّفْسُ تشتهي وتَتَمنَّى، ويُصَدِّقُ ذلك ويُكذِّبُه الفَرْجُ»، فإنْ تقدَّمَ بفَرْجِه كان الزِّنا، وإلاَّ فهو اللَّمَمُ.

والرابع: أنه ما يَهُمُّ به الإنسانُ، قاله محمَّدُ ابنُ الحَنَفيَّةِ. **والخامس**: أنه أَلَمَّ بالقلبِ، أي: خَطَرَ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والسادس**: أنه النَّظرُ مِنْ غير تعمُّدٍ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضْلِ. فعَلَى القولَين الأوَّلَيْنِ يكون الاستثناءُ مِنَ الجنسِ، وعلى باقي الأقوالِ ليس مِنَ الجنسِ..

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ قال ابنُ عباس: لِمَنْ فعلَ ذلك ثم تاب. وها هنا تمَّ الكلام. ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ يعني قبلَ خَلْقِكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني آدمَ عليه السلامُ ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جَمْعُ جَنِينٍ؛ والمعنى أنه عَلِمَ ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تَشهدوا لها أنَّها زكيَّةٌ بريئةٌ مِنَ المعاصي. وقيل: لا تمدَحُوها بحُسنِ أعمالِها. وفي سببِ نُزولِ هذه الآية قولان:

[١٣٦٤] **أحدهما**: أنَّ اليهود كانوا إذا هَلكَ لهم صبيٌّ، قالوا: صِدِّيقٌ، فنزلت هذه الآيةُ، هذا قولُ عائشةَ رضي الله عنها.

والثاني: أنَّ ناساً مِنَ المسلمين قالوا: قد صَلَّينا وصُمْنا وفَعَلنا، يُزَكُّون أنفُسَهم، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتِلٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عَمِلَ حسنةً وارْعَوى عن معصيةٍ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أخلَصَ العملَ لله، قاله الحَسَنُ. **الثالث**: اتَّقى الشِّركَ فآمَنَ، قاله الثَّعلبيُّ.

[١٣٦٣] صحيح. أخرجه البخاري ٦٦١٢ عن محمود بن غيلان به. وأخرجه البخاري بإثر ٦٢٤٣ ومسلم ٢٦٥٧ ح ٢٠ وأحمد ٢/ ٢٧٦ وابن حبان ٤٤٢٠ والبيهقي ٧/ ٨٩ و ١٠/ ١٨٥ والواحدي ٤/ ٢٠١ من طريق عبد الرزاق به.

[١٣٦٤] لم أره من حديث عائشة مسنداً. وورد هنا حديث ثابت بن الحارث الأنصاري، وهو ضعيف. أخرجه الواحدي ٧٧٠ والطبراني ٢/ ٨١ عن ثابت بن الحارث الأنصاري مرفوعاً وفيه ابن لهيعة ضعيف الحديث، والسورة مكية ومجادلات اليهود كانت في المدينة، وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٣٧٣ و «تفسير القرطبي» ٥٧١٦ بتخريجنا.

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، فخبره لا شيء.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى
صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ
﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٣٦٥] **أحدها**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرةِ، وكان قد تَبِعَ رسولَ الله ﷺ على دِينِه، فعَيَّرَهُ بعضُ المشركين، وقال: تَركتَ دِينَ الأشياخ وضَلَّلْتَهم؟ قال: إنِّي خشيتُ عذابَ الله، فضَمِنَ له إنْ هو أعطاهُ شيئاً مِنْ مالِه ورَجعَ إلى شِرْكِه أنْ يتحمَّلَ عنه عذابَ الله عزَّ وجلَّ، ففعلَ، فأعطاه بعضَ الذي ضَمِنَ له، ثم بَخِلَ ومَنعَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ.

[١٣٦٦] **والثاني**: أنه النَّضْرُ بنُ الحارثِ أعطى بعضَ فقراءِ المسلمين خمسَ قَلائِصَ حتى ارتَدَّ عن إسلامِه، وضَمِنَ له أنْ يَحْمِلَ عنه إثمَهُ، قاله الضَّحّاكُ.

[١٣٦٧] **والثالث**: أنه أبو جَهلٍ، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمَّدٌ إلاَّ بمكارمِ الأخلاق، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ.

والرابع: أنه العَاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمي، وكان ربَّما وافقَ رسولَ الله ﷺ في بعضِ الأمور، قاله السُّدِّيُّ[١].

ومعنى «تَوَلى»: أعرَضَ عن الإيمان. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أطاعَ قليلاً ثم عَصَى. قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أعطى قليلاً مِنْ نَفْسِه بالاستِماعِ ثم أَكْدَى بالانقطاع. قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: أعطى قليلاً مِنْ مالِه ثم منَعَ، قاله الضَّحّاكُ. **والرابع**: أعطى قليلاً مِنَ الخير بلسانِه ثم قَطَع، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «أَكْدَى»: قَطَعَ، وهو مِنْ كُدْيَةِ الرَّكِيَّةِ، وهي الصَّلابةُ فيها، وإذا بَلَغها الحافِرُ يَئِسَ مِنْ حَفْرِها، فقطعَ الحَفْرَ، فقيلَ لكلِّ مَنْ طلب شيئاً فلم يبلُغْ آخِرَه، أو أعطَى ولم يُتِمَّ: أَكْدَى. قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فهو يرى حالَه في الآخرة، قاله الفَرَّاءُ، **والثاني**: فهو يَعلَمُ ما غابَ عنه مِنْ أمرِ الآخرة وغيرِها، قاله ابنُ قُتَيبةَ. قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يعني التَّوراةَ، ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: وصُحُفِ إبراهيمَ.

[١٣٦٨] وفي حديث أبي ذَرٍّ عن النبيِّ ﷺ «أنَّ الله تعالى أنزلَ على إبراهيمَ عشرَ صحائِفَ، وأنزلَ

[١٣٦٥] أخرجه الطبري ٣٢٥٩٥ عن مجاهد وبرقم ٣٢٥٩٦ عن ابن زيد، وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٧٢ عن مجاهد وابن زيد بدون إسناد.

[١٣٦٦] عزاه المصنف للضحاك، ولم أقف على إسناده، وهو مرسل، والضحاك ذو مناكير، وهذا منها، وأثر مجاهد المتقدم أصح.

[١٣٦٧] عزاه المصنف للقرظي، وهذا مرسل، فهو واهٍ.

[١٣٦٨] ضعيف جداً. أخرجه ابن حبان ٣٦١ وأبو نعيم ١/١٦٦ من حديث أبي ذر، وإسناده ضعيف جداً، فيه =

---

(١) عزاه المصنف للسدي، وهذا معضل، فهو واهٍ.

على موسى قَبْلَ التَّوراةِ عشرَ صحائِفِ».

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ، وابنُ السَّمَيفَع اليَمانيّ «وَفَى» بتخفيفِ الفاء. قال الزَّجَّاجُ: قوله: «وَفَّى» أبلَغُ مِنْ «وَفَى» لأنَّ الذي امتُحِنَ به مِنْ أعظمِ المِحَن. وللمُفسِّرين في الذي وَفَّى عشرةُ أقوالٍ:

[١٣٦٩] **أحدها**: أنه وَفَّى عملَ يومِه بأربعِ رَكعاتٍ في أولِ النهار، رواه أبو أُمامَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: أنه وَفَّى في كلماتٍ كان يقولُها.

[١٣٧٠] رَوى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أُخْبِرُكم لِمَ سمَّى اللهُ إبراهيمَ خليلَهُ الذي وَفَّى؟ لأنه كان يقول كلَّما أصبح وكلَّما أمسى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١) وختَمَ الآيةَ.

والثالث: أنه وَفَّى الطاعةَ فيما فعلَ بابنِه، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال القُرَظيُّ. **والرابع**: أنه وَفَّى ربَّه جميعَ شرائعِ الإسلام، رَوى هذا المعنى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه وَفَّى ما أُمِرَ به مِنْ تبليغ الرِّسالة، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والسادس**: أنه عَمِلَ بما أُمِرَ به، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وقال مُجاهِدٌ: وَفَّى ما فُرِضَ عليه. **والسابع**: أنه وَفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: «ألاّ تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى» وما بعدَها، وهذا مَرويٌّ عن عِكرمَةَ، ومُجاهِدٍ، والنَّخَعي. **والثامن**: وَفَّى شأنَ المَناسكِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والتاسع**: أنه عاهَدَ أنْ لا يَسألَ مخلوقاً شيئاً، فلمَّا قُذِفَ في النارِ قال له جِبريلُ، أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا، فوَفَّى بما عاهَدَ، ذكره عَطاءُ بنُ السَّائبِ. **العاشر**: أنه أدَّى الأمانةَ، قاله سُفيانُ بنُ عُيَينةَ.

ثم بَيَّنَ ما في صُحفِهما فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تَحمِلُ نَفسٌ حامِلةٌ حِمْلَ أُخرى؛ والمعنى: لا تؤخَذُ بإثمِ غيرِها. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا في صُحفِهما أيضاً ومعناه: ليس للإنسان إلاَّ جزاءُ سَعْيِهِ، إنْ عَمِلَ خيراً جُزِيَ عليه خيراً، وإنْ عَمِلَ شرّاً جُزِيَ شرّاً. واختلف العلماء في هذه الآيةِ على ثمانيةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

= إبراهيم بن هشام الغساني، وهو متروك. وتقدم.

[١٣٦٩] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٦١٨ من طريق الحسن بن عطية عن إسرائيل. وإسناده ضعيف جداً، فيه جعفر بن الزبير متروك، والقاسم يروي مناكير عن أبي أمامة. قال الإمام أحمد: روى علي بن يزيد عن القاسم أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم. وإسرائيل هو ابن يونس السّبيعي، والقاسم هو ابن عبد الرحمن. وقد ضعفه ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٢٥٨ والسيوطي في «الدر» ١٨٦.

[١٣٧٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٦١٧ وأحمد ٣/ ٤٣٩ و ٤١٩ والطبراني في «الكبير» ٢٠/ ١٩٢ وابن السني في «اليوم والليلة» ٧٨ من حديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعاً، ومداره على زبان بن فائد، وهو ضعيف، وشيخه سهل بن معاذ روى مناكير كثيرة، وهذا منها وقال الهيثمي: في «المجمع» ١٠/ ١٠٧: وفيه ضعفاء وثقوا اهـ.

---

(١) الروم: ١٧.

بِإِيمَٰنٍ﴾(١) فأُدخِلَ الأبناءُ الجَنَّةَ بصلاحِ الآباء، قاله ابنُ عباسٍ، ولا يصحُّ، لأنَّ لفظَ الآيتين لفظُ خبرٍ، والأخبارُ لا تُنسَخُ. **والثاني**: أنَّ ذلك كان لقوم إبراهيمَ وموسى، وأمَّا هذه الأُمَّةُ فلَهُم ما سَعَوا وما سَعى غيرُهم، قاله عِكرمَةُ. واستدلَّ بقولِ النبيِّ ﷺ للمرأةِ التي سألَتْهُ:

[١٣٧١] إنَّ أبي ماتَ ولم يَحُجَّ، فقال: «حُجِّي عنه».

والثالث: أنَّ المراد بالإِنسان هاهنا: الكافر، فأمَّا المؤمنُ، فله ما سَعى وما سُعِيَ له، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والرابع**: أنه ليس للإِنسان إلاَّ ما سَعى مِنْ طريق العَدْلِ، فأمَّا مِنْ باب الفَضْلِ، فجائزٌ أنْ يَزيدَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ما يشاء، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ. **والخامس**: أنَّ معنى «ما سَعى»: ما نَوى، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسادس**: ليس للكافر مِنَ الخير إلاَّ ما عمله في الدُّنيا، فيُثابُ عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خيرٌ، ذكره الثَّعَلبيُّ. **والسابع**: أنَّ اللامَ بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإِنسان إلاَّ ما سَعى. **والثامن**: أنه ليس له إلاَّ سَعيُه، غيرَ أنَّ الأسبابَ مختلفةٌ، فتارَةً يكون سَعيُه في تحصيلِ قرابةٍ ووَلَدٍ يَترحَّمُ عليه وصديقٍ، وتارَةً يسعى في خدمةِ الدِّينِ والعبادةِ، فيكتَسِبُ محبَّةَ أهلِ الدِّينِ، فيكون ذلك سبباً حصلَ بسَعْيهِ، حكى القولين شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِالله الزَّاغوني.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سوف يُعْلَمُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: سوف يَرى العَبدُ سَعيَهُ يومَ القيامة، أي: يَرى عملَهُ في ميزانِه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿يُجْزَىٰهُ﴾ الهاء عائدةٌ على السَّعي ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: الأكملَ الأتَمَّ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: مُنتهى العبادِ ومَرجِعُهم. قال الزَّجَّاجُ: هذا كُلُّه في صُحفِ إبراهيمَ وموسى. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾. قالت عائشةُ:

[١٣٧٢] مَرَّ رسولُ الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: «لو تَعْلَمونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكتُم قليلاً، ولبَكَيتُم كثيراً»، فنزلَ جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية، فرجعَ إليهم، فقال «ما خَطَوْتُ أربعينَ خطوةً حتى أتاني جِبريلُ، فقال: ائتِ هؤلاءِ فقُلْ لهم: إنَّ اللهَ يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾. وفي هذا تنبيهٌ على أنَّ جميعَ الأعمال بقضاءِ الله وقَدَرِه حتى الضَّحِكُ والبُكاءُ. وقال مُجاهِدٌ: أضْحَكَ أهلَ الجَنَّة. وأبكى أهلَ النَّارِ. وقال الضَّحَّاكُ: أضْحَكَ الأرضَ بالنباتِ وأبكى السماءَ بالمطرِ.

[١٣٧١] هو حديث الخثعمية، خرّجه الشيخان، وتقدم.

[١٣٧٢] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي ٧٧٣ من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي الإسناد مجاهيل، ودلال بنت أبي المدلّ والصهباء لم أعثر لهما على ترجمة، والله أعلم، والمتن غريب جداً.

---

(١) الطور: ٢١.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبَعثِ. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: الصِّنفَيْنِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ مِنْ جميع الحيوانات، ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إذا تُراقُ في الرَّحِم، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: إذا تُخلَق وتُقدَّر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وهي الخَلْقُ الثاني للبَعثِ يومَ القيامة. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أغنى بالكِفايةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بالمَعيشَةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: بالأموالِ، قاله أبو صالحٍ. **والرابع**: بالقناعةِ، قاله سُفيانُ. وفي قوله: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَرْضى بما أعطى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَخْدَمَ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: جعلَ للإنسان قِنْيَةً، وهو أصلُ مالٍ. قاله أبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: هو الكوكبُ الذي يَطْلُع بعدَ الجَوْزاءِ، وكان ناسٌ مِنَ العرب يَعبدُونها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «عاداً الأولى» منوَّنةً. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو: «عاداً لُولى» موصولةً مُدغَمةً. ثم فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم قومُ هُودٍ، وكان لهم عَقِبٌ فكانوا عاداً الأخرى، هذا قول الجمهور. **والثاني**: أنَّ قومَ هُودٍ هم عادٌ الأُخرى، وهم مِنْ أولاد عادٍ الأُولى، قاله كَعبُ الأحْبارِ، وقال الزَّجَّاجُ: وفي «الأولى» لُغاتٌ، أجوَدُها سكونُ اللام وإثباتُ الهمزة، والتي تَليها في الجودَةِ ضمُّ اللام وطَرْحُ الهمزة، ومِنَ العرب مَنْ يقول: لُولى، يريد: الأُولى، فتطرحُ الهمزة لِتحرُّكِ اللاَّم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ عادٍ وثَمودَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ مِنْ غيرهم، لِطُولِ دعوةِ نُوحٍ إيَّاهُم، وعُتوِّهم. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قُرى قوم لُوطٍ ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: أسقَطَ، وكان الذي تولَّى ذلك جِبريلُ بعدَ أن رَفَعَها، وأتبعَهُم الله بالحجارة، فذلك قوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ أي: ألبَسَها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ يعني الحجارة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا خطابٌ للإنسان، لمَّا عدَّدَ الله ما فعَلَهُ ممَّا يَدلُّ على وَحدانيَّتِه قال: فبأيِّ نِعَم ربِّكَ التي تدلُّ على وَحدانيَّتِه تَتشكَّكُ؟ وقال ابنُ عباسٍ: فبأيِّ آلاءِ ربِّكَ تُكذِّبُ يا وَليدُ، يعني الوليد ابنَ المُغيرةِ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه القرآنُ، نذيرٌ بما أنذرَتِ الكُتبُ المتقدِّمةُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ، نذيرٌ بما أنذرَتْ به الأنبياءُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ أي: دَنَتِ القيامةُ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إذا غَشِيَتِ الخَلْقَ شَدائِدُها وأهوالُها لم يَكْشِفْها أحدٌ ولم يردَّها، قاله عَطاءٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ليس لعِلْمِها كاشِفٌ دونَ الله، أي: لا يَعلَمُ عِلْمَها إلاَّ الله، قاله الفرَّاءُ، قال: وتأنيثُ «كاشِفة» كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[1] يريد: مِن بقاءٍ؛ والعافيةُ والباقيةُ والنَّاهيةُ كُلُّه في معنى المصدرِ. وقال غيره: تأنيثُ «كاشِفة» على تقدير: «نَفسٌ كاشِفةٌ».

---

(١) الحاقة: ٨.

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ ممَّا فيه مِنَ الوعيدِ؟! ويعني بهذا كفَّارَ مكَّةَ. ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ. **أحدها**: لاهُونَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الفَرَّاءُ والزَّجَّاجُ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: دَعْ عنكَ سُمُودَكَ، أي: لَهْوَكَ. **والثاني**: مُعْرِضُونَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الغِناءُ، وهي لغةٌ يمَانِيَّةٌ، يقولون: اسْمُدْ لنا، أي: تَغَنَّ لنا، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال عِكرمَةُ: هو الغِناءُ بالحِمْيَرِيَّة. **والرابع**: غافِلُون، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أَشِرُونَ بَطِرُونَ، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه سُجودُ التِّلاوةِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: سُجودُ الفَرْضِ في الصَّلاةِ. قال مُقاتِلٌ: يعني بقولِه: «فاسْجُدوا»: الصَّلواتُ الخَمْسُ.

وفي قوله: ﴿وَاعْبُدُوا﴾ قولان: **أحدهما**: أنه التَّوحيدُ. **والثاني**: العِبادةُ.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٧٢: قال علماؤنا رضي الله عنهم: لم يختلف قول مالك إن سجدة النجم ليست من عزائم القرآن، وأما ابن وهب رآها من عزائمه، وكان مالك يسجدها في خاصة نفسه. وقال أبو حنيفة والشافعي: هي من عزائم السجود، وهو الصحيح.

سُورَةُ القَمَر

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

وهي مكّيَّةٌ بإجماعِهم، وقال مُقاتِلٌ: مكّيَّةٌ غيرَ آيةِ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾(١)، وحُكِيَ عنه أنه قال: إلاَّ ثلاثَ آياتٍ، أوَّلُها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾﴾

[١٣٧٣] قال ابنُ عباسٍ: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنْ كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمرَ فِرْقَتَيْنِ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ «إنْ فعلتُ تُؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأَلَ رسولُ الله ﷺ ربَّه أنْ يُعطيَه ما قالوا، فانشقَّ القمرُ فِرْقَتَيْنِ، ورسولُ الله ﷺ ينادي: «يا فُلانُ يا فُلانُ اشهَدُوا»، وذلك بمكَّةَ قبل الهجرة.

[١٣٧٤] وقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في (صحيحيهما) مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسول الله ﷺ شِقَّتين، فقال رسولُ الله ﷺ: «اشْهَدوا». وقد رَوى حديثَ الانشقاق جماعةٌ منهم: عبدُالله بنُ عمرَ وحُذَيفةُ وجُبَيرُ بنُ مُطْعِمٍ وابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ.

[١٣٧٣] أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٢٠٩ من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس بهذا اللفظ، وفي الطريق عن عطاء، ابن جريج، وهو مدلس، وقد عنعن، وفي الطريق عن الضحاك مقاتل. وقد ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٧٧ فقال: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس بهذا اللفظ، ولم أره في «الحلية». وضعفه الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨١. لكن أصل الحديث صحيح، انظر الآتي. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٧٣٦ بتخريجنا.

[١٣٧٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٤ عن مسدد به، من حديث ابن مسعود. وأخرجه البخاري ٣٨٦٩ و ٣٨٧١ ومسلم ٢٨٠٠ح ٤٤ والترمذي ٣٢٨٥ وأحمد ١/ ٤٤٧ والطبري ٣٢٦٩٤ وابن حبان ٦٤٩٥ والطبراني ٩٩٩٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٥ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٦ و ٤٨٦٥ والترمذي ٣٢٨٧ وأبو يعلى ٤٩٦٨ وأحمد ١/ ٣٧٧ وأبو يعلى ٤٩٦٨ والبيهقي ٢/ ٢٦٤ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٠٦ من طريق ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر به. وورد من حديث جبير بن مطعم أخرجه أحمد ٤/ ٨١ ـ ٨٢ وابن حبان ٦٤٩٧ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٨ والطبري ٣٢٧٠٥. وورد من حديث ابن عمر أخرجه مسلم =

---

(١) القمر: ٤٥.
(٢) القمر: ٤٤ ـ ٤٦.

وعلى هذا جميعُ المُفسِّرين، إلاَّ أنَّ قوماً شذُّوا فقالوا: سَيَنْشَقُّ يومَ القيامة. وقد رَوى عُثمانُ بنُ عطاءٍ عن أبيه نحوَ ذلك، وهذا القول الشَّاذُّ لا يُقاوِم الإجماعَ، ولأنَّ قوله: ﴿وَانشَقَّ﴾ لفظُ ماضٍ، وحَمْلُ لفظِ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينةٍ تنقُلُه ودليلٍ، وليس ذلك موجوداً. وفي قوله: «وإن يَروا آيةً يُعْرِضوا» دليلٌ على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿اقْتَرَبَتِ﴾: دَنَتْ؛ و﴿السَّاعَةُ﴾ القيامة. وقال الفرَّاءُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: انشقَّ القمرُ واقتربَتِ الساعةُ. وقال مُجاهِدٌ: انشقَّ القمرُ فصار فِرقَتَيْنِ، فثَبَتَتْ فِرقَةٌ، وذهبت فِرقَةٌ وراءَ الجبل. وقال ابنُ زيدٍ: لمَّا انشقَّ القمرُ كان يُرى نصفُه على قُعَيقِعَانَ، والنصفُ الآخرُ على أبي قُبَيسٍ.

[١٣٧٥] قال ابنُ مسعودٍ: لمَّا انشقَّ القمرُ قالت قُريشٌ: سَحَركُم ابنُ أبي كَبْشَةَ، فاسْأَلُوا السُّفَّارَ، فسأَلُوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ أي: آية تدُلُّهم على صِدْقِ الرسول، والمراد بها ها هنا: انشقاقُ القمرِ ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ذاهبٌ، مِنْ قولِهم: مَرَّ الشيءُ واستَمرَّ: إذا ذهبَ، قاله مُجاهِدٌ وقَتادَةُ والكِسائيُّ والفرَّاءُ؛ فعَلَى هذا يكون المعنى: هذا سِحْرٌ، والسِّحرُ يذهب ولا يَثْبُتُ. **والثاني**: شديدٌ قويٌّ، قاله أبو العَاليةِ والضَّحَّاكُ وابنُ قُتَيبةَ، قال: وهو مأخوذٌ مِنَ المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْلُ. **والثالث**: دائمٌ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا﴾ يعني كذَّبوا النبيَّ ﷺ وما عاينوا مِنْ قُدرَةِ الله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ما زَيَّنَ لهم الشيطانُ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ كُلَّ أمرٍ مُستقِرٌّ بأهله، فالخيرُ يستقِرُّ بأهلِ الخير، والشرُّ يستقِرُّ بأهل الشرِّ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: لكلِّ حديثٍ مُنتهىً وحقيقةٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ قرارَ تكذيبِهم مُستقِرٌّ، وقرارَ تصديق المُصدِّقين مُستقِرٌّ حتى يعلموا حقيقتَهُ بالثَّواب والعقاب، قاله الفرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي: مِنْ أخبار الأُممِ المُكذِّبةِ في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: مُتَّعَظٌ ومُنتَهىً.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي مرفوعةٌ لأنها بدلٌ مِنْ «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حِكمةٌ بالِغَةٌ. وإنْ شئتَ رفعتَهُما بإضمارٍ: هو حِكمةٌ بالِغَةٌ. و«ما» في قوله ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾

= ٢٨٠١ والترمذي ٣٢٨٨ والطيالسي ١٨٩١ وابن حبان ٦٤٩٨ والطبراني ١٣٤٧٣. ومن حديث حذيفة: أخرجه الحاكم ٤/ ٦٠٩ والطبري ٣٢٧٠٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ومن حديث ابن عباس. أخرجه البخاري ٤٨٦٦ ومسلم ٢٨٠٣ عن ابن عباس: إن القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ. ومن حديث أنس بن مالك: أخرجه البخاري ٣٨٦٨ عن عبد الله بن عبد الوهاب به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٧ وأحمد ٣/ ٢٢٠ والطبري ٣٢٦٩٣ من طرق عن سعيد بن أبي عروبة به. وأخرجه مسلم ٢٨٠٢ والترمذي ٣٢٨٢ وأحمد ٣/ ١٦٥ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة به وأخرجه البخاري ٤٨٦٨ ومسلم ٢٨٠٢ح ٤٧ وأحمد ٣/ ٢٧٥ والطبري ٣٢٦٩٠ و ٣٢٦٩٢ وأبو يعلى ٢٩٢٩ والطيالسي ٢٤٤٩ من طرق عن شعبة عن قتادة به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٧ و ٤٨٦٧ ومسلم ٢٨٠٢ وأحمد ٣/ ٢٠٧ وأبو يعلى ٣١١٣ من طرق عن شيبان عن قتادة به.

[١٣٧٥] صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٦٩٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٦ والواحدي في «الأسباب» ٧٧٤ من طريق المغيرة عن أبي الضحى به وإسناده على شرط الصحيح.

جائزٌ أن يكونَ استفهاماً بمعنى التَّوبيخ، فيكون المعنى: أيّ شيءٍ تُغني النُّذر؟! وجائزٌ أن يكونَ نفياً، على معنى، فليستْ تُغني النُّذُرُ. قالَ المفسِّرون: والمعنى: جاءَهُم القرآنُ وهو حِكْمةٌ تامَّةٌ قد بلغت الغايةَ، فما تُغني النُّذُرُ إذا لم يُؤمِنوا؟!

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: هذا وقفُ التَّمام، و ﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: «يخرُجون من الأجداث». وقال مُقاتِلٌ: فَتَوَلَّ عنهم إلى يوم ﴿يَدْعُ الدَّاعي﴾ أثبتَ هذه الياءَ في الحالين يعقوبُ؛ وافقَهُ أبو جعفرَ، وأبو عمروٍ في الوَصْلِ، وحَذَفَها الأكثرون في الحالين. و«الدَّاعي»: إسرافِيلُ ينفُخُ النَّفخَة الثانية ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «نُكْرٍ» خفيفةً؛ أي: إلى أمرٍ فظيعٍ. وقال مُقاتِلٌ: «النُّكُر» بمعنى المُنكَرِ، وهو القيامة، وإنَّما يُنكِرونَهُ إعظاماً له. والتَّولِّي المذكورُ في الآيَةِ مَنسُوخٌ عند المُفسِّرين بآية السيفِ.

قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ قرأ أهلُ الحِجازِ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ: «خُشَّعاً» بضمِّ الخاء وتشديدِ الشين مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خاشِعاً» بفتح الخاء وألِفٍ بعدَها وتخفيفِ الشين. قال الزَّجّاجُ: المعنى: يَخرُجون خُشَّعاً، و «خاشِعاً» منصوبٌ على الحالِ، وقرأ ابنُ مسعودٍ: «خاشعةً»؛ ولكَ في أسماء الفاعِلين إذا تقدَّمت على الجماعة التوحيدُ والتأنيثُ والجمعُ؛ تقول: مررتُ بشُبَّانٍ حَسَنٍ أوجُهُهم، وحِسَانٍ أوجُهُهم، وحَسَنَةٍ أوجُهُهم، قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إيادِ بْنِ نِزارِ بْنِ مَعَدّ[1]

قال المُفسِّرون: والمعنى أنَّ أبصارَهم ذليلةٌ خاضِعَةٌ عند رؤية العذاب. والأجْداثُ: القبور، وإنما شبَّهَهُم بالجرادِ المُنتَشِرِ، لأنَّ الجَرادَ لا جِهةَ له يَقْصِدُها، فهو أبداً مُختلِفٌ بعضُه في بعضٍ، فهم يخرُجون فَزِعِينَ ليس لأحدٍ منهم جِهةٌ يَقْصِدُها. والدَّاعي: إسرَافِيلُ. وقد أثبتَ ياءَ «الدَّاعي» في الحالين ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ؛ تابعهما في الوَصْلِ نافعٌ، وأبو عمروٍ؛ والباقون بحذفِها في الحالين. وقد بيَّنَّا معنى «مُهْطِعين» في سُورةِ إبراهيم[2]. والعَسِرُ: الصَّعبُ الشَّديدُ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادي كما في «تفسير القرطبي» ١٧/ ١١٥.

(٢) إبراهيم: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبلَ أهلِ مكَّة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نُوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ قال أبو عُبيدَة: افتُعِلَ مِنْ زُجِرَ. قال المُفسِّرون: زَجَروه عن مقالَتِه ﴿فَدَعَا﴾ عليهم نُوحٌ ﴿رَبَّهُ﴾ بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أي: فانتقِمْ لي ممَّن كذَّبني. قال الزَّجَّاجُ: وقرأ عيسى بنُ عمر النَّحويّ: «إنِّي» بكسرِ الألف، وفسَّرَها سِيْبَويه فقال: هذا على إرادة القولِ، فالمعنى: قال: إنِّي مغلوبٌ؛ ومَنْ فتحَ، وهو الوجه، فالمعنى: دَعا ربَّه بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ «ففتَّحنا» بالتشديد. فأمَّا المُنْهَمِر، فقال ابنُ قُتَيبَة: هو الكثير السريعُ الانصِبابِ، ومنه يُقال: هَمرَ الرجُلُ: إذا أكثرَ مِنَ الكلام وأسرَعَ. وروَى عليٌّ رضي الله عنه أنَّ أبواب السماء فُتِحَتْ بالماء مِنَ المَجَرَّة، وهي شَرَجُ السماء. وعلى ما ذَكرنا مِنَ القصة في هود[1] أنَّ المطرَ جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾. قال المُفسِّرون: جاءهم الماءُ مِنْ فوقِهم أربعينَ يوماً، وفُجِّرت الأرضُ مِنْ تحتِهم عيوناً أربعينَ يوماً. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحْدَري: «المآءان» بهمزةٍ وألفٍ ونونٍ مكسورةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «المايانِ» بياءٍ وألفٍ ونونٍ مكسورةٍ مِنْ غير همزٍ. وقرأ الحسَنُ وأبو عِمرانَ: «الماوانِ» بواوٍ وألفٍ وكسرِ النون. قال الزَّجَّاجُ: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأنَّ اسمَ الماء اسمٌ يجمع ماءَ الأرض وماءَ السماء. قوله تعالى: ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كان قَدْرُ ماءِ السماء كقَدْرِ ماءِ الأرض، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: قد قُدِرَ في اللَّوحِ المَحفوظِ، قاله الزَّجَّاجُ. فيكون المعنى: على أمرٍ قد قُضِيَ عليهم، وهو الغرقُ.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ يعني نُوحاً ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ. أي: على سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ. قال المُفسِّرون: ألواحُها: خشباتُها العريضة التي منها جُمِعَتْ. وفي الدُّسُرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَسامير، رواه الوالِبيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والقُرَظيُّ، وابنُ زيدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الدُّسُر: المساميرُ والشُّرُطُ التي تُشَدُّ بها الألواحُ، وكلُّ شيءٍ نحو السَّمْرِ أو إدخالِ شيءٍ في شيءٍ بقوَّةٍ وشِدَّةٍ قَهرٍ فهو دَسْرٌ، يقال: دَسَرْتُ المِسمارَ أدْسُرُه وأدْسِرُه. والدُّسُر: واحدها دِسار، نحو حِمار، وحُمُر. **والثاني**: أنه صَدْرُ السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدْسُر الماءَ، أي: يدفَعُه، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ وعِكرِمَةُ؛ ومنه الحديث في العَنْبَرِ أنه شيءٌ دَسَرَهُ البحرُ، أي: **دفَعَهُ**. **والثالث**: أنَّ الدُّسُرَ: أضلاعُ السفينة، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ الدُّسُرَ: طَرفاها وأَصلُها، والألواح: جانِباها، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمَنْظَرٍ ومَرْأىً مِنَّا ﴿جَزَاءً﴾ قال الفَرَّاءُ: فَعَلْنا به وبهم ما فَعَلنا مِنْ إنجائِه وإغراقِهم ثواباً لِمَنْ كُفِرَ به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وهو مذهبُ مُجاهِدٍ، فيكون المعنى: عُوقِبوا للَّهِ ولِكُفرِهم به. **والثاني**: أنه نُوحٌ كُفِرَ به وجُحِدَ أمْرُه، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنَّ «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاءً لِمَا كان كُفِرَ مِنْ نِعَمِ الله عند الذين أغرَقَهم، حكاه ابنُ جَريرٍ. وقرأ قَتادَةُ: «لِمَنْ كان كَفَرَ» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾ في المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: أنها السفينة، قال قَتادَةُ: أبقاها اللَّهُ على الجُودي حتى أدرَكَها أوائلُ هذه الأُمَّةِ. **والثاني**: أنها الفَعْلَةُ، فالمعنى: تركنا هذه الفَعْلَةَ وأمرَ سفينةِ

---

(١) هود: ٤٤.

نوح «آيةً»، أي: علامة ليُعتبَرَ بها، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وأصله مُذتكِر، فأُبدِلت التاءُ دالاً على ما بيَّنَّا في قولِه: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1]. قال ابنُ قُتَيبة: أصله: مذتَكِر، فأدغِمت التاءُ في الذال ثم قُلِبت دالاً مشدَّدةً. قال المُفسِّرون: والمعنى: هل مِنْ مُتذكِّر يَعتبرُ بذلك؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وفي هذه السُّورةِ «ونُذُر» ستةُ مواضعَ، أثبتَ الياءَ فيهنَّ في الحالَيْنِ يعقوبُ، تابعهُ في الوَصْلِ وَرْشٌ، والباقون بحَذْفِها في الحالين. وقوله: «فكيف كان عذابي» استفهامٌ عن تلك الحالةِ، ومعناه التعظيمُ لذلك العذاب. قال ابنُ قُتَيبةَ: والنُّذُر ها هنا جمع نذيرٍ، وهو بمعنى الإنذار، ومثله النَّكِيرُ بمعنى الإنكار. قال المُفسِّرون: وهذا تخويفٌ لِمُشركي مكَّةَ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي بسهَّلْناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي للحِفظِ والقراءةِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي مِنْ ذاكرٍ يذكُره ويقرؤُه؛ والمعنى: هو الحَثُّ على قراءتِه وتعلُّمِه، قال سعيدُ بنُ جُبَير: ليس مِنْ كُتبِ الله كتابٌ يُقرأُ كلُّه ظاهراً إلاَّ القرآنُ. وأمَّا الرِّيح الصَّرْصَرُ، فقد ذكرناها في حَم السَّجدَةِ[2].

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ قرأ الحسَنُ: «في يومٍ» بالتنوين، على أنَّ اليومَ مَنعوتٌ بالنَّحسِ. والمُستَمِرُّ: الدائمُ الشُّؤمِ، استمرَّ عليهم بنُحُوسِه. وقال ابنُ عباسٍ: كانوا يتشاءَمُون بذلك اليومِ. وقيلَ: إنه كان يومَ أربعاء في آخرِ الشهرِ. ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ أي: تَقلعهُم مِنَ الأرض مِنْ تحتِ أقدامِهم فتصرَعُهم على رِقابِهم فتدُقُّ رقابَهم فتُبين الرَّأسَ عن الجسد، فـ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّمَيفَع: «أعْجُزُ نَخلٍ» برفعِ الجيم مِنْ غيرِ ألِفٍ بعد الجيم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمرانَ: «كأنَّهم عُجُز نخل» بضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصولُ نخلٍ ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ أي: مُنقَلِع. وقال الفرَّاءُ: المُنقَعِر: المُنصَرِعُ مِنَ النَّخلِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: قَعَرْتُه فانقَعَر، أي قَلَعتُهُ فسقَطَ. قال أبو عُبيدَةَ: والنَّخلُ يُذكَّر ويؤنَّث، فهذه الآيةُ على لُغةِ مَنْ ذَكَّرَ، وقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[3] على لُغةِ مَنْ أنَّثَ. وقال مُقاتِلٌ: شبَّهَهُم حين وَقعوا مِنْ شِدَّة العذاب بالنَّخلِ السَّاقطةِ التي لا رؤوسَ لها، وإنَّما شبَّهَهُم بالنَّخلِ لِطُولِهم، وكان طولُ كلِّ واحدٍ منهم اثني عشرَ ذِراعاً.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ نذيرٍ. وقد بيَّنَّا أنَّ مَنْ كذَّب نبيّاً واحداً فقد كذَّبَ الكلَّ. **والثاني**: أنَّ النُّذُرَ بمعنى الإنذار كما بيَّنَّا في قوله: «فكيف كان عذابي ونُذُرِ»؛ **فكأنَّهم** كذَّبوا الإنذارَ الذي جاءَهم به صالحٌ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ والذي ظهرَ تفسيرُه، المعنى: أَنَتَّبِعُ بَشَراً مِنَّا ﴿وَاحِدًا﴾، قال المُفسِّرون: قالوا: هو آدميٌّ مِثْلَنا، وهو

(١) يوسف: ٤٥. (٢) فصلت: ١٦٠. (٣) الحاقة: ٧.

واحدٌ فلا نكون له تَبَعاً ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: خطإٍ وذهابٍ عن الصَّوابِ ﴿وَسُعُرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي: جُنون. قال ابنُ قُتيبة: هو مِنْ تَسعَّرتِ النَّارُ: إذا التهبَتْ، يقال: ناقةٌ مَسْعُورةٌ، أي: كأنَّها مجنونةٌ مِنَ النشاط. وقال غيره: لَفِي شَقاءٍ وعَناءٍ لأجلِ ما يلزمنا مِنْ طاعتِه.

ثم أنكروا أنْ يكونَ الوحيُ يأتيه فقالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ أي: أُنزِلَ الوَحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف خُصَّ مِنْ بيننا بالنبوة والوحي؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المَرِحُ المُتكبِّرُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: البَطِرُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ: «سَتعلمون» بالتاء «غداً» فيه قولان:

أحدهما: يومُ القيامةِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: عند نزولِ العذاب بهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ وذلك أنهم سألوا صالحاً أنْ يُظْهِرَ لهم ناقةً مِنْ صخرةٍ، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: مُخرِجُوها كما أرادوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: مِحنةً واختِباراً ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي فانتظِرْ ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يُصيبُكَ مِنَ الأذى، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بينَ ثَمُودَ وبينَ النَّاقةِ، يومٌ لها ويومٌ لهم، فذلك قوله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يَحضرُهُ صاحبُه ويَستحِقُّه. قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ واسمهُ قُدارُ بنُ سالفٍ ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: تعاطى عَقْرَ النَّاقةِ ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: قَتَلَ؛ وقد بيَّنا هذا في الأعراف[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصَّتِهم في هود[2] ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الرَّجُلُ يجعل لِغَنَمِه حظيرةً بالشَّجرِ والشَّوكِ دونَ السِّباعِ، فما سقطَ مِنْ ذلك وداسَتْهُ الغنمُ، فهو الهَشِيمُ. وقد بيَّنَّا معنى «الهَشِيم» في الكهف[3]. وقال الزَّجَّاجُ: الهَشِيم: ما يَبِسَ مِنَ الوَرَقِ وتكسَّرَ وتحطَّمَ، والمعنى: كانوا كالهَشِيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرةِ بعدَ أنْ بلغَ الغايةَ في الجَفافِ، هو يُجمعُ لِيُوقَدَ. وقرأ الحسَنُ: «المُحتظَرِ» بفتح الظاء، وهو اسمُ الحظيرةِ؛ والمعنى: كهَشِيم المكان الذي يُحتظَرُ فيه الهَشِيمُ مِنَ الحَطبِ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو الترابُ الذي يتناثَرُ مِنَ الحِيطَان. وقال قَتادةُ: كالعِظامِ النَّخرةِ المُحترِقةِ. والمراد مِنْ جميع ذلك: أنهم بادُوا وهَلَكوا حتى صاروا كالشيءِ المُتحطِّمِ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ قال المُفسِّرون: هي الحجارةُ التي قُذِفوا بها ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني لُوطَ وابنتَيْهِ ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾ مِنْ ذلك العذاب ﴿بِسَحَرٍ﴾ قال الفرَّاءُ: «سَحَرٍ» ها هنا يجري لأنه نكرةٌ، كقوله: نجَّيناهُم بلَيْلٍ، فإذا أَلقَتِ العربُ منه الباءَ لم يَجْرِ، لأنَّ لفظَهُم به بالألف واللام، يقولون: ما

(١) الأعراف: ٧٧. (٢) هود: ٦١. (٣) الكهف: ٤٥.

زالَ عندَنا منذُ السَّحَر، لا يكادون يقولون غيرَه، فإذا حُذِفَتْ منه الألفُ واللامُ لم يُصْرَفْ. وقال الزَّجَّاجُ: إذا كان السَّحَرُ نكرةً يراد به سَحَرٌ مِنَ الأسحارِ، انصرَفَ، فإذا أردتَ سَحَرَ يومِكَ، لم ينصَرِفْ. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ قال مُقاتِلٌ: مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تعالى لم يُعذَّبْ مع المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ أي: طَلَبوا أنْ يُسَلِّمَ إليهم أضيافَهُ، وهم الملائكة ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ وهو أنَّ جِبريلَ ضربَ أعيُنَهم بجناحِه فأذهبَها. وقد ذكرنا القصَّةَ في سُورَةِ هُود[1]. وتَمَّ الكلامُ ها هنا، ثم قال: ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فَقُلنا لقوم لُوطٍ لما جاءهم العذابُ: ذُوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: ما أنذرَكم به لُوطٌ، ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: نازلٌ بهم. قال مُقاتِلٌ: استقرَّ بهم العذابُ بُكْرَةَ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تُجري «غُدوة» و «بُكرة» ولا تُجريهما، وأكثرُ الكلام في «غُدوة» تَرْكُ الإجراءِ، وأكثرُ في «بكرة» أنْ تُجرى، فمَنْ لم يُجرِها جعلَها مَعرِفةً، لأنها اسمٌ يكون أبداً في وقتٍ واحدٍ بمنزلةِ «أمسِ» و «غدٍ»، وأكثرُ ما تُجري العربُ «غُدوةً» إذا قُرِنَتْ بعشيَّةٍ، يقولون: إني لآتِيهم غُدوةً وعشيَّةً، وبعضُهم يقول: «غُدوة» فلا يُجريها و «عشيَّة» فيُجريها، ومنهم مَنْ لا يُجري «عشيَّة» لكثرة ما صَحِبَتْ «غُدوةَ». وقال الزَّجَّاج: الغُدوةُ والبُكرَةُ إذا كانتا نكِرتَيْنِ نُوِّنَتا وصُرِفَتا، فإذا أردتَ بهما بُكرةَ يومِكَ وغداةَ يومِكَ، لم تصرِفْهُما، والبُكرةُ ها هنا نكِرةٌ، فالصَّرفُ أجودُ، لأنه لم يَثْبُت روايةٌ في أنه كان في يومِ كذا في شهرِ كذا.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ يعني القِبطَ ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ نذيرٍ، وهي الآياتُ التي أنذرَهُم بها موسى. **والثاني**: أنَّ النُّذُرَ بمعنى الإنذارِ؛ وقد بيَّنّاهُ آنِفاً. ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب ﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ أي: غالبٍ في انتقامه ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ قادرٍ على هلاكِهم. ثم خوَّفَ أهلَ مكَّةَ فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ يا مَعشَرَ العربِ ﴿خَيۡرٞ﴾ أي: أشَدُّ وأقوى ﴿مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ وهذا استفهامٌ معناه الإنكارُ؛ والمعنى: ليسوا بأقوى مِنْ قومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، وقد أهلَكْناهُم ﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ﴾ مِنَ العذاب أنه لا يُصيبَكُم ما أصابَهم ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: في الكُتُبِ المُتقدِّمَةِ، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾ المعنى: أيَقُولون: نحن يَدٌ واحدةٌ على مَنْ خالَفَنا فَنَنْتَصِر منهم؟ وإنَّما وحَّدَ المُنْتَصِرَ لِلَفظِ الجميع، فإنه على لفظِ «واحد» وإنْ كان اسماً للجماعة ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ وروى أبو حاتِم بنُ يعقوبَ: «سنهزم» بالنُّون، «الجمعَ» بالنَّصبِ، «وتولّون» بالتاء، ويعني بالجمع: جمعَ كفَّارِ مكَّةَ ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ولم يَقُلْ: الأدبار، وكِلاهما جائزٌ؛ قال الفَرَّاءُ: مِثلُه أنْ يقولَ: إنَّ فُلاناً لَكَثيرُ الدِّينارِ والدِّرهَمِ. وهذا مما أخبرَ اللَّهُ به نبيَّهُ مِنْ عِلْمِ الغَيبِ، فكانت الهزيمةُ يومَ بدرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾ قال مُقاتِلٌ: هي أفظَعُ ﴿وَأَمَرُّ﴾ مِنَ القَتْلِ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الدَّاهِيَةِ: الأمرُ الشديدُ الذي لا يُهتَدى لِدَوائِه؛ ومعنى «أمَرُّ»: أشَدُّ مرارةً مِنَ القَتْلِ والأَسْرِ.

---

(١) هود: ٨١.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٧٦] **أحدهما**: أنَّ مشركي مكّةَ جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ يُخاصِمونَ في القَدَرِ، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾، انفرَدَ بإخراجه مُسلِمٌ مِنْ حديث أبي هُريرَة.

[١٣٧٧] وروى أبو أُمامةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في القَدَريَّةِ».

[١٣٧٨] **والثاني**: أنَّ أُسْقُفَ نَجْرانَ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمَّدُ تَزعُمُ أنَّ المعاصي بقَدَرٍ، وليس كذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أنتُم خُصَماءُ اللَّهِ»، فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾، قاله عطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿وَسُعُرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الجُنون. **والثاني**: العَناءُ، وقد ذكرناهما في صَدْرِ السُّورَةِ. **والثالث**: أنه نارٌ تَستَعِرُ عليهم، قاله الضَّحّاكُ. فأمّا ﴿سَقَرَ﴾ فقال الزَّجّاجُ: هي اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ لا ينصَرِفُ لأنها معرفةٌ، وهي مؤنَّثةٌ. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ قال: سَقَر: اسمٌ لِنارِ الآخرة أعجَميٌّ، ويُقال: بل هو عربيٌّ، مِنْ قولهم: سَقَرَتْه الشمسُ: إذا أذابَتْهُ، سُمِّيتْ بذلك لأنها تُذيبُ الأجسامَ. وروى عمرُ بنُ الخَطّابِ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال:

[١٣٧٩] «إذا جَمَعَ اللَّهُ الخَلائقَ يومَ القيامة أَمَرَ مُنادياً فنادَى نِداءً يَسمعُهُ الأوَّلون والآخِرُون: أينَ خُصَماءُ اللَّهِ؟ فتقومُ القَدَريَّةُ، فيُؤمَرُ بهم إلى النَّارِ، يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾».

وإنما قيلَ لهم: «خُصَماءُ اللَّهِ» لأنهم يُخاصِمونَ في أنه لا يجوز أنْ يُقَدِّرَ المعصيةَ على العَبْدِ ثم يُعذِّبُه عليها. وروى هِشامُ بنُ حسّانَ عن الحَسنِ قال: واللَّهِ لو أنَّ قَدَريّاً صامَ حتى يصيرَ كالحَبْلِ، ثم صَلَّى حتى يَصيرَ كالوَتَرِ، ثم أُخِذَ ظُلماً وزوراً حتى ذُبِحَ بينَ الرُّكْنِ والمقام لَكَبَّهُ اللَّهُ على وَجْهِه في سَقَر

[١٣٧٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٦ والترمذي ٢١٥٧ و ٣٢٩٠ وابن ماجة ٨٣ والطبري ٣٢٨٣٤ والبغوي في «شرح السنة» ٨٠ من طرق عن سفيان الثوري من حديث أبي هريرة. وأخرجه الطبري ٣٢٨٣٣ والواحدي في «الأسباب» ٧٧٥ من طريقين عن سفيان الثوري به.

[١٣٧٧] ضعيف جداً، أخرجه الواحدي في «الأسباب» ٧٧٦ من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف جداً، لأجل عفير بن معدان، فإنه متروك.

[١٣٧٨] باطل، أخرجه الواحدي ٧٧٧ في «أسبابه» عن بحر السقاء عن شيخ من قريش عن عطاء مرسلاً، وهو ضعيف جداً. بحر السقاء واهٍ، وفيه شيخ لم يسمّ، وهو مرسل أيضاً والمتن باطل، فالسورة مكية بإجماع، وأخبار اليهود والنصارى وسآلاتهم مدنية.

[١٣٧٩] لم أقف عليه، وأمارة الوضع لائحة عليه. وورد مختصراً من حديث عمر دون ذكر الآية، أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢١٩ وفيه عنعنة بقية بن الوليد، فهذه علة وفي الإسناد من لم يسمّ.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

[١٣٨٠] وروى مُسلِمٌ في أفرادِه مِن حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى العَجْزُ والكَيْسُ».

وقال ابنُ عباسٍ: كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى وَضْعُ يدِكَ على خدِّكَ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «بقَدَرٍ» أي: كلُّ شيءٍ خلقناه بقَدَرٍ مكتوبٍ في اللَّوحِ المَحفُوظِ قبلَ وقوعِه، ونَصْبُ «كُلَّ شيءٍ» بفعلٍ مُضمَرٍ؛ المعنى: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: إلاَّ مرَّةً واحدةً، وكذلك قال مُقاتِلٌ: مرَّةٌ واحدةٌ لا مَثنَويَّةَ لها. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: يريد: إنَّ قضائي في خَلْقي أسرَعُ مِنْ لَمْحِ البصرِ. وقال ابنُ السَّائبِ: المعنى: وما أَمْرُنا بمجيءِ الساعةِ في السُّرعة إلاَّ كلَمْحِ البصرِ. ومعنى اللَّمْحِ بالبَصرِ: النَّظَرُ بسرعةٍ. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهَكُم ونُظراءَكُم في الكُفرِ مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي مُتَّعِظٍ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني الأُمَمَ. وفي ﴿الزُّبُرِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه كُتُبُ الحَفَظةِ. **والثاني**: اللَّوحُ المَحفوظُ. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: مِنَ الأعمال المُتقدِّمةِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوبٌ، قال ابنُ قُتَيبةَ: هو «مُفتَعَل مِنْ «سَطَرْتُ»: إذا كَتَبْتَ، وهو مِثل «مَسْطُور». قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: في جناتٍ وأنهارٍ، والاسمُ الواحدُ يَدلُّ على الجميع، فيُجتَزَأ به مِنَ الجميع. أنشد سِيبَوَيه والخَليلُ:

بها جِيَفُ الحَسْرَى، فأمَّا عِظامُها ... فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ

يريد: وأمَّا جُلُودها، ومِثلُه:

في حَلْقِكُم عَظْمٌ وقد شَجِينا

ومِثلُه:

كُلُوا في نِصْفِ بطْنِكُمُ تَعِيشُوا

وحكى ابنُ قُتَيبةَ عن الفَرَّاءِ أنه وُحِّدَ لأنه رأسُ آيةٍ، فقابلَ بالتوحيد رُؤوسَ الآيِ، قال: ويُقال: النَّهَر: الضِّياءُ والسَّعَةُ، مِنْ قولكَ: أَنْهَرْتُ الطَّعنَةَ: إذا وَسَّعْتَها، قال قيسُ بنُ الخَطِيم يصِفُ طَعنةً:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرَى قائِمٌ مِنْ دُونِها ما وَراءَها

أي: أوسَعْتُ فَتْقَها. قلتُ: وهذا قولُ الضَّحَّاك. وقرأ الأعمَشُ «ونُهُرٍ».

قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مَجْلِسٍ حَسَنٍ؛ وقد نبَّهْنا على هذا المعنى في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾(١). فأمَّا المَلِيكُ، فقال الخَطَّابيُّ: المَلِيكُ: هو المالكُ، وبناءُ فَعِيل للمُبالغة في الوَصفِ، ويكون المَلِيكُ بمعنى المَلِكِ، ومنه هذه الآيةُ. والمُقْتَدِرُ مشروحٌ في الكهف(٢).

[١٣٨٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٥ والبخاري في «خلق أفعال العباد» ٧٣ وأحمد ٢/ ١١٠ وابن حبان ٦١٤٩ من طرق عن مالك به من حديث ابن عمر. وأخرجه مالك ٢/ ٨٩٩ في «الموطأ» عن زياد بن سعد به. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٧٢ عن أبي مصعب عن مالك به.

---

(١) يونس: ٢. (٢) الكهف: ٤٥.

سُورَةُ الرَّحمٰن

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

وفي نُزولِها قولان: **أحدهما**: أنها مكِّيَّةٌ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ وعطاءٌ ومُقاتِلٌ والجمهور، إلاَّ أنَّ ابنَ عباسٍ قال: سِوى آيةٍ، وهي قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١). **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال ابنُ مسعودٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾. قال مُقاتِلٌ:

[١٣٨١] لمَّا نزلَ قوله: ﴿ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ﴾(٢)، قال كُفَّارُ مكَّةَ: وما الرَّحمنُ؟! فأنكَرُوه وقالوا: لا نَعرِفُ الرَّحمنَ، فقال تعالى: «الرَّحمنُ» الذي أنكرُوه هو الذي «علَّم القُرآنَ».

وفي قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قولان(٣): **أحدهما**: علَّمَهُ محمَّداً، وعلَّمَهُ محمَّدٌ أُمَّتَهُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: يَسَّرَ القرآنَ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه اسمُ جنسٍ، فالمعنى: خَلَقَ الإنسانَ جميعاً، قاله الأكثرون. فعَلَى هذا، في «البيان» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: النُّطقُ والتَّمييزُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الحلالُ والحَرامُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: ما يقول وما يُقالُ له، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والرابع**: الخيرُ والشرُّ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: طُرُقُ

[١٣٨١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والخبر منكر جداً، أمارة الوضع لائحة عليه.

---

(١) الرحمن: ٢٩. (٢) الفرقان: ٦٠.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٥٧٢: يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم إذ بصّركم به ما فيه رضا ربكم، وعرّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه.

الهُدى، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسادس**: الكتابةُ والخطُّ، قاله يَمانٌ.

والثاني: أنه آدمُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ. فعَلَى هذا في «البيان» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أسماءُ كلِّ شيءٍ. **والثاني**: بيانُ كلِّ شيءٍ. **والثالث**: اللُّغاتُ.

والقول الثالث: أنه محمَّدٌ ﷺ، علَّمَهُ بيانَ كلِّ شيءٍ مَا كان وما يكون، قاله ابنُ كَيسَانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: بحسابٍ ومنازلَ، لا يَعْدُوانِها، قاله ابنُ عباس وقَتادةُ وأبو مالكٍ؛ وقد كَشَفْنا هذا المعنى في الأنعام[1]. قال الأخفَشُ: أُضمِرَ الخبرُ، وأظُنُّه ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ أراد: يَجريانِ بحُسْبانٍ. قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في النَّجم قولان: **أحدهما**: أنه كُلُّ نَبْتٍ ليس له ساقٌ، وهو مذهبُ ابنِ عباسٍ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ، واللُّغويين. **والثاني**: أنه نَجمُ السماء، والمُراد به: جميعُ النُّجوم، قاله مُجاهِدٌ. فأمَّا الشَّجَرُ: فكُلُّ ماله ساقٌ. قال الفَرَّاءُ: سُجودُهما: أنَّهما يستقبِلانِ الشمسَ إذا أشرقَتْ، ثم يَميلانِ معها حتى ينكَسِرَ الفَيْءُ. وقد أشَرْتُ في النَّحل[2] إلى معنى سُجودِ ما لا يَعْقِلُ. قال أبو عُبيدَةَ: وإنَّما ثُنِّيَ فِعلُهما على لَفظِهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ وإنما فعلَ ذلك لِيَحيا الحيوانُ وتمتدَّ الأنفاسُ بينها وبين الأرض، وأجرى الرِّيحَ بينها وبين الأرضِ، كيما يَتَرَوَّحَ الخَلْقُ. ولولا ذلك لَمَاتَتِ الخلائقُ كَرْباً..

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنه العَدْل، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ واللغويون. قال الزَّجَّاجُ: وهذا لأنَّ المُعادلَة: موازَنةُ الأشياء. **والثاني**: أنه المِيزانُ المعروفُ، لِيتَنَاصَفَ الناسُ في الحقوق، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، والضَّحاكُ. **والثالث**: أنه القرآن، قاله الحَسنُ بنُ الفَضلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾ ذكر الزَّجَّاجُ في «أنْ» وَجهَين: **أحدهما**: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لئلاَّ تَطْغَوا. **والثاني**: أنها للتفسير، فتكون «لا» للنَّهي؛ والمعنى أي لا تَطْغَوْا، أي لا تُجاوِزوا العَدْلَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابنُ قُتيبَة، أي: لا تَنْقُصوا الوَزنَ.

فأمَّا الأَنامُ، ففيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم النَّاسُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: كلُّ ذي رُوحٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: الإنسُ والجنُّ، قاله الحَسنُ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا فَـٰكِهَةٌ﴾ أي: ما يُتَفَكَّه به مِنْ ألوانِ الثِّمارِ ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ والأكمَامُ: الأوعِيةُ والغُلُفُ؛ وقد استوفينا شرحَ هذا في حمَ السَّجْدَة[3].

قوله عزَّ وجل ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ يريد: جميعَ الحُبوبِ، كالبُرِ والشَّعيرِ وغيرِ ذلك. وقرأ ابنُ عامرٍ: «والحَبَّ» بنصبِ الباء «ذا العَصْفِ» بالألف «والرَّيحانَ» بنصبِ النون. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ إلاَّ ابنَ أبي سُرَيجٍ، وخَلَفٌ: «والحَبُّ ذو العَصْفِ والرَّيحانِ» بخَفْضِ النون؛ وقرأ الباقون بضمِّ النون.

وفي «العَصْف» قولان: **أحدهما**: أنه تِبْنُ الزَّرعِ ووَرَقُه الذي تعصِفُه الرِّياحُ، قاله ابنُ عباسٍ.

---

(١) الأنعام: ٩٦. (٢) النحل: ٤٩. (٣) فصلت: ٤٧.

وكذلك قال مُجاهِدٌ: هو وَرَقُ الزَّرعِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: العَصْفُ: وَرقُ الزَّرعِ، ثم يصيرُ إذا جَفَّ ويبسَ ودِيسَ تِبْناً. **والثاني**: أنَّ العَصْفَ: المأكولُ مِنَ الحبِّ، حكاه الفَرَّاءُ.

وفي «الرَّيْحان» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَرقُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. قال الفَرَّاءُ: الرَّيْحانُ في كلام العرب: الرِّزقُ، يقولون: خرجنا طَلَبَ رَيْحانِ اللهِ، وأنشد الزَّجَّاجُ للنَّمِرِ بنِ تَوْلَبٍ:

سَـلامُ الإلـهِ ورَيْـحـانُـه ... ورَحْـمَـتُـه وسَـمـاءٌ دِرَر

والثاني: خُضرةُ الزَّرعِ، رواه الوالِبيُّ عن ابنِ عباسٍ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: فعَلى هذا سُمِّي رَيحاناً، لاستراحةِ النَّفسِ بالنَّظرِ إليه. **والثالث**: أنه رَيحانُكم هذا الذي يُشَمُّ، رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: «الرَّيْحان»: ما أنبتَتِ الأرضُ مِنَ الرَّيْحان، وهذا مذهبُ الحَسنِ والضَّحَّاكِ وابنِ زيدٍ. **والرابع**: أنه ما لم يُؤكَلْ مِنَ الحَبِّ، والعَصْف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنْ قيلَ: كيف خاطبَ اثنين، وإنما ذَكر الإنسانَ وحدَهُ؟ فعنه جوابان ذكرهما الفَرَّاءُ: **أحدهما**: أنَّ العربَ تُخاطب الواحدَ بفعل الاثنين كما بيَّنَّا في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾[1]. **والثاني**: أنَّ الذِّكرَ أُريدَ به: الإنسانُ والجَانُّ، فجَرى مجرى الخطابِ لهما مِنْ أوَّلِ السُّورةِ إلى آخرِها. قال الزَّجَّاجُ: لمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى في هذه السُّورة ما يدُلُّ على وحدانيتِه مِنْ خَلْقِ الإنسان وتعليم البيان وخَلْقِ الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطَبَ الجِنَّ والإنسَ، فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبان مِنْ هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلَّها مُنعَمٌ بها عليكم في دلالَتِها إيَّاكم على وحدانيَّتِه وفي رِزقه إيَّاكم ما به قِوامُكم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الآلاءُ: النِّعَمُ، واحدها: ألا، مثل: قفاً، وإلاً، مثل: مِعىً.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قد ذكرنا في الحِجْر[2] الصَّلْصالَ والجانَّ. فأمَّا قوله: ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ فقال أبو عُبيدَةَ: خُلِقَ مِنْ طينٍ يابسٍ لم يُطْبَخْ، فله صوتٌ إذا نُقِرَ، فهو مِنْ يابسه كالفَخَّارِ. والفَخَّارُ: ما طُبِخَ بالنَّارِ. وأمَّا المَارِجُ، فقال ابنُ عباسٍ: هو لسانُ النَّارِ الذي يكون في طَرَفِها إذا التَهَبَتْ. وقال مُجاهِدٌ: هو المُختَلِط بعضُه ببعضٍ مِنَ اللَّهَبِ الأحمرِ والأصفرِ والأخضرِ الذي يَعلُو النَّارَ إذا أُوقِدَتْ. وقال مقاتل: هو لَهبُ النارِ الصافي مِنْ غيرِ دُخانٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: المَارِجُ: خَلْطٌ من النَّارِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المارِجُ: لهبُ النَّارِ، مِنْ قولِكَ: قد مَرِجَ الشيءُ: إذا اضطَرَبَ ولم يَستقِرَّ. وقال الزَّجَّاجُ: هو اللَّهب المُختلِطُ بسَوادِ النَّارِ. وإنْ قيلَ؛ قد أخبرَ اللهُ تعالى عن

---

(١) ق: ٢٤.

(٢) الحجر: ٢٦ ـ ٢٧.

خَلْقِ آدمَ عليه السلام بألفاظٍ مختلفةٍ، فتارةً يقول: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[1]، وتارةً: «مِنْ صَلْصالٍ»، وتارةً: «مِنْ طِينٍ لازِبٍ»[2]، وتارةً: «كالفَخّار»، وتارةً: «مِنْ حَمَإٍ مسنونٍ»[3]؛ فالجواب: أنَّ الأصلَ الترابُ فجُعِلَ طِيناً، ثم صارَ كالحَمَإِ المَسنُونِ، ثم صارَ صَلْصالاً كالفَخَّارِ، فهذه أخبارٌ عن حالاتِ أصلِه. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في تكرارِ قوله: «فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبانِ» الجواب أنَّ ذلك التكريرَ لتقريرِ النِّعَمِ وتأكيدِ التذكيرِ بها. قال ابنُ قُتَيبةَ: مِنْ مذاهبِ العرب التكرارُ للتوكيدِ والإفهام، كما أنَّ مِنْ مذاهِبهم الاختصارُ للتخفيف والإيجازِ؛ لأنَّ افتِنانَ المُتكلِّم والخطيبِ في الفنون أحسَنُ مِنَ اختصارِه في المقامِ على فنّ واحدٍ، يقول القائلُ: واللهِ لا أفعَلُه، ثم واللهِ لا أفعَلُه، إذا أراد التوكيدَ وحَسْمَ الأطماعِ مِنْ أنْ يفعَلَهُ، كما تقول: واللهِ أفعَلُه، بإضمارِ «لا» إذا أراد الاختصارَ، ويقول القائلُ للمُستَعجِلِ: اعْجَلْ اعْجَلْ، وللرامي: ارْمِ ارْمِ، قال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ له وَكَمْ وَكَمْ

وقال الآخر:

هَـلاَّ سَـأَلْـتَ جُـمُـوعَ كِـنْـ ... ـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْـنَـا[4]

وربَّما جاءت الصِّفةُ فأرادوا توكيدَها، واستوحشوا مِنْ إعادتِها ثانيةً لأنها كلمةٌ واحدةٌ، فغيَّروا منها حرفاً ثم أتبَعُوها الأولى، كقولهم، عَطْشَانُ نَطْشَان، وشَيطان لَيْطان، وحَسَنٌ بَسَنٌ. قال ابنُ دُرَيدٍ: ومِنَ الإِتْبَاع: جائع نائع، ومَليح قَريح، وقبيح شَقِيح، وشَحِيح نَحِيح، وخَبيث نَبيث، وكَثير نَثِير، وسَيِّغ لَيِّغ، وسائِغ لائِغ، وحَقير نَقير، وضَئيل بَئيل، وخَضِر مَضِر، وعِفْريب نِفْريب، وثِقَة نِقَة، وكِنٌّ إنٌّ، وواحدٌ فاحِدٌ، وحائرٌ بائرٌ، وسَمِجٌ لَمِجٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فلمَّا عَدَّدَ اللهُ تعالى في هذه السُّورة نَعْماءَهُ، وأذكرَ عِبادَه آلاءَهُ، ونبَّهَهُم على قُدرَتِه، جعل كلَّ كلمةٍ مِنْ ذلك فاصلةً بين كلِّ نِعمتَيْنِ، لِيُفَهِّمهم النِّعَم ويُقَرِّرهم بها، كقولكَ للرجلِ: أَلَمْ أُبَوِّئْكَ مَنْزِلاً وكنتَ طريداً؟ أفتُنكِرُ هذا؟ أَلَمْ أحُجَّ بكَ وأنت صَرُورَةٌ؟ أفتُنكِرُ هذا؟.

[١٣٨٢] ورَوى الحاكمُ أبو عبدِ الله في «صحيحه» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبدِالله قال: قرأَ علينا

[١٣٨٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩١ والحاكم ٣٧٦٦ من طريق عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر به. وإسناده واهٍ، زهير منكر الحديث في رواية أهل الشام عنه، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وأخرجه الحاكم ٣٧٦٦ وابن عدي ٣/ ٢١٩ وأبو الشيخ في «العظمة» ١١٢٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢١٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٣٢ من طريق هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم بالإسناد السابق. وأخرجه البيهقي ٢/ ٢٣٢ من طريق مروان بن محمد قال: حدثنا زهير بن محمد به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه. يعني لما يروون عنه من المناكير. وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة اهـ. وله شاهد من حديث ابن عمر: أخرجه البزار =

---

(١) آل عمران: ٥٩. (٢) الصافات: ١١. (٣) الحجر: ٢٩.
(٤) البيت للشاعر عبيد بن الأبرص ديوانه: ص ١٤٢ والشعر والشعراء: ١/ ٢٢٤.

رسولُ الله ﷺ سُورةَ الرَّحمنِ حتى خَتمها ثم قال: «ما لي أراكُم سُكوتاً؟! لَلْجنُّ كانوا أحسنَ منكم رَدّاً، ما قرأتُ عليهم هذه الآيةَ مِنْ مَرَّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلاّ قالوا: ولا بشيءٍ مِنْ نِعَمِكَ ربَّنا نُكذِّبُ فلكَ الحَمدُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ قرأ أبو رَجاءٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ربِّ المشرِقَيْن وربِّ المَغرِبَيْن» بالخَفضِ، وهما مَشرِقُ الصَّيفِ ومَشرِقُ الشتاءِ ومَغرِبُ الصَّيفِ ومَغرِبُ الشتاءِ للشمس والقمر جميعاً. قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسلَ العذبَ والمِلحَ وخلاهُما وجعلَهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجزٌ مِنْ قُدرةِ الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يختلطان. فيبغي أحدُهما على الآخرِ. وقال ابنُ عباسٍ: بحرُ السماءِ وبحرُ الأرض يلتقيان كُلَّ عام. وقال الحُسَينُ: «مَرَج البحرين» يعني بحرَ فارسَ والرُّوم، بينهما بَرزَخٌ، يعني الجَزائِرَ؛ وقد سبقَ بيانُ هذا في الفُرقان[1]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنَّما يخرُجُ مِنَ البحرِ المِلْحِ، وإنما جَمَعُهما، لأنه إذا خرجَ مِنْ أحدِهما فقد أُخرِجَ منهما، ومِثْلُه ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[2]. وقال أبو عليٍّ الفارسيُ: أراد: يَخرجُ مِنْ أحدهما، فحَذَفَ المُضافَ. وقال ابنُ جَريرٍ: إنما قال «منهما» لأنه يخرجُ مِنْ أصدافِ البحْرِ عن قَطْرِ السماء. فأمَّا اللُّؤلؤُ والمَرجانُ، ففيهما قولان: **أحدهما**: أنَّ المَرجانَ: ما صَغُرَ مِنَ اللُّؤلؤ، واللُّؤلؤ: العِظَامُ، قاله الأكثرون، منهم ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. وقال الزَّجَّاجُ: اللؤلؤُ: اسمٌ جامعٌ للحَبِّ الذي يَخرجُ مِنَ البحرِ، والمَرجانُ: صِغارُه. **والثاني**: أنَّ اللُّؤلؤَ: الصِّغارُ، والمَرجَانُ: الكِبارُ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ: إذا أمطرت السماءُ، فَتَحَتِ الأصدافُ أفواهَها، فما وقعَ فيها مِنْ مطرٍ فهو لؤلؤٌ؛ وقال ابنُ جُرَيجٍ. حيثُ وقعَتْ قطرةٌ كانت لؤلؤةٌ. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللُّغويِّ قال: ذكرَ بعضُ أهلِ اللُّغةِ أنَّ المَرجانَ أعجميٌّ مُعرَّبٌ. قال أبو بكرٍ،

= ٢٢٦٩ من طريق عمرو بن مالك البصري عن يحيى بن سليم الطائفي عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٠١ والطبري ٣٢٩٢٨ من طريق محمد بن عباد بن موسى عن يحيى بن سليم الطائفي به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٨: رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، وقال الذهبي في «الميزان» ٣/ ٢٨٥ ضعفه أبو يعلى، وقال ابن عدي: يسرق الحديث، وتركه أبو زرعة وذكره ابن حبان في الثقات اهـ والظاهر أن ابن حبان ما عرفه. وتابعه محمد بن عباد بن موسى عند الطبري والخطيب كما تقدم، ومحمد هذا ضعيف، والظاهر أنه سرقه من عمرو بن مالك. وقال ابن عدي ٣/ ٢١٩: هذا حديث لا يعرف إلا بهشام بن عمار، وقد سرقه جماعة من الضعفاء ذكر منهم في كتابي هذا، فحدثوا به عن الوليد وهم سليمان بن أحمد الواسطي وعلي بن جميل السرّقي وعمرو بن مالك البصري وبركة بن محمد الحلبي، والحديث، فهشام. أي عن الوليد عن زهير بن محمد وبه يعرف.

تنبيه: ولم يتنبه الألباني إلى هذا الوارد عن ابن عدي، فجعل حديث ابن عمر شاهداً لحديث جابر فحكم بحسنه في «الصحيحة» ٢١٥٠ والصواب أنه غير شاهد وإنما سرقه عمرو بن مالك وغيره وركبوا له هذا الإسناد عن ابن عمر ولو كان كذلك لرواه الأئمة الثقات، ولكن كل ذلك لم يكن، والمتن منكر فمتى كان الجن أحسن فهماً من الصحابة؟!! كما هو مدلول هذا الخبر.

---

(١) الفرقان: ٥٣. (٢) نوح: ١٦.

يعني ابن دُرَيدٍ: ولم أسمَعْ فيه بفعلٍ مُنصَرِفٍ، وأخرِ به أنْ يكونَ كذلك. قال ابنُ مسعودٍ: المَرجانُ: الخَرَزُ الأحمرُ. وقال الزَّجّاجُ: المَرجانُ أبيضُ شديدُ البياضِ. وحكى القاضي أبو يَعلَى أنَّ المَرجانَ: ضَربٌ مِنَ اللُّؤلؤِ كالقُضبانِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني السُّفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ قال مُجاهِدٌ: هو ما قد رُفِعَ قِلْعُه مِنَ السُّفن دونَ ما لم يُرفَعْ قِلْعُه، القِلْع مكسورُ القافِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هُنَّ اللواتي أُنشِئنَ، أي: ابتُدِئَ بهنَّ ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، وقرأ حمزةُ: «المُنشِئاتُ»، فجعلَهُنَّ اللواتي ابتدأنَ، يُقال: أنشأتِ السحابةُ تُمطِرُ: إذا ابتدأتْ، وأنشأَ الشاعرُ يقول. والأعْلامُ: الجبال، وقد سبقَ هذا[1].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي: على الأرض، وهي كِنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، «فانٍ» أي: هالِكٌ. ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى ربُّك ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ قال أبو سُليمانَ الخَطّابيُّ: الجَلالُ: مصدر الجَليلِ، يُقال: جَليلٌ بَيِّنُ الجَلالَةِ والجَلالِ. والإكرامُ: مصدرُ أكرَمَ يُكرِم إكراماً؛ والمعنى أنه يُكرِمُ أهلَ وِلايَتِه وأنَّ الله مُستحِقٌّ أنْ يُجَلَّ ويُكرَمَ، ولا يَجحَدُونَهُ ولا يَكفُروا به؛ وقد يحتملُ أنْ يكونَ المعنى: أنه يُكرِمُ أهلَ وِلايَتِه ويَرفَعُ دَرجاتِهم؛ وقد يحتمل أنْ يكونَ أحدُ الأمرين ـ وهو الجَلالُ ـ مضافاً إلى الله تعالى بمعنى الصِّفة له، والآخرُ مضافاً إلى العبدِ بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فانصَرفَ أحدُ الأمرَيْنِ إلى الله تعالى وهو المَغفِرَةُ، والآخرُ إلى العِبادِ وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى أنَّ الكُلَّ يحتاجون إليه فيسألونه وهو غنيٌّ عنهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مثل أنْ يُحيي ويُميتَ، ويُعِزَّ ويُذِلَّ، ويَشفيَ مريضاً، ويُعطيَ سائلاً، إلى غيرِ ذلك مِنْ أفعالِه. وقال الحُسَينُ بنُ الفُضَيلِ: هو سَوقُ المَقاديرِ إلى المَواقيتِ.

[١٣٨٣] قال مُقاتِلٌ: وسببُ نُزولِ هذه الآية أنَّ اليهودَ قالت: إنَّ الله لا يقضي في يومِ السبتِ شيئاً، فنزلت: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

[١٣٨٤] عن عبدِالله بنِ منيب[2] عن رسولِ الله ﷺ قال لمّا سُئِلَ عن ذاكَ الشأنِ: «يَغفِرُ ذَنباً

[١٣٨٣] باطل، عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يصنع الحديث، والمتن باطل. وانظر ما بعده.

[١٣٨٤] أخرجه الطبري ٣٣١٢ والبزار ٢٢٦٦ «كشف» وأبو الشيخ ١٥١٠ من حديث عبد الله بن منيب، وإسناده ضعيف، فيه عمرو بن بكر السكسكي وهو ضعيف متروك. وله شاهد أخرجه ابن ماجة ٢٠٢ وابن أبي عاصم في «السنة» ٣٠١ وابن حبان ٦٨٩ والبزار ٢٢٦٧ «كشف» وأبو الشيخ ١٥٠ والديلمي ٤٧٧٥ والبيهقي في «الصفات» ص ٩٨ وأبو نعيم ٥/ ٢٥٢ من حديث أبي الدرداء. ومداره على الوزير ابن صبيح، وهو لين الحديث ومن وجه آخر أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢٤ وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس. وقد عنعن. وصوب الدارقطني الوقف فيما نقل عنه ابن الجوزي. وكذا جعله البخاري من كلام أبي الدرداء. انظر «الفتح» ٨/ ٤٩٠، ومع ذلك صححه الألباني في «تخريج» السنة ٣٠١/ ١٣٠ فالله أعلم.

---

(١) الشورى: ٣٢.
(٢) تصحف في الأصل «حبيب».

ويُفرِّجُ كَرْباً ويرفَعُ قوماً ويَضعُ آخرِينَ».

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «سَنَفْرُغُ» بنونٍ مفتوحةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرِمَةُ، والأعمَشُ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وعبدُ الوارثِ: «سيَفْرُغُ» بياءٍ مفتوحةٍ. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمَرَ، وأبو عُبيدَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ والحَلَبيُّ عن عبدِ الوارثِ: «سيُفْرَغُ» بضمِّ الياء وفتح الراء. قال الفرَّاءُ: هذا وعيدٌ مِنَ الله تعالى، لأنه لا يَشغَلُه شيءٌ عن شيء، تقول للرجل الذي لا شُغلَ له: قد فَرغتَ لي، قد فَرغتَ تَشتُمني؟! أي: قد أخذتَ في هذا وأقبلْتَ عليه؟ وقال الزَّجَّاجُ: الفَراغُ في اللغة على ضَرْبَين. **أحدهما**: الفَراغُ مِنْ شُغلٍ. والآخر: القَصْدُ للشيء، تقول: قد فَرغتُ ممَّا كنتُ فيه، أي: قد زالَ شُغلي به، وتقول: سأتفرَّغُ لِفُلانٍ، أي: سأجعَلُه قَصْدِي، ومعنى الآية: سنَقْصِدُ لِحِسابِكُم. فأمَّا «الثَّقَلان» فهما الجِنُّ والإنسُ، سُمِّيا بذلك لأنهما ثِقلُ الأرض.

قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿أَن تَنفُذُواْ﴾ أي: تَخرُجوا؛ يُقال: نَفَذَ الشيءُ مِنَ الشيء: إذا خَلَصَ منه، كالسَّهم يَنفُذُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ والأقْطارُ: النَّواحي والجَوانِبُ وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إنِ استطَعتُم أنْ تعلَموا ما في السَّمواتِ والأرضِ فاعلَموا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إنِ استطَعتُم أنْ تَهرُبوا مِنَ الموتِ بالخروج مِنْ أقطار السَّمواتِ والأرضِ فاهرُبوا واخرُجوا منها؛ والمراد: أنكم حيثما كنتُم أدرَكَكُم الموتُ، هذا قولُ الضَّحَّاكِ ومُقاتِلٍ في آخرين. **والثالث**: إنِ استطَعتُم أنْ تَجوزُوا أطرافَ السمواتِ والأرضِ فتُعجِزوا ربَّكُم حتى لا يقدِرَ عليكم فجُوزوا؛ وإنما يُقال لهم هذا يومَ القيامة، ذكره ابن جَريرٍ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَنفُذون إلاَّ في سلطانِ الله عزَّ وجلَّ، لأنه مالك كل شيء، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تَنفُذون إلاَّ بحُجَّةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: لا تنفذون إلا بمُلْكٍ، وليس لكم مُلْكٌ، قاله قَتادةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فثنَّى على اللفظِ. وقد جمعَ في قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ على المعنى. فأمَّا «الشُّواظ» ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لَهَبُ النَّارِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو اللهَبُ الأخضرُ المُنقَطِعُ مِنَ النَّارِ. **والثاني**: الدُّخانُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثالث**: النَّارُ المَحْضَةُ، قاله الفَرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: هي النارُ التي تأجَّجُ لا دُخانَ فيها، ويُقال: شُواظ وشِواظ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ بكسرِ الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهلُ البَصْرَةِ: «ونُحاسٍ» بالخَفضِ، والباقون برَفْعِها. وفي «النُّحاس» قولان: **أحدهما**: أنه دُخانُ النَّارِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والفرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ وابنُ قُتَيبَةَ والزَّجَّاجُ، ومنه قولُ الجَعْديِّ يذكرُ امرأةً:

تُضِيءُ كضَوْءِ سِراجِ السَّلِيـ ... طِ لَمْ يَجعَلِ اللهُ فيه نُحاسا

وذكر الفَرَّاءُ في السَّليطِ ثلاثةَ أقوالٍ: أحدها: أنه دُهنُ السَّنام، وليس له دُخانٌ إذا استُصبِحَ به. والثاني: أنه دُهنُ السِّمْسِم. والثالث: أنه الزَّيتُ. **والقول الثاني**: أنه الصُّفرُ المُذابُ يُصَبُّ على

رُؤوسِهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالآية: كفَّارُ الجنِّ والإنسِ، يُرْسِلُ عليهما في الآخرة لَهَبَ النَّارِ والصُّفرَ الذَّائبَ، وهي خمسةُ أنهارٍ تجري على رؤوسِ أهلِ النَّارِ، ثلاثةُ أنهارٍ مِنْ تحت العَرشِ على مقدارِ الليل، ونَهرَانِ على مقدارِ أنهارِ الدنيا، ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تمتنِعانِ مِنْ ذلك[1].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: انفرجَتْ مِنَ المَجرَّة لِنُزولِ مَنْ فيها يومَ القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: كلَوْنِ الفَرسِ الوَرْدَةِ، قاله أبو صالحٍ، والضَّحَّاكُ. وقال الفَرَّاءُ: الفَرسُ الوَرْدَةُ، تكون في الرَّبيعِ وَرْدَةً إلى الصُّفرةِ، فإذا اشتَدَّ الحَرُّ كانت وَرْدَةً حمراءَ، فإذا كان بعدَ ذلك كانت وردَةً إلى الغُبرَةِ، فشبَّه تَلوُّنَ السماء بتلوُّنِ الوردَةِ مِنَ الخَيلِ؛ وكذلك قال الزَّجَّاجُ: «فكانت وردة» كلَونِ فَرَسٍ وَرْدَةٍ، والكُمَيتُ: الوَرْدُ يتلوَّنُ، فيكون لونُه في الشتاءِ خلافَ لونِه في الصَّيفِ، ولونُه في الصَّيفِ خلافَ لونِه في الشتاء، والسماءُ تتلوَّن مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: فكانت حمراءَ في لونِ الفَرَسِ الوَرْدِ. **والثاني**: أنها وَرْدَةُ النَّباتِ؛ وقد تختلفُ ألوانُها، إلاَّ أنَّ الأغلبَ عليها الحُمرَةُ، ذكره المَاوَرديُّ. وفي الدِّهانِ قولان: **أحدهما**: أنه واحدٌ، وهو الأدِيمُ الأحمرُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه جَمْعُ دُهن، والدُّهنُ تختلف ألوانُه بخُضرَةٍ وحُمرةٍ وصُفرَةٍ، حكاه اليَزيدِيّ، وإلى نحوِهِ ذهب مُجاهِدٌ، وقال الفَرَّاءُ: شبَّه تلوُّنَ السماء بتلوُّنِ الوردةِ مِنَ الخَيلِ، وشبَّهَ الوَردَةَ في اختلافِ ألوانِها بالدُّهنِ.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يُسأَلون ليُعلَمَ حالُهم، لأنَّ الله تعالى أعلَمُ منهم بذلك. **والثاني**: لا يَسأَلُ بعضُهم بعضاً عن حالِه لاشتغالِ كلِّ واحدٍ منهم بنفْسِه، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لا يُسأَلون عن ذُنوبِهم لأنهم يُعرَفونَ بسِيماهُم، فالكافرُ أسوَدُ الوَجْهِ، والمؤمن أغرُّ الوجهِ مُحجَّلٌ مِنْ أَثَرِ وضُوئِه، قاله الفَرَّاءُ. قال الزَّجَّاجُ: لا يُسأَلُ أحدٌ عن ذنْبِهِ لِيُستَفْهَمَ، ولكنه يُسأَلُ سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ قال الحسنُ: بسَوادِ الوجوه، وزرَقِ الأعيُنِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ خَزنَةَ جهنَّمَ تَجمعُ بين نَواصيهم إلى أقدامِهم مِنْ وراء ظُهورِهم ثم يَدفَعونَهُم على وجوهِهم في النَّارِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: يُؤخَذُ بالنَّواصي والأقدام فيُسحَبون إلى النَّارِ، ذكره الثَّعلَبيُّ. وروى مَرْدَويه الصَّائغُ، قال: صلَّى بنا الإمامُ صلاةَ الصُّبحِ فقرأ سُورةَ «الرَّحمن» ومعنا عليُّ بنُ الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ، فلمَّا قرأ «يُعرَفُ المُجرِمون بسيماهم» خَرَّ عليٌّ مَغشيّاً عليه حتى فرغنا مِنَ الصلاة، فلمَّا كان بعدَ ذلك قُلنا له: أَمَا سمعتَ الإمامَ يقرأُ «حُورٌ مقصوراتٌ في الخِيام»؟ قال:

---

(١) هذا الخبر من مناكير مقاتل وأباطيله، وإنما هو التحدي في الدنيا.

شَغَلني عنها «يُعرَفُ المُجْرِمون بِسيماهُم فيُؤخَذُ بالنَّواصِي والأقدام».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي يُقال لهم: هذه جهنَّمُ ﴿ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني المشركين ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ وقرأ أبو العَاليةِ وأبو عِمرَانَ الجَوْنيُ: «يُطَوِّفون» بياءٍ مضمومةٍ مع تشديد الواو، وقرأ الأعمَشُ مثلَهُ إلاّ أنه بالتاء. قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الحَميم: الماءُ الحارُّ، والآني: الذي قد انتهتْ شِدَّةُ حَرِّه. قال المُفسِّرون: المعنى أنهم يَسْعَون بينَ عذاب الحَميم وبين عذابِ الجحيم، إذا استغاثُوا مِنَ النَّارِ جعلَ غياثَهم الحَميمَ الشديدَ الحرارةِ.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: قيامه بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ الجَزاءِ. **والثاني**: قيام الله على عبدِه بإحصاءِ ما اكتسَبَهُ. وجاء في التفسير، أنَّ العبدَ يهُمُّ بمعصيةٍ فيتركها خوفاً مِنَ الله عزَّ وجلَّ فلَهُ جنَّتانِ، وهما بُستانانِ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها الأغصان، وهي جمع فَنن، وهو الغُصنُ المستقيمُ طُولاً، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ، وَعَطِيَّة، والفَرَّاءِ، والزَّجَّاج. **والثاني**: أنها الألوان والضُروبُ مِنْ كلِّ شيءٍ، وهي جَمعُ فَنٍّ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. وقال الضَّحَّاكُ: ذَواتا ألوانٍ مِنَ الفاكهة. وَجَمَع عطاءٌ بين القولين، فقال: في كلِّ غُصنٍ فُنونٌ مِنَ الفاكهة.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تجريان بالماءِ الزُّلالِ، إحداهما: السَّلْسَبِيلُ، والأخرى: التَّسْنيمُ. وقال عَطِيَّةُ: إحداهما: مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ، والأخرى: مِنْ خمرٍ. وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: فيهما عينانِ تجريانِ لِمَنْ كانت له في الدنيا عينانِ تَجْرِيَانِ مِنَ البكاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: صِنفانِ ونوعانِ. قال المُفسِّرون: فيهما مِنْ كلِّ ما يُتفكَّه به نوعانِ، رَطْبٌ ويابسٌ، لا يَقصُرُ أحدُهما عن الآخرِ في فَضْلِه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ هذا حالُ المذكورين ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ جمعُ فِراشٍ ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بِطانَةٍ، وهي التي تحتَ الظِّهارَةِ. وقال أبو هُريرَةَ: هذه البَطائنُ، فما ظنُّكم بالظَّهائرِ؟! وقال ابنُ عباسٍ: إنما تركَ وَصفَ الظواهر، لأنه ليس أحدٌ يعلَمُ ما هي. وقال قَتادَةُ: البَطائنُ: هي الظواهر بلُغةِ قوم. وكان الفَرَّاءُ يقول: قد تكون البِطانَةُ ظاهرةً، والظِّهارَةُ باطنةً، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد يكون وجهاً، والعَرب تقول: هذا ظَهْرُ السماء، وهذا بَطْنُ السماء، لِظاهرِها، وهو الذي تراه، وقال ابنُ الزُّبير يَعيب قَتلةَ عُثمانَ: خرجوا عليه كاللصوص مِنْ وراءِ القرية، فقتَلَهُم اللّهُ كلَّ قِتلَةٍ، ونَجا مَنْ نَجا منهم تحتَ بُطونِ الكواكبِ. يعني هربوا ليلاً؛ فجعَلوا ظهورَ الكواكب بُطوناً، وذلك جائزٌ في العربيَّة. وأنكرَ هذا القولَ ابنُ قُتَيبةَ جدّاً، وقال:

إنما أرادَ اللَّهُ أنْ يُعرِّفنا ـ مِنْ حيثُ نفهم ـ فَضْلَ هذه الفُرش وأنَّ ما وَلِيَ الأرضَ منها إستَبْرَقٌ، وإذا كانت البطانَةُ كذلك، فالظِّهارةُ أعلى وأشرَفُ. وهل يجوز لأحدٍ أنْ يقولَ لِوجهِ مُصَلٍّ: هذا بِطانَتُه، ولِمَا وَلِيَ الأرضَ منه: هذا بِطانَتُه؟! وإنما يجوز هذا في ذي الوجهين المُتساوِيَيْنِ، تقول لِمَا وَلِيَكَ مِنَ الحائط: هذا ظَهْرُ الحائط، ويقول جارُكَ لِمَا وَلِيَه: هذا ظَهْرُ الحائط، وكذلك السماءُ ما وَلِيَنا منها: ظَهْرٌ، وهي لِمَن فَوْقَها: بَطْنٌ. وقد ذكرنا الإِستَبْرَق في سورة الكهف[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: ما يُجتَنى قريبٌ لا يُعَنِّي الجانِي.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قد شرحناه في الصَّافَّات[٢]. وفي قوله: «فِيهِنَّ» قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى الجَنَّتَين وغيرِهما ممَّا أُعدَّ لصاحبِ هذه القِصَّة، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنها تعود إلى الفُرُشِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ.

قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قرأ الكِسائيُّ بضمِّ الميم، والباقون بكَسرِها، وهما لُغتان: يَطْمِثُ ويَطْمُثُ، مثل يَعْكِفُ ويَعْكُفُ. وفي معناه قولان: **أحدهما**: لم يَفْتَضَّهُنَّ؛ والطَّمْثُ: النِّكاح بالتَّدمِيَةِ، ومنه قيلَ للحائضِ: طامِثٌ، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: لَمْ يَمْسَسْهُنَّ؛ يُقال: ما طَمَثَ هذا البعيرَ حَبْلٌ قط، أي: ما مَسَّه، قاله أبو عُبيدَةَ. قال مُقاتِلٌ: وذلك لأنهنَّ خُلِقْنَ مِنَ الجَنَّة؛ فعَلَى قوله، هذا صِفةُ الحُورِ. وقال الشَّعْبيُّ: هُنَّ مِنْ نساء الدنيا لَمْ يَمْسَسْهُنَّ مُذْ أُنشِئْنَ خَلْقٌ. وفي الآية دليلٌ على أنَّ الجِنِّيَّ يَغْشَى المرأَة كالإِنسيِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال قَتادَةُ: هُنَّ في صفاءِ الياقُوتِ وبياضِ المَرْجانِ. وذكر الزَّجَّاجُ أنَّ أهلَ التفسير وأهلَ اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقُوتِ وبياضِ المَرْجانِ، والمرجان: صِغارُ اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضاً. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: «الياقوتُ» فارسيٌّ معرَّبٌ، والجمع «اليَواقِيت»، وقد تكلَّمتْ به العربُ، قال مالكُ بنُ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعيّ:

لَـنْ يُـذْهِـبَ الـلُّـؤْمَ تاجٌ قَـدْ حُـبِـيـتَ بِـهِ … مِـنَ الـزَّبَـرْجَـدِ والـيَـاقُـوتِ والـذَّهَـبِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ قال الزَّجَّاجُ، أي: ما جزاءُ مَنْ أحسنَ في الدنيا إلاَّ أنْ يُحسَنَ إليه في الآخرة. وقال ابنُ عباسٍ: هل جزاءُ مَنْ قال: «لا إلهَ إلاَّ الله» وعَمِلَ بما جاء به محمَّدٌ ﷺ إلاَّ الجنَّةُ. ورَوى أنسُ بن مالكٍ قال:

[١٣٨٥] قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ، وقال: «هل تَدرُونَ ما قال ربُّكم»؟ قالوا: اللَّهُ ورسُولُه أعلمُ، قال: «فإنَّ ربَّكُم يقول: هل جزاءُ مَنْ أنْعَمْنا عليه بالتوحيدِ إلاَّ الجنَّةُ»؟!

[١٣٨٥] ضعيف. أخرجه البغوي ٢٠٩٤ من حديث أنس، وفي إسناده بشر بن الحسين، وهو منكر الحديث كما قال البخاري وغيره، لكن له شاهد أمثل منه إسناداً. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٧ من طريق إسحاق بن إبراهيم بن بهرام بهذا الإسناد. وأخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصفهان» ١/ ٢٣٣ من طريق الحجاج بن يوسف به. وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٤٢٧ وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن محمد الكوفي، وبه أعلّه البيهقي حيث قال عنه: منكر.

---

(١) الكهف: ٣١. (٢) الصافات: ٤٨.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾
فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ
رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: ولِمَنْ خاف مَقامَ ربِّه جنَّتانِ، وله مِنْ دُونهما جنَّتانِ. وفي قوله: «ومِنْ دُونهما» قولان: **أحدهما**: دُونهما في الدَّرجِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: دُونهما في الفَضْلِ، كما رَوى أبو موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[١٣٨٦] «جَنَّتانِ مِنْ ذهبٍ وجَنَّتان مِنْ فضَّةٍ»؛ وإلى نحو هذا ذهب ابنُ زيدٍ، ومُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وابنُ الزُّبير: خَضْراوانِ مِنَ الرِّيّ. وقال أبو عبيدة: من خضرتهما قد اسودتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضربُ خُضرتُهما إلى السَّوادِ، وكلُّ نَبْتٍ أخضرَ فتمامُ خُضرتِه وريِّهِ أنْ يَضربَ إلى السَّوادِ. قوله تعالى: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: فَوَّارتانِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: تَفُورانِ، و«النَّضخ» أكثرُ مِنَ «النَّضح». وفيما يَفُورانِ به أربعةُ أقوالٍ: **أحدهما**: بالمِسْكِ والكافُورِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: بالماءِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: بالخيرِ والبَركةِ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: بأنواعِ الفاكهة، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نَخلُ الجنَّة: جُذوعُها زُمرُّدٌ أخضَرُ، وكَرَبُها: ذهبٌ أحمرُ، وسَعَفُها: كُسوَةُ أهلِ الجنَّةِ، منها مُقطَّعاتُهم وحُلَلُهم. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: نَخلُ الجنَّةِ: جُذوعُها مِنْ ذهبٍ، وعُروقُها مِنْ ذهبٍ، وكَرانيفُها مِنْ زُمرُّدٍ، ورُطَبُها كالدِّلاءِ أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَن، وألْيَنُ مِنَ الزُّبد، وأحلى مِنَ العَسلِ، ليس له عَجَمٌ. قال أبو عُبَيدٍ: الكَرانيفُ: أصولُ السَّعَفِ الغِلاظ، الواحدة: كِرْنافَة. وإنما أعادَ ذِكرَ النَّخلِ والرُّمَّانِ ـ وقد دَخلا في الفاكهة ـ لبيانِ فَضْلِهما كما ذكرنا في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(١)، هذا قولُ جمهور المُفسِّرين واللُّغويِّين. وحكى الفَرَّاءُ والزَّجاجُ أنَّ قوماً قالوا: ليْسَا مِنَ الفاكهة؛ قال الفَرَّاءُ: وقد ذهبوا مذهباً، ولكنَّ العرب تجعلهما فاكهةً. قال الأزهَريُّ: ما علمتُ أحداً مِنَ العرب قال في النَّخيل والكرومِ وثمارِها: إنها ليست مِنَ الفاكهة،

[١٣٨٦] صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٤٤ من حديث أبي موسى. وأخرجه البخاري ٤٨٧٨ و ٤٨٨٠ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجة ١٨٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٦١٣ وأحمد ٤/ ٤١١ والدولابي في «الكنى» ٢/ ٧١ وابن أبي داود في «البعث» ٥٩ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٦ وابن حبان ٧٣٨٦ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ١٣٠ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ والذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٠ من طرق عن عبد العزيز بن عبد الصمد به. وأخرجه أحمد ٤/ ٤١٦ وابن أبي شيبة ٣/ ١٤٨ والدارمي ٢/ ٣٣٣ والطيالسي ٥٢٩ وابن مندة في «التوحيد» ٧٨١ من طريق أبي قدامة الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني به وأتم منه.

---

(١) البقرة: ٩٨.

وإنما قال مَنْ قال، لِقِلَّة عِلْمِه بكلام العرب، فالعربُ تذكرُ أشياءَ جُملةً ثم تخُصُّ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فَضْلٍ فيه، كقوله: «وجبريلَ وميكالَ»؛ فمَنْ قال: ليْسَا مِنَ الملائكة كَفَرَ، ومَنْ قال: ثَمرُ النَّخلِ والرُّمانِ ليس مِنَ الفاكهة جَهِلَ. قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجِنانِ الأربعِ ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ يعني الحوَرَ. وقرأ معاذُ القارئ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ، وأبو نَهِيْكٍ: «خَيِّرَاتٌ» بتشديد الياء. قال اللغويون: أصله «خَيِّراتٌ» بالتشديد، فخُفِّفَ، كما قيلَ: هَيِّن وهَيْن، ولَيِّن ولَيْن.

[١٣٨٧] ورَوَتْ أُمُّ سَلَمَة عن النبيِّ ﷺ قال «خَيْراتُ الأخلاقِ حِسانُ الوُجوهِ».

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قد بيَّنَّا في سُورَةِ الدُّخان[1] معنى الحُوْرِ.

وفي المَقصُورَاتِ قولان: **أحدهما**: المَحبُوساتُ في الحِجَالِ، قاله ابنُ عباسٍ، وهو مذهب الحَسنِ، وأبي العَاليةِ، والقُرَظيِّ، والضَّحَّاكِ، وأبي صالح. **والثاني**: المَقصُورَاتُ الطَّرْفِ على أزواجِهِنَّ، فلا يَرفَعْنَ طَرْفاً إلى غيرهم، قاله الرَّبيعُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. والأولُ أصحُّ، فإنَّ العرب تقول: امرأةٌ مَقْصُورةٌ وقَصِيرةٌ وقَصُورَة: إذا كانت مُلازِمةً خِدْرَها، قال كُثَيِّرٌ:

لَعَمْرِي لَقَدْ حبَّبْتِ كلَّ قصيرةٍ ... إليَّ، وما تَدْرِي بذاكَ القَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجَالِ، ولَمْ أُرِدْ ... قِصَارَ الخُطى، شَرُّ النِّساءِ البَحاتِرُ

وبعضُهم يُنشده: قَصُورَة، وَقَصُورات؛ والبَحاتِرُ: القِصارُ.

وفي «الخِيام» قولان: **أحدهما**: أنها البيوت. **والثاني**: خِيامٌ تُضافُ إلى القصورِ.

[١٣٨٨] وقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ للمؤمِنِ في الجنَّةِ لَخَيْمةً مِنْ لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طُولُها في السماء سِتُّونَ مِيلاً، للمؤمنِ فيها أهْلُونَ يَطوفُ عليهم المؤمنُ، فلا يرى بعضُهم بعضاً».

وقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه وابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ: الخِيامُ: دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وقال ابنُ عباسٍ: الخَيْمةُ لؤلؤةٌ واحدةٌ أربعةُ فَراسِخَ في أربعةِ فَراسِخَ، لها أربعةُ آلافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذهبٍ.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾، وقرأ عُثْمَانُ بنُ عفَّانَ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «على رَفارِفَ» جمعٌ غير مَصرُوفٍ. وقرأ الضَّحَّاكُ، وأبو العَاليةِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني مِثلَهم، إلاَّ أنهم

[١٣٨٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣١٧٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٩ من طريقين عن عمرو بن هاشم عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، وإسناده ضعيف لضعف سليمان. أم الحسن اسمها خَيْرة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٨ ـ ١١٩ وأعلّه بسليمان بن أبي كريمة، فقال: ضعفه ابن عدي، وأبو حاتم.

[١٣٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٩ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ عن محمد بن المثنى به. وأخرجه مسلم ٢٨٣٨ح ٢٤ والترمذي ٢٥٢٨ وأحمد ٤/ ٤١١ وابن حبان ٧٣٩٥ من طرق عن عبد العزيز بن عبد الصمد به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٣ ومسلم ٣٨٢٨ وأحمد ٤/ ٤٠٠ و ٤١٩ والدارمي ٢/ ٣٣٦ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٠٦ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٩ والبيهقي في «البعث» ٣٠٣ من طرق عن أبي عمران الجوني به.

---

(١) الدخان: ٥٤.

صَرَفوا «رفارِف» قال ثعلَبٌ: إنما لم يَقُلْ: أخضر، لأنَّ الرَّفرفَ جمعٌ، واحدَتُه: رَفْرَفة، كقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾(١) ولم يَقُلْ: الخُضْر، لأنَّ الشجر جمعٌ، تقول: هذا حَصىً أبيضُ، وحَصىً أسودُ، قال الشاعر:

أحَقّاً عِبادَ اللّهِ أنْ لستُ ماشياً ... بِبهرَجابَ ما دامَ الأرَاكُ به خُضْرَا

واختلف المُفسِّرون في المراد بالرَّفرَفِ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: فُضولُ المجالِس والبُسُطِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: هي: الفُرُشُ والبُسطُ. وحكى الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبة: أنها المجالِسُ. وقال النَّقَّاشُ: الرَّفرَف: المجالسُ الخُضْرُ فوقَ الفُرُشِ. **والثاني**: أنها رياضُ الجنَّةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ رِياضُ الجنَّةِ: خَضْرَاءُ مُخصِبةٌ. **والثالث**: أنها الوسائِدُ، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها الزَّرَابيُّ، قاله ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ، وكذلك قال ابنُ قُتَيبَة: العَبقَريُّ: الطَّنافِس الثِّخَانُ. قال أبو عُبيدَةَ: يُقال لكلِّ شيءٍ مِنَ البُسطِ: عَبقَرِيّ. **والثاني**: أنه الدِّيباجُ الغليظُ، قاله مُجاهِدٌ. قال الزَّجَّاجُ: أصلُ العَبقريِّ في اللغة أنه صِفةٌ لكلِّ ما بُولِغَ في وَصْفِه، وأصلُه أنَّ عَبقَرَ: بلدٌ كان يُوشى فيه البُسطُ وغيرُها، فنُسِبَ كلُّ شيءٍ جيِّدٍ إليه، قال زُهيرٌ:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ ... جَدِيرونَ يَوْماً أنْ يَنالوا فَيَسْتَعْلُوا

وقرأ عُثمانُ بنُ عَفَّانَ وعاصِمٌ الجَحْدَريُ وابنُ مُحَيصنٍ: «وعَباقِرِيَّ» بألِفٍ مكسورةِ القاف مفتوحةِ الياء مِنْ غير تنوينٍ؛ قال الزَّجَّاجُ: لا وجهَ لهذه القراءة في العربية، لأنَّ الجمعَ الذي بعد ألفِهِ حرفان، نحو: مساجِد ومصابِح، لا يجوز أنْ يكونَ فيه مثل عباقِرِي، لأنَّ ما جاوزَ الثلاثةَ لا يُجمَعُ بياءِ النَّسبِ، فلو جمعتَ «عبقريّ» فإنَّ جمعَهُ «عباقِرة»، كما أنكَ لو جمعتَ «مُهلَّبي» كان جمعُه «مَهالِبة»، ولم تَقُل: «مَهالِبي»، قال: فإنْ قيلَ «عبقريّ» واحدٌ، و «حِسَان» جمعٌ، فكيف جازَ هذا؟ فالأصلُ أنَّ واحدةَ هذا «عبقرية» والجمعُ «عبقري»، كما تقول: ثَمرة وثَمَر، ولَوْزة ولَوْز، ويكون أيضاً «عبقري» اسماً للجنسِ. وقرأ الضَّحَّاكُ وأبو العَالِية وأبو عِمرَانَ: «وعَباقِرِيٍّ» بألفٍ مع التنوين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ ذِكرَ «الاسم» صِلَةٌ، والمعنى: تبارَكَ ربُّكَ. **والثاني**: أنه أصلٌ، قال ابنُ الأنباري: المعنى: تَفاعَلَ مِنَ البَرَكَة، أي: البَرَكةُ تُكتَبُ وتُنالُ وتكسب بِذِكرِ اسمِه. وقد بَيَّنا معنى «تبارَكَ» في «الأعْرَاف»(٢)، وذَكَرنا في هذه السُّورَةِ معنى ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٣)، وكان ابنُ عامرٍ يقرأ: «ذو الجَلال» وكذلك هي في مَصَاحِفِ أهلِ الشَّام؛ والباقون: «ذي الجَلال» وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ الحِجَازِ والعراقِ، وهم مُتَّفِقون على المَوضعِ الأولِ أنه «ذو».

---

(١) يس: ٨٠. (٢) الأعراف: ٥٤. (٣) الرحمن: ٢٧.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله الأكثرون، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعطاءٌ وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وجابرٌ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ أنَّ فيها آية مدنيَّة وهي قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، رَواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: لمَّا قال المشركون: متى هذا الوعدُ، متى هذا الفتْحُ؟! نَزلَ قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ فالمعنى: يكون إذا وَقعتْ. قال المُفسِّرون: والواقِعة: القيامة، وكلّ آتٍ يتوقَّع يُقال له إذا كان: قد وَقعَ، والمراد بها هاهنا: النَّفخةُ في الصُّورِ لقيام الساعة. ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا﴾ أي لِمَجيئها وظهورها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: كَذِبٌ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾[1] أي: لَغواً. قال الزَّجَّاجُ: و«كاذبة» مصدر، كقولكَ؛ عافَاهُ الله عافية، وكَذَبَ كذبةً، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لا رَجعَةَ لها ولا ارتدادَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: ليس الإخْبارُ عن وقوعِها كَذِباً، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَافِضَةٞ﴾ أي: هي خافِضَةٌ ﴿رَّافِعَةٌ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وأبو العَاليةِ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَة، واليَزيدِيُّ في اختياره: «خافِضةً رافعةً» بالنَّصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنها خَفضَتْ فأسمعتِ القريبَ، ورَفَعتْ فأسمعَتِ البعيدَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الواقعة صَيحَةُ القيامة. **والثاني**: أنها خَفضَتْ ناساً، ورَفعتْ آخرين، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. قال المفسِّرون: تَخْفِضُ أقواماً إلى أسفل السَّافِلينَ في النَّارِ، وتَرفَعُ أقواماً إلى عِلِّيِّينَ في الجنَّةِ.

---

(١) الغاشية: ١١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حُرِّكتْ حركةً شديدةً وزُلْزِلَتْ، وذلك أنها ترْتَجُّ حتى يتهدَّمَ ما عليها مِنْ بناءٍ، ويَتَفَتَّتَ ما عليها مِنْ جبلٍ. وفي ارتجاجِها قولان: أحدهما: أنه لإِماتَةِ مَنْ عليها مِنَ الأحياء. الثاني: لإِخراجِ مَنْ في بَطْنِهَا مِنَ الموتى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: فُتِّتَتْ فَتًّا، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال مُجاهِدٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فُتَّتْ حتى صارت كالدَّقيقِ والسَّويقِ المَبْسُوسِ. والثاني: لُتَّتْ، قاله قَتادَةُ: وقال الزَّجَّاجُ: خُلِطَتْ ولتَّتْ. قال الشاعر:

لا تَـخْـبِـزَنْ خَـبْـزاً وبُـسَّ بَـسَّـا

وفي «الهَباء» أقوالٌ قد ذكرناها في الفُرقان[١]. وذكر ابنُ قُتَيبةَ أنَّ الهَباءَ المُنْبَثَّ: ما سَطَعَ مِنْ سَنابِكِ الخَيلِ، وهو مِنَ «الهَبْوَة»، والهَبَة: الغُبار. والمعنى: كانت تُراباً مُنتشراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾. ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وفيهم ثمانيةُ أقوالٍ[٢]: أحدها: أنهم الذين كانوا على يمينِ آدمَ حين أُخرِجَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ صُلْبِه، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: أنهم الذين يُعْطَون كتبهم بأيمانهم، قاله الضحاك والقرظي. والثالث: أنهم الذين كانوا مَيامِيْنَ على أنفُسِهم، أي: مُبارَكينَ، قاله الحسَنُ والرَّبيعُ. والرابع: أنهم الذين أُخِذوا مِنْ شِقِّ آدمَ الأيمنِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. والخامس: أنهم الذين مَنزلَتُهم عن اليمين، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرَانَ. والسادس: أنهم أهلُ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ. والسابع: أنهم أصحابُ المنزلةِ الرَّفيعةِ، قاله الزَّجَّاجُ. والثامن: أنهم الذين يُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمينِ إلى الجنَّةِ، ذَكَرَهُ عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابوريُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ قال الفَرَّاءُ: عَجَّبَ نبيَّهُ ﷺ منهم؛ والمعنى: أيُّ شيءٍ هُمْ؟! قال الزَّجَّاجُ: وهذا اللفظ في العربية مَجراهُ مجرى التَّعجُبِ، ومَجرَاهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ في مُخاطبةِ العبادِ ما يَعظُمُ به الشأنُ عندهم، ومِثلُه: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[٣]، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[٤]؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: ومِثلُه أنْ تقولَ: زَيدٌ ما زَيدٌ أيُّ رجُلٍ هو! ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: أصحابُ الشِّمالِ، والعرب تُسمِّي اليدَ اليُسرى: الشُّؤْمَى، والجانبَ الأيسرَ؛ الأَشأم، ومنه قيل: اليُمْنُ والشُّؤمُ، فاليُمْنُ: كأنه ما جاء عن اليمينِ، والشُّؤم ما جاء عن الشِّمالِ، ومنه سُمِّيت اليَمَن و«الشَّأم» لأنها عن يمينِ الكعبةِ وشِمالِها. قال المفسِّرون: أصحابُ المَيمَنَةِ: هم الذين يُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمينِ، ويُعطَون كُتبَهُم بأيمانِهم؛ وتفسيرُ أصحاب المَشأَمةِ على ضدِّ تفسير أصحاب المَيمَنَةِ سواء،

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٣٥: وقوله: **﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾** أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال. وهم عامّة أهل النار ـ عياذاً بالله من صنيعهم ـ وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾** وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه. اهـ.

(٣) الحاقة: ٢. (٤) القارعة: ٢.

والمعنى: أيُّ قومٍ هم؟! ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ العذاب؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فيهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أُمَّة، قاله الحسن، وقتادة. **والثاني**: أنهم الذين صَلُّوا إلى القِبْلَتَيْنِ، قاله ابنُ سِيْرِينَ. **والثالث**: أهلُ القرآن، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: الأنبياء، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والخامس**: السَّابقون إلى المساجدِ وإلى الخروجِ في سبيلِ الله، قاله عُثمانُ بنُ أبي سَودَةَ. وفي إعادةِ ذِكْرِهم قولان: **أحدهما**: أنَّ ذلك للتوكيد. **والثاني**: أنَّ المعنى: السَّابقون إلى طاعةِ الله تعالى هم السَّابقون إلى رحمةِ الله، ذكرهما الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: يعني عندَ الله في ظِلِّ عَرشِه وجوارِه.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ الثُّلَّة: الجماعةُ غيرُ محصورةِ العددِ. وفي الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الأوَّلين: الذين كانوا مِنْ زمن آدمَ إلى زمنِ نبيِّنا ﷺ، والآخِرِيْنَ: هذه الأُمَّةُ. **والثاني**: أنَّ الأوَّلين: أصحابُ رسولِ الله ﷺ، والآخِرِيْنَ: التَّابعون. **والثالث**: أنَّ الأوَّلين والآخِرِينَ: مِنْ أصحاب نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ. فعَلى الأولِ يكون المعنى: إنَّ السَّابقين جماعةٌ مِنَ الأُمَمِ المُتقدِّمةِ الذين سبقوا بالتصديق لأنبيائِهم مَنْ جاء بعدَهُم مؤمناً، وقليلٌ مِنْ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، لأنَّ الذين عايَنُوا الأنبياءَ أجمعين وصَدَّقوا بهم أكثرُ مِمَّنْ عايَنَ نَبِيَّنا وصَدَّقَ به. وعلى الثاني: أنَّ السَّابقين: جماعةٌ مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الأوَّلون مِنَ المهاجرين والأنصار، وقليلٌ مِنَ التابعين وهم الذين اتَّبعوهم بإحسانٍ. وعلى الثالث: أنَّ السَّابقين: الأوَّلُون مِنَ المهاجرين والأنصار، وقليلٌ مِمَّنْ جاء بعدَهُم لِعَجزِ المُتأخِّرِيْنَ أنْ يلحقوا الأوَّلِينَ، فقليلٌ منهم مَنْ يُقارِبُهم في السَّبْقِ. وأمَّا «المَوْضُونَة»، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هي المَنْسُوجَةُ، كأنَّ بعضَها أُدخِلَ في بعضٍ، أو نُضِّدَ بعضُها على بعضٍ، ومنه قيلَ للدِّرْعِ: مَوْضُونَة، ومنه قيلَ: وَضِينُ النَّاقةِ، وهو بِطانٌ مِنْ سُيُورٍ يُدْخَل بعضُه في بعضٍ. قال الفَرَّاءُ: سمعتُ بعضَ العرب يقول: الآجُرُّ مَوضُونٌ بعضُه على بعضٍ، أي: مَسْرُوحٌ، وللمُفسِّرين في معنى «مَوْضُونَةٍ» قولان: **أحدهما**: مَرمُولَةٌ بالذهبِ؛ رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وقال عِكرِمَةُ: مُشَبَّكَةٌ بالدُّرِّ والياقوتِ، وهذا معنى ما ذكرناه عن ابنِ قُتَيبةَ، وبه قال الأكثرون. **والثاني**: مَصفُوفَةٌ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وما بعدَ هذا ما تقدَّم بيانُه[1] إلى قوله: ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الوِلْدان: الغِلْمان. وقال الحسَنُ البَصْريُّ: هؤلاءِ أطفالٌ لم يكن لهم حسناتٌ فيُجزَون بها، ولا سيِّئاتٌ فيُعاقَبُون عليها، فُوضِعوا بهذا الموضع. وفي المُخَلَّدِينَ قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الخُلْدِ، والمعنى: أنهم مُخلَّدون للبقاءِ لا يَتغيَّرون، وهم على سِنٍّ واحدٍ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول للإنسان إذا كَبِرَ ولم يَشْمَطْ[2]، أو لم تذهب أسنانه عن

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) في «القاموس»: الشمط: الشيب.

الكِبَر: إنه لَمُخلَّد، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنهم المُقرَّطون، ويُقال: المُسَوَّرون، ذكره الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، وأنشدوا في ذلك:

ومُخَلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنَّما أعجازُهُنَّ أقاوزُ الكُثْبانِ[1]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الكُوب: إناءٌ لا عُروةَ له ولا خُرطومَ، وقد ذكرناه في الزُّخرُف[2]، والأباريقُ: آنيةٌ لها عُرىً وخَراطِيمُ؛ وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: الإبريقُ: فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، وترجمَتُه مِنَ الفارسيَّةِ أحدُ شيئين؛ إمَّا أنْ يكونَ: طريق الماءِ، أو: صبَّ الماءِ على هِينَتِهِ، وقد تكلَّمَتْ به العربُ قديماً، قال عَدِيُّ بنُ زيدٍ:

ودَعَا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءَتْ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ

وباقي الآية في «الصَّافَّات»[3].

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَلْحَقُهم الصُّدَاعُ الذي يَلحَقُ شاربي خمرِ الدنيا. و«عنها» كنايةٌ عن الكأسِ المذكورةِ، والمراد بها: الخَمرُ، وهذا قولُ الجمهور. **والثاني**: لا يَتفرَّقون عنها، مِنْ قولِكَ: صَدَّعْتُه فانصَدَعَ، حكاه ابنُ قُتَيبةَ. قوله «ولا يُنزِفونَ» مُفسَّرٌ في «الصَّافَّاتِ»[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارون، تقول: تَخيَّرتُ الشيءَ: إذا أخذْتَ خيرَهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَخطُر على قلبِه الطَّيرُ، فيصير مُمَثَّلاً بين يديه على ما اشتُهِيَ. وقال مُغيثُ بنُ سُمَيّ: يقع على أغصانِ شجرةِ طُوبَى كأمثالِ البُخْتِ. فإذا اشتهى الرجلُ طيراً دعاهُ، فيجيء حتى يقعَ على خِوَانِه، فيأكلُ مِنْ أحدِ جانِبَيْهِ قَدِيْدًا والآخرِ شِواءً، ثم يعود طيراً فيطيرُ فيذهب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وعاصم ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «وحُورٌ عِينٌ» بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفرَ وحمزةُ والكِسَائيُّ والمفضَّلُ عن عاصِمٍ: بالخَفضِ فيهما. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعْبٍ وعائشةُ وأبو العَاليةِ وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «وحُوراً عيناً» بالنَّصبِ فيهما. قال الزَّجَّاجُ: والذين رَفَعوا كَرِهوا الخفضَ، لأنه معطوفٌ على قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، قالوا: والحُورُ ليس مما يُطافُ به، ولكنه مخفوضٌ على غيرِ ما ذهب إليه هؤلاءِ لأنَّ المعنى: يَطوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخلَّدون بأكوابٍ يُنعَّمُون بها، فكذلك يُنَعَّمون بلحم طيرٍ، وكذلك يُنَعَّمُون بحُورٍ عِيْنٍ، والرفعُ أحسنُ، والمعنى؛ فلَهُمْ حُورٌ عِينٌ، ومَنْ قرأ «وحُوراً عِيناً» حَمَلَه على المعنى، لأنَّ المعنى: يُعطَونَ هذه الأشياءَ ويُعطَون حُوْراً عِيْناً، إلاَّ أنها تُخالفُ المُصحفَ فيُكرَه. ومعنى ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ أي: صَفاؤهُنَّ وتلألؤهُنَّ شديدٌ كصَفاءِ اللُّؤلؤِ وتلألئه. والمَكنُون: الذي لم يُغيِّره الزمانُ واختلافُ أحوالٍ في الاستعمال، فهُنَّ كاللؤلؤِ حين يخرجُ مِنْ صَدَفِه. ﴿جَزَآءً﴾ منصوبٌ مفعولٌ له؛ والمعنى: يُفعَلُ بهم ذلك جزاءً بأعمالِهم، وجُوِّز أنْ يكونَ منصوباً على أنه مصدرٌ، لأنَّ معنى «يطوف عليهم وِلدانٌ مخلَّدون»: يُجازَون جزاءً بأعمالِهم؛ وأكثرُ النَّحويِّين على هذا الوَجْهِ.

---

(١) في «القاموس» القوز: المستدير من الرمل والكثيب المشرف.
(٢) الزخرف: ٧٢. (٣) الصافات: ٤٦. (٤) الصافات: ٤٧.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قد فَسَّرنا معنى اللَّغوِ والسَّلامِ في سُورَةِ مريم[١] ومعنى التأثِيمِ في الطُّور[٢] ومعنى «ما أصحابُ اليمين» في أولِ هذه السُّورَةِ[٣].

فإنْ قيلَ: التأثيمُ لا يُسمَع فكيف ذَكره مع المسموعِ؟. فالجواب: أنَّ العرب يُتْبِعون آخرَ الكلام أوَّلَه، وإنْ لم يَحسُن في أحدِهما ما يَحسُن في الآخر، فيقولون: أكلتُ خبزاً ولبناً، واللَّبَنُ لا يُؤكَل، إنما حَسُنَ هذا لأنه كان مع ما يؤكَل، قال الفَرَّاءُ: أنشدني بعض العرب:

إذا مـا الـغـانِـيـاتُ بَـرزْنَ يَـومـاً وَزَجَّـجْـنَ الـحَـواجِـبَ والـعُـيُـونـا

قال: والعَيْنُ لا تُزَجَّج إنما تُكَحَّلُ، فرَدَّها على الحاجبِ لأنَّ المعنى يُعْرَف، وأنشد آخر:

ولَـقِـيـتُ زَوْجَـكِ فـي الـوَغـى مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً ورُمْـحـا

وأنشدني:

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً

والماءُ لا يُعْلَف وإنما يُشْرَب، فجَعلَه تابعاً للتِّبْنِ، قال الفَرَّاءُ: وهذا هو وجهُ قراءةِ مَنْ قرأَ، «وحُورٍ عِينٍ» بالخفضِ، لإتباعِ آخرِ الكلام أوَّله، وهو وجهُ العربيَّة.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ في قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٤]. وقد رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: أصحابُ اليمينِ: أطفالُ المؤمنين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

[١٣٨٩] سبب نُزولِها أنَّ المسلمين نظروا إلى وَجٍّ، وهو وادٍ بالطَّائفِ مُخصبٌ، فأعجبهم سِدْرُه. قالوا: يا ليتَ لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو العَالِيةِ، والضَّحَّاكُ.

وفي المَخضُود ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه الذي لا شَوْكَ فيه، رواه ابنُ أبي طَلْحة عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وقَسامةُ بنُ زُهيرٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: كأنه خُضِدَ شَوكه. أي: قُلِعَ.

[١٣٩٠] ومنه قول النبيِّ ﷺ في المدينة: «لا يُخضَدُ شَوكُها».

[١٣٨٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٠ وعزاه لأبي العالية والضحاك وهو منكر جداً، وأمارة الوضع عليه.

[١٣٩٠] ضعيف. في إسناده موسى بن عبيدة واهٍ، ويزيد منكر الحديث، وله شواهد لا تقوم بها حجة.

. أخرجه الطبري ٣٣٣٩٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ من طرق عن سفيان الثوري به. وأخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٦ و ٣٣٣٩٧ وأبو نعيم ٣٩٠ من طرق عن موسى بن عبيدة به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان =

---

(١) مريم: ٦٢.
(٢) الطور: ٢٣.
(٣) الواقعة: ٨.
(٤) الواقعة: ٨.

والثاني: أنه المُوقَر حملاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والضَّحّاكُ. **والثالث**: أنه المُوقَر الذي لا شوكَ فيه، ذكره قَتادةُ.

وفي الطَّلْحِ قولان: **أحدهما**: أنه الموزُ، قاله عليٌّ، وابنُ عباسٍ، وأبو هُريرَةَ، وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ، والحَسنُ، وعطاءٌ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه شجرٌ عِظامٌ كبارُ الشَّوكِ، قال أبو عُبيدَةَ: هذا هو الطَّلْحُ عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَها دَليلُها وقالا غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والجِبالا

فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في الطَّلْحِ؟ فالجواب أنَّ له نَوْراً وريحاً طيِّبةً، فقد وَعدَهُم ما يعرفون ويميلون إليه، وإنْ لم يقع التساوي بينه وبينَ ما في الدنيا، وقال مُجاهِدٌ: كانوا يُعْجَبون بـ «وَجٍّ» وظِلالِه مِنْ طَلْحِه وسِدْرِه، فأمّا المَنضُودُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هو الذي قد نُضِدَ بالحَمْلِ أو بالورقِ والحَمْلِ مِنْ أوَّلِه إلى آخرِه، فليس له ساقٌ بارزةٌ، وقال مَسرُوقٌ: شجرُ الجنَّةِ نُضِدَ مِنْ أسفَلِها إلى أعلاها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائمٌ لا تَنسَخُه الشمسُ. ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ غيرُ مُنقطِعٍ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا مقطوعةٍ في حينٍ دونَ حينٍ، ولا ممنوعةٍ بالحِيطانِ والنَّواطيرِ إنما هي مُطْلَقةٌ لِمَنْ أرادها، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، والحسَنِ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، ولَخَّصَهُ بعضهم فقال: لا مقطوعةٍ بالأزمانِ، ولا ممنوعةٍ بالأثمانِ. **والثاني**: لا تنقطعُ إذا جُنِيَتْ، ولا تُمْنَعُ مِنْ أحدٍ إذا أُريدَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لا مقطوعةٍ بالفَناءِ، ولا ممنوعةٍ بالفسادِ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الحَشايا المَفروشةُ للجلوسِ والنَّوم. وفي رَفْعِها قولان: أحدهما: أنها مرفوعةٌ فوق السُّررِ. والثاني: أنَّ رفعَها: زيادةُ حَشْوِها لِيَطيبَ الاستمتاعُ بها. . **والثاني**: أنَّ المراد بالفُرُشِ: النساءُ؛ والعرب تسمِّي المرأةَ: فراشاً وإزاراً ولِباساً؛ وفي معنى رَفعِهنَّ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهنَّ رُفِعْنَ بالجَمالِ على نساءِ أهلِ الدنيا، والثاني: رُفِعنَ عن الأدناسِ، والثالث: رُفِعنَ في القلوب لشِدَّة المَيْلِ إليهنَّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني النِّساء. قال ابنُ قُتَيبةَ: اكتفى بذِكرِ الفُرُشِ لأنها مَحلُّ النساءِ عن ذِكرِهنَّ. وفي المُشارِ إليهنَّ قولان: **أحدهما**: أنهنَّ نساءُ أهلِ الدنيا المؤمناتُ؛ ثم في إنشائِهنَّ قولان: أحدهما: أنه إنشاؤهُنَّ مِنَ القبور، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: إعادتُهنَّ بعد الشَّمَطِ والكِبَرِ صغاراً، قاله الضَّحّاكُ. **والثاني**: أنهن الحُورُ العِيْنُ، وإنشاؤهُنَّ: إيجادُهنَّ عن غيرِ ولادةٍ، قاله الزَّجّاجُ: والصواب أنْ يُقال: إنَّ الإنشاءَ عَمَّهُنَّ كُلَّهنَّ، فالحُورُ أُنشِئنَ ابتداءً، والمؤمناتُ أُنشِئنَ بالإعادة وتغييرِ الصِّفاتِ؛ وقد رَوى أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

= وموسى يضعّفان في الحديث. وورد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبري ٣٣٤٠٢، وإسناده واهٍ، فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه غير واحد، والحسن لم يسمع من أم سلمة. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣١٦٥ عن الحسن عن أمه عن أم سلمة، وفيه سليمان أيضاً، وهو ضعيف كما تقدم.

[١٣٩١] «إنَّ مِنَ المُنشآتِ اللاَّتي كُنَّ في الدنيا عجائزَ عُمْشاً رُمْصاً».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي: عَذارى. قال ابنُ عباسٍ: لا يأتيها زَوجُها إلاَّ وَجدَها بِكْراً.
قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُرُبًا﴾ قرأ الجمهور: بضمِّ الراء. وقرأ حمزةُ، وخَلَفٌ: بإسكانِ الراء؛ قال ابنُ جَريرٍ؛ هي لغةُ تَميم وبكرٍ. وللمُفسِّرين في معنى «عُرُباً» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهنَّ المُتَحَبِّباتُ إلى أزواجِهنَّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبَيرٍ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنهنَّ العَواشِقُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والمُبرِّدُ، وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: الحسَنةِ التَّبعُّل، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والرابع**: المُغَنِّجات، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: الحسَنةُ الكلامِ، قاله ابنُ زيدٍ. فأمَّا الأترابُ فقد ذكرناهُنَّ في صَ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ هذا مِنْ نعتِ أصحاب اليمين. وفي الأوَّلين والآخِرين خلافٌ، قد سبقَ شرحه[٢]. وقد زُعِمَ أنه لمَّا أُنزلَت الآيةُ الأولى، وهي قوله: «وقليلٌ من الآخِرين» وَجدَ المؤمنون مِنْ ذلك وَجْداً شديداً حتى أُنزلَتْ «وثُلَّةٌ من الآخِرين» فنَسَخَتْها. ورُوِيَ عن عُروةَ بنِ رُوَيْم نحوُ هذا المعنى.

قلتُ: وادِّعاءُ النَّسخ هاهنا لا وجهَ له لثلاثةِ أوجهٍ: **أحدها**: أنَّ علماءَ النَّاسخ والمَنسُوخ لم يُوافِقوا على هذا. **والثاني**: أنَّ الكلامَ في الآيتين خبرٌ، والخبرُ لا يَدخُله النَّسخ. فهو ها هنا لا وجه له. **والثالث**: أنَّ الثُّلَّةَ بمعنى الفِرْقَةِ والفِئة؛ قال الزَّجَّاجُ: اشتِقاقُهما مِنَ القِطعة، والثَّلُّ: الكَسرُ والقَطعُ. فَعَلى هذا قد يجوز أن تكونَ الثُّلَّةُ في معنى القليلِ.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ قد بَيَّنَّا أنه يمعنى التَّعجُّبِ مِنْ حالِهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أُعِدَّ لهم مِنَ الشَّرِّ؟! ثم بَيَّنَ سوءَ مُنْقَلَبِهم فقال: ﴿فِي سَمُومٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: هو حَرُّ النَّارِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ظِلٌّ مِنْ دُخانٍ: قال الفَرَّاءُ: اليَحْمُوم: الدُّخانُ الأسودُ، ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فوَجْهُ الكلام الخَفضُ تَبعاً لِمَا قبلَهُ، ومِثلُه ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[٣]، وكذلك قوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، ولو رَفعتَ ما بعدَ «لا» لَكانَ صواباً، والعرب تجعل الكريمَ

[١٣٩١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٤ و ٣٣٣٩٧ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ من حديث أنس، وإسناده واهٍ. فيه موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.

---

(١) صَ: ٥٢. (٢) الواقعة: ١٣. (٣) النور: ٣٥.

تابعاً لكلِّ شيءٍ نَفَتْ عنه فعلاً يُنوى به الذَّمُّ، فتقول: ما هذه الدارُ بواسِعةٍ ولا كريمةٍ، وما هذا بسَمينٍ ولا كريم. قال ابنُ عباسٍ: لا بارِدِ المُدخَلِ ولا كريمِ المَنظرِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ أي: مُتنعِّمين في تَرْكِ أمرِ الله، فشَغلَهم تَرفُهم عن الاعتبار والتعبُّد. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أي: يُقيمون ﴿عَلَى الْحِنثِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشِّركُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والضَّحَّاكُ؛ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: الذَّنبُ العظيمُ الذي لا يتوبون منه، قاله مُجاهِدٌ. وعن قَتادَةَ كالقولين. **والثالث**: أنه اليَمينُ الغموسُ، قاله الشَّعبيُ. **والرابع**: الشِّرْكُ والكُفر بالبعثِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الواو متحركةٌ لأنها ليست بواوِ إنما هي «وآباؤنا»، فدخلت عليها ألِفُ الاستفهام فتُركتْ مفتوحة. وقرأ أهلُ المدينة، وابنُ عامرٍ: «أَوْ آباؤنا» بإسكانِ الواو. وقد سبقَ بيانُ ما لم نذكُرْهُ هاهنا[1] إلى قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قرأ أهلُ المدينةِ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ: «شُرْبَ الهيم» بضمِّ الشين؛ والباقون بفَتحِها. وأكثرُ أهلِ نَجدٍ يقولون: شَرْباً بالفتح، أنشدني عامَّتُهم:

تَكْفِيهِ حَزَّةُ فِلْذٍ إنْ أَلَمَّ بها ... مِنَ الشِّواءِ ويَكْفِي شَرْبَهُ الغُمَرُ[2]

وزَعم الكِسَائيُ أنَّ قوماً مِنْ بني سَعدِ بنِ تَميم يقولون: «شِرْبَ الهيم» بالكسرِ. وقال الزَّجَّاجُ: «الشَّرب» المصدر، و«الشُّرب» بالضمِّ: الاسم. قالَ: وقد قيلَ: إنه مصدرٌ أيضاً. وفي «الهيم» قولان: **أحدهما**: الإبلُ العِطاشُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة والعَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة. قال ابن قتيبة: هي الإبلُ يُصيبها داءٌ فلا تَرْوَى مِنَ الماء، يُقال: بَعيرٌ أَهْيَمُ، وناقةٌ هَيْماءُ. **والثاني**: أنها الأرضُ الرَّملَةُ التي لا تَرْوَى مِنَ الماء، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. قال أبو عُبيدَةَ: الهيْمُ: ما لا يَرْوَى مِنْ رَمْلٍ أو بعيرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ أي: رِزقُهم، ورَوى عباسٌ عن أبي عمرٍو: «نُزْلُهم» بسكونِ الزاي، أي رزقهم وطعامهم. وفي «الدِّين» قولان قد ذكرناهما في الفاتحة[3].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أوجدناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تُقِرُّونَ بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاَّ ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبَعثِ؟! ثم احتجَّ على بعضِهم بالقُدرةِ على ابتدائِهم فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ما يكون منكم مِنَ المَنِيِّ، يُقال: أمنَى الرجلُ يُمْنِي، ومَنى يَمني، فيجوزُ على هذا «تَمنون» بفتح التاء إنْ ثَبتَتْ به روايةٌ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ﴾ أي تخلُقون ما تُمْنُون بَشَراً؟! وفيه تنبيهٌ على شيئين: **أحدهما**: الامتِهانُ: إذْ خُلِقَ مِنَ الماء المَهينِ بَشَراً سويّاً. **والثاني**:

---

(١) هود: ١٠٣ والصافات: ٦٢ والأنعام: ٧٠.
(٢) البيت لأعشى باهلة، كما في «جمهرة أشعار العرب» ٢٥٤، وفي «القاموس»: الحزة: **ما قطع من اللحم** طولاً. والفِلْذُ: كبد البعير. والغمور: قدح صغير والغَمْرُ: الماء الكثير.
(٣) الفاتحة: ٣.

أنَّ مَنْ قدرَ على خَلْقِ ما شاهدتُموه مِنْ أصلِ وجودِكُم كان أقدرَ على خَلْقِ ما غابَ عنكم مِنْ إعادَتِكم.
قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «قَدَرْنا» بتخفيفِ الدال. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: قَضينا عليكم بالموتِ. **والثاني**: سَوَّينا بينكم في الموتِ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنْ أردنا أنْ نَخلُقَ خَلْقاً غيرَكم لا يَسبِقُنا سابقٌ، ولا يَفوتُنا ذلك. قال ابنُ قُتَيبةَ: لسنا مغلوبين على أنْ لم نَستبدلَ بكم أمثالَكُم. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُبَدِّلُ صفاتِكم ونَجعَلُكم قِردةً وخنازيرَ كما فعلنا بمَنْ كان قبلَكُم. قاله الحسَنُ. **والثاني**: نُنشِئكُم في حَواصلِ طيرٍ سُودٍ تكون بـ «برهوت» كأنها الخَطاطِيفُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثالث**: نَخلُقكم في أيِّ خَلْقٍ شِئْنا، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: نَخلُقكم في سِوى خَلْقِكُم، قاله السُّدِّيُّ. قال مُقاتِلٌ: نَخلُقُكم سِوى خَلْقِكُم في ما لا تعلمون مِنَ الصُّوَرِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهي ابتداءُ خَلْقِكم مِنْ نُطفةٍ وعَلَقةٍ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاَّ تعتبرون فتعلموا قُدرةَ الله فتُقِرُّوا بالبَعثِ.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: ما تعملون في الأرضِ مِنْ إثارتِها، وإلقاءِ البذرِ فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: تُنبِتونه؟! وقد نبَّه هذا الكلامُ على أشياءَ منها إحياءُ الموتى، ومنها الامتِنانُ بإخراجِ القُوتِ، ومنها القُدرةُ العظيمةُ الدالةُ على التوحيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الزَّرعَ ﴿حُطَٰمًا﴾ قال عطاءٌ: تِبْناً لا قمحَ فيه. وقال الزَّجَّاجُ: أبطَلْناه حتى يكون مُنحَطِماً لا حِنطَةَ فيه، ولا شيءَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرأ الشَّعبيُّ وأبو العاليةِ وابنُ أبي عَبلة: «فظِلْتُم» بكسرِ الظاء؛ وقد بيَّنَّاه في قوله: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[1]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ السَّمَيفَع والقاسِمُ بنُ محمَّدٍ وعروة: «تفكَّنون» بالنون. وفي المعنى أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَعَجَّبون، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وعَطاءٌ ومُقاتِلٌ. قال الفَرَّاءُ: تَتعجَّبون مما نَزَلَ بكم في زَرْعِكم. **والثاني**: تَنَدَّمون، قاله الحسَنُ والزَّجَّاجُ. وعن قَتادَةَ كالقولين. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال «تفكهون»: تَندَّمون، ومثلها: تفكَّنونَ، وهي لُغةٌ لِعُكْلٍ. **والثالث**: تُلاومون، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: تَتفجَّعون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: تقولون: قد غَرِمْنا وذهبَ زَرعُنا. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «لَمُغرَمونَ» أي: لَمُعَذَّبون. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمْنا ما كنَّا نطلبُ مِنَ الرَّيعِ في الزَّرعِ. وقد نبَّه بهذا على أمرين: **أحدهما**: إنعامُه عليهم إذْ لم يجعلْ زَرعَهم حُطاماً. **والثاني**: قُدرتُه

---

(١) طه: ٩٧.

على إهلاكِهم كما قَدرَ على إهلاكِ الزّرعِ. **فأمّا المُزْنُ، فهي السَّحابُ**، واحدتها: مُزْنَةٌ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي تستخرجون، مِنْ أَوْرَيتُ، وأكثر ما يُقال: وَرَيتُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «تُورون» أي: تَقدَحُون، تقول: أَوريتُ النّارَ: إِذا قَدَحتَها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ في المراد بشَجَرتها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الشجرةُ التي تُتّخذُ منها الزُّنُودُ، وهو خشَبُ يُحَكُّ بعضُه ببعضٍ فتخرجُ منه النّارُ، هذا قولُ ابن قُتيبةَ، والزّجّاج. **والثالث**: أنّ شجرتَها: أصلُها، ذكره المَاوَرديُ. قوله عزّ وجلّ: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ قال المُفسّرونَ: إذا رآها الرّائي ذَكرَ نارَ جهنّمَ، وما يخافه مِنْ عذابِها، فاستَجارَ بالله منها ﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي: منفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ وفيهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المسافرون، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحّاكُ. قال ابن قُتَيبةَ: سُمُّوا بذلك لِنزولهم القَوى، وهو القَفْر. وقال بعضُ العلماء: المسافرون أكثرُ حاجةً إليها مِنَ المُقيمين، لأنهم إذا أوقَدُوها هربَتْ منهم السِّباعُ واهتدى بها الضّالُّ. **والثاني**: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنهم الجائعون. ، قال ابنُ زيدٍ: المُقوِي: الجائعُ في كلامِ العرب. **والرابع**: أنهم الذين لا زادَ معهم ولا مالَ لهم، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الزّجّاجُ: لمّا ذَكَر ما يدلُّ على توحيدِه، وقُدرَتِه، وإنعامِه، قال: «فسبّح باسم ربك» أي: بَرِّئ الله ونَزِّهْهُ عمّا يقولون في وَصفِه. وقال الضَّحّاكُ: معناه: فَصَلِّ باسم ربِّكَ، أي: استَفتِحِ الصلاةَ بالتكبيرِ. وقال ابنُ جريرٍ: سَبِّحْ بذكرِ ربِّكَ وتسمِيَتِه. وقيلَ: الباءُ زائدةٌ. والاسم يكون بمعنى الذاتِ، والمعنى: فسَبِّحْ ربَّكَ.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى
كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ
﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ في «لا» قولان: **أحدهما**: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأُقسِمُ، ومِثلُه ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]، قاله الزّجّاجُ، وهو مذهبُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ. **والثاني**: أنها على أصلِها. ثم في معناها قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى ما تقدَّمَ، ومعناه: النهي، تقدير الكلام: فلا تُكذِّبوا، ولا تَجحَدوا ما ذَكرتُه مِنَ النِّعَمِ والحُجَجِ، قاله المَاوَرديُ. **والثاني**: أنّ «لا» رَدّاً لما تقوله الكفّارُ في القرآن: إنه سِحرٌ، وشِعرٌ، وكهانَةٌ، ثم استأنفَ القَسَمَ على أنه قرآنٌ كريمٌ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُ. وقرأ الحسَنُ: فلأُقسِم بغيرِ ألِفٍ بين اللامِ والهمزةِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُ: «بموقع» على التوحيد. قال أبو عليٍّ: مواقِعُها: مَساقِطُها. ومَنْ أَفرَدَ، فلأنه اسمُ جنسٍ. ومَنْ جَمعَ فلاختلافِ ذلك. وفي «النُّجوم» قولان: **أحدهما**: نجومُ السماء، قاله الأكثرون. فعلى هذا في مواقعها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: انكِدارُها وانتِثارُها يومَ القيامةِ، قاله الحسَنُ. والثاني: منازِلُها، قاله عطاءٌ، وقَتادةُ. والثالث: مَغِيبُها في

(١) الحشر: ٢٩.

المَغرِبِ، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: أنها نجومُ القرآن، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ. فعَلَى هذا سُمِّيَتْ نجوماً لِنزولِها مُتفرِّقةً، ومواقِعُها: نُزولُها. قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ الهاءُ كنايةٌ عن القَسَم. وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وإنه لَقَسمٌ عظيمٌ لو تعلمون عِظَمَهُ. ثم ذَكَر المُقْسَمَ عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ والكريم: اسمٌ جامعٌ لِمَا يُحمَدُ، وذلك أنَّ فيه البيان والهُدى والحِكمَة، وهو مُعظَّمٌ عند الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اللوحُ المَحفوظُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُصحفُ الذي بأيدينا، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وفي «المَكنُون» قولان: **أحدهما**: مَستُورٌ مِنَ الخَلْقِ، قاله مُقاتِلٌ، وهذا على القولِ الأول. **والثاني**: مَصُونٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من قال: إنَّه اللوحُ المَحفُوظُ، فالمُطَهَّرُون عنده: الملائكةُ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وعِكرِمَةَ، ومُجاهِدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ. فعَلَى هذا يكون الكلام خبراً. ومَنْ قال: هو المُصحفُ، ففي المُطَهَّرينَ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم المُطَهَّرونَ مِنَ الأحداثِ، قاله الجمهور. فيكون ظاهرُ الكلامِ النَّفي، ومعناه النَّهيُ. **والثاني**: المُطَهَّرونَ مِنَ الشِّرْكِ، قاله ابنُ السَّائب. **والثالث**: المُطَهَّرونَ مِنَ الذُّنوبِ والخَطايا، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والرابع**: أنَّ معنى الكلام: لا يَجِدُ طَعمَهُ ونَفعَهُ إلاَّ مَنْ آمنَ به، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيلٌ. والمعنى: هو مُنَزَّلٌ، فسُمِّيَ المُنَزَّل تنزيلاً على اتِّساعِ اللغة، كما تقول للمَقدُورِ: قَدَرٌ، وللمَخلُوقِ: خَلْقٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مُكَذِبون، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: مُمَالِئُون الكفَّارَ على الكُفرِ به، قاله مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: المُدْهِنُ: المُداهِنُ؛ وكذلك قال ابنُ قُتَيبة «مُدهِنون» أي: مُداهِنُون. يُقال: أَدْهنَ في دِينِه، وداهَنَ. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٣٩٢] رَوى مُسلِمٌ في «صحيحه» مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ قال: مُطِرَ الناسُ على عهدِ رسولِ

[١٣٩٢] صحيح. أخرجه مسلم ٧٣ والطبراني في «الكبير» ١٢/ ١٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٢.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٧/ ١٩٥: واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسّه لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنه يمسّه المحدِث وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما. وروي عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسّه إلا طاهر. ابن العربي: وهذا إن سلّمة مما يقوي الحجة عليه، لأن حريم الممنوع من الممنوع. وفيما كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسّه بحائل. وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن عليّ أنه لا بأس بحمله ومسّه للمسلم والكافر طاهراً أو محدثاً إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي ﷺ إلى قيصر وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه. وفي مس الصبيان إياه على وجهين: =

الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أصبحَ مِنَ الناس شاكِرٌ، ومنهم كافِرٌ». قالوا: هذه رَحمةٌ آتيَةٌ وَضَعهَا اللهُ حيثُ شاءَ. وقال بعضُهم: لقد صَدَقَ نَوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآيةُ «فلا أُقسِمُ بمَواقِعِ النُّجومِ» حتى بَلَغَ «أنكم تُكَذِّبون».

[١٣٩٣] ورَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث زيدِ بنِ خالدِ الجُهَنِي، قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بِالحُدَيْبِيَةِ على إثْرِ سماءٍ كانت مِنَ الليل، فلمَّا انصرفَ أقبلَ على الناسِ، فقال: «هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم»؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: «قال: أصبَحَ مِنْ عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ. فأمَّا المؤمنُ فقال: مُطِرْنا بفَضْلِ اللهِ وبرَحمَتِه فذَاكَ مؤمنٌ بي، كافِرٌ بالكَوكَبِ. وأمَّا مَنْ قال: مُطِرْنا بنَوء كذا وكذا، فذَاكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ».

وللمُفسِّرين في معنى هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الرِّزقَ هاهنا بمعنى الشُّكرِ.

[١٣٩٤] رَوَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شُكرَكُم»، وهذا قولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وابنِ عباسٍ. وكان عليٌّ يقرأ «وتجعلون شُكرَكُم».

والثاني: أنَّ المعنى: وتجعلون شُكرَ رِزقِكُم تكذيبَكُم، قاله الأكثرون. وذلك أنَّهم كانوا يُمطَرُون، فيقولون: مُطِرْنا بَنْوءِ كذا. **والثالث**: أنَّ الرزقَ بمعنى الحَظِّ. فالمعنى: وتجعلون حظَّكُم ونَصِيبَكُم مِنَ القرآن أنكم تُكَذِّبون، ذكره الثَّعلَبيُّ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ «وتَكْذبون» بفتح التاء، وإسكانِ الكاف، مُخففَةَ الذال.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن
كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

[١٣٩٣] صحيح. أخرجه البخاري ٨٤٦ ومسلم ٧١ ومالك ١/ ١٩٢ وأحمد ٤/ ١١٧ من حديث زيد بن خالد.

[١٣٩٤] لم أره بهذا اللفظ عن عائشة. وقال السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٣٤: أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ . . .» فذكره بنحو حديث ابن عباس المتقدم، ولم يذكر فيه تفسير الآية ﴿وتجعلون رزقكم﴾. وورد من حديث علي، أخرجه الترمذي ٣٢٩٥ والطبري ٣٣٥٥٥ و ٣٣٥٥٦ وأحمد ١/ ١٣١ وإسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ومع ذلك رواه عنه الثوري موقوفاً على علي، والثوري أحفظ من إسرائيل، والمرفوع ضعفه أحمد شاكر في «المسند» ١٠٨٧. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٣٨.

= أحدهما المنع اعتباراً بالبالغ. والثاني الجواز، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن، لأن تعلمه حال الصغر، ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة، لأن النية لا تصح منه فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: فهلاَّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ يعني: النَّفسَ، فترك ذِكرَها لدلالةِ الكلام، وأنشدوا مِنْ ذلك:

إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنتُمْ﴾ يعني أهلَ المَيتِ ﴿تَنظُرُونَ﴾ إلى سلطان الله وأمره والثاني تنظرون للإنسانِ في تلك الحالةِ، ولا تَملِكُون له شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَلَكُ الموتِ أدنى إليه مِنْ أهلِه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكةَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ونحن أقربُ إليه منكم بالعِلْمِ والقُدرةِ والرؤيةِ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعلمون، والخِطابُ للكفَّارِ، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُحاسَبِينَ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباس، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٌ، وعِكرمَةُ. **والثاني**: مُوقنِينَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: مَبعُوثينَ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: مَجْزيينَ. ومنه يُقال: دِنْتُه، وكما تَدِينُ تُدَانُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والخامس**: مَملُوكينَ أذلاء، مِنْ قولكَ: دِنْتُ له بالطاعة، قاله ابنُ قُتيبةَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: تَردُّون النَّفسَ. والمعنى: إنْ جَحدتُم الإلَهَ الذي يُحاسِبُكم ويُجازِيكم، فهلاَّ تَردُّون هذه النَّفسَ؟! فإذا لم يُمكِنكُم ذلك، فاعلموا أنَّ الأمرَ لِغيرِكم. قال الفَرَّاءُ: وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ هو جوابٌ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ولقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فإنهما أُجِيبَتا بجوابٍ واحدٍ. ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

ثم ذَكرَ طبقاتِ الخَلْقِ عند الموتِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نَفْسُه الحُلقومَ ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عندَ اللهِ. قال أبو العَالِيةِ: هُمُ السَّابقون ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فَلَهُ رَوْحٌ. والجمهور يفتحون الراءَ. وفي معناها ستةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: الفَرحُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الراحةُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: المَغفرةُ والرَّحمةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: الجنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: رَوْحٌ مِنَ الغَمِّ الذي كانوا فيه، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والسادس**: رَوْحٌ في القبرِ، أي: طِيْبُ نَسيم، قاله ابنُ قُتيبةَ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وأبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ وابنُ يَعمَرَ، وقَتادةُ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ، وابنُ أبي سُرَيج عن الكِسَائيِّ: «فَرُوحٌ» برفع الراء. وفي معنى هذه القراءةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ معناها: فَرحمَةٌ، قالَه قَتادَةُ. **والثاني**: فحياةٌ وبقَاءٌ، قاله ابنُ قُتيبةَ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: فحياةٌ دائمةٌ لا موتَ معها. وفي «الرَّيحان» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرزقُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُستَرَاحُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن

---

(١) هو عجز بيت لحاتم الطائي كما في ديوانه ٥٠، وصدره: أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى.

(٢) البقرة: ٣٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/٦٦٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بالرَّوح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله في قولهم: وجدت رَوحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحرّ. وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه.

ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الجنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والرابع**: أنه الرَّيحانُ المَشمُومُ. وقال أبو العَالِيةِ: لا تَخرجُ رُوحُ أحدٍ مِنَ المُقرَّبين مِنَ الدنيا حتى يُؤتى بغُصنٍ مِنْ ريحانِ الجنَّةِ، فيَشمُّهُ، ثم تُقبَضُ فيه رُوحُه، وإلى نحوِ هذا ذهب الحسَنُ. وقال أبو عِمرَانَ الجَوْنيُّ: بَلَغنا أنَّ المؤمنَ إذا قُبِضَ رُوحُه تُلْقَى بضَبائرِ الرَّيحانِ مِنَ الجنَّةِ، فتُجعَلُ رُوحُه فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فسلامةٌ لكَ مِنَ العذاب، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تُسلِّم عليه الملائكةُ، وتُخبره أنه مِنْ أصحاب اليمينِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أنكَ ترى فيهنَّ ما تُحبُّ مِنَ السلامة، وقد عَلِمتَ ما أُعِدَّ لهم مِنَ الجزاءِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بالبَعثِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهُدى ﴿فَنُزُلٌ﴾ وقد بيَّناه في هذه السُّورَةِ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني ما ذُكرَ في هذه السُّورَةِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي هو اليقينُ حقًّا، فأضافه إلى نَفْسِه، كقولكَ: صلاةُ الأولَى، وصلاةُ العَصرِ، ومثله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾[٢]، وقد سَبقَ هذا المعنى، وقال قومٌ: معناه: وإنه للمتقين حقًّا. وقيلَ للحقِّ: اليقينُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قد ذكرناه في هذه السُّورَةِ[٣].

---

(١) الواقعة: ٥٦. (٢) يوسف: ١٠٩. (٣) الواقعة: ٧٤.

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها مكّيَّةٌ، قاله ابنُ السَّائبِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أما تسبيحُ ما يَعقِلُ، فمعلوم، وتسبيحُ ما لا يعقلُ، قد ذكرنا معناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[(١)]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الأولُ هو السابقُ للأشياء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعدَ فناءِ الخَلْقِ ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بحُجَّتِه الباهِرةِ، وبراهِينِه النَّيِّرةِ، وشواهِده الدَّالةِ على صِحَّةِ وحدانيَّتِه. ويكون: الظاهرُ فوقَ كلِّ شيءٍ بقُدرتِه. وقد يكون الظُّهورُ بمعنى العُلُوِّ، ويكون بمعنى الغَلَبةِ. والباطنُ: هو المُحتَجِبُ عن أبصارِ الخَلْقِ الذي لا يَستولي عليه توهُّمُ الكيفيةِ، وقد يكون معنى الظُّهورِ والبُطُونِ: احتِجَابُه عن أبصارِ النَّاظرين، وتَجلِّيه لِبَصائرِ المُتفكِّرين. ويكون معناه: العالِمُ بما ظَهَر مِنَ الأمورِ والمُطَّلِعُ على ما بَطَنَ مِنَ الغُيوبِ. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مُفسَّرٌ في الأعْراف[(٢)] إلى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو مُفسَّرٌ في سَبأ[(٣)] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: بعِلْمِه وقُدرتِه. وما بعدَهُ ظاهرٌ إلى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال المُفسِّرون: هذا الخِطَابُ لِكفَّارِ قُريشٍ ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: المالَ الذي كان بأيدي غيرِهم، فأهلَكَهم اللَّهُ، وأعطى قُريشاً ذلك المالَ، **فكانوا فيه خُلفاءَ مَنْ مَضَى.**

---

(١) الإسراء: ٤٤. (٢) الأعراف: ٥٤. (٣) سبأ: ٢.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: أيُّ شيءٍ لكم مِنَ الثواب في الآخرة إذا لم تُؤمِنوا بالله ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو «أُخِذ» بالرفع. وقرأ الباقون «أَخَذ» بفتح الخاء ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾ بالفتح. والمراد به: حينَ أخرجتُم مِنْ ظَهرِ آدمَ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالحُجَجِ والدلائلِ. قوله: عزَّ وجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ﴾ يعني الشِّركَ إلى نُورِ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حينَ بَعثَ الرسولَ ونَصبَ الأدلَّةَ. ثم حَثَّهم على الإنفاقِ فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أيُّ شيءٍ لكم في تَرْكِ الإنفاقِ ممَّا يُقرِّبُ إلى الله عزَّ وجلَّ وأنتم ميتون تارِكُون أموالَكم؟! ثم بَيَّنَ فَضلَ مَنْ سبقَ بالإنفاقِ فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه فَتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه فَتحُ الحُدَيْبِيَةِ، قاله الشَّعْبيُّ. والمعنى: لا يستوي مَنْ أنفقَ قبلَ ذلك ﴿وَقَٰتَلَ﴾ ومَنْ فعلَ ذلك بعدَ الفَتح. قال المُفسرون: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ. ﴿أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: أعظَمُ منزلةً عندَ الله. قال عَطاءٌ: درجاتُ الجنَّةِ تتفاضَلُ، فالذين أنفقوا مِنْ قبلِ الفَتحِ في أفضلِها. قال الزَّجَّاجُ: لأنَّ المُتقدِّمين كانت بصائرُهم، أنفَذَ. ونالَهُم مِنَ المشقَّةِ أكثرُ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: وَكِلا الفريقين وَعدَهُ الله الجنَّةَ. وقرأ ابنُ عامرٍ «وكُلٌّ» بالرفع. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ «فيضعِّفَه» مشددَة العينِ بغيرِ ألِفٍ، إلاَّ أنَّ ابنَ كَثيرٍ يضمُّ الفاءَ، وابنُ عامرٍ يَفتحُها. وقرأ نافعٌ؛ وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ «فيضاعفُهُ» بالألفِ وضمِّ الفاءِ، وَافقَهُم عاصِمٌ إلاَّ أنه فَتحَ الفاءَ. قال أبو عليٍّ: يُضاعِفُ ويُضَعِّفُ بمعنىً واحدٍ، إلاَّ أنَّ الرفعَ في «يُضاعف» هو الوجهُ، لأنه محمولٌ على «يُقرِض». أو على الانقطاعِ مِنَ الأولِ كأنه قال: فهو يُضاعِفُ. ويُحمل قولُ الذي نصب على المعنى، لأنه إذا قال: مَنْ ذا الذي يُقرِضُ اللَّهَ، معناه: أيُقرِضُ الله أحدٌ قَرضاً فيُضاعِفَهُ. والآيةُ مُفسَّرةٌ في البقرة[1]. والأجرُ الكريمُ: الجنَّةُ.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾

(١) البقرة: ٢٤٥.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ قال المُفسِّرون: يُضيء لهم نُورُ عَملِهم على الصِّراطِ على قَدْرِ أعمالِهم. قال ابنُ مسعودٍ: منهم مَن نُورُهُ مثلُ الجبلِ، وأدناهم نُوراً نُورُهُ على إبهامِهِ يُطفِيءُ مرةً، ويُوقِدُ أخرى. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قولان: **أحدهما**: أنه كُتُبهم يُعطَونها بأيمانِهم، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، والباءُ بمعنى: «في». و «في» بمعنى «عن»، وهذا قولُ الفَرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا قولُ الملائكةِ لهم. قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾ وقرأ حمزةُ: «أَنظِرونا» بقطعِ الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء، قال المُفسرون: تغشى الناس يومَ القيامةِ ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون بنور المؤمنين، قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ في القائل لهم قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: الملائكةُ، قاله مُقاتِلٌ، وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ارْجِعوا إلى المكان الذي قَبَسْتُم فيه النُّورَ، فيَرجِعونَ، فلا يَرَونَ شيئاً. **والثاني**: ارْجِعوا فاعمَلُوا عملاً يجعَلُه اللَّهُ لكم نُوراً. **والثالث**: أنَّ المعنى: لا نُورَ لكم عندنا. قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الأعرافُ، وهو سُورٌ بين الجنة والنار ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني من وراء السور ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهو جهنَّمُ. وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ السُّورَ يكون ببيتِ المَقْدِسِ في مكانِ السُّورِ الشرقي بين الوادي الذي يُسمَّى: وادي جهنَّم، وبينَ البابِ الذي يُسمَّى: باب الرَّحمةِ، وإلى نحوِ هذا ذهب عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، وكَعْبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: يُنادي المنافقون المؤمنين مِنْ وراء السُّورِ: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: على دِينِكم نُصلِّي بصلاتِكم، ونَغزُو معكم؟! فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تربصتم بالتَّوبةِ. **والثاني**: تربَّصْتُم بمحمَّدٍ الموتَ، وقُلْتُم: يُوشِكُ أنْ يموتَ فنستريحَ ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شَكَكْتُم في الحقِّ ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ يعني ما كانوا يَتمنَّونَ مِنْ نزولِ الدَّوائرِ بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المَوتُ. **والثاني**: إلقاؤهُم في النَّارِ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي غَرَّكُمُ الشيطانُ بحُكم الله وإمهالِه ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ «لا تؤخذ» بالتاء، أي: بَدلٌ وعِوضٌ عن عذابِكم. وهذا خطابٌ للمنافقين، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: ؛ أي: أَوْلَى بكم.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين:

[١٣٩٥] **أحدهما**: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابنُ مسعودٍ: ما كان بين إسلامِنا، وبينَ أنْ عُوتِبْنا بهذه الآيةِ إلاّ أربعُ سنين، فجعلَ المؤمنونُ يُعاتِبُ بعضُهم بعضاً.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ[1]. قال مُقاتِلٌ: سأَلَ المنافقون سَلمانَ الفارسيَّ فقالوا: حدِّثنا عن التَّوراةِ، فإنَّ فيها العجائبَ، فنزلت هذه الآية[2].

وقال الزَّجّاجُ: نزلت هذه الآيةُ في طائفةٍ مِنَ المؤمنين حُثُّوا على الرِّقَّةِ والخُشوعِ. فأمَّا مَنْ كان وَصفَهُ الله عزَّ وجلَّ بالخشوعِ، والرِّقَّةِ، فطَبقةٌ مِنَ المؤمنين فوقَ هؤلاءِ. فعَلَى الأول: يكون الإيمانُ حقيقةً. وعلى **الثاني**: يكون المعنى: «ألم يأنِ للذين آمنوا» بألسِنَتِهم. قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: ألَمْ يَحِنْ. تقول: آنَ الشيءُ: إذا حَانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تَرِقَّ وَتلينَ ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. المعنى: أنه يجب أنْ يورِثَهم الذِّكْرُ خشوعاً ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ «وما نزَّل» بفتحِ النونِ والزاي مع تشديدِ الزاي. وقرأ نافعٌ وحَفصٌ، والمُفَضلُ عن عاصِمٍ «نَزَل» بفتحِ النون وتخفيفِ الزاي. وقرأ أبو عبدِالرَّحمن السُّلَميُّ وأبو العَاليةِ وابنُ يَعمَرَ، ويونسُ بنُ حَبيبٍ عَن أبي عمروٍ، وأبَانُ عن عاصِمٍ «نُزِّل» برفعِ النونِ وكسرِ الزاي مع تشديدِها. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو رَجاءٍ «وما أَنزَل» بهمزةٍ مفتوحةٍ وفتحِ الزاي. وقرأ أبو مِجلَزٍ، وعمروُ بن دِينارٍ مثلَهُ إلا أنه بضَمِّ الهمزةِ وكَسْرِ الزاي. و«الحقّ» القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ قرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «ولا تكونوا» بالتاء ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني اليهود والنَّصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ وهو الزَّمانُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الأَمَدُ: الغايَةُ. والمعنى: أنه بَعُدَ عَهدُهم بالأنبياء والصالحين ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يُؤمنوا بعيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ أي يُخرِجُ منها النباتَ بعد يَبَسِها، فكذلك يَقدِرُ على إحياءِ الأمواتِ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ الدَّالةِ على وحدانيَّتِه وقُدرتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تتأمَّلوا.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ إلاّ حَفصاً بتخفيفِ الصاد فيهما على معنى التَّصديقِ. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى الصَّدَقةِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلفوا في نَظْمِ الآيةِ على قولين[3]: **أحدهما**: أنَّ تمامَ الكلامِ عند قوله عزَّ وجلَّ:

[١٣٩٥] هذا الأثر صحيح، أخرجه مسلم ٣٠٢٧ والنسائي في «التفسير» ٥٨٨ واستدركه الحاكم ٢/ ٤٧٩ كلهم عن ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٥٦.

---

(١) موضوع. عزاه المصنف لأبي صالح، وهو متهم في ابن عباس، حيث روى وصاحبه الكلبي تفسير موضوعاً عن ابن عباس، وهذا منه، فالآية المراد بها المؤمنون.

(٢) الخبر منكر جداً، أمارة الوضع لائحة عليه، ومقاتل هو ابن سليمان وهو كذاب.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٦٨٤: والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: =

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هذا قولُ ابنِ عباسٍ، ومَسْروقٍ، والفرَّاءِ في آخرين. **والثاني**: أنها على نَظْمِها، والواوُ في «والشهداء» واو النَّسقُ، ثم في معناها قولان: **أحدهما**: أنَّ كلَّ مؤمنٍ صِدِّيقٌ شهيدٌ، قاله ابنُ مسعودٍ؛ ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانيةُ نفرٍ سَبَقوا إلى الإسلام: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وطَلحةُ، والزُّبيرُ، وسَعدٌ، وزيدٌ، قاله الضَّحَّاكُ. وفي الشهداء قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ شاهدٍ. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصَّةً، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربِّهم على أنفسِهم بالإيمانِ بالله، قاله مُجاهِدٌ. **والقول الثاني**: أنه جمع شهيدٍ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الحياةَ في هذه الدَّارِ ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: غُرورٌ تنقضي عن قليلٍ. وذهب بعضُ المُفسِّرين[1] إلى أنَّ المُشارَ بهذا إلى حالِ الكافر في دُنياهُ، لأنَّ حياته تنقضي على لَهْوٍ ولعبٍ وتزيينِ الدنيا، وتفاخُرٍ يُفاخِرُ قرناءَهُ وجيرانَه، ويُكاثِرُهم بالأموال والأولاد، فيَجمعُ مِنْ غير حِلِّه، ويتطاول على أولياءِ الله بمالِه، وخَدَمِه، ووَلَدِه، فيفنى عمرُهُ في هذه الأشياء، ولا يلتفتُ إلى العمل للآخرة. ثم بَيَّنَ لهذه الحياة شَبهاً، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: مطراً ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ وهم الزُّرَّاعُ، وسُمُّوا كفَّاراً، لأنَّ الزَّارع إذا ألقى البذْرَ في الأرض كَفَرَهُ، أي: غَطَّاهُ ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ أي ما نَبَتَ مِنْ ذلك الغيثِ ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يَيْبَسُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خُضرته وريِّه ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي ينحطِمُ، وينكسرُ بعدَ يُبْسِه. وشرحُ هذا المَثَلِ قد تقدَّمَ في يُونس عند قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، وفي الكهف عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لأعداءِ الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لأوليائه وأهلِ طاعَتِه. وما

= الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناهٍ عند قوله **﴿أولئك هم الصديقون﴾** وأن قوله **﴿والشهداء عند ربهم﴾** خبر مبتدأ عن الشهداء.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٧٠: هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهيّ المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: **﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** الروم: ٥٤ ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذّر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: **﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

(٢) يونس: ٢٤. (٣) الكهف: ٤٥.

بعدَ هذا مذكورٌ في آل عِمران[١]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ فبيَّن أنه لا يدخل الجنَّةَ أحدٌ إلاَّ بفضلِ الله.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: قَحطَ المطرِ، وقِلَّةَ النَّباتِ، ونَقْصَ الثِّمارِ ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني الأمراضَ، وفَقْدَ الأولادِ ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ وهو اللَّوحُ المحفوظُ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أنْ نخلُقَها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إنَّ إثباتَ ذلك على كثرتِه هَيِّنٌ على الله عزَّ وجلَّ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنَ الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو ـ إلا اختيار اليزيدي ـ بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقون بالمَدِّ على معنى: ما أعطاكُم الله منها. وأعلَمَ أنه مَنْ عَلِمَ أنَّ ما قُضِيَ لا بدَّ أنْ يُصيبَهُ قَبل حُزنه وفَرحِه. وقد رَوى قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ قال: دخلتُ بعض أحياءِ العرب، فإذا بفضاءٍ مِنَ الأرض فيه مِنَ الإبلِ ما لا يُحصى عددُهُ كلُّها قد ماتَ، فسألتُ عجوزاً: لِمَنْ كانت هذه الإبلُ؟ فأشارتْ إلى شيخ على تلٍّ يغزلُ الصُّوفَ، فقلتُ له: يا شيخُ لكَ كانت هذه الإبلُ؟ قال: كانت باسمي، قلتُ: فما أصابها؟ قال: ارتجَعَها الذي أعطاها، قلتُ: فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قلتُ:

لا والَّـذي أنـا عَـبْـدٌ فـي عِـبـادَتِـهِ ... والمَرءُ في الدَّهرِ نَصْبَ الرُّزْءِ والحَزَنِ
مـا سَـرَّنـي أنَّ إبْـلـي فـي مَـبـارِكِـهـا ... ومـا جَـرى فـي قَـضـاءِ اللهِ لـم يَـكُـنِ

وما بعدَ هذا قد ذكرناه في سُورَةِ النِّساء[٢]، والذي قيلَ في البُخلِ هناك هو الذي قيلَ هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادِه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائِه. وقد سبق معنى الاسمَيْنِ في البقرة[٣]. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ، والشَّامِ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآياتِ والحُجج ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ببيانِ الشرائع، والأحكامِ. وفي «الميزان» قولان: **أحدهما**: أنه العَدْلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ. **والثاني**: أنه الَّذي يُوزَنُ به، قاله ابنُ زيدٍ ومُقاتِلٌ. فعلى القولِ الأولِ: يكون المعنى: أَمَرْنا بالعدلِ. وعلى الثاني: ووَضَعنا الميزانَ، أي: أَمَرْنا به ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: لكي يقوموا بالعدلِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى أنزلَ مع آدمَ السِّنْدانَ، والكَلْبَتَيْنِ، والمِطرقَةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معنى «أنزلنا»: أنشأنا وَخلقنا، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ

(١) آل عمران: ١٨٥. (٢) النساء: ٣٧. (٣) البقرة: ٢٦٧.

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[١]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: وذلك أنه يُمتَنعُ به، ويُحارَبُ به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ يستعملونه في أدواتِهم، وما ينتفعون به مِنْ آنية وغيرِها. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ هذا معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾، والمعنى: ليتعاملَ الناسُ بالعدلِ وليعلَمَ الله ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بالقتال في سبيله، ونُصرةِ دِينِه، وذلك أنه أمَرَ في الكتاب الذي أَنْزَلَ بذلك. وقد سبق معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ في مواضعَ. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ولم يَرَ الله، ولا أحكامَ الآخرةِ، وإنما يَجهَدُ ويُثابُ مَنْ أطاعَ بالغَيبِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكُتُبَ ﴿فَمِنْهُم﴾ يعني: مِنَ الذُّرِّية ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كافرون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عاصُون، قاله مُقاتِلٌ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: أَتْبَعْنا على آثارِ نُوحٍ، وإبراهيمَ، وذُرِّيتِهما ﴿بِعِيسَى﴾ وكان آخرَ أنبياء بني إسرائيلَ، ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الحَوارِيينَ وغيرَهم مِنْ أتباعِه على دِينِه ﴿رَأْفَةً﴾ وقد سبقَ بيانُها[٢] والمعنى أنهم كانوا مُتوادِّين، كما وصفَ الله تعالى أصحابَ نبيِّنا عليه السَّلامُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ليس هذا معطوفاً على ما قبلَهُ، وإنَّما انتصبَ بفعلٍ مُضمَرٍ، يدلُّ عليه ما بعدَه، تقديره: وابتَدَعوا رهبانيَّةً ابتَدعوها، أي: جاؤوا بها مِنْ قِبَلِ أنفُسِهم، وهي غُلُوُّهم في العبادة، وحملُ المَشاقِّ على أنفسِهم في الامتناع عن المَطْعَمِ والمَشرَبِ والمَلْبسِ والنِّكاحِ، والتعبُّدُ في الجبال ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما فرضناها عليهم.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الاستثناءَ يرجعُ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ والمعنى ابتَدَعوها طَلَباً لِرضوانِ الله، ولم يَكْتُبْها عليهم، وهذا قولُ الجمهور. وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى والرماني عن قتادة وزيد بن أسلم.

والثاني: أنه راجعٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: «ما كتبناها» ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ما كَتَبْناها عليهم بعدَ دُخولِهم فيها تطوُّعاً إلاَّ ابتغاءَ رضوانِ الله. قال الحسَنُ: تطوَّعاً بابتداعِها ثم كَتَبها الله عليهم. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا ألزموا أنفسَهُم ذلك التَّطوع لَزِمَهُم إتمامُه، كما أنَّ الإنسانَ إذا جعل على نَفْسِه صوماً لم يُفترَضْ عليه، لَزِمَهُ أنْ يُتِمَّهُ. قال القاضي أبو يَعلَى: والابتداعُ قد يكون بالقول، وهو ما

(١) الزمر: ٦. (٢) النور: ٢. (٣) الفتح: ٢٩.

يَنذُره ويُوجبه على نَفْسِه، وقد يكون بالفعلِ بالدُّخولِ فيه. وعمومُ الآية تتضمَّن الأمرين، فاقتضى ذلك أنَّ كلَّ مَنِ ابتدعَ قُربَةً، قولاً؛ أو فعلاً، فعليه رِعايَتُها وإتمامُها. **والثاني**: أنَّ المعنى: ما أَمَرناهم منها إلاَّ بما يُرضي الله عزَّ وجلَّ، لا غيرَ ذلك، قاله ابنُ قُتيبَة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الذين ابتَدَعوا الرَّهبانيَّةَ، قاله الجمهور. ثُمَّ في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم ما رَعَوْها لتبديلِ دِيْنِهم وتغييرِهم له، قاله عَطيَّةُ العَوفيُّ. والثاني: لِتقصيرِهم فيما ألزَموه أنفُسَهم. والثالث: لِكُفرِهم برسولِ الله ﷺ لمَّا بُعِثَ، ذكَر القولين الزَّجَّاجُ: **والثاني**: أنهم الذين اتَّبعُوا مُبتَدِعي الرَّهبانيَّةِ في رَهبانيَّتِهم، ما رَعَوها بسلوكِ طريقِ أوَّليهِم، رَوى هذا المعنى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يُؤمنوا به. **والثاني**: أنَّ الذين آمنوا: المؤمنون بعيسى عليه السَّلامُ والفاسقون: المشركون. **والثالث**: أنَّ الذين آمنوا: مُبتَدِعُو الرَّهبانيَّةِ، والفاسقون: مُتَّبِعوهُم على غيرِ القانونِ الصحيح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ عامَّةُ المُفسِّرين على أنَّ هذا الخطابَ لليهودِ والنَّصارى، والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتَّقوا الله، وآمِنُوا برسوله محمَّدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي نَصيبَيْن، وحَظَّين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الكِفْلُ: كِساءٌ يَمنعُ الرَّاكِبَ أنْ يَسقُطَ، فالمعنى: يُؤتِكُم نَصيبَيْنِ يَحفظانِكم مِنْ هَلَكَةِ المعاصي. وقد بيَّنَّا معنى «الكِفْل» في سُورَةِ النِّساء. وفي المراد بالكِفْلَين هاهنا قولان: **أحدهما**: أنَّ أحدَهما لإيمانِهم بمَنْ تقدَّم مِنَ الأنبياء، والآخرُ لإيمانِهم بمحمَّدٍ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ أحدَهما: أجرُ الدنيا. والثاني: أجرُ الآخرة، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾. فيه أربعة أقوال: أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. **والثاني**: تمشون به على الصِّراطِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الهُدى، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الإيمان، قاله ابنُ السَّائب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ «لا» زائدةٌ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تجعل «لا» صِلَةً في كلِّ كلام دخل في آخرِه أو أوَّلِه جَحدٌ، فهذا ممَّا جُعِلَ في آخره جحدٌ. والمعنى: لِيعلَمَ ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين لم يُؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: أنهم لا يَقدِرون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجْرَين لِمَنْ آمنَ بمحمَّدٍ ﷺ ليعلَمَ مَنْ لم يُؤمِنْ به أنه لا أجرَ لهم ولا نصيبَ في فضلِ الله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فآتاه المؤمنين. هذا تلخيصُ قولِ الجمهور في هاتين الآيتين.

[١٣٩٦] وقد ذهب قومٌ إلى أنه لمّا نزلَ في مُسلمي أهلِ الكتاب قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾(١) افتخروا على المسلمين بزيادة الأجْرِ، فشَقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في روايةِ أبي صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلُ. فعَلَى هذا يكون الخطابُ للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتِكُمْ أجْرَيْنِ ليعلَمَ مؤمنو أهلِ الكتاب أنهم لا يَقدِرون على شيءٍ مِنْ فضلِ الله الذي خصَّكم به؛ فإنه فَضَّلكُم على جميع الخلائق. وقال قَتادَةُ: لمّا نزلَ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ الآية، حَسَدَ أهلُ الكتاب المسلمين، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية.

[١٣٩٦] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهذه رواية ساقطة، مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث. وعزاه لمقاتل، وتقدم أنه يضع الحديث أيضاً.

---

(١) القصص: ٥٤.

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

وهي مدنيَّةٌ في قول ابنِ عباسٍ، والحَسنِ، ومُجاهِدٍ، وعِكرِمَةَ وقَتادَةَ والجمهورِ. ورُوِيَ عن عطاءٍ أنه قال: العَشْر الأولُ منها مدنيٌّ، والباقي مكِّيٌّ. وعن ابنِ السَّائبِ: أنها مدنيَّةٌ سِوى آيةٍ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾.

[١٣٩٧] أما سببُ نُزولِها، فَروى عُروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: تبارَكَ الذي وَسِعَ سَمعُه الأصواتَ، ولقد جاءت المُجادِلَةُ فكلَّمت رسولَ الله ﷺ، وأنا في جانبِ البيتِ أسمعُ كلامَها، ويخفىٰ عليَّ بعضُه، وهي تشتكي زوجَها وتقول: يا رسولَ الله، أبْلى شبابي، ونَثَرتُ له بطني، حتى إذا كَبِرَ سِنّي، وانقطعَ وَلدي، ظاهَرَ منّي، اللهُمَّ إني أشكو إليكَ، قالت: فما بَرِحَتْ حتى نزلَ جِبريلُ بهذه الآياتِ.

فأمَّا تفسيرُها، فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قال الزَّجَّاج: إدغامُ الدالِ في السين حسَنٌ لِقُرب المخرَجَينِ لأنهما مِنْ حروف طَرَفِ اللسان، وإدغامُ الدال في السين تقويةٌ للحرفِ، وإظهارُ الدال جائزٌ

[١٣٩٧] صحيح. أخرجه النسائي ٦/ ٤٦ وفي «الكبرى» ١١٥٧٠ و«التفسير» ٥٩٠ وابن ماجة ١٨٨ و ٢٠٦٣ وأحمد ٦/ ٤٦ وعبد الرزاق في «التفسير» ١١١٨ والحاكم ٢/ ٤٨١ والطبري ٣٣٧٢٥ و ٣٣٧٢٦ والواحدي في «الأسباب» ٧٨٨ والبيهقي ٧/ ٣٨٢ من طرق عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة. وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري ومسلم غير تميم، فإنه من رجال مسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام عن خولة بنت ثعلبة. أخرجه أحمد ٦/ ٤١٠ وأبو داود ٢٢١٤ والبيهقي ٧/ ٣٨٩ والطبري ٣٣٧١٤ وابن حبان ٤٢٧٩ والواحدي في «الأسباب» ٧٩١ من طريق محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف به. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٢٤٦٣ و «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٠٤٥ و ٢٠٤٧ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٨٣٨ وهي جميعاً بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

---

(١) المجادلة: ٧.

لأنه وإنْ قَرُبَ مِنْ مخرج السين فله حَيِّزٌ على حِدَةٍ، ومِنْ موضع الدالِ الطاءُ والتاءُ، فهذه الأحرف الثلاثةُ موضعها واحدٌ، والسينُ والزاي والصاد مِنْ موضع واحدٍ، وهي تُسمَّى حروف الصَّفيرِ. وفي اسم هذه المُجادِلَةِ ونسبَتِها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خولةُ بنتُ ثَعلبَةَ، رواه مُجاهِدُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قالَ عِكرمَةُ وقَتادةُ والقُرَظيُّ. **والثاني**: خولةُ بنتُ خُوَيلدٍ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: خولةُ بنتُ الصَّامتِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: خولةُ بنتُ الدّليجِ، قاله أبو العَاليةِ، واسمُ زَوجِها: أوسُ بنُ الصَّامتِ، وكانا مِنَ الأنصار.

[١٣٩٨] قال ابنُ عباسٍ: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي، حَرُمَتْ عليه، فكان أول مَنْ ظاهَرَ في الإسلام أوسٌ، ثم نَدِمَ، وقال لامرأتِه: انطَلِقي إلى رسولِ الله ﷺ فسَلِيْه، فأتَتْهُ، فنزلت هذه الآياتُ. فأمَّا مُجادَلَتُها رسولَ الله ﷺ، فإنه كان كلَّما قال لها: قد حَرُمْتِ عليه، تقول: واللهِ ما ذَكَرَ طلاقاً، فقال: ما أُوحِيَ إليَّ في هذا شيءٌ، فجعلتْ تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى تشكو. يُقال: اشتَكيتُ ما بي وشَكَوتُه، بمعنى شَكوى شاكٍ أي أشكَيْتُه. وقالت: إنَّ لي صِبيَةً صغاراً، إنْ ضَمَمتُهم إليه ضاعوا، وإنْ ضَمَمتُهم إليَّ جاعوا. فأمَّا التَّحاوُرُ، فهو مُراجعةُ الكلام. قال عَنترَةُ في فَرسِه:

لـو كـان يـدْري مـا الـمُـحـاورةُ اشـتـكـى ... ولَـكـانَ لـو عَـلِـمَ الـكـلامَ مُـكـلِّـمـي

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ «يظَّهَّرون» بفتح الياء وتشديدِ الظاء والهاء وفَتْحِهما مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ أبو جعفرَ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ: بفتح الياء وتشديدِ الظاء وبألفٍ وتخفيفِ الهاء. وقرأ عاصِمٌ «يُظاهِرون» بضمِّ الياء وتخفيفِ الظاء والهاء وكَسْرِ الهاء في الموضعين مع إثباتِ الألفِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ «يتظاهرون» بياءٍ وتاءٍ وألفٍ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ «يتظَهَّرون» بياءٍ وتاءٍ وتخفيفِ الظاء وتشديدِ الهاء مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ الحسَنُ وقَتادةُ والضَّحَّاكُ «يظهرون» بفتحِ الياء وفتح الظاء مخفَّفةً، مكسورةَ الهاءِ مُشدَّدةً. والمعنى: تقولون لَهُنَّ: أنتُنَّ كظُهورِ أُمَّهاتِنا ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بكسرِ التاء. وروى المُفَضَّلُ عن عاصِمٍ رَفْعَها. والمعنى ما اللواتي تجعَلْنَ كالأمَّهاتِ بأمَّهاتٍ لهم ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي ما أُمَّهاتُهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ قال الفَرّاءُ: وانتصابُ «الأمَّهات» هاهنا بإلقاءِ الباء، وهي قراءةُ عبدِالله «ما هُنَّ بأمهاتهم»، ومِثلُه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[1]، المعنى:

[١٣٩٨] أخرجه البيهقي ٧/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف أبي حمزة الثمالي، لكن يشهد لأصله ما تقدم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٦٢ بتخريجنا.

---

(١) يوسف: ٣١

ما هذا ببشرٍ، فلمَّا أُلقِيَتِ الباءُ أبقي أثَرُها، وهو النَّصبُ، وعلى هذا كلامُ أهلِ الحِجازِ. فأمَّا أهلُ نَجْدٍ فإنهم إذا ألْقَوا الباءَ رَفَعوا، فقالوا: «ما هن أمهاتُهم» و «ما هذا بشرٌ» أنشدني بعضُ العرب:

رِكابُ حُسَيْلٍ آخِرَ الصَّيْفِ بُدَّنٌ ... ونَاقَةُ عَمْرٍو مَا يُحَلُّ لَها رَحْلُ
وَيَزْعُمُ حسلٌ أنَّهُ فَرْعُ قَوْمِهِ ... وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يا حُسَيْلُ ولاَ أَصْلُ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: المُظاهرون ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات مُحرَّماتٌ على التأبيد، بخلافِ الزَّوجاتِ ﴿وَزُورًا﴾ أي: كذباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إذ شرع الكفارة لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾[1] اللام في «لِمَا» بمعنى «إلى»، والمعنى: ثم يَعُودون إلى تحليلِ ما حَرَّموا على أنفُسِهم مِنْ وَطْءِ الزَّوجة بالعَزْم على الوَطْءِ، قال الفَرَّاءُ: معنى الآية: يرجِعون عمَّا قالوا، وفي نَقْضِ ما قالوا. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: المعنى: يريدون أنْ يَعودوا للجِماع الذي قد حَرَّموه على أنفُسِهم. وقال الحسَنُ، وطَاوسٌ، والزُّهْريُّ: العَوْدُ: هو الوَطْءُ. وهذا يرجع إلى ما قُلناه. وقال الشَّافعيُّ: هو أنْ يُمسِكَها بعد الظِّهارِ مدَّةً يُمكنه طلاقها فيها فلا يُطلِّقها. فإذا وَجدَ هذا، استَقرَّتْ عليه الكَفَّارةُ، لأنه قَصدَ بالظِّهارِ تحريمَها، فإنْ وَصلَ إلى ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدَأَهُ، وإن سكتَ عن الطَّلاقِ، فقد نَدِمَ على ما ابتدأ به، فهو عَودٌ إلى ما كان عليه، فحِينَئذٍ تَجِبُ الكفَّارةُ. وقال داودُ: هو إعادةُ اللفظِ ثانياً، لأنَّ ظاهرَ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعُودُونَ﴾ يدلُّ على تكريرِ اللفظ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا قولُ مَنْ لا يدري اللغةَ. وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: ليس في هذا كما ادَّعَوا، لأنَّ العَوْدَ قد يكون إلى شيءٍ لم يكُنِ الإنسانُ عليه قبل. وسُمِّيتِ الآخرةُ مَعاداً، ولم يكن فيها أحدٌ ثم عادَ إليها. قال الهُذَليُّ:

وعَادَ الفَتى كالكَهْلِ ليس بِقائلٍ ... سِوى الحَقِّ شيئاً واسْتراحَ العَواذِلُ

وقد شرحنا هذا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[2]. وقال ابنُ قُتيبةَ: مَنْ توهَّم أنَّ الظِّهارَ لا يقع حتى يُلفَظَ به ثانيةً، فليس بشيءٍ، لأنَّ الناس قد أجمعوا أنَّ الظِّهار يقع بلفظٍ واحدٍ. وإنما تأويلُ الآية: أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يُطلِّقون بالظِّهار، فجعلَ الله حُكمَ الظِّهارِ في الإسلام خِلافَ حُكمِه عندهم في الجاهلية، وأنزلَ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يريد في الجاهلية «ثم يعودون لما قالوا» في الإسلام، أي: يَعودون لِمَا كانوا يقولونه مِنْ هذا الكلام، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٩٢: وهو حرف مشكل، واختلف الناس فيه قديماً وحديثاً، وأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعاً، لا يصح، وإنما يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨٠: اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: **﴿ثم يعودون لما قالوا﴾** فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقول داود. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع والعزم على الجماع أو الإمساك، فلا تحل له حتى يكفّر بهذه الكفارة. وقد حكي عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإمساك وعنه: أنه الجماع، وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة.

(٢) البقرة: ٢١٠.

المُفسِّرون: المعنى: فعلَيْهم، أو فكفَّارَتُهم تحريرُ رَقبةٍ(١)، أي: عِتقُها. وهل يُشترط أنْ تكونَ مؤمنةً؟ فيه عن أحمدَ روايتان. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ وهو: كناية عن الجِماعِ، على أنَّ العلماء قد اختلفوا هل يُباحُ للمُظاهِرِ الاستِمتاعُ باللمسِ والقُبلَةِ؟ وعن أحمدَ روايتان. وقال أبو الحسَنِ الأخفَش: تقديرُ الآية: والذين يُظاهرون مِنْ نسائِهم فتحريرُ رقبةٍ لِمَا قالوا ثم يَعودون إلى نِسائِهم.

فصل: إذَا وَطِئَ المُظاهِرُ قبلَ أنْ يُكفِّرَ أَثِمَ، واستَقرَّت الكفَّارَةُ، وقال أبو حَنيفَةَ: يسقط الظِّهارُ والكفَّارةُ. واختلف العلماءُ فيما يجب عليه إذا فَعَلَ ذلك، فقال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وطَاوسٌ، ومُجاهِدٌ، وإبراهيمُ، وابنُ سِيْرِينَ: عليه كفَّارةٌ واحدةٌ، وقال الزُّهريُّ، وقَتادَةُ في آخرين: عليه كفَّارَتانِ. فإنْ قال: أنتِ عليَّ كَظَهْرِ أمي اليومَ، بَطَلَ الظِّهارُ بمُضيِّ اليوم، هذا قول أصحابنا؛ وأبي حَنيفَةَ، والثَّوري، والشَّافعي، وقال ابنُ أبي لَيلى، ومالكٌ، والحسَنُ بنُ صالحٍ: هو مُظاهِرٌ أبداً. واختلفوا في الظِّهارِ مِنَ الأمَةِ، فقال ابنُ عباسٍ: ليس مِنَ الأمَةِ ظِهارٌ، وبه قال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والشَّعْبيُّ، والنَّخعيُّ، و أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ، وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وطَاوسٌ، وعَطاءٌ، والأوزاعِيُّ، والثَّوريُّ، ومالكٌ: هو ظِهارٌ. وَنقلَ أبو طالبٍ عن أحمدَ أنه قال: لا يكون مُظاهِراً مِنْ أَمَتِه، ولكن يلزمه كفَّارةُ الظِّهارِ، كما قال في المرأة إذا ظاهَرَتْ مِنْ زوجِها لم تكن مُظاهِرةً، وتلزَمُها كفَّارَةُ الظِّهارِ. واختلفوا فيمَنْ قال: أنتِ عليَّ كظَهْرِ أبي، فقال مالكٌ: هو مُظاهِرٌ، وهو قولُ أصحابنا، وقال أبو حَنيفَةَ والشَّافعيُّ: لا يكون مُظاهِراً. واختلفوا فيمَنْ ظاهَرَ مِراراً، فقال أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ: إنْ كان في مجالس، فكفَّاراتٌ، وإن كان في مجلسٍ واحدٍ، فكفَّارَةٌ: قال القاضي أبو يَعلَى: وعلى قولِ أصحابنا يلزمه كفَّارَةٌ واحدةٌ، سواءٌ كان في مجلسٍ واحدٍ، أو في مجالس، ما لم يُكفِّرْ، وهذا قولُ مالكٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ذَلِكم التَّغليظُ تُوعَظون به. والمعنى: أنَّ غِلَظَ الكفَّارةِ وَعْظٌ لكم حتى تتركوا الظِّهارَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ يعني: الرَّقبَة ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ﴾ أي: فعليه صيامُ شهرين(٢) ﴿مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصيامَ فكفَّارَتُه إطعامُ ﴿سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الفَرضُ ذلك الذي وَصَفنا ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أي: تُصَدِّقوا بأنَّ الله أَمَرَ بذلك، وتُصدِّقوا بما أتى به الرَّسولُ ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ يعني: ما وَصفَهُ الله مِنَ الكفَّاراتِ في الظِّهارِ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِمَنْ جَحَد هذا وكذَّبَ به.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٠٥: وظاهر قوله تعالى، يرتبط الوجوب بالعود، وفيه يرتبط كيفما كانت حالة الارتباط، بيد أنه للمسألة حرف جرى في ألسنة علمائنا من غير قصد، وهو مقصود المسألة، وذلك أن المعتبر في الكفارة صفة العبادة أو صفة العقوبة. والشافعي اعتبر صفة العقوبة، ونحن اعتبرنا صفة القربة، والقرب إنما يعتبر في حال الإجراء خاصة بحال الأداء، كالطهارة والصلاة، والذي يعتبر فيه حالة الوجوب هي الحدود، والطهارة ليست مقصودة لنفسها، وإنما تراد للصلاة، فاعتبر حال فعل الصلاة فيها. قلنا: وكذلك الكفارة ليست مقصودة لنفسها، وإنما تراد لحل المسيس، فإذا احتيج إلى المسيس اعتبرت الحالة المذكورة فيها.

(٢) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٩٧: يقتضي أن الوطء للزوجة في ليل الظهار ببطل الكفارة، لأن الله سبحانه شرط في كفارة الظهار فعلها قبل التماس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قد ذكرنا معنى المُحادَّةِ في التَّوبة[1]، ومعنى «كُبِتوا» في آل عِمران عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾[2]، وقال ابنُ عباسٍ: أُخزوا يومَ الخَندقِ بالهزيمة كما أُخزيَ الذين مِنْ قَبلِهم ممَّنْ قاتلَ الرُّسلَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: مِنْ قبورهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ مِنْ معاصيهِ، وتضييع فرائضه ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي: حَفِظَهُ اللهُ عليهم ﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أعمالِهم في السِّرِّ والعَلانيةِ ﴿شَهِيدٌ﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: أَلَمْ تعلَمْ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ وقرأ أبو جعفرَ «ما تكون» بالتاء. قال ابنُ قُتيبةَ: النَّجوى: السِّرارُ. وقال الزَّجَّاجُ: ما يكون مِنْ خلوةِ ثلاثةٍ يُسِرُّون شيئاً، ويَتناجَوْنَ به ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: عالِمٌ به. و «نجوى» مُشتقٌّ مِنَ النَّجوَة، وهو ما ارتفعَ. وقرأ يعقوبُ «ولا أكثرُ» بالرفع. وقال الضَّحَّاكُ: «إلاَّ هو معهم» أي: عِلمُه معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٩٩] أحدهما: نزلت في اليهودِ والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يَتناجَوْنَ فيما بينهم دونَ المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويَتغامَزونَ بأعيُنِهم، فإذا رأى المؤمنون نَجواهُم قالوا: ما نراهُم إلاَّ قد بَلَغهم عن أقربائِنا وإخوانِنا الذين خرجوا في السَّرايا، قَتْلٌ أو موتٌ، أو مُصيبةٌ، فيقع ذلك في قلوبهم، ويُحزِنُهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدَّم أصحابُهم. فلمَّا طالَ ذلك وكَثر، شكا المؤمنون إلى رسولِ الله ﷺ، فأمَرهُم أنْ لا يتناجَوْا دونَ المسلمين، فلم يَنْتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٣٩٩] لم أره مسنداً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٩٢ عن ابن عباس ومجاهد بدون إسناد، فهو لا شيء.

---

(١) التوبة: ٦٣. (٢) آل عمران: ١٢٧.

والثاني: أنها نزلت في اليهودِ، قاله مُجاهِدٌ[١].

[١٤٠٠] قال مُقاتِلٌ: وكان بينَ اليهود وبيَن رسولِ الله مَوادَعَةٌ، فإذا رَأوا رجلاً مِنَ المسلمين وحدَهُ تناجَوْا بينهم فيظنُّ المسلمُ أنهم يَتناجَوْنَ بقَتْلِه أو بما يكرَهُ فيترك الطريقَ مِنَ المَخافةِ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنهَاهُم عَنِ النَّجْوَى فلم يَنْتهوا وعادوا إليها، فنزلت هذه الآيةُ. وقال ابنُ السَّائبِ: نزلت في المنافقين[٢]. والنَّجْوَى: بمعنى المُناجاةِ ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ إلى المُناجاة التي نُهُوا عنها ﴿وَيَتَنَجَوْنَ﴾ قرأ حمزَةُ، ويعقوبُ إلاَّ زيداً، ورَوْحاً «ويتنجَّون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بألِفٍ. وفي معنى تناجِيْهم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وجهان: **أحدهما**: يَتناجَوْنَ بما يَسُوءُ المسلمين، فذلك الإثْمُ والعُدوانُ، ويُوصي بعضُهم بعضاً بمعصيةِ الرَّسولِ. **والثاني**: يَتناجَوْنَ بعد نهي الرسولِ لهم، ذلك هو الإثْمُ والعُدوانُ ومعصيةُ الرسولِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين:

[١٤٠١] **أحدهما**: أنها نزلت في اليهود. قالت عائشةُ رضي الله عنها: جاء ناسٌ مِنَ اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليكَ يا أبا القاسم، فقلتُ: السَّامُ عليكم، وفَعَلَ اللهُ بكم، فقال رسولُ الله ﷺ: مَهْ يا عائشةُ، فإنَّ الله لا يحبُّ الفُحشَ، ولا التَّفَحُّشَ، فقلتُ: يا رسولَ الله، ترى ما يقولون؟ فقال: ألستِ تَرَينَ أردُّ عليهم ما يقولون، وأقولُ: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآيةُ في ذلك. قال الزَّجَّاجُ: والسَّامُ: الموت.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ.

قال المُفسِّرون: ومعنى «حيَّوك» سَلَّموا عليكَ بغيرِ سلام الله عليكَ، وكانوا يقولون: السَّامُ عليكَ. فإذا خرجوا يقولون في أنفُسِهم، أو يقول بعضُهم لبعضٍ: لَو كان نبياً عُذِّبنا بقولنا له ما نقول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَيْتُمْ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بزعمِهم، وهذا قولُ عَطاءٍ ومُقاتِلٍ. **والثاني**: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نَهاهُم عن فعلِ المنافقين واليهودِ، وهذا مذهبُ جماعةٍ، منهم الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَتَنَجَوْا﴾ هكذا قرأ الجماعة بألِفٍ. وقرأ يعقوبُ وحدَهُ «فلا تتنجَّوا». فأمّا «البِرُّ» فقال مُقاتِلٌ: هو الطَّاعةُ، و«التقوى» تَركُ المعصيةِ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «البِرُّ» الصدقُ،

[١٤٠٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية كذبه غير واحد.

[١٤٠١] صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٠١ والبغوي في «شرح السنة» ٣٢٠٦ عن قتيبة بن سعيد به. وأخرجه البخاري ٢٩٣٥ و ٦٠٣٠ وفي «الأدب المفرد» ٣١١ من طريق أيوب عن ابن مليكة به. وأخرجه مسلم ٢١٦٥ح ١١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٦٢ من طريق مسروق عن عائشة به. وأخرجه البخاري ٦٠٢٤ و ٦٢٥٦ و ٦٣٩٥ ومسلم ٢١٦٥ والترمذي ٢٧٠١ وأحمد ٦/ ٣٧ و ١٩٩ وعبد الرزاق ١٩٤٦ وابن حبان ٦٤٤١ والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٠٣ وفي «الآداب» ٢٨٦ من طرق عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

---

(١) انظر الأثر المتقدم.

(٢) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم.

ـ وورد مختصراً في ذكر المنافقين فحسب، من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٣٧٧٠.

و«التقوى» تَرْكُ الكَذِبِ. ثم ذكر أنَّ ما يفعله اليهودُ والمنافقون، مِنَ الشيطان، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: مِنْ تزيينه، والمعنى: إنما يُزيِّنُ لهم ذلك ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وقد بَيَّنَّا آنِفاً ما كان يُحزِنُ المؤمنين مِنْ هذه النَّجْوى ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ أي: وليس الشيطانُ بضارٍّ المؤمنين شيئاً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فَلْيَكِلُوا أمورَهم إليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إذا قيل لكم تفسَّحُوا في المَجْلِسِ﴾ وقرأ عاصِمٌ «في المجالس» على الجمع، وذلك أنَّ كلَّ جالسٍ له مجلسٌ، فالمعنى: لِيَفْسَحْ كلُّ رجلٍ منكم في مَجْلِسِهِ[(١)].

[١٤٠٢] قال المُفسِّرون: نزلت في نَفَرٍ مِنَ المؤمنين كانوا يُسابقون إلى مجلسِ رسول الله ﷺ، فإذا أقبلَ المهاجرون وأهلُ السَّابقةِ، لم يجدوا موضعاً، وكان رسولُ الله ﷺ يحبُّ أنْ يَلِيَهُ أولُو الفَضْلِ ليحفظوا عنه، فبينما رسولُ الله ﷺ يومَ جُمعةٍ جالسٌ في صُفَّةٍ ضيِّقةٍ في المسجدِ، جاء نَفَرٌ مِنْ أهلِ بَدرٍ فيهم ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، فسَلَّموا وانتظروا أنْ يُوسِّعوا لهم، فأوسَعوا لبعضِهم، وبقي بعضهم، فشقَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ، فقال: قُمْ يا فُلانُ، قُمْ يا فُلانُ، حتى أقامَ مِنَ المجلس على عِدَّةِ مَنْ هو قائمٌ مِنْ أهل السابقةِ، فرأى رسولُ الله ﷺ في وجوهِ مَنْ أقامَهُم الكراهةَ، وتكلَّم المنافقون في ذلك وقالوا: واللهِ ما عَدَلَ، فنزلت هذه الآية.

وقال قَتادةُ: كانوا يتنافسون في مجلسِ رسولِ الله ﷺ، فإذا أقبلَ مُقبِلٌ ضَنُّوا بمجلِسِهم، فأمَرَهُم اللهُ أنْ يفسحَ بعضُهم لبعضٍ. قال المفسِّرون: ومعنى «تفسَّحوا» توسَّعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون مُتصافِّينَ حولَ رسول الله ﷺ فلا يجدُ غيرُهم مجلساً عنده، فأمَرَهُم أنْ يُوسِّعوا لغيرِهم ليتساوى النَّاسُ في الحظِّ منه، ويُظهِرَ فضيلةَ المُقرَّبين إليه مِنْ أهل بدرٍ وغيرِهم.

وفي المراد «بالمجلس» هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مجلسُ الحرب ومَقاعِدُ القتال، كان الرجل يأتي القومَ في الصَّفِّ، فيقول لهم: توسَّعوا، فيأبَوْنَ عليه لِحِرصِهم على القتال، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ والحَسنِ وأبي العاليةِ والقُرَظي. **والثاني**: أنه مَجلسُ رسولِ الله ﷺ، قاله مُجاهِدٌ. وقال قَتادةُ: كان هذا للنبيِّ ﷺ ومَنْ حولَهُ خاصَّةً. **والثالث**: مجالسُ الذِّكرِ كلُّها، رُوِيَ عن قَتادَةَ أيضاً. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِالرَّحمنِ ومُجاهِدٌ والحَسَنُ وعِكرِمَةُ وقَتادَةُ وابنُ أبي عَبلَةَ والأَعمَشُ: «تفسحوا في المجالس» بألِفٍ على الجمع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يُوسِّعُ اللهُ لكم الجنَّةَ، والمجالسَ فيها. ﴿وَإِذَا قِيلَ

[١٤٠٢] عزاه ابن كثير ٤/٣٨٣ ـ ٣٨٤ لابن أبي حاتم عن مقاتل، وهذا مرسل، ومقاتل ذو مناكير، وهذا منها.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/١٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال.

ٱنشُزُواْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِم «انْشُزُوا فانشزُوا» برفع الشين فيهما. وقرأ ابنُ كَثِير، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بكسرِ الشين فيهِما. ومعنى «انشزوا» قُوموا. قال الفَرَّاءُ: وهما لُغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه القيامُ إلى الصَّلاةِ، وكان رجالٌ يتثاقلون عنها، فقيلَ لهم: إذا نُودِيَ للصلاة فانهضوا، هذا قولُ عِكرِمَةَ، والضَّحَّاكِ. **والثاني**: أنه القيامُ إلى قتالِ العدوِ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أنه القيامُ إلى كلِّ خيرٍ، مِنْ قتالٍ، أو أمرٍ بمعروفٍ، ونحوِ ذلك، قاله مُجاهِدٌ.

[١٤٠٣] **والرابع**: أنه الخُروجُ مِنْ بيتِ رسولِ الله ﷺ، وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيتِ رسول الله ﷺ أطالوا ليكونَ كلُّ واحدٍ منهم آخِرَهُم عهداً به، فأُمِروا أنْ يَنشُزوا إذا قِيلَ لهم: انْشُزوا، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنَّ المعنى: قوموا وتَحرَّكوا وتوسَّعوا لإخوانِكم، قاله الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانِهم على مَنْ ليس بمنزلَتِهم مِنْ أهلِ الإيمان ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ على مَنْ ليس بعالِم. وهل هذا الرفعُ في الدنيا، أمْ في الآخرة؟ فيه وَجْهانِ: **أحدهما**: أنه إخبارٌ عن ارتفاع دَرجاتِهم في الجنَّةِ. **والثاني**: أنه ارتفاعُ مجالِسهم في الدنيا، فيكون ترتيبُهم فيها بحسبِ فضائلِهم في الدِّينِ والعِلْم. وكان ابنُ مسعودٍ يقول: أيُّها الناسُ: افهَمُوا هذه الآيَةَ ولْتُرَغِّبْكُم في العِلْمِ، فإنَّ الله يرفَعُ المؤمنَ العالِمَ فوقَ مَنْ لا يعلم دَرجاتٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ نُزولها قولان.

[١٤٠٤] **أحدهما**: أنَّ الناسَ سألوا رسولَ الله ﷺ حتى شَقُّوا عليه، فأراد الله أنْ يخفِّفَ عن نبيِّهِ،

[١٤٠٣] باطل، أخرجه الطبري ٣٣٧٨٥ عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والمتن باطل.
[١٤٠٤] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «أسباب النزول» للسيوطي ١٠٨٣ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لانقطاعه بينهما.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨٤: وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخّص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» اهـ. والأولى ترك القيام لما فيه من مخالفات وذرائع ينبغي سدّها ذلك، وكثير من أهل العلم يجعلونه حتماً لازماً على الطالب وإن كانوا لا يقولونه صريحاً. فإنهم يؤكدون ذلك على أنه من باب احترام وإجلال العلم، والصواب أن نفوسهم هي التي تطلب ذلك. وقد شاهدت حادثة أذكرها ليتبين ويظهر الأمر جلياً في ذلك. كنا في صف وعلى مقاعد الدراسة، وكان حصة القرآن الكريم الطالب يتلو والشيخ يسمع. إذ دخل شيخ آخر كبير وبدل أن يبقى الجميع على ما هم عليه قام الجميع على حين غفلة احتراماً للشيخ وكما تعلم هؤلاء الطلبة مما أدى إلى وقوع كتاب الله عز وجل على الأرض وأخذه الطالب وكأن شيئاً لم يحصل فهذا القيام وفي مثل هذه الحال غير جائز بالإجماع والعالم الذي يرى الطالب، وقد قام له أثناء تلاوة القرآن عليه أن ينهاه عن ذلك وإلا فهو آثم عند جميع الفقهاء وأهل العلم. وقد أجمع أهل الحديث وعلم المصطلح على كراهة القيام لأحد أثناء تلاوة الحديث فكيف أثناء تلاوة القرآن؟!!. نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

فأنزلَ هذه الآيَةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٤٠٥] **والثاني**: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يُكثِرون مُناجاةَ رسولِ الله ﷺ، ويَغلِبون الفقراءَ على المجالسِ، حتى كَرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، فأمَّا أهلُ العسرة فلم يَجِدُوا شيئاً، وأمَّا أهلُ المَيسَرةِ فبَخِلوا، واشتدَّ ذلك على أصحابِ رسول الله ﷺ، فنزلت الرُّخصةُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ.

[١٤٠٦] وإلى نحوِهِ ذهب مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، إلاَّ أنه قال: فقَدرَ الفقراءُ حِينَئذٍ على مُناجاةِ رسولِ الله ﷺ، ولم يُقدِّمْ أحدٌ مِنْ أهل المَيسَرةِ صدقةً غيرَ عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

[١٤٠٧] وروى مُجاهِدٌ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: آيةٌ في كتاب الله لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولن يعملَ بها أحدٌ بعدي، آيةُ النَّجْوَى. كان لي دينارٌ، فبِعتُه بعشرةِ دَراهِمَ، فكلَّما أردتُ أنْ أُناجِيَ رسولَ الله ﷺ قدَّمتُ دِرهماً، فنسخَتْها الآيةُ الأخرى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: تقديمُ الصَّدقةِ على المُناجاةِ خيرٌ لكم، لِمَا فيه مِنْ

[١٤٠٥] ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٦/ ٢٧٢ عن مقاتل بن حيان، وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[١٤٠٦] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهو ممن يصنع الحديث، فخبره لا شيء.

[١٤٠٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٧٨٨ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وروي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية، دعاني رسول الله ﷺ فقال: أما ترى ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ قال علي: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة. أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ وابن أبي شيبة ١٢/ ٨١ ـ ٨٢ وأبو يعلى ٤٠٠ وابن حبان ٦٩٤١ والعقيلي في «الضعفاء» ٣/ ٢٤٣ من طريق عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي بن أبي طالب به. وأخرجه الطبري ٣٣٧٩٦ وابن حبان ٦٩٤٢ والنسائي في «الخصائص» ١٥٢ عن سفيان الثوري بالإسناد المذكور. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» ٥/ ٢٠٤ من طريق شريك عن عثمان المغيرة به. وفي إسناده علي بن علقمة. قال العقيلي: قال البخاري في حديثه نظر. وفي «الميزان» ٥٨٩٣: وقال ابن المديني: لا أعلم له راوياً غير سالم اهـ. وفي هذه إشارة إلى أنه مجهول. وقال عنه ابن حبان في «المجروحين» ٢/ ١٠٩ منكر الحديث يروي عن علي بما لا يشبه حديثه، فلا أدري سمع منه، أو أخذ ما يروي عنه عن غيره. والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا حين وافق الثقات من أصحاب علي اهـ. وتابعه ابن أبي ليلى عند الحاكم ٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ وصححه الحاكم على شرطهما! ووافقه الذهبي! والصواب أن فيه يحيى بن المغيرة السعدي، وهو لم يرو له الشيخان، ولا أحدهما لكن وثقه أبو حاتم وابن حبان، وللحديث علة أخرى، وهي الإرسال، حيث رواه ابن أبي ليلى بصيغة الإرسال، وهو كثير الإرسال، ثم وقع تخليط في هذه الرواية فقد جعله من كلام النبي ﷺ بدل كونه من كلام علي، وهذا دليل على أنها رواية واهية ليست بشيء. وأخرج عبد الرزاق في «التفسير» ٣١٧٨ والطبري ٣٣٧٨٩ و٣٣٧٩١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٦٦ من طريق مجاهد عن علي بن أبي طالب قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد غيري، آية النجوى: كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله قدمت درهماً، فنسخت بالآية الأخرى **﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾** الآية. وإسناده ضعيف لانقطاعه بين مجاهد وعلي.

ـ الخلاصة: هو خبر ضعيف ولا يحتج بمثل هذه الأخبار في هذه المواضع، فلا يثبت بمثل ذلك سبب نزول آية ولا كونها خاصة. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٥٦ و ٢٠٥٧ بتخريجنا.

طاعةِ الله، وأطهرُ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذْ عفا عمَّنْ لا يجد. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي: خِفتم بالصَّدقةِ الفاقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فتجاوزَ عنكم، وخَفَّفَ بنَسخِ إيجابِ الصَّدقةِ. قال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ: إنما كان ذلك عشرَ ليالٍ. قال قَتادَةُ: ما كان إلاَّ ساعةً مِنْ نهارٍ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
(١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨)
ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ (٢٠)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين تولَّوا اليهودَ، ونقلوا إليهم أسرارَ المؤمنين.

[١٤٠٨] وقال السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ: نزلت في عبدِ الله بنِ نبتل المنافقِ، وذلك أنه كان يُجالِسُ رسولَ الله ﷺ، ويرفعُ حديثَهُ إلى اليهود، فدخلَ عليه يوماً، وكان أزرقَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وأصحابُكَ؟ فحلَف بالله ما فَعَل، فقال له النبيُّ ﷺ: «فعلتَ» فانطلَق فجاء بأصحابِه، فحلَفوا بالله ما سَبُّوهُ، فأنزلَ الله هذه الآياتِ.

[١٤٠٩] وروى الحاكِمُ أبو عبدِ الله في صحيحه مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان في ظِلِّ حُجرةٍ مِنْ حُجَرِه، وعنده نَفَرٌ مِنَ المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعَيْنَي شيطانٍ، فإذا أتاكم فلا تُكلِّموه، فجاء رجلٌ أزرقُ، فدعاهُ رسولُ الله ﷺ، فقال: عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وفلانٌ وفلانٌ؟ فانطلَقَ الرجلُ فدعاهم، فحلَفوا بالله واعتذَروا إليه، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ﴾ الآية.

فأمَّا التفسيرُ، فالذين تولَّوا: هم المنافقون، والمَغضوبُ عليهم: همُ اليهودُ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يعني: المنافقين ليسوا مِنَ المسلمين، ولا مِنَ اليهودِ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سببِ نُزولِها. وقال بعضُهم: حَلَفوا أنهم ما سَبُّوا رسولَ الله ﷺ، ولا تولَّوا اليهودَ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كَذَبةٌ ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: سُترةً يَتَّقون بها القَتْلَ. قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: استَتَروا بالحَلفِ، فكلَّما ظهر لهم شيءٌ يُوجِبُ مُعاقبَتَهم حَلَفوا كاذبين. ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: صَدُّوا النَّاسَ عن دِينِ الإسلام، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: صَدُّوا المؤمنين عن جهادِهم بالقتلِ وأَخْذِ مالِهم. قوله عزَّ وجلَّ:

[١٤٠٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٩٨ عن السدي ومقاتل بدون إسناد، وهذا مرسل.
ـ وله شاهد من حديث ابن عباس وهو الآتي.

[١٤٠٩] حسن، أخرجه أحمد ١/ ٢٤٠١ والحاكم ٢/ ٤٨٢ والطبري ٣٣٨٠٥ والواحدي ٧٩٩. صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٢ رجال أحمد رجال الصحيح اهـ.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ، وقَتادةُ: يَحلِفون لِلَّه في الآخرةِ أنهم كانوا مؤمنين، كما حَلَفوا لأوليائِه في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِنْ أيمانِهم الكاذبةِ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ في قولِهم وأيمانِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: غَلَبَ عليهم، وحاذَهم، وقد بَيَّنَّا هذا في سُورَةِ النِّساء عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾(١)، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي: في المَغلوبين، فلَهُم في الدنيا ذُلٌّ، وفي الآخرةِ خِزْيٌ.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وفَتَحَ الياءَ نافعٌ، وابنُ عامرٍ. قال المُفسِّرون: مَنْ بُعِثَ مِنَ الرُّسلِ بالحرب، فعاقبةُ الأمرِ له، ومَنْ لم يُبعَثْ بالحرب، فهو غالبٌ بالحُجَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: مانعٌ حِزْبَهُ مِنْ أنْ يُذَلَّ.

قوله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٤١٠] أحدها: نزلت في أبي عُبيدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، قَتَلَ أباه يومَ أُحدٍ، وفي أبي بكرٍ دَعا ابنَهُ يومَ بدرٍ إلى البِرازِ، فقال: يا رسولَ الله دَعْني أكون في الرَّعْلَةِ الأولى، فقال: مَتِّعنا بنَفْسِكَ يا أبا بكرٍ، وفي مُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ، قَتَلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُمَيرٍ يومَ أُحدٍ، وفي عمرَ قَتَلَ خالَه العَاصَ بنَ هشامٍ يومَ بدرٍ. وفي عليٍّ وحمزَةَ قَتلا عُتبةَ وشَيبةَ يومَ بدرٍ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[١٤١١] والثاني: أنها نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وذلك أنَّ أبا قُحافَةَ سَبَّ رسولَ الله ﷺ، فصَكَّهُ أبو بكرٍ صَكَّةً شديدةً سقطَ منها، ثم ذكرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ فعلتَهُ»؟ قال: نعم. قال: فلا تَعُدْ إليه، فقال أبو بكرٍ: واللهِ لو كان السيفُ قريباً مني لَقتَلْتُه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

[١٤١٢] والثالث: نزلت في عبدِ اللَّه بنِ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ، وذلك أنه كان جالساً إلى جَنْبِ رسولِ الله ﷺ، فشَرِبَ رسولُ الله ﷺ ماءً، فقال عبدُ الله: يا رسولَ الله أَبْقِ فَضلَةً مِنْ شرابِكَ، قال: وما تصنعُ

[١٤١٠] ضعيف، عزاه البغوي في «التفسير» ٤/ ٣١٢/ ٢١٥٤ لمقاتل بن حيان عن مرة الهمْداني عن ابن مسعود قوله: ومقاتل ذو مناكر، وهو غير حجة.

[١٤١١] باطل، أخرجه ابن المنذر كما في «أسباب النزول» ١٠٨٩ عن ابن جريج، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٠ عن ابن جريج تعليقاً، وهذا واهٍ ابن جريج مدلس، لم يذكر من حدثه، ومع ذلك هو معضل، فالخبر شبه موضوع، قال الإمام أحمد: هذه المراسيل التي يرسلها ابن جريج كأنها موضوعة.

. راجع «الميزان» في ترجمة ابن جريج واسمه عبد الملك بن عبد العزيز.

[١٤١٢] عزاه المصنف للسدي، ولم أقف عليه، وهو مرسل بكل حال فهو واهٍ.

---

(١) النساء: ١٤١.

بها؟ فقال: أسقيها أبي، لعلَّ الله سبحانه يُطَهِّرُ قلبَه، ففعلَ، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فَضْلَةُ مِنْ شراب رسولِ الله جئتُكَ بها لتشربَها، لعلَّ الله يُطَهِّرُ قلبَكَ، فقال: هلاَّ جئتني ببولِ أُمِّكَ! فرجعَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، ائذَنْ لي في قَتْلِ أبي، فقال رسولُ الله ﷺ: ارْفِقْ به، وأحسِنْ إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيُّ.

[١٤١٣] **والرابع**: أنها نزلت في حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعَة حين كتب إلى أهلِ مكَّة يخبرهم أنَّ رسولَ الله ﷺ قد عَزَم على قَصْدِهم، قاله مُقاتِلٌ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

وهذه الآية قد بيَّنَتْ أنَّ مودَّةَ الكفَّارِ تقدَحُ في صحة الإيمان، وأنَّ مَنْ كان مؤمناً لم يُوَالِ كافراً وإنْ كان أباه أو ابنَهُ أو أحداً مِنْ عشيرته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، يعني: الذين لا يُوَادُّون مَنْ حادَّ اللَّه ورسولَهُ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وقرأ المُفَضَّلُ عن عاصِم «كُتِبَ» برفع الكاف والنون مِنَ «الإيمان». وفي معنى «كَتَب» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أثبَتَ في قلوبهم الإيمانَ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثاني**: جَعلَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: كَتَبَ في اللَّوح المَحفوظِ أنَّ في قلوبهم الإيمانَ، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: حَكَمَ لهم بالإيمان. وإنما ذَكَر القلوبَ، لأنها موضعُ الإيمان، ذكره الثَّعلَبيُّ. **والخامس**: جَمعَ في قلوبهم الإيمانَ حتى استكمَلوه، قاله الوَاحِديُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ أي قوَّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنۡهُۖ﴾ في المراد «بالرُّوح» ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّصرُ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ. فعَلَى هذا سُمِّيَ النَّصرُ رُوحاً لأنَّ أمرَهُم يَحيا به. **والثاني**: الإيمان، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: القرآن، قاله الرَّبيعُ. **والرابع**: الرَّحمة، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: جبريلُ عليه السلام أَيَّدَهُم به يومَ بَدرٍ، ذكره المَاوَرديُّ. فأمَّا ﴿حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ فقال الزَّجَّاجُ: هم الدَّاخلون في الجمع الذين اصطَفاهُمُ اللَّهُ وارتَضاهُم، و «ألا» كلمةُ تنبيهٍ وتوكيدٍ للقصة.

[١٤١٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية متهم بالكذب، وخبر حاطب في «الصحيحين» وليس فيه ذكر نزول هذه الآية.

ترتيبها ٥٩ — سُورَةُ الحَشْرِ — آياتها ٢٤

وهي مدنية كلها بإجماعهم، وذَكرَ المُفسِّرون أنَّ جميعَها نَزلَ في بني النَّضِيرِ. وكان ابنُ عباسٍ يُسمّي هذه السُّورَةَ «سورة بني النَّضِير؛» وهذه الإِشارةُ إلى قصَّتِهم.

[١٤١٤] ذكر أهلُ العلم بالتفسير والسِّيَر: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى مسجدِ قُباءٍ، ومعه نَفرٌ مِنْ أصحابه، فصلَّى فيه، ثم أتى بني النَّضيرِ، فكلَّمهم أنْ يُعينوه في دِيَةِ رجلين كان قد آمَنَهُما، فقتلهما عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهَمُّوا بالغَدْرِ به، وقال عمرُو بنُ جحاشٍ: أنا أظهَرُ على البيتِ، فأطرَحُ عليه صخرةً، فقال سَلاَّمُ بنُ مِشْكَم: لا تفعلوا، واللّهِ ليُخبرَنَّ بما هَممتُم به، وجاء رسولَ الله ﷺ الخبرُ، فنهضَ سريعاً، فتوجَّهَ إلى المَدينةِ، فَلحقَهُ أصحابُه، فقالوا: قُمتَ ولم نَشعُرْ؟! فقال: هَمَّتْ يهودُ بالغَدرِ، فأخبرني اللّهُ بذلك، فقُمتُ، وبعَثَ إليهم رسولُ الله ﷺ محمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ: أنِ اخرُجُوا مِنْ بلدتي، فلا تُساكِنُوني، وقد هَمَمتُم بما هَمَمتُم به، وقد أجَّلتُكم عشراً. فمَنْ رُئِيَ بعد ذلك ضربتُ عُنقَهُ، فمَكثوا أياماً يتجهَّزون، فأرسلَ إليهم ابنُ أُبَيٍّ: لا تخرجوا، فإنَّ معي ألفين مِنْ قومي وغيرِهم، وتَمُدُّكُمْ قُرَيظَةُ، وحُلفاؤُكم مِنْ غطفانَ، وطَمِعَ حُيَيُّ فيما قال ابنُ أُبَيٍّ، فأرسل إلى رسولِ الله ﷺ: إنَّا لا نخرجُ، فاصنَعْ مَا بَدَا لَكَ، فكبَّرَ رسولُ الله ﷺ، فَكبَّرَ المسلمون لِتكبيرِهِ، وقال: حاربتْ يهود، ثم سارَ إليهم في أصحابه، فلمَّا رَأَوْهُ، قاموا على حُصونِهم معهم النَّبْلُ والحجارةُ، فاعتزَلَتْهُم قُريظةُ، وخذلَهم ابنُ أُبَيٍّ وحُلفاؤُهم مِنْ غطَفانَ، وكان رئيسُهم كَعبُ بنُ الأشْرَفِ قد خرج إلى مكَّةَ فعاقَدَ المشركين على التظاهُرِ على رسولِ الله ﷺ، فأخبرَ اللّهُ نبيَّهُ بذلك، فبَعثَ محمَّد بنَ مَسْلَمةَ فاغترَّه فقتَلَهُ، وحاصَرهُم رسولُ الله ﷺ وقطعَ نَخْلَهُم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادِكَ، فأَجلاهُم عن المدينة، فمضى بعضُهم إلى الشَّام، وبعضُهم إلى خَيْبر، وقَبضَ أموالَهم وسلاحَهُم، فوجد خمسينَ درْعاً، وخمسينَ بيضةً، وثلاثمائةً وأربعين سيفاً.

فأمَّا التفسيرُ فقد ذكرنا فاتحةَ هذه السُّورةِ في أوَّلِ الحديد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

[١٤١٤] عزاه المصنف لأهل التفسير والسير، ولم أره بهذا اللفظ، والظاهر أنه ساقه بمعناه. وانظر «السيرة النبوية» ٣/ ١٥١ و «تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٩١ و «الدر المنثور» ٦/ ٢٧٧ و «أسباب النزول» ٨٠٢.

ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: يهود بني النَّضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ أي: مِنْ منازِلِهم ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أولُ مَنْ حُشِرَ وأُخرِجَ مِنْ دارِه، قاله ابنُ عباسٍ. وقال ابنُ السَّائبِ: هم أولُ مَنْ نُفِيَ مِنْ أهلِ الكتاب. **والثاني**: أنَّ هذا كان أوَّلَ حَشْرِهِم، والحَشْرُ الثاني: إلى أرضِ المَحشَرِ يومَ القيامة، قاله الحسَنُ.

[١٤١٥] قال عِكرمَةُ: مَنْ شكَّ أنَّ المَحشرَ إلى الشَّام فليقرأ هذه الآيةَ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال لهم يومَئذٍ: اخرُجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرضِ المَحشرِ.

والثالث: أنَّ هذا كان أول حشرهم وأن الحَشرَ الثاني: نارٌ تَحشرُهم مِنَ المَشرقِ إلى المَغربِ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: هذا كان أولَ حَشرِهم مِنَ المدينةِ، والحَشرُ الثاني: مِنْ خَيْبَرَ وجميعُ جزيرةِ العرب إلى أَذرعاتٍ وأَرِيحا مِنْ أرضِ الشَّام في أيام عمرَ بن الخطَّابِ، رضي الله عنه، قاله مُرَّةُ الهَمْدَاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ يُخاطب المؤمنين ﴿أَن يَخْرُجُوا۟﴾ مِنْ ديارهم لِعزِّهم، ومَنَعتِهم، وحُصونِهم ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: يعني: بني النَّضيرِ أنَّ حُصونَهم تَمنعُهم مِنْ سُلطانِ الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ وذلك أنَّه أَمَرَ نبيَّهُ ﷺ بقتالِهم وإجلائِهم، ولم يكونوا يظنُّون أنَّ ذلك يكون، ولا يَحسبونَهُ ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ لِخوفِهم مِنْ رسول الله ﷺ، وقيلَ: لِقتلِ سيِّدِهم كَعْبِ بن الأشرَفِ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمروٍ «يُخَرِّبون» بالتشديد. وقرأ الباقون «يُخرِبُون» بالتخفيف وهل بينهما فَرْقٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المشددةَ معناها: النَّقضُ والهَدمُ. والمُخفَّفةَ معناها: يَخرجون منها ويَتركُونَها خَراباً مُعطَّلَةً، حكاه ابنُ جريرٍ. ورُويَ عن أبي عمروٍ أنه قال: إنما اخترتُ التشديدَ، لأنَّ بني النَّضيرِ نَقَضوا منازِلَهم، ولم يَرتحِلوا عنها وهي مَعمُورَةٌ. **والثاني**: أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ. والتَّخريبُ والإخرَابُ لُغتانِ بمعنىً، حكاه ابنُ جريرٍ عن أهلِ اللغةِ. وللمُفسِّرين فيما فعلوا بمنازِلِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان المسلمون كلَّما ظهروا على دارٍ مِنْ دُورِهم هَدَمُوها لِيَتَّسِعَ لهم مكانُ القتال، وكانوا هم يَنْقبونَ دُورَهُم، فيخرجون إلى ما يَلِيها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه كان المسلمون كلَّما هَدَموا شيئاً مِنْ حُصونِهم نَقَضُوا هم ما يَبْنُون به الذي خَرَبَهُ المسلمون، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنهم كانوا ينظرون إلى الخَشبةِ في منازِلِهم، أو العَمودِ، أو البابِ، يَستَحسِنُونَهُ، فَيَهدِمون

[١٤١٥] هو مرسل وورد موصولاً. أخرجه البزار ٣٤٢٦ «كشف» من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لضعف أبي سعد البقال. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٨٣٥٥: فيه أبو سعيد البقال، والغالب على حديثه الضعف. قلت: وكون المحشر في الشام، ورد في أحاديث أخرى. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٥٨٧٣ بتخريجنا.

البيوتَ، ويَنزِعونَ ذلك منها، ويَحمِلُونَهُ معهم، ويَخربُ المؤمنون باقيَها، قاله الزهْريُ. **والرابع**: أنهم كانوا يَخربُونها لئلاً يَسكُنَها المؤمنون، حَسَداً منهم، وبَغْياً، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الاعتبار: النَّظرُ في الأمورِ، لِيُعرفَ بها شيءٌ آخرُ مِنْ جنسِها، و «الأبصار» العقول. والمعنى: تدبَّروا ما نَزلَ بهم ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وهو خُروجُهم مِنْ أوطانهم. وذكرَ الماوَرديُ بينَ الإخراجِ والجَلاءِ فَرْقَين: **أحدهما**: أنَّ الجَلاءَ: ما كان مع الأهلِ والوَلَدِ، والإخراجَ: قد يكون مع بقاء الأهلِ والوَلَدِ. **والثاني**: أنَّ الجَلاءَ لا يكون إلاّ لجماعةٍ. والإخراجَ: قد يكون لواحدٍ ولجماعةٍ. والمعنى: لولا أنَّ الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبْي، كما فعل بقُريظةَ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع ما حلَّ بهم في الدنيا ﴿عَذَابُ النَّارِ ۝٣ ذَلِكَ﴾ الذي أصابَهُم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾ وقد سبقَ بيانُ الآيةِ(١). قال القاضي أبو يَعلَى: فقد دلَّت هذه الآيةُ على جوازِ مصالحةِ أهل الحرب على الجَلاءِ مِنْ ديارِهم مِنْ غير سَبْيٍ ولا استِرقاقٍ، ولا جِزيَةٍ، ولا دخولٍ في ذِمّةٍ، وهذا حُكمٌ مَنسُوخٌ إذا كان في المسلمين قوةٌ على قتالِهم، لأنَّ الله تعالى أمرَ بقتال الكفارِ حتى يُسلِموا، أو يُؤدُّوا الجزيَةَ. وإنَّما يجوز هذا الحُكمُ إذا عَجزَ المسلمون عن مُقاومَتِهم فلم يقدروا على إدخالِهم في الإسلام أو الذِّمَّةِ، فيجوز لهم حِينَئذٍ مصالحَتُهم على الجَلاءِ مِنْ بلادِهم. وفي هذه القصة دلالةٌ على جواز مُصالحَتِهم على مجهولٍ مِنَ المال.

[١٤١٦] لأنَّ النبيَّ ﷺ صَالَحَهُم على أرضِهم، وعلى الحَلْقَةِ(٢)، وتَرَكَ لهم ما أَقلَّتِ الإبلُ، وذلك مجهولٌ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾.

[١٤١٧] سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ حرقَ نَخلَ بني النَّضيرِ وقَطعَ، فنزلت هذه الآيةُ، أخرجَهُ البُخاريّ ومُسلِمٌ مِنْ حديث ابنِ عمرَ.

[١٤١٨] وذكر المُفسِّرون أنه لمّا نزلت ببَني النَّضير تحصَّنوا في حُصونِهم، فأمَرَ بقَطْعِ نخيلِهم،

[١٤١٦] صحيح. أخرجه أبو داود ٣٠٠٤ مطولاً عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وجهالة الصحابي لا تضر.
وأخرجه الطبري ٣٣٨٢٥ عن الزهري مرسلاً. وله شواهد كثيرة.

[١٤١٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣١ والبغوي ٣٦٧٦ عن آدم به من حديث ابن عمر. وأخرجه البخاري ٤٨٨٤ ومسلم ١٧٤٦ وأبو داود ١٦١٥ والترمذي ٣٢٩٨ وابن ماجة ٢٨٤٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٥ وأحمد ٢/ ١٢٣ من طرق عن الليث به. وأخرجه مسلم ١٧٤٦ح ٣١ وابن ماجة ٢٨٤٥ والدارمي ٢/ ٢٢٢ من طريق عبيد الله عن نافع به. وأخرجه البخاري ٣٠٢١ ومسلم ١٧٤٦ وأحمد ٢/ ٧ ـ ٨ و ٥٢ و ٨٠ والطبري ٣٣٨٥٣ والواحدي ٨٠٦ والبيهقي ٩/ ٨٣ والبغوي في «شرح السنة» ٣٦٧٥ من طرق عن جويرية عن نافع به.
وأخرجه البيهقي ٩/ ٨٣ من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن نافع.

[١٤١٨] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٠٤ من غير عزوٍ لقائل. وورد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٣٨٥١.
وورد من مرسل يزيد بن رومان، أخرجه الطبري ٣٣٨٥٠.

---

(١) الأنفال: ١٣، ومحمد: ٣٢.

(٢) أي السلاح.

وإحراقِها، فَجزِعُوا، وقالوا: يا محمَّدُ زَعمتَ أنكَ تُريد الصَّلاحَ، أفمن الصَّلاحِ عَقرُ الشجرِ، وقَطعُ النَّخلِ؟ وهل وجدتَ فيما أُنزلَ عليكَ الفسادَ في الأرض؟ فشَقَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ، ووَجدَ المسلمون في أنفسِهم مِنْ قولِهم. واختلف المسلمون، فقال بعضُهم: لا تقطعوا، فإنه ممَّا أفاءَ اللَّهُ علينا. وقال بعضُهم: بل نُغيظُهم بقَطعِها، فنزلت الآيةُ بتصديق مَنْ نهى عن قَطْعِه، وتحليلِ مَنْ قَطعَهُ مِنَ الإثم، وأخبرَ أنَّ قَطْعَهُ وَتَرْكَهُ بإذنِ الله تعالى.

وفي المراد «باللِّينَةِ»[١]: ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّخلُ كلُّه ما خلا العَجْوَة، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وبه قال عِكرمَةُ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها النَّخلُ والشجرُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباس. **والثالث**: أنها ألوانُ النَّخل كلُّها إلاَّ العَجوَةَ، والبَرْنِيَّة، قاله الزُّهريُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبة. وقال الزَّجَّاجُ: أهلُ المدينة يُسمُّونَ جميعَ النَّخيلِ: الألوانُ، ما خلا البَرْنِيّ، والعَجوةِ. وأصلُ «لِينَة» لِوْنة، فقُلِبت الواوُ ياءً لانكسَارِ ما قبلَها. **والرابع**: أنها النَّخلُ كلُّه، قاله مُجاهِدٌ وعَطيَّةُ، وابنُ زيدٍ. قال ابنُ جَريرٍ: معنى الآيَة: ما قَطعتُم مِنْ ألوانِ النَّخيلِ. **والخامس**: أنها كِرامُ النَّخلِ، قاله سُفيانُ. **والسادس**: أنها ضَربٌ مِنَ النَّخلِ يُقال لِتَمرِها: اللَّون، وهي شديدةُ الصُّفرَةِ، تُرى نَواه مِنْ خارجٍ، وكان أعجبَ تَمرِهِم إليهم، قاله مُقاتِلٌ. وفي عددِ ما قَطعَ المسلمون ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قطعوا وأحرقوا ستةَ نَخلاتٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أحرقوا نخلةً وقطعوا نخلةً، قاله ابنُ إسْحاقَ. **والثالث**: قطعوا أربعَ نَخلاتٍ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال يَزيدُ بنُ رُومانَ ومُقاتِلٌ: بأمرِ الله. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يعني اليهود. وخزيُهم: أنْ يُريَهم أموالَهم يَتحكَّم فيها المؤمنون كيف أحبُّوا. والمعنى: وليُخزيَ الفاسقين أذن في ذلك، ودلَّ على المحذوفِ قولُه: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٣٣: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهي من ألوان النخل ما لم تكن عجوة. ووافقه القرطبي، وقال ابن العربي: والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين ـ وهو اختيار الطبري ـ: أنهما أعرف ببلدهما وأشجارهما. والثاني: أن الاشتقاق يعضده، وأهل اللغة يصححونه، فإن اللينة وزنها لوْنه، واعتلت على أصولهم فآلت إلى لينة فهي لون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: ما رَدَّ عليهم ﴿مِنۡهُمۡ﴾ يعني: مِنْ بني النَّضِيرِ ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ قال أبو عبيدة: الإِيْجَافُ: الإِيضَاعُ، والرِّكابُ: الإِبلُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: وَجَفَ الفَرسُ والبعيرُ، وأوجَفتُه، ومِثلُه: الإِيضَاعُ، وهو الإِسرَاعُ في السَّيرِ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: أنه لا شيءَ لكم في هذا، إنما هو لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً.

قال المُفسِّرون: طَلَبَ المسلمون مِنْ رسولِ الله ﷺ أنْ يُخَمِّسَ أموالَ بني النَّضِيرِ لمَّا أُجلُوا، فنزلت هذه الآيةُ تُبيِّنُ أنها فَيءٌ لم تحصل لهم بِمُحارَبَتِهم، وإنما هو بتَسليطِ رسولِ الله ﷺ، فهو له خاصَّةً، يفعلُ فيه ما يشاء.

[١٤١٩] فقَسمَهُ رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يُعْطِ الأنصارَ منه شيئاً، إلاَّ ثلاثةَ نَفرٍ كانت بهم حاجةٌ، وهم: أبو دُجانَةَ، وسَهْلُ بنُ حُنَيفٍ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ.

ثم ذَكَر حُكمَ الفَيءِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: مِنْ أموالِ كفَّارِ أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ﴾ أي: يأمُركُم فيه بما أحبَّ، ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ بتحليلِ اللهِ إيَّاهُ. وقد ذكرنا «ذوي القربى واليتامى» في الأنفال(١) وذكرنا هناك الفَرْقَ بين الفَيءِ والغَنيمةِ.

فصل (٢): واختلف العلماء في حُكم هذه الآية، فذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بالفَيء ها هنا: الغَنيمةُ التي يأخذها المسلمون مِنْ أموال الكافرين عنوَةً، وكانت في بُدُوِّ الإسلام للذين سمَّاهم الله ها هنا دونَ الغانِمين المُوجِفين عليها، ثم نُسِخَ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن

[١٤١٩] ذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٩٢ بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٠٥ ذكره الثعلبي بغير سند، وروى الواقدي عن معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد أم العلاء قالت: «لما غنم رسول الله ﷺ بني النضير قال لثابت بن قيس بن شماس: ادع لي الأنصار كلهم فقال: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فقال السعدان: بل تقسمه للمهاجرين ويكونوا في دورنا، فرضيت الأنصار، فأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا رجلين محتاجين سهل بن حنيف، وأبا دجانة، ونفل ابن الحقيق. سعدَ بن معاذ «وكان له ذكر عندهم. . . اهـ وانظر «سنن أبي داود» ٣٠٠٤ حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٩٦: يقول تعالى: مبيناً لمال الفيء، وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل، ولا ركاب كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ ـ فأفاءه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما شاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى في هذه الآيات، فقال: **﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾** أي: من بني النضير **﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾** يعني الإبل، **﴿ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾** أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء. ثم قال: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾** أي جميع البلدان التي تفتح هكذا، فحكمها حكم **أموال بني النضير**. ولهذا قال: **﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾** إلى آخرها والتي بعدها. **فهذه مصارف أموال** الفيء ووجوهه.

شَيْءٍ﴾ الآية[1]، هذا قولُ قَتادَةَ ويَزيدَ بنِ رُومانَ. وذهَب قومٌ إلى أنَّ هذا الفيءَ: ما أُخِذَ مِنْ أموال المشركين ما لم يُوجَفْ عليه مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ، كالصُّلحِ، والجِزيَةِ، والعُشورِ، ومالِ مَنْ مات منهم في دارِ الإسلام ولا وارِثَ له، فهذا كان يُقسَمُ في زمنِ رسولِ الله ﷺ خمسةَ أخماسٍ، فأربعةٌ لرسولِ الله ﷺ يفعلُ بها ما يشاء، والخُمسُ الباقي للمذكورين في هذه الآية.

واختلف العلماء فيما يُصنَعُ بسَهْمِ الرسول بعد موته على ما بيَّنَّاه في الأنفال، فعَلَى هذا تكون هذه الآيةُ مُبيِّنةً لِحُكمِ الفيءِ، والتي في الأنفال[2] مُبيِّنَةٌ لِحُكمِ الغنيمة، فلا يَتوجَّهُ النَّسخُ.

قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ يعني الفَيْءَ ﴿دُولَةً﴾ وهو اسمٌ للشيء يَتداوَلُه القومُ. والمعنى: لِئلاً يَتداولَه الأغنياءُ بينهم فيَغلِبونَ الفقراءَ عليه. قال الزَّجَّاجُ: الدُّولة: اسمُ الشيء يُتداوَلُ. والدَّولَةُ، بالفتح: الفعلُ والانتقالُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ مِنَ الفَيءِ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ عن أخْذِه ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ وهذا نزلَ في أمرِ الفَيءِ، وهو عامٌّ في كلِّ ما أمرَ به، ونهى عنه. قال الزَّجَّاجُ: ثم بيَّنَ مَن المساكين الذين لهم الحقُّ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ قال المُفسِّرون: يعني بهم المهاجرين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رِزقاً يأتيهم ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ رضيَ ربِّهم حين خرجوا إلى دارِ الهجرةِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم. ثم مَدَحَ الأنصارَ حين طابَتْ نفوسُهم عن الفَيءِ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعني: دارَ الهِجرةِ، وهي المَدينةُ ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: والذين تبوَّؤُوا الدَّارَ مِنْ قبلِهم، أي: مِنْ قبلِ المهاجرين، والإيمانُ عطفٌ على «الدَّار» في الظاهر، لا في المعنى، لأنَّ «الإيمان» ليس بمكانٍ يُتَبَوَّأُ، وإنما تقديره: وآثَروا الإيمانَ، وإسلامُ المهاجرين قبلَ الأنصارِ، وسُكْنَى الأنصار المدينة قبلَ المهاجرين. وقيلَ: الكلامُ على ظاهره، والمعنى: تبوَّؤا الدَّارَ والإيمانَ قبلَ الهجرة ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شارَكُوهم في منازِلِهم، وأموالِهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حَسَداً وغيظاً ممَّا أُوتيَ المهاجرون. وفيما أُوتُوه قولان: **أحدهما**: مالُ الفَيءِ، قاله الحسَنُ. وقد ذكرنا آنِفاً أنَّ النبيَّ ﷺ قَسَمَ أموالَ بني النَّضِيرِ بين المهاجرين، ولم يُعطِ مِنَ الأنصار غيرَ ثلاثةِ نَفَرٍ. **والثاني**: الفضل والتقدُّم، ذكره المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني الأنصار يُؤثِرون المهاجرين على أنفسِهم بأموالِهم ومنازِلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي فَقْرٌ وحاجةٌ، فبيَّنَ الله عزَّ وجلَّ أنَّ إيثارَهم لم يكن عن غِنًى. وفي سببِ نُزولِ هذا الكلام قولان:

[١٤٢٠] **أحدهما**: أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ، وقد أصابه الجَهدُ، فقال: يا رسولَ الله، إني جائعٌ فأطعِمْني، فبَعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أزواجِه: هل عِندَكُنَّ شيءٌ؟ فكُلُّهنَّ قُلْنَ: والذي بَعثَكَ بالحقِّ

[١٤٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٨ والبغوي في «التفسير» ٢١٦٥ من حديث أبي هريرة. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٩ من طريق نصر بن علي الجهضمي عن عبد الله بن داود به. وأخرجه البخاري ٤٨٨٩ ومسلم ٢٠٥٤ والترمذي ٣٣٠٤ والنسائي في «التفسير» ٦٠٢ وابن حبان ٥٢٨٦ والبيهقي ٤/ ١٨٥ وفي «الأسماء والصفات» ٩٧٩ والواحدي في الوسيط» ٤/ ٢٧٣ من طرق عن فضل بن غزوان به.

---

(١) الأنفال: ٤١. (٢) الأنفال: ٤١.

ما عِندَنا إلاَّ الماءُ، فقال: ما عِندَ رسولِ الله ﷺ ما يُطعِمُكَ هذه الليلةَ. ثم قال: «مَنْ يُضِيفُ هذا هذه الليلةَ يرحمه الله؟» فقامَ رجلٌ فقال: أنا يا رسولَ الله، فأتى به منزلَه، فقال لأهلِهِ: هذا ضيفُ رسولِ الله ﷺ، فأكرِميه ولا تَدَّخري عنه شيئاً، فقالت: ما عِندَنا إلاَّ قُوتُ الصِّبيَةِ، فقال: قومي فعَلِّليهم عن قُوتِهم حتى يناموا ولا يَطْعَموا شيئاً، ثم أَصبِحي سِرَاجَكِ، فإذا أخذَ الضَّيفُ ليأكلَ، فقومي كأنَّكِ تُصلِحينَ السِّراجَ، فأطفِئيهِ، وتعالَيْ نَمضَغُ أَلسِنَتَنا لأجلِ ضيفِ رسولِ الله ﷺ حتى يشبعَ، ففعلَتْ ذلك، فظَنَّ الضَّيفُ أنهما يأكلانِ معه، فشَبِعَ هو، وباتا طاوِيَيْنِ، فلمَّا أصبحا غَدَوا إلى رسولِ الله ﷺ، فلمَّا نظرَ إليهما تبسَّمَ، ثم قال: ضَحِكَ اللهُ الليلةَ، أو عَجِبَ مِنْ فَعالِكُما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. خَرَّجَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي هُريرَةَ. وفي بعضِ الألفاظ عن أبي هُريرَةَ: أنَّ الضَّيفَ كان مِنْ أهل الصُّفَّةِ، والمَضيفَ كان مِنَ الأنصارِ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لقد عَجِبَ مِنْ فَعالِكُما أهلُ السماءِ».

[١٤٢١] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ أُهْدِيَ له رأسُ شاةٍ، فقال: إنَّ أخي فُلاناً وعيالَهُ أحوَجُ إلى هذا، فبَعثَ به إليه، فلم يَزَلْ يَبعَثُ به واحدٌ إلى واحدٍ حتى تناولَها سبعةُ أهلِ أبياتٍ، حتى رجعتْ إلى أولئكَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عمرَ.

[١٤٢٢] ورُوِيَ نحوُ هذه القصة عن أنسِ بن مالِكٍ قال: أُهدِيَ لبعضِ الصحابة رأسُ شاةٍ مَشويٌّ، وكان مَجهوداً، فوَجَّهَ به إلى جار له فتناولَهُ تسعةُ أنفسٍ، ثم عاد إلى الأولِ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ قرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو رجاءٍ «ومن يُوَقَّ» بتشديد القاف. قال المُفسِّرون: هو أنْ لا يأخذَ شيئاً مما نَهاهُ اللهُ عنه، ولا يَمنَعَ شيئاً أَمَرَهُ اللهُ بأدائِه. والمعنى: أنَّ الأنصار ممَّنْ وُقِيَ شُحَّ نفسِه حين طابَتْ أنفسُهم بتَرْكِ الفَيءِ للمهاجرين.

فصل: وقد اختلف العلماء في الشُّحِّ والبُخلِ، هل بينهما فَرقٌ، أَمْ لا؟ فقال ابنُ جَريرٍ: الشُّحُّ في كلام العرب: هو مَنْعُ الفَضلِ مِنَ المالِ. وقال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الشُّحُّ أبلغُ في المَنعِ مِنَ البُخلِ، وإنما الشُّحُّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل إنما هو في أفراد الأمور وخَواصِّ الأشياء، والشُّحُّ عامٌّ، فهو كالوصفِ اللازم للإنسان مِنْ قِبَلِ الطَّبع والجِبِلَّةِ. وحكى الخَطَّابيُّ عن بعضِهم أنه قال: البُخلُ: أنْ يَضِنَّ بمالِه، والشُّحُّ: أنْ يبخلَ بمالِه ومعروفِه. وقد رَوى أبو الشَّعثاءِ أنَّ رجلاً أتى ابنَ مسعودٍ فقال: إني أخاف أن أكونَ قد هَلَكتُ، قال: وما ذاكَ؟ قال: أسمعُ اللهَ يقول: «ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه» وأنا رجلٌ شَحيحٌ لا يكاد يخرجُ مِنْ يديَّ شيءٌ، فقال: ليس ذاكَ بالشُّحِّ الذي ذَكَرَهُ اللهُ في القرآن، الشُّحُّ: أنْ تأكلَ مالَ أخيكَ ظلماً، إنما ذلك البُخلُ، وبِئسَ الشيءُ البَخيلُ.

[١٤٢١] ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٤ وصححه! وتعقبه الذهبي بقوله: عبيد الله ضعفوه. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨١٠ من طريق عبيد الله بن الوليد به. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٨٩ للحاكم وابن مردويه.

[١٤٢٢] عزاه القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ٢٥ ـ بتخريجنا للثعلبي عن أنس، والثعلبي يروي الواهيات والموضوعات فهذا خبر لا شيء، لخلوه عن كتب الحديث والأثر.

[١٤٢٣] وروى أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيّ ﷺ قال: «بَرِيءٌ مِنَ الشُّحّ مَنْ أدّى الزكاةَ، وقَرَى الضَّيفَ، وأعطى في النَّائبةِ».

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني التَّابعين إلى يوم القيامة. قال الزَّجّاجُ: إنَّ المعنى: ما أفاءَ اللهُ على رسولِه فلِلَّهِ ولِلرَّسولِ ولهؤلاءِ المسلمين، وللذين يجيئون مِنْ بعدِهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبّةِ أصحابِ رسول الله ﷺ، ودليلُ هذا قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الذين جاؤوا في حالِ قولِهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ فمَنْ ترحَّمَ على أصحابِ رسول الله ﷺ ولم يكُنْ في قلبِه غِلٌّ لهم، فلَهُ حَظٌّ مِنْ فَيءِ المسلمين، ومَنْ شَتمَهُم ولم يترحَّمْ عليهم، أو كان في قلبِه غِلٌّ لهم، فما جعلَ اللهُ له حقّاً في شيءٍ مِنْ فَيءِ المسلمين بنَصِّ الكتاب. وكذلك رُوِيَ عَن مالكِ بنِ أنسٍ رضي الله عنه أنه قال: مَنْ تَنَقَّصَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، أو كان في قلبِه عليهم غِلٌّ، فليس له حقٌّ في فَيءِ المسلمين، ثم تَلاَ هذه الآياتِ(١).

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأصحابَه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ في الدِّينِ، لأنهم كفّارٌ مِثلُهم، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ مِنَ المدينةِ ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في خِذلانِكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذَّبَهم اللهُ تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ثم ذَكَرَ أنهم يُخلِفُونَهم ما وَعدُوهم مِنَ الخروج والنَّصر بالآية التي تَلِي هذه، فكان الأمرُ على ما ذَكَر اللهُ تعالى، لأنهم أُخرِجُوا فلم يَخرج معهم المنافقون، وقُوتِلوا فلم يَنصروهُم، ومعنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾: لَئِنْ قُدِّرَ وجودُ نُصرِهم، لأنَّ اللهَ نفى نصرَهُم، فلا يجوز وجودُه. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ يعني: بَني النَّضير.

قوله عز وجل: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ﴾ يعني: المؤمنين أشَدُّ ﴿رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ وفيهم قولان:

[١٤٢٣] أخرجه الطبري ٣٣٨٨٣ والبيهقي في «الشعب» ١٠٨٤٢ من حديث أنس، وإسناده ضعيف فيه سليمان بن عبد الرحمن روى مناكير، وإسماعيل بن عياش روايته ضعيفة عن غير الشاميين، وشيخه هنا مدني.

(١) انظر «تفسير القرطبي» ١٨/ ٣١.

أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بَنو النَّضيرِ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. **والثاني**: اليهود والمنافقون، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. والمعنى: أنهم لا يَبرُزون لِحَربِكُم، إنما يُقاتلون مُتَحصِّنينَ ﴿فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وأبانُ «مِنْ وراء جدار» بألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ «جُدُر» بضم الجيم والدَّال. وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق، وابن أبي عبلة «جَدَر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، ومُعاويَةُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ «جَدْر» بفتح الجيم وسكونِ الدال. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميِّ، وعِكرِمَةُ، والحسَنُ، وابنُ سِيرِينَ، وابنُ يَعمُرَ «جُدْر» بضمِّ الجيم وإسكانِ الدال ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: عداوةُ بعضِهم لبعضٍ شديدةٌ. **والثاني**: أنَّ بأسَهم بينهم فيما وراءَ الحُصونِ شديدٌ، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبَنُ خَلْقِ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بَنو النَّضيرِ، قاله الفَرَّاءُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي هم مختلفون لا تستوي قلوبُهم، ولا يتعاونون بِنِيَّاتٍ مُجتَمِعةٍ، لأنَّ الله تعالى ناصِرٌ حِزْبَهُ، وخَاذِلٌ أعدائَهُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحَظُّ لهم.

ثم ضَرَب لليهودِ مَثَلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم بنو قَيْنُقاعَ. وقال ابنُ عباسٍ: كانوا بَنو قَيْنُقاع يهوداً، وكانوا وَادَعُوا رسولَ الله ﷺ، ثم غَدَروا، فحصَرَهُم، ثم نزلوا على حُكمِه أنَّ له أموالَهم، ولَهم النساءُ والذُّرِّيَّةُ. فالمعنى: مَثَلُ بَني النَّضيرِ فيما فعَلَ بهم كبَنِي قَيْنُقَاع. **والثاني**: أنهم كفَّارُ قُريشٍ يومَ بدرٍ، قاله مُجاهِدٌ. والمعنى: مثل هؤلاءِ اليهودُ كَمَثَلِ المشركين الذينَ كانوا مِنْ قَبلِهم قريباً، وذلك لِقُرب غزوة بَني النَّضيرِ مِنْ غَزاةِ بدرٍ. **والثالث**: أنهم بنو قُرَيظَة، فالمعنى: مَثَلُ بَني النَّضيرِ كَبني قُرَيظَة ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ بأنْ قُتِلَتْ مُقاتِلَتُهم، وسُبِيَتْ ذرارِيهِم، وهؤلاءِ أُجلُوا عن ديارِهم فَذاقوا وَبالَ أمرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ثم ضَرَبَ لليهودِ والمنافقين مَثَلاً فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. والمعنى: مَثَلُ المنافقين في غُرورِهم بَني النَّضيرِ، وقولِهم: لَئِنْ أُخرِجتُم لَنَخرُجَنَّ معكم، ولَئِنْ قُوتِلتُم لَنَنصُرنَّكُم، كَمَثِلِ الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ وفيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عامٌّ في جميعِ الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى لشخصٍ معينٍ، وعلى هذا جمهورُ المُفسِّرين، وهذا شرحُ قصَّتِه:

ذَكَرَ أهلُ التفسير أنَّ عابداً مِنْ بني إسرائيلَ كانَ يُقال له: برصيصا تعبَّد في صَومعةٍ له أربعين سنةً لا يقدِرُ عليه الشيطانُ، فجمعَ إبليسُ يوماً مَرَدَةَ الشياطين، فقال: ألاَ أحدٌ منكم يكفيني برصيصا، فقال

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٠٢: وقد ذكر بعضهم ها هنا ـ قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثال، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها.

ـ وقال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٤٥: وهذا لا يدل على أن هذا الإنسان ـ المذكور في القصة الآتية ـ هو المقصود بالآية بل يدل على أنه من جملة من تصدق عليه.

الأبيضُ، وهو صاحبُ الأنبياء: أنا أكفِيكَهُ، فانطَلَقَ على صفةِ الرُّهبانِ، فأتى صَومعَتَهُ، فناداهُ فلم يُجبْهُ، وكان لا يَنفتِلُ عن صلاته إلاَّ في كلِّ عشرةِ أيام، ولا يُفطِرُ إلاَّ في كلِّ عشرةِ أيام، فلما رأى أنه لا يُجيبه أقبَلَ على العبادة في أصلِ صومَعتِه، فلمَّا انفتَلَ برصيصا، اطَّلَعَ فرآه مُنتصباً يُصلي على هيئةٍ حسنةٍ، فنادَاهُ: ما حاجَتُكَ؟ فقال: إني أحببتُ أن أكونَ معك، أقتبِسُ مِنْ عملكَ، وأتأدَّبُ بأدبكَ، ونجتمعُ على العبادة، فقال برصيصا: إني لَفِي شُغلٍ عنكَ، ثم أَقبَلَ على صلاتِه، وأقبلَ الأبيضُ يصلي، فلم يُقبِلْ إليه برصيصا أربعينَ يوماً، ثم انفتَلَ، فرآه يصلي، فلمَّا رأى شدَّةَ اجتهادِه قال: ما حاجَتُكَ؟ فأعاد عليه القولَ، فأذِنَ له، فصَعِدَ إليه، فأقام معه حَوْلاً لا يُفطِرُ إلاَّ كلَّ أربعين يوماً، ولا يَنفتِلُ مِنْ صلاته إلاَّ في كلِّ أربعينَ يوماً، وربمَّا زادَ على ذلك، فلمَّا رأى برصيصا اجتهادَهُ، أعجبه شأنُه وتقاصَرتْ إليه نَفْسُه، فلما حالَ الحَولُ قال الأبيضُ لبرصيصا: إني مُنطَلِقٌ عنكَ، فإنَّ لي صاحباً غيرَكَ ظننتُ أنكَ أشدُّ اجتهاداً ممَّا أرى، وكان يَبلُغنا عنك غيرَ الذي أرى، فاشتَدَّ ذلك على برصيصا، وكَرِهَ مُفارقَتَهُ، فلما ودَّعَهُ قال له الأبيضُ: إنَّ عندي دَعَواتٍ أُعَلِّمُكَها، يشفي اللهُ بها السَّقيمَ، ويُعافي بها المُبْتَلَى، فقال برصيصا: إني أكرَهُ هذه المنزلةَ، لأنَّ لي في نَفسي شُغلاً، فأخافُ أنْ يعلمَ الناسُ بهذا، فيَشغَلُوني عن العبادة. فلم يَزَلْ به حتى عَلَّمَهُ إيَّاها، ثم انطلَقَ إلى إبليسَ فقال: قد واللهِ أهلكتُ الرجلَ، فانطلَقَ الأبيضُ، فتعرَّضَ لرجلٍ فخَنَقَهُ، ثم جاءَهُ في صورةِ رجلٍ مُتطَبِّبٍ، فقال لأهله: إنَّ بصاحِبُكم جُنوناً فأُعالِجُه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إنِّي لا أقوى على جِنِّيِّهِ، ولكنْ سأُرشِدُكُم إلى مَنْ يدعو له فَيُعافى فقالوا له: دُلَّنا. فقال: انطلقوا إلى برصيصا العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطَلَقوا إليه فسَألُوه فدَعا بتلك الكلماتِ، فذهب عنه الشيطانُ، وكان الأبيضُ يفعلُ بالناس ذلك، ثم يُرشِدُهم إلى برصيصا، فيُعافَوْنَ، فلما طال ذلك عليه انطلَقَ إلى جاريةٍ مِنْ بناتِ ملوكِ إسرائيلَ، لها ثلاثةُ إخوةٍ، فخَنَقَها، ثم جاءَ إليهم في صورة مُتطَبِّبٍ، فقال: أُعالِجُها؟ قالوا: نعم. قال: إنَّ الذي عَرَض لها ماردٌ لا يُطاقُ، ولكنْ سأُرشِدُكم إلى رجلٍ تَدْعُونَها عنده، فإذا جاءَ شيطانُها دَعا لها، قالوا: ومَنْ هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أنْ يَقبَلَها منَّا، وهو أعظَمُ شأناً مِنْ ذلك؟! قال: إنْ قَبِلَها، وإلاَّ فضَعُوها في صَومَعتِه، وقولوا له: هي أمانةٌ عندكَ، فانطلَقوا إليه، فأبى عليهم، فوَضَعُوها عنده. وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه قال: ضَعُوها في ذلك الغَارِ، وهو غارٌ إلى جَنْبِ صَومَعتِه، فوَضَعُوها، فجاء الشيطانُ فقال له: انْزِلْ إليها فامسَحْهَا بيدِكَ تُعافَى، وتَنصَرِفْ إلى أهلِها، فنَزلَ، فلمَّا دَنا إلى باب الغَارِ دخل الشيطانُ فيها، فإذا هي تَركضُ، فسَقَطَتْ عنها ثيابُها، فنَظَر العابدُ إلى شيءٍ لم يرَ مِثلَهُ حُسناً وجمالاً، فلم يَتمالَكْ أنْ وَقَعَ عليها، وضَربَ على أُذُنِه، فجعلَ يختلف إليها إلى أنْ حَملَتْ، فقال له الشيطانُ: وَيحَكَ يا برصيصا قد افتُضِحتَ، فهل لكَ أنْ تقتلَ هذه وتتوبَ؟! فإنْ سألُوكَ عنها قلتَ: جاء شيطانُها، فذهبَ بها، فلم يَزَلْ به حتى قَتَلَها، ودَفَنَها، ثم رجعَ إلى صَومَعتِه، فأقبَلَ على صلاتِه إذْ جاء إخوتُها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلتْ أختُنا؟ قال: قد جاء شيطانُها فذهبَ بها، ولم أُطِقْهُ، فصَدَّقوه، وانصَرفوا. وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه قال: دَعَوتُ لها، فعَافاها اللهُ، ورَجعتْ إليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلمَّا أمْسَوْا جاء الشيطانُ إلى كبيرِهم في منامِه، فقال: وَيْحَكَ: إنَّ برصيصا فَعَلَ بأُختِكَ كذا وكذا، وإنه دَفَنها في موضعِ كذا مِنْ جبلِ كذا، فقال: هذا حُلمٌ، وبرصيصا خيرٌ مِنْ ذلك، فتَتابعَ عليه ثلاثَ ليالٍ، وهو لا يَكترِثُ، فانطلَقَ إلى الأوسطِ كذلك، ثم إلى الأصغرِ، بمِثلِ ذلك، فقال الأصغرُ لإخوتِه: لقد رأيتُ كذا

وكذا، فقال الأوسطُ: وأنا واللهِ، فقال الأكبرُ: وأنا واللهِ، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتُكم بحالِها، فكأنكم اتَّهمتُموني، فقالوا: لا واللهِ واستَحْيَوْا، وانصرفوا، فجاءَهم الشيطانُ فقال: وَيحَكُم إنها لَمَدفونةٌ في موضع كذا وكذا، وإنَّ إزارَهَا لَخارجٌ مِنَ التراب، فانطَلَقوا، فحَفَروا عنها، فرَأوها، فقالوا: يا عدوَّ اللهِ لِمَ قَتَلتَها؟ اهبطْ، فهَدَموا صومَعتَهُ، ثم أوثَقوهُ، وجعلوا في عُنقِه حبلاً، ثم قادوهُ إلى المَلِكِ فأقرَّ على نَفسِه، وذلك أنَّ الشيطانَ عَرَضَ له، فقال: تَقتُلها ثم تُكابِرُ، فاعتَرَفَ، فأمرَ المَلِكُ بِقَتْلِهِ وصَلْبِهِ، فعَرضَ له الأبيضُ، فقال: أتعرِفُني؟ قال: لا، قال: أنا صاحِبُكَ الذي علَّمتُكَ الدَّعواتِ، وَيْحكَ ما اتَّقيتَ اللهَ في أمانةٍ خُنتَ أهلَها، أَمَا استَحيَيْتَ مِنَ اللهِ؟! أَلَمْ يَكْفِكَ ذلك حتى أقررتَ ففَضَحتَ نَفْسَكَ وأشباهَكَ بينَ الناس؟! فإنْ مِتَّ على هذه الحالةِ لم تُفلحْ، ولا أحدٌ مِنْ نُظرائِكَ، قال: فكيف أصنعُ؟ قال: تُطِيعُني في خَصلَةٍ حتى أُنجِيكَ، وآخذَ بأعيُنِهم، وأُخرِجكَ مِنْ مكانِكَ، قال: ما هي؟ قال: تَسجُدُ لي، فسَجَدَ له، فقال: هذا الذي أردتُ منكَ، صارت عاقبةُ أمرِكَ أنْ كَفرتَ ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾ ثم قُتِلَ. فضَرَبَ اللهُ هذا المَثَلَ لليهودِ حتى غرَّهم المنافقون، ثم أسلَمُوهم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ ونَصَبَ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو ياءَ «إني» وأسكَنَها الباقون. وقد بَيَّنَّا المعنى في الأنفال[٢] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾ أي: لِينْظُرْ أحدُكم أيَّ شيءٍ قَدَّمَ؟ عملاً صالحاً يُنجيه؟ أَمْ شيئاً يُوبِقُه؟ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تَركوا أمرَهُ ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أي: أنساهُم حُظوظَ أنفسِهم ـ فلم يعملوا بالطاعة، ولم يُقدموا خيراً. قال ابنُ عباسٍ: يريد قُرَيظَةَ، والنَّضيرَ، وبَني قَينُقاع.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) ورد عن ابن عباس موقوفاً: أخرجه الطبري ٣٣٩٠٤ وإسناده واهٍ، فيه مجاهيل، وعطية العوفي واهٍ. وورد عن علي، أخرجه الطبري ٣٣٩٠٢ وإسناده حسن. وورد عن ابن مسعود، أخرجه الطبري ٣٣٩٠٣ وإسناده ضعيف. وورد من وجوه متعددة، ومصدر ذلك كله كتب الأقدمين، والله تعالى أعلم.

(٢) الأنفال: ٤٨.

قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ أخبرَ اللَّهُ تعالى بهذا عن تعظيم شأنِ هذا القرآن، وأنه لو جَعَلَ في جبلٍ ـ على قساوَتِه وصلابَتِه ـ تمييزاً، كما جعلَ في بَني آدمَ، ثم أنزلَ عليه القرآنَ لتَشقَّقَ خشيةً مِنَ الله، وخوفاً أنْ لا يُؤدِّيَ حقَّ الله في تعظيم القرآن. و «الخاشع»: المُتَطَأْطِئُ الخاضعُ، و «المُتصدِّع»: المُتَشقِّق. وهذا توبيخٌ لِمَنْ لا يحترمُ القرآنَ، ولا يؤثِّرُ في قلبه مع الفَهم والعقلِ، ويدُلُّك على هذا المَثَلِ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبرَ بعظمتِه ورُبوبيَّتِه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ رَدٌّ على قولِه عزَّ وجلَّ في أوَّلِ السُّورةِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فأمَّا هذه الأسماءُ، فقد سَبَقَ ذِكرُ «الله» و «الرَّحمن» و «الرَّحيم» في الفاتحة، وذَكَرنا معنى «عالم الغيب والشهادة» في الأنعام[١]. و «المَلِك» في سُورَةِ المؤمنين[٢].

فأمَّا «القُدُّوس» فقرأ أبو الأشهَبِ، وأبو نَهيكٍ، ومُعاذٌ القارئُ بفتحِ القاف. قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: «القُدُّوس»: الطاهرُ مِنَ العيوب، المُنَزَّه عن الأندادِ والأولادِ. و «القُدس»: الطاهر. ومنه سُمِّي: بيتُ المَقدِس، ومعناه: المكانُ الذي يُتَطَهَّرُ فيه مِنَ الذنوب. وقيل للجنَّة: حَظِيرَةُ القُدسِ، لطهارتِها مِنْ آفات الدنيا. والقُدس: السَّطل الذي يُتطَهَّر فيه، ولم يأتِ مِنَ الأسماء على فُعُّول بضمِّ الفاء إلاّ «قُدُّوس» و «سُبُّوح» وقد يُقال أيضاً: قَدُّوس، وسَبُّوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولهم: سَفُّود، وكَلُّوب.

فأمَّا «السَّلام» فقال ابنُ قُتَيبَة: سمَّى نفسَهُ سلاماً، لسلامَتِه ممَّا يَلحق الخَلْقَ مِنَ العيب والنَّقص والفَناء. وقال الخَطَّابيُّ: معناه ذو السَّلام. والسَّلام في صفةِ الله سبحانه وتعالى: هو الذي سَلِمَ من كلِّ عيبٍ، وبَرِئَ مِنْ كلِّ آفةٍ ونقصٍ يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخَلْقُ مِنْ ظلمه.

فأما «المُؤمِن»، ففيه ستَّةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي أَمِنَ الناسُ ظُلمَهُ، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابَهُ، قاله ابنُ عباسٍ؛ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه المُجِيرُ، قاله القُرَظيُّ. **والثالث**: الذي يُصَدِّقُ المؤمنين إذا وَحَّدوه، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه الذي وَحَّد نَفْسَه، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ذكره الزَّجَّاجُ. **والخامس**: أنه الذي يُصدِّقُ عبادَه وَعْدَه، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. **والسادس**: أنه يُصدِّق ظُنونَ عبادِه المؤمنين، ولا يُخيِّب آمالَهم.

[١٤٢٤] كقول النبيِّ ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه عزَّ وجلَّ: «أنا عند ظَنِّ عبدي بي»، حكاه الخَطَّابي.

فأمَّا «المُهَيمِن» ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشهيد، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ والكِسائيُّ. قال الخَطَّابيُّ: ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٣]، فالله الشاهد على خَلقِه بما يكون منهم مِنْ قولٍ أو فعلٍ. **والثاني**: الأمين، قاله الضَّحَّاكُ، قال الخَطَّابيُّ: أصله: مُؤَيمِن، فقُلِبت الهمزةُ هاءً، لأنَّ الهاء

[١٤٢٤] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ وابن حبان ٦٣٩ من حديث أبي هريرة، وله شواهد كثيرة. وتقدم بعضها.

---

(١) الأنعام: ٧٣. (٢) المؤمنون: ١١٦. (٣) المائدة: ٤٨.

أخَفُّ عليهم مِنَ الهمزة. ولم يأتِ مُفَيْعِل في غيرِ التصغير، إلاّ في ثلاثة أحرفٍ «مُسَيطِر» و «مُبَيطِر» و «مُهيمِن» وقد ذكرنا في سُورَةِ الطُّور[1] عن أبي عُبيدَةَ، أنها خمسةُ أحرفٍ. **والثالث**: المُصَدِّقُ فيما أخبرَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه الرَّقيبُ على الشيء، والحافظُ له، قاله الخَليلُ. قال الخَطَّابيُّ: وقال بعضُ أهل اللغة. الهَيمَنَةُ: القيامُ على الشيء، والرِّعاية له، وأنشد:

أَلاَ إِنَّ خَيْـرَ ٱلنَّـاس بَـعْـدَ نَـبِيِّـهِ مُـهَيْمِنُـهُ التـالِيه في ٱلْعُرْفِ وٱلنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعدُ بالرِّعاية لهم. وقد زِدْنا هذا شرحاً في المائِدة[2]، وبيَّنَّا معنى «العزيز» في البقرة[3].

فأمّا «الجَبَّار»، ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العظيم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الذي يَقْهَرُ الناسَ ويُجبِرهم على ما يريد، قاله القُرَظيُ والسُّدِّيُّ. وقال قَتادَةُ: جَبَر خَلْقَهُ على ما شاء. وحكى الخَطَّابيُ: أنه الذي جَبَر الخَلْقَ على ما أراد من أمره ونهيِهِ، يقال: جَبَرهُ السلطانُ؛ وأجبرَهُ. **والثالث**: أنه الذي جَبَر مفاقِرَ الخَلْقِ، وكفاهم أسبابَ المَعاشِ والرزق. **والرابع**: أنه العالي فوق خَلْقِه، مِن قولهم: تَجَبَّرَ النَّباتُ: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخَطَّابيُ.

فأمّا «المُتكبِّر» ففيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي تكبَّر عن كلِّ سُوءٍ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه الذي تكبَّر عن ظُلم عباده، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه ذو الكِبرياءِ، وهو المَلِكُ، قاله ابنُ الأنْباري. **والرابع**: أنه المُتعالي عن صفاتِ الخَلْقِ. **والخامس**: أنه الذي يتكبَّرُ على عُتاةِ خَلْقِه إذا نازَعُوه العَظَمةَ، فيقْصِمهُم، ذكرهما الخَطَّابيُ، قال: والتاء في «المُتكبِّر» تاءُ التفرُّد، والتخصُّصِ، لا تاءُ التعاطي والتكلُّف، والكِبرُ لا يليقُ بأحدٍ مِنَ المخلوقين، وإنما سِمَةُ العبدِ الخضوعُ والتذللُ. وقيل: إنَّ المُتكبِّر مِنَ الكبرياء الذي هو عَظَمةُ الله، لا مِنَ الكِبْرِ الذي هو مذمومٌ في الخَلْقِ.

وأمّا «الخالِق» فقال الخَطَّابيُ: هو المُبتَدِيءُ للخَلْقِ المُختَرِعُ له على غيرِ مثالٍ سبقَ، فأمّا في نُعوتِ الآدميين، فمعنى الخَلْقِ التقدير: كقول زُهيرٍ:

وَلأَنْـتَ تَـفْـري مـا خَـلَـقْـتَ وبَـعْـ ضُ ٱلْـقَـوْمِ يَـخْـلُـقُ ثُـمَّ لا يَـفْـرِي

يقول: إذا قَدَرتَ شيئاً قَطَعتَه، وغيرُكَ يَقدِرُ ما لا يَقطَعُه، أي: يتمنَّى ما لا يَبلُغه.

والبارئ: الخالِقُ. يقال: بَرَأَ اللّهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم. و «المُصَوِّر»: هو الذي أنشأ خَلْقَه على صُوَرٍ مختلفةٍ ليتعارفوا بها. ومعنى: التَّصْوير: التخطيطُ والتَّشكيلُ. وقرأ الحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ، وابنُ السَّمَيفَع «البارئ المصوَّر» بفتح الواو والراء جميعاً، يَعنُون: آدمَ عليه السلام. وما بعدَ هذا قد تقدم بيانُه[4] إلى آخرِ السُّورةِ.

---

(١) الطور: ٣٧.
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) البقرة: ١٢٩.
(٤) الأعراف: ١٨٠ والإسراء: ١١٠.

سورة الممتحنة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

وهي مدنيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

[١٤٢٥] ذَكَرَ أهلُ التفسيرِ أنَّها نَزَلتْ في حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ، وذلك أنَّ سارَةَ مولاة عمرو بنِ صَيفيِّ بنِ هاشم أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يتجهَّزُ لفتح مكَّةَ، فقالَ لَها: «أمُسْلِمَةً جِئْتِ؟» قالتْ: لا، قالَ: «فَمَا جاءَ بِكِ؟» قالتَ: أنتمُ الأهلُ والعَشيرةُ والمَوالي، وقَدْ احتَجْتُ حاجةً شديدةً، فقَدِمتُ عليكم لِتُعطُوني. قالَ لها رسولُ اللَّهِ ﷺ: «فأينَ أنتِ مِنْ شبابِ أهلِ مكَّةَ؟» وكانت مُغنِّيةً، فقالت: ما طُلِبَ منِّي شيءٌ بعدَ وقعةِ بدرٍ، فحثَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بَني عبدِ المُطَّلبِ وبَني المُطَّلبِ، فكَسَوْها، وحَمَلُوها، وأعطوْها، فأتَاها حاطِبُ بنُ أبي بَلْتعةَ، فكتب معها كتاباً إلى أهلِ مكَّةَ، وأعطاها عشرةَ دنانير على أنْ توصِّلَ الكتابَ إلى أهلِ مكَّةَ: وكتب في الكتاب من حاطب إلى أهل مكة إنَّ رسولَ الله ﷺ يُريدكم، فخُذوا حِذْرَكُم، فخرجت به سارَةُ، ونزل جِبريلُ فأخبر رسولَ الله ﷺ بما فعل حاطِبٌ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًّا، وعمَّاراً، والزُّبيرَ، وطَلحَةَ، والمِقدادَ، وأبا مَرْثَدٍ، وقال: «انطَلِقُوا حتى تأتوا «روضَةَ خاخ»، فإنَّ فيها ظعينةً معها كتابٌ مِنْ حاطِبٍ إلى المشركين، فخُذوه منها، وخَلُّوا سبيلَها، فإنْ لم تدفَعْهُ إليكم فاضرِبوا عُنقَها» فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أينَ الكتابُ؟ فحَلفَتْ باللهِ ما معها مِنْ كتابٍ، ففتَّشُوا متاعَها فلم يجدوا شيئاً، فهَمُّوا بالرُّجوعِ، فقال عليٌّ: واللَّهِ ما

[١٤٢٥] ذكره المصنف نقلاً عن المفسرين، وكذا الواحدي في «أسباب النزول» ٨١١ وما أخرجاه في الصحيحين يغني عنه. انظر الحديث الآتي.

كَذَبْنَا ولا كُذِّبْنَا. وسلَّ سيفَهُ، وقال: أَخْرِجي الكتابَ، وإلاَّ ضربتُ عُنقَكِ، فلما رأتِ الجِدَّ أخرجَتْهُ مِن ذُؤابَتِها، فخلّوا سبيلَها، ورَجعوا بالكتابِ إلى رسولِ الله ﷺ فأرسلَ إلى حاطِبٍ، فأتاه، فقال له: «هل تعرفُ هذا الكتابَ؟» قال: نعم. قال: «فما حَمَلَكَ على ما صنعتَ؟» فقال: يا رسولَ الله ما كفرتُ منذُ أسلَمتُ، ولا غَشَشْتُكَ منذ نَصَحتُكَ، ولا أحبَبْتُهم منذ فارَقتُهم، ولكن لم يكُنْ أحدٌ مِنَ المهاجرين إلاَّ وَلَه بمكَّةَ مَنْ يمنعُ عشيرَتَهُ، وكنتُ غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانَيْهِم، فخشيتُ على أهلي، فأردتُ أن أتَّخِذَ عندَهم يداً، وقد علِمتُ أنَّ اللّهَ يُنزِلُ بهم بأسَهُ، وكتابي لا يُغني عنهم شيئاً، فصَدَّقه رسولُ الله ﷺ وَعَذَرَهُ، ونزلت هذه السورةُ تنهى حاطِباً عما فعلَ، وتنهى المؤمنين أنْ يفعلوا كفِعلِه، فقام عمرُ بنُ الخطَّابِ فقال: يا رسولَ الله: دعني أضربْ عُنُق هذا المنافِق، فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عمرُ لعلَّ اللّهَ اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئتُم فقد غَفرتُ لكم».

[١٤٢٦] وقد أخرج هذا الحديثَ في «الصَّحيحين» مختصراً، وفيه ذِكْرُ عليٍّ، والزُّبيرِ، وأبي مَرْثَدٍ فقط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الباء زائدةٌ، والمعنى: تُلقون إليهم المودَّةَ، ومثله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾(١)، هذا قولُ الفرَّاءِ، وأبي عُبيدةَ، وابنِ قُتَيبةَ، والجمهور. **والثاني**: تُلقون إليهم أخبارَ النبيِّ ﷺ وسِرَّهُ بالمَودَّةِ التي بينكم وبينه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ الواو للحال والمعنى، وحالُهم أنهم كَفَروا بما جاءَكُم مِنَ الحقِّ، وهو القرآنُ، ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ مِنْ مكَّةَ ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ أي تفعلوا ذلك لإيمانِكم بالله ﴿إِن

[١٤٢٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٢٧٤ والبغوي في «التفسير» ٢١٧٤ عن قتيبة بن سعيد به.
وأخرجه البخاري ٣٠٠٧ و ٤٨٩٠ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥٠ والترمذي ٣٣٠٥ والحميدي ٤٩ وأحمد ١/ ٧٩ وأبو يعلى ٣٩٤ و ٣٩٨ وابن حبان ٦٤٩٩ والبيهقي ٩/ ١٤٦ وفي «دلائل النبوة» ٥/ ١٧ والبغوي في «شرح السنة» ٢٧٠٤ والواحدي في «الأسباب» ٨١٢ وفي «الوسيط» ٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ من طرق عن سفيان به كلهم من حديث علي.
ولفظ البخاري: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمِقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ فخذوا منها» قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينةِ قلنا لها أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتابٌ فقلنا لتخرجِنَّ الكتابَ أو لنُلقينَّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تَعجَلْ عليَّ إني كنتُ امرأً مُلصقاً في قريش ـ يقول: كنا حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان مَن معك من المهاجرين مَنْ لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدَقكم». فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطَّلع على من شهد بدراً، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله السورة **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾** إلى قوله: **﴿فقد ضل سواء السبيل﴾**.

---

(١) الحج: ٢٥.

﴿كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ هذا شرطٌ، جوابه متقدِّمٌ، وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ. قال الزَّجَّاج: معنى الآية: إنْ كُنتم خرجتُم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي فلا تَتَّخِذوا عدوِّي وعدوَّكُم أولياءَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ الباء في «المودَّة» حُكمها حكمُ الأُولى. قال المُفسِّرون: والمعنى: تُسِرُّون إليهم النَّصيحةَ ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ مِنَ المودَّة للكفَّارِ ﴿وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أي: أظهرتُم بألسِنَتِكم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: كيف تستَتِرون بمودَّتِكم لهم مني وأنا أعلمُ بما تُضمرون وما تُظهرون؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يعني: الإسرار والإلقاء إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأَ طريقَ الهُدى. ثم أخبرَ بعداوة الكفَّار فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: يَظْفَروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ لا مُوالِيْنَ ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ وهو: الشَّتمُ ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فترجِعون إلى دِيْنِهم. والمعنى: أنه لا ينفعكم التقرُّبُ إليهم بنَقْلِ أخبار رسولِ الله ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي: قَراباتُكم. والمعنى: ذَوو أرحامِكُم، أراد: لن ينفعكم الذين عصيتُم اللّهَ لأجلِهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يُفصَل» برفع الياء، وتسكينِ الفاء، ونصبِ الصاد. وقرأ ابنُ عامرٍ: «يُفصَّل بينكم» برفع الياء، والتشديد، وفتح الصاد، وافقه حمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ، إلا أنهم كَسَروا الصادَ. وقرأ عاصِمٌ، غيرَ المُفضَّلِ، ويعقوبُ، بفتح الياء وسكونِ الفاء وكسرِ الصاد، وتخفيفِها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العالِية: «نُفصِّل» بنونٍ مرفوعةٍ، وفتح الفاء، مكسورةَ الصاد مشدَّدةً، وقرأ أبو رَزِينٍ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ: «نَفصِل» بنونٍ مفتوحةٍ، ساكنةَ الفاء، مكسورةَ الصاد خفيفةً، أي: نَفصِلُ بين المؤمن والكافر وإنْ كان وَلَدَهُ. قال القاضي أبو يَعلى[(١)]: في هذه القصة دَلالةٌ على أنَّ الخوف على المال والولد لا يُبيح التَّقيَّةَ في إظهارِ الكُفر، كما يُبيح في الخوف على النَّفْسِ، ويُبين ذلك أنَّ الله تعالى فَرضَ الهجرةَ، ولم يَعذُرهم في التخلُّفِ لأجلِ أموالِهم وأولادِهم. وإنما ظَنَّ حاطِبٌ أنَّ ذلك يجوز له ليدفع به عن ولدِهِ كما يجوز له أن يدفعَ عن نَفْسِه بمثل ذلك عند التَّقيَّةِ، وإنما قال عمرُ: دَعْني أضرِبْ عُنقَ هذا المنافِقِ لأنه ظَنَّ أنه فَعَلَ ذلك عن غير تأويلٍ.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٠٩: فقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾** يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يُتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾** وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾** وقال تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه﴾**، ولهذا قبل رسول الله ﷺ عُذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وقرأ عاصِمٌ: «أُسوة» بضمِّ الألف، وهما لُغتان، أي: اقتداءٌ حَسَنٌ به وبمن معه. وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأنبياء. **والثاني**: المؤمنون ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: تقول أفلا تَأَسَّيْتَ يا حاطِبُ بإبراهيمَ وقومِه فتبرَّأْتَ مِنْ أهلِكَ كما تبرؤوا مِنْ قومِهم؟!.

قوله عز وجل: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قال المُفسِّرون: والمعنى: تأسَّوا بإبراهيمَ إلاَّ في استغفارِه لأبيه فلا تأسَّوا به في ذلك، فإنه كان عن موعدةٍ وَعدَها إيَّاه ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: ما أدفعُ عنكَ عذابَ الله إنْ أشركتَ به، وكان مِنْ دعاء إبراهيمَ وأصحابِه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال الفرَّاءُ: قولوا أنتم: ربَّنا عليكَ توكَّلنا. وقد بيَّنَّا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في يُونس[1]. ثم أعادَ الكلامَ في ذِكْرِ الأُسوة فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي: في إبراهيمَ ومَنْ معه، وذلك أنهم كانوا يُبغضون مَنْ خالفَ اللَّهَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بدلٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَكُمْ﴾ وبيانُ أنَّ هذه الأُسوةَ لِمَنْ يخاف اللَّهَ، ويخشى عقابَ الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يُعرِضْ عن الإيمان ويُوالِ الكفَّار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه. فلمَّا أمرَ اللَّهُ المؤمنين بعداوة الكفار عادَوْا أقرباءَهُم. فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أي: مِنْ كفار مكَّةَ ﴿مَّوَدَّةً﴾ ففعل ذلك، بأنْ أسلمَ كثيرٌ منهم يومَ الفتح، وتزوَّجَ رسولُ الله ﷺ أمَّ حَبيبةَ بنتَ أبي سُفيانَ، فانكسرَ أبو سُفيانَ عن كثيرٍ ممَّا كان عليه حتى هَداهُ الله للإسلام ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على جعلِ المَودَّةِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعدَما أسلَموا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ اختلَفُوا فيمن نزلت على خمسةِ أقوالٍ[2]:

---

(١) يونس: ٨٥.
(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، لأن الله عز وجل عمّ بقوله جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولا معنى =

[١٤٢٧] **أحدها**: أنها في أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، وذلك أنَّ أُمَّها قتيلةَ بنتَ عبدِ العُزَّى، قَدِمَتْ عليها المدينةَ بهدايا، فلم تقبَلْ هداياها، ولم تُدخِلْها منزلَها، فسألَتْ لها عائشةُ رسولَ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، فأمَرَها رسولُ الله ﷺ أنْ تُدخِلَها منزلَها، وتَقبَلَ هديَّتَها، وتُكرِمَها، وتُحسِنَ إليها، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبير.

[١٤٢٨] **والثاني**: أنها نزلت في خُزاعةَ وبني مُدلِجٍ، وكانوا صالَحوا رسولَ الله ﷺ على أنْ لا يُقاتلوه، ولا يُعينوا عليه أحداً، قاله ابنُ عباسٍ. ورُوِيَ عنِ الحسَنِ البَصْرِي أنها نزلت في خُزاعةَ، وبَني الحارثِ بنِ عبد مَنافٍ، وكان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ عهدٌ، فَدَاموا على الوفاء به.

[١٤٢٩] **والثالث**: نزلت في قوم مِنْ بني هاشمٍ منهم العبَّاسُ، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ ومُرَّةُ الهَمْدانيُّ.

والرابع: أنها عامَّةٌ في جميع الكفار، وهي منسوخةٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١)، قاله قَتادةُ. **والخامس**: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزَّجَّاجُ. قال المُفسِّرون: وهذه الآية رُخصةٌ في صِلةِ الذين لم يَنْصِبوا الحربَ للمسلمين، وجوازِ برِّهم، وإنْ كانت المُوالاةُ مُنقطعةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: مِنْ مكَّةَ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تُعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي: أعانوا على ذلك ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ والمعنى: إنما ينهاكم عن أنْ تولَّوا هؤلاءِ، لأنَّ مُكاتبَتَهم بإظهار ما أسرَّه رسولُ الله ﷺ مُوالاةٌ. وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ معنى

[١٤٢٧] صحيح دون ذكر نزول الآية، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٩٨ وأحمد ٤/ ٤ والطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» ٦٧٥٠ والحاكم ٢/ ٤٨٥ والطبري ٣٣٩٥٢ و ٣٣٩٥٣ والواحدي في «الأسباب» ٨١٣ من حديث عبد الله بن الزبير. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن في إسناده مصعب بن ثابت ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن حبان. قلت: هو غير حجة بما ينفرد به، وقد تفرد بذكر نزول الآية. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٤١١ وزاد نسبته للبزار وقال: وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأصل الحديث في الصحيحين دون نزول الآية. أخرجه البخاري ٢٦٢٠ و ٣١٨٣ ومسلم ١٠٠٣ وأبو داود ١٦٦٨ وأحمد ٦/ ٣٤٧ من حديث أسماء بنت أبي بكر، وليس فيه ذكر نزول الآية. والأشبه في نزول الآية أنه مدرج من كلام أحد الرواة والله أعلم، ويؤيد ذلك هو أن البخاري أخرج حديث أسماء من طريق ابن عيينة، برقم ٥٩٧٨ وقال في آخره: قال ابن عيينة: فأنزل الله هذه الآية. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٣ بتخريجنا.

[١٤٢٨] لم أره مسنداً، عزاه المصنف لابن عباس وكذا البغوي في «التفسير» ٤/ ٣٣١ ساقه بدون إسناد، فالخبر ساقط، لا حجة فيه.

[١٤٢٩] عزاه المصنف لعطية العوفي، وهو واهٍ إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟! وعزاه أيضاً لمرّة الهمداني، ولم أقف عليه، وهو تابعي فهو مرسل.

= لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة أو نسب، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب غير محرّم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

(١) التوبة: ٥.

هذه الآية والتي قبلَها منسوخٌ بآية السيف. قال ابنُ جريرٍ: لا وجهَ لادِّعاءِ النَّسخِ، لأنَّ بِرَّ المؤمنين للمُحارِبِينَ سواءٌ كانوا قرابةً أو غيرَ قرابةٍ، غيرُ مُحرَّمٍ إذا لم يكن في ذلك تقويةٌ لهم على الحرب بكُراعٍ أو سلاحٍ، أو دلالةٌ لهم على عورةِ أهلِ الإسلامِ. ويدلُّ على ذلك حديثُ أسماءَ وأُمِّها الذي سبق(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

[١٤٣٠] قال ابنُ عباس: إنَّ مشركي مكَّةَ صالَحوا رسولَ الله ﷺ عامَ الحُديبيةِ على أنَّ مَنْ أتاه مِنْ أهل مكَّةَ ردَّه إليهم. ومَنْ أتى أهلَ مكَّةَ مِنْ أصحابه، فهو لَهُم، وكَتَبوا بذلك الكتابَ، وخَتَمُوه، فجاءَتْ سُبَيْعَةُ بنتُ الحارثِ الأسلَمِيَّةُ بعد الفراغ مِنَ الكتاب والنبيُّ بالحُدَيبِيَةِ، فأقبلَ زوجُها وكان كافراً، فقال: يا محمَّدُ اردُدْ عليَّ امرأتي؛ فإنكَ قد شرَطتَ لنا أنْ تَرُدَّ علينا مَنْ أتاكَ منَّا، وهذه طِينَةُ الكتاب لم تَجِفَّ بعدُ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٤٣١] وذَكرَ جماعةٌ مِنَ العلماء منهم محمَّدُ بنُ سعدٍ كاتبُ الواقِدي أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أمِّ كُلثوم بنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وهي أولُ مَنْ هاجرَ مِنَ النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فَقَدِمَتْ المدينةَ في هُدنَةِ الحُدَيبِيَةِ، فخرجَ في أَثَرِها أخواها الوليدُ وعُمارَةُ ابنا عُقبةَ، فقالا: يا محمَّدُ أَوْفِ لنا بشروطنا، وقالت أمُّ كُلثومٍ: يا رسولَ الله؛ أنا امرأةٌ، وحالُ النساءِ إلى الضَّعف ما قد علمتَ، فتَرُدُّني إلى الكفارِ يفتِنُوني عن دِينِي، ولا صبرَ لي؟! فنَقَضَ اللَّهُ العَهْدَ في النِّساء، وأنزلَ فيهنَّ المِحنَةَ، وحَكَمَ فيهنَّ بحُكمٍ رَضُوه كلُّهم، ونزلَ في أمِّ كُلثوم: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فامتَحَنَها رسولُ الله ﷺ، وامتَحنَ النساءَ بعدَها يقول: واللهِ ما أخرَجَكُنَّ إلاَّ حبُّ الله ورسولِه، وما خرجتنَّ لزوجٍ ولا مالٍ؟ فإذا قُلنَ ذلك تُرِكنَ، فلم يُردَدْنَ إلى أهليهِنَّ.

وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها

[١٤٣٠] ذكره المصنف ههنا عن ابن عباس معلقاً، وكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨١٤ والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٣٠٣ عن ابن عباس بدون إسناد، فهذا لا شيء لخلوه عن الإسناد. وورد في «الإصابة» ٤/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥: أن سبيعة بنت الحارث أول امرأة أسلمت بعد صلح الحديبية إثر العقد وطي الكتاب، ولم تخف فنزلت آية الامتحان. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٤ وما بعده بتخريجنا.

[١٤٣١] ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤ هكذا بدون عزو لأحد.
وذكر أم كلثوم صح عند البخاري ٢٧١١ و ٢٧١٢ في أثناء حديث مطول.

---

(١) تقدم أن الحديث متفق عليه، دون ذكر نزول الآية.

سُبَيْعَة، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ: **والثاني**: أُمّ كُلثوم بنتُ عُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وقد ذكرناه عن جماعةٍ مِنْ أهل العلم، وهو المشهور. **والثالث**: أُمَيمَةُ بنتُ بِشرٍ مِنْ بني عمرِو بنِ عَوفٍ، ذكره أبو نُعَيم الأصبهانيُّ، قال المَاوَرديُّ: وقد اختلف أهلُ العلم هل دخل ردُّ النساء في عقدِ الهُدنَةِ لفظاً أو عموماً؟ فقالت طائفةٌ: قد كان شرطُ ردِّهِنَّ في عقدِ الهُدنَةِ لفظاً صريحاً، فنسخَ اللَّهُ تعالى ردَّهُنَّ مِنَ العقدِ، ومَنَعَ منه، وأبقاه في الرجال على ما كان. وقالت طائفةٌ مِنَ العلماء: لم يشترط ردُّهنَّ في العقدِ صريحاً، وإنما أطلَقَ العقدَ، وكان ظاهرُ العموم اشتمالَه مع الرجال، فبَيَّنَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ خروجهنَّ عن عمومِه، وفَرَّقَ بينهنَّ وبينَ الرجال لأمرَيْنِ: **أحدهما**: أنهنَّ ذَواتُ فُروجٍ فحُرِّمنَ عليهم. **والثاني**: أنهنَّ أرقُّ قلوباً، وأسرعُ تقلُّباً منهم فأمَّا المُقيمةُ على شِرْكِها فمَردُودةٌ عليهم. وقال القاضي أبو يَعلَى: وإنما لم يَرُدَّ النساءَ عليهم لأنَّ النَّسخ جائزٌ بعد التَّمكينِ مِنَ الفعل وإن لم يقع الفعل.

قال المُفسِّرون: والمراد بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ رسولُ الله ﷺ لأنه هو الذي تولَّى امتِحانَهُنَّ، ويُراد به سائرُ المؤمنين عند غيبَتِه ﷺ. قال ابنُ زيدٍ: وإنما أُمِرْنا بامتحانِهِنَّ، لأنَّ المرأةَ كانت إذا غَضِبَتْ على زوجِها بمكَّةَ، قالت: لألحَقنَّ بمحمَّدٍ ﷺ وفيما كان يمتَحِنُهنَّ به ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٤٣٢] **أحدها**: أنه كان يمتَحِنُهنَّ بـ «شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه» رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٣٣] **والثاني**: أنه كان يستحلفُ المرأةَ بالله: ما خرجتْ مِنْ بُغضِ زوجٍ، ولا رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ، ولا التِماسَ دُنيا، ما خرجتْ إلاَّ حُبًّا لله ولرسوله، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

[١٤٣٤] **والثالث**: أنه كان يَمتَحِنُهنَّ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ فمَنْ أقرَّتْ بهذا الشَّرطِ قالت: قد بايعتُكَ، هذا قولُ عائشةَ عليها السَّلامُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ أي: إنَّ هذا الامتحانَ لكم، واللَّهُ أعلَمُ بهنَّ، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ وذلك يُعلَمُ مِنْ إقرارِهِنَّ، فحِينئذٍ لا يَحِلُّ رَدُّهنَّ ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لأنَّ الله تعالى لم يُبِحْ مؤمنةً لِمُشرِكٍ ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعني أزواجهُنَّ الكفَّار ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: المَهرَ. قال مُقاتِلٌ: هذا إذا تزوَّجَها مُسلِمٌ. فإنْ لم يتزوَّجْها أحدٌ، فليس لِزَوجِها الكافرِ شيءٌ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وهي المُهورُ.

فصل: عندنا إذا هاجرتْ الحَربيَّةُ بعد دخولِ زوجِها بها، وقعتْ الفُرقَةُ على انقضاءِ عِدَّتِها. فإنْ أسلَمَ الزوجُ قبلَ انقضاءِ عِدَّتِها فهي امرأتُه، وهذا قولُ الأوزاعِي، ومالكٍ والشَّافعي. وقال أبو حَنيفَةَ:

[١٤٣٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٩١ عن ابن عباس، وفيه عطية العوفي واهٍ. والصحيح ما يأتي عن عائشة.

[١٤٣٣] أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في «المطالب العالية» ٣٧٧٧ عن أبي نصر الأسدي عن ابن عباس به، وهو معلول. سكت عليه الحافظ، وكذا البوصيري في «الإتحاف» وقال البخاري في ترجمة أبي نصر: لم يعرف له سماع من ابن عباس «الميزان» ٤/ ٥٧٩. وأخرجه الطبري ٣٣٩٥٧ و ٣٣٩٥٨ من طريق أبي نصر عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور. وانظر «أحكام ابن العربي» ٢٠٨٥ بتخريجنا. والصحيح ما بعده.

[١٤٣٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١ ومسلم ١٨٦٦ والترمذي ٣٣٠٦ والنسائي في «التفسير» ٦٠٦ وابن ماجه ٢٨٧٥ من حديث عائشة. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٦ بتخريجنا.

تقعُ الفُرقةُ باختلافِ الدَّارين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «تُمسِكوا» بضمِّ التاء، والتخفيفِ، وقرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: «تُمسِّكوا» بضمِّ التاء، وبالتشديد، وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والحسَنُ، وابنُ يَعمَرَ، وأبو حَيْوَةَ: «تمسَّكوا» بفتحِ التاء، والميم، والسينَ مشدَّدةً. و «الكوافِر» جمعُ كافرةٍ، والمعنى: إنَّ اللَّهَ تعالى نهى المؤمنين عن المُقام على نكاحِ الكوافِرِ، وأَمرَهُم بفِراقِهِنَّ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنها كَفرتْ، فقد زالتِ العِصمَةُ بينها وبينَ المؤمن، أي: قد انبتَ عَقْدُ النِّكاحِ. وأصلُ العِصمَةِ: الحبلُ، وكلُّ ما أمسَكَ شيئاً فقد عَصَمهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ أي: إنْ لَحِقَتْ امرأةٌ منكم بأهلِ العهدِ مِنَ الكفَّارِ مُرتدَّةً، فاسألوهم ما أنفقتُم مِنَ المَهرِ إذا لم يدفعوها إليكم ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ يعني: المشركين الذين لَحِقَتْ أزواجُهم بكم مؤمناتٍ إذا تزوَّجنَ منكم، فليسأَلْ أزواجُهنَّ الكفَّارُ مَنْ تزوَّجَهُنَّ منكم «ما أنفقوا» وهو المَهرُ. والمعنى: عليكم أنْ تَغرَموا لهم الصَّداقَ كما يَغرَمون لكم.

قال أهلُ السِّيَرِ: وكانت أُمُّ كُلثوم حين هاجرَتْ عاتِقاً[1] لم يكُنْ لها زوجٌ فبعَثَتْ إليه قَدْرَ مَهرِها، فلما هاجرَتْ تزوَّجَتْ زيدَ بنَ حارِثةَ[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ﴾ يعني ما ذُكرَ في هذه الآيةِ.

فصل: وذَكرَ بعضُهم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ أنه نَسخَ ذلك في حرائرِ أهلِ الكتاب بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[3]، وهذا تخصيصٌ لا نَسخٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أصبتُموهم في القتال بعقوبةٍ حتى غَنِمتُم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والأزهَريُّ، والنَّخعيُّ: «فعَقَبتم» بغير ألفٍ، وبفتحِ العين والقاف، وبتخفيفِها. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعائشةُ والحسَنُ وحُميدٌ، والأعمَشُ «فعقّبتم» مثل ذلك، إلاَّ أنَّ القافَ مشددةٌ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى في التشديدِ والتخفيفِ واحدٌ، فكانت العُقبى لكم بأنْ غَلَبتُم. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ: «فأعقبتم» بهمزةٍ ساكنةَ العين، مفتوحةَ القافِ خفيفةً. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وأبو عِمْرَانَ الجَوْنيُّ: «فعَقِبتم» بفتحِ العين، وكسرِ القاف وتخفيفِها مِنْ غير ألِفٍ ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ أي: أَعْطوا الأزواجَ مِنْ رأس الغَنيمةِ ما أنفقُوا مِنَ المَهرِ.

[١٤٣٥] وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيَةَ نزلت في عِياضِ بنِ غَنْم، كانت زوجَتُه مُسلِمةً، وهي أُمُّ الحكَم بنتُ أبي سُفيانَ، فارتدَّتْ، فلَحِقَتْ بمكَّةَ، فأمَرَ اللَّهُ المسلمين أنْ يُعطُوا زوجَها مِنَ الغنيمةِ بقَدْرِ ما ساقَ إليها مِنَ المَهرِ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله عزَّ وجلَّ ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[4] إلى رأسِ الخمس. .

[١٤٣٥] ضعيف جداً. أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن كما في «الدر» ٦/ ٣١٠ وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

---

(١) العاتق: الشابة أول ما تُدرك. انظر «النهاية» ٣/ ١٧٨.
(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٣١.
(٣) المائدة: ٥. (٤) التوبة: ١.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الأحكامُ في أداءِ المَهرِ، وأَخْذِه مِنَ الكفَّارِ، وتعويضِ الزَّوجِ مِنَ الغَنيمةِ، أو مِنْ صَداقٍ قد وَجَبَ ردُّه على أهلِ الحربِ، منسوخةٌ عند جماعةٍ مِنْ أهلِ العلمِ. وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه على هذا. قلتُ: وكذا قال مُقاتِلٌ: كلُّ هؤلاءِ الآياتِ نَسَخَتْها آيةُ السيفِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾.

[١٤٣٦] قال المُفسِّرون: لمَّا فَتحَ رسولُ الله ﷺ مكَّةَ جاءَتْهُ النساءُ يُبايعنَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، وشَرَطَ في مُبايعَتِهِنَّ هذه الشَّرائطِ المذكورةِ في الآية، فبايَعهُنَّ وهو على الصَّفا، فلمَّا قال: ولا يَزنِينَ، قالت هِندُ: أَوَ تَزني الحُرَّةُ؟ فقال: ولا يَقتُلنَ أولادَهُنَّ، فقالت: رَبَّيناهم صغاراً فقَتلتُموهم كِباراً، فأنتم وهم أعلَم.

[١٤٣٧] وقد صحَّ في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُصافِحْ في البَيعةِ امرأةً، وإنما بايَعهُنَّ بالكلام. وقد سَمَّينا مَنْ أحصَيْنا مِنَ المُبايعاتِ في كتاب «التلقيح» على حروفِ المُعجمِ، وهنَّ أربعمائة وسبعٌ وخمسين امرأةً، واللّهُ المُوفِّقُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قال المُفسِّرون: هو الوَأْدُ الذي كانت الجاهليةُ تفعله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** لا يُلحقنَ بأزواجِهنَّ غيرَ أولادِهم، قاله ابنُ عباس، والجمهورُ، وذلك أنَّ المرأةَ كانت تلتقطُ المولودَ، فتقول لزوجِها: هذا وَلَدي منكَ، وذلك البُهتانُ المُفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأنَّ الولدَ إذا وَضعَتْهُ الأمُّ يسقطُ بين يديها ورِجلَيها. وقيلَ: معنى ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾: ما أخذنَهُ لقيطاً ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ ما وَلَدْنَهُ مِنْ زنا. **والثاني:** أنه السِّحرُ. **والثالث:** المشيُ بالنَّميمةِ، والسَّعيُ في الفساد، ذكرهما المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٤٣٨] **أحدها:** أنه النَّوْحُ، قاله ابنُ عباسٍ: ورُوِيَ مرفوعاً عن النبيِّ ﷺ.

[١٤٣٦] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ هكذا بدون إسناد. وأخرجه الطبري ٣٤٠١٣ من حديث ابن عباس بنحوه وأتم. وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٦ طرفاً منه عن الشعبي مرسلاً. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٢٠: وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيناهم صغاراً وقتلتوهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى استلقى اهـ.
الخلاصة: أصل الخبر صحيح بطرقه وشواهده. وانظر «الكشاف» ١١٦٤ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٠٩ بتخريجنا.

[١٤٣٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١ ومسلم ١٨٦٦ من حديث عائشة. وانظر «تفسير ابن العربي» ٢٠٩٠ بتخريجنا.

[١٤٣٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٢ والبغوي ٢١٨٤ في «معالم التنزيل» بترقيمنا عن أبي معمر به.

[١٤٣٩] **والثاني**: أنه لا يَدْعِينَ وَيْلاً، ولا يَخدِشْنَ وجهاً ولا يَنشُرْنَ شعراً، ولا يَشُقُقْنَ ثوباً، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ.

والثالث: أنه جميعُ ما يأمُرهنَّ به رسولُ الله ﷺ مِنْ شرائع الإسلام، وآدابه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنَّ طاعةَ الولاةِ إنما تلزَمُ في المُباح دونَ المحظورِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ المعنى: إذا بايعنَكَ على هذهِ الشَّرائطِ فبايعْهُنَّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود.

[١٤٤٠] وذلك أنَّ ناساً مِنْ فقراء المسلمين كانوا يُخبِرون اليهودَ أخبارَ المسلمين، يتقرَّبون إليهم بذلك لِيُصيبوا مِنْ ثِمارِهم وطعامِهم، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ بتكذيبهم محمَّداً، وهم يعرفون صِدقَهُ قد يَئِسوا مِنْ أنْ يكونَ لهم في الآخرة خيرٌ، والمعنى: قد يَئِسُوا مِنْ ثواب الآخرة، هذا قولُ الجمهورِ، وهو الصَّحيحُ.

وقال قَتادَةُ: قد يَئِسُوا أنْ يُبْعَثُوا، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كما يَئِسَ الكفَّارُ، مِنْ بَعثِ مَنْ في القبور، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كما يَئِسَ الكفَّارُ الذين ماتوا مِنْ ثوابِ الآخرة، لأنهم أيقَنُوا بالعذاب، قاله مُجاهِدٌ.

= وأخرجه البخاري ٧٢١٥ والطبراني ٢٥/(١٣٣) والبيهقي ٤/ ٦٢ من طريق عبد الوارث بهذا الإسناد.
وأخرجه مسلم ٩٣٦ ح ٣٣ وأحمد ٦/ ٤٠٧ وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٩ والحاكم ١/ ٣٨٣ وابن حبان ٣١٤٥ والطبراني ٢٥/ (١٣٦) والبيهقي ٤/ ٦٢ من طرق عن أبي معاوية عن عاصم عن حفصة به. وأخرجه النسائي ٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩ وأحمد ٦/ ٤٠٨ والطبري ٣٤٠٢٠ من طريق عن محمد بن سيرين عن أم عطية بنحوه.

[١٤٣٩] مرسل. أخرجه ابن أبي شيبة كما في «الدر» ٦/ ٣١٥ عن زيد بن أسلم مرسلاً.
وورد من مرسل الضحاك بنحوه، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٦/ ٣١٤.

[١٤٤٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨١٦ بدون إسناد ولا عزو لأحد، فهو لا شيء، وليس له أصل.

سورة الصف

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

ويُقال لها: سُورة الحَوارِيين؛ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ: والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، والجمهور. **والثاني**: مكيَّةٌ، قاله ابنُ يَسارٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سبب نُزولها خمسةُ أقوالٍ[1]:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٨٠: وأولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا بالعمل بعدما عرفوا.

فائدة: قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٢٢: وقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾** إنكارٌ على من يعد عدَةً، أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» ولهذا أكّد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله: **﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**.

وقال ابن العربي في «الأحكام» ٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٢: إن من التزم شيئاً لزمه شرعاً، والملتزم على قسمين: أحدهما: النذر، وهو على قسمين: نذر تقرب مبتدأ، كقوله: لله علي صومٌ وصلاة وصدقة، ونحوه من التقرب، فهذا يلزمه الوفاء به إجماعاً. ونذر مباح، وهو ما علّق بشرط رغبة، كقوله: إن قدم غائبي فعلي صدقة. أو علّق بشرط رهبة، كقوله: إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة. فاختلف العلماء فيه، فقال مالك وأبو حنيفة يلزمه الوفاء به. وقال الشافعي في أحد أقواله: إنه لا يلزمه الوفاء به. وعموم الآية حجة لنا، لأنها بمطلقها تتضمن ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان، من مطلق أو مقيد بشرط. وقد قال أصحابه: إن النذر إنما يكون بما القصد منه القربة مما هو من جنس القربة. هذا وإن كان من جنس القربة، لكنه لم يقصد به القربة، وإنما قصد منع نفسه عن فعل أو الإقدام على فعل.

قلنا: القرب الشرعية مقتضيات وكُلف وإن كانت قربات. وهذا تكلف في التزام هذه القربة مشقة لجلب نفع أو دفع ضر، فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب. فإن كان المقول منه وعداً فلا يخلو أن يكون منوطاً بسبب، كقوله: إن تزوجت أعنتك بدينار، أو ابتعت حاجة كذا أعطيتك كذا، فهذا لازم إجماعاً =

[١٤٤١] **أحدها**: ما رَوى أبو سَلمَةَ عن عبدِ الله بنِ سَلام، قال: قعدنا نَفراً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، فقُلنا: لو نعلَمُ أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ عَمِلناه، فأنزلَ اللّهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى آخرِ السُّورة.

[١٤٤٢] **والثاني**: أنَّ الرجل كان يجيء إلى النبيِّ ﷺ، فيقول: فعلتُ كذا وكذا، وما فعلَ، فنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال الضَّحَّاكُ: كان الرجل يقول: قاتلتُ، ولم يقاتِلْ، وطعنتُ، ولم يَطعَنْ، وصَبَرتُ ولم يَصبرْ، فنزلت هذه الآية.

[١٤٤٣] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنَ المسلمين كانوا يقولون قبل أن يُفرضَ الجهادُ: وَددْنا أنَّ الله تعالى دَلَّنا على أحبِّ الأعمال إليه، فلما نزلَ الجهاد، كرِهَهُ ناسٌ مِنَ المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٤٤] **والرابع**: أنَّ صُهيباً قتلَ رجلاً يومَ بدرٍ، فجاء رجلٌ فادَّعى أنه قَتَله وأخذَ سَلْبَه، فقال صُهَيبُ: أنا قتلتُه يا رسولَ الله، فأمرَهُ أنْ يدفعَ سَلْبَه إلى صُهَيبٍ، ونزلت هذه الآية، رواه سعيدُ بنُ المُسيِّبِ عن صُهَيبٍ.

[١٤٤٥] **والخامس**: أنَّ المنافقين كانوا يقولون للنبيِّ وأصحابِه: لو قد خرجتُم خرجنا معكم، ونَصرناكُم. فلما خرجَ النبيُّ ﷺ نَكَصوا عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «مَقْتاً» منصوبٌ على التمييز، والمعنى: كَبُرَ

[١٤٤١] صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٤٥٢ والترمذي ٣٣٠٩ والحاكم ٢/ ٤٨٧ و ٢٢٩ والدارمي ٢/ ٢٠٠ من حديث عبد الله بن سلام، صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، فقد رووه من طرق عدة، راجع كلام الترمذي، وقال الحافظ: هو أصح حديث مسلسل. راجع «الفتح» ٨/ ٦٤١. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٠٢ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٢٢ بتخريجنا.

[١٤٤٢] عزاه المصنف لعكرمة عن ابن عباس، ولم أقف عليه بهذا اللفظ. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٤١٧ عن ابن عباس بنحوه. وورد عن أبي صالح مرسلاً، أخرجه الطبري ٣٤٠٤٤ وعبد بن حميد كما في «الدر»٦/ ٤١٧، وورد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٤٠٤٦ وعن الضحاك ٣٤٠٤٨.

[١٤٤٣] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٠٤٢ عن علي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لانقطاعه بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

[١٤٤٤] قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٥٢٢: أخرجه الثعلبي من حديث صهيب قال: «كان رجل يوم بدر آذى المسلمين، ونكا فيهم فقتله صهيب فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلان، ففرح بذلك رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب: أخبر النبي ﷺ بذلك الحديث. . . اهـ. قلت: وما ينفرد به الثعلبي فهو ضعيف أو منكر، حتى الواحدي لم يذكره لا في «أسباب النزول» ولا في «الوسيط»، ولا ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

[١٤٤٥] باطل. أخرجه الطبري ٣٤٠٤٩ عن ابن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والمتن باطل لأن الخطاب في الآية للمؤمنين، فهذه علل ثلاث.

= من الفقهاء. وإن كان وعداً مجرداً فقيل: يلزم بمطلقه، وتعلّقوا بسبب الآية. ـ وهو الحديث الآتي عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام ـ.

قولُكم ما لا تفعلون مَقْتاً عندَ الله. ثم أعلَمَ عزَّ وجلَّ ما الذي يُحبُّه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ أي: بُنيانٌ لاصِقٌ بعضُه ببعض، فأعلَمَ أنه يحبُّ مَنْ يثبتُ في الجهاد، ويلزم مكانَهُ كثُبوتِ البُنيانِ المَرصُوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستويَ ثباتُهم في حربِ عدوِّهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبُنيان المَرصُوص. وللمُفسِّرين في المراد بـ «المَرصُوص» قولان: **أحدهما**: أنه المُلتَصِقُ بعضُه ببعضٍ، فلا يُرى فيه خَلَلٌ لإحكامِه، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه المَبنيُّ بالرَّصاص؛ وإلى نحوِ هذا ذهب الفَرَّاءُ، وكان أبو بَحْرِيَّةَ يقول: كانوا يكرهون القتالَ على الخيل، ويستحبُّون القتالَ على الأرض لهذه الآية. اسم أبي بَحْرِيَّةَ: عبدُ الله بنُ قيس التَّراغِمي، يروي عن معاذٍ، وكأنه أشار بذلك إلى أنَّ الفرسانَ لا يَصطَفُّون في الغالب إنما يَصطَفُّ الرَّجّالةُ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذكُرْ لِمَنْ يؤذيكَ مِنَ المنافقين ما صَنعتْه بالذين آذَوْا موسى. وقد ذكرنا ما آذَوْا به موسى في الأحزاب(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أي: مالُوا عن الحقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالَها عن الحقِّ جزاءً لِمَا ارتكبُوه، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصِم «من بعديَ اسْمُه» بفتح الياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم «من بعديْ اسمه» بإسكانِ الياء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: النَّصارى حين قالوا: عيسى ابنُ الله، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ وهو «يَدَّعِي إلى الإسلام» بفتح الياء، والدال، وتشديدِها، وبكسرِ العين، وما بعدَ هذا في براءة(٢) إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم وخَلَفٌ «مُتِمُّ نُورِه» مضافٌ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم «مُتِمٌّ» رفعٌ مُنوَّنٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

---

(١) الأحزاب: ٦٩. (٢) التوبة: ٣٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت هذه الآيةُ حين قالوا: لو عَلِمنا أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله لَعَمِلنا به أبداً، فدلَّهم اللّهُ على ذلك، وجعلَهُ بمنزلةِ التجارةِ لمكانِ رِبْحِهم فيه[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُنجِيكُم﴾ قرأ ابن عامر «تنجّيكم» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بَيَّنَ التِّجارةَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فإنْ قيلَ: كيف قال: تُؤمنون بالله؛ وقد قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وقد سبق ذلك الجوابُ عنه بنَحوِ الجواب عن قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[2] وقد سبق ذلك. قال الزَّجَّاجُ: وقولُه: «يَغْفِرْ لكم» جوابُ قولِه: «تؤمِنون» «وتجاهدون»، لأنَّ معناه معنى الأمرِ. والمعنى: آمِنوا بالله وجاهِدُوا، يَغْفِرْ لكم، أي: إنْ فعلتُم ذلك، يَغفِرْ لكم. وقد غَلِطَ بعضُ النَّحويين، فقال: هذا جوابُ «هل» وهذا غَلطٌ بَيِّنٌ، لأنه ليس إذا دَلَّهم على ما يَنفَعُهم غَفَرَ لهم، إنما يَغْفِرُ لهم إذا عملوا بذلك. ومَنْ قرأ «يغفر لكم» بإدغام الراء في اللام، فغيرُ جائزٍ عند سِيْبَوِيه، والخَليلِ، لأنه لا تُدغَمُ الراءُ في اللام في قولِهم. وقد رُوِيَتْ عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ، وهو إمامٌ عظيمٌ، ولا أحسَبُه قَرَأها إلاّ وقد سمِعَها مِنَ العرب. وقد زعم سِيْبَوِيه والخليلُ وجميعُ البَصريين، ما خلا أبا عمرٍو، أنَّ اللامَ تُدغم في الراء، وأنَّ الراءَ لا تُدغم في اللام، وحُجَّتهم أنَّ الراءَ حرفٌ مكررٌ قويٌّ، فإذا أُدغِمت في اللام ذهب التكريرُ منها. وما بعدَ هذا قد سبق إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ قال الفَرَّاءُ: والمعنى: ولكم في العاجلِ مع ثوابِ الآخرة أُخرى تحبُّونها، ثم فَسَّرها فقال عزَّ وجلَّ ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني:** فتحُ فارسَ والرُّوم، قاله عَطاءٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالنَّصر في الدنيا، والجنَّة في الآخرة. ثم حَضَّهُم على نصرِ دِينِه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو «كونوا أنصاراً لله» منوَّنةً. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ «أنصارَ الله» مضافٌ، ومعنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصُروا دِينَ الله مثلَ نُصْرَةِ الحَوارِيين لَمَّا قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحرَّكَ نافعٌ ياءَ «مَن أنصاريَ إلى الله» وقد سبقَ تفسيرُ هذا الكلام.

قوله عز وجلّ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ وهم مُخالِفو عيسى، كذلك قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور، وقال مُقاتِلٌ: تَمَّ الكلامُ عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ بمحمَّدٍ على الأديان، وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ: أصبح مَنْ آمَنَ بعيسى ظاهِرِينَ بتصديقِ محمَّدٍ ﷺ أنَّ عيسى كلمةُ الله ورُوحُه بتعليم الحُجَّةِ. قال ابنُ قُتيبةَ: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: غالِبِيْنَ عليهم بمحمَّدٍ. مِنْ قولِكَ: ظَهرتُ على فُلانٍ: إذا عَلَوتَه، وظَهرتُ على السَّطحِ: إذا صِرتَ فوقه.

---

(١) انظر الحديث المتقدم ١٤٤١ وفيه فأنزل الله: ﴿سبح لله ما في السموات﴾ إلى آخر السورة وهذه الآية منها.
(٢) النساء: ١٣٦.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

وقد سبق شرحُ فاتحتِها[١]. وقرأ أبو الدَّرْداءِ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميّ، وعِكرِمَةُ، والنَّخعيُّ، والوليدُ عن يعقوبَ ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بالرفعِ فيهن.

فإنْ قيلَ: فما الفائدةُ في إعادة ذِكْرِ التسبيح في هذه السورة؟

فالجواب: أنَّ ذلك لاستفتاحِ السُّوَرِ بتعظيم الله عزَّ وجلَّ، كما تُستَفتَحُ بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جَلَّ المعنى في تعظيمِ الله، حَسُنَ الاستفتاحُ به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ يعني: العرب، وكانوا لا يكتبون وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة[٢] ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: مِن جِنْسِهم ونَسَبِهم.

فإنْ قيلَ: فما وجهُ الامتنانِ في أنه بَعَثَ نبياً أُميًا[٣]؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: لِموافقةِ ما تقدَّمتْ

---

(١) آل عمران: ٥٢.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٢٨: الأميون هم العرب، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، لكن المنة عليهم أبلغ وآكد، كما قال تعالى: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾** وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قوله: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**، وقوله **﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾**. وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. فبعثه الله سبحانه وتعالى على حين فترة من الرسل، وطُمُوس من السُبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، أي نذراً يسيراً ـ ممن تمسّك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام.

البِشارَةُ به في كتب الأنبياء. **والثاني**: لِمُشاكلةِ حالِه لأحوالِهم، فيكون أقربَ إلى مُوافقتِهم. **والثالث**: لِئلاَّ يُظَنَّ به أنه يَعلَمُ كُتبَ مَنْ قبلَه. وما بعدَ هذا في سُورةِ البقرة[1] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، أي: وما كانوا قبل بَعْثِه إلاَّ في ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٍ، وهو الشِّرك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وبَعَثَ محمَّداً في آخرين منهم، أي: مِنَ الأُمِّيين. **والثاني**: ويعلمُ آخرين منهم، ويُزكِّيهم.

وفي المراد بالآخَرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم العَجَمُ، قاله ابنُ عمرَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وهي روايةُ لَيثٍ عن مُجاهِدٍ. فعَلَى هذا إنما قال: «منهم»، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذِ المسلمون يَدٌ واحدةٌ، ومِلَّةٌ واحدةٌ. **والثاني**: أنهم التابعون، قاله عِكرِمَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: جميعُ مَنْ دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابنُ زيدٍ، وهي روايةُ ابنِ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنهم الأطفالُ، حكاه الماوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾: أي: لم يَلْحَقوا بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يعني: الإسلام والهُدى ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بإرسالِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

ثم ضَربَ لليهود الذين تَركوا العمل بالتَّوراةِ مَثَلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي: كُلِّفوا العملَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يَعْمَلوا بمُوجِبها، ولم يُؤَدُّوا حقَّها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وهي جمعُ سِفرٍ. والسِّفْر: الكتاب، فشبَّهَهُم بالحمارِ لا يَعقِلُ ما يَحمِلُ، إذْ لم ينتفعوا بما في التَّوراة، وهي دالَّةٌ على الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ وهذا المَثَلُ يَلحَقُ مَنْ لم يعملْ بالقرآن ولم يَفْهَمْ معانيه ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ ذَمَّ مَثَلَهُم، والمراد ذَمُّهم، واليهودُ كذَّبوا بالقرآن وبالتَّوراة حين لم يُؤمِنوا بمحمَّدٍ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسَهم بتكذيبِ الأنبياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ، قالوا: نحن وَلَدُ إسرائيلَ الله، ابنِ ذبيحِ الله، ابنِ خليلِ الله، ونحنُ أَولَى بالله عزَّ وجلَّ مِنْ سائرِ الناس، وإنما تكون النُّبوةُ فينا. فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ﴾ لهم إنْ كُنتُم ﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ لأن الآخرةَ خيرٌ لأولياءِ الله مِنَ الدنيا. وقد بيَّنَّا هذا وما بعدَهُ في البقرة[2] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ عَلِموا أنهم قد أفسدوا على أنفُسِهم أمرَ الآخرة بتكذيبِهم محمَّداً،

(١) البقرة: ١٢٩.
(٢) البقرة: ٩٤.

وكانوا يكرهون الموتَ، فقيلَ لهم: لا بُدَّ مِنْ نزوله بكم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾، قال الفَرَّاءُ: العرب تُدخل الفاءَ في كلِّ خبرٍ كان اسمُه مما يُوصل، مثل: «من» و «الذي» فَمَنْ أدخل الفاءَ ها هنا ذهب «بالذي» إلى تأويلِ الجزاء. وفي قراءةِ عبدِ الله «إن الموت الذي تفرُّون منه ملاقيكم» وهذا على القياس، لأنكَ تقول: إنَّ أخاكَ قائمٌ، ولا تقول: فقائمٌ، ولو قلتَ: إنْ ضاربَكَ فظالمٌ، لَجازَ، لأنَّ تأويلَه: إنَّ رجلاً يضربُكَ فظالمٌ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما جاز دخولُ الفاء، لأنَّ في الكلام معنى الشرطِ والجزاءِ. ويجوز أنْ يكونَ تمامُ الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ: «تفرُّون منه» كأنه قيلَ: إنْ فررتُم من أي موتٍ كان مِنْ قتلٍ أو غيرِه «فإنه ملاقيكم» وتكون «فإنه» استئنافاً بعد الخبرِ الأولِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ وهذا هو النداء الذي يُنادى به إذا جلس الإمامُ على المِنبرِ، ولم يكن في عهدِ رسول الله ﷺ نداءٌ سواه.

[١٤٤٦] كان إذا جلس على المِنبَرِ أذَّن بلالٌ على باب المسجد، وكذلك كان على عهدِ أبي بكرٍ، وعمرَ، فلما كَثُرَ الناس على عهدِ عُثمانَ أَمَر بالتأذينِ الأولِ على دارٍ له بالسُّوقِ، يُقال لها: «الزَّوْراء» وكان إذا جلسَ أذَّنَ أيضاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي: لوقتِ الصلاة. وفي «الجُمعة» ثلاثُ لُغاتٍ. ضمُّ الجيم والميم، وهي قراءةُ الجمهور. وضمُّ الجيم مع إسكانِ الميم، وبها قرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو رَجاءٍ، وعِكرمَةُ، والزُّهريُّ، وابنُ أبي ليلى، وابنُ أبي عَبلَةَ، والأعمَشُ. وبضمِّ الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو العاليةِ، والنَّخعيُّ، وعَدِيُّ بنُ الفَضْلِ عن أبي عمرٍو. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لِثِقَلِ الضَّمتين. وأمَّا فتحُ الميم، فمعناها: الذي يجمعُ الناسَ، كما تقول: رجلٌ لُعَنَة: يُكثِرُ لعنَهُ الناسُ، وضُحَكَة: يُكثِرُ الضَّحكَ. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجُمعة ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه فيه جُمِعَ آدمُ.

[١٤٤٧] رَوى سَلْمانُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «أتَدْري ما الجُمعةُ؟» قلتُ: لا. قال: «فيه جُمِعَ أبوكَ»، يعني: تمام خَلْقِه في يوم الجُمعةِ.

والثاني: لاجتماعِ الناس فيه للصلاة. **والثالث:** لاجتماعِ المخلوقاتِ فيه، لأنه اليومُ الذي فَرَغَ فيه مِنْ خَلْقِ الأشياء.

[١٤٤٦] ساقه المصنف بمعناه، وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٢ و ١٩١٣ وأبي داود ١٠٨٧ و ١٠٨٨ والترمذي ٥١٦ وابن ماجه ١١٣٥ وابن حبان ١٦٧٣ والبيهقي ٣/ ١٩٢ وأحمد ٣/ ٤٥٠ من حديث السائب بن يزيد. وانظر «أحكام القرآن» ٤/ ٢٤٧ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٣٩ بتخريجنا.

[١٤٤٧] أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٩ والحاكم ١/ ٢٧٧ من حديث سلمان، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، واسمه نجيح. ولصدره شاهد في الصحيح، ولباقيه شواهد كثيرة.

الخلاصة: أصل الحديث صحيح بشواهده. وانظر «الدر المنثور» ٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

وفي أولِ مَنْ سمَّاها بالجُمعةِ قولان: **أحدهما**: أنه كَعْبُ بنُ لُؤَيّ سمَّاها بذلك، وكان يُقال ليوم الجُمعةِ: العَروبة. قاله أبو سَلمَة. وقيلَ: إنما سمَّاها بذلك لاجتماع قُريشٍ فيه. **والثاني**: أنَّ أولَ مَنْ سمَّاها بذلك الأنصارُ، قاله ابنُ سِيرِينَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وفي هذا السَّعي ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المشيُ، قاله ابنُ عباسٍ. وكان ابنُ مسعودٍ يقرؤها «فامضوا» ويقول: لو قرأتُها «فاسعَوْا» لسعَيتُ حتى يسقطَ رِدائي. قال عَطاءٌ: هو الذهابُ والمَشيُ إلى الصلاة.

والثاني: أن المراد بالسَّعي: العمل، قاله عِكرمَةُ، والقُرَظيُّ، والضَّحَّاكُ، فيكون المعنى: فاعمَلُوا على المُضيِّ إلى ذِكرِ الله بالتَّفرُّغِ له، والاشتغالِ بالطَّهارةِ ونحوها.

والثالث: أنه النِّيَّةُ بالقلب، قاله الحَسنُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: هو المُبادرةُ بالنِّيَّةِ والجِدِّ.

وفي المراد «بذكر الله» قولان: **أحدهما**: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. **والثاني**: موعِظةُ الإمام، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دَعُوا التِّجارةَ في ذلك الوقت. وعندنا: لا يجوز البيعُ في وقتِ النداء، ويقع البيعُ باطلاً في حقِّ مَنْ يلزمه فرضُ الجُمعةِ، وبه قال مالكٌ خلافاً للأكثرين.

فصل: تَجِبُ الجُمعةُ على مَنْ سمع النداءَ مِنَ المِصْرِ، إذا كان المُؤذِّنُ صَيِّتاً، والريحُ ساكنةٌ. وقد حدَّه مالكٌ بفَرْسَخٍ، ولم يَحُدّه الشَّافعيُ. وعن أحمدَ في التحديد نحوهما. وتَجِبُ الجُمعةُ على أهل القرى. وقال أبو حَنيفَةَ: لا تَجِبُ إلاَّ على أهل الأمصار. ويجوز لأهلِ المِصْرِ أنْ يُقيموا الجُمعةَ في الصحراء القريبة مِنَ المِصْرِ خلافاً للشَّافعي. ولا تنعقِدُ الجُمعةُ بأقل مِنْ أربعين. وعن أحمدَ: أقلُّهُ خمسون. وعنه: أقلُّه ثلاثةٌ. وقال أبو حَنيفَةَ: تنعقدُ بثلاثةٍ والإمام، والعددُ شرطٌ في الخُطبة. وقال أبو حَنيفَةَ في إحدى الرِّوايتين: يصحُّ أنْ يخطُبَ منفرداً. وهل تجبُ الجُمعةُ على العبيد؟ فيه عن أحمدَ روايتان. وعندنا: تَجِبُ على الأعمى إذا وَجدَ قائداً، خلافاً لأبي حَنيفةَ. ولا تنعقدُ الجُمعةُ بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حَنيفةَ. وهل تَجِبُ الجُمعةُ والعِيدانِ مِنْ غيرِ إذنِ سلطانٍ؟ فيه عن أحمدَ روايتان. وتجوز الجُمعةُ في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالكٌ، والشَّافعيُ، وأبو يُوسفَ: لا تجوز إلاَّ في موضعٍ واحدٍ. وتجوز إقامةُ الجُمعةِ قبل الزَّوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيدُ يومَ الجُمعةِ أجزأ حضورُه عن يوم الجُمعةِ، وبه قال الشَّعْبيّ والنَّخعيُّ، خلافاً للأكثرين، والمُستَحبُّ لأهل الأعذارِ أنْ يُصلُّوا الظُّهرَ في جماعةٍ. وقال أبو حَنيفةَ: يُكره. ولا يجوز السفرُ يوم الجمعة بعد الزَّوالِ. وقال أبو حَنيفَةَ: يجوز. وهل يجوز السفرُ بعد طلوع الفجر؟ فيه عن الإمام أحمدَ روايتان. ونُقل عن أحمدَ رضي الله عنه أنه لا يجوز الخروجُ في الجُمعةِ إلاَّ للجهاد. وقال أبو حَنيفةَ: يجوز لكلِّ سَفرٍ. وقال الشَّافعيُ: لا يجوز أصلاً.

والخُطبةُ شرطٌ في الجُمعةِ. وقال داودُ: هي مُستحبَّةٌ. والطهارة لا تُشترَطُ في الخُطبة، خِلافاً للشَّافعي تَصِحُّ في أحدِ قوليهِ. والقيام ليس بشرطٍ في الخُطبةِ، خلافاً للشَّافعي. ولا تَجِبُ القَعدةُ بين الخُطبتين، خلافاً له أيضاً.

ومِنْ شرط الخُطبة: التحميد، والصلاة على النبيِّ ﷺ، وقراءةُ آيةٍ، والموعظةُ. وقال أبو حَنيفةَ:

يجوز أنْ يَخطُبَ بتسبيحةٍ.

والخُطبتان واجبتان. وأما القراءةُ في الخُطبة الثانية، فهي شرطٌ، خلافاً للشّافعي.

والسُّنَّة للإمام إذا صَعِدَ المِنبرَ، واستقبل الناسَ: أنْ يُسلِّمَ، خلافاً لأبي حَنيفةَ، ومالكٍ. وهل يَحرمُ الكلامُ في حالِ سماع الخُطبة؟ فيه عن أحمدَ روايتان. ويَحرمُ على المُستَمِع دونَ الخاطبِ، خلافاً للأكثرين. ولا يُكره الكلامُ قبل الابتداء بالخُطبةِ، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حَنيفة.

ويستحبُّ له أنْ يُصليَ تحيةَ المسجد والإمامُ يَخطُبُ، خلافاً لأبي حَنيفةَ، ومالكٍ.

وهل يجوز أنْ يخطُبَ واحدٌ، ويصلِّيَ آخرُ، فيه عن أحمدَ روايتان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إنْ كان لكم عِلمٌ بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ﴾ أي: فرغتُم منها ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمرُ إباحةٍ ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلبِ الرِّزقِ بالتجارة بعد المَنْعِ منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وقال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو طَلَبُ العلم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾.

[١٤٤٨] سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يخطُب يومَ الجُمعةِ، إذ أقبلَتْ عِيرٌ قد قَدِمَتْ، فخرجوا إليها حتى لم يَبْقَ معه إلاَّ اثنا عشرَ رجلاً، فنزلت هذه الآية.

[١٤٤٩] أخرجه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبد الله، قال الحسَنُ: وذلك أنهم أصابهم جوعٌ، وغلاءُ سِعرٍ، فلمَّا سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبيُّ ﷺ: «لو اتَّبَعَ آخرُهم أوَّلَهم اِلْتَهَبَ عليهم الوادي ناراً».

[١٤٥٠] قال المُفسِّرون: كان الذي قَدِمَ بالتجارة دِحْيَةُ بنُ خَليفةَ الكَلْبيُّ، قال مُقاتِلٌ: وذلك قبلَ

[١٤٤٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٩ عن حفص بن عمر به من حديث جابر. وأخرجه مسلم ٨٦٣ ح ٣٧ من طريق خالد به. وأخرجه البخاري ٩٣٦ و ٣٠٦٤ و ٣٣٠٨ ومسلم ٨٦٣ وأبو يعلى ١٨٨٨ والطبري ٣٤٣٦ و ٣٤١٤٤ والدارقطني ٢/ ٥ والبيهقي ٣/ ١٩٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٢٠ وابن بشكوال في «غوامض الأسماء» ٨٥١ من طرق عن حصين به. وأخرجه البخاري ٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣. وأخرجه البخاري ٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣ والترمذي ٣٣٠٨ والطبري ٣٤١٤٣ والواحدي ٨١٩ من طرق عن حصين عن أبي سفيان عن جابر به.

[١٤٤٩] عجزه ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٣٧ وعبد الرزاق في «التفسير» ٣٢٢٢ من طريق معمر عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الطبري ٣٤١٣٤ من طريق سفيان عن إسماعيل السدي عن أبي مالك مرسلاً وليس فيه اللفظ المرفوع.

[١٤٥٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٢٠ عن المفسرين. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٦٤٩٥ من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان مرسلاً. وأخرجه أبو داود في «المراسيل» ٥٩ عن مقاتل بن حيان مرسلاً بنحوه. وعجزه ضعيف وفيه اللفظ المرفوع فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأحزم الله =

أنْ يُسلِمَ. قالوا: قَدِمَ بها مِنَ الشام، وضُرِبَ لها طَبلٌ يُؤذِنُ الناسَ بقُدومها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمتْ عِيْرٌ. قال جابرُ بنُ عبدِ الله: كانت التجارةُ طعاماً(١). وقال أبو مالكٍ: كانت زيتاً(٢). والمراد باللهوِ: ضَرْبُ الطَّبلِ. و ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ بمعنى: تفرَّقوا عنكَ، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة. وإنما خُصَّتْ بِرَدِّ الضمير إليها، لأنها كانت أَهَمَّ إليهم، هذا قول الفَرَّاءِ، والمُبَرِّدِ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وإذا رَأَوا تجارةً انفَضُّوا إليها، أو لَهْواً انفَضُّوا إليه، فحُذِفَ خبرُ أحدهما، لأنَّ الخبرَ الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «انفضوا إليهما» على التثنية. وعن ابنِ مسعودٍ، وابنِ أبي عَبلَةَ «انفضوا إليه» على ضميرٍ مذكرٍ ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ وهذا القيامُ كان في الخُطبةِ ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ ثواب الصلاة والثباتِ مع رسولِ الله ﷺ ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه يَرزقُ مَنْ يُؤمِنُ به ويَعبُده، ومَنْ يَكفرُ به ويَجحَدُه، فهو يُعطي مَنْ سألَ، ويَبتدئُ مَنْ لا يسأل، وغيرُه إنما يَرزقُ مَنْ يرجو مَنفعتَهُ، ويُقبِلُ على خدمتِه.

= عليهم الوادي ناراً». لكن لعجزه شاهد من: حديث جابر عند أبي يعلى ١٩٧٩ وابن حبان ٦٨٧٧ وفي إسناده زكريا بن يحيى بن زحمويه ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨/ ٢٥٣، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» ٣/ ٦١ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فالرجل مجهول. وحديث جابر في هذا الشأن رواه الشيخان كما تقدم بغير هذا السياق، وليس فيه اللفظ المرفوع فهذه زيادة منكرة، وتقدم حديث جابر. ويشهد لكون دحية الكلبي قدم بالتجارة، ما أخرجه بشكوال في «غوامض الأسماء» ص ٨٥٢ والطبري ٣٤١٣٥ من طريق سفيان عن السدي عن مرة مرسلاً. وحديث ابن عباس عند البزار ٢٢٧٣، وفي إسناده عبد الله بن شبيب، وهو ضعيف كما في «المجمع» ٧/ ١٣٤.

الخلاصة: أصل الحديث يعتضد بشواهده دون اللفظ المرفوع، فإنه ضعيف لا يصح.

وانظر «أحكام القرآن» ٢١٢٢.

---

(١) انظر الحديث ١٤٤٨ عن جابر بن عبد الله.

(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٤٩.

تنبيه: قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٥٣٧ رواية الاثني عشر هي المشهورة في «الصحيحين» ولم أقف على رواية أنهم كانوا ثمانية ولا أحد عشر. ورواية الأربعين أخرجها الدارقطني من طريق علي بن عاصم عن حصين، وقال: لم يقل أحد من أصحاب حصين: أربعون إلا علي بن عاصم، والكل قالوا: اثني عشر رجلاً. وكذلك قال أبو سفيان عن جابر كما تقدم اهـ. قلت: رواية الدارقطني هي في «السنن» ٢/ ٤.

وانظر «الكشاف» ٤/ ٥٣٨ بتخريجنا.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

[١٤٥١] وذكر أهلُ التفسير أنها نزلت في عبدِ الله بن أُبيّ ونُظرائِه. وكان السبب أنَّ عبدَ الله خرج مع النبيِّ ﷺ في خَلْقٍ كثيرٍ مِنَ المنافقين إلى المُرَيْسِيع، وهو ماءٌ لبني المُصطَلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد، لأن السفرَ كان قريباً. فلمَّا قضى رسولُ الله ﷺ غزاتَهُ، أقبلَ رجلٌ مِنْ جُهَينة، يُقال له: سِنان، وهو حليفٌ لعبدِ الله بنِ أُبيّ، ورجلٌ مِنْ بني غِفارٍ يُقال له: جهجاه بنُ سعيدٍ، وهو أجيرٌ لعمرَ بنِ الخطَّابِ لاستقاءِ الماء، فدَارَ بينهما كلامٌ، فرفعَ الغِفاريُّ يدَهُ فلَطَم الجُهَنيَّ، فأدماهُ، فنادى الجُهَنيُّ: يا آلَ الخَزْرج، فأقبَلُوا، ونادى الغِفاريُّ: يا آلَ قُريشٍ، فأقبَلُوا، فأصلَحَ الأمرَ قومٌ مِنَ المهاجرين. فبلغَ الخبرُ عبدَ الله بن أُبيّ، فقال وعنده جماعةٌ مِنَ المنافقين: واللَّهِ ما مَثَلُكم ومَثَلُ هؤلاء الرَّهطِ مِنْ قُريشٍ إلاَّ مَثَل ما قال الأولُ: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلْكَ، ولكنْ هذا فِعلُكم بأنفسِكم، آوَيْتُموهم في منازِلكم، وأنفَقْتُم عليهم أموالَكم، فقَووا وضَعُفتُم. وايمُ اللَّهِ: لو أمسكتُم أيديَكم لَتفرَّقتْ عن هذا جُموعه، ولَئِنْ رَجَعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وكان في القوم زيدُ بنُ أرقَم، وهو غلامٌ يومئذٍ لا يؤبَهُ له، فقال لعبدِ الله: أنتَ واللَّهِ الذَّليلُ القليلُ، فقال: إنما كنتُ ألعب، فأقبلَ زيدٌ بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمرُ: دعني أضربْ عُنقَهُ. فقال: إذَنْ ترعد له آنُفٌ كبيرةٌ، قال: فإنْ كرهتَ أنْ يقتلَهُ رجلٌ مِنَ المهاجرين، فمُرْ سعدَ بنَ عُبادَة، أو محمَّدَ بنَ مَسْلَمةَ، أو عبَّادَ بنَ بِشْرٍ فيلقْتُلْه، فقال: إذَنْ يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمَّداً يقتل أصحابَهُ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عبدِ الله بن أُبَيٍّ، فأتاه، فقال: أنتَ صاحبُ هذا الكلام؟ فقال: والذي أُنزلَ عليكَ ما قُلتُ شيئاً مِنْ هذا، وإنَّ زيداً لَكذَّابٌ، فقال مَنْ حضر: لا يَصدُقُ عليه كلامُ غلامٍ، عسى اللَّهُ أنْ يكونَ قد وَهِمَ، فعَذَرهُ رسولُ الله ﷺ، وفَشَتِ المَلامةُ في الأنصار لِزيدٍ، وكذَّبوه، وقالَ له عمُّهُ: ما أردتَ إلاَّ أنْ كذَّبكَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون، ومَقَتوكَ!

[١٤٥١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بإثر ٨٢١ نقلاً عن أهل التفسير، وأصحاب السير. وأخرجه الطبري ٣٤١٧٨ من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حيان قال: كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له... فذكره مع اختلاف يسير. وأصل الخبر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم. أخرجه البخاري ٤٩٠٠ و ٤٩٤ ومسلم ٢٧٧٢ والترمذي ٣٣١٢ و ٢٣١٣ والنسائي في «التفسير» ٦١٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٢١ و «الوسيط» ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤. أما عجزه فقد أخرجه الطبري ٣٤١٥٩ عن بشير بن مسلم... فذكره بأحضر منه.

الخلاصة: عامة هذا السياق محفوظ بطرقه وشواهده.

فاستحيا زيدٌ، وجلس في بيته. فبلغ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ ما كان مِنْ أمرِ أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: بَلَغني أنكَ تريد قَتْلَ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، لِمَا بَلَغكَ عنه. فإنْ كنتَ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أحمل إليكَ رأسَهُ، فإني أخشى أنْ يقتلَه غيري، فلا تَدَعْني نَفْسي حتى أقتلَ قاتِلَهُ، فأدخلَ النارَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «بل تُحسِنُ صُحبتَهُ ما بقيَ معنا»، وأنزلَ الله سُورَةَ المنافقين في تصديقِ زيدٍ، وتكذيبِ عبدِ الله، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى زيدٍ فقرأها عليه، وقال: إنَّ الله قد صَدَّقكَ. ولمَّا أراد عبدُ الله بنُ أُبيٍّ أنْ يدخلَ المدينةَ جاء ابنُه، فقال: ما وراءَكَ، قال: ما لَكَ وَيْلَكَ؟ قال: لا واللّهِ لا تَدخُلها أبداً إلاَّ بإذن رسول الله ﷺ لِتعلمَ اليومَ مَنِ الأعزُّ، ومَنِ الأذلُّ. فشكا عبدُ الله إلى رسولِ الله ﷺ ما صَنع ابنُه، فأرسلَ إليه رسولُ الله ﷺ أنْ خَلِّ عنه حتى يدخلَ، فلمَّا نزلت السُّورةُ وبانَ كَذِبُه قيلَ له: يا أبا حُبابٍ: إنه قد نزلت فيكَ آياتٌ شِدَادٌ، فاذهَبْ إلى رسول الله ليستغفِرَ لكَ، فلَوَى به رأسَهُ، فلذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وقيلَ: إنَّ الذي قال له هذا عُبادَةُ بنُ الصَّامتِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ وأصحابَه ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وها هنا تَمَّ الخبرُ عنهم. ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذِبِينَ، لأنهم أضمَرُوا غيرَ ما أظهَرُوا(١). قال الفرَّاءُ: إنما كَذَّبَ ضميرَهم. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في المُجادلة(٢). قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآية تدلُّ على أنَّ قولَ القائل: «أشهد» يمينٌ. لأنهم قالوا: «نشهد» فجعلَه يميناً بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وقد قال أحمدُ، والأوْزاعيُّ، والثَّوْرِيُّ، وأبو حَنيفَةَ: أشْهَدُ، وأُقْسِمُ، وأعْزِمُ، وأحْلِفُ، كلُّها أيمانٌ. وقال الشَّافعيُّ: «أُقسِم» ليس بيمينٍ. وإنما قولُه: «أُقسِمُ بالله» يمينٌ إذا أراد اليمينَ.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/٢٥٦: الشهادة تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، فأما شهادة القلب فهو الاعتقاد أو العلم على رأي قوم، والعلم على رأي آخرين، والصحيح عندي أنه الاعتقاد والعلم. وأما شهادة اللسان فبالكلام، وهو الركن الظاهر من أركانها، وعليه تنبني الأحكام، وتترتب الأعذار والاعتصام. قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» متفق عليه.
وقال ابن العربي في «الأحكام» ٤/٢٥٧: قال بعض الشافعية: إن قول الشافعي: إن الرجل إذا قال في يمينه ـ أشهد بالله يكون يميناً بنية اليمين، ورأى أبو حنيفة ومالك أنه دون النية يمين، ولا أرى المسألة إلا هكذا في أصلها. وقد قال مالك، إذا قال الرجل: أشهد: إنه يمين إذا أراد بالله.

(٢) المجادلة: ١٦.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الكَذِبُ ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السِّرِّ ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنَّ لهم أجساماً ومَناظِرَ.

[١٤٥٢] قال ابنُ عباس: كان عبدُ الله بن أُبيٍّ جسيماً فصيحاً، ذَلِقَ[١] اللسانِ، فإذا قال، سَمِعَ النبيُّ ﷺ قولَه. وقال غيرُه: المعنى: يُصغي إلى قولِهم، فيَحسبُ أنه حقٌّ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: وحمزةُ: «خُشُبٌ» بضمِّ الخاء، والشين جميعاً، وهو جمعُ خَشَبَة. مثل ثَمَرَةٍ، وثُمُرٍ. وقرأ الكِسائيُّ: خُشْب بضمِّ الخاء، وتسكينِ الشين، مثل: بَدَنَةٍ، وبُدْنٍ، وأَكَمَةٍ، وأُكْم. وعن ابنِ كثيرٍ، وأبي عمرٍو، مثله. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعُروةُ، وابنُ سِيرِينَ: «خَشَبٌ» بفتحِ الخاء، والشينِ جميعاً. وقرأ أبو نَهِيكٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ خَشْب بفتح الخاء، وإسكانِ الشين، فوصفهُم اللَّهُ بحُسنِ الصُّوَرِ، وإبانَةِ النُّطق، ثم أعلَمَ أنهم في تركِ التفهُّم والاستبصارِ بمنزلة الخُشُبِ. والمُسَنَّدَة: المُمالَة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجارٍ تُثمِرُ وتُنمي، بل هي خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ إلى حائطٍ. ثم عابَهُم بالجُبْنِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً إلاَّ ظَنُّوا أنهم قد أُتُوا لِمَا في قلوبهم مِنَ الرُّعب أنْ يكشفَ اللَّهُ أسرارَهم، وهذه مُبالغةٌ في وَصْفِهم بالجُبنِ. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتَهَا ... مُسَوَّمَةً تدعو عُبَيْداً وأَزْنَما[٢]

أي: لو طارتْ عصفورةٌ لَحَسِبْتَها مِنْ جُبْنِكَ خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أنْ تأمَنَهُم: ولا تأمَنْهُم على سِرِّكَ، لأنهم عيونٌ لأعدائِكَ مِنَ الكفَّار. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ مفسَّرٌ في براءة[٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا سببَهُ في نزولِ السُّورة[٤] ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافعٌ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ: «لَوَوْا» بالتخفيف. واختار أبو عُبَيدٍ التشديدَ.

[١٤٥٢] هو بعض حديث، أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٦/ ٣٣٦ عن ابن عباس بنحوه. ولم أقف على إسناده، لكن لا ريب أن ابن سلول هو أحد المرادين بهذه الآية.

---

(١) ذلق اللسان: طلق اللسان.

(٢) البيت للعوام بن شوذب الشيباني وهو في «معجم الشعراء» ٣٠٠ و «اللسان» ـ زنم ـ وأزنم: بطن من بني يربوع.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) انظر الحديث المتقدم ١٤٥١.

وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرَّةً بعد مرَّةٍ. قال مُجاهِدٌ: لمَّا قيلَ لعبدِ الله بن أُبَيّ: تعالَ يستغفِرْ لكَ رسولُ الله لوَّى رأسَهُ، وقال: ماذا قُلتَ؟ وقال مُقاتِلٌ: عَطَفوا رؤوسَهُم رغبةً عن الاستغفارِ. وقال الفَرَّاءُ: حَرَّكوها استهزاءً بالنبيِّ وبدُعائه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يُعرِضون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: مُتكبِّرون عن ذلك. ثم ذَكرَ أنَّ استغفارَهُ لهم لا ينفعُهم، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: «آستغفرت» بالمدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا أنه قولُ ابنِ أُبَيّ. و﴿يَنفَضُّوا۟﴾ بمعنى: يتفرَّقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال المُفسِّرون: خزائنُ السمواتِ: المطرُ، وخزائنُ الأرضِ: النباتُ. والمعنى: أنه هو الرَّزَّاقُ لهؤلاءِ المُهاجرين، لا أولئك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ اللَّهَ رازِقُهم في حالِ إنفاقِ هؤلاءِ عليهم ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي مِن هذه الغَزوة. وقد تقدَّمَ ذِكرُها وهذا قولُ ابن أُبَيّ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ يعني: نَفسَه، وعَنى بـ ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ رسولَ الله ﷺ. وقرأ الحسَنُ: «لنُخرجنَّ» بالنونِ مضمومةً وكسرِ الراء «الأعزَّ» بنَصْبِ الزاي والأذل منصوب على الحالِ بناء على جواز تعريف الحال. أو زيادة «أل» فيه أو بتقدير «مثل» المعنى: لنُخرجنَّه ذليلاً على أيِّ حالِ ذُلٍّ. والكُلُّ نَصبوا «الأذلَّ» فَرَدَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ وهي: المَنَعةُ والقوَّةُ ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزازِ الله ونَصْره إيَّاهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تَشغَلْكُم.

في المراد بذِكْرِ الله ها هنا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: طاعةُ الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثاني**: الصلاةُ المَكتوبةُ، قاله عَطاءٌ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الفرائض مِنَ الصلاة، وغيرِها، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه على إطلاقِه. قال الزَّجَّاجُ: حَضَّهم بهذا على إدامةِ الذِّكرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ في هذه النَّفقةِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه زكاة الأموالِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها النَّفقةُ في الحقوق الواجبةِ بالمال، كالزَّكاة والحَجِّ، ونحوِ ذلك، وهذا

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢٥٩: أخذ ابن عباس بعموم الآية في الإنفاق الواجب خاصةً دون النفل. وهو الصحيح. لأن الوعيد إنما يتعلق بالواجب دون النفل. وأما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموماً، وأما القول في الحج على الفور ففيه إشكال، لأنا إن قلنا: إن الحج على التراخي ففي المعصية في الموت قبل أدائه خلاف بين العلماء، لا تخرج الآية عليه.
ـ وإن قلنا: إن الحج على الفور فالآية على العموم صحيح، لأن من وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود أنه رجع ليأتي بما ترك من العبادات.

المعنى مَرويٌّ عن الضَّحَّاكِ. **والثالث**: أنه صدقةُ التطوّع، ذكره المَاوَرديُّ. فعَلَى هذا يكون الأمرُ نَدْباً، وعلى ما قبله يكون أمرَ وجوبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مِنْ قبل أنْ يُعاينَ ما يعلَمُ منه أنه مَيِّتٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أي: هلاَّ أخَّرتَني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ يعني بذلك الاستِزادةَ في أجَلِه لِيتصدَّقَ ويُزكّي، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «فأصدق» نُصِبَ، لأنَّ كلَّ جوابٍ بالفاء للاستفهامِ منصوبٌ. تقول: مَنْ عندَكَ فآتيَكَ. هلاَّ فعلتَ كذا فأفعَلَ كذا، ثم تَبِعَتْها ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بغير واوٍ. وقال أبو عمرٍو: إنما هي، وأكون، فذهبتِ الواو مِنَ الخَطِّ. كما يكتب أبو جاد، أَبُجَدْ، هجاءً، وهكذا يقرؤها أبو عمرٍو «وأكونَ» بالواو، ونَصْبِ النون. والباقون يقرؤون «وأكن» بغيرِ واوٍ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «وأكونَ» فهو على لفظِ فأصَّدَّقَ. ومَنْ جزمَ «أكنْ» فهو على موضعِ «فأصدق» لأن المعنى: إنْ أخَّرتَني أصدَّقْ وأكُنْ. ورَوى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ «فأصَّدَّق» أي: أزكّي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أحُجُّ مع المؤمنين، وقال في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ والمعنى: بما تعملون، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ يعملون بالياء والباقون بالتاء، مِنَ التكذيب بالصَّدقةِ. قال مُقاتِلٌ: يعني: المنافقين. وروى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، ما مِنْ أحدٍ يموت، قد كان له مالٌ لم يُزَكِّهِ، وأطاق الحَجَّ فلم يَحُجَّ، إلاَّ سأل اللَّهَ الرَّجعةَ عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرَّجعةَ الكفَّارُ، فقال: أنا أتْلُو عليكم به قرآناً، ثم قرأ هذه الآيَةَ.

سُورَةُ التَّغَابُن

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الجمهور، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها مكيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، وقال عطاءُ بنُ يَسارٍ: هي مكيَّةٌ إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ واللَّتانِ بعدَها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت
تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

وقد سبق تفسيرُ فاتحتِها إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ وفيه قولان[1]:

أحدهما: أنَّ الله خَلَقَ بني آدمَ مؤمناً وكافراً، رواه الوالبيُّ عن ابنِ عباسٍ. والأحاديثُ تعضدُ هذا القولَ.

[١٤٥٣] كقوله ﷺ: «خُلِقَ فِرعونُ في بطن أُمِّه كافراً، وخُلِقَ يَحيى بنُ زكريَّا في بطن أُمِّه مؤمناً».

[١٤٥٤] وقوله: «فيُؤمَرُ المَلَكُ بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رزقِهِ، وأَجلِهِ، وعَملِهِ، وشقيٌّ أَمْ سعيدٌ».

[١٤٥٣] أخرجه اللالكائي في «السنة» ١٣٠/١ ـ ٢ وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» ٢/ ١٩٠ من حديث ابن مسعود، وفيه نصر بن طريف، وهو متروك. وأخرجه ابن عدي ١/ ٣٠٤ والطبراني ١٠٥٤٣ من وجه آخر، وفيه أبو هلال الراسبي، وهو غير قوي والحديث بهذا اللفظ غير قوي.

[١٤٥٤] صحيح. وهو قطعة من حديث طويل عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٦٥٩٤ و ٧٤٥٤ ومسلم ٢٦٤٣، وأبو داود ٤٧٠٨ والترمذي ٢١٣٧ وابن ماجه ٧٦ وابن حبان ٦١٧٤ وأحمد ١/ ٤١٤ و ٤٣٠. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٩٩٥ بتخريجنا.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٢٠: وقال الزجاج: ـ وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة ـ: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

والثاني: أنَّ تمام الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ثم وَصَفهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، واختلف أربابُ هذا القول فيه على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: فمِنكم كافرٌ يُؤمن، ومنكم مُؤمنٌ يَكفر، قاله أبو الجَوْزاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فمنكم كافرٌ في حياته مؤمنٌ في العاقبة، ومنكم مؤمنٌ في حياته كافرٌ في العاقبة، قاله أبو سعيدِ الخُدْرِيُّ. **والثالث**: فمنكم كافرٌ بالله مُؤمنٌ بالكوكب، ومنكم مُؤمنٌ بالله كافرٌ بالكوكب، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباح، وعَنى بذلك شأنَ الأَنْواءِ. **والرابع**: فمنكم كافرٌ بالله خُلقَه، ومؤمن بالله خُلقَه، حكاه الزَّجَّاجُ، والكفرُ بالخُلقِ مذهبُ الدَّهريَّة، وأهلِ الطبائع. وما بعد هذا قد سبقَ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال الزَّجاجُ: أي: خَلَقَكُم أحسنَ الحيوانِ كلِّه. وقرأ الأعمَشُ «صِوركم» بكسرِ الصاد. ويُقال في جمع الصورة: صُوَر، وصَوَرٌ، وصِور، كما يُقال في جمع لِحيَة: لِحَىً، ولُحىً. وذكر ابنُ السَّائبِ أنَّ معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أحكَمَها. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ رَوى المُفضَّلُ عن عاصِم «يسرُّون» و «يعلنون» بالياء فيهما ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ هذا خطابٌ لأهل مكَّةَ خَوَّفهم ما نزل بالكفَّار قبلَهم، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: جزاءَ أعمالِهم، وهو ما أصابَهم مِنَ العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَبَشَرٌ﴾ أي: ناسٌ مِثْلُنا ﴿يَهْدُونَنَا﴾ والبَشرُ اسمُ جنسٍ معناه الجمع، وإنْ كان لفظُه واحداً ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ أي: أعرَضوا عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانِهم وعبادتِهم.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كان ابنُ عمرَ يقول: «زعموا» كنايةُ الكَذِب. وكان مُجاهِدٌ يكره أنْ يقولَ الرجلُ: زَعَمَ فلانٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: البعث ﴿وَالنُّورِ﴾ هو القرآن، وفيه بيانُ أمرِ البَعثِ والحسابِ والجَزاءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ هو منصوبٌ بقوله تعالى: ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة. وسُمِّي بذلك لأنَّ الله تعالى يجمع فيه الجنَّ والإنسَ، وأهلَ السماء، وأهل الأرض. قوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ تفاعُل مِنَ الغُبن، وهو فَوتُ الحظّ. والمراد في تسميته يومُ القيامة بيومِ التَّغابُن فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ليس مِنْ كافرٍ إلا وله منزلٌ وأهلٌ في الجنَّة، فيَرِثُ ذلك المؤمنُ، فيُغْبَنُ حينئذٍ الكافرُ، ذَكرَ هذا المعنى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: غَبنَ أهلُ الجنَّةِ أهلَ النَّار، قاله مُجاهِدٌ، والقُرَظيُّ. **والثالث**: أنه يومَ غَبَنَ المظلومُ الظالِمَ، لأن المظلوم كان في الدنيا مَغبوناً، فصارَ في الآخرة غابِناً، ذكره المَاوَرديُّ. **والرابع**: أنه يومَ يظهر فيه غُبْنُ الكافر بتَركِه للإيمان، وغُبْنُ المؤمن بتقصيرِه في الإحسان، ذَكرَهُ الثَّعلَبيُّ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما ذَكرَ ذلك مَثلاً للبيع والشراء، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾(١)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾(٢) وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ «نكفر» «وندخله» بالنون فيهما. والباقون: بالياء ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بعِلْمِه وقضائِه. قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَهْدِ قلبَهُ لليقينِ، فيَعلم أنَّ ما أصابه لم يكُنْ لِيُخطِئَه، وما أخطأَهُ لم يكن لِيُصيبَهُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال عَلقَمةُ: هو الرجل تُصيبه المصيبةُ، فيعلم أنها من قِبَل الله تعالى، فيُسَلِّم، ويرضى. **والثاني**: يَهْدِ قلبَهُ للاستِرْجاع، وهو أنْ يقولَ: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه إذا ابتُلِيَ صَبرَ، وإذا أُنْعِمَ عليه شَكرَ، وإذا ظُلِمَ غفرَ، قاله ابنُ السَّائبِ، وابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: يَهْدِ قلبَهُ، أي: يجعله مُهتدياً، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: يَهْدِ وَليَّهُ بالصبر والرضى، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسادس**: يَهْدِ قلبَه لاتِّباع السُّنَّةِ إذا صحَّ إيمانُه، قاله أبو عُثمانَ الحيري. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وأبو نَهِيْكٍ: «يَهْدَ» بياءٍ مفتوحةٍ. ونَصب الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. قال الزَّجَّاجُ: هذا مِنْ هدأ يَهْدَأ: إذا سَكَنَ. فالمعنى: إذا سَلَّم لأمرِ الله سَكَنَ قَلْبُه. وقرأ عُثمانُ بنُ عَفَّانَ، والضَّحَّاكُ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، والأزرقُ عن حمزَةَ: «نَهْد» بالنون. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، عليه السلام وأبو عبدِ الرَّحمن: «يُهْدَ قلبُه» بضمِّ الياء، وفتحِ الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾.

[١٤٥٥] سببُ نُزولِها أنَّ الرجلَ كان يُسلِمُ. فإذا أراد الهجرةَ مَنَعه أهلُه، ووَلَدُه، وقالوا: نَنْشُدُكَ اللَّهَ أنْ تذهَب وتَدَعَ أهلَكَ وعشيرَتَكَ وتصيرَ إلى المدينة بلا أهلٍ ولا مالٍ. فمِنْهُم مَنْ يَرِقُّ لهم، ويُقيم فلا يُهاجر، فنزلت هذه الآيةُ. فلما هاجرَ أولئكَ، ورَأَوا الناسَ فقد فَقُهوا في الدِّين همُّوا أنْ يُعاقبوا أهليهم الذين مَنَعُوهم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ إلى آخرِ الآية، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا أرادوا الهجرةَ قال لهم أزواجهم، وأولادُهم: قد صَبَرنا لكم على مُفارقة الدِّين ولا

[١٤٥٥] حسن. أخرجه الترمذي ٣٣١٧ والحاكم ٢/ ٤٩٠ والطبري ٣٤١٩٨ من حديث ابن عباس، صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. مع أنه من رواية سماك عن عكرمة وفيه ضعف، وورد من وجه آخر، أخرجه الطبري ٣٤٢٠٠، وفيه عطية العوفي واهٍ. وانظر تفسير القرطبي ٦٠٠١ بتخريجنا. وانظر أيضاً «أحكام القرآن» ٢١٣١ فقد استوفيت فيه الكلام عليه.

---

(١) البقرة: ١٦. (٢) الصف: ١٠.

نَصبِرُ لكم على مُفارقَتِكُم، ومُفارقةِ الأموال، والمساكن، فأعلَمَ الله عزَّ وجلَّ أنَّ مَنْ كان بهذه الصورة، فهو عدوٌّ، وإنْ كان وَلَداً، أو كانت زوجةً. وقال مُجاهِدٌ: كان حبُّ الرجل وَلَدَهُ وزوجتَهُ يحمله على قطيعةِ رَحِمِه ومعصيةِ ربِّه. وقال قَتادَةُ: كان مِنْ أزواجِهم، وأولادِهم مَنْ ينهاهُم عن الإسلام، ويثبِّطُهم عنه، فخَرجَ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بمَنْعِهم مِنَ الهجرة، وهذا على قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: بكونِهم سبباً للمعاصي، وهذا على قولِ مُجاهِدٍ. **والثالث**: بنَهْيِهم عن الإسلام، وهذا على قولِ قَتادَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ قال الفَرَّاءُ: **لا تُطيعوهم في التَّخلُّف**.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ أي: بلاءٌ وشُغلٌ عن الآخرة. فالمال والأولاد يُوقِعان في العظائم إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللّهُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أي: إغرام. يُقال: فُتِنَ فلانٌ بالمرأة، وشُغِفَ بها، أي: أُغرِمَ بها. وقال أهلُ المعاني: إنما دخل «من» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ لأنه ليس كلُّ الأزواج، والأولاد أعداءً. ولم يَذْكرْ «مِنْ» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ لأنها لا تَخلُو مِنَ الفتنة، واشتغالِ القلب بها.

[١٤٥٦] وقد رَوى بُرَيدَةُ عن رسول الله ﷺ أنه كان يَخطُبُ، فجاء الحسَنُ، والحُسينُ، عليهما السلام، عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيان، ويَعثُرانِ، فنزلَ مِنَ المِنبَرِ، فحمَلَهُما، فوضَعَهُما بين يديه ثم قال: «صَدَقَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ نَظرتُ إلى هذين الصَّبيينِ يمشيانِ، ويَعثُرانِ، فلم أصبِرْ حتى قطعتُ حديثي، ورَفَعتُهما».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ أي: ثوابٌ جزيلٌ، وهو الجنَّةُ. والمعنى: لا تَعصُوه بسبب الأولاد، ولا تُؤثِروهم على ما عندَ الله مِنَ الأجرِ العظيم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ أي: ما أطقتُم ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما تُؤمَرُون به ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ وفي هذه النَّفقةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّدقة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: نفقةُ المؤمن على نَفْسِه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: النَّفقةُ في الجهاد، قاله الضَّحَّاكُ. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ حتى يُعطيَ حقَّ الله في ماله. وقد تقدَّمَ بيانُ هذا في سُورَةِ الحَشر وما بعدَهُ سبقَ بيانُه إلى آخرِ السُّورَةِ(١).

[١٤٥٦] حسن. أخرجه الترمذي ٣٧٧٤ والحاكم ١/ ٢٨٧ وابن حبان ٦٠٣٩ والبيهقي ٣/ ٢١٨ من طرق عن علي بن الحسين بن واقد به. عن بريدة مرفوعاً. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مع أن علي بن الحسين روى له مسلم في المقدمة فقط لكنه توبع. وأخرجه أبو داود ١١٠٩ والنسائي ٣/ ١٠٨ و ١٩٢ وابن ماجه ٣٦٠٠ وابن أبي شيبة ٨/ ٣٦٨ و ١٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وأحمد ٥/ ٣٥٤ وابن خزيمة ١٠٨٢ وابن حبان ٦٠٣٨ والبيهقي ٦/ ١٦٥ من حديث بريدة.
وانظر «أحكام القرآن» ٢١٣٤ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٠٥.

---

(١) البقرة: ٢٤٥، والحديد: ١١ ـ ١٨، والحشر: ٢٣ ـ ٢٤.

سورة الطلاق

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

وتُسمَّى سُورَةَ النِّساء القُصْرَى، وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا خطابٌ للنبيِّ عليه السلام. والمؤمنون داخلون معه فيه. ومعناه: إذا أردتُم طلاقَ النِّساءِ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[1]. وفي سبب نُزولِ هذه الآية قولان:

[١٤٥٧] **أحدهما**: أنها نزلت حينَ طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حَفْصَةَ، وقيلَ له: راجِعْهَا، فإنَّها صَوَّامةٌ

[١٤٥٧] ذكر نزول هذه الآية ضعيف، وأن النبي ﷺ طلق حفصة صحيح، وباقيه حسن صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٢٤٤ عن قتادة مرسلاً بهذا السياق. ووصله ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤٤٥ بذكر أنس، وفي إسناده أسباط بن محمد، غير قوي، والمرسل أصح. فقد أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ عن قتادة مرسلاً، وليس فيه ذكر نزول الآية.

وللحديث شواهد دون ذكر نزول الآية منها:

١ ـ مرسل قيس بن زيد، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ ورجاله ثقات.

٢ ـ مرسل مخرمة بن بكير عن أبيه، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وفيه الواقدي واهٍ.

٣ ـ مرسل ابن سيرين، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٨ وفيه الواقدي.

٤ ـ حديث أنس ولفظه «أن النبي ﷺ لما طلق حفصة أمر أن يراجعها»، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وإسناده على شرط الشيخين.

٥ ـ حديث ابن عباس عن عمر ولفظه «أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وأبو داود ٢٢٨٣ والنسائي ٦/ ٣١٣ وإسناده حسن.

الخلاصة: كونه ﷺ طلق حفصة صحيح، وأما نزول الآية في ذلك، فضعيف، وأما عجزه، فهو حسن صحيح. والله تعالى أعلم. وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢١٣٨ و «فتح القدير» للشوكاني ٢٥٣٢.

---

(١) المائدة: ٦.

قَوَّامةٌ، وهي مِنْ إحدى زوجاتِكَ في الجنَّةِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١٤٥٨] **والثاني**: أنها نزلت في عبدِ الله بنِ عمرَ، وذلك أنه طلَّقَ امرأتَهُ حائضاً، فأمَرَهُ النبيُّ ﷺ أنْ يُراجِعَها، ثم يُمْسِكَها حتى تطهُرَ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لِزمانِ عِدَّتِهِنَّ، وهو الطُّهرُ. وهذا للمدخولِ بها، لأنَّ غيرَ المدخولِ بها لا عِدَّةَ عليها. والطَّلاقُ على ضربين(١): سُنِّيٌّ، وبِدْعِيٌّ.

فالسُّنِّيُّ: أنْ يُطلِّقَها في طُهرٍ لم يُجامِعْها فيه، فذلك هو الطَّلاقُ لِلعِدَّةِ، لأنها تعتدُّ بذلك الطُّهرِ مِن عِدَّتِها، وتقع في العِدَّةِ عُقيبَ الطلاق، فلا يَطُولُ عليها زمانُ العِدَّةِ.

والطَّلاقُ البِدْعيُّ: أنْ يقعَ في حالِ الحيض، أو في طُهرٍ قد جامَعَها فيه، فهو واقعٌ، وصاحبُه آثِمٌ.

[١٤٥٨] لا أصل له، وحديث ابن عمر متفق عليه كما سيأتي، وليس فيه أن الآية نزلت فيه.
وحديث ابن عمر دون ذكر نزول الآية صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٨ و ٥٢٥١ و ٥٢٥٢ و ٥٣٣٣ و ٧١٦٠ ومسلم ١٤٧١ وأبو داود ٢١٧٩ و ٢١٨١ والترمذي ١١٧٦ والنسائي ٦/ ٢١٢ - ٢١٣ ومالك ٢/ ٥٧٦ والشافعي ٢/ ٣٢ - ٣٣ والطيالسي ١٨٥٣ وابن أبي شيبة ٥/ ٢ - ٣ وأحمد ٢/ ٦٣ وابن حبان ٤٢٦٣ وابن الجارود ٧٣٤ والدارقطني ٤/ ٧ والبغوي ٢٢٢٠ والبيهقي ٧/ ٤٢٤ من طرق من حديث ابن عمر.
وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢١٣٩ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٣٥: من طلق في طهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه وأصاب السنة، وإن طلقها حائضاً نفذ طلاقه وأخطأ السنة، وقال سعيد بن المسيب في أخرى: لا يقع الطلاق في الحيض لأنه خلاف السنة. وإليه ذهبت الشيعة وفي «الصحيحين» حديث ابن عمر المتقدم: وكان ابن عمر طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما أمره رسول الله ﷺ في رواية عن ابن عمر أن الرسول ﷺ قال: «هي واحدة». وهذا نص. وهو يرد على الشيعة قال علماؤنا: طلاق السنة ما جمع شروطاً سبعة: وهو أن يطلقها واحدة، وهي ممن تحيض، طاهراً لم يمسها في ذلك الظهر، ولا تقدمه طلاق في حيض، ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه، وخلا عن العوض. وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدم. وقال الشافعي: طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر خاصة، ولو طلقها ثلاثاً لم يكن بدعة. وقال أبو حنيفة: طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر طلقة، قال الشعبي: يجوز أن يطلقها في طهر جامعها فيه. فعلماؤنا قالوا: يطلقها واحدة في طهر لم يمس فيه، ولا تبعه طلاق في عدة، ولا يكون الطهر تالياً لحيض وقع فيه الطلاق. للحديث المتقدم. وتمسك الإمام الشافعي بظاهر قوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وهذا عام في كل طلاق كان واحدة أو اثنتين أو أكثر. وإنما راعى الله سبحانه الزمان في هذه الآية ولم يعتبر العدد. وكذلك حديث ابن عمر لأن النبي ﷺ علّمه الوقت لا العدد. قال ابن العربي: «وهذه غفلة عن الحديث الصحيح»، فإنه قال: «مره فليراجعها» وهذا يدفع الثلاث. وفي الحديث أنه قال: أرأيت لو طلقها ثلاثاً؟ قال: حرمت عليك وبانت منك بمعصية. وقال أبو حنيفة: ظاهر الآية يدل على أن الطلاق الثلاث والواحدة سواء. وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾. وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الآية. وكذلك قال أكثر العلماء، وهو بديع لهم. وأما مالك فلم يخف عليه إطلاق الآية كما قالوا، ولكن الحديث فسرها كما قلنا. وأما قول الشعبي: إنه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه، فيرده حديث ابن عمر بنصه ومعناه. فلأنه إذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به مخافة شغل الرحم وبالحيض التالي له.
قلت: وقد احتج الشافعي في طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدارقطني أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية ثلاث تطليقات في كلمة واحدة، فلم يبلغنا أن أحداً من أصحابه عاب عليه ذلك.

فإنْ جمعَ الطلاقَ الثلاثَ في طُهرٍ واحدٍ، فالمَنصوصُ مِنْ مذهبنا أنه بِدْعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: زمانَ العِدَّةِ. وفي إحصائه فوائدُ. منها: مُراعاةُ زمانِ الرَّجعةِ، وأوانِ النَّفقةِ، والسُّكنى، وتوزيعِ الطَّلاقِ على الإقراءِ إذا أراد أنْ يُطلِّقَ ثلاثاً، ولِيَعْلَمَ أنها قد بانَتْ، فيتزوَّجَ بأختِها، وأربعٍ سِواها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تعصُوه فيما أمرَكُم به. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليلٌ على وجوبِ السُّكنى. ونَسَبَ البيوتَ إليهنَّ، لِسُكناهُنَّ قبلَ الطلاق فيهنَّ، ولا يجوز لها أنْ تخرجَ في عِدَّتِها إلاَّ لضرورةٍ ظاهرةٍ. فإنْ خرجتْ أثمت ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: أنَّ المعنى: إلاَّ أنْ يَخرجْنَ قبل انقضاءِ المُدَّةِ، فخُروجُهنَّ هو الفاحشةُ المُبيِّنةُ، وهذا قولُ عبدِ الله بنِ عمرَ، والسُّدِّيّ، وابنِ السَّائبِ. **والثاني**: أنَّ الفاحشةَ: الزنا، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. فعلَى هذا يكون المعنى: إلاَّ أنْ يزنينَ فَيُخْرَجْنَ لإقامةِ الحدِّ عليهنَّ. **والثالث**: أنَّ الفاحشةَ: أنْ تبدو على أهلِه، فيَحِلُّ لهم إخراجُها، رواه محمَّدُ بنُ إبراهيمَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنها إصابةُ حدٍّ، فتخرج لإقامة الحَدِّ عليها، قاله سعيدُ بنُ المُسيِّبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذَكَرَ مِنَ الأحكام ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ التي بَيَّنَها، وأَمَرَ بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: أثِمَ فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يُوقِعُ في قلبِ الزَّوجِ المحبَّةَ لِرَجعَتِها بعد الطَّلْقةِ والطَّلْقَتَيْنِ. وهذا يدل على أنَّ المُستحَبَّ في الطَّلاق تفريقُه، وأنْ لا يجمعَ الثلاثَ.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قارَبْنَ انقضاءَ العِدَّةِ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مبيَّنٌ في البقرة[2] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: أَشهِدوا على الطلاقِ، أو المُراجعةِ. واختلف العلماء: هل الإشهادُ على المُراجعةِ واجبٌ، أمْ مستحبٌّ؟ وفيه عن أحمدَ روايتان، وعن الشَّافعي قولان، ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: اشهَدُوا بالحقِّ، وأدُّوها على الصحة، طلباً لمرضاةِ الله تعالى، وقياماً بوصيَّته. وما بعدَه قد سبقَ بيانُه إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٤٦: وقوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبينة، تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين ومجاهد وعكرمة، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بذؤت على أهل الرجل، وآذتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وغيرهم.

(٢) البقرة: ٢٣٢.

[١٤٥٩] فذَكَرَ أكثرُ المُفسِّرين أنها نزلت في عَوْفِ بنِ مالكٍ الأشجَعي، أَسَرَ العدوُّ ابناً له، فذَكَرَ ذلك للنبيِّ ﷺ وشَكا إليه الفاقةَ، فقال: اتَّقِ اللَّهَ؛ واصبِرْ، وأكثِرْ مِنْ قول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله، ففعَلَ الرجلُ ذلك، فغَفلَ العدوُّ عن ابنه، فسَاقَ غَنمَهُم، وجاء بها إلى المدينة، وهي أربعةُ آلافِ شاةٍ، فنزلت هذه الآية.

وفي معناها للمُفسِّرين خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ يُنجِهِ مِنْ كلِّ كَربٍ في الدنيا والآخرة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ مَخرجَه: عِلمُه بأنَّ ما أصابَهُ مِنْ عطاءٍ أو مَنْعٍ، مِنْ قِبَلِ الله، وهو معنى قولِ ابنِ مسعودٍ. **والثالث**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ، فيُطلِّقْ للسُّنَّةِ، ويُراجِعُ للسُّنَّةِ، يَجْعَلْ له مَخرجاً، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ بالصبر عند المُصيبة، يجعَلْ له مَخرجاً مِنَ النَّارِ إلى الجنَّةِ، قاله ابنُ السَّائب. **والخامس**: يجعلْ له مخرجاً مِنَ الحرام إلى الحَلال، قاله الزَّجَّاجُ. والصحيح أنَّ هذا عامٌّ، فإنَّ الله تعالى يجعَلُ للتَّقِيِّ مَخرجاً مِنْ كلِّ ما يضيقُ عليه. ومَنْ لا يتَّقي، يقعُ في كلِّ شدَّةٍ. قال الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم: يجعلْ له مخرجاً مِنْ كلِّ ما يضيقَ على الناس ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: مِنْ حيثُ لا يأمَلُ، ولا يَرجو. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يكون: إذا اتَّقى اللَّهَ في طلاقِه، وجرى في ذلك على السُّنَّة، رزقَهُ اللَّهُ أهلاً بدلَ أهلِه. قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: مَنْ وَثِقَ به فيما نابَهُ، كفَاهُ اللَّهُ ما أهمَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۦ﴾ وروى حَفصٌ، والمُفضَّلُ عن عاصِم «بالغُ أمرِه» مضافٌ. والمعنى: يقضي ما يريد، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: أجَلاً ومُنتهىً ينتهي إليه، قدَّرَ اللَّهُ ذلك كلَّه، فلا يُقدَّم ولا يُؤخَّر. قال مُقاتِلٌ: قد جعل اللَّهُ لكلِّ شيءٍ مِنَ الشدة والرَّخاء قَدْراً، فقدَّرَ متى يكون هذا الغنيُّ فقيراً، وهذا الفقيرُ غنياً.

﴿وَاللَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ في سبب نُزولِها قولان: **أحدهما**: أنها لمَّا نزلت عِدَّةُ

[١٤٥٩] أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» ٤/٥٥٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «جاء عوف بن مالك الأشجعي فذكره نحوه، ولم يسم الابن. قال الحافظ في «تخريجه» ٤/٥٥٦: والكلبي متروك متهم، وهذا الإسناد واهٍ بمرة، وأبو صالح ضعفه غير واحد. وله شاهد من حديث أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن أبيه نحوه، أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٦/١٠٦ وإسناده منقطع فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود. وكرره البيهقي ٦/١٠٧ عن أبي عبيدة مرسلاً، وسنده قوي. وله شاهد آخر من حديث جابر أخرجه الحاكم ٢/٤٩٢ وصححه! وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر، وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك قاله الأزدي اهـ. وورد عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً أخرجه الطبري ٣٤٢٨٨. وكرره عن السدي مرسلاً ٣٤٢٨٧.
الخلاصة: هو حديث حسن أو يقرب من الحسن وأحسن ما روي فيه حديث ابن مسعود، ليس له علة إلا الانقطاع، فهو ضعيف فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، إذا انضم إليه مرسل سالم ومرسل السدي، صار حسناً كما هو مقرر في هذا النص لكن في المتن بعض الاضطراب، لذا قلت: حسن أو يشبه الحسن. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٢٥٣٦ بتخريجنا.

المُطلَّقةِ، والمُتوفَّى عنها زَوجُها في البقرة[١].

[١٤٦٠] قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: يا رسولَ الله: إنَّ نساءً مِنْ أهل المدينة يَقُلْنَ: قد بقي مِنَ النساء ما لم يُذكَرْ فيه شيءٌ. قال: «وما هو؟» قال: الصِّغارُ والكِبارُ، وذواتُ الحَمْلِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عمرُو بنُ سالمٍ.

[١٤٦١] والثاني: لمَّا نزل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية[٢] قال خَلَّادُ بنُ النُّعمانِ الأنصاريُّ: يا رسولَ الله، فما عِدَّةُ التي لا تحيضُ، وعِدَّةُ التي لم تَحِضْ، وعِدَّةُ الحُبْلَى؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآية: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾، أي: شككتُم فلم تَدْرُوا ما عِدَّتُهنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ كذلك.

فصل[٣]: قال القاضي أبو يَعلَى: والمراد بالارتياب ها هنا: ارتيابُ المُخاطَبين في مقدارِ عِدَّة

[١٤٦٠] أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٢ و ٤٩٣ والواحدي في «أسبابه» ٨٣٠ والبيهقي ٧/ ٤١٤ من حديث أبيّ بن كعب، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن إسناده منقطع عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب كما في «تهذيب التهذيب» لابن حجر، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٢٤ بتخريجنا، وانظر «الدر» ٦/ ٣٥٧.

[١٤٦١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، فالخبر لا شيء.

---

(١) البقرة: ٢٢٧ ـ ٢٣٢. (٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٣٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال عني بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهن. فإن حكم عددهن إذا طلقن، وهن ممن دخل بهن أزواجهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري الصغار إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول.
وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٤٦: المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة. وقد قيل في المرتابة التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما ترفعها: إنها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها، منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثة عدة، فإن طلقها فحاضت حيضة أو حيضتين ثم ارتفع عنها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر، ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للأزواج. هذا قول الشافعي بالعراق. فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد تسعة أشهر، أربعة أشهر وعشراً. فإن كانت المرأة شابة، اسْتُؤني بها هل هي حامل أم لا، فإن استبان حملها فإن أجلها وصفه. وإن لم يستبن فقال مالك: عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنةٌ. وبه قال أحمد وإسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره. وأهل العراق يرون أن عدتها ثلاث حيض بعدما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها، وإن مكثت عشرين سنة، إلا أن تبلغ من الكبر مبلغاً تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر قال الثعلبي: وهذا الأصح في مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء. وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه وأما من تأخر حيضها لمرض، فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن أَصْبَغ: تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة. ولو تأخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها، تسعة أشهر ثم ثلاثة، على ما ذكرناه، فتحل ما لم ترتب بحمل، فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام، وقال أشهب: لا تحل أبداً حتى تنقطع عنها الريبة، قال ابن العربي: وهو الصحيح. وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال: قال ابن المسيب: تعتد سنة وهو قول الليث، وهو مشهور قول =

الآيسَةِ والصغيرةِ كم هو؟ وليس المراد به ارتيابُ المُعتدَّاتِ في اليأسِ مِنَ المَحيضِ، أو اليأسِ مِنَ الحمل للسببِ الذي ذُكِرَ في نزولِ الآية. ولأنه لو أُريد بذلك النساءُ لَتَوجَّه الخطابُ إليهنَّ، فقيل: إنِ ارتبْتُنَّ، أو ارتبْنَ، لأنَّ الحَيضَ إنما يُعلَمُ مِنْ جِهتِهنَّ.

وقد اختُلِفَ في المرأة إذا تأخَّرَ حيضُها لا لِعارضٍ كم تجلس؟ فمذهب أصحابُنا أنها تجلس غالبَ مُدَّةِ الحَملِ، وهو تسعةُ أشهرٍ، ثم ثلاثةٌ. والعِدَّة: هيَ الثلاثةُ التي بعدَ التِّسعةِ. فإنْ حاضتْ قبل السَّنةِ بيوم، استأنفتْ ثلاثَ حِيَضٍ، وإنْ تَمَّتِ السَّنَةُ مِنْ غير حيضٍ، حَلَّتْ، وبه قال مالكٌ. أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ في الجديد: تَمكُثُ أبداً حتى يُعلَمَ براءةُ رَحِمِها قطعاً، وهو أنْ تصيرَ في حَدٍّ لا يَحيضُ مثلُها، فتَعتدُّ بعد ذلك ثلاثةَ أشهرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ يعني: عِدَّتهنَّ ثلاثةُ أشهرٍ أيضاً، لأنه كلامٌ لا يستقلُّ بنَفْسِه، فلا بُدَّ له مِنْ ضميرٍ، وضميرُه تقدَّم ذِكْره مَظهراً، وهو العِدَّةُ بالشهور. وهذا على قولِ أصحابنا محمولٌ على مَنْ لم يأتِ عليها زمانُ الحيضِ: أنها تعتدُّ ثلاثةَ أشهرٍ. فأمَّا مَنْ أتى عليها زمانُ الحَيْضِ، ولم تَحِضْ، فإنها تعتدُّ سنةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ عامٌّ في المُطلَّقاتِ، والمُتوفَّى عنهنَّ أزواجُهنَّ، وهذا قولُ عمرَ، وابنِ عمرَ، وابنِ مسعودٍ، وأبي مسعودٍ البَدْري، وأبي هُريرَةَ، وفقهاءِ الأمصار. وقد رُويَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: تعتدُّ آخِرَ الأجلَيْنِ. ويدلُّ على قولنا عمومُ الآيَة. وقولُ ابنِ مسعودٍ: مَنْ شاء لاعنْتُه، ما نزلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ إلاَّ بعدَ آيَةِ المُتوفَّى عنها زوجُها، وقولُ أُمِّ سَلَمَةَ:

[١٤٦٢] إنَّ سُبَيعةَ وَضعَتْ بعدَ وفاةِ زوجِها بأيامٍ، فأمَرها رسولُ الله ﷺ أنْ تتزوَّجَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: فيما أُمِرَ به ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ يُسَهِّلْ عليه أمرَ الدنيا والآخرة، وهذا قولُ الأكثرين. وقال الضَّحَّاكُ: ومَنْ يتَّقِ الله في طلاقِ السُّنَّة، يجعلْ له مِنْ أمرِه يُسْراً في الرَّجعةِ ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ أي: يَمْحُ عنه خطاياه ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ في الآخرة.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾

[١٤٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ٥٣١٩ و ٥٣٢٠ ومسلم ١٤٨٤ وأبو داود ٢٣٠٦ والنسائي ٦/ ١٩٤ و ١٩٦ وابن ماجه ٢٠٢٨ ومالك ٢/ ٥٩٠ وأحمد ٦/ ٤٣٢ وابن حبان ٤٢٩٤ وعبد الرزاق ١١٧٢٢ والطبراني ٢٤/ ٧٤٥ ـ ٧٥٠ والبيهقي ٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ من طرق عن الزهري به بألفاظ متقاربة.

= علمائنا. سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها، وميزت ذلك أو لم تميزه. عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهبه سنة. وقال الشافعي في أحد أقواله: عدتها ثلاثة أشهر. وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين من القرويين. قال ابن العربي: وهو الصحيح عندي. وقال أبو عمر: المستحاضة إذا كان دمها ينفصل فعلمت إقبال حيضتها أو إدبارها اعتدت ثلاثة قروء. وهذا أصح في النظر، وأثبت في القياس والأثر.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ و «مِنْ» صِلَةٌ، قوله: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضمِّ الواو. وقرأ أبو هُرَيرة، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادةُ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ بكسرِ الواو. وقال ابنُ قُتَيبة: أي: بِقَدْرِ وُسْعِكم. وقرأ ابنُ يَعمُر، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَةَ: بفتح الواو. والوُجْدُ: المَقدِرةُ، والغِنى؛ يُقال: افتقَرَ فُلانٌ بعدَ وُجْدٍ. قال الفرَّاءُ: يقول: على ما يَجِدُ، فإن كان مُوسَّعاً عليه، وسَّعَ عليها في المَسكنِ والنَّفَقة، وإن كان مُقتَّراً عليه، فعلَى قَدْرِ ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ بالتَّضييقِ عليهنَّ في المَسكنِ، والنَّفقةِ، وأنتم تجدون سَعَةً. قال القاضي أبو يَعلَى: والمراد بهذا: المُطَلَّقةُ الرَّجعيَّةُ دونَ المَبتُوتةِ، بدليل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾(١) وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾(٢) فدلَّ ذلك على أنه أراد الرَّجعيَّةَ.

وقد اختلف الفقهاءُ في المَبتُوتةِ(٣): هل لها سُكنى، ونَفقةٌ في مُدَّةِ العِدَّةِ، أمْ لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سُكنى لها ولا نَفقةَ، وهو قولُ ابنِ أبي ليلى. وقال أبو حَنيفةَ: لها السُّكنى، والنَّفقةُ. وقال مالكٌ والشَّافعيُّ: لها السُّكنى، دونَ النَّفقةِ. وقد رواه الكوسج عن الإمام أحمدَ رضي الله عنه ويدلُّ على الأولِ.

[١٤٦٣] حديثُ فاطمةَ بنتِ قيسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: إنما النَّفقةُ للمرأة على زوجِها ما كانت له

[١٤٦٣] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٦ وأبو داود ٢٢٨٤ والنسائي ٦/ ٧٥ ـ ٧٦ وأحمد ٦/ ٤١٢ والشافعي ٢/ ١٨ ـ ١٩ و ٥٤ وابن حبان ٤٢٩٠ وابن الجارود ٧٦٠ والطبراني ٢٤/ (٩١٣) والبيهقي ٧/ ١٣٥ و ١٧٧ و ١٨١ و ٤٧١ من طرق عن مالك به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٨ وأبو داود ٢٢٨٥ و ٢٢٨٦ و ٢٢٨٧ والنسائي ٦/ ١٤٥ والطبراني ٢٤/ (٩٢٠) وابن حبان ٤٢٥٣ والبيهقي ٧/ ١٧٨ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٤٨ والنسائي ٦/ ١٥٠ والترمذي ١١٣٥ وابن ماجه ٢٠٣٥ وأحمد =

---

(١) الطلاق: ١. (٢) الطلاق: ٢.

(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩: قال أشهب عن مالك: يخرج عنها إذا طلقها ويتركها في المنزل، لقوله تعالى: ﴿أسكنوهن﴾ فلو كان معها ما قال أسكنوهن. وقال ابن نافع: قال مالك في قول الله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ يعني المطلقات اللاتي بك من أزواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملاً. فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة، لأنها بائن منه، لا يتوارثان ولا رجعة له عليها. وإن كانت حاملاً فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضي عدتها. فأما من لم تبن منهن فإنهن نساؤهم يتوارثون، ولا يخرجن إلا أن يأذن لهن أزواجهن ما كن في عهدتهن، ولم يؤمروا بالسكنى لهن لأن ذلك لازم لأزواجهن مع نفقتهن وكسوتهن، حوامل كن أو غير حوامل إنما أمر الله بالسكنى للائي بن من أزواجهن مع نفقتهن، قال تعالى: ﴿وإن كن أولت حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فجعل الله عز وجل للحوامل اللائي قد بِنّ من أزواجهن السكنى والنفقة. قال ابن العربي: وبسط ذلك وتحقيقه أن الله سبحانه لما ذكر السكنى أطلقها لكل مطلقة. فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل، فدل على أن المطلقة البائن لا نفقة لها. وهي مسألة عظيمة وهذا مأخذها من القرآن.

عليها الرَّجعةُ، فإذا لم يكُن له عليها الرَّجعةُ، فلا نفقةَ ولا سُكنى. ومِنْ حيثُ المعنى: إنَّ النَّفقةَ إنما تَجِبُ لأجلِ التَّمكينِ مِنَ الاستمتاعِ، بدليلِ أنَّ النَّاشِزَ لا نفقةَ لها.

واختلفوا في الحاملِ، والمُتوفَّى عنها زوجُها، فقال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عمرَ، وأبو العاليةِ، والشَّعْبيُّ، وشُرَيحٌ، وإبراهيمُ: نفقتُها مِن جميعِ المالِ، وبه قال مالكٌ، وابنُ أبي ليلى، والثَّوْريُّ. وقال ابنُ عباسٍ، وابنُ الزُّبيرِ، والحسَنُ، وسَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وعَطاءٌ: نفقتُها في مالِ نَفْسِها، وبه قال أبو حَنيفةَ، وأصحابُه. وعن أحمدَ كالقولين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: أُجرة الرَّضاعِ. وفي هذا دَلالةٌ على أنَّ الأمَّ إذا رضيَتْ أنْ تُرضعَهُ بأُجرةِ مِثْلِه، لم يكن للأبِ أنْ يسترضِعَ غيرَها ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: لا تَشتطُّ المرأةُ على الزوجِ فيما تطلُبه مِنْ أُجرةِ الرَّضاعِ، ولا يُقصِّرُ الزَّوجُ عن المقدارِ المُستحَقِّ ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ في الأُجرة، ولم يَتراضَ الوالِدَانِ على شيءٍ ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ لفظُه لفظُ الخبرِ، ومعناه: الأمرُ: أي: فَلْيسترْضِعِ الوالدُ غيرَ والدةِ الصبي. ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمرَ أهلَ التَّوسِعَةِ أنْ يُوسِّعوا على نسائِهم المُرضِعاتِ أولادَهن على قَدْرِ سَعتِهم. وقرأ ابنُ السَّمَيفَعِ «لِينفَق» بفتحِ القافِ. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أي: ضُيِّقَ عليه مِنَ المُطلِّقين. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وحُمَيدٌ «قُدِّر عليه» بضمِّ القافِ، وتشديدِ الدالِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «قَدَّر» بفتحِ القافِ وتشديدِ الدالِ «رزقَه» بنصبِ القافِ. ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ على قَدْرِ ما أعطاه مِنَ المالِ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي: على قَدْرِ ما أعطاها مِنَ المالِ ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: بعدَ ضيقٍ وشِدَّةٍ، غِنىً وَسَعَةً، وكان الغالب عليهم حِينئذٍ الفقرُ، فأعلَمَهُم أنه سيفتحُ عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن﴾ أي: وكَمْ ﴿مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾، أي: عن أمرِ رُسلِه. والمعنى: عَتا أهلُها. قال ابنُ زيدٍ: عَتَتْ، أي: كفرَتْ، وتركَتْ أمرَ ربِّها، فلم تقبَلْهُ.

وفي باقي الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ فيها تقديماً، وتأخيراً. والمعنى: عذَّبناها عذاباً نُكراً في الدنيا بالجوعِ، والسيفِ، والبَلايا، وحاسَبْناها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابنُ عباسٍ، والفَرَّاءُ في آخرين. **والثاني**: أنها على نَظْمِها، والمعنى: حاسَبْناها بعملِها في الدنيا، فجَازَيناها بالعذابِ على مِقدارِ عَمَلِها، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. والحساب الشديد: هو

= ٦/ ٤١١ وابن حبان ٤٢٥٤ والطبراني ٢٤/(٩٢٩) والبيهقي ٧/ ١٣٦ و ٤٧٣ من طرق عن سفيان عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس به مطوّلاً ومختصراً. وأخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٨٠ والبغوي في «شرح السنة» ٢٣٧٨ عن عبد الله بن يزيد به.

الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي: قرآناً ﴿رَّسُولًا﴾ أي: وبعث رسولاً، قاله مقاتل. وإلى نحوهِ ذهب السُّدِّيُّ. وقال ابنُ السَّائبِ: الرسولُ ها هنا: جِبرائيلُ، فعَلَى هذا: يكون الذِّكرُ والرسولُ جميعاً مُنزَّلَين. وقال ثعلبٌ: الرسول: هو الذِّكرُ. وقال غيرُه: معنى الذِّكرِ ها هنا: الشَّرف. وما بعدَهُ قد تقدَّم[1] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ يعني: الجنَّةَ التي لا ينقطعُ نعيمُها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخَلَقَ الأرضَ بعَدَدِهنَّ. وجاء في الحديث: أنَّ كثافةَ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائةِ عام، وما بينها وبينَ الأخرى كذلك، وكثافةَ كلِّ أرضٍ خمسمائةُ عام، وما بينها وبينَ الأرض الأخرى كذلك.

[١٤٦٤] وقد رَوى أبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ قال: في كلِّ أرضٍ آدمُ مثلُ آدمِكم، ونُوحٌ مثلُ نُوحِكُم، وإبراهيمُ مثلُ إبراهيمِكُم، وعيسى كَعِيسى، فهذا الحديثُ تارةً يُرفعُ إلى ابنِ عباسٍ، وتارةً يُوقَفُ على أبي الضُّحَى، وليس له معنىً إلاَّ ما حَكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، قال: سمعتُ أنَّ معناه: إنَّ في كلِّ أرضٍ خَلْقاً مِنْ خَلْقِ الله لهم سادةٌ، يقوم كبيرُهم ومُتقدِّمهم في الخَلْقِ مقامَ آدمَ فينا، وتقومُ ذُرِّيَّته في السِّنِّ والقِدَمِ كمقامِ نُوحٍ. وعلى هذا المثالِ سائرُهم. وقال كَعْبٌ: ساكِنُ الأرضِ الثانيةِ: الريحُ العَقِيمُ، وفي الثَّالثة: حِجارَةُ جهنَّمَ، والرابعة: كِبريتُ جهنَّمَ، والخامسة: حيَّاتُ جهنَّمَ، والسادسة: عقاربُ جهنَّمَ، والسابعة: فيها إبليسُ[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، في الأمرِ قولان: **أحدهما**: أنه قضاء الله وقَدَرُه، قاله الأكثرون. قال قَتادَةُ: في كلِّ أرضٍ مِنْ أرضه وسماءٍ مِنْ سمائِه خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وأمْرٌ مِنْ أمرِه، وقَضاءٌ مِنْ قَضَائِهِ. **والثاني**: أنه الوحي، قاله مقاتل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ المعنى أعلَمَكُم هذا لِتَعلَموا قُدرتَهُ على كلِّ شيءٍ وعِلْمَهُ بكلِّ شيءٍ.

[١٤٦٤] هذا الأثر من الإسرائيليات، وهو باطل لا أصل له. فلا يوجد في باطن الأرض كنبينا ولا غيره، بل وليس في باطن الأرض بشراً، وليست صالحة للحياة أصلاً. والإسناد إلى أبي الضحى صحيح كما في «تفسير الطبري» ٣٤٣٧١ وأبو الضحى ثقة، وعلى هذا يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب، فقد ثبت أنه روى عن كعب الأحبار وغيره. لا فائدة من هذه الأقوال لأنها إسرائيلية.

---

(١) البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩.

(٢) هذا كسابقه من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن كتب الأقدمين. والله أعلم.

سورة التحريم

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ
عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٤٦٥] **أحدهما**: أنَّ حَفصةَ ذهبتْ إلى أبيها تَتَحدَّثُ عنده، فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى جاريتِه، فظَلَّتْ

[١٤٦٥] ورد من وجوه متعددة بألفاظ متقاربة منها:
حديث ابن عباس: أخرجه الطبري ٣٤٣٩٢ وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي. وورد من وجه آخر بنحوه، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧، ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة ابن إسحاق. وورد من وجه آخر، أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده» كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤٥٦ وقال ابن كثير: إسناده صحيح.
٢ ـ مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٩.
٣ ـ مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٨.
٤ ـ مرسل الشعبي، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٠.
٥ ـ مرسل أبي عثمان، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٤.
٦ ـ مرسل قتادة والحسن، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٥.
٧ ـ مرسل زيد بن أسلم، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٢.
٨ ـ مرسل مسروق، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٣.
٩ ـ حديث أنس، وهو مختصر، أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٢٧ والحاكم ٢/ ٤٩٣ وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وله شواهد أخرى، انظر «الكشاف» ١٢٠٧ بتخريجي.
الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وانظر «أحكام القرآن» ٢١٥٦ بتخريجنا.

معه في بيت حَفصَةَ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشةَ، فرجعت حَفصَةُ، فوجدَتْها في بيتها، فجعلَتْ تنتظر خروجَها، وغارَتْ غَيْرةً شديدةً. فلما دخلتْ حَفصَةُ قالت: قد رأيتُ مَنْ كان عندكَ. واللَّهِ لقد سُؤْتَني، فقال النبيُّ ﷺ «واللَّهِ لأُرْضِيَنَّكِ، وَإني مُسِرٌ إليكِ سرًا فاحفظيهِ»، قالتْ: وما هو؟ قال: «إني أُشهِدُكِ أَنَّ سِرِّيَّتي هذه عليَّ حرامٌ رِضىً لَكِ»، وكانت عائشةُ وحَفصَةُ متظاهرَتَيْنِ على نساءِ النبيِّ ﷺ، فانطلقَتْ حَفصَةُ إلى عائشةَ، فقالت لها: أَبْشِري، إنَّ النبيَّ ﷺ قد حرَّمَ عليه فتاتَهُ. فنزلت هذه الآيةُ رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٦٦] وقد رُوِيَ عن عمرَ نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حَفصَةُ: كيف تُحَرِّمها، عليكَ، ؟! فحَلَفَ لها أنْ لا يقرَبَها، فقال لها: «لا تَذْكُريه لأحدٍ» فذكرَتْهُ لعائشةَ، فآلى أنْ لا يدخلَ على نسائِه شهراً، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٤٦٧] وقال الضَّحَّاكُ: قال لها: «لا تذكري لعائشةَ ما رأيتِ» فذَكرَتْهُ، فغَضِبَتْ عائشةُ، ولم تزلْ بنبيِّ الله حتى حَلَفَ أنْ لا يَقرَبَها، فنزلت هذه الآيةُ، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، والشَّعْبيُّ، ومَسرُوقٌ، ومُقاتِلٌ، والأكثرون.

[١٤٦٨] **والثاني**: ما روى عُروَةُ عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يحبُّ الحَلْواءَ والعَسلَ، وكان إذا انصرف مِنْ صلاةِ العصر دخل على نسائِه، فدخل على حَفصَةَ بنتِ عمرَ، واحتَبَسَ عندها، فسألتُ عن ذلك، فقيلَ لي: أهدتْ لها امرأةٌ مِنْ قومها عُكَّةً مِنْ عسلٍ[١]، فسَقَتْ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: أَمَا واللَّهِ لَنحتالَنَّ له، فقلتُ لِسَوْدَةَ: إنه سَيَدنُو منكِ إذا دخل عليكِ، فقولي له: يا رسولَ الله أكلتَ مَغافيرَ، فإنه سيقول لكِ: سَقَتْني حَفصَةُ شَربةَ عسلٍ، فقولي: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ[٢] وسأقول ذلك؛ وقولي أنتِ يا صَفِيَّةُ ذلك، فلمَّا دَنا مِنْ سَوْدَةَ قالت له ذلك ولمَّا دخل عليَّ قلتُ له مثلَ ذلك فلما دارَ إلى صَفِيَّةَ قالت له مثلَ ذلك فلما دارَ إلى حَفْصَةَ قالت له: يا رسولَ الله أسقيكَ منه؟ قال: لا حاجةَ لي فيه. قالت: تقول سَوْدَةُ: سُبحانَ اللَّهِ، واللَّهِ لقد حَرَمْناه. قلتُ لها: اسكُتِي. أخرجه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين».

[١٤٦٩] وفي روايةِ ابنِ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ التي شرب عندها العسلَ سَوْدَةُ، فقالت له

[١٤٦٦] أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧ بهذا اللفظ عن ابن عباس عن عمر. وفيه محمد بن إسحق مدلس، وقد عنعن، وهو في الصحيح بغير هذا السياق، انظر «صحيح البخاري» ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥ ومسلم ١٤٧٩ عن ابن عباس عن عمر مطولاً. وانظر «فتح القدير» ٢٥٤٨ بتخريجنا.

[١٤٦٧] انظر الحديث المتقدم ١٤٦٥.

[١٤٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٦٩٧٢ عن عبيد بن إسماعيل به عن عائشة. وأخرجه مسلم ١٤٧٤ ح ٢١ وأبو داود ٣٧١٥ وأبو يعلى ٤٨٩٦ من طرق عن أبي أسامة به. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٣٢ من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة به.

[١٤٦٩] أخرجه الطبراني ١٢٢٦ من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٢٦: رجاله رجال

---

(١) العكة: آنية السمن، أو القربة الصغيرة.

(٢) جرست: أكلت، والعرفط: شجر ينضح الصمغ المعروف بالمنافير.

عائشةُ: إني لأَجدُ منكَ ريحاً، ثم دخل على حَفْصَةَ، فقالت: إني أجدُ منكَ ريحاً، فقال: إني أراه مِنْ شرابٍ شربتُه عند سَوْدَةَ، واللهِ لا أشرَبُه، فنزلت هذه الآية.

[١٤٧٠] وفي حديث عُبَيدِ بن عُمَيرٍ عن عائشةَ أنَّ التي شرب عندها العسلَ زينبُ بنتُ جَحْشٍ، فتواطَأَتْ حَفصَةُ وعائشةُ أنْ تقولا له ذلكَ القولَ. قال أبو عُبيدَةَ: المَغافِير: شيءٌ شبيهٌ بالصَّمغِ فيه حلاوةٌ. وخرج الناس يتَمَغفرون: إذا خرجوا يجتَنُونَه. ويقال: المَغاثِير بالثاء، مثل جَدْث، وجَدْف. وقال الزَّجَّاجُ: المَغافِير: صمغٌ متغيرُ الرائحة. فخرج في المراد بالذي أحلَّ اللهُ له قولان[1]: **أحدهما**: أنه جاريتُه. **والثاني**: العسلُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ أي: تطلبُ رِضاهُنَّ بتحريم ذلك. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

الصحيح، وصححه السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٦٦. وفي ذلك نظر فهو معارض بحديث عائشة المتقدم، وأنه عليه الصلاة والسلام شرب ذلك عند زينب. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٤٥ بتخريجنا.

[١٤٧٠] صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٦٧ والبغوي في «شرح السنة» عن الحسن بن محمد به. وأخرجه البخاري ٦٦٩١ ومسلم ١٤٧٤ وأبو داود ٣٧١٤ والنسائي ٦/ ١٥١ و٧/ ١٣ و٧١ وأحمد ٦/ ٢٢١ من طرق عن الحجاج به وأخرجه البخاري ٤٩١٢ من طريق هشام بن يوسف عن ابن جريج به.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٥٠: والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحلّه له، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه. وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٥٩: أصح الأقوال ـ ما ثبت في الصحيحين فيما ورد عن العسل ـ وأما من روى أنه حرّم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب إلى المعنى، لكنه لم يدوّن في الصحيح، وروي مرسلاً. وقوله تعالى: **﴿لم تحرم﴾** إن كان النبي ﷺ حرّم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا. ولا يحرّم قول الرجل: «هذا عليّ حرام» شيئاً حاشا الزوجة. وقال أبو حنيفة: إذا أطلق حمل على المأكول والمشروب دون الملبوس، وكانت يميناً توجب الكفارة. وقال زفر: هو يمين في الكل حتى في الحركة والكون. وعوّل المخالف على أن النبي ﷺ حرّم العسل فلزمته الكفارة. وقد قال الله تعالى: **﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾** فسماه يميناً ودليلنا قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾** [المائدة: ٨٧] وقوله تعالى: **﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾** [يونس: ٥٩] فذم الله المحرّم للحلال ولم يوجب عليه كفارة. قال الزجاج: ليس لأحد أن يحرّم ما أحل الله ولم يجعل لنبيه ﷺ أن يحرّم إلا ما حرّم الله عليه. فمن قال لزوجته أو أمته: أنت عليّ حرام، ولم ينو طلاقاً ولا ظهاراً فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين. ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة. ولو حرّم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وأبي حنيفة. وجاء في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٦٣: قوله تعالى: **﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾** تحليل اليمين كفارتها. أي إذا أحببتم استباحة المحلوف عليه، ويتحصل من هذا أن من حرّم شيئاً من المأكول والمشروب لم يحرم عليه عندنا، لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه. وأبو حنيفة يراه يميناً في كل شيء، ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه. فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله، أو أَمَةً فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية، وإن نوى الظهار فظهار، وإن نوى الطلاق فبائن. وإن قال نويت الكذب، دِيْنَ فيما بينه وبين الله تعالى. ولا يراه الشافعي يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وحدهن. وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده. فإن حلف ألا يأكله حنث وبر بالكفارة.

غَفَرَ اللَّهُ لكَ التحريمَ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: قد بيَّنَ لكم ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: كفَّارةَ أيمانِكم، وذلك البيانُ في المائدة[1] قال المُفسِّرون: وأصل «تَحِلَّة» تَحْلِلَة على وزن تَفْعِلَة، فأدغِمتْ، والمعنى: قد بَيَّنَ الله لكم تحليلَ أيمانِكم بالكفَّارة، فأمَرهُ الله أنْ يُكفِّرَ يمينَهُ، فأعتقَ رقبةً. واختلفوا هل حرَّمَ ماريَةَ على نفسه بيمينٍ، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه حرَّمها مِنْ غير ذكرِ يمينٍ، فكان التحريمُ موجباً لكفَّارةِ اليمينِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه حَلَفَ يميناً حرَّمها بها، قاله الحَسَنُ. والشَّعبيُّ، وقَتادةُ، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: وليُّكم وناصِرُكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ يعني: حَفصَةَ مِنْ غير خلافٍ عَلِمناه.

وفي هذا السِّرِّ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قال لها: إني مُسِرٌّ إليكِ سِرًّا فاحفَظِيه، سِرِّيَّتي هذه عليَّ حرامٌ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ، والشَّعْبيُّ، والضَّحّاكُ، وقَتادةُ، وزيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه، والسُّدِّيُّ[2].

[١٤٧١] **والثاني**: أنه قال لها: أبوكِ، وأبو عائشةَ، وَالِيَا الناس مِنْ بعدي، فإيَّاكِ أنْ تُخبري أحداً، ورواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه أَسَرَّ إليها أنَّ أبا بكرٍ خليفتي مِنْ بعدي، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرانَ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرتْ به عائشةُ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلَعَ اللَّهُ نبيَّهُ على قول حَفصَةَ لعائشةَ، فغضب رسولُ الله ﷺ غضباً شديداً، لأنه استكتَمَ حَفصَةَ ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعضِ ما قالت، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ وفي الذي عرَّفها إيَّاه قولان:

[١٤٧٢] **أحدهما**: أنه حدَّثها ما حدَّثتها عائشةُ مِنْ شأن أبي بكرٍ وعمرَ، وسكتَ عمَّا أخبرت

[١٤٧١] باطل لا أصل له، أخرجه ابن عدي ٣/٤٣٦ عن سيف بن عمر عن عطية بن الحارث عن أبي أيوب عن علي. وعن الضحاك عن ابن عباس. وعن عمرو بن محمد عن الشعبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف جداً. مداره على سيف بن عمر وهو متروك متهم، وبه أعله ابن عدي. ثم إن المتن موضوع. فلو كان هذا الحديث عند علي لما تأخر ستة أشهر عن بيعة الصديق. وكذا تأخر بنو هاشم، ومنهم ابن عباس عن البيعة، فهذا خبر باطل والنبي ﷺ لم يصرح باسم الخليفة من بعده، باتفاق العلماء، وإنما هناك إشارات إلى إمارة أبي بكر، منها أمره ﷺ بأن يؤم الناس، وذلك في مرضه الأخير.

وورد من وجه آخر أخرجه الدارقطني في «سننه» ٤/١٥٣ و ١٥٤ وفيه الكلبي، وهو محمد بن السائب، متهم بالكذب، وشيخه أبو صالح أقرّ بأنه حدث عن ابن عباس بأشياء كذب. راجع الميزان للذهبي. ثم إن المتن منكر كما تقدم. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢٦٤٠ من حديث ابن عباس وله ثلاث علل: ١ ـ إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف. ٢ ـ وفيه أيضاً أبو سنان سعيد بن سنان فيه ضعف. ٣ ـ الضحاك لم يلق ابن عباس. انظر «تفسير ابن كثير» ٤/٤٦٠ بتخريجي عند هذه الآية. وانظر أيضاً «تفسير الشوكاني» ٢٥٥١ بتخريجي ولله الحمد والمنة.

[١٤٧٢] لا أصل له، وهو بعض المتقدم.

---

(١) المائدة: ٨٩.
(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٦٥.
(٣) انظر الحديث المتقدم ١٤٧١.

عائشةُ مِنْ تحريم ماريَّةَ، لأنه لم يُبالِ ما أظهرَتْ مِنْ ذلك، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٧٣] والثاني: أنَّ الذي عرَّف: تحريمُ ماريَّةَ، والذي أعرَضَ عنه: ذِكرُ الخلافة لئلاً ينتشرَ، قاله الضَّحَّاكُ، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجُ: قال: ومعنىٰ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ عرَّف حفصة بعضه وقرأ الكسائي «عرف» بالتخفيف. قال الزجاج: على هذه القراءة قد عَرفَ كل ما أسرَّه، غيرَ أنَّ المعنى جارٍ على بعضه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[١]، أي: يَعلَمه ويُجازي عليه، وكذلك: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٢] أي: ير جزاءَهُ. فقيلَ: إنَّ النبيَّ ﷺ طَلَّقَ حفصة تطليقةً، فكان ذلك جزاءَها عندَه، فأمَرَهُ الله أن يُراجِعَها.

[١٤٧٤] وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: لم يُطَلِّقها، وإنما هَمَّ بطلاقها، فقال له جِبريلُ: لا تُطَلِّقْها، فإنها

[١٤٧٣] عزاه المصنف للضحاك، وقد ساقه بمعناه. وصدره ورد عن الضحاك، أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٦/ ٣٧٠، وهو مرسل، لكن له شواهد.
وعجزه، أخرجه أبو نعيم في «فضائل الصحابة» كما في «الدر» ٦/ ٣٧٠ عن الضحاك، وهو مرسل، فهو ضعيف، والمتن باطل.

[١٤٧٤] أصل الحديث صحيح، لكن قول مقاتل «لم يطلقها» باطل، لم يتابع عليه. ذكره المنصف هنا عن مقاتل بن حيان معلقاً، وسنده إليه في أول الكتاب، وهذا واهٍ بمرة، ليس بشيء، وقد خولف مقاتل.
وأخرج الحاكم ٤/ ١٥ وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٨٤ والدارمي ٢٢٦٥ والطحاوي في «المشكل» ٤٦١٥ من حديث أنس. وأن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل فقال: «يا محمد طلقت حفصة تطليقة، وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الدنيا وفي الجنة». وأخرج الطحاوي ١٦١٤ من طريق موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر «أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فأتاه جبريل فقال: راجعها فإنها صوّامة قوّامة». وأخرج الطبراني ١٧/ (٨٠٤) نحوه من حديث عقبة بلفظ «أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فوضع التراب على رأسه، وقال: ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر».
قال الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣٣٤: وفيه عمرو بن صالح الحضرمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
أخرج الحاكم ٤/ ١٥ (٦٧٥٣ وابن سعد ٨/ ٦٧ والطبراني ١٨/ (٩٣٤) عن قيس بن زيد «أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فقال: قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة، فإنها صوّامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة».
وسكت عليه الحاكم، وكذا الذهبي، وكذا الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٦٣ ورجاله ثقات غير قيس بن زيد فهو تابعي صغير مجهول. وأن عثمان بن مطعون توفي قبل أحد، وقبل أن يتزوج النبي ﷺ حفصة.
وأخرج أبو داود ٢٢٨٣ والنسائي ٦/ ٢١٣ وابن ماجه ٢٠١٦ والدارمي ٢٢٦٤ وأبو يعلى ١٧٤ والحاكم ٢/ ١٩٧ وابن حبان ٤٢٧٥ والطحاوي في «المشكل» ٤٦١١ والبيهقي ٧/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ من طرق عن يحيى بن زكريا عن ابن أبي داود عن صالح بن صالح عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».
الخلاصة: قول مقاتل «لم يطلقها» باطل، ليس بشيء، والصحيح أنه طلقها كما في الروايات المذكورة، وهو خبر حسن صحيح بطرقه وشواهده لكن بالألفاظ التي أوردتها، وانظر «أحكام القرآن» ٢١٣٨ بتخريجي.
أخرجه ابن سعد ١٤٩/٨ ـ ١٥٠ عن ابن عباس بنحوه، وفيه الواقدي، وهو متروك. وأخرج الدارقطني ٤/ =

---

(١) البقرة: ١٧٩.   (٢) الزلزلة: ٧.

صوّامةٌ قوّامةٌ. وقال الحسَنُ: ما استقصى كريمٌ قطُّ، ثم قرأ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّميفَع «عُرَّاف» برفع العين، وتشديدِ الراء وبألِفٍ، «بعضِه» بالخفض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: أخبرَ حَفصَةَ بإفشائِها السِّرَّ ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي: مَن أخبركَ بأني أفشيتُ سِرَّكَ؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ثم خاطب عائشةَ وحَفصَةَ، فقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مِنَ التعاون على رسولِ الله ﷺ بالإيذاءِ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: زاغتْ، وأثِمتْ. قال الزَّجاجُ: عَدَلَتْ، وزاغت عن الحقّ. قال مُجاهِدٌ: كنَّا نرى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيِّناً حتى وجدناه في قراءةِ ابنِ مسعودٍ: فقد زاغت قلوبُكما. وإنما جعلَ القَلْبَيْن جماعةً لأنَّ كلَّ اثنين فما فوقهما جماعةٌ. وقد أشرنا إلى هذا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾[(٢)]. قال المُفسِّرون: وذلك أنهما أحبَّا ما كره رسولُ الله ﷺ مِنَ اجتناب جاريَتِه، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن ومُجاهِدٌ، والأعمَشُ «تظاهرا» بتخفيف الظاء، أي: تعاونَا على النبيِّ ﷺ بالإيذاءِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: وَليُّه في العَونِ، والنُّصرةِ ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وَلِيُّه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي المراد بصالح المؤمنين ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أبو بكرٍ وعمرُ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أبو بكرٍ، رواه مَكحُولٌ عن أبي أُمامَةَ. **والثالث**: عمرُ بنُ الخَطَّابِ قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ. **والرابع**: خِيارُ المؤمنين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والخامس**: أنهم الأنبياء، قاله قَتادَةُ، والعلاءُ بنُ زيادٍ العَدَويُّ، وسُفيانُ. **والسادس**: أنه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام، حكاه المَاوَرديُّ، قاله الفَرَّاءُ: «وصالح المؤمنين» موحَّدٌ في مذهبِ جميعٍ، كما تقول: لا يأتيني إلا سائسُ الحَربِ، فمَنْ كان ذا سياسةٍ للحرب، فقد أُمِرَ بالمجيءِ، ومثلُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[(٣)]، قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[(٥)] في كثيرٍ مِنَ القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراً، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، ومثله ثم ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[(٦)]، وقد شرحناه هناك. ثم خوَّف نساءَهُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾.

= ١٥٣ والطبراني في «الكبير». ١٢٦٤ من حديث ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ قال: اطلعت حفصة على النبي ﷺ مع أم إبراهيم عليه السلام فقال: «لا تخبري عائشة»، وقال لها: «إن أباك وأباها سيملكان، أو سيليان بعدي، فلا تخبري عائشة» فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة...» الحديث. وفي إسناده الكلبي، وهو كذاب. وورد من حديث علي، أخرجه ابن عدي ٣/ ٤٣٦، وكرره عن ابن عباس ومدارهما على سيف بن عمر، وهو متروك متهم، وبه أعله ابن عدي. والصواب أن النبي ﷺ لم يُخبر على من سيخلفه، وإنما هناك أمارات على أنه أبو بكر، والله أعلم.

الخلاصة: هذا خبر باطل لا أصل له، والصحيح في ذلك ما رواه الشيخان من وجوه في شربه عليه السلام العسل عند زينب، وكذا يليه في الصحة خبر مارية المتقدم برقم ٢٢٣٨.

وانظر «فتح القدير» ٢٥٥١ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٣٦ بتخريجي والله الموفق.

---

(١) النساء: ١١.
(٢) صۤ: ١١.
(٣) المائدة: ٣٨.
(٤) النساء: ١٦.
(٥) المعارج: ١٩.
(٦) غافر: ٦٧.

[١٤٧٥] وسبب نزولها ما روى أنسٌ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ قال: بلَغني بعضُ ما آذى به رسولَ الله نساؤه، فدخلتُ عليهنَّ، فجعلتُ أستقرِئهنَّ، واحدةً واحدةً، فقلتُ: واللهِ لتنتهِنَّ، أو ليُبدلنَّه اللهُ أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلت هذه الآية. والمعنى: واجبٌ مِنَ الله ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ رسولُه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ أي: خاضعاتٍ لله بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مصدِّقاتٍ بتوحيد الله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ أي: طائعاتٍ ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: صائماتٍ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾(١). **والثاني**: مُهاجراتٍ، قاله زيدُ بنُ أسلَ وابنُه. «والثيبات» جمعُ ثيِّبٍ، وهي المرأة التي قد تزوَّجتْ، ثم ثابَتْ إلى بيتِ أبوَيْها، فعادَتْ كما كانت غيرَ ذاتِ زوجٍ. «والأبكار»: العَذارى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقايةُ النَّفسِ: بامتثالِ الأوامر، واجتنابِ النَّواهي، ووقايةُ الأهل: بأنْ يُؤمَروا بالطاعة، ويُنهَوا عن المعصية. وقال عليٌّ رضي الله عنه: علِّموهم وأدِّبوهم، قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قد ذكرناه في البقرة(٢) قوله ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ وهم خزنَتُها ﴿غِلَاظٌ﴾ على أهل النَّار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غِلاظُ القلوب شِدادُ الأبدانِ.

[١٤٧٦] وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: خَزَنَةُ النَّارِ تسعةَ عشرَ، ما بين مَنْكِبَي أحدِهم مسيرةُ سنةٍ، وقُوَّتُه أنْ يضربَ بالمِقْمَعةِ، فيدفع بتلك الضَّربةِ سبعينَ ألفاً، فيَهْوُون في قَعْرِ جهنَّمَ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يُخالفونه فيما يَأمرُ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يتجاوزون ما يُؤمَرون. **والثاني**: يفعلونه في وقتِه لا يُؤخِّرونه، ولا يُقدِّمونه. ويقال لأهلِ النَّارِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصِم، وخارجَةُ عن نافع «نصوحاً» بضمِّ النون. والباقون بفتحِها. قال الزَّجَّاجُ: فمَنْ فَتَحَ فعلى صفةِ التَّوبة، ومعناه: توبةٌ بالغةٌ في النُّصحِ،

[١٤٧٥] صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٤٢٦ من حديث أنس عن عمر، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم. وكرره الطبري ٣٤٤٢٧ وإسناده صحيح.

[١٤٧٦] باطل، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح واهٍ، وراويته هو الكلبي، وقد أقر أنه روى عن أبي صالح عن ابن عباس تفسيراً ليس له أصل عن ابن عباس.

---

(١) التوبة: ١١٢.
(٢) البقرة: ٢٣.

و «فعُول» مِنْ أسماء الفاعلين التي تُستعمل للمُبالغةِ في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومَنْ قرأ بالضمِّ، فمعناه: يَنصَحون فيها نُصوحاً، يقال: نَصحتُ له نُصْحاً، ونَصاحةً، ونُصُوحاً. وقال غيره: مَنْ ضمَّ أراد: توبةَ نُصْحٍ لأنفسِكُم. وقال عمرُ بنُ الخطَّاب: التوبة النَّصوح: أن يتوبَ العبدُ مِنَ الذَّنبِ وهو يُحدِّث نَفْسَه أنَّه لا يعود. وسُئِلَ الحسنُ البَصريُّ عن التَّوبةِ النَّصُوح، فقال: نَدَمٌ بالقلب، واستغفارٌ باللسان، وتَرْكٌ بالجَوارح، وإضمارُ أنْ لا يعودَ. وقال ابنُ مسعودٍ: التوبة النَّصوح تُكفِّرُ كلَّ سيئةٍ، ثم قرأ هذه الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ﴾ قد بيَّنَّا معنى «الخِزي» في آل عِمران[١] وبيَّنَّا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ في الحديد[٢] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نورَ المنافقين يُطفأ سألوا اللَّهَ تعالى أنْ يُتمِّمَ لهم نورهم، ويُبلِّغَهُم به الجنَّةَ. قال ابنُ عباسٍ: ليس أحدٌ مِنَ المسلمين إلاَّ يُعطى نُوراً يومَ القيامة. فأمَّا المنافقُ فيُطفأ نُورُه، والمؤمن مُشفِقٌ ممَّا رأى مِنْ إطفاء نُورِ المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ الْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ﴾ قد شرحناه في براءة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾ قال المُفسِّرون منهم مُقاتِلٌ: هذا المَثَل يتضمَّن تخويفَ عائشةَ وحَفصةَ أنهما إن أغضبَتا ربَّهما لم يُغنِ رسولُ الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مُقاتِلٌ: اسمُ امرأةِ نُوحٍ «والهة» وامرأة لُوطٍ «واهلة».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾: نُوحاً ولُوطاً عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

[١٤٧٧] قال ابنُ عباسٍ: ما بَغَتْ امرأةُ نبيٍّ قطُّ، إنما كانت خيانَتُهما في الدِّين، كانت امرأةُ نُوحٍ تخبر الناسَ أنه مجنونٌ، وكانت امرأةُ لُوطٍ تدلُّ على الأضياف، فإذا نزل بِلُوطٍ ضيفٌ بالليل أوقدَتِ النارَ، وإذا نزل بالنهار دَخَّنَتْ لِتُعلِمَ قومَه أنه قد نزل به ضيفٌ. وقال السُّدِّيُّ: كانت خيانَتُهما: كُفرُهما.

[١٤٧٧] أخرجه الحاكم ٢/٤٩٦ والطبري ٣٤٤٦١ و ٣٤٤٦٢ و ٣٤٤٦٤ من طرق عن ابن عباس، وهو صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

---

(١) آل عمران: ١٩٢. (٢) الحديد: ١٢. (٣) التوبة: ٧٣.

وقال الضَّحَّاكُ: نَميمَتُهما، وقال ابنُ السَّائبِ: نِفاقُهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، أي: يدفعا عنهما مِنْ عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطعُ طمعَ مَنْ ركب المعصيةَ ورَجا أنْ ينفعَهُ صلاحُ غيرِه. ثم أخبرَ أنَّ معصيةَ الغيرِ لا تضرُّ المُطيعَ بقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسِيَةُ بنتُ مُزاحِم. وقال يَحيى بنُ سَلام: ضرب اللَّهُ المثلَ الأولَ يُحذِّرُ به عائشةَ وحَفصَةَ رضي الله عنهما. ثم ضرب لَهما هذا المثلَ يُرَغِّبهما في التَّمسُّكِ بالطاعة. وكانت آسِيَةُ قد آمنت بموسى. قال أبو هُريرَةَ: ضرب فِرعونُ لامرأتِه أوتاداً في يَدَيْها ورِجلَيها، وكانوا إذا تفرَّقوا عنها أظَلَّتْها الملائكةُ، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكَشفَ اللَّهُ لها عن بَيْتِها في الجنَّةِ حتى رأَتْهُ قبلَ موتِها، قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ عملَه: جِماعُهُ. **والثاني**: أنه دِينُه رُويا عن ابنِ عباسٍ، قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني أهلَ دِينِه المشركين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سُورَةِ الأنبياء[1] فمَنْ قال: هو فَرْجُ ثوبِها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ ترجعُ إليه، وذلك أنَّ جِبريلَ مَدَّ جَيبَ دِرْعِها، فنفخَ فيه، ومَنْ قال: هو مَخرجُ الولدِ، قال: «الهاء» كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، لأنه إنما نَفَخَ في دِرْعِها لا في فَرْجِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُ جِبريلَ ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾[2]. **والثاني**: الكلماتُ هي التي تضمَّنَتْها كُتبُ الله المُنزَلةُ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ «بكلمةِ ربها» على التوحيد ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «وكتابِهِ» على التوحيد، وقرأ أبو عمرٍو، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، وخارِجَةُ عن نافعٍ «وكُتُبِه» جماعةً، وهي التي أُنزِلَتْ على الأنبياء، ومَنْ قرأ «وكتابه» فهو اسمُ جنسٍ على ما بيَّنَّا في خاتِمة البقرة[3] وقد بيَّنَّا فيها القُنوتَ مَشروحاً[4]. ومعنى الآية ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾، ولذلك لم يَقُلْ: مِنَ القانتات.

---

(١) الأنبياء: ٩٢.
(٢) مريم: ١٩.
(٣) البقرة: ٢٨٥.
(٤) البقرة: ١١٦.

سورة الملك

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

وهي مكيّةٌ كلُّها بإجماعهِم

[١٤٧٨] قال ابنُ مسعودٍ: هي المانِعةُ مِنْ عذاب القَبْرِ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ
هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ
سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا
لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ قد شرحناه في الأعراف(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: السُّلطان يُعِزُّ ويُذِلُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ قال الحسَنُ: خَلَقَ الموتَ المُزيلَ للحياة، والحياةَ التي

[١٤٧٨] أخرجه الطبراني ١٠٢٥٤ عن ابن مسعود قال: «كنا نسميها على عهد رسول الله ﷺ المانعة» وقال الهيثمي ٧/ ١٢٧ ـ ١٢٨: رجاله ثقات اهـ وصححه الحاكم ٢/ ٤٦٨ ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٧١٦. وورد من حديث ابن عباس مرفوعاً: أخرجه الترمذي ٢٨٩٠ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٤١ من حديث ابن عباس، وضعفه الترمذي بقوله: غريب من هذا الوجه، وكذا ضعفه البيهقي فقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكري، وهو ضعيف. وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً وتفرد ابن مردويه به يدل على وهنه. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٥٩ و ٢٥٦٠ بتخريجنا.

---

(١) الأعراف: ٥٤.

هي ضدُّ الموتِ[١] قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قد شرحناه في هود[٢]، قال الزَّجَّاجُ: والمُعلَّقُ بـ﴿أَيُّكُمْ﴾ مُضمَرٌ تقديره: لِيَبلُوَكُم، فيَعلَمَ أيُّكم أحسنُ عملاً وهذا عِلمُ وقوع. وارتفعَتْ «أي» بالابتداء، ولا يَعملُ فيها ما قبلَها، لأنها على أصلِ الاستفهام، ومثله ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾[٣]. والمعنى: خَلَقَ الحياةَ ليختبِرَكُم فيها. وخَلَقَ الموتَ لِيَبعثَكم ويُجازيَكم. وقال غيره: اللام في «ليبلوكم» متعلّقٌ بخَلْقِ الحياة دونَ خَلْقِ الموت، لأنَّ الابتلاءَ بالحياة. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: خَلقهنَّ مُطابقاتٍ، أي: بعضُها فوقَ بعضٍ ﴿مَا تَرَىٰ﴾ يا ابنَ آدمَ ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ قرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «من تفوُّت» بتشديد الواو مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ الباقون بألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: وهما بمنزلةٍ واحدةٍ، كما تقول: تعاهَدتُ الشيءَ وتعهَّدتُه والتَّفاوتُ: الاختلافُ. وقال ابنُ قُتيبة: التَّفاوت: الاضطِرابُ والاختلافُ؛ وأصله مِنَ الفَوتِ؛ وهو أنْ يفوتَ شيءٌ شيئاً، فيقع الخَلَلُ، ولكنه مُتَّصِلٌ بعضُه ببعضٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ كرِّرِ البصرَ ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرٍو، وحَمزةُ والكِسائيُّ «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فُرُوجاً وصُدُوعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: مُبْعَداً، مِنْ قولِكَ: خَسَأْتُ الكلبَ: إذا باعَدْتَهُ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كَلِيلٌ مُنقطِعٌ عن أنْ يلحقَ ما نظرَ إليه. وقال الزَّجَّاجُ: قد أعيا مِنْ قَبْلِ أنْ يرى في السماء خَلَلاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ قد شرحناه في حم السَّجْدَة[٤]. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ أي: يُرجَمُ بها مُسترِقو السَّمع. وقد سبقَ بيانُ هذا المعنى[٥] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعدَه قد سبقَ بيانُه إلى قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ أي: صوتاً مثلَ صوتِ الحمارِ. وقد بيَّنَّا معنى الشَّهِيقِ في هود[٦] ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بهم كغَلْيِ المِرْجَلِ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: تتقطَّعُ مِنْ تَغَيُّظِها عليهم ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعةٌ منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ وهذا سؤالُ توبيخ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: قُلنا للرُّسلِ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في ذهابٍ عن الحقِّ بعيدٍ. قال الزَّجَّاجُ: ثم اعترَفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماعَ مَنْ يَعِي ويُفكِّرُ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٨١: قوله تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة**﴾ قيل: المعنى خلقكم للموت والحياة، يعني للموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدّم الموت على الحياة، لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم. قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك. قلت: وفي التنزيل ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾ السجدة: ١١ وقال: ﴿**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة**﴾ [الأنفال: ٥٠] وقال: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾ [الزمر: ٤٢] فالوسائط ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم. وهو سبحانه المميت على الحقيقة.

(٢) هود: ٧. (٣) الكهف: ١٢. (٤) فصلت: ١٢.

(٥) الحجر: ١٨. (٦) هود: ١٠٦.

عقلَ مَنْ يميز وينظرُ ﴿مَا كُنَّا﴾ مِنْ أهل النار ﴿فَسُحْقًا﴾. وهو منصوبٌ على المصدر، المعنى: أسحقَهُم اللَّهُ سُحقاً، أي: باعدَهُم اللَّهُ مِنْ رحمتِه مُباعدةً، والسَّحِيقُ: البعيد. وكذلك روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ «فسحقاً» أي: بُعْداً. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وأبو صالحٍ: السُّحْقُ: وادٍ في جهنَّم يُقال له: سُحْق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأنبياء[١] ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لِذنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو: الجنَّةُ. ثم عاد إلى خطاب الكفَّار، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في المشركين كانوا يَنالُون مِنْ رسول الله ﷺ، فيُخبِره جِبريلُ بما قالوا، فيقول بعضهم: أسِرُّوا قولَكم حتى لا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلَمُ ما في الصدورِ خالِقُها؟! و ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ مشروحٌ في الأنعام[٣] و ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ في سُورةِ البقرة[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي: مُذَلَّلةً سَهلَةً لم يجعلها مُمتَنِعةً بالحُزُونَةِ والغِلَظِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: طُرقاتِها، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: جبالها، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، واختاره الزَّجَّاجُ، قال: لأنَّ المعنى: سَهَّلَ لكم السُّلوكَ فيها، فإذا أمكنَكُم السُّلوكُ في جبالِها، فهو أبلَغُ في التذليلِ. **والثالث**: في جوانبِها، قاله مُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، واختاره ابنُ قُتَيبةَ، قال: ومَنْكِبا الرَّجل: جانباه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: إليه تُبعَثُون مِنْ قبورِكم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

ثم خوَّفَ الكفَّارَ فقال: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «وإليه النشور آمنتم» وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو:

---

(١) الأنبياء: ٤٩.

(٢) عزاه المصنف لابن عباس، وكذا الواحدي في «الأسباب» ٨٣٥. ساقه بدون إسناد، وهو باطل، فإن سباق الآيات وسياقها يدل على أن المراد بالآية المؤمنون.

(٣) الأنعام: ١٠٣. (٤) البقرة: ٢٣٤.

«النشور آمنتم» بهمزة ممدودة. وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أأمنتم» بهمزتين، ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أَمِنتُم عذابَ مَنْ في السماء، وهو اللّهُ عزَّ وجلَّ؟! و ﴿تَمُورُ﴾ بمعنى: تدور. قال مُقاتِلٌ: والمعنى: تَدورُ بكم إلى الأرضِ السُّفلى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ وهي: الحجارة، كما أرسلَ على قوم لُوطٍ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف كانت عاقبةُ إنذاري لكم في الدنيا إذا نزلَ بكم العذابُ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأُمَم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: تَصُفُّ أجنِحَتَها في الهواء، وتَقْبِضُ أجنِحَتَها بعد البَسْطِ، وهذا معنى الطَّيران، وهو بَسْطُ الجَناحِ وقَبْضُه بعدَ البَسْطِ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أن يَقعْنَ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ. ولفظُ «الجُندِ» مُوحَّدٌ، فلذلك قال عزَّ وجلَّ: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُندَ لكم ﴿يَنصُرُكُم﴾ أي: يَمنَعُكم مِنْ عذاب الله إنْ أرادَهُ بكم، ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ وذلك أنَّ الشيطانَ يَغرُّهم، فيقول: إنَّ العذاب لا ينزِلُ بكم، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ المطرَ وغيرَه ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ اللّهُ ذلك عنكم ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ أي: تَمادٍ في كُفرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الإيمان.

ثم ضربَ مثلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي لا يُبصِرُ يميناً، ولا شِمالاً، ولا مِنْ بينِ يديه. يُقال: أَكَبَّ اللّهُ فُلاناً على وَجهِه، بالألِفِ، وكَبَّه اللّهُ لِوَجْهِه، وأراد: الأعمى. قال المُفسِّرون: هذا مثلٌ للمؤمن، والكافر، و «السَّويُّ»: المُعتَدِلُ، أي: الذي يُبصِرُ الطريقَ. وقال قَتادةُ: هذا في الآخرة يَحشُرُ اللّهُ الكافرَ مُكِبًّا على وجهه، والمؤمنَ يمشي سَويًّا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم لا يشكرون، قاله مُقاتِلٌ: **والثاني**: أنهم يشكرون قليلاً، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَلَقكم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون الوعدَ: بالعذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: رَأوا العذابَ قريباً منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: تَبيَّنَ فيها السُّوءُ. وقال غيرُه: قُبِّحتْ بالسَّوادِ ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ «تدَّعون» بالتشديد، بمعنى تَدْعُون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» مِنَ الدعاء. يقال: دَعَوتُ، وادَّعَيتُ، كما يُقال: خَبَرْتُ واختَبَرْتُ، ومثله: يَدَّكِرون، ويَذْكُرون، هذا قولُ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنَّ المعنى: هذا الذي كنتم مِنْ أجلِه تَدَّعون الأباطيلَ والأكاذيبَ، تَدَّعون أنكم إذا مُتُّم لا تُبعَثُون؟! وهذا اختيارُ الزَّجّاجِ.

وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «تَدْعون» بتخفيفِ الدال، وسكونِها، بمعنى تَفعَلون مِنَ الدُّعاء. وقال قَتادَةُ: كانوا يَدعُون بالعذاب.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ بعذابٍ ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ مِنَ المؤمنين[١]. قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «معيَ» بفتح الياء. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ، والكِسائيُ: «معي» بالإسكان ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلَمْ يُعذِّبْنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي يَمنَعُهم ويُؤمِّنُهم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ومعنى الآية: إنَّا مع إيمانِنا، بين الخوف والرَّجاء: فمَنْ يُجيرُكم مع كُفرِكم مِنَ العذاب؟! أي: لأنه لا رجاءَ لكم كَرَجاءِ المؤمنين ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي نعبُدُ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وقرأ الكِسائيُ: «فسيعلمون» بالياء عند مُعاينةِ العذابِ مَنِ الضَّالُّ نَحنُ أَمْ أنتم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قد بيَّنَّاه في الكهف[٢] ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ أي: بماءٍ ظاهرٍ تراه العيونُ، وتنالُه الأرْشِيَةُ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧١: يقول الله تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه: ﴿أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي: خلِّصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذَّبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم. ثم قال: ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ كما قال: ﴿فاعبده وتوكَّل عليه﴾ ثم قال: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع. ولهذا قال: ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ أي: نابع وسائح جار على وجه الأرض، أي: لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل. فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه، من القلة والكثرة، فله الحمد والمنة.

(٢) الكهف: ٤١.

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

إلاَّ ما حُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أن فيها مِنَ المدني قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، وحَفْصٌ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ النون في آخرِ الهجاء مِنْ نُونٍ ظاهرة عند الواو، وهذا اختيارُ الفَرَّاءِ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِم أنه كان لا يُبِينُ النونَ مِنْ «نون». وبها قرأ الكِسائيُّ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ، وهو اختيار الزَّجَّاج. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ، والأعمَشُ: «نونِ والقلم» بكسرِ النون وقرأ الحسَنُ، وأبو عِمْرانَ، وأبو نَهِيكٍ: «نُ والقلم» برفع النون..

وفي معنى (نون) سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الدَّوَاة.

[١٤٧٩] روى أبو هُريرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أولُ ما خَلَقَ الله القلمَ، ثم خَلَقَ النُّونَ،

[١٤٧٩] صدره قوي بشواهده، وعجزه باطل. أخرجه ابن عدي ٦/ ٢٦٩ من طريق محمد بن وهب عن الوليد بن مسلم به، وأعله بمحمد بن وهب، وحكم ببطلانه، ووافقه الذهبي في «الميزان» ٤/ ٦١. وأخرجه الآجري في «الشريعة» ٣٥٨ من طريق الحسن بن يحيى الخشني عن الحسين أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده ضعيف لضعف الحسن بن يحيى الخشني، وكذا ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٤٢٨ من هذا الوجه ونسبه لابن أبي حاتم وقال: غريب جداً. ولقوله «أول ما خلق الله القلم» شواهد كثيرة والمنكر فيه لفظ «النون وهي الدواة» ويشهد لصدره حديث عبادة بن الصامت: أخرجه أبو داود ٤٧٠٠ والترمذي ٢١٥٦ وأحمد ٥/ ٣١٧ والآجري ٣٥٩. وحديث ابن عباس: أخرجه أبو يعلى ٢٣٢٩ والبيهقي ٩/ ٣ وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٩٠ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» =

---

(١) الراجح في هذه الأقوال القول الأول، يدل على ذلك ذكر القلم، والله تعالى أعلم.

وهي الدَّواةُ» وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في رواية سعيدِ بن جُبَيرٍ، وبه قال الحسَنُ وقَتادَةُ.

والثاني: أنه آخرُ حروفِ الرحمن، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الحوتُ الذي على ظهرِ الأرض، وهذا المعنى في روايةُ أبي ظَبْيانَ عن ابنِ عباسٍ، وهو مذهب مُجاهِدٍ، والسُّدِّيّ، وابنِ السَّائبِ(١). **والرابع**: أنه لَوْحٌ مِنْ نورٍ، قاله مُعاويةُ بنُ قُرَّةَ. **والخامس**: أنه افتتاح اسمَيْن «نصير»، و «ناصر» قاله عَطاءٌ. **والسادس**: أنه قَسَمٌ بِنُصْرَةِ الله للمؤمنين، قاله القُرَظيُّ. **والسابع**: أنه نهرٌ في الجنَّةِ، قاله جعفرُ الصَّادقُ.

وفي «القلم» قولان(٢): **أحدهما**: أنه الذي كتب به في اللَّوحِ المحفوظِ. **والثاني**: أنه الذي يَكتب به الناسُ. وإنما أقسَمَ به، لأنَّ كُتُبَهُ إنما تُكْتَبُ و ﴿يَسْطُرُونَ﴾ بمعنى: يكتبون.

وفي المُشار إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. وفيما أرادوا بما يكتبونه قولان: **أحدهما**: أنه الذِّكر، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أعمال بني آدمَ، قاله مُقاتِلٌ. **والقول الثاني**: أنهم جميعُ الكَتَبة، حكاه الثَّعلَبيُّ، قوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: ما أنتَ بإنعام ربِّكَ عليكَ بالإيمان والنُّبوَّة بمجنونٍ. قال الزَّجَّاجُ: هذا جوابُ قولهم: إنكَ لَمَجنونٌ. وتأويله: فارَقَكَ الجنونُ بنعمةِ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبرِكَ على افترائِهم عليكَ. ونسبتِهم إيَّاكَ إلى الجنون ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرَ مقطوعٍ ولا منقوصٍ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ(٣):

أحدها: دِيْنِ الإسْلام، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أدبُ القرآن، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الطَّبع الكريم. وحقيقةُ «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسانُ نَفْسَه مِنَ الآداب، فسُمِّيَ خُلُقاً، لأنه يصير كالخِلْقَةِ في صاحبه. فأمَّا ما طُبعَ عليه فيُسمى: «الخِيم» فيكون الخِيم: الطَّبْعُ الغريزيُّ. والخُلُق: الطَّبْعُ المُتكلَّفُ. هذا قولُ المَاوَرْدي.

[١٤٨٠] وقد سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلُقُه القرآن. تعني: كان على ما أمره اللَّهُ به في القرآن.

= ٦٠٦٤ و ٦٠٦٥ و «أحكام القرآن» ٢١٦٨.
الخلاصة: هو باطل بهذا اللفظ، وذكر القلم قوي له شواهد.

[١٤٨٠] صحيح. أخرجه مسلم ٧٤٦ وأبو داود ١٣٤٢ و ١٣٤٣ وعبد الرزاق ٤٧١٤ و ٤٧٥١ من حديث عائشة مطولاً. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ من حديث عائشة بلفظ: أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون.

---

(١) هذه الروايات جميعاً مصدرها الإسرائيليات، وهي من أباطيل الإسرائيلين وترّهاتهم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧٣: وقوله: ﴿والقلم﴾ الظاهر أنه جنس القلم يكتب به كقوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم.

(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٩٩: أصح الأقوال ما ذكرته عائشة في صحيح مسلم.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧٥: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وخلقه تطبعه، وترك طبعه الجبلّيّ فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ يعني: أهل مكَّةَ. وهذا وعيدٌ لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزلَ بهم العذابُ ببَدْرٍ. ﴿بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّالُّ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المجنون، قاله الضَّحَّاكُ. والمعنى: الذي قد فُتِنَ بالجنون. **والرابع**: المُعذَّبُ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي الباء قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وأنشدوا:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ ... نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[1]

والثاني: أنها أصليةٌ، وهذا قولُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. قال الزَّجَّاجُ: ليس كونها لَغْواً بجائزٍ في العربية في قولِ أحدٍ مِنْ أهلها.

وفي الكلام قولان للنَّحويين: **أحدهما**: أنَّ «المَفتُون» ها هنا: الفُتُون. والمصادر تجيء على المفعولِ. تقول العرب: ليس هذا معقودَ رأيٍ، أي: عَقْد رأيٍ، تقول: دَعْهُ إلى مَيسُورِه، أي: يُسرِه. والمعنى: بأيِّكُم الجُنون. **والثاني**: بأيِّكم المَفتُون بالفُرقَة التي أنتَ فيها، أَمْ بفُرقَةِ الكفَّار؟ فيكون المعنى: في أيِّ الفِرقتين المجنونُ. وقد ذَكرَ الفَرَّاءُ نحوَ ما شرحه الزَّجَّاجُ. وقد قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «في أي المفتون». ثم أخبرَ أنه عالمٌ بالفرقتين بما بعدَ هذا.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وذلك أنَّ رؤساء أهل مكَّةَ دَعَوه إلى دِيْنِ آبائه، فنَهاهُ الله أن يُطيعَهُم ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لو تُرخِصُ فيُرخِصون، قاله ابنُ عباسٍ.

---

(١) البيت لراجز من بني جعدة، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ٥ و «الخزانة» ٤/ ١٦٠ والفلج: موضع بنجد.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٨٢: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلبون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾** وإنما هو مأخوذ من الدهن شبَّه التليين في القول بتليين الدهن.

وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٠٥: وقال أهل اللغة: الإدهان هو التلبيس، معناه: ودوا لو تلبس إليهم في عملهم وعقدهم فيميلون إليك. وحقيقة الإدهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة، فإن كانت المقاربة باللين فهي مداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مداراة أي مدافعة. وقد ثبت في الصحيح عن عائشة أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة هو، أو ابن العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول! فقال لي: «يا عائشة، إن شر الناس منزلة من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه».

قلت: حديث صحيح. أخرجه البخاري ٦٠٥٤ و ٦١٣١ ومسلم ٢٥٩١ وأبو داود ٤٧٩١ والترمذي ١٩٩٦ وأحمد ٦/ ٣٨ والحميدي ٢٤٩ وابن حبان ٤٥٣٨ والبيهقي ١٠/ ٣٤٥ والبغوي ٣٥٦٣ من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن عروة بن الزبير عن عائشة به.

والثاني: لو تُصَانِعُهم في دِينِكَ فيُصانِعون في دِينِهم، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لو تَكفر فيَكْفُرون، قاله عَطِيَّةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: لو تَلِينُ لهم فيَلِينُون لك، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: لو تُنافق وتُرائي فيُنافقون ويُراؤون، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. **والسادس**: وَدُّوا لو تُداهِنُ في دِينِكَ فيُداهِنون في أديانِهم. وكانوا أرادوه على أنْ يعبدَ آلهتَهم مُدَّةً، ويعبدوا اللَّهَ مُدَّةً، قاله ابنُ قُتيبةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: هو مِنَ المُداهَنة. **والسابع**: لو تُقاربهم فيُقاربوكَ، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وهو كثيرُ الحَلِفِ بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ وهو الحقير الدَّنِيء. وروى العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: المَهين: الكذَّاب. واختلفوا فيمَنْ نزل هذا على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ، قاله عَطاءٌ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: الأَسوَدُ بنُ عبد يَغُوث، قاله مُجاهِدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو المُغتاب. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو العَيَّاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنَّميمة، وهو نقلُ الكلام السيءِ مِن بعضهم إلى بعضٍ لِيُفسدَ بينهم[1]، قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَنعُ وَلَدِه وعشيرَتِه الإِسلامَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَنَّاع للحقوق في ماله، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي ظلوم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجرٍ ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع ما وصفناه به.

وفي «العُتُلِّ» سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العاتي الشديدُ المنافقُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُوفر الجسم، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الشديدُ الأَشِرُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: القويُّ في كُفرِه، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: الأَكول الشَّروب القوي الشديد، قاله عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والسادس**: الشديد الخُصومةِ بالباطل، قاله الفَرَّاءُ. **والسابع**: أنه الغليظ الجافي، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

وفي «الزَّنيم» أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه الدَّعِيُّ في قُريشٍ وليس منهم، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وهذا معروفٌ في اللغة أنَّ الزَّنيمَ: هو المُلْصَقُ في القوم وليس منهم، وبه قال الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ؛ وابنُ قُتيبةَ. قال حسَّانُ:

وَأَنْـتَ زَنِـيـمٌ نِـيـطَ فـي آلِ هَـاشِـمٍ ... كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٧٦: ﴿مشاء بنميم﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين قال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة». وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/٥٩١: ﴿حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف. ومثله قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٤] ﴿مهين﴾ من المهانة وهي القلة والحقارة، يريد القلة في الرأي والتميز. أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس ﴿همّاز﴾ عياب طعان، وعن الحسن: يلوي شدقيه في أقفية الناس ﴿مشاء بنميم﴾ مضرب نقّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم. والنميم والنميمة: السعاية.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٧٨: الأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه، **وهو أن الزنيم هو: المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس**، وغالباً يكون دعياً ولد زنا، فإنه في الغالب **يتسلّط الشيطان عليه** ما لا يتسلط على غيره.

والثاني: أنه الذي يُعرف بالشرّ، كما تُعرف الشاةُ بزنَمتِها، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الذي له زَنَمةٌ مثل زَنَمةِ الشاةِ. وقال ابنُ عباسٍ: نُعِتَ فلم يُعرَفْ حتى قيل: زَنيم، فعُرِفَ، وكانت له زَنَمةٌ في عُنقه يُعرف بها. ولا يُعلَمُ أنَّ اللَّهَ تعالى بلغَ مِنْ ذِكرِ عيوب أحدٍ ما بلَغه مِنْ ذكر عيوب الوليد، لأنه وُصِفَ بالحَلفِ، والمَهانةِ، والعيبِ للناس، والمشي بالنَّميمة، والبُخلِ، والظلم، والإِثم، والجَفاءِ، والدِّعوةِ، فألْحَقَ به عاراً لا يُفارقه في الدنيا والآخرة، قال الزَّجَّاجُ: والزَّنَمتانِ: المُعلقَتان عند حُلوقِ المَعزَى. وقال ابنُ فارسٍ: هي التي تَتعلَّقُ مِنْ أُذنِها. **والرابع**: أنه الظلوم، رواه الوالبِيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أن كان» على الخبر، أي: لأنْ كان. والمعنى لا تطعه لِمالِه وبَنِيْهِ. وقرأ ابنُ عباسٍ بهمزتين، الأولى: مخففةٌ. والثانية: مَلينةٌ، وفَصلَ بينهما بألفٍ أبو جعفرَ. وقرأ حمزةُ: «أأن كانَ» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وله وَجْهانِ: **أحدهما**: ألأَنْ كان ذا مالٍ تُطيعه؟ـ! **والثاني**: ألأَنَ كان ذا مالٍ وبنينَ؟! ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يكفر بها؟ فيقول: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ذكر القولين الفَرَّاءُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «أن كان» بهمزةٍ واحدةٍ مقصورة. ثم أوعدَهُ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الخُرْطوم: الأنف. وفي هذه السِّمَةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سَنَسِمُه بالسيف، فنَجعل ذلك علامةً باقيةً على أنفِه ما عاشَ، فقاتلَ يومَ بدرٍ فخُطِمَ بالسيف، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: سنُلْحِقُ به شيئاً لا يُفارقه، قاله قَتادةُ، واختاره ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ المعنى: سَنُسَوِّد وَجْهَه. قال الفَرَّاءُ: و «الخُرْطوم» وإنْ كان قد خُصَّ بالسِّمة، فإنه في مذهبِ الوَجْهُ، لأنَّ بعضَ الوجه يؤدِّي عن البعضِ. وقال الزَّجَّاجُ: سنجعلُ له في الآخرة العلمَ الذي يعرفُ به أهلَ النَّارِ مِن اسودادِ وجوهِهم. وجائزٌ ـ والله أعلَمُ ـ أنْ يُفرَدَ بسِمَةٍ لمُبالغتِه في عداوتِه لرسول الله ﷺ يتبيَّن بها عن غيره.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ
نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾
كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعني: أهل مكّةَ، أي: ابتَلَيناهم بالجُوع، والقَحْطِ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ حين هَلَكتْ جنّتُهم.

وهذه الإشارةُ إلى قِصّتِهم(١)

ذَكرَ أهلُ التفسير أنَّ رجلاً كان بناحية اليمنِ له بستانٌ، وكان مؤمناً. وذلك بعدَ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، وكان يأخذُ منه قَدْرَ قُوتِه، وكان يتصدَّقُ بالباقي. وقيلَ: كان يتركُ للمساكين ما تعدَّاه المِنْجَلُ، وما يسقط مِنْ رؤوس النَّخلِ، وما ينتثِرُ عند الدِّباسِ، فكان يجتمع مِنْ هذا شيءٌ كثيرٌ، فمات الرجلُ عن ثلاثةِ بنينَ، فقالوا: واللهِ إنَّ المالَ لَقليلٌ، وإنَّ العيالَ لَكثيرٌ، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المالُ كثيراً، والعيالُ قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أنْ نفعلَ هذا. فعَزَموا على حرمانِ المساكين، وتحالفوا بينهم لَيَغْدُون قبلَ خروج الناس، فلَيَصْرِمُنَّ نخلَهُم، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي: ليقطعن نخلهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: في أولِ الصباح. وقد بَقيَتْ مِنَ الليل ظُلمةٌ لئلاً يبقى للمساكين شيءٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يقولون: إنْ شاء الله، قاله الأكثرون. **والثاني**: لا يستثنونَ حقَّ المساكين، قاله عِكرمَةُ، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: مِنْ أمر ربِّكَ. قال الفَرَّاءُ: الطَّائفُ لا يكون إلاَّ بالليل. قال المُفسِّرون: بَعثَ اللهُ عليها ناراً بالليل، فاحترقَتْ، فصارتْ سوداءَ، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: كالرَّماد الأسودِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كالليلِ المُسْوَدِّ، قاله الفَرَّاءُ. وكذلك قال ابنُ قُتيبة: أصبحَتْ سوداءَ كالليل مُحترِقةً. والليل: هو الصَّريمُ، والصُّبح أيضاً: صَرِيمٌ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَنصَرِمُ عن صاحبه. **والثالث**: أصبحَتْ قد ذهب ما فيها مِنَ الثمر، فكأنه قد صُرِمَ، أي: قُطِع، وجُذَّ حكاه ابنُ قُتيبةَ أيضاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادى بعضُهم بعضاً لمَّا أصبحوا ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الثّمار والزُّروع والأعناب ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ أي: قاطِعينَ للنَّخلِ، ﴿فَانطَلَقُوا﴾ أي: ذهبوا إلى جنَّتِهم ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: يتشاورون بـ ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

قوله: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: على قدرةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: على فاقةٍ، قاله الحسَنُ في روايةٍ. **والثالث**: على جِدٍ، قاله الحسَنُ في روايةٍ، وقَتادةُ، وأبو العاليةِ، والفَرَّاءُ! ومُقاتِلٌ. **والرابع**: على أمرٍ مُجمَعٍ قد أسَّسُوه بينهم، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ. **والخامس**: أنَّ الحَرْدَ، اسمُ الجنَّة،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ٢١٠: قال بعض العلماء: على من حصد زرعاً أو جدّ ثمره أن يواسي منها من حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وءاتوا حقه يوم حصاده﴾ [الأنعام: ١٤١] وأنه غير الزكاة. وقال بعضهم: وعليه ترك ما أخطأه الحصادون. وكان بعض العباد يتحرون أقواتهم من هذا. وروي أنه نهيٌ عن الحصاد بالليل. وقيل: إنما نهى عن ذلك خشية الحياة وهوام الأرض.
قلت: الأول أصح، والثاني: حسن، وإنما قلنا الأول أصح لأن العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى. وفي هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الآية، قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥] وفي الصحيح: عن النبي ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه. اهـ.

قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: أنه الحَنَقُ والغضب على المساكين، قاله الشَّعْبيُّ، وسُفْيانُ، وأنشد أبو عُبيدَةَ:

أُسُودُ شَرَىً لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ[1]

والسابع: أنه المَنعُ، مأخوذٌ مِن حارَدَتِ السَّنَةُ فليس فيها مطرٌ، وحارَدَت النَّاقةُ فليس لها لَبَنٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبَةَ. **والثامن**: أنه القَصْدُ. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبَةَ. وأنشدوا:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ الله يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

أي: يَقْصِدُ قَصْدَها. قال ابنُ قُتيبَةَ: وفيها لُغتان: حَرَدٌ، وحَرْدٌ، كما يُقال: الدَّرَكُ، والدَّرْكُ.

وقوله: ﴿قَدِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قادِرِينَ على جَنَّتهم عند أنفسِهم، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: قادِرِينَ على المساكين، قاله الشَّعْبيُّ. **والثالث**: أنَّ المعنى: مَنَعوا وهم قادرون، أي: واجِدُون، قاله ابنُ قُتيبَةَ، قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: قد ضللنا طريقَ جَنَّتِنا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمْنَا ثَمرَ جَنَّتِنَا بمَنْعِنا المساكين ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلُهم، وأفضَلُهم ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هَلاَّ تَسْتَثْنُون عند قولِكم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ قاله ابنُ جُرَيجٍ والجمهور. والمعنى: هلاَّ قُلتُم: إنْ شاء الله. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيل للاستثناء: تسبيحٌ، لأنَّ التسبيحَ في اللغة: تنزيهُ الله عزَّ وجلَّ عن السُّوءِ. والاستثناء تعظيمٌ لله، وإقرارٌ بأنه لا يَقدِرُ أحدٌ أن يفعلَ فعلاً إلاَّ بمشيئة الله. **والثاني**: أنه كان استثناؤهم قول: «سُبحانَ الله» قاله أبو صالح. **والثالث**: هلاَّ تُسبِّحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثَّعلَبيُّ. وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ فنزَّهوه أنْ يكونَ ظالماً فيما صنعَ، وأقرُّوا على أنفسِهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمَنْعِنا المساكينَ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يَلُومُ بعضُهم بعضاً في مَنْعِ المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أَنْتَ أَشَرْتَ علينا. ويقول الآخر: أنتَ فَعَلْتَ، ثم نادَوْا على أنفُسِهم بالويلِ، فقالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ حين لم نَصْنَعْ ما صنعَ آباؤنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أنْ يُبَدِّلَهُم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾. وقرأ قومٌ: «يبدلنا» بالتخفيف، وهما لُغتانِ. وفرَّقَ قومٌ بينهما، فقالوا: التبديل: تغييرُ حالِ الشيءِ وصِفَتِه والعينُ باقيةٌ. والإبدالُ: إزالةُ الشيء ووَضْعُ غيره مكانَهُ. ونُقِلَ أنَّ القومَ أخلصوا، فبدَّلَهُم الله جنَّةً العنقودُ منها وِقْرُ بَغْلٍ[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ ما فعلنا بهم نفعل بمَنْ تعدَّى حُدودَنا. وهاهنا قصةُ أهلِ الجنَّة. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذَكرَ ما للمُتَّقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنَّا لنُعْطىٰ في الآخرة أفضلَ ممَّا يُعْطَونَ، فقال تعالى مكذِّباً لهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه ألفُ الاستفهام مَجازُها هاهنا مَجاز التوبيخ والتقرير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تَقْضُون بالجَوْرِ، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ أُنْزِلَ مِنَ عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون ما فيه ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: ما تختارون وتشتهون. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ، وأبو عِمْرانَ: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تقريعٌ

---

(١) البيت للأشهب بن رميلة الذي كان يهاجي الفرزدق، كما في «الكامل» للمبرد ٤٣٨ و «الخزانة» ٢/٥٠٨.

(٢) وِقْرُ بغلٍ: حِمْل بغلٍ.

لهم، وتوبيخ على ما يتمنَّوْنَ مِنَ الباطل، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي: أَلَكُم عهودٌ على الله تعالى حَلَفَ لكم على ما تَدَّعون بأيمانٍ بالغةٍ، أي: مؤكَّدةٍ. وكلُّ شيءٍ مُتناهٍ في الجَودةِ والصحةِ فهو بالغٌ. ويجوز أنْ يكونَ المعنى: بالغةٍ إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمانُ إلى يوم القيامة في لُزومِها وتوكيدِها ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسِكم به مِنَ الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفَرَّاءُ: والقُرَّاءُ على رفع «بالغةٌ» إلاَّ الحسَنَ فإنه ينصبها على مذهب المصدر، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَقًّا﴾. ومعنى الآية: هل لكم أيمانٌ علينا بالغةٌ بأنَّ لكم ما تحكُمون؟! لمَّا كانت اللامُ في جواب «إن» كسرتَها.

قوله عز وجل: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الكَفيلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ. والمعنى: أيُّهُمْ كَفِلَ بأنَّ لهم في الآخرة ما للمسلمين مِنَ الخير. **والثاني**: أنه الرسول، قاله الحسَنُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شُركاءَ لله تعالى، والمعنى: أَلَهُم أربابٌ يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يَشهدُون لهم بصِدقِ ما ادَّعوا ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ في أنها شركاءُ لله. وإنما أُضِيفَ الشرك إليهم لادِّعائِهم أنهم شركاءُ لله.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ المعنى: فَلْيأتُوا بها يومَ يُكشَفُ عن ساقٍ. قرأ الجمهور: «يُكْشَفُ» بضمِّ الياء، وفتحِ الشين. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وأبو الجَوْزاءِ، بفتح الياء، وكسرِ الشين. وقرأ أُبَيُّ بْنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ: «تَكْشِف» بتاءٍ مفتوحةٍ، وبكسرِ الشين. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو مِجلَزٍ، وابنُ يَعمُرَ، والضَّحَّاكُ: «نَكشِف» بنونٍ مفتوحةٍ مع كسرِ الشين. وهذا اليوم هو يومُ القيامة. وقد رَوى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: يُكْشَفُ عن شِدَّةٍ، وأنشدوا:

وَقَامَتْ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقْ

وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ.

قال ابنُ قُتَيبَةَ: وأصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع في أمرٍ عظيم يحتاج إلى مُعاناتِه والجدِّ فيه، شَمَّرَ عن ساقِه، فاستُعيرت السَّاقُ في موضع الشدَّةِ، هذا قولُ الفَرَّاءِ؛ وأبي عُبيدَةَ، واللغويين. وقد أُضِيفَ هذا الأمرُ إلى الله تعالى.

[١٤٨١] فرُوِيَ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدِ الخُدْرِي عن النبيِّ ﷺ أنه «يكشف عن

[١٤٨١] صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٣٩ و ٤٩١٩ وابن حبان ٧٣٧٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٧٤٥ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٢١ من حديث أبي سعيد. وأخرجه مسلم ١٨٣ من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به مطوّلاً. وأخرجه أحمد ٣/١٦ ـ ١٧ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن زيد بن أسلم به =

ساقه»، وهذا إضافةٌ إليه، لأنَّ الكلَّ له وفِعلُه. وقال أبو عمرَ الزَّاهدُ: السَّاقُ: يُراد بها النَّفسُ[١]، ومنه قولُ عليٍّ رضي الله عنه: أُقاتِلُهم ولو تَلِفَتْ ساقي، أي: نَفْسِي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلَّى لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: المنافقين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ كأنَّ في ظُهورهم سَفافِيدَ الحديدَ. قال النَّقَّاشُ: وليس ذلك بتكليفٍ لهم أنْ يسجدوا، وهم عَجَزَةٌ، ولكنه توبيخٌ لهم بتَرْكِهم السجودَ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: خاضعةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تَغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: بالأذانِ في دارِ الدنيا، ويُؤمَرون بالصلاة المكتوبةِ ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي: مُعافَوْن ليس في أصلابِهم مثلُ سَفافِيْدِ الحديدِ. وفي هذا وعيدٌ لِمَنْ تَرَكَ صلاةَ الجماعة. وكان كَعْبٌ يقول: واللهِ ما نزلت هذه الآيةُ إلاَّ في الذين يتخلَّفون عن الجماعاتِ ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. والمعنى: خَلِّ بيني وبينَهُ. قال الزَّجَّاجُ: أي: لا تَشْغَلْ قلبكَ به، كِلْهُ إليَّ فأنا أكفيكَ أمرَهُ. وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذا القَدْرَ مِنَ الآيةِ إلى قوله: «الحديث» منسوخٌ بآيةِ السيف. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[٢] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ فإنها مُفسَّرةٌ والتي تليها في الطُّوْر[٣].

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبِرْ على أذاهم لقضاءِ ربِّكَ الذي هو آتٍ. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخٌ بآيةِ السيف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو يُونسُ. وفيمَاذا نُهِيَ أنْ يكونَ مِثلَه قولان: **أحدهما**: أنه العَجلَةُ، والغَضبُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: الضَّعفُ عن تبليغ الرِّسالة، قاله ابنُ جَرير. قال ابنُ الأنْباري: وهذا لا يُخرِجُ يُونس مِنْ أُولي العَزم، لأنها خطيئةٌ. ولو قُلنا: إنَّ كلَّ مُخطِئٍ مِنَ الأنبياء ليس مِنْ أُولي العَزمِ، خرجوا كلُّهم إلاَّ يَحيى. ثم أخبرَ عن عقوبَتِه إذْ لم يَصْبِرْ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: مَملوءٌ غمّاً وكَرْباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لولا أن تَداركته» بتاءٍ خفيفةٍ، وبتاءٍ ساكنةٍ بعد الكاف مع تخفيفِ الدال. وقرأ أبو هُريرَةَ، وأبو المُتوكِّلِ: «تَدَّاركه» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مع تشديد الدال. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ: «تتداركه» بتاءين خفيفتين ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فَرَحِمَهُ بها، وتاب عليه مِنْ معاصيه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بَيَّنَّا معنى «العَراء» في الصَّافَّات[٤]. ومعنى الآية: أنه نُبِذَ غيرَ مذموم لِنعمةِ الله عليه بالتَّوبة والرَّحمة. وقال ابنُ جُرَيج: نُبِذَ بالعَراءِ، وهي أرض المَحشَرِ، فالمعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: استَخلصَهُ واصطَفاهُ، وخلَّصه

= مطوّلاً. وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٧٣ من طريق هشام بن سعد عن زيد به.

(١) هذه الأقوال جميعاً يردها الحديث الصحيح المتقدم، ولم يسق المصنف لفظه.
(٢) الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣. (٣) الطور: ٣٩ ـ ٤٠. (٤) الصافات: ١٤٥.

مِنَ الذَّمِّ ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فردَّ عليه الوحيُ، وشفَّعه في قومِه ونفسِه، قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الياء، مِنْ أزلَقته، وقرأ أهلُ المدينة، وأبانُ بفتحها مِنْ زَلَقْته أزلِقُه، وهما لُغتان مشهورتان في العرب. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: زَلَقَ الرَّجُلُ رأسَه أزلَقَهُ: إذا حَلقَهُ. وفي معنى الآية للمُفسِّرين قولان[1]:

[١٤٨٢] أحدهما: أنَّ الكفار قَصَدوا أنْ يَصيبوا رسولَ الله ﷺ بالعَيْنِ، وكان فيهم رجلٌ يمكثُ اليومين والثلاثةَ لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانبَ خِبائِه، فتمرُّ به النَّعمُ، فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسنَ مِنْ هذه، فما تذهب إلاَّ قليلاً حتى يسقطَ منها عِدَّةٌ، فسأل الكفَّارُ هذا الرجلَ أنْ يُصيبَ رسولَ الله ﷺ بالعَيْنِ، فعَصمَ اللهُ نبيَّه، وأنزلَ هذه الآيةَ، وهذا قولُ الكَلْبي، وتابعه قومٌ مِنَ المُفسِّرين تَلقَّفوا ذلك مِنْ تفسيره، منهم الفَرَّاءُ.

والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً سديداً يكاد يُزْلِقُه مِنْ شِدَّتِه، أي: يُلقيه إلى الأرض. وهذا مستعملٌ في كلام العرب. يقول القائلُ: نَظرَ إليَّ فلانٌ نظراً كاد يَصرَعُني. وأنشدوا:

يَتَقَارَضُونَ إذا التَقَوْا في مَوطِنٍ ... نَظَراً يُزِيلُ مَواطِئَ الأَقْدَامِ

أي: ينظر بعضُهم إلى بعضٍ نظراً شديداً بالعداوة يكاد يُزيل الأقدامَ، وإلى هذا ذهب المُحقِّقون، منهم ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. ويدلُّ على صحتِه أنَّ الله تعالى قَرَنَ هذا النظرَ بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ والقومُ كانوا يكرهون ذلك أَشدَّ الكراهةِ، فيُحِدُّون النظرَ إليه بالبغضاء. وإصابةُ العينِ، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسانِ، لا مع البُغضِ فلا يُظَنُّ بالكَلْبي أنه فَهِمَ معنى الآية. قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة.

[١٤٨٢] عزاه المصنف للكلبي، وهو متهم بالكذب، فهذا خبر باطل، لا أصل له.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٨٢: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله ـ عز وجل ـ. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ٢٢٢: أخبر الله بشدة عداوتهم للنبي ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين، فعصم الله نبيه ﷺ قال القشيري: وفي هذا نظر، لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لا مع الكراهية والبغض.
قلت: أقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرناه، وأن مرادهم بالنظر إليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك، يقال: زلقه، يزلقه، أزلقه، إذا نحّاه وأبعده. فمعنى الكلمة إذاً التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حق النبي ﷺ إلا بهلاكه وموته.

ترتيبها ٦٩ — سُورَةُ الحَاقَّةِ — آياتها ٥٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟
بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ
حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ
وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾

﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾: القيامة. قال الفرَّاءُ: إنما قيلَ لها: حاقَّة، لأنَّ فيها حَواقَّ الأمورِ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما سُمِّيت الحاقَّة، لأنها تَحُقُّ كلَّ إنسانٍ بعمله مِنْ خيرٍ وشرٍّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ هذا استفهامٌ، معناه التفخيم لِشأنِها، كما تقول: زيدٌ، ما زيدٌ؟ على التعظيم لِشأنِه. ثم زادَ في التهويل بأمرِها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ أي: لأنكَ لم تُعاينْها، ولم تدر ما فيها مِنَ الأهوال. ثم أخبرَ عن المُكذِّبين بها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: القارِعَة: اسمٌ مِنْ أسماء يوم القيامة. قال مُقاتِلٌ: وإنما سُمِّيَتْ بالقارِعَة، لأنَّ الله تعالى يَقرَعُ أعداءَه بالعذاب. وقال ابنُ قُتَيبة: القارِعَة: القيامةُ لأنها تَقرَعُ، يُقال: أصابَتْهُم قوارِعُ الدَّهر. وقال الزَّجَّاجُ: لأنها تَقرَعُ بالأهوالِ. وقال غيرُهم: لأنها تَقرَعُ القلوبَ بالفَزَعِ.

فأما ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها طُغيانُهم وكُفرهُم، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، وأبو عبيدة وابنُ قُتيبةَ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الطَّاغية عند أهلِ اللغة: طُغيانُهم. و«فاعِلة» قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقِبَة، وعافِيَة. **والثاني**: بالصَّيحَةِ الطَّاغيةِ، قاله قَتادَةُ. وذلك أنها جاوزت مِقدارَ الصِّياحِ، فأهلَكَتْهُم. **والثالث**: أنَّ الطَّاغية: عاقِرُ النَّاقةِ، قاله ابنُ زيدٍ. والرِّيح الصَّرْصَرُ قد فَسَّرناها في حم السَّجْدَة[1]. والعاتِيَة: التي جاوَزتِ المِقدارَ. وجاء في التفسير أنها عَتَتْ على خُزَّانِها يومَئِذٍ، فلم يكن لهم عليها سبيلٌ.

---

(١) فصلت: ١٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي أَرسَلَها وسَلَّطها. والتَّسخِير: استعمالُ الشيء بالاقتدارِ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حُسُومًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: تِباعاً، قاله ابنُ عباس. قال الفَرَّاءُ: الحُسوم: التِّباعُ، يُقال في الشيءِ إذا تتابَعَ فلم ينقطِعْ أولُه عن آخرِه: حُسُومٌ. وإنما أُخِذَ - والله أعلَمُ - مِنْ حَسْم الدَّاءِ: إذا كُوِيَ صاحبُه، لأنه يُحمى ثم يُكوى، ثم يُتابع الكَيُّ عليه. **والثاني**: كاملةً، قاله الضَّحَّاكُ. فيكون المعنى: أنها حَسَمَتِ الليالي والأيامَ فاستوفَتْها على الكمالِ، لأنها ظهرتْ مع طلوعِ الشمس، وذهبتْ مع غروبِها. قال مُقاتِلٌ: هاجَتِ الريحُ غُدْوَةً، وسَكَنَتْ بالعَشِيِّ في اليوم الثامنِ، وقُبِضَتْ أرواحُهم في ذلك اليوم، ثم بَعثَ الله طيراً أسودَ فالتَقَطَهُم حتى ألقاهُم في البحر. **والثالث**: أنها حَسَمَتْهُم، فلم تُبْقِ منهم أحداً، أي: أذهبتهم وأفنَتْهم، هذا قولُ ابنِ زيدٍ، قال الزَّجَّاجُ: وهذا هو الذي تُوجِبُه اللغةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ وهو جمع صريع، لأنهم صرعوا بموتهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أي: أصولُ نَخْلٍ ﴿خَاوِيَةٍ﴾ أي: بالِيَة. وقد بيَّنَّا هذا في سُورةِ القمر[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بقاءٍ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: مِنْ بقيَّةٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. قال: وهو مصدرٌ كالطَّاغِية. **والثالث**: هل ترى لهم مِنْ أَثَرٍ؟ قاله ابنُ قُتيبةَ، قوله: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكِسَائيُّ، وأَبانُ: بكسرِ القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكانِ الباء. فمَنْ كَسرَ القافَ أراد به: مَنْ يَلِيه ويَحفُّ به مِنْ جنوده وأتباعه. ومن فتحها أراد مَنْ كان قبلَه مِنَ الأُمم الكافرةِ. وفي «المُؤتَفِكات» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُرى قوم لُوطٍ. والمعنى: وأهل المُؤتَفِكَاتِ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنهم الذين ائْتَفَكُوا بذُنوبهم، أي: هَلكوا بالذُّنوب التي أعظمُها الإفكُ، وهو الكذبُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه قارُونُ وقومُه، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: بالذنوب، وقال الزَّجَّاجُ: الخاطِئة: الخطأُ العظيمُ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: كذَّبوا رُسُلَهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: زائدةً على الأخذاتِ، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: تجاوزَ حدَّه حتى علا على كلِّ شيءٍ في زمنِ نُوحٍ ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يعني: حملنا آباءَكُم وأنتم في أصلابِهم ﴿فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ وهي: السفينة التي تجري في الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: لِنجعلَ تلك الفَعْلَةَ التي فعلنا مِنْ إغراق قوم نُوحٍ، ونجاةِ مَنْ حملنا معه ﴿تَذْكِرَةً﴾ أي: عِبرةً، ومَوعظةً ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢ - ٦٠٣: قوله تعالى: **﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾**. والصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل الباردة من الصرّ، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها **﴿عاتية﴾** شديدة العصف والعتو استعارة، أو عتت على عاد، فما قدروا على ردّها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة. فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم والحسوم لا يخلو من أن يكون حاسم كشهود وقعود أو مصدراً كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله: **﴿حسوماً﴾** نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح: **ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء.** وتحسم حسوماً: تستأصل استئصالاً.

(٢) القمر: ٢٠.

أذنٌ واعيةٌ أي أُذنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتعمل به. وقال الفرَّاءُ: لِتَحفظَها كلُّ أُذنٍ، فتكون عِظَةً لِمَنْ يأتي بعده.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١٥)
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ (١٩) إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى
مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ
أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
(٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ
(٣١) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخةُ الأولى، قاله عَطاءٌ. **والثاني**: الأخيرة، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: حُمِلَت الأرضُ والجبالُ وما فيها ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كُسِرَتا، ودُقَّتا دقَّةً واحدةً، لا يثني عليها حتى تستوي بما عليها مِنْ شيءٍ، فتصيرَ كالأديم الممدودِ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الأعْرَاف عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[1]. قال الفرَّاءُ: وإنما قال: فدُكَّتا، ولم يَقُلْ: فدُكِكْنَ، لأنه جعل الجبالَ كالشيءِ الواحدِ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾[2] وأنشدوا:

هُـمَـا سَـيِّـدانَـا يَـزْعُـمـانِ وَإِنَّـمـا ... يَـسُـودَانِـنَـا أَنْ يَـسَّـرَتْ غَـنَـمـاهُـمـا[3]

والعرب تقول: قد يَسَّرَتِ الغنمُ: إذا وَلَدتْ، أو تهيَّأَتْ للولادةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامةُ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لِنزولِ مَنْ فيها مِنَ الملائكة ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ وَهْيَها: ضَعْفُها وتمزُّقها مِنَ الخوف، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه تشقُّقها، قاله الفرَّاءُ ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسمُ جنسٍ ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ أي: على جوانبِها. قال الزَّجَّاجُ: ورَجاءُ كلِّ شيءٍ: ناحيتُه، مقصورٌ. والتثنية: رَجَوَانِ، والجمع: أرْجاء. وأكثر المُفسِّرين على أنَّ المُشارَ إليها السماءُ. قال الضَّحَّاكُ: إذا انشقَتِ السماءُ كانت الملائكةُ على حافَّتِها حتى يأمُرَهم اللَّهُ تعالى، فينزلون إلى الأرض، فيُحيطونَ بها، ومَنْ عليها. ورُوِي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنه قال: على أرجاءِ الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: فوق رؤوسِهم، أي: العَرشُ

---

(١) الأعراف: ١٤٣. (٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) البيت لأبي أسيدة الدبيري، كما في «اللسان» يسبر ـ.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٨٩: أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن =

على رؤوسِ الحَمَلَةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فوقَ الذين على أرجائِها، أي: أنَّ حَمَلَةَ العرشِ فوق الملائكة الذين هم على أرجائِها. **والثالث**: أنهم فوقَ أهلِ القيامة، حكاهما المَاوَرديُّ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثمانيةُ أملاكٍ.

[١٤٨٣] وجاء في الحديث أنهم اليومَ أربعةٌ، فإذا كان يومُ القيامة أَمَدَّهُم الله بأربعةِ أملاكٍ آخرين، وهذا قولُ الجمهور.

والثاني: ثمانيةُ صفوفٍ مِنَ الملائكة لا يعلم عِدَّتَهم إلا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ. **والثالث**: ثمانيةُ أجزاء مِنَ الكَرُوبيين لا يعلمُ عددَهُم إلا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله مُقاتِلٌ.

[١٤٨٤] وقد رَوىٰ أبو داودَ في «سُننه» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبد الله عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكة الله مِنْ حَمَلةِ العَرشِ، أنَّ ما بين شَحمَةِ أُذُنِه إلى عاتِقه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله لِحسابِكم ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ عليه. قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لا يخفى» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. والمعنى: لا يَخفى عليه ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: نَفْسٌ خافيةٌ، أو فَعْلَةٌ خافيةٌ.

[١٤٨٥] وفي حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامة ثلاثَ عَرضاتٍ، فأمَّا عَرضتانِ فجِدالٌ، ومَعاذِيرُ، وأمَّا الثالثةُ، فعندها تتطايرُ الصُّحفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيمينِه، وآخِذٌ بشمالِه، وكان عمرُ بنُ الخَطَّابِ يقول: حاسِبُوا أنفُسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبُوا، وزِنُوها قبل أنْ تُوزَنُوا، وتَزَيَّنوا للعَرضِ الأكبر، يَومئذٍ لا تَخفى منكم خافيةٌ. قوله: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «هاؤم» أمرٌ للجماعة بمنزلة هاكُم. تقول للواحد: ها يا رجلُ، وللاثنين: هاؤُما يا رَجُلان. وللثلاثة: هاؤُم يا رِجالُ. قال المُفسِّرون: إنما يقول هذا ثِقةً بسلامته وسروراً بنَجاتِه. وذَكَرَ مُقاتِلٌ أنها نزلت في أبي

[١٤٨٣] ضعيف. أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ١٤٨ والطبري ٣٤٧٩٣ من طريق محمد بن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ . . . فذكره. وهذا معضل. وأخرجه البيهقي في «البعث والنشور» ٦٦٩ والطبراني في «المطوّلات» ٣٦٠ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث الصور الطويل. وفي إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف، قال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء اهـ.

[١٤٨٤] حسن. أخرجه أبو داود ٤٧٢٧ وابن طهمان في «مشيخته» ٢٣٨/ ٢ من حديث جابر، وإسناده حسن لأجل إبراهيم بن طهمان، فهو وإن روى له البخاري ومسلم، فقد تكلم فيه غير واحد. لكن لأصله شواهد. انظر «الصحيحة» ١٥١.

[١٤٨٥] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ٤١٤ وابن ماجه ٤٢٧٧ والطبري ٣٤٧٩٥ عن الحسن عن أبي موسى، وإسناده ضعيف لانقطاعه بينهما، وأخرجه الترمذي ٢٤٢٥ عن الحسن عن أبي هريرة، وهذا منقطع أيضاً، الحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً. وورد عن قتادة مرسلاً. أخرجه الطبري ٣٤٧٩٧، وهذا ضعيف أيضاً، فإن عامة مراسيل قتادة إنما هي عن الحسن، فالحديث مداره على الحسن، ولم تتعدد مخارجه، فهو ضعيف والراجح فيه الوقف، والله أعلم. وقد أخرجه الطبري وغيره من قول ابن مسعود غير مرفوع، وهو أصح والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٨٠ بتخريجنا.

= يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

سَلَمة بنِ عبدِ الأسدِ(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: علمتُ وأيقنتُ في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أُبعَثُ، وأُحاسَبُ في الآخرة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ أي: في حالةٍ مِنَ العيش ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: فيها الرضى. وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذاتُ رِضىً يرضاها مَنْ يعيش فيها. وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُها مجازُ مَرضِيَّة، قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عاليةِ المنازل ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثِمارُها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبةٌ ممن يتناولها، وهي جمعُ قِطْفٍ. والقِطْفُ: ما يُقطَفُ مِنَ الثمار. قال البَراءُ بن عازِبٍ: يتناول الرجلُ الثمرةَ وهو نائمٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا﴾ أي: يُقال لهم: كُلوا ﴿وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قَدَّمتم مِنَ الأعمال الصالحةِ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية، وهي أيامُ الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في الأسوَدِ بن عبدِ الأسَدِ، قتله حمزةُ ببدرٍ، وهو أخو أبي سَلَمةَ. وقيل: نزلت في أبي جهلٍ(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ وذلك لِمَا يرى فيه مِنَ القبائح ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ لأنه لا حاصلَ له في ذلك الحساب، إنما كلُّه عليه. وكان ابنُ مسعودٍ، وقَتادةُ، ويعقوبُ، يحذفون الهاء مِنْ «كتابيه»، و «حسابيه» في الوَصْلِ. قال الزَّجَّاجُ: والوجه أنْ يُوقفَ على هذه الهاءاتِ، ولا تُوصَل، لأنها أُدخِلت للوقفِ. وقد حذفها قومٌ في الأصل، ولا أُحِبُّ مخالفةَ المصحفِ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ يعني: المَوتةَ التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعة للحياة، فكأنه تمنَّى دوامَ الموت، وأنه لم يُبْعَثْ للحساب.

قوله ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ضَلَّتْ عني حُجَّتي، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: زالَ عني مُلكي، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقول اللّهُ تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجمَعُوا يدَهُ إلى عُنقِه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: أَدْخِلوه النَّارَ. وقال الزَّجَّاجُ: اجعَلُوهُ يَصْلَى النَّارَ. قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ وهي: حَلَقٌ منتظمةٌ ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ وقال ابنُ عباسٍ: بذراع المَلَكِ. وقال نَوْفٌ الشَّاميُّ: كلُّ ذِراع سبعون باعاً، الباعُ أبعدُ مما بينكَ وبينَ مكَّةَ، وكان في رَحبةِ الكُوفة. وقال سُفيانُ: كلُّ ذراع سبعون ذراعاً. وقال مُقاتِلٌ: ذَرْعُها سبعون ذِراعاً بالذِّراع الأولِ. ويُقال: إنَّ جميع أهل النار في تلك السِّلْسِلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أَدْخِلُوه. قال الفرَّاءُ: وذَكرَ أنها تدخل في دُبرِ الكافر فتخرج مِنْ رأسه، فذلك سَلْكُه فيها. والمعنى: ثم اسلُكُوا فيه السِّلسلةَ، ولكنَّ العرب تقول: أدخلتُ رأسي في القَلَنسُوة، وأَدْخلتُها في رأسي. ويُقال: الخاتمُ لا يدخل في يدي، وإنما اليدُ تدخلُ في الخاتمِ، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروفٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي: لا يُصدِّقُ بوحدانيته وعظمتِه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، ليس بشيء.
(٢) الصحيح عموم الآية في كل من يؤتى كتابه بشماله.
(٣) القارعة: ١٠.

﴿الْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يُطعِمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: قريبٌ ينفعه، أي: يَشفعُ له ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ في ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه صَدِيدُ أهلِ النَّارِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال مُقاتِلٌ: إذا سالَ القَيْحُ، والدَّمُ، بادَروا أَكْلَهُ قبلَ أنْ تأكلَهُ النار. **والثاني**: شجرٌ يأكله أهلُ النار، قاله الضَّحَّاكُ، والرَّبِيعُ. **والثالث**: أنه غُسَالَةُ أجوافِهم، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهو «فِعْلِين» من «غسلت» كأنه غُسالَةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» رَدٌّ لكلام المشركين، كأنه قيلَ: ليس الأمرُ كما يقول المشركون ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقال قومٌ: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ والمعنى: أُقسِمُ بما تَرونَ، وما لا تَرونَ، فأراد جميعَ الموجوداتِ. وقيل: الأجسام والأرواح ﴿إِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: محمَّدٌ ﷺ، قاله الأكثرون. **والثاني**: جبريلُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: لم يُرِدْ أنه قولُ الرَّسولِ، وإنما أراد أنه قولُ الرَّسولِ عن اللَّهِ تعالى، وفي الرَّسولِ ما يدلُّ على ذلك، فاكتفى به مِنْ أنْ يقولَ عن الله، قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يؤمنون» و «يَذَّكرون» بالياء فيهما. قال الزَّجَّاجُ: «ما» مؤكِّدةٌ، وهي لَغْوٌ في باب الإعرابِ. والمعنى: قليلاً تُؤمنون. وقال غيرُه: أراد نفيَ إيمانِهم أصلاً. وقد بيَّنَّا معنى «الكاهن» في الطُّور[1] قال الزَّجَّاجُ: وقوله عزَّ وجلَّ: «تنزيل» مرفوعٌ بـ «هو» مضمَرةٍ يدل عليها قولُه عزَّ وجلَّ: «وما هو بقول شاعر» هو تنزيلٌ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلَّفَ محمَّدٌ أنْ يقولَ علينا ما لم نَقُلْهُ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: لأخذناه بالقوةِ والقُدرةِ، قاله الفَرَّاءُ، والمُبرِّدُ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: إنما أقام اليمينَ مقامَ القوةِ، لأنَّ قوةَ كلِّ شيءٍ في مَيامِنِهِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو عِرقٌ يجري في الظَّهرِ حتى يتَّصلَ بالقلب، فإذا انقطعَ بَطلَتْ القُوى، ومات صاحبُه. قال أبو عُبيدَةَ: الوَتِينُ: نِياطُ القلب، وأنشد الشَّمَّاخُ:

إذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

وقال الزَّجَّاجُ: الوَتِينُ: عِرقٌ أبيضُ غليظٌ كأنه قَصَبةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: ليس منكم أحدٌ يَحجزُنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَاجِزِينَ﴾ لأنَّ أحداً يقعُ على الجمع، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[2]،

---

(١) الطور: ٢٩. (٢) البقرة: ٢٨٥.

هذا قولُ الفَرَّاءِ، وأبي عُبيدَة، والزَّجَّاجِ. ومعنى الكلام: لا يَتكلَّفُ الكذبَ لأجلِكُم مع علمِه أنه لو تكلَّفَ ذلك لَعَاقبناهُ، ثم لم يَقدِرْ على دفعِ عقوبَتِنا عنه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في يومِ القيامة. يندمون إذا لم يُؤمنوا به ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةٌ إلى نَفْسِه لاختلافِ اللفظين، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَاخِرَةِ﴾[1]. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وإنه لَلْيَقينُ حقَّ اليقينِ، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعدَها في الواقِعة[2].

---

(١) يوسف: ١٠٩.

(٢) الواقعة: ٩٥ ـ ٩٦.

ترتيبها ٧٠ — # سُورَةُ المَعَارِج — آياتها ٤٤

ويُقال لها: سُورَةُ سأَلَ سائِلٌ، ويُقال لها: سُورَةُ الواقِع. وهي مكِّيَّةٌ كلُّها بإجماعِهِم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ
يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾، قال المُفسِّرون:

[١٤٨٦] نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، وهذا مذهبُ الجمهور، منهم ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: هو أبو جَهلٍ. قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «سال» بغيرِ همزٍ. والباقون: بالهمز. فمَنْ قرأ: «سأل» بالهمزِ ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذابٍ واقعٍ. **والثاني**: سأل سائلٌ عن عذابٍ واقعٍ لِمَنْ هو؟ وعلى مَنْ يَنْزِلُ؟ ومتى يكونُ؟ وذلك على سبيلِ الاستهزاء، فتكون الباءُ بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِنْ تَسْأَلُوني بالنِّساءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّساءِ طَبِيبُ[2]

[١٤٨٦] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٤٠ عن ابن عباس وإسناده على شرط البخاري، فيه المنهال صدوق ربما وهم وقد أخرجه له البخاري. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٢ عن الأعمش عن سعيد بن جبير قوله، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورمز له الذهبي في «التلخيص» أنه على شرط البخاري وزاد السيوطي نسبته في «الدر» ٦/ ٤١٥ للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. وتقدم في الأنفال.

---

(١) الأنفال: ٣٢.
(٢) البيت لعلقمة بن عبدة، وهو في ديوانه ١١ و «أدب الكاتب» ٥٠٥.

والثالث: سألَ سائلٌ عذاباً واقِعاً، والباءُ زائدةٌ.

ومَنْ قرأ بلا همزٍ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ السؤال أيضاً، وإنما لَيَّنَ الهمزةَ، يُقال: سأل، وسال، وأنشد الفَرَّاءُ:

تَعَالَوْا فَسَالُوا يَعْلَمِ النَّاسُ أيُّنَا ... لِصَاحِبِهِ فِي أوَّلِ الدَّهْرِ نَافِعُ

والثاني: المعنى: سالَ وادٍ في جهنَّمَ بالعذابِ للكافرين، وهذا قولُ زيدِ بنِ ثابتٍ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وابنِه عبدِ الرَّحمنِ. وكان ابنُ عباسٍ في آخرين يقرؤون «سَالَ سَيْلٌ» بفتحِ السين، وسكونِ الياء مِنْ غيرِ أَلِفٍ ولا همزٍ. وإذا قُلنا: إنه مِنَ السؤال، فقوله عزَّ وجلَّ: «للكافرين» جوابٌ للسؤال، كأنه لمَّا سأل: لِمَنْ هذا العذابُ؟ قيل: للكافرين. والواقِع: الكائِنُ. والمعنى: أنَّ العذابَ الذي سأله هذا الكافرُ كائِنٌ لا مَحالةَ في الآخرة ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ذلك العذابُ واقعٌ مِنَ الله للكافرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها السَّمواتُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هي مَعارِجُ الملائكة. قال ابنُ قُتَيبةَ: وأصل «المَعارِج» الدَّرَج، وهي مِنْ عَرَجَ: إذا صَعِدَ. قال الفَرَّاءُ: لمَّا كانت الملائكةُ تَعرُجُ إليه، وَصَفَ نَفْسَه بذلك. قال الخَطَّابيُّ: المَعارِج: الدَّرَجُ، واحدُها: مَعْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إليه بأعمالِ العباد، وبأرواحِ المؤمنين. فالمَعارِجُ: الطَّرائِقُ أي يُصْعَدُ فيها. **والثاني**: أنَّ المَعارِجَ: الفَوَاضِلُ والنِّعمُ، قاله قَتادةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ الكِسائيُّ: «يَعْرُج» بالياء. والرُّوحُ وفي «الرُّوح» قولان: **أحدهما**: أنه جِبريلُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه رُوحُ الميِّتِ حين تُقْبَضُ، قاله قَبِيصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله تعالى ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يومُ القيامة، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ، والقُرَظيُّ، وهذا هو مقدارُ يوم القيامة مِنْ وقت البَعثِ إلى أنْ يفصلَ بين الخَلْقِ.

[١٤٨٧] وفي الحديث: «إنه لَيُخفَّفُ على المؤمِنِ حتى يكونَ أَخفَّ عليه مِنْ صلاةٍ مكتوبةٍ». وقيلَ: بل لو وَلِيَ حسابَ الخَلْقِ سِوى الله عزَّ وجلَّ لم يَفرُغْ منه في خمسين ألفِ سنةٍ، والحقُّ يَفرُغُ منه في ساعةٍ مِنْ نهارٍ. وقال عَطاءٌ: يَفرغُ اللَّهُ مِنْ حساب الخَلْقِ في مقدارِ نصفِ يوم مِنْ أيام الدنيا. فعَلَى هذا يكون المعنى: ليس له دافعٌ مِنَ الله في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ. وقيل: المعنى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ في يوم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. فعَلَى هذا يكون في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ.

والثاني: أنه مِقدارُ صعودِ الملائكة مِنْ أسفل الأرض إلى العَرشِ لو صَعِدَهُ غيرُهم قَطعَهُ في

[١٤٨٧] حسن بشاهده ورد من حديث أبي سعيد. أخرجه أحمد ٣/ ٧٥ وأبو يعلى ١٣٩٠ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وإسناده ضعيف، ابن لهيعة ودراج ضعيفان. وأخرجه الطبري ٣٤٨٦٧ وابن حبان ٧٣٣٤ من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن درّاج به، وقد توبع ابن لهيعة ههنا فانحصرت العلة في دراج. وله شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه ابن حبان ٧٣٣٣ وأبو يعلى ٦٠٢٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وهو صحيح إن كان سمعه يحيى بن أبي كثير من أبي سلمة، فهو وإن روى عنه، فإنه كثير الإرسال أيضاً، وبكل حال الحديث حسن.

خمسينَ ألفَ سنةٍ، وهذا معنى قولِ مُجاهِدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ أي: اصبِرْ على تكذيبِهم إيَّاكَ ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزَعَ فيه، وهذا قبل أنْ يُؤمَر بقتالِهم، ثم نُسِخَ بآية السيف، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ يعني: العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غيرَ كائنٍ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ كائناً، لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ. ثم أخبرَ متى يكون فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ وقد شرحناه في الكهف[1] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: كالصُّوفِ، فَشَبَّهها في ضَعْفِها ولِينِها بالصُّوف. وقيل: شبَّهها به في خِفَّتِها وسَيْرِها، لأنه قد نُقِلَ أنها تسير على صُوَرِها، وهي كالهَباءِ. قال الزَّجَّاجُ: «العِهْنُ» الصُّوف. واحدتُه: عِهْنَةٌ، ويُقال: عُهْنَةٌ، وعُهْنٌ، مثل: صُوفَةٍ، وصُوفٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «العِهْنُ» الصُّوفُ المَصبوغُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ قرأ الأكثرون: «يسأل» بفتح الياء. والمعنى: لا يسأل قريبٌ عن قرابَتِه، لاشتغالِه بنَفْسِه. وقال مُقاتِلٌ: لا يسأل الرجلُ عن قرابتِه، ولا يُكلِّمه مِنْ شدَّةِ الأهوال. وقرأ مُعاويَةُ، وأبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو جعفرَ بضمِّ الياء. والمعنى: لا يُقال للحميم: أينَ حَميمُكَ؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يُعرَّفُ الحميمُ حَميمَه حتى يَعْرِفَه، وهو مع ذلك لا يسألُ عن شأنِه، ولا يُكلِّمُه اشتِغالاً بنَفْسِه. يقال: بَصَّرْتُ زيداً كذا: إذا عَرَّفْتَهُ إيَّاه. قال ابنُ قُتَيبةَ: معنى الآية: لا يَسْأَلُ ذُو قرابةٍ عن قرابَتِه، ولكنهم يُبَصَّرُونَهم، أي: يُعرَّفُونَهم. وقرأ قَتادَةُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ «يُبْصِرُونَهم» بإسكانِ الباء، وتخفيفِ الصاد، وكسرِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يعني: يتمنَّى المشركُ لو قُبِلَ منه هذا الفِداءُ ﴿يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وهي الزَّوجةُ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: عشيرتِه. وقال الزَّجَّاجُ: هي أدنى قبيلَتِه منه. ومعنى ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ تَضُمُّه، فيَودُّ أنْ يفتديَ بهذه المذكوراتِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ مِن ذلك الفِداءِ ﴿كَلَّآ﴾ لا يُنجيه ذلك ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ قال الفرَّاءُ هو اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ فلذلك لم يجرِ لها ذكر[2]، وقال غيره: معناها في اللغة: اللهَبُ الخالصُ، وقال ابنُ الأنباري: سُمِّيَتْ لَظَى لشدةِ تَوَقُّدِها وتلهُّبِها، يقال: هو يتلظَّى، أي: يتلهَّب ويتوقَّد. وكذلك النارُ تتلظَّى يُراد به هذا المعنى. وأنشدوا:

جَـحِـيـمـاً تَـلَـظَّـى لا تَـفـتَّـرُ سَـاعَـةً ... ولاَ الـحَـرُّ مِـنْـهـا غَـابِـرَ الـدَّهْـرِ يَـبْـرُدُ

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ الجمهور «نَزَّاعةٌ للشوى» بالرفع على معنى: هي نزَّاعةٌ. وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وأبو رَزِينٍ، وابن عبدِ الرَّحمن، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ «نزَّاعةً» بالنصب. قال الزَّجَّاجُ: وهذا على أنها حالٌ مؤكَّدةٌ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[3] ويجوز أنْ ينصبَ على معنى «إنها تتلظى نزاعةً». وفي المراد بـ الشَّوى أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: جِلدةُ الرأس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مَحاسنُ الوجهِ، قاله الحسَنُ، وأبو العاليةِ. **والثالث**: العَصَبُ، والعَقِبُ، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: **الأطرافُ**: اليَدانِ، والرِّجلانِ، والرأسُ، قاله الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الحق. قال المُفسِّرون: تقول: إليَّ يا

---

(١) الكهف: ٢٩. (٢) فاطر: ٣١.

مُشرك، إليّ يا منافقُ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ قال الفرّاء: أي جمعَ المالَ في وِعاءٍ فلم يُؤدِّ منه زكاةً، ولم يَصِلْ منه رَحِماً.

﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال مُقاتِلٌ: عَنى به أُميّةَ بنَ خَلَفٍ الجُمَحي[1]. وفي الهَلُوعِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الموصوفُ بما يلي هذه الآيةَ، رواه عَطيّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنه الحريصُ على ما لا يَحِلُّ له، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: البخيلُ، قاله الحسَنُ، والضَّحّاكُ. **والرابع**: الشَّحيحُ، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: الشَّرِهُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: الضَّجُورُ، قاله عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والفَرّاءُ. **والسابع**: الشديدُ الجَزَعِ، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: إذا أصابه الفقرُ ﴿جَزُوعًا﴾ لا يصبرُ، ولا يحتَسِبُ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ﴾ أصابه المالُ ﴿مَنُوعًا﴾ يَمنعُه مِنْ حقِّ الله ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ وهم أهلُ الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمعَ مِنَ الإنسان، لأنه اسمُ جنسٍ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين يُحافظون على المكتوباتِ، وهو معنى قولِ ابنِ مسعودٍ. **والثاني**: أنهم لا يلتَفِتون عن أيمانِهم وشمائِلهم في الصلاة، قاله عُقبَةُ بنُ عامرٍ، واختاره الزَّجّاجُ. قال: ويكون اشتقاقُه مِنَ الدائم، وهو السّاكنُ، كما جاء في الحديث أنه:

---

(١) الصحيح عموم الآية، ولفظ «آل» في «الإنسان» لاستغراق الجنس. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ٢٥١: قوله تعالى: **﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾** يعني الكافر، عن الضحاك، والهلع في اللغة: أشد الحرص، وأسوأ الجزع وأفحشه والمعنى: أنه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. وقال ﷺ: «شرّ ما أعطي العبد شحٌّ هالع وجبن خالع» اهـ. قلت: حسن. أخرجه أبو داود ٢٥١١ والبخاري في «التاريخ» ٦/ ٨ ـ ٩ وابن حبان ٣٢٥٠ وأبو نعيم ٩/ ٥٠ وأحمد ٢/ ٣٠٢ و ٣٢٠ من حديث أبي هريرة وإسناده حسن فيه عبد العزيز بن مروان، وهو صدوق، والحديث جوّده العراقي في «الإحياء» ٣/ ٢٥٣.

[١٤٨٨] نهى عن البَولِ في الماء الدَّائم.

والثالث: أنهم الذين يُكثِرون فعلَ التَّطوع، قاله ابنُ جُبَير. ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ قد سبق شرحُ هذه الآية والتي بعدَها في الذَّاريات(١) وبيَّنَّا معنى «يوم الدين» في «الفاتحة». وما بعد هذا قد شرحناه في المؤمنين(٢) إلى قوله عزَّ وجلَّ: «لأماناتِهم» قرأ ابنُ كَثيرٍ وحدَهُ: «لأمانتهم» ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «بشهادتهم» على التوحيد. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «بشهاداتهم» جمعاً، ﴿قَآئِمُونَ﴾ أي: يُقيمون فيها بالحقِّ ولا يَكتُمونها، ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾.

[١٤٨٩] نزلت في جماعةٍ مِنَ الكفَّارِ جلسوا حولَ رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويُكذِّبون به. قال الزَّجَّاجُ: والمُهطِعُ: المُقبِلُ ببَصرِه على الشيء لا يُزايِلُه، وكانوا ينظرون إلى النبيِّ نظرةَ عداوةٍ. وقد سبق الخِلافُ في قوله تعالى: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾(٣).

قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾. قال الفَرَّاءُ: العِزُون: الحِلَقُ، الخَلْقُ الجماعاتُ، واحدتها: عِزَةٌ.

[١٤٩٠] وكانوا يجتمعون حول النبيِّ ﷺ يقولون: لَئِنْ دخل هؤلاءِ الجنَّةَ، كما يقول محمَّدٌ، فَلَنَدْخُلنَّها قبلَهم، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، وطَلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ، والأعمَشُ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ «أن يَدْخُلَ» بفتحِ الياء، وضمِّ الخاء. وقال أبو عُبيدَةَ: عِزِين جمعُ عِزَة، مثل ثُبَة، وثُبِين، فهي جماعاتٌ في تفرقةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآۖ﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ عَلَقةٍ، ثم مِنْ مُضغةٍ، فالمعنى: لا يستوجبُ الجنَّةَ أحدٌ بما يَدَّعيه مِنَ الشَّرفِ على غيرِه، إذِ الأصلُ واحدٌ، وإنما يستوجبها بالطاعة.

والثاني: إنَّا خلقناهم مِنْ أقذارٍ. فبِما يستحقُّون الجنَّةَ ولم يؤمنوا؟!

[١٤٩١] وقد رَوى بِشْرُ بن جَحَّاشٍ عن النبيِّ ﷺ «أنه تلا هذه الآية ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ثم

[١٤٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٩ ومسلم ٢٨٢ وأبو داود ٦٩ والترمذي ٦٨ والنسائي ١/٤٩ وأحمد ٢/٣٤٦ من حديث أبي هريرة. وانظر «فتح القدير» ١/٨٣ للكمال ابن الهمام بتخريجي.

[١٤٨٩] انظر الحديث الآتي.

[١٤٩٠] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٠ بدون سند، ولم يعزه لأحد إنما ذكره نقلاً عن المفسرين، فهو واهٍ، ليس بشيء.

[١٤٩١] ضعيف، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٤٧٣ عن جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان ثنا الوليد بن مسلم، ثنا جرير بن عثمان الرحبي عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال: «قال النبي ﷺ وبصق يوماً... فذكره» رجاله ثقات سوى عبد الرحمن بن ميسرة، فقد وثقه العجلي وابن حبان على قاعدتهما في توثيق المجاهيل، وقال علي المديني: مجهول، والقول قول ابن المديني، فإنه إمام هذا الشأن. قلت: ولفظ «بصق في كفه» غريب، بل هو منكر، وراويه لا يحتمل التفرد بمثل هذا. وأخرجه ابن ماجه =

---

(١) الذاريات: ١٩. (٢) المؤمنون: ٧ ـ ٨. (٣) إبراهيم: ٤٣، والقمر: ٨.

بَزَق، وقال: يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنَّى تُعجِزُني، وقد خَلَقْتُكَ مِنْ مثلِ هذه؟! حتى إذا سَوَّيتُكَ، وعَدَّلتُكَ، مَشَيْتَ بين بُرْدَيْنِ، وللأرضِ منكَ وَئِيدٌ، فجَمَعت، ومَنَعتَ، حتى إذا بَلَغتَ التَّراقِي قلتَ: أَتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدَقةِ؟!».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ قد تكلَّمنا عليه في الحَاقَّة[1] والمراد بالمَشارِقِ، والمَغارِبِ: مَشرِقُ كلِّ يوم ومَغرِبُه، ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: نَخلُقَ أَمْثَلَ منهم، وأَطْوَعَ للّهِ حينَ عَصَوْا ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ مفسَّرٌ في الواقعة[2] ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ أي: يلهوا في دُنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ وقرأ ابنُ مُحيصِنٍ «يَلْقَوْا يومَهم الذي يوعدون» وهو يومُ القيامة. وهذا لفظُ أمر، معناه الوعيدُ. وذَكَرَ المُفسِّرون أنه مَنسُوخٌ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وَعيدٌ بلقاءِ يوم القيامة، فلا وَجْهَ للنَّسخِ، ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾ أي: يَخرجون بسرعةٍ كأنهم يَسْتَبِقُون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصمٍ بضمِّ النون والصاد. قال ابنُ جَريرٍ: وهو واحدُ الأنصابِ، وهي آلهتُهم التي كانوا يَعبُدونَها. فعَلى هٰذا يكون المعنى: كأنهم إلى آلهَتِهم التي كانوا يَعبُدونها يُسرِعون. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ بفتحِ النون وسكونِ الصاد، وهي في معنى القراءةِ الأولى، إلاَّ أنه مصدرٌ. كقولِ القائل: نَصَبتُ الشيءَ أنصِبُه نَصْباً. قال قَتادَةُ: معناه: كأنهم إلى شيءٍ منصوبٍ يُسرِعون. وقال ابنُ جَريرٍ: تأويله: كأنهم إلى صَنَمٍ منصوبٍ يُسْرِعُون. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَزٍ، والنَّخَعيُّ «نُصْب» برفعِ النونِ، وإسكانِ الصاد. وقرأ الحسَنُ، وأبو عُثمانَ النَّهديُّ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ «إلى نَصَبٍ» بفتحِ النونِ والصاد جميعاً. قال ابنُ قُتَيبَةَ: النُّصُب: حجرٌ يُنْصَبُ أو صَنَمٌ، يقال: نَصْب، ونُصْب، ونُصُب. وقال الفَرَّاءُ: النَّصْبُ والنُّصُبُ واحدٌ، وهو مصدر، والجمع: الأنصابِ. وقال الزَّجَّاجُ: النَّصْبُ، والنُّصُبُ: العَلَمُ المَنصُوبُ. قال الفَرَّاءُ: والإِيفَاضُ: الإِسرَاعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ قرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ، وعمرُو بنُ دِينارٍ «ذلَّة ذلك اليوم» بغيرِ تنوينٍ، وبخَفْضِ الميم. وباقي السُّورَةِ قد تقدَّمَ بيانه[3].

= ٢٧٠٧ وأحمد ٤/ ٢١٠ والطبراني ١١٩٣ من طرق عن حريز بن عثمان به. وأخرجه الطبراني ١١٩٤ من طريق ثور بن يزيد الرحبي عن عبد الرحمن بن ميسرة به. وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده صحيح؟! واضطرب الألباني فحسن إسناده في «الصحيحة» ١٠٩٩ في حين صححه برقم ١١٤٣؟!! ومما تمسك به الألباني قول أبي داود: شيوخ حريز كلهم ثقات، وفيما قاله نظر، فابن المديني نص على الرجل بعينه في حين عبارة أبي داود عامة، على أن علي المديني أثبت وأعلم في الرجال من أبي داود، وقاعدة أبي داود فيها نظر، فإن شعبة أثبت من حريز، وهو مع تعنته في الرجال روى عن ضعفاء ومثل هذا كثير.

-----

(١) الحاقة: ٣٨. (٢) الواقعة: ٦٠. (٣) المعارج: ٤٢.

سورة نوح

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأنْ أنذِرْ قومكَ. و«العذابُ الأليم»: الغَرَقَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وعليُّ بنُ نَصرٍ عن أبي عمرٍو «أنُ اعبدوا الله» بضمِّ النون. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، وعبدُ الوارثِ عن أبي عمرٍو «أنِ اعبدوا الله»، بكسرِ النون. قال أبو عليٍّ: مَنْ ضَمَّ كَرِهَ الكسرةَ قبلَ الضمَّةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في الحالين يعقوبُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِن» ها هنا صِلةٌ. والمعنى: يغفر لكم ذُنوبَكُم، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما دخلتْ «من» ها هنا لِتَختصَّ الذنوبَ مِنْ سائرِ الأشياء. ولم تدخلْ لِتبعيضِ الذنوبِ، ومثله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1] وذهب بعضُ أهلِ المعاني إلى أنها للتبعيضِ. والمعنى يغفِرْ لكم مِنْ ذُنوبِكُم إلى وقتِ الإيمان ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ أي: عن العذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو مُنتهى آجالِهم. والمعنى: فتَمُوتوا عند مُنتهى آجالِكم غيرَ مِيتَةِ المُعذَّبين ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه أَجَلُ الموت، قاله مُجاهِدٌ. فيكون المعنى: إنَّ أَجَلَ اللَّهِ الذي أَجَّلَكُم إليه لا يُؤَخَّرُ إذا جاء، فلا يُمكِنُكم حِينئذٍ الإيمانُ. **والثاني**: أنه أَجَلُ البَعثِ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: أَجَلُ

---

(١) الحج: ٣٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٠١: **﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾** أي: يمدّ في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة، كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر» وقوله: **﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾** أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمرَ الله تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

العذابِ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوٓا أَصَابِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨
ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم
مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ
لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ
وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا
يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝٢٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: تباعداً مِنَ الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿جَعَلُوٓا أَصَابِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لِئلاً يسمعوا صوتي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: غطَّوا بها وجوهَهم لِئلاً يَرَوْني ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على كُفرِهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بك واتِّباعي ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: أعلنتُ لهم بالدُّعاء. قال ابنُ عباس: بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أي: كرَّرتُ الدعاءَ مُعلِناً ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أُكلِّمُ الرجلَ بعد الرجلِ. في السِّرِّ، وأدعُوه إلى توحيدِكَ وعبادتكَ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ قال المُفسِّرون[1]: مَنَعَ الله عنهم القَطْرَ، وأعقَمَ أرحامَ نسائهم أربعين سنةً، فقال لهم نُوحٌ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشرك، أي: استَدْعُوا مغفرتَهُ بالتوحيد ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ قد شرحناه في أوَّلِ الأنعام[2] ومعنى الكلام أنه أخبرهم أنَّ الإيمان يجمع لهم خيرَ الدنيا والآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَرَوْنَ لله عَظَمةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تخافون لله عَظَمةً، قاله الفَرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: لا تَرَوْن لله طاعةً، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: لا تَرْجون عاقبةَ الإيمان والتوحيد، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: وقد جعل لكم في أنفسِكم آيةً تدل على توحيده مِنْ خلقه إيَّاكم مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ عَلقةٍ شيئاً بعدَ شيءٍ إلى آخر الخَلْقِ. قال ابنُ الأنباري: الطَّوْر: الحال، وجمعه: أطْوار. وقال ابنُ فارسٍ: الطَّوْر: التارةُ، طَوراً بعد طَورٍ، أي: تارةً بعد تارةٍ. وقيل: أراد بالأطْوارِ: اختلافَ

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٠١: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾** أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه. ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك، ولهذا قال: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** أي متواصلة الأمطار. ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء، لأجل هذه الآية. وهذا مقام الدعوة بالترغيب.

(٢) الأنعام: ٦.

المناظر والأخلاق، مِنْ طويلٍ، وقصيرٍ، وغيرِ ذلك، ثم قرَّرهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «طباقٍ» بتنوينِ القاف، وكسرها مِنْ غيرِ ألفٍ. وقد بيَّنَّا هذا في سُورَةِ المُلْك[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان[٢]: **أحدهما**: أن وَجهَ القمر قِبَل السمواتِ، وظهرَه قِبَل الأرض، يُضيءُ لأهل السمواتِ، كما يُضيءُ لأهلِ الأرض، وكذلك الشمسُ، هذا قولُ عبدِ الله بنِ عمرَ. **والثاني**: أنَّ القمرَ في السماء الدنيا. وإنما قيل: «فيهن» لأنهنَّ كالشيءِ الواحدِ، ذكره الأخفشُ والزَّجَّاجُ، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيتُ بني تَمِيم، وإنما أتيتَ بعضَهم، وركبتُ في السُّفن، قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يَستضِيءُ بها العالَمُ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أنَّ مبتدأَ خلقِكم مِنَ الأرض، وهو آدمُ ﴿نَبَاتًا﴾ قال الخليلُ: معناه: فَنبتُّم نباتاً، وقال الزَّجَّاجُ: «نباتا» محمولٌ في المصدر على المعنى، لأنَّ المعنى أنبتكم: جعَلَكم تَنبتُون نباتاً. قال ابنُ قُتَيبةَ: هذا مما جاء فيه المصدرُ على غيرِ المصدر، لأنه جاء على نَبتَ، ومثله ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٣] فجاء على «بتَّل».

قال الشاعر:

وخيرُ الأمْرِ ما استقبلتَ منـــه ... وليس بِأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّباعَا[٤]

فجاء على اتَّبعْتُ.

وقال الآخر:

وإنْ شِئْتُم تَعَاوَدْنا عُوادا

فجاء على «عاودنا»، وإنما تجيء المصادر مخالفةً للأفعال، لأنَّ الأفعال وإنِ اختلفت أبنيَتُها، واحدةٌ في المعنى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال الفرَّاءُ: هي الطُّرُقُ الواسعةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ «ووَلَدُه» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «وُلْده» بضمِّ الواو، وسكونِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: وهما بمعنىً واحدٍ، مثل العَرَب، والعُرْب، والعَجَم، والعُجْم. وقرأ الحَسَنُ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمَرَ، والجَحْدَريُّ: «وِوِلْده» بكسرِ الواو، وإسكانِ اللام. قال المُفسِّرون: المعنى: أنَّ الأتباعَ، والفقراءَ اتَّبعوا رَأْيَ الرؤساءِ والكُبراءِ.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٠٢: المقصود أن الله سبحانه **﴿خلق سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾** أي فاوت بينهما في الاستنارة، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدّر القمر منازل وبروجاً وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر، ليدل على مضي الشهور والأعوام. كما قال: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**.

(٣) المزمل: ٨.

(٤) البيت للقطامي، وهو في ديوانه ٣٥ و «اللسان» ـ تبع ـ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو عِمْرَانَ: «كُبَاراً» برفع الكاف، وتخفيفِ الباء. وقرأ أبو يَعمُرَ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ مُحَيصنٍ «كِبَاراً» بكسرِ الكاف مع تخفيف الباء والمعنى «كبيراً» يقال: كبير وكُبار وكُبَّار وقد شرحنا هذا في أوّل صَ. ومعنى «المَكر»: السَّعيُ في الفَسادِ: وذلك أنَّ الرؤساء مَنَعوا أتباعَهم عن الإيمان بنوح ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: لا تَدَعُنَّ عبادتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ بضمِّ الواو. والباقونَ بفتحِها. وهذا الاسم وما بعدَهُ أسماء آلِهتِهم. وجاء في التفسير أنَّ هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بينَ آدمَ ونُوحٍ، فنشأ قومٌ بعدهم يأخذون بأخذِهم في العبادة، فقال لهم إبليسُ: لو صَوَّرتُم صُوَرَهُمْ كان أنشطَ لكم، وأشوَقَ للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قومٌ بعدَهم، فقال لهم إبليسُ: إنَّ الذين مِنْ قبلكم كانوا يَعبُدونَهم، فعَبَدوهم وكان ابتداءُ عبادةِ الأوثان مِنْ ذلك الوقت. وسُمِّيت تلك الصورةُ بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المُسمَّين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدمَ، مات منهم واحدٌ، فجاء الشيطانُ فقال: هل لكم أن أُصوِّرَ لكم صورَتَهُ، فتذكرونَهُ بها؟ فصَوَّرها. ثم مات آخرُ، فصَوَّرَ لهم صورتَهُ، إلى أنْ صوَّرَ صوراً خمسة. ثم طال الزمانُ، وتركوا عبادةَ الله، فقال لهم الشيطانُ: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: مَنْ نعبدُ؟ قال: هذه آلهتُكم، وآلهةُ آبائكم، ألاَ ترونها مُصوَّرةً في مُصَلاَّكُم؟! فعَبَدُوها.

وقال الزَّجَّاجُ: هذه الأصنام كانت لقوم نُوحٍ، ثم صارت إلى العرب، فكان «ودّ» لكلب، و «سُوَاع» لهَمَدان، و «يَغُوث» لِمذْحِج، و «يَعُوقُ» لِكنانة و «نَسْر» لِحِميَر، وقال مُقاتِلٌ: إنما كان «سُوَاعٌ» لهُذَيل و «يَعُوقُ» لِهَمدَانَ «ويَغُوث» لبني غطيف، وهم حيٌّ مِنْ بني مُراد. وقيل: لمَّا جاء الطُّوفانُ غطَّى على هذه الأصنام وطَمَّها الترابُ، فلمَّا ظهرت بعد الطُّوفان صارت إلى هؤلاءِ المذكورين، قال الواقِديُّ: كان «وَدّ» على صورة رجلٍ، و «سُوَاعُ» على صورة امرأةٍ، و «يَغُوث» على صورةِ أَسَدٍ، و «يَعُوق» على صورة فَرسٍ، و «نَسْر» على صورة النَّسرِ مِنَ الطير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وقد أضَلَّت الأصنامُ كثيراً مِنَ الناس، أي: ضَلُّوا بسببها. **والثاني**: وقد أضلَّ الكُبراءُ كثيراً مِنَ الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ وهذا دعاءٌ مِنْ نُوحٍ عليهم، لِمَا أعلَمَه اللّهُ أنهم لا يؤمنون.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ «ما»: صلة. والمعنى من خطيآتهم: أي من أجلها، وسببها وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» وقرأ أبو الجَوزاءِ، والجَحْدَريُّ «خطيئتهم» مِنْ غير ألفٍ ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ قال ابنُ السَّائبِ: المعنى: سيدخلون في الآخرةِ ناراً، فجاء لفظُ الماضي بمعنى الاستقبال، لأنَّ الوعدَ حقٌّ، هذا قول الأكثرين. وقال الضَّحَّاكُ: فأُدخِلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كان يَغرَقون مِنْ جانبٍ، ويَحترِقون في الماء مِنْ جانبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يَمنعُهم مِنْ عذاب الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: أحداً. يُقال: ما بالمنازل دَيَّارٌ، أي: ما بها أحدٌ، وهو مِنَ الدَّار، أي: ليس بها نازلٌ داراً. وقال الزَّجَّاجُ: أصلها: «دَيْوار» فَيْعَال، فقُلِبت الواو ياءً، وأُدغِمتْ إحداهما في الأخرى. وإنما دَعا عليهم نُوحٌ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إليه أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ وذلك أنَّ الرجل منهم كان ينطلق بابنِه إلى نُوحٍ، فَيُحذِّره تصديقَهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ الله تعالى أخبَرَ نُوحاً أنهم لا يَلِدُون مؤمناً، فلذلك عَلِمَ الفاجرَ الخارجَ عن الطاعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال الحسَنُ: وذلك أنهما كانا مُؤمِنَين. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ، والجَحْدَريُّ، والجَوْنيُّ «ولوالِدي» ساكنةَ الياء على التوحيد. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، والزُّهريُّ، والنَّخعيُّ «ولولَدَيَّ» مِنْ غيرِ ألفٍ على التثنية، قوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ «بيتيَ» بفتح الياء. وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: منزِلُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَسجِدُه، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: سَفينَتُه، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا عامٌّ في كلِّ مَنْ آمن ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًۢا﴾ أي: هلاكاً ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[2].

---

(١) هود: ٣٦.
(٢) الفرقان: ٣٩.

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

كلُّها مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن
نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا
﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ
فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا
شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا
نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ
قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن
يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ
رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾
لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولِ هذه الآية في (الأحقاف)[1] وبيَّنَّا هنالك سببَ استماعِهم. ومعنى «النَّفر» وعَدَدَهم، فأمّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ فمعناه: بليغاً يُعجب منه لبلاغتِه ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: يدعو إلى الصَّواب مِنَ التوحيد والإيمان ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ﴾ أي: لن نَعْدِلَ بربِّنا أحداً مِنْ خَلْقِه. وقيل: عَنوا إبليسَ، أي: لا نُطيعه في الشِّركِ بالله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف القُرَّاءُ في اثنتي عشرة همزة في هذه السُّورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنّا ظننا»، «وأنه كان رجالٌ»، «وأنهم ظنوا»، «وأنّا لَمسنا»، «وأنّا كنّا»، «وأنّا لا ندري»، «وأنّا منّا»، «وأنّا ظننا أنْ لن نعجز الله»، «وأنّا لمّا سمعنا»، «وأنّا منّا»، ففتح

(١) الأحقاف: ٢٩.

الهمزةَ في هذه المواضع ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ عن عاصِم، ووافقَهُم أبو جعفرَ في ثلاثةِ مواضعَ «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنه كان رجال»، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرهن. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: «أن» بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: «إن» بالكسر، معطوف على قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ ربِّنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهنا. فأما مَنْ فتَح، فذكرَ بعضُ النَّحويين: يعني الفرَّاءَ، أنه معطوفٌ على الهاء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ وبأنه تعالى جَدُّ رَبِّنا. وكذلك ما بعدَ هذا. وهذا رديءٌ في القياس، لا يُعطَفُ على الهاء المُتمكِّنةِ المخفوضةِ إلاَّ بإظهار الخافضِ. ولكن وجهه أنْ يكونَ محمولاً على معنى آمنَّا به، فيكون المعنى: وصَدَّقْنا أنه تعالى جَدُّ رَبِّنا.

وللمفسِّرين في معنى ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُدْرَةُ رَبِّنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: غِنَى رَبِّنا، قاله الحسَنُ. **والثالث**: جَلالُ رَبِّنا، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ. **والرابع**: عَظَمَةُ رَبِّنا، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أَمْرُ رَبِّنا، قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: ارتفاع ذِكْرِه وعظمَتُه، قاله مُقاتِلٌ. **والسابع**: مُلْكُ رَبِّنا وثناؤه وسُلطانُه، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه إبليسُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كُفّارُهم، قاله مُقاتِلٌ. و «الشَّطَط»: الجَوْر، والكذب، وهو: وَصفُه بالشريكِ، والولَدِ، ثم قالت الجِنُّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وقرأ يعقوبُ: «أن لن تَقَوَّلَ» بفتحِ القاف، وتشديدِ الواو. والمعنى: ظننَّاهم صادِقِينَ في قولِهِم: لله صاحبةٌ وولَدٌ، وما ظننَّاهم يكذبون حتى سَمِعنا القرآنَ، يقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أنَّ الرجلَ في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قَفْرٍ مِنَ الأرض قال: أعوذُ بِسيِّدِ هذا الوادي مِنْ شَرِّ سُفَهاءِ قومِه، فيَبيتُ في جِوَارٍ منهم حتى يُصبحَ.

[١٤٩٢] ومنه حديثُ كردم بنِ أبي السَّائبِ الأنصاري، قال: خرجتُ مع أبي إلى المدينة في حاجةٍ، وذلك أول ما ذُكِرَ رسولُ الله ﷺ بمكّةَ، فآوانا المَبِيتُ إلى راعي غَنَمٍ، فلما انتصفَ الليلُ جاء ذِئبٌ، فأخذ حَمَلاً مِنَ الغَنم، فوثَبَ الراعي فنادى: يا عامرَ الوادي جارَكَ، فنادى مُنادٍ لا نراه: يا سرحانُ أرسِلْه. فإذا الحَمَلُ يشتدُّ حتى دخلَ في الغنمِ لم تُصِبْهُ كَدمَةٌ، فأنزل اللَّهُ تعالى على رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الآية.

[١٤٩٢] ضعيف جداً. أخرجه العقيلي ١/ ١٠١ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٦٤ من طريق فروة ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبد الرحمن بن إسحق، وهو ضعيف متروك، وأبوه إسحاق بن الحارث، ضعفه أحمد وغيره، ولم يرو عنه سوى ابنه. وقال ابن حبان: منكر الحديث، فلا أدري التخليط منه أو من ابنه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ ١٩١ ـ ١٩٢ وأبو الشيخ في «العظمة» ١١٢٢ من طريق القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٩ وقال: وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. والظاهر أنه خفي عليه حال أبيه إسحاق، وقد ضعفه أحمد وغيره كما نقل الذهبي في «الميزان» ١/ ١٨٩. الخلاصة: الإسناد ضعيف جداً، والمتن منكر.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ رَهقاً لِتعوُّذهم بهم، قاله مُقاتِلٌ. والمعنى: أنهم لمَّا استعاذوا بسادَتِهم قالت السادةُ: قد سُدْنا الجنَّ والإنسَ. **والثاني**: أنَّ الجنَّ زادوا الإنسَ رَهقاً، ذكره الزَّجَّاجُ. قال أبو عُبيدَةَ: زادوهم سَفهاً وطُغياناً. وقال ابنُ قُتيبَةَ: زادوهم ضلالاً. وأصلُ الرَّهَقِ: العَيب. ومنه يُقال: فُلان يَرهَقُ في دِينِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ بقول الله عزَّ وجلَّ: ظَنَّ الجنُّ ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الإنسُ المشركون أنه لا بَعْثَ. وقالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يَحرسُونها مِن استِراقِ السَّمع ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شِهاب، وهو النَّجمُ المضيءُ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: كُنَّا نستمع، فالآن حينَ حاولنا الاستماعَ بعدَ بَعْثِ محمَّدٍ ﷺ رُمينا بالشُّهُب. ومعنى «رَصَداً» قد أُرصِدَ له المَرمى به ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بإرسالِ محمَّدٍ إليهم، فيُكذِّبونه، فيَهلِكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أنْ يُؤمنوا فيَهتَدُوا، قاله مُقاتِلٌ.

والثاني: أنه قولُ كَفرةِ الجنِّ، والمعنى: لا ندري أَشَرٌّ أُريدَ بمَنْ في الأرض بحُدوثِ الرَّجْم بالكواكب، أَمْ صلاحٌ؟ قالِه الفَرَّاءُ. ثم أَخبَروا عن حالِهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ وهم المؤمنونَ المُخلصون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: المشركون. **والثاني**: أنهم أهلُ الشرِّ دونَ الشِّركِ ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: فِرَقاً مختلفةً أهواؤنا. وقال أبو عُبيدَةَ: واحدُ الطَّرائِقِ: طريقَة، وواحدُ القِدَدِ: قِدَّة، أي: ضُروباً وأجناساً ومِلَلاً. قال الحسَنُ، والسُّدِّيُّ: الجنُّ مِثلُكم، فمنهم قَدَريَّةٌ، ومُرْجِئةٌ، ورافِضَةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: أيقنَّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لن نَفُوتَه إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: أنه يُدركُنا حيثُ كنَّا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمَّدٌ ﷺ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: صدَّقنا أنه مِنْ عند الله عزَّ وجلَّ، ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أي: نَقصاً مِنَ الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ولا ظُلماً ومكروهاً يَغشاهُ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: المُخلصون لله ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ وهم المَرَدَةُ. قال ابنُ قُتيبةَ: القاسِطُون: الجائِرُون. يقال: قَسَطَ: إذا عَدِل، إذا جاوَرَ، وأَقسَطَ: إذا عدل. قال المُفسِّرون: هم الكافرون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: تَوخَّوه، وأَمُّوه. ثم انقطعَ كلامُ الجنِّ. قال مُقاتِلٌ: ثم رجع إلى كفَّارِ مكَّةَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعني: طريقة الهُدى، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ المُسيِّبِ، والحسَنِ، ومُجاهد وقتادة والسدِّي، واختاره الزجاج، قال: لأن الطريقة ها هنا بالألف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى: وذهب قوم إلى أن المراد بها طريقة الكُفرِ، قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ، والرَّبيعُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، وابنُ كَيسانَ. فعَلَى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لَوَسَّعنا عليهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ أي: لِنَختَبِرَهم ﴿فِيهِ﴾ فننظرَ كيف شُكرُهم. والماءُ الغَدَقُ: الكثير. وإنما ذكر الماءَ مثلاً، لأنَّ الخير كلَّهُ يكون بالمطرِ، فأُقيمَ مقامَهُ إذ كان سببَهُ.

وعلى الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكُفرِ فكانوا كفَّاراً كلُّهم، لأَكثرنا لهم المالَ لِنَفتِنَهم فيه عقوبةً واستدراجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماءَ فأغرقناهم، كقوم نُوحٍ، قوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «نسلكه» بالنون. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ يسلكه بالياء. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي:

عذاباً شاقاً. يُقال: تصعَّدني الأمرُ: إذا شَقَّ عليَّ. ومنه قول عمرَ: ما تَصَعَّدَني شيءٌ ما تصعَّدتني خِطْبَةُ النِّكاح. ونرى أصلَ هذا كلّه مِنَ الصّعود، لأنه شاقٌ، فكُنِي به عن المَشقّات. وجاء في التفسير أنه جبلٌ في النار يُكلَّف صعوده، وسنذكره عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[1] إنْ شاء الله تعالى.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المساجد التي هي بيوتٌ للصَّلوات، قاله ابنُ عباس. قال قَتادةُ: كانت اليهود والنَّصارى إذا دخلوا كنائِسَهم وبِيَعَهُم أشركوا، فأمرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ المسلمين أنْ يخلصوا له إذا دخلوا مساجدَهم. **والثاني**: الأعضاءُ التي يَسجُدُ عليها العبدُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ الأنباري، وذكره الفَرَّاءُ. فيكون المعنى، لا تسجدوا عليها لغيره. **والثالث**: أنَّ المراد بالمساجد ها هنا: البِقاعُ كلُّها، قاله الحَسَنُ. فيكون المعنى: أنَّ الأرضَ كلَّها مواضعُ للسجود، فلا تسجُدوا عليها لغيرِ خالِقها. **والرابع**: أنَّ المساجدَ: السجود، فإنها جمعُ مسجدٍ. يُقال: سجدتُ سُجوداً، ومَسْجِداً، كما يُقال: ضربتُ في الأرض ضرباً، ومَضرِباً، ثم يُجمع، فيُقال: المَساجِد، والمَضارِب. قال ابنُ قُتَيبة: فعَلَى هذا يكون واحدها: مَسْجَداً، بفتح الجيم. والمعنى: أخلِصُوا له، ولا تسجدوا لغيره. ثم رجعَ إلى ذكرِ الجِنِّ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني محمَّداً ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يَعبُده. وكان يصلي ببطنِ نَخْلةَ على ما سبق بيانُه في الأحْقاف[2] ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قرأ الأكثرون: بكسرِ اللام، وفتح الباء. وقرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ، وابنُ مُحَيصنٍ «لُبَداً» بضمِّ اللام، وفتحِ الباء مع تخفيفِها. قال الفَرَّاءُ: ومعنى القراءتين واحدٌ. يُقال: لِبَدة، ولُبَدة. قال الزَّجّاجُ: والمعنى: كادوا يركبُ بعضُهم بعضاً. ومنه اشتقاقُ اللِّبْد الذي يُفتَرَش. وكلُّ شيءٍ أضفتَهُ إلى شيءٍ فقد لَبَّدتَهُ. وقرأ قومٌ منهم الحسَنُ، والجَحْدَريُّ: «لُبَّداً» بضمِّ اللام مع تشديد الباء. قال الفَرَّاءُ: فعلى هذه القراءة تكون صفةً للرجال، كقولكَ: رُكَّعاً وركوعاً، وسُجَّداً وسجوداً. وقال الزَّجّاجُ: هو جمعُ لابِدٍ، مثل راكِعٍ، ورُكَّعٍ.

وفي معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه مِنْ إخبار الله تعالى عن الجِنِّ يَحكي حالَهم.

---

(١) المدثر: ١٧. (٢) الأحقاف: ٢٩.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٢٧٣: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله. =

والمعنى: أنه لمَّا قام يصلي كاد الجنُّ لازدحامِهم عليه يركبُ بعضُهم بعضاً، حِرْصاً على سماع القرآن، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه مِنْ قول الجنِّ لقومِهم لمَّا رجعوا إليهم، فوَصَفوا لهم طاعةَ أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامَهم به في الركوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لمَّا قام يصلي كادَ أصحابُه يكونون عليه لِبَداً. وهذا المعنى في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المعنى: لمَّا قام رسولُ الله ﷺ بالدَّعوة تلبَّدت الإنسُ والجِنُّ، وتظاهروا عليه، لِيُبطلوا الحقَّ الذي جاء به، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ «قل إنما أدعو ربي» بغير ألفٍ. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبيِّ ﷺ. قال مُقاتِلٌ: إنَّ كفَّار مكَّةَ قالوا للنبيِّ ﷺ: إنكَ جِئتَ بأمرٍ عظيمٍ لم يُسمَعْ بمثلِه فارجِعْ عنه، فنزلت هذه الآية[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: لا أدفعُه عنكم ﴿وَلَا﴾ أسوقُ إليكم ﴿رَشَدًا﴾ أي: خيراً، أي: إنَّ الله تعالى يملكُ ذلك، لا أنا ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: إنْ عصيتُه لم يمنعني منه أحدٌ، وذلك أنهم قالوا له: اترُكْ ما تدعو إليه ونحن نُجيرُكَ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قد بيَّنَّاه في الكهف[2] قوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان، ذكرهما الفرَّاءُ: **أحدهما**: أنه استثناءٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا أن أبلغكم. **والثاني**: لن يُجيرني مِنَ الله أحدٌ إنْ لم أبلِّغ رسالتَهُ. وبالأول قال ابنُ السَّائبِ. وبالثاني قال مُقاتِلٌ. وقال بعضُهم: المعنى: لن يُجيرَني مِنْ عذاب الله إلاَّ أنْ أُبلِّغَ عن الله ما أُرسِلْتُ به، فذلك البلاغُ هو الذي يُجيرُني. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله عز وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ﴾ يعني: الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أي: جُنداً ونصيراً، أهُمْ، أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وبُعْداً. وذلك لأنَّ عِلْمَ الغيبِ لله وحدَهُ ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي: فلا يُطْلِع على غيبِه الذي يعلمه أحداً مِنَ الناس ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأنَّ مِنَ الدليل على صِدقِ الرُّسل إخبارَهم بالغيبِ. والمعنى: أنَّ من ارتضاه للرسالة أطْلَعَه على ما شاء مِنْ غيبِه. وفي هذا دليلٌ على أنَّ مَنْ زعم أن النجوم تدلُّه على الغيب فهو كافرٌ. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يُطْلِع عليه الرسولَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: مِنْ بين يدي الرسولِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي: يجعل له حَفَظَةً مِنَ الملائكة يحفظون الوحيَ مِنْ أن يسترِقَهُ الشياطينُ، فتُلقيه إلى الكَهَنة، فيتكلَّمون به قبل أنْ يخبرَ النبيُّ ﷺ الناسَ. وقال الزَّجَّاجُ يَسلُك

= ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١٠: واختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده **﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي قال لهم رسول الله ﷺ** لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته: **﴿إنما أدعو ربي﴾** أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه.

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

(٢) الكهف: ٢٧.

مِنْ بين يدي الوحي. والرُّصَدُ مِنَ الملائكة يدفعون الشياطين عن أنْ تستمعَ ما ينزل مِنَ الوحي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: لِيعلمَ محمَّدٌ ﷺ أنَّ جبرائيلَ قد بلَّغ إليه، قاله ابنُ جُبيرٍ. **والثاني**: لِيعلَمَ محمَّدٌ ﷺ أنَّ الرسل قبلَه ﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ وأنَّ الله قد حَفِظَها فدفعَ عنها، قاله قَتادَةَ. **والثالث**: لِيعلمَ مُكذِّبو الرسل أنَّ الرسلَ قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: لِيعلمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ذلك موجوداً ظاهراً يجبُ به الثوابُ، فهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾[2] قاله ابنُ قُتيبةَ. **والخامس**: لِيعلمَ النبيُّ أنَّ الرُّسلَ قد أتَتْهُ، ولم تُصَلْ إلى غيره، ذكره الزَّجّاجُ. وقرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «لِيُعْلَم» بضمِّ الياء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه. وقال ابنُ قُتيبةَ: ويُقرأ «لتَعْلَم» بالتاء، يريد: لِتعلمَ الجِنُّ أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغتْ عن إلَهِهم بما رَجَوْا مِن استِراقِ السَّمعِ، قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: عَلِمَ الله ما عندَ الرُّسلِ ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ فلم يَفُتْهُ شيءٌ حتى الذَّرِّ والخَردَلِ.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٢٧٧: وأولى الأقوال عندنا بالصواب قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

سورة المزمل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

وهي مكيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إلاَّ أنه قد رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: سِوى آيتين منها، قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدها(١). وقال ابنُ يسارٍ، ومُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ② نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ③ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ⑦ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ⑧ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ⑨ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ⑩ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ⑪ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ⑫ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ⑬ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ⑭ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ⑮ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ⑯ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ⑰ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ⑱﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو العاليةِ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمرانَ، والأعمَشُ «المتزمِّل» بإظهارِ التاء. وقرأ عِكرمَةُ، وابنُ يَعمُرَ: «المُزمل» بحذف التاء، وتخفيفِ الزاي. قال اللغويون: «المُزَّمِّل» المُلْتَفُّ في ثيابه، وأصله «المُتزمِّل» فأُدغِمت التاءُ في الزاي، فثُقِّلت. وكلُّ مَنِ التَفَّ بثوبه فقد تزمَّلَ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما أُدغِمتْ فيها لِقُربها منها.

[١٤٩٣] قال المُفسِّرون: وكان النبيُّ ﷺ يتزمَّلُ في ثيابه في أولِ ما جاء جبريلُ فَرَقاً منه حتى أَنِسَ به. وقال السُّدِّيُّ: كان قد تزمَّل للنَّوم. وقال مُقاتِلٌ: خرج مِنَ البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جِبريلُ: يا

[١٤٩٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٦ ومسلم ١٦٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٥ من حديث عائشة مطوّلاً، وتقدّم في «الجزء الأول من هذا الكتاب». وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٩٨ بتخريجنا.

---

(١) المزمل: ١٠ ـ ١١.
(٢) المزمل: ٢٠.

أيُّها المُزَّمِّلُ. وقيل: أُريد به مُتَزَمِّل النُّبوةِ. قال عِكرمَةُ في معنى هذه الآية: زُمِّلْتَ هذا الأمرَ، فَقُمْ به. وقيل: إنما لم يُخاطَبْ بالنبيِّ والرسولِ ها هنا، لأنه لم يكن بَعْدُ قد بلغ، وإنما كان في بَدْءِ الوحي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ أي: للصلاة. وكان قيامُ الليل فرضاً عليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ﴾ هذا بدلٌ مِنَ الليل، كما تقول: ضربتُ زيداً رأسَه. فإنما ذكرتَ زيداً لتوكيدِ الكلام، لأنه أوكدُ مِنْ قولك: ضربتُ رأسَ زيدٍ. والمعنى: قُمْ مِنَ الليل النِّصفَ إلاَّ قليلاً، وهو قوله: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أي: مِنَ النِّصف ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: على النِّصف. قال المُفسِّرون: انقُص مِنَ النِّصف إلى الثُّلثِ، أو زِدْ عليه إلى الثُّلثين، فجعلَ له سَعَةً في مدَّةِ قيامه، إذا لم تكن محدودةً، فكان يقوم ومعه طائفةٌ مِنَ المؤمنين فشقَّ ذلك عليه وعليهم، فكان الرجلُ لا يدري كم صلى، وكم بقي مِنَ الليل، فكان يقوم الليلَ كلَّه مخافةَ أن لا يحفظَ القَدْرَ الواجبَ فنُسِخَ ذلك عنه وعنهم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية، هذا مذهب جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. وقالوا: ليس في القرآن سورةٌ نَسَخَ آخِرُها أولَها سوى هذه السورة. وذهب قومٌ إلى أنه نُسِخَ قيامُ اللَّيلِ في حقِّه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[1] ونُسِخَ في حقِّ المؤمنين بالصلواتِ الخَمْسِ وقيل: نُسِخَ عن الأمَّةِ، وبقي فرضُه عليه أبداً. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دُونَهم. وفي مدَّةِ فرضِه قولان: **أحدهما**: سَنَةٌ، قال ابنُ عباسٍ: كان بين أولِ (المزَّمِّل) وآخرِهَا سَنَةٌ. **والثاني**: ستةَ عشرَ شهراً، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قد ذكرنا التَّرتيلَ في الفرقان[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثِقَلِه ستةُ أقوالٍ[3]:

[١٤٩٤] **أحدها**: أنه كان يَثقُلُ عليه إذا أُوحِيَ إليه، وهذا قولُ عائشةَ رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُه ينزل عليه في اليوم الشديدِ البَردِ، فيَفصِمُ عنه، وإنَّ جبينَهُ لَيَتفصَّدُ عَرقاً.

والثاني: أنَّ العمل به ثقيلٌ في فروضِه وأحكامِه، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: أنه يَثقُلُ في

[١٤٩٤] صحيح. وهو قطعة من حديث عائشة في خبر مطول.
أخرجه البخاري ٢ والترمذي ٣٦٣٨ والنسائي ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧ وأحمد ٦/ ٢٥٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٧ وفي «الدلائل» ٧/ ٥٢ ـ ٥٣ وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ٢٧٩ من طرق عن مالك. وأخرجه مالك ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ والبغوي في «شرح السنة» ٣٦٣١ عن هشام بن عروة به. وأخرجه البخاري ٣٢١٥ ومسلم ٢٣٣٣ وأحمد ٦/ ١٥٨ والبيهقي في «الأسماء» ٤٢٦ والحميدي ٦/ ٢٥ من طرق عن هشام بن عروة به.

---

(١) الإسراء: ٧٩. (٢) الفرقان: ٣٢.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٢٨١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه. وقال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٣٢٨: والقول: ثقله على النبي ﷺ كان يلقيه الملك إليه هو الأولى لأنه جاء: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨].

الميزان يومَ القيامة، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه المَهِيبُ، كما يُقال للرجل العاقل: هو رَزِينٌ راجِحٌ، قاله عبدُ العزيز بنُ يَحيى. **والخامس**: أنه ليس بالخفيفِ ولا السَّفْسافِ، لأنه كلام الربِّ عزَّ وجلَّ، قاله الفَرَّاءُ. **والسادس**: أنه قولٌ له وزنٌ في صحتِه وبيانِه ونفعِه، كما تقول: هذا كلامٌ رَصِينٌ، وهذا قولٌ له وزنٌ: إذا استَجَدْتَهُ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ: هي قيام الليل بلسانِ الحَبشةِ. وهل هي في وقتٍ مخصوصٍ مِنَ الليل، أَمْ في جميعه؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها في جميع الليل. ورَوى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: الليل كلُّه ناشِئةٌ. وإلى هذا ذهب اللغويون. قال ابنُ قُتَيبةَ: ناشِئةُ الليل: ساعاتُه الناشِئةُ، مِنْ نَشأتْ: إذا ابتَدأتْ. وقال الزَّجَّاجُ: ناشِئةُ الليل: ساعاتُ الليل، كلُّ ما نَشأَ منه، أي: كلُّ ما حدثَ. قال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: كأنَّ المعنى: إنَّ صلاة ناشئةِ الليلِ، أو عملَ ناشئةِ الليلِ.

والثاني: أنها في وقتٍ مخصوصٍ مِنَ الليل. وفيه خمسةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها ما بين المَغربِ والعشاءِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. **والثاني**: أنها القيامُ بعد النوم، وهذا قولُ عائشةَ، وابنِ الأعرابي. وقد نَصَّ عليه الإمام أحمدُ في رواية المَروذي. **والثالث**: أنها ما بعدَ العِشاء، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وأبو مِجْلَزٍ. **والرابع**: أنها بَدْءُ الليل، قاله عَطاءٌ، وعِكرِمَةُ. **والخامس**: أنها القيام مِنْ آخر الليل، قاله يَمانُ، وابنُ كَيْسانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هِىَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو عمرو «وِطاء» بكسرِ الواو مع المدِّ، وهو مصدرُ وَاطأت فُلاناً على كذا مُواطَأَةً، وأراد أنَّ القراءة في الليل يَتواطَأُ فيها قلبُ المُصلِّي ولسانُه وسَمعُه على التفهُّم للقرآن والإحكام لتلاوتِه. ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[(٢)]. وقرأ الباقون «وَطأً» بفتحِ الواو مع القَصْرِ. والمعنى: إنه أثقلُ على المُصلِّي مِنْ ساعات النهار، مِنْ قول العرب: اشتَدَّتْ على القوم وطْأَةُ السلطان: إذا ثَقُلَ عليهم ما يلزمهم.

[١٤٩٥] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «اللهُمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر». ذكر معنى القراءتين ابنُ قُتَيبةَ. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ «أشد وَطَاء» بفتح الواو، والطاء، وبالمَدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: أخلَصُ للقول وأسمَعُ له، لأنَّ الليل تَهدأُ فيه الأصواتُ فتَخلُصُ القراءةُ، ويَفرغُ القلب لِفَهمِ التلاوة، فلا يكون دونَ سمعِه وتَفَهُّمِه حائلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ أي: فراغاً لِنَومكَ وراحتِكَ، فاجعَلْ ناشئةَ الليل

[١٤٩٥] متفق عليه، وتقدّم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١٤: والغرض: أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآنات والمقصود: أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

(٢) التوبة: ٣٧.

بعبادتِكَ، قاله ابنُ عباسٍ، وعَطاءٌ. وقرأ يَحيى بنُ يَعمُرَ، وابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ «سبخاً» بالخاء المُعجمةِ. قال الزَّجّاجُ: ومعناها في اللغة صحيحٌ. يُقال سَبَختُ القطنَ بمعنى نَفشتُه. ومعنى نَفَشتُه: وسَّعتُه، فيكون المعنى: إنَّ لكَ في النهارِ توسُّعاً طويلاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: بالنَّهار أيضاً ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ قال مُجاهِدٌ: أخلِصْ له إخلاصاً. وقال ابنُ قُتيبةَ: انقطِعْ إليه، مِنْ قولكَ: بَتَلتُ الشيءَ: إذا قطعتَه. وقال الزَّجّاجُ: انقطِعْ إليه في العبادة. ومنه قيلَ لِمريمَ: البَتُول، لأنها انقطعَتْ إلى الله عزَّ وجلَّ في العبادة. وكذلك صدَقةٌ بَتْلةٌ: مُنقطعةٌ مِنْ مال المُصَّدِّق. والأصل في مصدر تبتَّل تبتيلاً. وإنما قوله عزَّ وجلَّ «تبتيلاً» محمولٌ على معنى: تبتَّل، ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَفصٌ عن عاصِمٍ «ربُّ» بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ بالخفضِ. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ التكذيب لكَ والأذى ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ لا جزَعَ فيه. وهذه الآية عند المُفسِّرين منسوخةٌ بآية السيف، ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: لا تهتمَّ بهم، فأنا أكفيكَهُم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ يعني: التَّنعُّم.

وفيمن عُني بهذا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المُطعِمون بِبَدْرٍ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والثاني**: أنهم بَنو المُغيرةِ بنِ عبد الله، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والثالث**: أنه المستهزئون، وهم صَناديدُ قريشٍ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ قالت عائشةُ: فلم يكن إلاَّ اليسيرُ حتى كانت وقعةُ بدرٍ، وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية السيف، وليس بصحيحٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا﴾ وهي القُيودُ، واحدها: نِكْل. وقد شرحنا معنى «الجحيم» في البقرة[1] ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ وهو الذي لا يَسوغُ في الحَلْقِ. وفيه للمُفسِّرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه شَوكٌ يأخذ الحَلْقَ فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمةُ. **والثاني**: الزَّقُّوم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الضَّريع، قاله الزَّجّاجُ. **والرابع**: الزَّقُّوم والغِسْلين والضَّريعُ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ قال الزَّجّاجُ: هو منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا﴾ والمعنى: ينكِّلُ الكافرين ويُعذِّبهم ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تُزلزَل وتُحرَّكُ أغلظَ حركةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ قال مُقاتِلٌ: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة ﴿كَثِيبٗا﴾ قال الفرَّاءُ: «الكَثيب»: الرَّمل. و «المَهيل»: الذي تحرِّكُ أسفَلَه، فيَنهال عليكَ مِنْ أعلاه. والعرب تقول: مَهِيل ومَهيول، ومَكِيل ومَكيول. وقال الزَّجّاجُ: الكَثيبُ جمعه: كُثبان، وهي: القِطع العِظام مِنَ الرَّملِ. والمَهيلُ: السائل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعني أهل مكَّةَ ﴿رَسُولٗا﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ بالتبليغ وإيمانِ مَنْ آمنَ، وكُفر مَنْ كَفرَ وعصى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ وهو موسى **عليه السلام**. والوَبيل: الشديد. قال ابنُ قُتيبةَ: هو مِنْ قولكَ: استوبَلتُ إذا استوخمته المكانَ ويُقال: **كَلأٌ مُستَوبَلٌ**

---

(١) البقرة: ١١٩.

أي: لا يُستَمرَأ. قال الزَّجَّاجُ: الوَبِيل: الثقيلُ الغليظُ جداً. ومنه قيل للمطرِ العظيم: وَابِل. قال مُقاتِلٌ: والمراد بهذا الأَخْذِ الوَبيلِ: الغرقُ. وهذا تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ أن ينزلَ بهم العذابَ لِتكذيبِهم، كما نزلَ بفِرعَونَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ أي: عذابَ يوم. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: بأيِّ شيءٍ تتحصَّنُون مِنْ عذاب يومٍ مِنْ هَولِه يَشيبُ الصغير مِنْ غيرِ كِبَرِ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ «نجعل الوِلدان» بالنون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: السماء تُذكَّر وتؤنَّث. وهي ها هنا في وجهِ التذكير. قال الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إليهِ قوماً ... لَحِقْنا بالسَّماءِ مَعَ السَّحابِ

قال الزَّجَّاجُ: وتذكيرُ السماء على ضربين: **أحدهما**: على أنَّ معنى السماء معنى السَّقفِ. **والثاني**: على قولِهم: امرأةٌ مُرضِعٌ على جهة النَّسَبِ. فالمعنى: السماءُ ذاتُ انفِطارٍ، كما أنَّ المُرضعَ ذاتُ الرَّضاع. وقال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى الآيَة: السماءُ مُنْشَقٌّ به، أي: فيهِ، يعني في ذلك اليوم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ وذلك أنه وعيدٌ بالبعثِ، فهو كائنٌ لا مَحالةَ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: تذكيرٌ وموعِظةٌ ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأهلُ الكُوفة بفتحِ الفاء والثاء. والباقون: بكسرهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقادِيرَهما، فيعلَمُ القَدْرَ الذي تقومُونَهُ مِنَ الليل ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: لن تُطِيقوا قيامَ ثُلُثَي الليل، ولا ثُلثَ الليل، ولا نِصفَ الليل، قاله مُقاتِلٌ.

والثاني: لن تَحفظوا مواقيتَ الصلاة، قاله الفَرَّاءُ، قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عادَ عليكم بالمغفرةِ والتخفيفِ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يعني: في الصلاة، مِنْ غير أن يوقِّت وقتاً. وقال الحسَنُ: هو ما يقرأ في صلاة المَغربِ والعِشاءِ. ثم ذكرَ أعذارَهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يُطيقون قيامَ الليل ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم المسافرون للتجارة ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: مِنْ رِزقه فلا يُطيقون قيامَ الليل ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون فلا يُطيقونَ قيامَ

الليل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ ذكروا أنَّ هذا نُسِخَ عن المسلمين بالصلواتِ الخَمْس، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلواتِ الخمسَ في أوقاتِها[1] ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه[2]. قال ابنُ عباسٍ: يريد سِوى الزَّكاةِ في صِلَةِ الرَّحِم وقِرَى الضَّيفِ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابَه في الآخرة. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: المعنى: تجدوه خيراً. قال الزَّجَّاجُ: ودخلت «هو» فَصْلاً. وقال المُفسِّرون: ومعنى «خيراً» أي: أفضل مما أُعطِيتُم؛ ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ مِنَ الذي تُؤخِّرونه إلى وقتِ الوصيَّةِ عند الموت.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥١٨: وقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرَج لم تبيَّن إلا بالمدينة، والله أعلم.

(٢) الحديد: ١٨.

سُورَةُ المُدَّثِّر

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

وهي مكيَّة بإجماعِهم

قال مُقاتِلٌ: فيها مِنَ المدني آيةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ
(٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ
يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
(١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ
(٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ
(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

فأمَّا سببُ نزولِها، رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في صحيحيهما مِنْ حديث جابرِ بن عبدِ الله قال:

[١٤٩٦] حدَّثنا رسولُ الله ﷺ قال: جاورتُ بِحِراءَ شهراً، فلما قضيتُ جِواري نزلتُ فاستبْطَنتُ

[١٤٩٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٣ و ٤٩٢٤ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٧ و ٢٥٨ وأحمد ٣/ ٣٠٦ و ٣٩٢ والطبري ٣٥٣٠٩ وابن حبان ٣٤ و ٣٥ وأبو عوانة ١/ ١١٢ و ١١٤ و ١١٥ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦ من طرق عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: إنهم =

---

(١) المدثر: ٣١.

بطنِ الوادي، فنُوديتُ فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نُوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو في الهواءِ، يعني: جبريل عليه السلام، فأقبَلتُ إلى خديجةَ، فقلتُ: دَثِّروني دَثِّروني، فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

[١٤٩٧] قال المُفسِّرون: فلمَّا رأى جبريلَ وقعَ مَغشِياً عليه، فلمَّا أفاقَ دخل إلى خديجةَ، ودَعا بماءٍ فصَبَّهُ عليه، وقال: دَثِّروني، فدَثَّروه بقَطِيفةٍ، فأتاه جِبريلُ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمرانَ، والأعمَشُ «المتدثِّر» بإظهارِ التاء، وقرأ أبو رَجاءٍ، وعِكرِمَةُ، وابنُ يَعْمَرَ «المدثر» بحذفِ التاء، وتخفيفِ الدال. قال اللغويون: وأصل «المدَّثِّر» المُتدثِّر، فأُدغِمت التاءُ، كما ذكرنا في المُتزمِّل، وهذا قولُ الجمهور مِنَ التَّدثيرِ بالثياب، وقيل المعنى: يا أيُّها المُدَّثِّرِ بالنُّبوةِ، وأثقالِها. قال عِكرِمَةُ: دُثِّرتَ هذا الأمرَ فقُمْ به..

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كفَّارَ مكَّةَ العذابَ إنْ لم يُوَحِّدوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ عما يقول عَبَدَةُ الأوثان ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: لا تَلبَسْها على معصيةٍ، ولا على غَدْرٍ. قال غَيْلانُ بنُ سَلَمةَ الثَّقَفيُّ:

وَإنِّي بِحَمْدِ اللهِ لاَ ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ[٢]

رَوى هذا المعنى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: لا تكُن ثيابُكَ مِنْ مكسبٍ غيرِ طاهرٍ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

والثالث: طَهِّر نَفْسَكَ مِنَ الذنبِ، قاله مُجاهِدٌ! وقَتادَةُ. ويشهد له قولُ عَنْترةَ:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ... لَيسَ الكَريمُ عَلَى القَنا بِمُحَرَّمِ

أي: نفسه، وهذا مذهب ابنِ قُتيبةَ. قال: المعنى: طَهِّرْ نفسكَ مِنَ الذنوب، فكَنَّى عن الجسم

= يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ؛ قال: «جاورت...» الحديث، وفيه «وصبوا عليّ ماء بارداً». وأخرجه البخاري ٤ و ٣٢٣٨ و ٤٩٢٥ و ٤٩٥٤ و ٦٢١٤ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٥ وأحمد ٣/ ٣٠٦ والترمذي ٣٣٢٥ والطبري ٣٥٣٠٧ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٣٨ و ١٥٦ وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ٢٧٨ من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به.

[١٤٩٧] انظر ما قبله.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢١ ﴿وثيابك فطهر﴾ أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويطهر ثيابه. وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب. وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٤٠: ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين: أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب لغلام من الأنصار: وقد رأى ذيله مسترخياً: يا غلام، ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى اهـ. والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهر منها صحيح فيها.

(٢) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي، كما في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ٥٩ و «تفسير الطبري» ١٢/ ٢٩٨ و «اللسان» ـ ثوب ـ.

بالثياب، لأنها تشتملُ عليه. قالت لَيلى الأخْيَليَّةُ وذَكَرَتْ إبلاً:

رَمَوْهـا بـأثـوابٍ خِـفَـافٍ فـلا تـرى ... لَـهـا شَـبَـهـاً إلاَّ الـنَّـعَـامَ الـمُـنَـفَّـرا

أي: رَكِبوها، فرَمَوْها بأنفسِهم! والعرب تقول للعَفافِ: إزارٌ، لأنَّ العَفيفَ كأنه استتَرَ لمَّا عَفَّ. **والرابع**: وعَمَلَكَ فَأَصْلِحْ، قاله الضَّحَّاكُ. **الخامس**: خُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسَنُ، والقُرَظيُّ. **والسادس**: وَثِيَابَكَ فَقَصِّرْ وشَمِّرْ، قاله طَاوُسٌ. **والسابع**: قَلْبَكَ فَطَهِّرْ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. ويشهدُ له قولُ امرئِ القَيسِ.

فَـإنْ تـكُ قَـدْ سـاءَتْـكِ مِـنّـي خَـلِـيـقَـةٌ ... فَـسُـلّـي ثِـيـابِـي مِـنْ ثِـيَـابِـكِ تَـنْـسُـلِ

أي: قلبي مِنْ قلبِكِ.

والثامن: اغسِلْ ثيابَكَ بالماء، ونَقِّها، قاله ابنُ سِيْرِينَ، وابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قرأ الحسَنُ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ، وعاصِمٌ إلاَّ أبا بكرٍ، ويعقوبُ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، وابنُ السَّمَيفَع «والرُّجز» بضمِّ الراء. والباقون بكسرِها. ولم يختلفوا في غيرِ هذا الموضع. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى القراءتين واحدٌ. وقال أبو عليٍّ: قراءةُ الحسَنِ بالضمِّ، وقال: هو اسمُ صَنَمٍ. وقال قَتَادَةُ: صَنمانِ: إساف، ونائِلَة. ومَنْ كَسرَ، الرِّجز: العذاب. فالمعنى: ذو العذابِ فاهجُرْ.

وفي معنى: «الرِّجز» للمفسِّرين فيه ستةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابنُ عباسٍ. ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ وقَتادَةُ، والزُّهريُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه الإثْمُ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الشركُ، قاله ابنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: الذَّنْبُ، قاله الحَسَنُ. **والخامس**: العذابُ، قاله ابنُ السَّائِبِ. قال الزَّجَّاجُ: الرِّجزُ في اللغة: العذاب، ومعنى الآية: اهجُرْ ما يُؤدِّي إلى عذاب الله. **والسادس**: الشيطان، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: لا تُعطِ عطيَّةً تلتمس بها أفضلَ منها، قاله

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢١: **﴿والرجز فاهجر﴾** على كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك، كقوله: **﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾**، **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٠٣: وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح. قال: وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه بالجدّ في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها.

وقال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٢٤٢: وأما من قال: أراد به العمل، أي لا تستكثر به على ربك فهو صحيح، فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر.

وأما قوله: **«لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها»** فهذا لا يليق بالنبي ﷺ وقد قال تعالى: **﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾** [الروم: ٣٩]. وقد روي عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها. وفي الحديث: «لو دعيت إلى كُراع لأجبت ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت». قلت: صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٦٨ و ٥١٧٨ وأحمد ٢/ ٤٢٤ وابن حبان ٥٢٩١ من حديث أبي هريرة وأخرجه الترمذي ١٣٣٨ وصححه ابن حبان ٩٢٩٢ من حديث أنس، وفي الباب من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٥١٧٩ =

ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وقَتادةُ. قال المفسِّرون: معناه: أَعْطِ لِربِّكَ وأرِدْ به الله، فأدَّبَهُ بأشرفِ الآداب. ومعنى «لا تَمنُنْ»: لا تُعطِ شيئاً مِنْ مالِكَ لِتُعطَى أكثرَ منه. وهذا الأدبُ للنبيِّ ﷺ خاصَّةً، وليس على أحدٍ مِنْ أُمَّتِه إثمٌ أنْ يهديَ هديةً يرجو بها ثواباً أكثرَ منها. **والثاني**: لا تَمنُنْ بعملكَ تستكثِرُه على ربِّكَ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لا تَضعُفْ عن الخير أنْ تستكثرَ منه، قاله مُجاهِدٌ. والرابع: لا تَمنُنْ على الناس بالنُّبُوَّة لِتأخذَ عليها منهم أجراً، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عز وجلَّ: ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأجلِ ربِّكَ. **والثاني**: لِثوابِ ربِّكَ. **والثالث**: لأمرِ ربِّكَ. **والرابع**: لِوَعْدِ ربِّكَ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على طاعتِه وفرائضِه. **والثاني**: على الأذى والتكذيب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ أي: نُفِخَ في الصُّوَرِ. وهل هذه النَّفخةُ هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: تعسَّر الأمرُ فيه ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ غير هَيِّنٍ، قوله: ﴿ذَرْنِى﴾ قد شرحناه في المُزَّمِلِ[1] ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي: ومَنْ خَلقتُه ﴿وَحِيدًا﴾ فيه قولان[2]: **أحدهما**: خَلقتُه وحيداً في بطنِ أُمِّهِ لا مالَ له ولا ولدَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: خَلقتُه وَحدِي لم يَشرُكني في خَلْقِهِ أحَدٌ، قاله الزَّجَاجُ.

[١٤٩٨] قال ابنُ عباسٍ: جاء الوليدُ بنُ المُغيرةِ إلى النبيِّ ﷺ فقرأ عليه القرآنَ، فكأنه رَقَّ له، فبلغَ ذلك أبا جَهلٍ، فأتاه، فقال: يا عَمِّ إنَّ قومكَ يريدون أنْ يجمعوا لكَ مالاً، فإنكَ أتيتَ محمَّداً تتعرَّض لِمقالتِه، فقال: قد علمتْ قريشُ أني مِنْ أكثرِها مالاً. قال: فقُلْ منه قولاً يبلغُ قومَكَ أنَّك مُنكِرٌ له، قال: وماذا أقول؟ فَوَاللهِ ما فيكم رجلٌ أعلَمُ بالأشعار مني، واللهِ ما يُشبهها الذي يقول، واللهِ إنَّ لقولِه حلاوةً، وإنَّ عليه طلاوةً، وإنه لَمُثمِرٌ أعلاهُ مُغْدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيَعلو ولا يُعلَى. قال: لا يرضى عنكَ قومُكَ حتى تقولَ فيه، قال: فَدَعني حتى أُفَكِّرَ فيه. فقال: هذا سِحرٌ يُؤثَرُ: يأثُره عن غيرِه،

[١٤٩٨] أخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٢ عن ابن عباس، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح. وورد عن عكرمة مرسلاً، أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٣٨٤. وفي إسناده راوٍ مجهول. وورد موصولاً عن ابن عباس من وجه آخر أخرجه الطبري ٣٥٤٢٠ وفيه عطية العوفي واهٍ لكن تعدّد طرقه يفيده قوة، والله أعلم. وانظر ما بعده. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٦٠٦ بتخريجنا.

= ومسلم ١٤٢٩ وغيرهما. ومعنى الكُراع: مستدق الساق من الرِجل.

قال ابن العربي: وكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة، وإذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب، لأنها باب من أبواب المذلة. وكذلك قول من قال: إن معناه لا تعط عطية تنتظر ثوابها، فإن الانتظار تعلق بالأطماع. وذلك في حيزه بحكم الامتناع.

(١) المزمل: ١١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢٢: يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفراً وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر. وقد عدد الله نعمه حيث قال: **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾** أي خرج من بطن أمه لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله **﴿مالاً ممدوداً﴾**.

فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾... الآياتُ كلُّها.

[١٤٩٩] وقال مُجاهِدٌ: قال الوليدُ لِقريشٍ: إنَّ لي إليكم حاجةً فاجتَمِعوا في دارِ النَّدوةِ، فقال: إنكم ذَوو أحسابٍ وأحلامٍ، وإنَّ العربَ يأتونَكم، وينطلقون مِنْ عندكم على أمرٍ مُختلفٍ، فأجمعوا على شيءٍ واحدٍ. ما تقولون في هذا الرجلِ؟ قالوا: نقول: إنه شاعرٌ. فعَبَس عندَها، وقال: قد سَمِعنا الشعرَ فما يُشبه قولُه الشعرَ. فقالوا: نقول: إنه كاهِنٌ، قال: إذن يأتونَهُ فلا يجدونَهُ يُحدِّثُ بما يُحدِّثُ به الكَهنَةُ، فقالوا: نقول: إنه مجنونٌ، قال: إذن يأتونَهُ فلا يجدونَه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحِرٌ. قال: وما الساحر؟ قالوا: بشرٌ يُحَبِّبون بين المُتباغِضِينَ، ويُبَغِّضون بين المُتحابِّينَ، قال: فهو ساحِرٌ، فخرجوا لا يلقى أحدٌ منهم النبيَّ إلاَّ قال: يا ساحر، فاشتدَّ ذلك عليه، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ وذكَر بعضُ المُفسِّرين أن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ منسوخٌ بآية السيف. ولا يصِحُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ في معنى الممدود ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: كثيراً، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: دائماً، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: غيرَ مُنقطِعٍ، قاله الزَّجَّاجُ.

وللمفسِّرين في مِقدارِه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: غَلَّةُ شهرٍ بشهرٍ، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ. **والثاني**: ألفُ دينارٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ. قال الفَرَّاءُ: ونرى أنَّ الممدودَ: جُعِلَ غايةً للعدد، لأنَّ الألْفَ غايةُ للعدد يرجع في أولِ العددِ مِنَ الألْفِ. **والثالث**: أربعةُ آلافٍ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنه بستانٌ كان له بالطَّائفِ لا ينقطعُ خيرُه شتاءً ولا صيفاً، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً معه لا يحتاجون إلى التَّصرُّفِ والنَّفرِ فيَغيبوا عنه.

وفي عددِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: عشرةٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ثلاثةَ عشرَ، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: اثنا عشرَ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: سبعةٌ، قاله مُقاتِلٌ. قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي: بَسطتُ له العيشَ، وطولَ العمرِ، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أيطمعُ أنْ أُدخِلَهُ الجنَّةَ. قاله الحسَنُ. **والثاني**: أن أزيدَهُ مِنَ المال والوَلَدِ، قاله مُقاتِلٌ.

إلى قوله: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا أفعل فمَنعَهُ اللهُ المالَ والوَلَدَ حتى ماتَ فقيراً، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ أي: مُعانِداً.

وفي المراد بالآيات هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن؛ قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: الحقُّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: رسولُ الله ﷺ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: سأَحمِلهُ على مَشقَّةٍ مِنَ العذاب وقال غيره:

[١٤٩٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٢ معلقاً عن مجاهد. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ من طريق محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جُبير، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد، وأصل الخبر له شواهد كثيرة. ورد من مرسل ابن زيد، أخرجه الطبري ٣٥٤٢٤. وورد من مرسل قتادة مختصراً، أخرجه الطبري ٣٥٤٢١. وورد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٥٤٢٣.
رووه بألفاظ متقاربة مختصراً ومطوّلاً، فالخبر صحيح في الأصل وانظر ما قبله.

سأكلفه مشقة من العذاب لا راحةَ له منها. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «الصَّعود»: العَقبةُ الشَّاقَّةُ، وكذلك «الكَؤود».

[١٥٠٠] وفي حديث أبي سعيدٍ عن نبيِّ الله ﷺ في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: جبلٌ مِنْ نارٍ يُكَلَّف أنْ يَصعَدَهُ، فإذا وضعَ يدَهُ عليه ذابَتْ، فإذا رَفعها عادتْ، وإذا وضعَ رِجلَهُ ذابتْ وإذا رَفعها عادتْ. يَصعَدُ سبعينَ خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً.

[١٥٠١] وذكرَ ابنُ السَّائبِ أنه جبلٌ مِنْ صخرةٍ مَلْساءَ في النار، يُكَلَّفُ أنْ يَصعَدَها حتى إذا بلغَ أعلاها أُحدِرَ إلى أسفلِها، ثم يُكَلَّفُ أنْ يصعَدَها، فذلك دَأْبُه أبداً، يُجْذَبُ مِنْ أمامه بسلاسل الحديد، ويُضرَبُ مِنْ خلفه بمَقامِع الحديد، فيَصعَدُها في أربعينَ سنةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي: تفكَّرَ ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القولَ في نَفْسِه ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: لُعِنَ على أيِّ حالٍ قَدَّر مِنَ الكلام. وقيل: «كيف» هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. فإنما كُرِّرَ تأكيداً ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلبِ ما يدفعُ به القرآنَ، ويَردُّه ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال اللغويون: أي: كَرَّهَ وَجْهَهُ وقطَّبَ. يقال: بَسَرَ الرجلُ وَجْهَه، إذا: قَبضَه. وأنشدوا لتَوْبَةَ:

وقَـدْ رَابَـنـي مِـنْـهـا صُـدُودٌ رَأَيْـتُـهُ وَإِعْـرَاضُـهـا عـن حَـاجَـتـي وبُـسُـورُهـا[1]

قال المُفسِّرون: كرَّه وجهَهُ، ونظرَ بكراهيةٍ شديدةٍ، كالمُهتمِّ المُتفكرِ في الشيءِ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: تكبَّرَ حين دُعِيَ إليه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا القرآنُ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى عن السَّحرةِ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي: مِنْ كلام الإنسِ، وليس مِنْ كلام الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سأدخِلُه النَّارَ. وقد ذكرنا «سَقَر» في سُورةِ القمر[2]، قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ لِعظَم شَأنِها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تُبقي لهم لحماً إلاَّ أكلتْهُ، ولا تَذَرُهم إذا أُعِيدوا فيها خلْقاً جديداً ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ أي: مُغيِّرةٌ يُقال: لاحَتْهُ الشمس، أي: غيَّرته. وأنشدوا:

[١٥٠٠] ضعيف. وصدر الحديث أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٨٢ من طريق عبد الله بن سليمان عن منجاب بن الحارث أنا شريك عن عمار الذهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد، وعطية ضعيف. وأخرجه الطبري ٣٥٤١٢ من طريق شريك به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣١: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عطية، وهو ضعيف. وأخرجه أحمد ٣/ ٧٥ والترمذي ٣٣٢٦ والحاكم ٢/ ٥٠٧ والطبري ٣٥٤١٣ والبيهقي في «البعث» ٥١٣ من حديث أبي سعيد بلفظ «الصعود جبل في النار يكلف الكافر أن يصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً». وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن درّاج. وقال ابن كثير: وفيه غرابة ونكارة،
قلت: إسناده ضعيف لضعف درّاج في روايته عن أبي الهيثم، وتابعه عطية عند الطبري ٣٥٤١٢ وعطية ضعيف، والحديث صححه الحاكم! وسكت الذهبي، ولعل سبب سكوت الذهبي عليه هو كون الحديث في مقام الترهيب، وقد تساهل أهل العلم في ذلك والله أعلم.
وانظر «فتح القدير» ٢٦٠٧ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

[١٥٠١] عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وقد كذّبه غير واحد، وهو ساقط الرواية.

---

(١) البيت لتوبة بن الحُميِّر، وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٧٥. و «الأغاني» ١٠/ ٢٧٢.
(٢) القمر: ٤٨.

يـا ابـنـة عَـمِّـي لاحَـنِـيَ الـهَـواجِـر

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ عَبلَةَ «لوَّاحةً» بالنصب.

وفي «البَشَر» قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ بَشَرَةٍ، وهي جِلدَةُ الإنسان الظاهرة، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، والفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنهم الإنسُ مِنْ أهل النار، قاله الأخفَشُ، وابنُ قُتَيبة في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وهم خَزَنَتُها.

[١٥٠٢] مالكٌ ومعه ثمانية عشرَ، أعينُهم كالبرقِ الخاطِفِ، وأنيابُهم كالصَّياصِي يخرج لَهبُ النار مِنْ أفواهِهم، ما بين مَنْكِبَي أحدِهم مسيرةُ سنةٍ، يَسَعُ كَفُّ أحدهم مثلَ رَبيعَةَ ومُضَرَ. قد نُزِعَتْ منهم الرَّحمةُ. فلما نزلت هذه الآيةُ قال أبو جَهلٍ: يُخوِّفكم محمَّدٌ بتسعة عشرَ، ما له مِنَ الجنود إلاَّ هؤلاءِ! أيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أنْ يبطشوا بواحدٍ منهم، ثم يخرجون مِنَ النَّار! فقال أبو الأشد[1] قال مقاتل: اسمه: أَسِيدُ بنُ كَلَدَةَ. وقال غيره: كَلدَةُ بنُ خَلَفِ الجُمَحيُ: يا معشرَ قُريشٍ: أنا أمشي بين أيديكم وأدفعُ عشرةً بمَنكِبي الأيمن، وتسعةً بمَنكِبي الأيسر، فندخل الجنَّةَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ لا آدميين، فمَنْ يُطيقُهم ومَنْ يغلبُهم؟! ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القِلَّةِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أنَّ ما جاء به محمَّدٌ حقٌّ، لأنَّ عِدَّتَهم في التَّوراةِ تسعةَ عشرَ، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ مِنْ أهل الكتاب ﴿إِيمَـٰنًا﴾ أي: تصديقاً بمحمَّدٍ ﷺ إذ وجدوا ما يُخبرهم به مُوافقاً لِمَا في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ولا يشكُّ هؤلاءِ في عِدَّةِ الخَزَنَةِ.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النِّفاقُ، ذكره الأكثرون. **والثاني**: أنه الشكُّ، قاله مُقاتِلٌ، وزعم أنهم يهودُ أهلِ المدينة، وعنده أنَّ هذه الآية مدنيَّةٌ. **والثالث**: أنه الخِلافُ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضلِ. وقال: لم يكن بمكَّةَ نِفاقٌ. وهذه مكِّيَّةٌ. فأمَّا «الكافرون» فهم مُشرِكو العرب، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ أي: أَيَّ شيءٍ أراد الله ﴿بِهَـٰذَا﴾ الحديثِ والخبرِ ﴿مَثَلًا﴾ والمَثلُ يكون بمعنى الحديث نفسه ومعنى الكلام: يقولون ما هذا من الحديث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضلَّ مَنْ أنكرَ عِدَّةَ الخَزَنَةِ، وهدى مَنْ صدَّقَ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وأُنزلَ في قول أبي جَهلٍ: أما لِمُحمَّدٍ مِنَ الجنود إلاَّ تسعةَ عشرَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: مِنَ الملائكة الذين خَلَقَهم لتعذيب أهل النار. وذلك أنَّ لكلِّ واحدٍ مِنْ هؤلاءِ التسعة عشرَ مِنَ الأعوان ما لا يعلمه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وذكر المَاورديُ في وجهِ الحِكمةِ في كونِهم تسعةَ عشرةَ قولاً مُحتملاً، فقال: التسعة عشر: عددٌ يَجمع أكثرَ القليل، وأقلَّ الكثير، لأنَّ الآحادَ أقلُّ الأعداد، وأكثرها تسعةٌ، وما سِوى الآحاد كثيرٌ. وأقلُّ الكثيرِ: عشرة، فوقع الاقتصارُ على عددٍ يَجمعُ أقلَّ الكثيرِ، وأكثرَ القليلِ. ثم رجعَ إلى ذكرِ النار فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ أي: ما

[١٥٠٢] لا أصل له بهذا اللفظ. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٦٥١ فقال الحافظ: لم أجده. والظاهر أن مصدره مقاتل، حيث ذكره المصنف في أثناء الخبر، أو يكون الكلبي، وكلاهما ممن يضع الحديث.

---

(١) وقع في المطبوع: أبو الأسدين، وسيأتي في سورة الانفطار، الآية ٦: أبو الأشدين، والتصويب عن «معالم التنزيل» ٤/ ٣٨٥ و «الكشاف» ٤/ ٦٥١ و «تفسير الماوردي» ٤/ ١٤٥.

النارُ في الدنيا إلاَّ مُذَكِّرةٌ بنارِ الآخرة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم «إذا أدبر» وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، وحَفْصٌ، والمُفضَّلُ عن عاصِم، ويعقوبُ وخَلَفٌ، «إذ» بسكون الذال مِنْ غيرِ ألفٍ بعدَها «أدْبر» بسكونِ الدال، وبهمزةٍ قبلها. وهل معنى القراءتين واحدٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان(١): أحدهما: أنهما لُغتانِ بمعنًى واحدٍ. يقال: دَبَرَ الليل، وأدبرَ، ودَبَرَ الصيفُ وأدْبر، هذا قول الفَرَّاءِ. والأخفَش، وثعلَب. والثاني: أنَّ «دَبَر» بمعنى خَلَفَ، و «أدبر» بمعنى وَلَّى. يقال: دَبَرني فُلانٌ: جاء خَلْفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عُبيدَة وابنُ قُتيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أضاءَ وتبيَّن ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سَقَر ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: الكُبَر، جمعُ كُبرى، مثل الأُوَل والأُولى، والصُّغَر والصُّغْرى. وهذا كما يُقال: إنها لإحدى العظائِم. قال الحَسَنُ: واللهِ ما أنذر اللهُ بشيءٍ أدْهى منها.

وقال ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ: أراد بالكُبَرِ: دَرَكات جهنَّم السبعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: نصب «نذيراً» على الحالِ. والمعنى: إنها لَكبيرةٌ في حالِ الإنذار. وذَكَّرَ «النذير»، لأنَّ معناه معنى العذاب. ويجوز أنْ يكونَ «نذيراً» منصوباً مُتعلِّقاً بأولِ السُّورَةِ، على معنى: قُمْ نذيراً للبَشَرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدلٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: «للبَشَر»، ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنْ يتقدَّمَ في طاعةِ الله أو يتأخَّرَ عن معصيَتِهِ، قاله ابنُ جُريج. والثاني: أنْ يتقدَّمَ إلى النار، أو يتأخَّرَ عن الجنة، قاله السُّدِّيُّ. والثالث: أنْ يتقدَّمَ في الخير، أو يتأخَّرَ إلى الشَّرِّ، قاله يَحيى بنُ سَلام. والرابع: أنْ يتقدَّمَ في الإيمان، أو يتأخَّرَ عنه. والمعنى: أنَّ الإنذارَ قد حصل لكلِّ أحدٍ ممن أقرَّ أو كَفَرَ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: كلُّ نفسٍ بالغةٍ مُرتهنةٌ بعملها لتُحاسَبَ عليه ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم أطفالُ المسلمين، فإنه لا حسابَ عليهم، لأنه لا ذنوبَ عليهم، قاله عليٌّ رضي الله عنه واختاره الفَرَّاءُ. والثاني: كلُّ نَفْسٍ مِنْ أهل النار مُرتهنةٌ في النار، إلاَّ أصحابَ

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣١٥: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان بمعنى، وذلك أنه محكي عن العرب، قبح الله ما قَبل وأبر، ودبر الصيف وأدبر، وكذلك قبل وأقبل، وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك، لأنهما بمعنى واحد.

اليمين، وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: كلُّ نَفْسٍ مُرتَهنةٌ بعملها لِتُحاسَبَ عليه إلاّ أصحابَ اليمين، فإنهم لا يُحاسَبُون، قاله ابنُ جُرَيج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: إذا خرج أهلُ التوحيد مِنَ النار قال المؤمنون لِمَنْ بقيَ في النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ قال الفرَّاءُ: وهذه الآية تُقوِّي أنهم الوِلْدَان لأنهم لم يعرفوا الذنوبَ فسألوا ما سَلَكَكُم في سَقَرٍ؟ قال المُفسِّرون: سَلَكَكُم بمعنى: أَدْخَلَكُم. وقال مُقاتِلٌ: ما حَبَسَكُم فيها؟ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ لله في دارِ الدنيا ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ أي: لم نتصدَّقْ لله ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ أهل الباطل والتكذيب ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ وهو الموت. يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وهذا إنما جرى بعدَ شفاعةِ الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدلُّ على أنَّ نفعَ الشفاعة لِمَنْ آمنَ. قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟ يعني: كفَّارَ قُريشٍ حين نَفَروا مِنَ القرآن والتذكيرِ بمواعِظِه. والمعنى: لا شيءَ لهم في الآخرة إذْ أعرَضُوا عن القرآن ولم يؤمِنوا به، ثم شبَّههم في نُفورِهم عنه بالحُمُرِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم بفتح الفاء. والباقون بكسرِها. قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ: مَنْ قرأ بفتح الفاء أراد: مَذعُورَةَ، استَنْفِرتْ فنَفرتْ، ومَنْ قرأ بكسرِ الفاء أراد: نافِرَة: قال الفرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: حُمُرٌ مُستَنْفِرَة. وناسٌ مِنَ العرب يكسِرُون الفاءَ. والفتحُ أكثرُ في كلام العرب. وقراءَتُنا بالكسرِ. أنشدني الكِسائيُّ:

إِحْبِسْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرُ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ

«وغُرَّب» موضعٌ.

وفي «القَسْوَرَة» سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأسدُ، رواه يُوسفُ بنُ مِهرانَ عن ابنُ عباسٍ: وبه قال أبو هُرَيرَةَ، وزيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه. قال ابنُ عباسٍ: الحُمُرُ الوحشيَّةُ إذا عايَنَتْ الأسدَ هَرَبَتْ منه، فكذلك هؤلاءِ المشركون إذا سمعوا النبيَّ ﷺ هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: كأنَّه مِنَ القَسْرِ والقَهْرِ. والأسدُ يَقهرُ السِّباعَ. **والثاني**: أنَّ القَسْوَرَة: الرُّماة، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو موسى الأشْعَرِيُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ كَيْسانَ. **والثالث**: أنَّ القَسْوَرَة: حِبالُ الصَّيادين، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنهم عُصَبُ الرِّجَالِ، رواه أبو حَمزَةَ عن ابنِ عباسٍ. واسم أبي حمزَةَ: نَصْرُ بنُ عِمرانَ الضُّبَعِيُّ. **والخامس**: أنه ركز الناس، وهذا في روايةِ عَطاءٍ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. وركز الناس: حِسُّهُم وأصواتُهم. **والسادس**: أنه الظُّلْمَةُ والليلُ، قاله عِكرمَةُ. **والسابع**: أنه النَّبْلُ، قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ سَرَّكَ أنْ نَتَّبِعَكَ، فليُصبِحْ عند رأسِ كلِّ رجلٍ منَّا كتابٌ منشورٌ مِنَ الله تعالى إلى فُلانِ بنِ فُلانٍ يُؤمَرُ فيه باتِّباعِكَ؛ قاله الجمهور[1]. **والثاني**: أنهم أرادوا براءةً مِنَ النار أنْ لا يُعذَّبوا بها، قاله أبو صالحٍ. **والثالث**: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنبَ في بَني إسرائيلَ وجدَهُ مكتوباً إذا أصبحَ في رُقعةٍ.

(١) عزاه المصنف للجمهور. وهو عند الطبري ٣٥٥١٩ عن قتادة. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٤٦١ لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

فما بالُنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله الفرَّاءُ. فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يُؤتَون الصُّحُفَ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: لا يَخْشَوْنَ عذابَها. فالمعنى: أنهم لو خافوا النارَ لَمَا اقترحوا الآياتِ بعدَ قيامِ الدَّلالةِ ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقًّا. وقيل: معنى (كلاَّ): ليس الأمرُ كما يريدون ويقولون ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ أي: تذكيرٌ وموعِظةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ الهاء عائدةٌ على القرآن فالمعنى: فمَنْ شاء أنْ يذكرَ القرآن ويتَّعِظَ به ويفهمَهُ، ذَكَرهُ. ثم رَدَّ المشيئةَ إلى نَفْسِه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: إلاَّ أنْ يريدَ لهم الهُدى ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: أهلٌ أنْ يُتَّقى ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ أي: أهلٌ أنْ يَغفِرَ لِمَنْ تابَ.

[١٥٠٣] رَوى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآيةَ، فقال: «قال ربُّكم عزَّ وجلَّ: أنا أهلٌ أَنْ أُتَّقى، فلا يُشرَكَ بي غيري. وأنا أهلٌ لِمَنْ اتَّقى أنْ يُشرِكَ بي غيري أنْ أغفِرَ له».

[١٥٠٣] ضعيف، في إسناده سهيل بن أبي حزم ضعيف، ومداره عليه. قال الحافظ في «التهذيب» قال أحمد: روى أحاديث منكرة، وقال ابن معين: صالح. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات. أخرجه ابن ماجه ٤٢٩٩ وأبو يعلى ٣٣١٧ من طريق هدبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس به. وأخرجه الترمذي ٣٣٢٥ وأحمد ٣/ ١٤٢ و ٢٤٣ والدارمي ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ والحاكم ٢/ ٥٠٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ من طرق عن سهيل بن أبي حزم به. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرّد سهيل بهذا الحديث عن ثابت.
الخلاصة: هو حديث ضعيف.
وانظر «فتح القدير» ٢٦١٢ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨٠ بتخريجنا.

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن
نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ
(٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا۟
ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥)﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ اتَّفقوا على أنَّ المعنى «قَسَم» واختلفوا في «لا» فجعلَها بعضُهم زائدةً، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] وجعلها بعضُهم توكيداً للقَسَم كقولكَ: لا واللَّهِ لا أفعلُ، وجعلها بعضُهم رَدًّا على مُنكري البَعثِ. ويدل عليه أنه «أُقسِمُ» على كَونِ البَعثِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: زيدت «لا» على نيَّةِ الردِّ على المُكذِّبين، كما تقول: لا واللَّهِ ما ذاكَ كما تقول: ولو حُذِفَتْ جازَ، ولكنه أبلغُ في الردِّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ إلاَّ ابنَ فُلَيحٍ «لأقسم» بغيرِ ألفٍ بعد اللام فجعلها لاماً دخلتْ على «أُقسِمُ»، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ، والحسَنِ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ. وابنِ مُحَيصِنٍ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «لأقسم» فاللام لامُ القَسمِ والتوكيدِ. وهذه القراءة بعيدةٌ في العربية، لأنَّ لامَ القَسَمِ لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النونِ، تقول: لأَضربنَّ زيداً. ولا يجوز: لأَضرِبُ زيداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسَنُ: أَقسَمَ بالأولى ولم يُقسِمْ بالثانية. وقال قَتادةُ: حُكمها حُكمُ الأولى.

وفي «النَّفس اللَّوامَة» ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنها المذمومة، قاله ابنُ عباسٍ. فعَلَى هذا: هي التي تلومُ نَفْسَها حين لا ينفعها اللومُ. **والثاني**: أنها النَّفسُ المؤمنةُ، قاله الحسَنُ. قال: لا ترى المؤمنَ

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٢٨: إن المقسم عليه متى كان منفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه هاهنا إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال: **﴿لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾** والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قال قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير.

إلاَّ يلومُ نَفْسَه على كلِّ حالٍ. **والثالث**: أنها جميع النفوس. قال الفَرَّاءُ: ليس مِنْ نفس بَرَّةٍ ولا فاجرةٍ إلاَّ وهي تلومُ نَفْسَها، إنْ كانت عملت خيراً قالت: هلاَّ زِدْت. وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ المراد بالإنسان ها هنا: الكافر.

وقال ابنُ عباسٍ: يريد أبا جهلٍ.

[١٥٠٤] وقال مُقاتِلٌ: عَدِيُّ بنُ رَبِيعَةَ وذلك أنه قال: أَيَجمعُ اللَّهُ هذه العظام؟ فقال النبيُّ ﷺ له: «نعم»، فاستَهزأَ مِنه، فنزلت هذه الآية. قال ابنُ الأنباري: وجواب القَسَم محذوفٌ؛ كأنه: لَيُبْعَثُنَّ لَيُحاسَبُنَّ، فدلَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ على الجواب، محذوفٌ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰ﴾ وقف حسن. ثم يُبتدأ ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على معنى: بلى نجمعها قادرين، ويَصلُح نصبُ «قادرين» على التكرير: بلى فَلْيَحْسَبْنا قادرين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنْ نجعلَ أصابعَ يديهِ ورِجْليهِ شيئاً واحداً كخُفِّ البعير، وحافرِ الحمار، فيَعدَمُ الارتفاقَ بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: نقدِرُ على تسوية بَنانِه كما كانت، وإنْ صَغُرَتْ عظامُها، ومَنْ قَدرَ على جمع صغارِ العظام، كان على جمعِ كبارِها أقدرَ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ. وقد بيَّنا معنى البَنانِ في الأنفال[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُكذِّب بما أمامَهُ مِنَ البَعثِ والحساب، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُقدِّم الذَّنْبَ ويُؤخِّرُ التوبةَ، ويقول: سوف أتوبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر، ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وأبانُ عن عاصِم «بَرَق» بفتح الراء، والباقون بكسرها: قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: بَرِقَ البَصرُ يَبْرَق، وبَرَق يَبْرُق: إذا رأىَ هولاً يَفزَعُ منه. و «بَرِق» أكثر وأجودُ. قال الشاعر:

فَنَفْسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَنِي ... ودَاوِ الكُلُومَ ولاَ تَبْرَقِ[٢]

بالفتح. يقول: لا تَفزَعْ مِنْ هَولِ الجراحِ التي بكَ. قال المُفسِّرون: يَشخص بَصرُ الكافر يومَ القيامة، فلا يَطْرِفُ لِمَا يرى مِنَ العجائب التي كان يُكذِّبُ بها في الدنيا. وقال مُجاهِدٌ: بَرِقَ البصرُ عند الموت.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: خسَفَ وكَسَفَ بمعنًى واحدٍ، أي: ذهبَ ضوءُه.

[١٥٠٤] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٣ بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٥٩: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد. فالخبر باطل لا أصل له، ولم ينسبه هؤلاء إلى قائل، ولم يذكره السيوطي في «الدر» ولا في «أسباب النزول» ولا ذكره الطبري، وكل ذلك دليل على وضعه، والله أعلم. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨١.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٢٧: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ـ النفس اللوامة ـ وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

(٢) الأنفال: ١٢.

(٣) البيت لطرفة بن العبد، في ديوانه: ٢١٨، و «اللسان» ـ برق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ إنما قال: «جُمِعَ» لتذكير القمر، هذا قولُ أبي عُبيدَة. وقال الفرَّاءُ: إنما لم يَقُلْ: جُمِعَتْ، لأنَّ المعنى: جُمِعَ بينهما وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: جُمِعَ بين ذاتَيهما. وقال ابنُ مسعودٍ: جُمِعا كالبعيرين القَرينَيْن. وقال عَطاءُ بنُ يَسارٍ: يُجْمَعَان ثم يُقْذَفانِ في البحر. وقيل: يُقْذَفَان في النار. وقيل: يُجمَعان، فيَطلعانِ مِنَ المَغربِ. **والثاني**: جُمِعَ بينهما في ذهابِ نُورِهما، قاله الفرَّاءُ، والزجاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: المُكذِّب بيوم القيامة ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم، والفاء، وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُعاوِيَةُ، وأبو رَزينٍ؛ وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضَّحَّاكُ والزُّهريُّ، وابنُ يَعْمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بكسرِ الفاء. قال الزَّجَّاجُ: فمَنْ فَتحَ، فالمعنى: أينَ الفِرار؟ ومَنْ كَسرَ، فالمعنى: أينَ مكانُ الفِرار؟ تقول: جلستُ مَجلَساً بالفتح، يعني: جلوساً. فإذا قلتَ: مَجْلِساً بالكسر. فأنتَ تريد المكانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لا ملجأَ. وأصل الوَزَر: الجبل الذي يُمتَنعُ فيه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المُنتهى والمَرجِع. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: بما قدَّم قبل موته، وما سَنَّ مِنْ شيءٍ فعُمِل به بعد موته، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُنَبَّأُ بأوَّل عمله وآخره. قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: بما قدَّم مِنَ الشَّرِّ، و أخَّرَ مِنَ الخير. قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: بما قدَّم مِنْ فرضٍ، وأخَّر مِنْ فرضٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: بما قدَّم مِنَ المعصية، وأخَّرَ مِنَ الطاعة. **والسادس**: بما قدم من أمواله، وما خلف للورثة قاله زيد بن أسلم. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: بَلْ على الإنسان مِنْ نفسه بصيرةٌ، أي رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجَوارِحُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فلمّا كانت جوارِحُه منه، أقامَها مقامَهُ. وقال أبو عُبيدَةَ: جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذَّكر، كما كانت في: رجل راوِية، وطاغية، وعَلاَّمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

وفي المَعاذِير قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ عُذْرٍ، فالمعنى: لو اعتَذَر، وجادَلَ عن نَفْسِه، فعليه مَنْ يُكذِّب عُذرَهُ، وهي: الجَوارحُ، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المَعاذِير جمع مِعْذار، وهو: السِّتر. والمَعاذِيرُ: السُّتور. فالمعنى: ولو أَرخى سُتورَه، هذا قولُ الضَّحَّاكِ، والسُّدِّيّ، والزَّجَّاج. فيخرج في معنى «ألقى» قولان: **أحدهما**: قال، ومنه: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾[1]، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: أَرْخى، وهذا على القولِ الثاني.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾

(١) النحل: ٣٦.

[١٥٠٥] رَوى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يُعالِجُ مِنَ التنزيل شدةً، وكان يشتدُّ عليه حِفظُه، وكان إذا نزل عليه الوحيُ يُحرِّكُ لسانَه وشَفَتَيْهِ قبل فراغ جِبريلَ مِنْ قراءة الوحي، مخافةَ أنْ لا يحفظَهُ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. معناها: لا تُحرِّكْ بالقرآن لسانَكَ لِتَعجلَ بأخذه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: ضمَّه وجَمْعَه في صَدْرِكَ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: جمعناه ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: جَمْعَه. قال المُفسِّرون: يعني: اقرأه إذا فرغَ جِبريلُ مِنْ قراءَتِه[1]. قال ابنُ عباسٍ: فاتَّبِعْ قرآنه، أي: اعمَلْ به. وقال قَتَادَةُ: فاتَّبِعْ حلالَه وحرامَه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُبيِّنه بلسانِكَ، فتقرؤه كما أقرأَكَ جِبريلُ. وكان إذا أتاه جِبريلُ أطْرَقَ، فإذا ذهب، قرأه كما وَعدَهُ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إنَّ علينا أنْ نجزيَ به يومَ القيامة بما فيه مِنْ وعدٍ ووَعيدٍ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: إنَّ علينا بيانَه: ما فيه مِنَ الأحكامِ، والحلالِ، والحرامِ، قاله قَتَادَةُ. **والرابع**: علينا أنْ نُنزِّله قرآناً عربياً، فيه بيانٌ للناس، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال عَطاءٌ: أي: لا يؤمِنُ أبو جهلٍ بالقرآن وبيانِه، وقال ابنُ جَريرٍ: والمعنى: ليس الأمر كما تقولون مِنْ أنكم لا تُبعَثُون، ولكنْ دَعاكُم إلى قيلِ ذلك مَحبَّتُكم للعاجلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وأبو عمرٍو «بل يحبون العاجلة ويذرون» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. والمراد: كفار مكَّةَ، يُحبُّونها ويعملون لها «ويذرون الآخرة» أي: يتركون العملَ إيثاراً للدنيا عليها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: مُشرِقةٌ بالنِّعَم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ روى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: إلى الله ناظرةٌ. قال الحسَنُ: حُقَّ لها أنْ تَنضَر وهي تنظر إلى الخالِق، وهذا مذهبُ عِكرِمَةَ. ورؤيةُ الله عزَّ وجلَّ حقٌّ لا شكَّ فيها. والأحاديث صحيحةٌ صِحاحٌ، قد ذَكرتُ جملةً منها في «المغني» و «الحدائق».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: عابِسةٌ مُقَطِّبةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَظُنُّ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: تَعلَمُ، و «الفاقِرة» يُقال: إنه الدَّاهِيَةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: إنه مِنْ فَقارةِ الظَّهرِ، كأنها تَكسِرُه، يقال: فَقَرتُ الرجلَ إذا كَسَرتَ فَقارَه، كما يُقال: رَأَستُه: إذا ضَربتَ رأسَه، وبَطَنْتُه: إذا ضَرَبْتَ بَطنَه. قال ابنُ زيدٍ: والفاقِرَة: دخولُ النار. قال ابنُ السَّائِبِ: هي أنْ تُحجَبَ عن ربِّها، فلا تنظر إليه.

[١٥٠٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٩ والبغوي في «التفسير» ٢٢٩٧ بترقيمنا عن قتيبة بن سعيد به عن ابن عباس.
وأخرجه البخاري ٥ و ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ٤٤٨ والترمذي ٣٣٢٩ والنسائي في «التفسير» ٦٥٤ من طريق موسى بن أبي عائشة به.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/٣٤٩: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما ثبت في الصحيح. وهذا يعضد ما تقدم في سورة المزمل من قوله: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ أن قراءته ﷺ كان يمد صوته مداً. وهذا المعنى صحيح. وذلك أن المتلقن من حكمه الأوكد أن يصغي إلى الملقن بقلبه ولا يستعين بلسانه، فيشترك الفهم بين القلب واللسان، فيذهب روح التحصيل بينهما، ويُخزل اللسان بتجرد القلب للفهم، فيتيسر التحصيل، وتحريك اللسان يجرد القلب عن الفهم، فيتعسر التحصيل بعادة الله التي يسّرها.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلا» رَدعٌ وتنبيهٌ. المعنى: ارتَدِعوا عمَّا يؤدِّي إلى العذاب. وقال غيره: معنى «كلاَّ»: لا يُؤمِنُ الكافرُ بهذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني: النَّفس. وهذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ. و ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ العِظامُ المُكتنِفةُ لنُقرَةِ النَّحرِ عن يمينٍ وشمالٍ. وواحدةُ التَّراقي تَرْقوة، ويُكنَّى ببلوغ النَّفسِ التَّراقي عن الإشفاءِ على الموت، ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُ الملائكة بعضِهم لبعضٍ: مَنْ يَرقى روحَهُ، ملائكةُ الرَّحمةِ، أو ملائكةُ العذاب؟ رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العاليةِ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه قولُ أهلِه: هل مِنْ رَاقٍ يَرْقيه بالرُّقى؟ وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو قِلابَةَ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ، وأبو عُبيدَة، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقَنَ الذي بلَغَتْ رُوحُه التَّراقيَ ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ للدنيا ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمرُ الدنيا بأمرِ الآخرة، رواه الوالبيُّ عن ابنِ عباسٍ: وبه قال مُقاتِلٌ. **والثاني**: اجتمع فيه الحياةُ والموتُ، قاله الحسَنُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: التفَّتْ ساقاهُ في الكفنِ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والرابع**: الْتَفَّتْ ساقاه عند الموت، قاله الشَّعْبيُّ. **والخامس**: الشِّدةُ بالشِّدةِ، قاله قَتادَةُ. آخرُ شدةِ الدنيا بأولِ شدةِ الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: إلى الله المُنتهى، قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «لا» ها هنا في موضع «لم». قال المُفسِّرون هو أبو جهلٍ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: رجعَ إليهم يتبخترُ ويَختالُ. قال الفَرَّاءُ: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يَتبخترُ، لأنَّ الظَّهرَ هو المَطَا، فيَلْوي ظَهرَهُ مُتبختِراً. وقال ابنُ قُتيبةَ: أصله يَتمطَّطُ، فقُلِبت الطاءُ فيه، كما قيل: يتظنَّى، أي: يتَظَنَّن، ومنه المِشيةُ المُطَيْطَاء. وأصل الطاءِ في هذا كلِّه دالٌ. إنما هو مَدَّ يدَهُ في المشي إذا تبخترَ. يقال: مَطَطتُ ومَدَدتُ بمعنىً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: هو تهديدٌ ووَعيدٌ. وقال الزَّجَّاجُ: العرب تقول: أَوْلَى لِفُلانٍ: إذا دَعَتْ عليه بالمكروهِ، ومعناه: وَلِيَكَ المكروهُ يا أبا جهلٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: أبا جهلٍ ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يُهمَل فلا يؤمَرُ ولا يُنهى ولا يُعاقَبُ، يُقال: أسدَيتُ الشيءَ، أي: أهمَلتُه. ثم دلَّ على البعثِ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُمْنَى» بالتاء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ «يُمْنَى» بالياء. وعن أبي عمرٍو كالقراءَتين. وقد شرحنا هذا في النجم[1] ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ بعدَ النُّطفةِ ﴿فَخَلَقَ﴾ فيه الرُّوحَ، وسَوَّى خلْقَه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي:

---

(١) النجم: ٢٤.

خَلَقَ مِنْ مائِه أولاداً ذكوراً وإناثاً ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ هذا ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على أن يُحييَ الموتى وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وأبو رَجاءٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ «يقدر» ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وهذا تقريرٌ لهم، أي: إنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداء قَدَر على الإعادةِ.

[١٥٠٦] قال ابنُ عباسٍ: إذا قرأ أحدُكم هذه الآيةَ، فليَقُلْ: اللهُمَّ بَلَى.

[١٥٠٦] أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً كما في «الدر» ٦/ ٤٧٩. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه أبو داود ٨٨٧ عن عبد الله بن محمد الزهري به. وأخرجه أحمد ٢/ ٢٤٩ والترمذي ٣٣٤٧ مختصراً والبيهقي ٢/ ٣١٠ من طريق إسماعيل بن أمية به.
وقال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمى اهـ.
وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١٠ من طريق إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة به وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! في حين قال الذهبي في «الميزان» ٤/ ٥٨٩: أبو اليسع لا يدرىٰ من هو. وأخرجه عبد الرزاق ٣٦٥٨ في «التفسير» عن إسماعيل بن أمية مرسلاً، وهو الصحيح. الخلاصة: الحديث ضعيف بصيغة الأمر، وأما كونه مستحب فهو حسن كما في حديث موسى بن أبي عائشة أخرجه أبو داود ٨٨٤ والبيهقي ٢/ ٣١٠ وعبد الرزاق في «التفسير» عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة: أن رجلاً حدثهم أنه سمعه من النبي ﷺ.

سُورَةُ الإنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

سُورَةُ هل أتى: ويُقال لها: سُورَةُ الدهر

وفيها ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها مدنيَّةٌ كلُّها، قاله الجمهور منهم، مُجاهِدٌ وقَتادَةُ. **والثاني**: مكيَّةٌ، قاله ابنُ يَسارٍ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ فيها مكِّيًّا ومدنيًّا.

ثم في ذلك قولان: **أحدهما**: أن المكِّيَّ منها آيةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ وباقيها جميعه مدنيٌّ، قاله الحسَنُ وعِكرمَةُ. **والثاني**: أنَّ أوَّلَها مدنيٌّ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[(٢)] ومن هذه الآية إلى آخرِها مكِّيٌّ، حكاه الماوَرديّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: معناه: قد أتى. و «هل» تكون خبراً، وتكون جَحْداً، فهذا مِنَ الخبر، لأنكَ تقول: هل وعظتُكَ؟ هل أعطيتُكَ؟ فتقرِّره بأنكَ قد فعلتَ ذلك. والجَحدُ، أنْ تقولَ: وهل يقدرُ أحدٌ على مثلِ هذا؟ وهذا قولُ المُفسِّرين، وأهل اللغة. وفي هذا الإنسان قولان: **أحدهما**: أنه آدمُ عليه السلام. والحينُ الذي أتى عليه: أربعونَ سنةً، وكان مُصَوَّراً مِنْ طينٍ لم يُنفَخ فيه الرُّوحُ، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنه جميع الناس، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وابنِ جُرَيجٍ، فعَلَى هذا يكون الإنسان اسمَ جنسٍ، ويكون الحينُ زمانَ كونِه نُطفَةً، وعَلَقَةً، ومُضْغَةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ المعنى: أنه كان شيئاً، غيرَ أنه لم يكُنْ مذكوراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: وَلَدَ آدمَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: أخلاطٍ. يُقال: مَشَجتُه، فهو مَشِيجٌ، يريد: اختلاط ماءِ المرأة بماءِ الرجل.

قوله تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا مُقدَّمٌ، ومعناه التأخير، لأنَّ المعنى: خلقناه وجعلناه سميعاً بصيراً لِنَبتليَه. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلناه كذلك لِنَختَبِرَه وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ١٧٠: قال الجمهور: مدنية وقيل: فيها مكي، من قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ [الإنسان: ٢٣] إلى آخر السورة وما تقدّمه مدني.

(٢) الإنسان: ٢٣.

أي بيَّنَّا له سبيلَ الهدى بنَصْبِ الأدلَّةِ، وبَعثِ الرسولِ[١] ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: خلقناه إمَّا شاكراً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وقال الفَرَّاءُ: بيَّنَّا له الطريقَ إنْ شَكرَ، أو كَفرَ.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا
﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ
ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن
رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا
﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ
وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ «سلاسل» بغير تنوينٍ، ووقفوا بألفٍ، ووَصلَه أبو عمرو بألفٍ مِنْ غير تنوينٍ والباقون يَصِلُون بالتنوين ويَقِفُون بألفٍ. قال مَكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ النَّحوي: «سلاسل» و «قوارير» أصلُه أنْ لا ينصرفَ، ومن صَرفَهُ مِنَ القُرَّاءِ، فإنها لغةٌ لبعض العرب. وقيل: إنما صَرفَهُ لأنه وقع في المصحفِ بالألف، فصرفه لاتِّباعِ خطِّ المصحف. قال مُقاتِلٌ: السلاسلُ في أعناقِهم، والأغلالُ في أيديهم. وقد شرحنا معنى «السَّعير» في سُورَة النِّساء[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ واحدهم بَرٌّ، وبَارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المُطيعون. وقال الحَسَنُ: وهم الذين لا يُؤذُون الذَّرَّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: مِنْ إناءٍ فيه شرابٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يعني:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٣٥: وقوله: **﴿إنا هديناه السبيل﴾** أي بيناه له ووضحناه وبصّرناه به، كقوله: **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾** وكقوله: **﴿وهديناه النجدين﴾**، أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد ـ في المشهور عنه ـ والجمهور.

(٢) النساء: ١٠.

مِزاج الكأسِ ﴿كَافُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكافور المعروف، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَرْدُه، قاله الحسَنُ. **والثاني**: رِيحُه، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: طَعْمُه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه اسمُ عَيْنٍ في الجنَّةِ، قاله عَطاءٌ، وابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: أنَّ المعنى: مِزاجُها كالكافورِ لِطيبِ ريحه، وأجازه الفراء، والزجاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَيْنًا﴾ قال الفَرَّاءُ: هي المُفَسِّرة للكافورِ، وقال الأخفَشُ: هي منصوبةٌ على معنى: أعني عَيْناً. وقال الزَّجَّاجُ: الأجوَدُ أن يكون المعنى: مِنْ عَيْنٍ، قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يشرب منها. **والثاني**: يشربها، والباء صِلةٌ. **والثالث**: يشرب بها عِبادُ الله الخمرَ يَمزِجُونها بها.

وفي هذه العَيْنِ قولان: **أحدهما**: أنها الكافور الذي سبق ذِكرُه. **والثاني**: التَّسْنِيمُ، و ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ ها هنا: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال مُجاهِدٌ: يَقُودونَها إلى حيثُ شاؤوا مِنَ الجنَّةِ. قال الفَرَّاءُ: حيثُ ما أحبَّ الرجلُ مِنْ أهل الجنَّةِ فَجَّرها لِنَفْسِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال الفَرَّاءُ: فيه إضمارُ «كانوا» يُوفُون بالنَّذرِ. وفيه قولان[(١)]: **أحدهما**: يُوفُون بالنَّذْرِ إذا نذروا في طاعة الله، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ. **والثاني**: يُوفون بما فرضَ اللَّهُ عليهم، قاله قَتادَةُ. ومعنى «النَّذْر» في اللغة: الإيجاب. فالمعنى يُوفون بالواجب عليهم، قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: فاشِياً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: فاشِياً مُنتشراً. يُقال: استَطارَ الحريقُ: إذا انتشرَ، واستَطار الفَجْرُ: إذا انتشرَ الضوءُ. وأنشدوا للأعشَى:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٣٦: وقوله تعالى: ﴿**يوفون بالنذر**﴾ أي: يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.
وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/١١٥: أي لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والحج والعمرة، وغيره من الواجبات. والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه في شيء يفعله، وإن شئت قلت: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقد قال الله تعالى: ﴿**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم**﴾ [الحج: ٢٩] ـ أي أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم امتثال أمر الله بإحرامهم الحج. وهذا يقوي قول قتادة. قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/٣٥٣: النذر مكروه بالجملة، ثبت في الصحيح عن مالك عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: لا يأتي النذر على ابن آدم بشيء لم أكن قدّرته له، إنما يستخرج به من البخيل» ـ قلت: حديث صحيح. أخرجه أحمد ٢/٢٤٢ والحميدي ١١١٢ والطحاوي في «المشكل» ٨٤٢ من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى. وأخرجه أبو داود ٣٢٨٨ من طريق مالك به ولم يقل: «قال الله تعالى: . . .» وأخرجه البخاري ٦٦٩٤ والنسائي ٧/١٠٦. من طريق أبي الزناد به، وليس فيه «قال الله تعالى». وأخرجه البخاري ٦٦٩٤ ومسلم ١٦٤٠ والنسائي ٧/١٦ ـ ١٧ والترمذي ١٥٣٨ وابن ماجه ٢١٢٣ وأحمد ٢/ ٣٧٣ و ٤١٢ و ٤٦٣ وابن أبي عاصم في «السنة» ٣١٢ وابن حبان ٤٣٧٦ والحاكم ٤/٣٠٤ والبيهقي ١٠/ ٧٧ من طريق عبد الرحمن الأعرج به. ولم يقل: «قال الله تعالى». قال ابن العربي: وذلك لفقه صحيح، وهو أن الباري سبحانه وعد بالرزق على العمل ومنه مفروض، ومنه مندوب، فإذا عين العبد ليستدر به الرزق، أو يستجلب به الخير، أو يستدفع به الشر لم يصل إليه به، فإن وصل فهو لبخله. والله أعلم.

فَـبَـانَـتْ وَقَـدْ أَسْـأَرَتْ فـي الـفُـؤَا ... دِ صَـدْعـاً عَـلَـى نَـأْيِـهـا مُـسْـتَـطِـيـراً[1]

وقال مُقاتِلٌ: كان شرُّه فاشِياً في السمواتِ، وانشَقَّتْ، وتناثرتِ الكواكبُ، وفَزِعتِ الملائكةُ، وكُوِّرتِ الشمسُ والقمرُ في الأرض، ونُسِفت الجبالُ، وغارَت المياهُ، وتكَسَّر كلُّ شيءٍ على وجهِ الأرض مِنْ جبلٍ، وبناءٍ، وفَشَا شَرُّ يوم القيامة فيهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

[١٥٠٧] **أحدهما**: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ. آجرَ نَفْسَهُ يسقي نخلاً بشيءٍ مِنْ شعيرٍ ليلةً حتى أصبح، فلما قَبَضَ الشعيرَ طَحَنَ ثُلثَه، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلمَّا استوى أتى مسكينٌ، فأخرَجُوه إليه، ثم عملَ الثُلثَ الثاني، فلما تَمَّ أتى يتيمٌ، فأطعَمُوه، ثم عمل الثُلثَ الباقي، فلمَّا تَمَّ جاء أسيرٌ مِنَ المشركين، فأطعَمُوه وطَوَوْا يومَهم ذلك، فنزلت هذه الآياتُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

[١٥٠٨] **والثاني**: أنها نزلت في أبي الدَّحْداحِ الأنصاري صامَ يوماً، فلما أراد أنْ يُفطِرَ جاء مسكينٌ، ويتيمٌ، وأسيرٌ، فأطعَمَهُم ثلاثةَ أرغِفَةٍ، وبقي له ولأهله رغيفٌ واحدٌ، فنزلت فيهم هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي هاءِ الكناية في قوله عزَّ وجلَّ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: ترجع إلى الطعام، فكأنهم كانوا يُؤْثِرون وهم مُحتاجون إليه، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، والزَّجَّاجِ، والجمهور. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، قاله الدَّارانيُّ. وقد سبق معنى «المسكين واليتيم»[2]. وفي الأسير أربعةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه المَسجُون مِنْ أهل القِبْلة، قاله مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنه الأسيرُ المُشرِكُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: المرأة، قاله أبو حمزةَ الثُّماليُّ. **والرابع**: العَبدُ، ذكره المَاوَرديُّ.

[١٥٠٧] موضوع. ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٤٤ عن عطاء عن ابن عباس معلقاً بدون إسناد. وأخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر...﴾ الآية فذكره بتمامه، وزاد في أثنائه أشعاراً لعلي وفاطمة. قاله الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٧٠. وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٣٩٠ عن الأصبغ بن نباتة... فذكره بشعره وزيادة بعض الألفاظ، ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه. وكذا قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥: ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحققين: ما روي عن ابن عباس... فذكره ثم قال: هذا حديث مزوّق، وقد تطرف فيه صاحبه حتى يشبّه على المستمعين، والجاهل يعض على شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يدري أن صاحب هذا الفعل مذموم.
ـ وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٢٠٨ بتخريجي.

[١٥٠٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء، وذكر نزول السورة ليس له أصل في هذا الخبر، وقد ورد في أبي الدحداح غير هذه الآية، وتقدم.

---

(١) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ٩٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٣٧: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد أوصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

فصل: وقد ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الآية تضمَّنَتْ مَدْحَهم على إطعام الأسيرِ المُشرِكِ. قال: وهذا مَنسوخٌ بآية السيف. وليس هذا القولُ بشيءٍ، فإنَّ في إطعام الأسيرِ المشركِ ثواباً، وهذا محمولٌ على صدقةِ التطوع. فأمَّا الفرضُ فلا يجوز صَرفُه إلى الكفَّار، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِطلبِ ثواب الله. قال مُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ: أَمَا إنهم ما تكلَّموا بهذا، ولكنْ عَلِمَهُ الله مِنْ قلوبِهم، فأثنى به عليهم لِيَرْغَبَ في ذلك راغبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بالقول ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ أي: ما في يوم ﴿عَبُوسًا﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: تَعبسُ فيه الوجوهُ، فجعله مِنْ صفةِ اليوم، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[^1]، أراد: عاصفِ الرِّيحِ. فأمَّا «القَمْطَرير» فروى ابنُ أبي طَلحَةَ، عن ابنِ عباسٍ: أنه الطويل. ورَوى عنه العَوْفيُّ أنه قال: هو الذي يُقبِّضُ فيه الرجلُ ما بين عينيه ووجهه. فعَلَى هذا يكون اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قُلنا في «العَبُوس» لأنَّ اليوم لا يُوصَف بتقبيضِ ما بين العينين. وقال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ: «القَمْطَرير» الذي يُقلِّصُ الوجوهَ، ويَقبِضُ الحياةَ، وما بين الأعيُنِ مِنْ شدَّتِه. وقال الفَرَّاءُ: هو الشديد. يُقال: يومٌ قَمْطَريرٌ، ويومٌ قُماطِرٌ، وأنشدني بعضُهم.

بَنِي عَمِّنَا هَلْ تَذْكُرونَ بَلاءَنَا ... عليكُم إذا ما كان يَوْمٌ قُماطِرُ

وقال أبو عُبيدَةَ: العَبُوس، والقَمْطَرير، والقُماطِر، والعَصِيب، والعَصَبْصَب: أشدُّ ما يكون مِنَ الأيام، وأطولُه في البلاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: حُسْناً وبياضاً في الوجوه، ﴿وَسُرُورًا﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النضرة في الوجوه والسُّرُور في القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعته، وعن معصيته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وهو لِباسُ أهلِ الجنَّةِ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ، أي: جَزاهُم جنَّةً في حال اتِّكائِهم فيها. وقد شرحنا هذا في الكهف[^2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيُؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البردُ الشديدُ. والمعنى: لا يَجدون فيها الحَرَّ والبردَ. وحُكِي عن ثَعلَبٍ أنه قال: الزَمْهَريرُ: القمرُ، وأنشد:

وَلَيْلَةٍ ظَلامُهَا قَدِ اعْتَكَرْ ... قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ

أي: لم يطلع القمرُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: وجَزاهُم جنَّةً، ودانِيةً عليهم ظِلالُها، أي: قريبةً منهم ظِلالُ أشجارِها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: إذا هَمَّ أنْ يتناولَ مِنْ ثمارها تدلَّتْ إليه حتى يتناولَ ما يريد. وقال غيرُه: قُرِّبَتْ إليهم مُذَلَّلةً كيف شاؤوا، فهُمْ يتناولُونَها قياماً، وقُعوداً، ومُضطجِعين، فهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[^3]. فأمَّا «الأكواب» فقد شرحناها في (الزُّخرُف)[^4] قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ أي: تلك الأكواب هي قَوارير، ولكنها مِنْ فِضةٍ. قال ابنُ عباسٍ: لو ضَرَبْتَ فِضةَ الدنيا حتى جعلتَها مثلَ جناح الذُّباب، لم يُرَ الماءُ مِنْ ورائِها، وقَواريرُ الجنة مِنْ فِضةٍ في صفاءِ

---

[^1]: (١) إبراهيم: ١٨.
[^2]: (٢) الكهف: ٣١.
[^3]: (٣) الحاقة: ٢٣.
[^4]: (٤) الزخرف: ٧١.

القارُورَةِ. وقال الفرَّاءُ. وابنُ قُتيبةَ: هذا على التشبيه، المعنى: كأنها مِنْ فِضةٍ، أي: لها بياضٌ كبياضِ الفِضةِ وصفاءٌ كصفاءِ القَوارِيرِ. وكان نافعٌ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ يقرؤون «قواريراً قواريراً» فَيَصِلُونَهما جميعاً بالتنوين. ويَقِفون عليهما بالألف. وكان ابنُ عامرٍ وحمزَةُ يَصِلانِهما جميعاً بغير تنوينٍ، ويَقِفان عليهما بغيرِ ألفٍ. وكان ابنُ كَثيرٍ يَصِلُ الأولَ بالتنوين، ويقِفُ بغيرِ ألفٍ. ويصل الثاني بغير تنوين وروى حَفْصٌ عن عاصِمٍ أنه كان يقرأ «سلاسل» و «قوارير قوارير» يَصِلُ الثلاثةَ بغير تنوينٍ، وَيقفُ على الثلاثة بالألفِ. وكان أبو عمرو يقرأ الأولَ «قواريراً» فيقِفُ عليه بألفٍ، ويَصِلُ بغير تنوينٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الاختيارُ عند النَّحويين أنْ لا تنصَرِفَ «قوارير» لأنَّ كلَّ جمعٍ يأتي بعد أَلِفهِ حرفان لا ينصرفُ. ومَنْ قرأ «قواريراً» يَصرِفُ الأولَ لأنَّهُ رأسُ آيةٍ، ويتركُ صَرْفَ الثاني لأنه ليس بآخر آيةٍ. ومَنْ صَرفَ الثاني: أَتبَعَ اللفظَ اللفظَ، لأنَّ العرب ربما قلبت إعرابَ الشيءِ لِتُتبِعَ اللفظَ اللفظَ، كما قالوا: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. وإنما الخَرِبُ مِن نعتِ الجُحرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو عِمْرَانَ، والجَحْدَريُّ، وابنُ يَعمَرَ «قُدِّروها» برفع القاف، وكسرِ الدال، وتشديدِها. وقرأ حُمَيدٌ، وعمرُو بنُ دِينَارٍ «قَدَرُوها» بفتحِ القاف، والدالِ، وتخفيفِها. ثم في معنى الآية قولان: **أحدهما**: قَدَّرُوها في أنفسِهم، فجاءَتْ على ما قَدَّرُوا، قاله الحسَنُ. وقال الزَّجَّاجُ: جعل الإناءَ على قَدْرِ ما يحتاجون إليه ويُريدونه على تقديرِهم. **والثاني**: قَدَّرُوها على مقدارٍ لا يزيد ولا يَنْقُص، قاله مُجاهِدٌ. وقال غيره: قَدروا الكأسَ على قَدْرِ ريِّهم، لا يزيد عن رِيِّهم فيُثْقِلُ الكفَّ، ولا ينقصُ منه فيطلب الزيادة، وهذا أَلَذُّ الشرابِ. فعَلَى هذا القول يكون الضميرُ في «قدَّروا» للسُّقاةِ والخَدَمِ. وعلى الأولِ للشارِبِيْنَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا﴾ يعني في الجنة ﴿كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ والعرب تضرب المَثَل بالزَّنجَبيلِ والخمرِ ممزوجَيْنِ. قال المُسَيَّبُ يصِفُ فَمَ امرأةٍ:

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ ... إذْ ذُقْتَهُ وَسُلافَةُ الخَمْرِ[1]

وقال آخرُ:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيـ ... ـلَ باتا بِفِيها وأَرْيا مُشَاراً[2]

الأَرْيُ: العسلُ. والمُشَارُ: المُستَخرَجُ مِنْ بيوت النَّحل. قال مُجاهِدٌ: الزَّنجَبيل: اسمُ العَيْنِ التي منها شرابُ الأبرار. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: الزَّنْجَبيل معرَّبٌ. قال: وقال الدِّيْنَورِيُّ: يَنْبُتُ في أرياف عُمَانَ، وهي عُروقٌ تَسْري في الأرض، وليس بشجرةٍ تُوكلُ رُطَباً، وأجودُ ما يحمل مِنْ بلاد الصِّين. قال الزَّجَّاجُ: وجائزٌ أنْ يكون فيها طعمُ الزَّنْجَبيلِ، والكلامُ فيه كالكلام السابق في الكافُورِ. وقيل: شرابُ الجنَّةِ على بَردِ الكافور، وطعمِ الزَّنْجَبيلِ، وريحِ المِسْكِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: يُسقَون عيناً. وسَلْسَبيل: اسمُ العَيْنِ، إلاَّ أنه صُرِفَ لأنه رأسُ آيةٍ. وهو في اللغة: صفةٌ لِمَا كان في غايةِ السَّلاسَةِ. فكأن العَيْنَ وُصِفَتْ وسمِّيت بصفتها. وقرأتُ

---

(١) هو في آخر ديوان الأعشى ابن أخت المسيب بن علس.
(٢) البيت في ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ٩٣.

على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: قوله عزَّ وجلَّ ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ قيل: هو اسمٌ أعجميٌّ نَكِرَةٌ، فلذلك يُصرَفُ. وقيل: هو اسمٌ معرفةٌ، إلاَّ أنه أُجْرِيَ، لأنه رأسُ آيةٍ. وعن مُجاهِدٍ قال: حديدة الجرية. وقيل: سَلْسبيل: سَلِسٌ ماؤها، مُستقِيدٌ لهم. وقال ابنُ الأنباري: السَّلْسَبيل صِفةُ الماء، لِسَلَسِهِ وسهولةِ مدخلِهِ في الحَلْقِ. يقال: شرابٌ سَلْسَلٌ، وسَلْسالٌ، وسَلْسَبِيلٌ. وحكى المَاوَرْديُّ: أن علياً عليه السلام قال: المعنى: سَلْ سَبِيلاً إليها، ولا يصح.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قد سبق بيانه[1] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: في بَيَاضِ اللؤلؤ وحُسْنِهِ، واللؤلؤ إذا انتثرَ مِنَ الخيط على البِساطِ كان أحسنَ منه منظوماً. وإنما شُبِّهوا باللؤلؤِ المنثورِ، لانتشارِهم في الخِدمَةِ. ولو كانوا صَفًّا لَشَبَّهوه بالمَنظوم. قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يُوصَفُ ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلاَّ قَدَروا عليه، ولا يدخل عليهم مَلَكٌ إلاَّ باستئذانٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وحمزةُ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ بإسكانِ الياء، وكَسْرِ الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلاَّ أنَّ الجُعْفيَّ عن أبي بكرٍ قرأ «عَالِيَتُهُم» بزيادةِ تاءٍ مضمومةٍ. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، ومُجاهِدٌ وقَتادةُ «عَلَيْهِم» بفتحِ اللام، وإسكانِ الياء مِنْ غيرِ تاءٍ، ولا ألفٍ.

قال الزَّجَّاجُ: فأمَّا تفسيرُ إعراب «عالِيْهم» بإسكانِ الياء، فيكون رفعُه بالابتداء، ويكون الخبرُ ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ وأمَّا «عَالِيَهم» بفتح الياء، فنَصْبُه على الحالِ مِنْ شيئين، أحدهما مِنَ الهاء والميم، والمعنى: يطوفُ على الأبرار وِلْدانٌ مُخَلَّدون عالي الأبرارِ ثيابُ سُنْدُسٍ، لأنه قد وَصفَ أحوالَهم في الجنَّةِ، فيكون المعنى: يَطوفُ عليهم في هذه الحالِ هؤلاءِ. ويجوز أن يكون حالاً مِنَ الوِلْدانِ. المعنى: إذا رأيتَهُم حَسِبْتَهم لؤلؤاً مَنثُوراً في حالِ عُلُوِّ الثياب. وأمَّا «عاليهم» فقد قُرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهانِ جَيِّدانِ في العربية، إلاَّ أنهما يُخالفان المصحفَ، فلا أرى القراءةَ بهما، وتفسيرُها كتفسيرِ «عاليهم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، «خضر» رفعاً «وإسْتَبْرق» خَفضاً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم «خُضْرٍ» خفضاً «وإستبرقٌ» رفعاً. وقرأ نافعُ، وحَفْصٌ عن عاصِم «خُضْرٌ وإستبرقٌ» كلاهما بالرفع. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ «خضرٍ وإسْتَبْرقٍ» كلاهما بالخَفْضِ. قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ خُضْرٌ بالرفع، فهو نعتُ الثيابِ، ولفظُ الثيابِ لفظُ الجمع، مَنْ قرأ «خُضْرٍ» فهو مِنْ نعتِ السُّنْدُسِ، والسُّندسُ في المعنى راجعٌ إلى الثيابِ. ومَنْ قرأ «وإستَبْرَق» رفعاً فهو نسقٌ على «ثيابٌ» والمعنى: عليهم إستبرقٌ. ومَنْ خَفَضَ عَطفَهُ على السُّندسِ، فيكون المعنى: عليهم ثيابٌ مِنْ هذين النوعين وقد بيَّنَّا في الكهف[2] معنى السُّنْدُسِ، والإستَبْرَقِ والأساوِرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يُحْدِثون ولا يَبُولُون عن شُرْبِ خَمْرِ الجَنَّة. قاله عطية. **والثاني**: لأنَّ خَمرَ الجنَّة طاهرةٌ، وليست بنَجسةٍ كخَمرِ الدنيا، قاله الفَرَّاءُ. وقال أبو قِلابَة: يُؤْتَوْنَ بعدَ الطعام بالشَّرابِ الطَّهورِ فيشربون فَتَضْمُرُ بذلك بُطونُهم، ويَفيضُ مِنْ

---

(١) الواقعة: ١٧.
(٢) الكهف: ٣١.

جُلودِهم عَرَقٌ مثلُ رَشْحِ المِسْكِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما وصف مِنْ نعيم أهلِ الجنَّةِ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ بأعمالِكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ أي: عَملُكم في الدنيا بطاعةِ الله ﴿مَّشْكُورًا﴾ قال عَطاءٌ: يريد: شَكَرتُكم عليه، وأُثِيبُكم عليه أفضلَ الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾، أي: فَصَّلناه في الإنزالِ، فلم نُنْزِلْه جُمْلَةً واحدةً ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ قد سبق بيانُه في مواضعَ[1]. والمُفسِّرون يقولون: هو مَنسوخٌ بآية السيف، ولا يَصحُّ، قولُه: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: مِنْ مُشركي أهل مكّةَ ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ «أو» بمعنى الواو، كقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾[2]. وقد سبق بيانُ هذا.

وللمفسِّرين في المراد بالآثِم وفي الكَفُورِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهما صِفتانِ لأبي جهلٍ. **والثاني**: أنَّ الآثِمَ: عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، والكَفُورُ الوَليدُ بنُ المُغيرةِ. **والثالث**: الآثِمُ: الوَليدُ. والكَفُورُ: عُتْبةُ، وذلك أنهما قالا له: ارجِعْ عن هذا الأمرِ ونحن نُرضيكَ بالمالِ والتزويج. قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكُرْهُ بالتوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً﴾ يعني: الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ يعني: العَصر. وبعضُهم يقول: الظُّهر والعَصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني: المَغرب والعِشاء. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي: صلاةُ الليل كلُّ فريضةٍ عليه، وهي لأُمَّتِه تَطوُّعٌ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي يعني: الدَّارَ العاجِلةَ، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ يعني: أمامَهُم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمانَ به، والعملَ له. ثم ذَكَرَ قُدرتَه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: خَلْقَهُم، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجّاجُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: امرأةٌ حَسَنَةُ الأَسْرِ، أي: حَسنةُ الخَلْقِ كأنها أُسِرَتْ أي: شُدَّتْ. وأصل هذا مِنَ الإِسَار، وهو: القَدُّ. الذي تشد به الأقتاب يقال: ما أحسَنَ ما أَسَرَ قَتَبَهُ، أي: ما أحسن ما شَدَّه بالقد. ورُوِيَ عن أبي هُريرَةَ قال: مفاصِلَهم. وعن الحَسنِ قال: أوصالَهم بعضاً إلى بعضٍ بالعُروقِ والعَصَبِ، قوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي: إذا شِئنا أهلَكْناهم وأتينا بأشباهِهم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ وقد شرحنا الآيةَ في المُزَّمِلِ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ إيجادَ السبيلِ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلِكُم، وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، «وما يشاؤون» بالياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: والرَّحمة ها هنا: الجنَّةُ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين. قال أبو عُبيدَةَ: نصب «الظالمين» بالجوار، المعنى: ولا يدخل الظالمين في رحمتِه. وقال الزَّجّاجُ: إنما نصب «الظالمين» لأنَّ قبلَه منصوباً. المعنى: يُدخِلُ مَنْ يشاء في رَحمتِه، ويُعذِّبُ الظالمين، فيكون قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيراً لهذا المُضمَرِ، وقرأ أبو العاليةِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي عَبلَةَ «والظالمون» رفعاً.

(١) الطور: ٤٨، والقلم: ٤٨. (٢) الأنعام: ١٤٦. (٣) المزمل: ١٩.

سورة المرسلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها في قولِ الجمهور

وحُكي عن ابنِ عباسٍ، وقَتادةَ، ومُقاتلٍ أن فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا
أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ
ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ
﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(٢): **أحدها:** أنها الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً، رواه

(١) المرسلات: ٤٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٤١: توقف ابن جرير في ﴿المرسلات عرفاً﴾ هل هي الملائكة، =

أبو العُبَيْدَينِ عن ابنِ مسعودٍ، والعَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها الملائكة التي أُرسِلت بالمعروف مِنْ أمر الله ونَهْيِهِ، رواه مَسْرُوقٌ عن ابنِ مسعودٍ، وبهذا قال أبو هُرَيرَةَ، ومُقاتِلٌ. وقال الفَرَّاءُ: هي الملائكة.

فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُرْفًا﴾ فإنها: أُرْسِلتْ بالمعروف، ويقال: تَتَابَعَتْ كَعُرْفِ الفَرَسِ. والعرب تقول: يركب الناسُ إلى فُلانٍ عُرْفاً واحداً: إذا توجَّهوا إليه فأكثروا. قال ابنُ قُتَيبةَ: يريد أنَّ الملائكة متتابعةٌ بما تُرسَل به. وأصله مِنْ عُرْفِ الفَرَسِ، لأنه طَرَفٌ مستوٍ، بعضُه في إِثْرِ بعضٍ فاستعير للقومِ يتبعُ بعضُهم بعضاً. **والثالث**: أنهم الرُّسل بما يعرفون به مِنَ المعجزات، هذا معنى قولِ أبي صالحٍ، ذكره الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنها الملائكة والريح، قاله أبو عُبيدَةَ. قال: ومعنى «عُرْفاً»: يَتْبَعُ بعضُها بعضاً. يقال: جاؤوني عُرْفاً.

وفي «العاصفات» قولان: **أحدهما**: أنها الرياح الشديدةُ الهُبوبِ، قاله الجمهور. **والثاني**: الملائكة، قاله مُسلِمُ بنُ صُبَيح. قال الزَّجَّاجُ: تَعصِفُ بِرُوحِ الكافر.

وفي «النَّاشِرات» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الرياح تَنْشُر السحابَ، قاله ابنُ مسعودٍ، والجمهور. **والثاني**: الملائكة تَنْشُر الكُتبَ، قاله أبو صالح. **والثالث**: الصُّحفُ تُنشر على الله تعالى بأعمالِ العباد، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: البَعثُ للقيامة تُنشر فيه الأرواحُ، قاله الرَّبيعُ. **والخامس**: المطرُ يَنْشُر النباتَ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الفارِقات» أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الملائكة تأتي بما يُفرِّق بين الحقِّ والباطلِ، قاله الأكثرون. **والثاني**: آيُ القرآن فَرَّقَتْ بين الحلالِ والحرامِ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ كَيْسانَ. **والثالث**: الريح تُفرِّقُ بين السحاب فَتبدِّدُه، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الرسل، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي «الملقيات ذكراً» قولان: **أحدهما**: الملائكة تُبَلِّغُ ما حُمِّلَتْ مِنَ الوحيِ إلى الأنبياء، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، والجمهور. **والثاني**: الرسل يُلْقُون ما أُنزِلَ عليهم إلى الأُمَمِ، قاله قُطْرُبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «عُذْراً» خفيفاً «أو نُذُراً» ثقيلاً. وقرأ أبو عمروٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وحفصٌ، وخَلَفٌ «عُذْراً أو نُذْراً» خفيفتان. قال الفَرَّاءُ: وهو مصدرٌ، مثقَّلاً كانَ أو مخفَّفاً. ونصبه على معنى: أُرسِلَتْ بما أُرسِلتْ به إعذاراً مِنَ الله وإنذاراً. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: فالمُلْقياتِ عُذراً أو نُذراً. ويجوز أن يكون المعنى: فالمُلقياتِ ذكراً للإعذارِ والإنذارِ. وهذه المذكوراتُ مجروراتٌ بالقَسَم. وجوابُ القَسَمِ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ ما توعَدون به مِنْ أمر الساعةِ، والبَعثِ، والجزاءِ لَواقِعٌ، أي: لَكائنٌ. ثم ذكر متى يقع فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: مُحيَ نُورُها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: شُقَّتْ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ذُهِبَ بها كلُّها بسرعةٍ. يقال: انتَسفتُ الشيءَ: إذا أخذتَه بسرعةٍ.

= ـ ولم يرجح ـ وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح كما قاله ابن مسعود اهـ.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٤٢: يعني الملائكة، ولا خلاف هاهنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، فتفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قرأ أبو عمرو «وُقِّتَتْ» بواوٍ مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفرَ، إلاَّ أنه خَفَّفَ القافَ. وقرأ الباقون: «أُقِّتت» بألِفٍ مكانَ الواو مع تشديدِ القاف. قال الزَّجَّاجُ: وُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ بمعنىً واحدٍ. فمَنْ قرأ «أُقِّتت» بالهمزِ، فإنه أبدَلَ الهمزةَ مِنَ الواو لانضِمام الواو. وكلُّ واوٍ انضمَّتْ، وكانت ضمَّتُها لازِمةً، جاز أنْ تُبدل منها بهمزةٍ. وقال الفَرَّاءُ: الواوُ إذا كانتَ أولَ حرفٍ، وضُمَّتْ، هُمِزَتْ. تقول: صلَّى القوم أُحْداناً. وهذه أُجوهٌ حِسَانٌ. ومعنى «أُقِّتت»: جمعت لوقتها يوم القيامة. وقال ابن قتيبة: جمعت لوقت، وهو يوم القيامة. وقال الزَّجَّاجُ: جُعِلَ لها وقتٌ واحدٌ لِفَصل القضاءِ بين الأُمَّةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: أُخِّرتْ. وضَرْبُ الأَجَلِ لِجَمْعِهم، يُعجِب العبادَ مِنْ هَولِ ذلك اليوم. ثم بيَّنه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ وهو يومٌ يفصِلُ الله تعالى فيه بين الخلائق. ثم عَظَّم ذلك اليومَ بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبَعثِ. ثم أخبرَ اللَّهُ تعالى عمَّا فعل بالأُمم المُكذِّبةِ، فقال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذَّبوا رُسلَهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ والقُرَّاءُ على رفعِ العين في «نتبعُهم»، وقد قرأ قومٌ منهم أبو حَيْوَةَ بإسكانِ العين. قال الفَرَّاءُ: «نتبعُهم» مرفوعةٌ. ويدلُّ على ذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ «وسنتبعهم الآخرين». ولو جَزمتَ على معنى: أَلَمْ نقدِرْ على إهلاكِ الأوَّلين وإتباعِهم الآخِرين كان وَجْهاً جيداً. وقال الزَّجَّاجُ: الجزم عطفٌ على «نُهلكْ»، ويكون المعنى: لِمَنْ أهلكَ أوَّلاً وآخِراً. والرفعُ على معنى: ثم نُتبِع الأولَ والآخرَ مِنْ كلِّ مُجرم. وقال مُقاتِلٌ: ثم نُتبِعهم الآخِرين: يعني: كفار مكَّةَ كذَّبوا بالنبيِّ ﷺ، وقال ابنُ جَريرٍ: الأوَّلون: قومُ نُوحٍ، وعادٍ، وثَمُودَ، والآخرون: قومُ إبراهيمَ، ولُوطٍ، ومَدْيَنَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: المُكذِّبين. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في تكرارِ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾؟ فالجوابُ: أنه أراد بكلِّ آيةٍ منها غيرَ ما أراد بالأخرى، لأنه كلَّما ذكرَ شيئاً قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ قرأ قالُونُ عن نافع بإظهارِ القاف. وقرأ الباقون بإدغامِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيفٍ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: الرَّحِمَ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو مُدَّةُ الحَملِ ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ أهلُ المدينة، والكِسَائيُّ «فقدَّرْنا» بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهما لُغتانِ بمعنىً واحدٍ. قال الفَرَّاءُ: تقول العرب: قَدَرَ عليه، وقَدَّر عليه. وقد احتَجَّ مَنْ قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشدَّدةً لَقالَ: فنِعْمَ القادِرُون، فأجابَ الفَرَّاءُ فقال: قد تجمع العربُ بين المعنيين، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1]. قال الشاعر:

وَأَنْكَرَتْني وَمَا كانَ الَّذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا[2]

يقول: ما أنكَرَتْ إلاَّ ما يكون في الناسِ.

---

(١) الطارق: ١٧.

(٢) البيت للأعشى الكبير ديوانه: ١٠١ من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة.

والثاني: أنَّ المُخفَّفة مِنَ القُدرة والمُلْك، والمشدَّدة مِنَ التقدير والقضاء. ثم بيَّن لهم صُنعَه ليعتبروا فيُوحِّدوه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال اللغويون: الكَفْتُ في اللغة: الضَّمُّ. والمعنى: أنها تَضُمُّ أهلَها أحياءً على ظهرِها، وأمواتاً في بطنِها. قال ابنُ قُتيبة: يُقال: اكْفِتْ هذا إليكَ، أي: ضُمَّه. وكانوا يُسمُّون بَقِيعَ الغَرْقَدِ: كَفْتَة، لأنه مقبرةٌ يضمُّ المَوتى.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: تَكْفِتُهم أحياءً وأمواتاً، قاله الجمهور. قال الفرَّاءُ: وانتصبَ الأحياءُ والأمواتُ بوقوع الكِفاتِ عليهم، كأنكَ قُلتَ: أَلَمْ نجعلِ الأرضَ كِفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ، فإذا نَوَّنْتَ نصبتَ كما يقرأ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾[1] وقال الأخفشُ: انتصب على الحالِ.

والقول الثاني: أنَّ المعنى: أَلَمْ نجعلِ الأرضَ أحياءً بالنباتِ والعمارةِ، وأمواتاً بالخَرابِ واليَبسِ، هذا قولُ مُجاهِدٍ، وأبي عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ قد سبقَ بيانه ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي: عالياتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ قد سبقَ معنى «أسقينا»[2] ومعنى «الفُرات»[3] والمعنى: إنَّ هذه الأشياءَ أعجبُ مِنَ البَعْثِ. ثم ذكر ما يُقال لهم في الآخرة: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانيةَ بكسرِ اللام على الأمرِ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وأبو عِمْرانَ، ورُوَيسٌ عن يعقوبَ بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابنُ قُتيبةَ: «والظِّل» ها هنا: ظِلٌّ مِنْ دُخانِ نارِ جهنَّم سَطَعَ، ثم افترقَ ثلاثَ فِرقٍ، وكذلك شأنُ الدُّخان العظيم إذا ارتفع أنْ يتشعَّبَ، فيُقال لهم: كونوا فيه إلى أنْ يفرغَ مِنَ الحساب، كما يكون أولياءُ الله في ظِلِّ عرشِه، أو حيثُ شاء مِنَ الظِّلِّ، ثم يُؤْمَرُ بكلِّ فريقٍ إلى مُستقرِّه مِنَ الجنة والنار ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: لا يُظِلُّكم مِنْ حرِّ هذا اليوم بل يُدْنيكم مِنْ لَهبِ النار إلى ما هو أشدُّ عليكم مِنْ حرِّ الشمس. قال مُجاهِدٌ: تكون شُعبةٌ فوق الإنسان، وشُعبةٌ عن يمينه، وشُعبةٌ عن شِماله، فتُحِيطُ به. وقال الضَّحَّاكُ: الشُّعَبُ الثلاثُ: هي الضَّرِيعُ، والزَّقومُ، والغِسْلِينُ. فعَلَى هذا القول يكون هذا بعدَ دخولِ النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: لا يَدفعُ عنكم لَهَبَ جهنَّم. ثم وَصفَ النَّارَ فقال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾، وهو جمعُ شَرَرةٍ، وهو ما يتطايرُ مِنَ النار مُتفرِّقاً ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور بإسكانِ الصاد على أنه واحدُ القُصورِ المَبنيَّةِ. وهذا المعنى في روايةِ ابنِ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وهو قولُ الجمهور. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٍ، وأبو الجَوْزَاءِ «كالقَصَر» بفتح الصاد. وفي أفرادِ البُخاري مِنْ حديث ابنِ عباسٍ قال: كنَّا نرفعُ الخشبَ بقصر ثلاثةَ أذرُعٍ أو أقلَّ فنرفعه للشتاء، فنُسمِّيه: القَصَر. قال ابنُ قُتيبةَ: مَنْ فَتحَ الصادَ أراد: أُصولَ النَّخلِ المقطوعةِ المَقلُوعةِ. وقال الزَّجَّاجُ: أراد أعناقَ الإبلِ. وقرأ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وعائشةُ، وعِكرمَةُ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ يَعمَرَ «كالقَصِر» بفتح القاف، وكَسْرِ الصاد. وقرأ ابنُ مَسعودٍ، وأبو هُرَيرةَ، والنَّخعيُّ «كالقُصُر» برفعِ القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدَّرداءِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ «كالقِصَر» بكسرِ القاف، وفتحِ الصاد، وقرأ أبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وأبو نَهِيكٍ، ومعاذٌ القارئُ «كالقُصْر» بضمِّ القاف وإسكانِ الصاد.

---

(١) البلد: ١٤ ـ ١٥. (٢) الحجر: ٢٢، الجن: ١٦. (٣) الفرقان: ٥٣، فاطر: ١٢.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «جِمالاتٌ» بألفٍ، وكسرِ الجيم. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُ، وحَفصٌ عن عاصِم «جِمَالَةٌ» على التوحيد. وقرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «جُمالات» بضمِّ الجيم. وقرأ أبو رَزِينٍ، وحُمَيدٌ، وأبو حَيْوَةَ «جُمالة» برفعِ الجيم على التوحيد. قال الزَّجَّاجُ: من قرأ «جِمالات» بالكسرِ، فهو جمعُ جِمَالٍ، كما تقول: بُيوت، وبُيوتات، وهو جمعُ الجمع، فالمعنى: كأنَّ الشَّراراتِ كالجِمالاتِ. ومَنْ قرأ «جمالات» بالضمِّ، فهو جمعُ «جُمالَة»، وهو القَلْس مِنْ قلوسِ سُفنِ البحر، ويجوز أنْ يكونَ جمع جَمَل وجِمال وجِمالات، ومَنْ قرأ جِمالة فهو جمعُ جَمَل وجِمالة، كما قيل: حَجر، وحِجَارة. وذَكر، وذِكَارة. وقُرئتْ «جُمالة» على ما فسَّرناه في جُمالاتٍ بالضمِّ. و «الصُّفر» ها هنا: السُّود. يُقال للإبلِ التي هي سُودٌ تضرب إلى الصُّفرَةِ: إبلٌ صُفرٌ. وقال الفَرَّاءُ: الصُّفر: سُودُ الإبلِ لا يُرى الأسودُ مِنَ الإبل إلاّ وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةً، فلذلك سَمَّتْ العربُ سُودَ الإبِل: صُفراً، كما سَمَّوا الظِّباءَ: أُدماً لِمَا يعلوها مِنَ الظُّلمة في بياضِها، قال الشاعر:

تلك خَيلي منه وتلك رِكابي هُنَّ سُوزٌ أولادُها كالزَّبيب

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ قال المُفسِّرون: هذا في بعضِ مواقف القيامة. قال عِكرمَةُ: تكلَّموا واختَصَموا، ثم خَتَمَ على أفواهِهم، فتكلَّمت أيديهم، وأرجُلهم، فحِينئذٍ لا يَنطِقون ولا يُؤذون لهم فيعتذرون. وقال ابنُ الأنباري: لا ينطِقون بحُجَّةٍ تَنفَعُهم. وقرأ أبو رَجاءٍ، والقاسِمُ بنُ محمَّدٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ «هذا يومَ لا ينطقون» بنصبِ الميم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: بين أهلِ الجنة وأهلِ النار ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ يعني: مُكذِّبي هذه الأمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ المُكذِّبين الذين كذَّبوا أنبياءَهم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ في الحالين يعقوبُ، أي: إنْ قَدَرتُم على حِيْلَةٍ، فاحتالوا لأنفسِكم. ثم ذكرَ ما للمؤمنين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ﴾ يعني: ظِلال الشجرِ، وظِلال أكْنانِ القصورِ ﴿وَعُيُونٍ﴾ الماء وهذا قد تقدَّم بيانُه، إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا﴾ أي: ويُقال لهم: كُلوا واشرَبوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعةِ الله. ثم قال لكفَّارِ مكَّةَ: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى مُنتهى آجالِكم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون بالله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه حينَ يُدْعَون إلى السجود يومَ القيامة، رواه العَوْفيُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه في الدنيا كانوا إذا قيلَ لهم: ارْكَعوا، أي صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يُصلُّون. وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ في آخرين، وهو الأصحُّ.

[١٥٠٩] وقيل: نزلت في ثَقِيفٍ حين أمَرَهم رسولُ الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نَحْني، فإنها مَسَبَّةٌ علينا، فقال: «لا خيرَ في دِينٍ ليس فيه ركوعٌ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنْ لم يُصدِّقوا بهذا القرآن، فبأيِّ كتابٍ بعدَهُ يُصدِّقون، ولا كتابَ بعدَهُ.

[١٥٠٩] ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد ٢١٨/٤ من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

ويُقال لها: سُورة عمَّ يتساءلون
وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ
نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا
١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ
ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ
يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ
جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا
حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ
شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢
وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ رَّبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا
مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا
قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أصله «عَنْ ما» فأُدغِمت النونُ في الميم، وحُذِفتْ ألفُ «ما» كقولهم: فِيمَ، وبِمَ.

[١٥١٠] قال المُفسِّرون: لمَّا بُعِثَ رسولُ الله ﷺ جَعَلَ المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بُعِثَ به، فنزلت هذه الآية. واللفظُ لفظُ استفهامٍ. والمعنى:

[١٥١٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٩٩٧ عن الحسن قوله. وأخرج الطبري عن مجاهد وقتادة وغيرهما غير ذلك، وكل ذلك ضعيف، لا حجة فيه لأنه مجرد اجتهاد منهم.

تفخيمُ القصة، كما يقولون: أيُّ شيءٍ زيدٌ؟ إذا أردتَ تعظيمَ شأنه. ثم بيَّنَ ما الذي يتساءلون عنه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: عن الخبرِ العظيم الشأنِ. وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القرآن، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ. قال الفَرَّاءُ: فلما أجاب صارتْ «عَمَّ» كأنها في معنى: لأيِّ شيءٍ يتساءلون عن القرآن. **والثاني**: البَعْثُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه أمرُ النبيِّ ﷺ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ مَنْ قال: إنه القرآن، فإنَّ المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحرٌ، وقال بعضهم: هو شعرٌ، وقال بعضهم: أساطيرُ الأوَّلين، إلى غيرِ ذلك. وكذلك مَنْ قال: هو أمرُ النبيِّ ﷺ. فأمَّا مَنْ قال: إنه البَعثُ والقيامةُ، ففي اختلافِهم فيه قولان:

أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لمَّا سمعوا به، فمِنهم مَنْ صدَّق وآمَنَ، ومنهم مَنْ كذَّبَ، وهذا معنى قولِ قَتادَةَ. **والثاني**: أنَّ المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصَدَّقَ به المسلمون، وكَذَّب به المشركون، قاله يَحيى بنُ سَلاَم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال بعضُهم: هي رَدعٌ وزَجرٌ. وقال بعضهم: هي نفيٌ لاختلافِهم، والمعنى: ليس الأمرُ على ما قالوا، ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ تكذيبهم حينَ ينكشِفُ الأمرُ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ على إثرِ وعيدٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ «ستعلمون» في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صُنعَه لِيَعرفوا توحيدَه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أي: فِراشاً وبِساطاً ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ للأرض لِئَلاَّ تَميدَ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً، وأضداداً، ذكوراً، وإناثاً، سُوداً وبِيضاً، وحُمراً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: راحةً لأبدانِكم. وقد شرحنا هذا في الفُرقان[1] وشرحنا هناك قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: سبباً لِمعاشِكم. والمَعاشُ: العيش، كلُّ شيءٍ يُعاشُ به، فهو مَعاشٌ. والمعنى: جعلنا النهارَ مَطلباً للمَعاشِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: مَعاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدرٌ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ قال مُقاتِلٌ: هي السَّمواتُ، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرة خمسمائةِ عامٍ، وبين كلِّ سماءين مثلُ ذلك؛ وهي فوقكم يا بني آدمَ. فاحذَروا أنْ تَعصُوا فتَخِرَّ عليكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يعني: الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو المضيء. وقال اللغويون: الوَهَّاج: الوَقَّاد. وقيل: الوَهَّاج يَجمعُ النُّورَ والحرارةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السمواتُ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنها الرِّياح، رَواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادةُ ومُقاتِلٌ. قال زيدُ بنُ أسلَمَ: هي الجَنوب. فعَلى هذا القول تكونُ «مِنْ» بمعنى «الباء»، وتقديره: بالمُعصِرات. وإنما قيل للرِّياح: مُعصِرات، لأنها تَستَدِرُّ المطرَ. **والثالث**: أنها السَّحابُ، رَواه الوالبيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العاليةِ. والضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ، قال الفَرَّاءُ: السَّحابةُ المُعصِر: التي تتحلَّب بالمطرِ ولمَّا يَجتَمِعْ، مثل الجارية المُعصِرِ، قد كادَتْ تحِيضُ، ولمَّا تَحِضْ. وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ: شُبِّهت السحابُ بمعاصِيرِ الجواري، والمُعصِرُ: الجاريةُ التي قد دنَتْ مِنَ الحَيْضِ. وقال

---

(١) الفرقان: ٤٧.

الزَّجَّاجُ: إنما قيل للسَّحابِ: مُعصِرات، كما قيل: أجزَّ الزَّرعُ، فهو مُجزٌ؛ أي: صار إلى أنْ يُجزَّ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أنْ يُمطِرَ فقد أعصَرَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: مطراً كثيراً مُنصبًا يَتبعُ بعضُه بعضاً. وقال غيره: يُقال: ثجَّ الماءُ يَثِجُّ: إذا انصبَّ ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الماء ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ الحَبَّ: ما يأكله الناسُ، والنبات: ما تُنبِتُه الأرضُ مما يأكلُ الناسُ والأنعامُ، هذا قولُ الجمهورِ. قال الزَّجَّاجُ: كُلُّ ما حُصِدَ حَبٌّ، وكُلُّ ما أكَلَتْه الماشيةُ مِنَ الكَلإِ، فهو نباتٌ.

والثاني: أنَّ الحَبَّ: اللؤلؤ، والنباتَ: العشب. قال عِكرِمَةُ: ما أنزلَ اللّٰهُ مِنَ السَّما قَطْراً، إلاَّ نبتَ به في البحرِ لؤلؤاً، وفي الأرض عُشباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ يعني: بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: مُلتَفَّةً مِنَ الشجر ليس بينها خِلالٌ، الواحدة: لَفَّاءُ، وجنَّاتٌ لُفٌّ، وجمعُ الجمعِ: ألْفافٌ. قال المُفسِّرون: فدلَّ بذكر المخلوقاتِ على البَعثِ. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال عز وجلَّ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ لِمَا وَعدَ الله مِنَ الثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ﴾ مِنْ قبوركم ﴿أَفْوَاجًا﴾ أي: زُمَراً زُمَراً مِنْ كلِّ مكانٍ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «وفُتِّحت» بالتشديد. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ بالتخفيف، وإنما تُفتَحُ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: ذاتَ أبوابٍ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: كالسَّراب، لأنها تصيرُ هَباءً منثوراً فيراها الناظرُ كالسَّرابِ بعد شِدَّتِها وصلابَتِها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المُبرِّدُ: مِرصاداً يُرصَدون به، أي: هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُد بها خَزنَتُها الكفَّارَ. وقال الأزهَريُّ: المِرْصاد: المكان الذي يَرصُد فيه الراصدُ العدوَّ. ثم بَيَّنَ لِمَنْ هي مِرصادٌ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: للمشركين ﴿مَـَٔابًا﴾ أي: مَرْجعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ وقرأ حمزَةُ «لَبِثِين» والمعنى: فيهما واحدٌ. يقال: هو لابِثٌ بالمكان، ولَبِثٌ. ومثله طَامِع، وطَمِع، وفَارِه، وفَرِه. وأما الأحْقابُ فجمع حُقُبٍ، وقد ذكرنا الاختلافَ فيه في الكهف[١].

فإنْ قيلَ: ما معنى ذِكرِ الأحْقابِ، وخُلودُهم في النارِ لا نفادَ له؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ هذا لا يدل على غايةٍ، لأنه كلَّما مضى حُقبٌ تبعه حُقبٌ ولو أنه قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ عشرةَ أحقابٍ أو خمسةَ دلَّ على غايةٍ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ، والجمهورِ. وبيانُه أنَّ زمانَ أهل الجنة والنار يُتَصوَّرُ دخولُه تحتَ العددِ، وإنْ لم يكُنْ له غايةٌ. كقوله: بُكرةً وعَشِياً، مثل هذا أنَّ كلماتِ الله تعالى داخلَةٌ تحتَ العدد وإن لم تكُنْ لها نهايةٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: أنهم يَلْبثون فيها أحقاباً ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ في الأحْقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ فأمَّا خُلودهم في النار فدائمٌ. هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وبيانه أنَّ الأحْقابَ حَدٌّ لِعذابِهم بالحَمِيمِ والغَسَّاقِ، فإذا انقضت الأحْقابُ عُذِّبوا بغيرِ ذلك مِنَ العذابِ.

---

(١) الكهف: ٦٠.

وفي المراد «بالبَرْد» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بَردُ الشرابِ. رَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: لا يَذوقون فيها بَرْدَ الشراب، ولا الشرابَ. **والثاني**: أنه الرَّوْحُ والراحةُ، قاله الحَسَنُ، وعَطاءٌ. **والثالث**: أنه النَّومُ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، وأنشدوا:

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ ... وإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً ولاَ بَرْدَا[1]

قال ابنُ قُتَيبةَ: النُّقاخُ: الماء، والبَردُ: النَّومُ، سُمِّيَ بذلك لأنه تَبرُدُ فيه حرارةُ العطشِ. وقال مُقاتِلٌ: لا يذوقون فيها بَرْداً ينفعُهم مِنْ حَرِّها، ولا شراباً ينفعُهم مِنْ عطشٍ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «غَسَاقاً» بالتخفيف. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، والمُفضَّلُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ بالتشديد وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ الحَميم، والغَسَّاقِ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ قال الفَرَّاءُ: وِفْقاً لأعمالِهم وقال غيرُه: جُوْزُوا جزاءً وِفاقاً لأعمالِهم على مِقدارِها، فلا ذَنْبَ أعظمُ مِنَ الشركِ، ولا عذابَ أعظمُ مِنَ النارِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يخافون أنْ يُحاسبوا، لأنهم لا يُؤمنون بالبَعثِ، قاله الجمهور. **والثاني**: لا يَرجُون ثوابَ حسابٍ، لأنهم لا يُؤمنون بالبَعثِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي: بما جاء به الأنبياءُ قال الفَرَّاءُ: الكِذَّابُ بالتشديد لُغةٌ يَمانيَّةٌ فصيحةٌ؛ يقولون: كذَّبت به كِذَّاباً، وخرَّقت القميصَ خِرَّاقاً، وكلُّ «فَعَّلْتُ» فمَصدرُه في لُغتِهم مُشَدَّدٌ. قال لي أعرابيٌّ منهم على المَروَةِ يستفتيني: الحَلْقُ أحبُّ إليكَ، أَمِ القِصَّارُ؟ وأنشدني بعضُ بني كِلابٍ:

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطَتني عن صَحابَتي ... وَعَنْ حِوَجٍ قِضَّاؤها مِنْ شِفَائِيا

وأما أهلُ نَجدٍ، فيقولون: كذَّبت به تكذيباً. وقال أبو عُبيدَةَ: الكِذَّاب أشدُّ مِنَ الكِذَاب، وهما مصدر المُكاذَبة. قال الأعشى:

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها ... والمَرءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلَّ» منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ تفسيره: أحصيناه، والمعنى: وأحصينا كلَّ شيءٍ، و ﴿كِتَٰبًا﴾ توكيدٌ لـ «أحصيناه»، لأنَّ معنى «أحصيناه» و «كتَبناه» فيما يحصل ويثبت واحدٌ. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المُفسِّرون: وكلُّ شيءٍ مِنَ الأعمال أثبتناه في اللَّوحِ المحفوظِ ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي: فيُقال لهم: ذُوقوا جزاءَ فِعالِكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين لم يُشركوا ﴿مَفَازًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: مُتَنزَّهاً، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: فازُوا بأنْ نَجَوا مِنَ النار بالجنة، ومِنَ العذاب بالرَّحمةِ، قاله قَتادةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: «مفازاً» في موضعِ «فوز» قوله: ﴿حَدَآئِقَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: الحدائق: بساتينُ نَخلٍ، واحدها: حديقةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الكَواعِب: **النَّواهِد**. قال ابنُ فارسٍ: يقال: كَعَبَتِ المرأة كَعابةً، فهي كَاعِبٌ: إذا نَتأَ ثَديُها. وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في صَ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَلأَى، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ

(١) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في دواوينه ١٠٩ و «شواهد الكشاف» ٣٤.
(٢) صَ: ٥٧. (٣) صَ: ٥٢.

عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنها المُتتابِعةُ. رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبَيرٍ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: أنها الصَّافيةُ، قاله عِكرِمَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة إذا شَرِبوها ﴿لَغۡوٗا﴾ وقد ذكرناه في الطُّور[١] وغيرِها، ﴿وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ أي: لا يُكذِّب بعضُهم بعضاً، لأنَّ أهلَ الدنيا إذا شربوا الخمرَ تكلَّموا بالباطل وأهلُ الجنَّةِ مُنزَّهون عن ذلك. قال الفرَّاءُ. وقراءةُ عليٍّ رضي الله عنه «كِذَاباً» بالتخفيف، كأنه ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ لا يَتكاذَبون فيها. وكان الكِسائيُّ يُخفِّفُ هذه ويشدِّدُ، «وكذَّبوا بآياتنا كذَّاباً» لأنَّ «كذَّبوا» يُقيِّد «الكِذَّاب» بالمصدرِ، وهذه ليست مقيَّدةً بفعلٍ يصيِّرها مصدراً، وقد ذكرنا عن أبي عُبيدَةَ أنَّ الكِذَّاب بالتشديد والتخفيف مصدرُ المُكاذبة. وقال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: «الكِذَاب» بالتخفيف مصدرُ «كَذَب»، مثل «الكِتَاب» مصدر «كَتَبَ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَزَآءٗ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جازَاهُم بذلك جزاءً، وكذلك «عطاءً» لأنَّ معنى أعطاهم وجازَاهم واحدٌ. و ﴿حِسَابٗا﴾ معناه: ما يكفِيهم، أي: فيه كلُّ ما يشتهون. يُقال: أحسَبَني كذا بمعنى كَفاني. ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، والمُفضَّلُ «ربُّ السموات والأرض وما بينهما الرحمنُ» برفعِ الباء مِنْ «ربّ» والنون مِنَ الرَّحمن على معنى: هو ربُّ السمواتِ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ بخفضِ الباء والنون على الصفة مِنْ «ربِّك». وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بكسرِ الباء ورفعِ النون، واختار هذه القراءةَ الفرَّاءُ. ووافقه على هذا جماعةٌ، وعلَّلوا بأنَّ الربَّ قريبٌ مِنَ المَخفوضِ، والرحمن بعيدٌ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يملكون الشفاعةَ إلاَّ بإذنِه قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: لا يَقدرُ الخَلْقُ أنْ يُكلِّموا الربَّ إلاَّ بإذنِه، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[٢]:

[١٥١١] **أحدها**: أنه جُندٌ مِنْ جُندِ الله تعالى، وليسوا بملائكةٍ، رواه ابنُ عباسٍ عن رسول الله ﷺ. وقال مُجاهِدٌ: هم خَلْقٌ على صورة بني آدمَ يأكلون ويشربون.

والثاني: أنه مَلَكٌ أعظَمُ مِنَ السمواتِ والجبالِ، والملائكةِ، قاله ابنُ مسعودٍ، ومُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. ورَوى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: الرُّوح: مَلَكٌ ما خَلَقَ اللَّهُ مَلَكاً أعظَمَ منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحدَهُ صَفًّا، وقامت الملائكةُ كلُّهم صفًّا واحداً، فيكون عِظَمُ خَلْقِه مِثْلَ صفوفِهم.

[١٥١١] باطل، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٤١٢ من حديث ابن عباس، وفي إسناده مجاهيل والمتن منكر، ولو صح لما اختلف المفسرون في معنى الروح في هذه الآية. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٢٣٣ بتخريجنا.

---

(١) الطور: ٢٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره»: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح، والروح: خلق من خلقه وجائز أن يكون بعض الأشياء التي ذكرت. والله أعلم أي ذلك هو. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٤٩: هو جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير ويستشهد لهذا القول، بقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدم.

والثالث: أنها أرواحُ الناس تقوم مع الملائكةِ فيما بين النَّفخَتين قبل أنْ تُرَدَّ إلى الأجسادِ، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه جِبريلُ عليه السلام قاله الشَّعْبيُّ، وسعيدُ بنُ جُبَير، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنهم بَنو آدمَ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والسادس**: أنه القرآن، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والسابع**: أنهم أشرفُ الملائكة، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشَّعْبيُّ: هما سِماطَانِ، سِماطٌ مِنَ الرُّوح، وسِماطٌ مِنَ الملائكة. فعَلَى هذا يكون المعنى: يوم يقومُ الرُّوح صَفًّا، والملائكة صفًّا. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿صَفًّا﴾ صفوفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني: الخَلْقُ كلُّهم ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا صَواباً، وهو الشهادةُ بالتوحيدِ عند أكثرِ المُفسِّرين. وقال مُجاهِدٌ: قال حقًّا في الدنيا، وعَمِلَ به ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الكائنُ الواقع بلا شَكٍّ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي: مَرجعاً إليه بطاعتِه. ثم خَوَّف كفَّارَ مكَّةَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذابُ الآخرة، وكلُّ آتٍ قريبٌ ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يرى عملَه مُثبَتاً في صَحيفَتِه خيراً كان أو شرًّا، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ قال الحسَنُ: إذا سمع اللَّهُ الخلائقَ يومَ القيامة وقضى الثَّقَلَين الجِنِّ والإنس وأرُوا منازلَهم قال لسائرِ الخَلْقِ: كونوا تراباً فحِينَئذٍ يقول الكافرُ يا ليتني كنتُ تراباً. وحكى الزَّجَّاجُ أنَّ معنى: يا لَيْتَني كنتُ تراباً. يا ليتني لم أُبعَثْ. وحكى الثَّعلَبيُّ عن بعضِ أشياخه. أنه رأى في بعضِ التفاسير أنَّ الكافرَ ها هنا: إبليسُ، وذلك أنه عابَ آدمَ، لأنه خُلِقَ مِنَ التراب فتمنَّى يومَ القيامة أنه كان بمكانِ آدمَ، فقال: يا ليتني كنتُ تُراباً.

سورة النازعات

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

مكيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥
يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ
۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الملائكة تَنْزِعُ أرواحَ الكفَّارِ، قاله عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وروى عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ قال: هي الملائكةُ تَنْزِعُ نُفوسَ بني آدمَ، وبه قال مَسْرُوقٌ. **والثاني**: أنه الموتُ يَنْزِعُ النُّفوسَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها النَّفْسُ حين تُنْزَعُ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: أنها النجومُ تَنْزِعُ مِنْ أُفُقٍ إلى أُفُقٍ تَطلعُ ثم تَغِيبُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، وأبو عُبيدَةَ، والأخفَشُ، وابنُ كَيْسانَ. **والخامس**: أنها القِسِيُّ تَنْزِعُ بالسَّهم، قاله عَطاءٌ وعِكرمَةُ. **والسادس**: أنها الوحوش تَنزِعُ وتَنفِرُ، حكاه المَاوَرديُّ. **والسابع**: أنها الرُّماةُ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿غَرْقًا﴾ اسمٌ أُقِيمَ مقامَ الإغراق. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: والنَّازعاتِ إغراقاً، كما يَغرَقُ النازعُ في القوسِ، يعني: أنه يبلغُ به غايةَ المَدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنها حين تنشطُ أرواحُ الكفَّارِ حتى تُخرجَها بالكَربِ والغَمِّ، قاله عليٌّ عليه السلام. قال مُقاتِلٌ: يَنزِعُ مَلَكُ الموتِ روحَ الكافرِ، فإذا بَلغَتْ تُرقُوتَهُ غَرقَها في حَلْقِه، فيُعذِّبه في حياتِه، ثم يَنْشِطُها مِنْ حَلْقِه ـ أي: يَجْذِبُها ـ كما يُنْشطُ السَّفُّودُ مِنَ الصوفِ المُبْتَلِّ. **والثاني**: أنها تَنشُطُ. أرواحَ المؤمنين بسرعةٍ كما يُنشَطُ العِقالُ مِنْ يدِ البعير إذا حُلَّ عنها، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: الذي سمعتُه

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥١: قال ابن مسعود: ﴿والنازعات غرقاً﴾: الملائكة، يعنون حين تنتزع أرواح بنو آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرق في نزعها، ومن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط. وهو الصحيح وعليه الأكثرون اهـ.

مِنَ العرب: كأنما أُنشِطَ مِنْ عِقَالٍ، بألفٍ. تقول: إذا رَبطتَ الحبلَ في يدِ البعير: نَشطته، فإذا حَلَلتَهُ قلتَ: أنشَطْتُه.

والقول الثاني: أنها أَنفُسُ المؤمنين تَنشَطُ عند الموت للخروج، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وبيانه أنَّ المؤمنَ يَرى منزلَه مِنَ الجنة قبلَ الموت فتنشَطُ نَفسُه لذلك. **والثالث**: أنَّ النَّاشِطاتِ: الموتُ يُنَشِّطُ نَفسَ الإنسان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: النجوم تَنشَطُ مِنْ أُفقٍ إلى أُفقٍ، أي: تذهب، قاله قَتادةُ، وأبو عُبيدَةَ، والأَخفشُ. ويُقال لبقرِ الوحش: نَواشِط، لأنها تذهب مِنْ موضعٍ إلى موضعٍ. قال أبو عُبيدَةَ: والهمومُ تَنشطُ بصاحبها. قال هِميان بنُ قُحافَةَ:

أَمسَتْ هُمومي تَنشِطُ المَناشِطَا ... الشَّامَ بي طَوْراً وطَوْراً وَاسِطَا

والخامس: أنها النَّفسُ حين تَنشطُ بالموت، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها الملائكة تَسبَحُ بأرواح المؤمنين، قاله عليٌّ عليه السلام. قال ابنُ السَّائبِ: يقبضون أرواحَ المؤمنين كالذي يَسبَحُ في الماء. فأحياناً ينغمِسُ، وأحياناً يرتفع، يَسُلُّونها سَلاً رفيقاً، ثم يَدعُونها حتى تستريحَ. **والثاني**: أنهم الملائكة ينزلون مِنَ السماء مُسرِعينَ، كما يُقال للفرسِ الجوادِ: سابح: إذا أسرَعَ في جَرْيِهِ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو صالحٍ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: أنه الموت يَسبَحُ في نفوس بني آدمَ، رُوِيَ عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والرابع**: أنها السُّفنُ تسبحُ في الماء، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحُون، قاله قَتادةُ، وأبو عُبيدَةَ. **والسادس**: أنها الخَيلُ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تسبقُ الشياطين بالوحي إلى الأنبياءِ، قاله عليٌّ عليه السلام ومَسْرُوقٌ. **والثاني**: أنها تسبقُ بأرواحِ المؤمنين إلى الجنة، قاله مُجاهِدٌ، وأبو رَوْقٍ. **والثالث**: سبقَتْ بني آدمَ إلى الإيمان، قاله الحَسنُ.

والقول الثاني: أنها أنفُسُ المؤمنين تسبِقُ الملائكةَ شوقاً إلى لقاءِ الله، فيَقبِضُونها وقد عايَنَتِ السرورَ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثالث**: أنه الموتُ يسبق إلى النُّفوسَ، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والرابع**: أنها الخيل، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: أنها النجوم يسبق بعضُه بعضاً في السَّيْرِ، قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي الملائكةُ. قال عَطاءٌ: وُكِّلتْ بأمورٍ عَرَّفَهم اللهُ العملَ بها. وقال عبدُ الرَّحمن بنُ سابطٍ: يُدَبِّرُ أمرَ الدنيا أربعةٌ: جِبريلُ، وهو مُوكَّلٌ بالرِّياحِ والجنودِ. ومِيكائِيلُ، وهو مُوكَّلٌ بالقَطْرِ والنباتِ. ومَلَكُ الموتِ، وهو مُوكَّلٌ بقبضِ الأنفُسِ. وإسْرافِيلُ، وهو يَنزلُ بالأمرِ عليهم. وقيل: بل جِبريلُ للوحي، وإسْرافِيلُ للصُّوَرِ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: فالمُدَبِّرات أمراً: تنزلُ بالحلالِ والحرام. فإنْ قيلَ: أين جوابُ هذه الأقسام ففيه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الجوابَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّ الجواب مضمرٌ، تقديره: لَتُبعَثُنَّ، ولَتُحاسَبُنَّ، ويدلُّ على هذا قولُه عزَّ وجلَّ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ قاله الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾، وهي النَّفخة الأولى التي تموتُ منها جميعُ الخلائق.

و «الرَّاجِفة» صيحةٌ عظيمةٌ فيها تَرَدُّدٌ واضطرابٌ كالرَّعدِ إذا تَمخَّضَ. و «تَرجُف» بمعنى: تتحرَّك حركةً شديدةً ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ وهي: النَّفخةُ الثانية رَدِفَت الأولى، أي: جاءت بعدَها وكلُّ شيءٍ جاء بعدَ شيءٍ فهو يردَفُه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: شديدةُ الاضطرابِ لِمَا عاينَتْ مِنْ أهوالِ يوم القيامة أيضاً ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلةٌ لِمُعاينة النارِ. قال عَطاءٌ: وهذه أبصارُ مَنْ لم يَمُتْ على الإسلام. ويدلُّ على هذا أنه ذَكَرَ مُنكِري البعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ وأهلُ الكوفة «أئنا» بهمزتين مُخفَّفتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بتخفيفِ الأولى وتليينِ الثانية، وفَصلَ بينهما بألِفٍ وأبو عمروٍ. ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحافِرَة: الحياةُ بعد الموت. والمعنى: أنَرجِعُ أحياءً بعدَ موتِنا؟! وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وعَطيَّةَ، والسُّدِّيّ. قال الفَرَّاءُ: يَعنُون: أنُرَدُّ إلى أمرِنا الأولِ إلى الحياة؟! والعرب تقول: أتيتُ فُلاناً، ثم رجعتُ على حافِرَتي، أي: رَجعتُ مِن حيثُ جئتُ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: رجع فُلانٌ في حافِرَتِه، وعلى حافِرَتِه: إذا رجع مِنْ حيثُ جاء، وهذا قولُ الزَّجَّاج. **والثاني**: أنها الأرض التي تُحفَرُ فيها قبورُهم، فَسُمِّيت حافِرَةً، والمعنى: مَحفُورَة، كما يُقال: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾(١) و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٢) وهذا قولُ مُجاهِدٍ والخَليلِ. فيكون المعنى: أئِنَّا لَمَردُودونَ إلى الأرض خَلْقاً جديداً؟!

قال ابنُ قُتَيبةَ: «في الحافِرَة» أي: إلى أولِ أمرِنا. وَمَنْ فَسَّرها بالأرض، فإلىٰ هذا يذهب، لأنَّا منها بُدِئْنا. قال الشاعر:

أَحَــافِـرَةً عَــلَــى صَـلَـعٍ وشَـيْـبٍ   مَــعَــاذَ اللهِ مِــنْ سَــفَــهٍ وَعَــارِ

كأنه قال: أأرجِعُ إلى ما كنتُ عليه في شبابي مِنَ الغزل والصِّبا «بعدما شِبْتُ وَصَلِعتُ».

والثالث: أنَّ الحافِرَةَ: النار، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «نَاخِرَةً» قال الفَرَّاءُ: وهما بمعنًى واحدٍ في اللغة. مثل طَمِع، وطَامِع وحَذِر، وحَاذِر. وقال الأخفَشُ: هما لُغتانِ. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: نَخِرَ العَظْمُ يَنْخَرُ، فهو نَخِرٌ. مثل عَفِنَ الشيءُ يَعْفَنُ، فهو عَفِنٌ. وناخِرةٌ على معنى: عِظاماً فارِغةً، يجيءُ فيها مِنْ هُبوبِ الرياح كالنَّخِيرِ. قال المُفسِّرون: والمراد أنهم أنكروا البعثَ، وقالوا: نُرَدُّ أحياءً إذا مِتْنا وبَلِيَتْ عِظامُنا؟! ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إنْ رُدِدْنَا بَعْدَ الموت لَنَخسَرَنَّ بما يُصيبنا ممَّا يَعِدُنا به محمَّدٌ، فأعلَمَهم اللهُ بسهولةِ البَعثِ عليه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ يعني النَّفخةُ الأخيرةُ ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: صَيحَةٌ في الصُّوَرِ يسمعونها مِنْ إسرافيلَ وهم في بُطونِ الأرض فيَخرجون ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنَّ السَّاهِرَة: وَجهُ الأرض، قاله ابنُ عباسٍ: ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ والضَّحَّاكُ، واللغويون. قال الفَرَّاءُ: كأنها سُمِّيَتْ بهذا الاسم، لأنَّ فيها نومَ الحيوانِ وسَهرَهم. **والثاني**: أنه جبلٌ عند بيت المَقدِسِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنها جهنَّمُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنها أرضُ الشام، قاله سُفيانُ.

---

(١) الطارق: ٦. (٢) الحاقة: ٢١.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٢: وهذه الأقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى.

﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَنهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَنهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَنهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّنهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَنهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَنهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَنهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَنهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ أي: قد جاءكَ. وقد بيَّنَّا هذا في طه[1] وما بعده إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ «طوى اذهب» غير مُجْراةٍ. وقرأ الباقون «طوىً» مُنونةً، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، «تزَّكَّى» بتشديد الزاي، أي: تَطَهَّر مِنَ الشِّركِ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أَدْعوكَ إلى توحيدِه، وعبادتِه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ عذابَه ﴿فَأَرَنهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها اليَدُ والعصا، قاله جمهورُ المُفسِّرين. **والثاني**: أنها اليَدُ قاله الزَّجَّاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي بأنها مِنَ الله، ﴿وَعَصَىٰ﴾ نبيَّه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرَضَ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يعمل بالفسادِ في الأرض ﴿فَحَشَرَ﴾ لمَّا اجتمعوا ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: أنا لا ربَّ فوقي. وقيل أراد أنَّ الأصنامَ أربابٌ، وأنا ربُّها وربُّكم. وقيلَ: أراد: أنا رَبُّ السَّادةِ والقادةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ الأُولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[3] والآخِرَةُ قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والشَّعْبيُّ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ. ورواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. قال ابنُ عباسٍ: وكان بينهما أربعونَ سنةً. قال السُّدِّيُّ: فبقي بعدَ الآخرة ثلاثينَ سنةً. قال الفَرَّاءُ: فالمعنى: أَخذَهُ اللهُ أخذاً نكالاً للآخِرَةِ والأُولى. **والثاني**: المعنى: جعله اللهُ نَكالَ الدنيا والآخرة، أغرقَهُ في الدنيا، وعَذَّبه في الآخِرةِ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: عَذَّبه اللهُ في أولِ النهار بالغَرَقِ، وفي آخره بالنَّارِ. **والثالث**: أنَّ الأُولى: تكذيبُه وعصيانُه. والآخِرَة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ قاله أبو رَزِينٍ. **والرابع**: أنها أولُ أعمالِه وآخرُها، رواه منصورٌ عن مُجاهِدٍ. قال الزَّجَّاجُ: النَّكالُ: منصوبٌ، مصدرٌ مؤكِّدٌ، لأنَّ معنى أخذَهُ اللهُ: نَكَّلَ اللهُ به نَكالَ الآخرة والأولى: فأغرقَهُ في الدنيا ويُعذِّبه في الآخرةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي فُعِل بفرعونَ ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي عِظَةً ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ اللهَ.

ثم خاطبَ مُنكِري البَعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَنهَا﴾ قال الزَّجَّاج: ذهب بعضُ النَّحويين إلى أنَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَنَنهَا﴾ مِنْ صفة السماء، فيكون المعنى: أَمِ السماءُ التي بَناها. وقال

---

(١) طه: ٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٥٣: قال تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ أي انتقم منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعو إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ هذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ أي: الدنيا والآخرة. لا شك فيه.

(٣) القصص: ٣٨.

قومٌ: السماءُ ليس ممّا تُوصَلُ، ولكن المعنى: أأنتم أشدُّ خَلْقاً؛ أم السماءُ أشدُّ خَلْقاً. ثم بيَّن كيف خَلَقها، فقال عزَّ وجلَّ ﴿بَنَىٰهَا﴾ قال المُفسِّرون: أَخَلْقُكم بعدَ المَوت أشدُّ عندَكم، أم السماءُ في تقديرِكُم؟ وهما في قدرة الله واحدٌ. ومعنى: «بناها» رَفَعها. وكلُّ شيءٍ ارتفع فوقَ شيءٍ فهو بناءٌ. ومعنى ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ رَفعَ ارتفاعَها وعُلوَّها في الهواء ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بِلا شُقوقٍ، ولا فُطورٍ، ولا تَفاوتٍ، يرتفع فيه بعضُها على بعضٍ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: أظلَمَه فجعلَه مُظلماً. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: غَطَشَ الليلُ وأغطَشَ، وغَبَشَ وأغبَشَ، وغَسَقَ وأغسَقَ، وغَشِيَ وأغشى، كلُّه بمعنى أظلَمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أبرزَ نهارَها. والمعنى: أظهرَ نورَها بالشمس. وإنما أضاف النُّورَ والظُّلمةَ إلى السماء لأنهما عنها يَصدُران ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد خَلْقِ السماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أي: بَسَطَها. وبعضُ مَنْ يقول: إنَّ الأرض خُلِقَتْ قبل السماء يزعم أنَّ «بَعْدُ» هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾(١) وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾(٢)، ولا يمتنع أنْ تكونَ الأرضُ خُلِقَتْ قبلَ والسماء، ثم دُحِيَتْ بعد كمال السماء، وهذا مذهبُ عبدِ الله بنِ عمروِ بنِ العاصِ. وقد أشَرنا إلى هذا الخلاف في البقرة(٣). ونُصِبَت الأرضُ بمُضمَرٍ تفسيره قوله عزَّ وجلَّ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ أي: فَجَّرَ العيونَ منها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ وهو ما يأكله الناسُ والأنعام ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أثبَتَها ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ أي: للإمتاع، لأنَّ معنى أخرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها: أمتَعَ بذلك. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «متاعاً لكم» أي: منفعةً.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ
﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ والطَّامَّة: الحادثةُ التي تَطُمُّ على ما سِواها، أي: تَعلو فوقَهُ، وفي المراد بها هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النَّفخةُ الثانية التي فيها البَعثُ. **والثاني**: أنها حينَ يُقال لأهل النار: قُوموا إلى النار. **والثالث**: أنها حينَ يُساق أهلُ الجنَّة إلى الجنَّةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: ما عَمِلَ مِنْ خيرٍ وشرٍّ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي: لأبصارِ الناظِرينَ. قال مُقاتِلٌ: يُكشَفُ عنها الغِطاءُ فيَنظر إليها الخَلْقُ. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وابنُ السَّمَيفَع «لمن ترى» بالتاء. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومعاذٌ القارئُ «لمن رأى» بهمزةٍ بين الراء والألف.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ في كُفره ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي هي المَأوَى له. وهذا جوابُ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ فإنَّ الأمرَ كذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قد ذكرناه في سُورةِ الرَّحمن(٤).

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.
(٢) القلم: ١٣.
(٣) البقرة: ٢٩.
(٤) الرحمن: ٤٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: عمَّا تهوى مِنَ المَحارمِ. قال مُقاتِلٌ: هو الرجل يَهُمُّ بالمعصية، فيذكر مقامَهُ للحساب، فيَتْركها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ قد سبقَ في الأعْراف[1] ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: لستَ في شيءٍ مِنْ علمِها وذِكْرِها. والمعنى: إنكَ لا تعلَمُها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: مُنْتَهى علمِها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ وقرأ أبو جعفرَ «منذرٌ» بالتنوين. ومعنى الكلام: إنما أنتَ مُخَوِّفٌ مَنْ يخافُها. والمعنى: إنما ينفعُ إنذارُكَ مَنْ يخافها. وهو المؤمنُ بها. وأما مَنْ لا يخافها فكأنه لم يُنْذَرْ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ قُريشٍ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: يُعايِنُونَ القيامةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورِهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: قَدْرَ آخرِ النهار مِنْ بعدِ العَصرِ، أو أوَّلِه إلى أنْ ترتفعَ الشمسُ. قال الزَّجَّاجُ: والهاء والألف في «ضحاها» عائدٌ إلى العَشِيَّةِ. والمعنى: إلاَّ عَشِيَّةً، أو ضُحى العَشِيَّةِ. قال الفَرَّاءُ:

فإنْ قيلَ: للعَشِيَّةِ ضُحىً، إنما الضُّحى لِصَدرِ النهار؟.

فالجواب: أنَّ هذا ظاهرٌ في كلام العرب أن يقولوا: آتيكَ العَشِيَّةَ، أو غداتَها، أو آتيكَ الغَداةَ أو عَشِيَّتَها، فتكون العَشِيَّةُ في معنى «آخر»، والغَداةُ في معنى «أول». أنشدني بعضُ بَني عقيلٍ:

نَحْنُ صَبَحْنا عامِراً في دارِها عَشِيَّةَ الهِلالِ أو سِرارِها

أراد: عَشِيَّةَ الهلال، أو عَشِيَّةَ سِرارِ العَشِيَّةِ، فهذا أشدُّ مِنْ قولِهم: آتيكَ الغَداةَ أو عَشِيَّتَها.

(١) الأعراف: ١٨٧.

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ
ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ
تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ
۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

[١٥١٢] قال المُفسِّرون: كان رسولُ الله ﷺ يوماً يُناجي عُتبةَ بنَ رَبيعَةَ، وأبا جهلِ بنَ هشام، وأُميَّةَ وأُبيّاً ابني خَلَفٍ، ويَدْعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامَهم، فجاء ابنُ أمِّ مَكتُوم الأعمى، فقالَ: علِّمني يا رسولَ الله ممَّا علَّمكَ الله، وجعل يُناديه، ويُكرِّرُ النداءَ، ولا يدري أنه مُشتغِلٌ بكلامِ غيره حتى ظَهرتِ الكراهيةُ في وجهِهِ ﷺ لِقطعِه كلامَهُ، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ، وأقبلَ على القومِ يُكلِّمهم، فنزلت هذه الآياتُ، فكان رسولُ الله ﷺ يُكرِمُه بعد ذلك، ويقول: مرحباً بمَنْ عاتَبني فيه ربِّي.

[١٥١٢] أصله محفوظ. أخرجه الطبري ٣٦٣٩ من حديث ابن عباس بنحوه، وإسناده واهٍ عطية العوفي واهٍ، وعنه مجاهيل. وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/٥٥٦ وقال: فيه غرابة ونكارة. لكن أصل الحديث قوي له شواهد. وله شواهد كثيرة، وأحسن شيء في هذا الباب: ما أخرجه الترمذي ٣٣٣١ وابن حبان ٥٣٥ والحاكم ٢/٥١٤ والطبري ٣٦٣١٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٥ من حديث عائشة قالت: «أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله يُعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما تقول بأساً، فيقال: لا ففي هذا أنزل». وإسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم على شرطهما، لكن قال: وأرسله جماعة عن هشام بن عروة عن عروة ليس فيه ذكر عائشة.

قلت: والمرسل، أخرجه مالك ١/٢٠٣، ومراسيل عروة جياد. وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٢. وله شاهد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٥. وله شاهد من مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٦. وله شاهد من مرسل مجاهد والحسن، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٢.

الخلاصة: رووه بألفاظ متقاربة، والمعنى متحد، وأن الآيات نزلت في شأن ابن أم مكتوم.

فالحديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وانظر «أحكام القرآن» ٢٢٦٣.

[١٥١٣] وذهب قومٌ، منهم مُقاتِلٌ، إلى أنه إنما جاء لِيُؤمنَ، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ اشتغالاً بالرؤساء، فنزلت فيه هذه الآياتُ.

ومعنى: ﴿عَبَسَ﴾ قطَّبَ وكَلَحَ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرضَ بوجهِه ﴿أَن جَآءَهُ﴾ أي: لأنْ جاءَه. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحَسنُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ، «آن جاءه» بهمزةٍ واحدةٍ مفتوحةٍ ممدودةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ «أأن» بهمزتين مقصورتين مفتوحتين. و ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ هو ابنُ مَكتُوم، واسمه عَمرُو بنُ قَيسٍ. وقيل: اسمه عبدُ الله بنُ عمروٍ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: يتطهر من الذنوبِ بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك، وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أي: يتَّعِظُ بما يتعلَّمُه مِنْ مواعظِ القرآن ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِم «فتنفعَه» بفتحِ العين، والباقون بضمِّها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصب، فعَلَى جواب «لعل»، ومَنْ رَفعَ، فعَلَى العطفِ على «يزَّكَّى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: استغنى عن الله وعن الإيمان بمالِه. قاله مُجاهِدٌ: «أما من استغنى» عُتبةُ، وشَيْبَةُ، ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ «تصَّدَّى» بتشديدِ الصاد. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، «تَصَدَّى» بفتحِ التاء، والصاد وتخفيفهما وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عمروِ بنُ دِينارٍ: «تَتَصدَّى» بتاءين مع تخفيفِ الصاد، قال الزَّجَّاجُ: والأصل: تتصدَّى، ولكن حُذِفتِ التاءُ الثانيةُ لاجتماعِ تاءين، ومَنْ قرأ «تَصَّدَّى» بإدغامِ التاء، فالمعنى أيضاً: تَتَصدَّى، إلاَّ أنَّ التاء أُدغِمَتْ في الصاد لِقُربِ مَخرجِ التاء مِنَ الصاد. قال ابنُ عباسٍ: «تَصَدَّى» تُقبِلُ عليه بوجهِكَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تَتعرَّضُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ السَّمَيفَعِ، والجَحْدَريُّ «تُصْدَى» بتاءٍ واحدةٍ مضمومةٍ، وتخفيف الصاد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ عليكَ في أنْ لا يُسْلِمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلاَّ البلاغُ.

قوله ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يمشي. **والثاني**: يعملُ في الخير، وهو ابنُ أُمِّ مَكتُوم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ، وأبو الجَوزاءِ «تتلهى» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ. قال الزَّجَّاجُ: أي: تَتشاغَلُ عنه. يقال: لَهِيتُ عن الشيءِ أَلْهَى عنه: إذا تَشاغَلتَ عنه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا تفعلْ ذلكَ: ﴿إِنَّهَا﴾ في المَكنِي عنها قولان: **أحدهما**: آيات القرآن، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: هذه السُّورةُ، قاله الفَرَّاءُ. «والتذكرة» بمعنىٰ التذكير ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ مفسر في آخرِ المُدَّثِّر(١). ثم أخبرَ بجلالةِ القرآن عنده فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: هو في صُحُفٍ، أي: في كُتُبٍ مكرَّمةٍ، وفيها قولان: **أحدهما**: أنها اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: كُتبُ الأنبياء، ذكره الثَّعلَبيّ. فعَلَى هذا يكون معنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ عاليةَ القَدْرِ، وعلى الأول يكون رَفعُها كونُها في السماء.

[١٥١٣] هذا قول ضعيف ليس بشيء، والصواب ما تقدم. انظر الروايات المتقدمة.

---

(١) المدثر: ٥٥.

وفي معنى ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُطهَّرةٌ مِنْ أنْ تنزلَ على المشركين، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُطهَّرةٌ مِنَ الشركِ والكُفرِ، قاله مُقاتِلٌ: **والثالث**: لأنه لا يَمسُّها إلاَّ المُطهَّرون، قاله الفَرَّاءُ. **والرابع**: مُطهَّرةٌ مِنَ الدَّنَسِ، قاله يَحيى بنُ سَلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكةُ، قاله الجمهور. **والثاني**: أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

وفي معنى «سَفَرة» ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم الكَتَبَةُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ: والزَّجَّاجُ. قال الزَّجَّاجُ: واحدهم: سَافِر، وسَفَرَة، مثل كَاتِب؛ وكَتَبَة، وكافِر، وكَفَرة، وإنما قيل للكِتاب: سِفْر، وللكاتب: سافِر، لأنَّ معناه أنه يُبيِّن الشيءَ، ويُوضحه. يقال: أسفَرَ الصُّبحُ: إذا أضاء. وسَفَرَتِ المرأةُ: إذا كَشفَتِ النِّقابَ عن وجهها. ومنه: سَفَرتُ بينَ القوم، أي: كَشَفتُ ما في قلبِ هذا، وقلبِ هذا، لأُصْلِحَ بينهم. **والثاني**: أنهم القُرَّاءُ، قاله قَتَادَةُ. **والثالث**: أنهم السُّفَراءُ، وهم المُصْلِحون، قال الفَرَّاءُ: تقول العرب: سَفَرتُ بينَ القوم، أي: أصلَحتُ بينهم، فجُعِلَتِ الملائكةُ إذا نزلت بوحي الله، كالسَّفيرِ الذي يُصلِحُ بين القوم. قال الشاعر:

وَمَـا أَدَعُ الـسِّـفَـارَةَ بَـيْـنَ قَـوْمـي ... وَمَـا أَمْـشـي بِـغِـشٍّ إنْ مَـشَـيْـتُ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِرَامٍ﴾ أي: على ربِّهم ﴿بَرَرَةٍ﴾ أي: مُطيعينَ. قال الفَرَّاءُ: واحد «البَرَرة» في قياس العربية: بَارٌّ، لأنَّ العرب لا تقول: فَعَلَة يَنوونَ به الجمعَ إلاَّ الواحد، ومنه فاعل، مثل كافر، وكَفَرة، وفاجِر، وفَجَرَة.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: لُعِنَ، والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر.

وفيمَنْ عَنى بهذا القول ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أشار إلى كلِّ كافرٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: عُتبَةُ بنُ لَهبٍ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما أشَدَّ كُفره، قاله ابنُ جُريجٍ. **والثاني**: أيُّ شيءٍ أكفره؟ قاله السُّدِّيُّ. فعَلَى هذا يكون استفهامَ توبيخ. **والثالث**: أنه على جهة التعجُّبِ. وهذا التعجُّبُ يؤمَرُ به الآدَميُّون والمعنى: إعجَبُوا أنتم مِنْ كُفره، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ثم فَسَّره عزَّ وجلَّ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾. وفي معنى «فقدَّره» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قدَّر أعضاءَ رأسه. وعينيه، ويديه، ورِجلَيه، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: قدَّره أطواراً: نُطفةً، ثم عَلَقَةً، إلى آخر خَلْقِه، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٥٦: قال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله وبين خلقه ومنه يقال: السفير: الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير.

والثالث: فقدَّره على الاستواء، قاله الزَّجّاجُ.

قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: سهَّلَ له العِلْمَ بطريق الحقِّ والباطل، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ. قال الفَرّاءُ. والمعنى: ثم يَسَّرَهُ للسبيل. **والثاني**: يَسَّرَ له السبيلَ في خروجه مِنْ بطن أُمِّه، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ قال الفَرّاءُ: أي جعلَه مقبوراً، ولم يجعلْه ممَّنْ يُلقى للسِّباعِ والطيرِ، فكأنَّ القبرَ مما أُكرِم به المسلمُ. ولم يَقُلْ: قَبَرَهُ، لأنَّ القابِرَ هو الدَّافِنِ بيدِه. والمُقْبِرُ اللهُ، لأنه صَيَّره مقبوراً. فليس فعله كفعلِ الآدمي. والعرب تقول: بَتَرْتُ ذَنَبَ البعير، واللهُ أبترَه. وَعضبْتُ قَرْنَ الثَّورِ، واللهُ أعْضبَه وطَردتُ فُلاناً عني، واللهُ أطرَدَه، أي: صيَّره طريداً. وقال أبو عُبيدَةَ: أقْبرَه: أي أمَرَ أنْ يُقبرَ، وجعلَ له قبراً. قالت بَنو تَمِيم لعمرَ بنِ هُبَيرةَ لمَّا قُتِلَ صالحُ بنُ عبدِ الرَّحمن: أقبِرْنا صالحاً، فقال: دُونَكُموه. والذي يَدفِنُ بيدِه هوَ القابِرُ. قال الأعْشَى:

لَـوْ أَسْـنَـدَتْ مَـيْـتـاً إلـى نَـحْـرِهـا ... عـاشَ وَلَـمْ يُـسْـلَـم إلـى قـابِـرِ[٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بَعثَه. يُقال: أنشرَ اللهُ الموتى فَنُشِرُوا، ونَشر الميْتُ: حَيِيَ هو بنَفْسِه، واحدهم ناشِرٌ. قال الأعْشَى:

حَـتَّـى يَـقُـولَ الـنَّـاسُ مِـمَّـا رَأَوْا ... يَـا عَـجَـبـاً لِـلْـمَـيِّـتِ الـنَّـاشِـرِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال الحسَنُ: حقّاً ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربُّه، ولم يُؤدِّ ما فرَضَ عليه. وهل هذا عامٌّ، أمْ خاصٌّ؟ فيه قولان[٣]: **أحدهما**: أنه عامٌّ. قال مُجاهِدٌ: لا يقضي أحدٌ أبداً كُلَّ ما افترض اللهُ عليه. **والثاني**: أنه خاصٌّ للكافر لم يَقْضِ ما أُمِرَ به مِنَ الإيمان والطاعة، قاله يَحيى بنُ سَلام ولمَّا ذَكر خَلْقَ ابنِ آدمَ، ذَكر رِزقَه لِيقبو ويسد بالنَّباتِ على البَعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني به عُتبَةَ بنَ أبي لَهبٍ. ومعنى الكلام: فليَنظُرِ الإنسانُ كيف خَلَقَ اللهُ طعامَه الذي جعله سبباً لِحَياتِه؟ ثم بَيَّنَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّا﴾ قرأ ابنُ كَثِيرٍ، ونافعٌ؛ وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «إنا» بالكسر. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة في الوَصلِ وفي الابتداء، ووافَقَهُم رُوَيسٌ على فَتْحِها في الوصلِ، فإذا ابتدأَ كَسَرَ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ كَسرَ «إنا» فعلى الابتداء والاستئناف، ومَنْ فَتحَ، فعَلى البَدلِ مِنَ الطعام، المعنى: فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى أنَّا صببنا. قال المُفسِّرون: أراد بصَبِّ الماء: المطرَ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٧: قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسّر عليه خروجه من بطن أمه، واختاره ابن جرير. وقال مجاهد: هذه كقوله ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ أي وضحناه وبيناه وسهلنا عليه علمه وهذا هو الأرجح.

(٢) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، ديوانه ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٧: قال ابن جرير: كلا، ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله، ﴿لما يقض ما أمره﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا. والذي يقع لي في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن المعنى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي: بعثه ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدراً، فإذا تناهى لذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يعني جميعَ الحبوب التي يُتغذَّى بها ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ قال الفَرَّاءُ: هو الرَّطبَةُ. وأهلُ مكَّةَ يُسمُّون القتَّ: القَضْبَ. قال ابنُ قُتيبةَ ويُقال: إنه سُمِّيَ بذلك، لأنه يُقضَبُ مرةً بعد مرةٍ، أي: يُقطع، وكذلك القَصِيل، لأنه يُقصَلُ، أي: يُقطَعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ قال الفَرَّاءُ: كلُّ بستانٍ عليه حائطٌ، فهو حديقةٌ، وما لم يكُنْ عليه حائطٌ لم يقل: حديقة. والغُلْبُ: ما غَلُظَ مِنَ النَّخلِ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: شجرةٌ غَلْباءُ: إذا كانت غليظةً. وقال ابنُ قُتيبةَ: الغُلْب: الغِلاظُ الأعناقِ. وقال الزَّجَّاجُ: هي المُتكاثفةُ، العِظامُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ يعني: ألوان الفاكهة ﴿وَأَبًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ما ترعاه البهائمُ. قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، واللغويون. قال الزَّجَّاجُ: هو جميع الكلأ التي تعتلِفه الماشيةُ. **والثاني**: أنه الثِّمار الرَّطبَةُ، رواه الوالِبِيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ قد بيَّنَّاه في السُّورَةِ التي قبلَها[1].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ وهي الصَّيحةُ الثانية. قال ابنُ قُتيبةَ: الصَّاخَّةُ تصِخُّ صَخّاً؛ أي: تُصِمُّ. يُقال: رجلٌ أصَخُّ، وأصْلَخُ: إذا كان لا يسمع. والدَّاهِيَةُ صاخَّةٌ أيضاً. وقال الزَّجَّاجُ: هي الصَّيحةُ التي تكون عليها القيامة، تَصُخُّ الأسماعَ، أي: تُصِمُّها، فلا تَسمَعُ إلاَّ ما تُدعى به لإحيائها. ثم فَسَّرَ في أيِّ وقتٍ تجيء فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ قال المُفسِّرون: والمعنى[2]: لا يلتفِتُ الإنسانُ إلى أحدٍ مِنْ أقاربه، لِعِظَمِ ما هو فيه. قال الحَسَنُ: أولُ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أخيه هابِيلُ، ومِنْ أمِّه وأبيه إبراهيم، ومِنْ صاحبَتِه نوحٌ ولُوطٌ، ومِن ابنه نُوحٌ. وقال قَتادةُ: يَفِرُّ هابِيلُ مِنْ قابِيلَ، والنبيُّ ﷺ مِنْ أمِّه، وإبراهيمُ مِنْ أبيه، ولُوطٌ مِنْ صاحبتِه، ونُوحٌ من ابنِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: يَشغَلُه عن قرابتِه. وقال ابنُ قُتيبةَ: أي: يَصْرِفه ويَصدُّه عن قرابَتِه، يقال: اغنِ عني وجهَكَ، أي: اصرِفْهُ، واغنِ عني السَّفيهَ. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، والزُّهريُّ، وأبو العاليةِ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «يَعنيه» بفتحِ الياء، والعينَ غيرَ مُعجمةٍ. قال الزَّجَّاجُ: معنى الآيَة: له شأنٌ لا يَقدِرُ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره، وكذلك قراءةُ مَنْ قرأ «يعنيه» بالعين، معناه له شأنٌ لا يَهمُّه معه غيره.

---

(١) النازعات: ٣٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٥٩: يراهم ويفرّ منهم، ويبتعد عنهم لأن الهول عظيم، والخطب جليل. وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة: أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي، نفسي، لا أسأله اليوم إلا نفسي.

[١٥١٤] وقد رَوى أنسُ بن مالكٍ قال: قالت عائشةُ للنبيِّ ﷺ: أَنُحشَرُ عُراةً؟ قال: نعم. قالت: وَاسَوءَتاهُ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مُضيئةٌ قد عَلِمَتْ ما لَها مِنَ الخير ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ لِسرورِها ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: فَرِحةٌ بما نالَها مِنْ كرامةِ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غُبارٌ. وقال مُقاتِلٌ: أي: سَوادٌ وكآبةٌ ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي: ظُلمةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: يَعلوها سوادٌ كالدُّخانِ. ثم بَيَّنَ مَنْ أَهلُ هذه الحال، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ وهو جمعُ كافرٍ وفاجرٍ.

[١٥١٤] صحيح دون لفظ «واسوأتاه» فإنه منكر ضعيف. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٦ من طريق إبراهيم بن هراسة ثنا عائذ بن شريح الكندي، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: قالت عائشة. وفيه لفظة منكرة وهي «واسوءتاه» وإسناده ضعيف لضعف عائذ.

وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٥٩ والطبري ٣٦٣٩٢ من طريق الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: سألت عائشة رضي الله عنها: إني سائلتك عن حديث فتجزني أنت به، . . .» فذكره بنحوه والمتن غريب بهذا اللفظ. وقال أبو حاتم: عائذ بن شريح ضعيف، في حديثه ضعف. وقال ابن طاهر: ليس بشيء. فالإسناد ضعيف، والمتن ضعيف.

وأصل حديث عائشة دون ذكر لفظ «واسوءتاه» أخرجه البخاري ٦٥٢٧ ومسلم ٢٨٥٩. وورد من حديث عائشة ـ دون ذكر اللفظة. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٨ والحاكم ٤/ ٥٦٤ وإسناده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٥ من طريق بريد بن عبد ربه عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة.

وورد من وجه آخر من حديث سودة: أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥ والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٩١) والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٥ من طريق إسماعيل بن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ. وفيه محمد بن أبي عياش مجهول، وثقه ابن حبان وحده. وصححه الحاكم على شرط مسلم! ووافقه الذهبي!؟

وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٣٣: ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن أبي عياش وهو ثقة! كذا قال رحمه الله، والصواب أنه مجهول، وثقه ابن حبان وحده على قاعدته في توثيق المجاهيل، وقد اضطرب، فرواه تارة عن أم سلمة به، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٠/ ٣٣٢/ ١٨٣٢٠.

سُورَةُ التَّكوِير

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا
ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ
قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

[١٥١٥] رَوى أبو عبدِ الله الحاكمُ في «صحيحه» مِنْ حديث عبدِ الله بنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ أحبَّ أنْ ينظرَ إلى يومِ القيامة فليقرأ قولَه تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

[١٥١٥] أخرجه الترمذي ٣٣٣٣ وأحمد ٢/ ٣٧ وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٢٥ من طريق عبد الرزاق.
وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١٥ من طريق هشام بن يوسف الصنعاني وكلا الطريقين عن عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ . . . الحديث. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٧ من طريق علي بن محمد الفقيه عن المؤمل بن حسن ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير به.
وإسناده غير قوي، عبد الله بن بحير مختلف فيه، وثقه ابن معين، وفرق ابن حبان بين عبد الله بن بحير بن ريسان، وبين أبي وائل القاص، في حين عدهما ابن حجر والذهبي واحداً، وشيخه وإن روى عنه غير واحد، فقد وثّقه ابن حبان وحده، وروى حديثين فقط. وصححه الألباني في «الصحيحة» ١٠٨١، وفي ذلك نظر، قال ابن حبان: أبو وائل القاص، اسمه عبد الله بن بحير الصنعاني، وليس هو ابن بحير بن ريسان، ذاك ثقة، وهذا يروي عن عروة بن محمد بن عطية، وعبد الرحمن بن يزيد، العجائب التي كأنها معمولة لا يجوز الاحتجاج به، ثم أسند هذا الحديث، وحديثاً آخر. وكذا فرق بينهما أبو أحمد الحاكم، فقال في الكنى في فصل من عرف بكنيته، ولا يوقف على اسمه، قلت: وذكره البخاري في «التاريخ» ٨/ ٩ في الكنى، فقال: أبو وائل القاص الصنعاني، سمع عروة بن محمد، روى عنه إبراهيم بن خالد. ولم يذكر البخاري فيه جرحاً أو تعديلاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٤ أن الترمذي رواه موقوفاً، وهذا لم أجده في المرفوع، ولعل الوقف صواب، فإن في المتن غرابة، لكن لا أجزم بذلك لأنه إن كان كما قال ابن حبان، فهو خبر واهٍ، وإلا فحسن غريب، فالله أعلم. فالجزم بصحته من الألباني، من غير بحث وتمحيص في الإسناد غير جيد، والله أعلم.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُوِّرَتْ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أظلَمَتْ، رَواه الوالِبيُّ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال الفَرَّاءُ: ذهب ضوؤها، وهذا قولُ قَتادَةَ، ومُقاتِل. **والثاني**: ذَهَبتْ، رَواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: اضمَحلَّتْ. **والثالث**: غُوِّرَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وابنِ الأنباري، وهذا مِنْ قول الناسِ بالفارسيَّةِ: كُوْر بكرد. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: هو بالفارسيَّةِ كور بُور.

والرابع: أنها تُكوَّرُ مثلَ العمامة، فتلف وتمحىٰ، قاله أبو عبيد. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى «كُوِّرت» جُمِعَ ضوؤها، ولُفَّتْ كما تُلَفُّ العِمامةُ. يقال: كَوَّرْتُ العِمامةَ على رأسي أكوِّرُها: إذا لَفَفْتَها. قال المُفسِّرون: تُجمع الشمسُ بعضُها إلى بعضٍ، ثم تُلَفُّ ويُرمى بها في البحرِ. وقيل: في النارِ. وقيل: تُعاد إلى ما خُلِقَتْ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تَناثَرتْ، وتَهافَتَتْ. يقال: انْكَدَرَ الطائرُ في الهواء: إذا انقضَّ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجهِ الأرض، واستَوَتْ مع الأرض ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال المُفسِّرون وأهلُ اللغة: النُّوقُ الحوامِلُ، وهي التي أتى عليها في الحَملِ عشرةُ أشهرٍ فقيل لها: العِشارُ لذلك، وذلك الوقت أَحْسَنُ زَمَانِ حَمْلِها، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لِتمام في سنةٍ، فهي أنفَسُ ما للعربِ عندَهم، فلا يُعطِّلُونها، إلاّ لإِتيانِ ما يَشْغَلُهم عنها، وإنما خُوطِبَت العربُ بأمر العِشار، لأنَّ أكثرَ عيشِهم ومالِهم مِنَ الإبلِ، ومعنى «عُطِّلت» سُيِّبَتْ وأُهمِلَتْ، لاشتغالِهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ يعني: دَوابَّ البَرِّ ﴿حُشِرَتْ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: ماتت، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: جُمِعتْ إلى يومِ القيامة، قاله السُّدِّيُّ. وقد زِدنا هذا شرحاً في الأنعام[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ «سُجِرَتْ» بتخفيف الميم، وقرأ الباقون بتشديدِها. وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُوقِدَتْ فاشتعلَتْ ناراً، قاله عليٌّ وابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَبِستْ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: مُلِئَتْ بأنْ صارت بحراً واحداً، وكَثُرَ ماؤها، قاله ابنُ السَّائبِ والفَرَّاء، وابنُ قُتَيبةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: قُرِنَتْ بأشكالِها. قاله عمرُ رضي الله عنه، الصالحُ مع الصالحِ في الجنَّةِ، والفاجرُ مع الفاجرِ في النَّارِ، وهذا قولُ الحَسنِ، وقَتادَةَ. **والثاني**: رُدَّت الأرواحُ إلى الأجساد، فَزُوِّجتْ بها، قاله الشَّعْبيُّ. وعن عِكرمَةَ كالقولين. **والثالث**: زُوِّجتْ أنفُسُ المؤمنين بالحُورِ العِينِ، وأنفُسُ الكافرين بالشياطين، قاله عَطاءٌ، ومُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال اللغويون: المَوؤودَةُ: البِنتُ تُدْفَنُ وهي حَيَّةٌ، وكان هذا مِنْ فعل الجاهلية. يُقال: وَأَدَ وَلَدَهُ، أي: دَفَنَهُ حيّاً. قال الفَرزدَقُ:

وَمِنَّا الَّذي مَنَعَ الوَائِدَا تِ فَأَحْيَا الوَئِيدَ فلم يُوْأَدِ

يعني: صَعصَعةَ بنَ صوحان، وهو جَدُّ الفرزدَقِ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى سؤالِها تبكيتُ قاتِلها في

---

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٦٣: أي جمع كل شكل إلى نظيره، كقوله: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾، وعن مجاهد قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

القيامة، لأنَّ جوابَها: قتلتُ بغيرِ ذَنبٍ. وقيل: سُئِلَتْ: طُلِبَتْ، كما تقول: سألته حقّي وإنما طَلبتُ لِتَبكيتِ قاتلي. ومثل هذا التبكيت قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾(١) وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وهارونُ عن أبي عمروٍ «سَأَلَتْ» بفتح السين، وألِفٍ بعدَها ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ بإسكانِ اللام، وضمِّ التاء الأخيرة. وسُؤالُها هذا أيضاً تبكيتٌ لِقاتِليها. قال ابنُ عباسٍ: كانت المرأةُ في الجاهلية إذا حَملَتْ، فكان أوانُ وِلادِها حَفرَتْ حُفيرةً، فتَمخَّضتْ على رأسِ الحُفيرةِ، فإنْ وَلدَتْ جاريةً رَمَتْ بها في الحُفيرةَ، وإنْ وَلدَتْ غلاماً حَبَستْهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ «نُشِرَتْ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد. والمراد بالصُّحُفِ: صَحائِفُ أعمالِ بني آدمَ نُشِرَتْ للحساب ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قال الفَرَّاءُ: يعني نُزِعَتْ، فطُوِيَتْ. وفي قراءة عبدِ الله «قُشِطَتْ» بالقاف، وهكذا تقول قَيسٌ، وتَميمٌ، وأَسدٌ، بالقاف. وأمَّا قُريشٌ، فتقوله بالكاف، والمعنى واحدٌ. والعرب تقول: القافور، والكافور، والقِسْط، والكِسْط. وإذا تقارب الحرفان في المَخرج تعاقبا في اللُّغاتِ، كما يُقال: جَدَثٌ، وجَدَفٌ. قال ابنُ قُتيبةَ: كُشِطَتْ كم يُكْشَطُ الغِطاءُ عن الشيء، فطُوِيَتْ. وقال الزَّجَّاجُ: قُلِعَتْ كما يُقلع السقفُ. و ﴿سُعِّرَتْ﴾ أُوقِدَتْ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ «سُعِّرت» مشددة. قال الزَّجَّاجُ: المعنى واحدٌ. إلاّ أنَّ معنى المُشدَّدِ: أُوقِدَتْ مرةً بعدَ مرةٍ. و ﴿أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبَتْ مِنَ المتقين. وجوابُ هذه الأشياء ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياءُ عَلِمَتْ في ذلك الوقت كلُّ نفسٍ ما أَحضرَتْ مِنْ عمل، فأُثِيبَتْ على قَدرِ عملِها. ورُوِيَ عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ أنه قال في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾: لِهذا جرى الحديثُ. وقال ابنُ عباسٍ: مِنْ أولِ السُّورةِ إلى هاهنا اثنتا عشرةَ خَصلةً، ستةٌ في الدنيا، وستةٌ في الآخرة.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدةٌ، والمعنى: أُقسِمُ ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ وفيها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها خمسةُ أنجم تَخنُس بالنهار فلا تُرى، وهي: زُحَل، وعُطَارِد، والمُشتَري، والمَرِّيخ. وبه قال مُقاتِلٌ، وابنُ قُتَيبةَ. وقيلَ: اسمُ المُشتَري: البرجس. واسمُ المَرِّيخ: بهرام. **والثاني**: أنها النُّجومُ، قاله الحَسَنُ وقَتادةُ على الإطلاقِ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنها بَقَرُ الوحشِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والرابع**: الظِّباءُ، رواه العَوْفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: الملائكة، حكاه المَاوَرديُّ. والأكثرون على أنها النُّجومُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وإنما سَمَّاها خُنَّساً، لأنها تسير في البُروجِ

---

(١) المائدة: ١١٦.

والمنازل، كَسَيرِ الشمس والقمر، ثم تَخْنس، أي: ترجعُ، بَيْنا يُرى أحدُها في آخر البُروج كَرَّ راجعاً إلى أوَّله، وسمَّاها كُنَّساً، لأنها تَكنِسُ، أي: تَسيرُ كما تَكْنِسُ الظِّباءُ. وقال الزَّجَّاجُ: تَخْنُسُ، أي: تغيب، وكذلك تَكْنِسُ تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيبُ فيها. وإذا كان المراد الظِّباءُ فهي تدخل الكِناسَ، وهو الغُصنُ مِنْ أغصان الشجر. ووَقَفَ يعقوبُ على «الجَوارِي» بالياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَلّى، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أقبلَ، قاله ابنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبلَ. وعَسْعَسَ: إذا أدبرَ. واستدلَّ مِنْ قال: إنَّ المراد: إدْبارُه بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وأنشد أبو عُبيدَةَ لِعَلْقمةَ بنِ قرطٍ:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسا ... وانجابَ عنها لَيْلُها وعَسْعَسا

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنَفَّسَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه طُلوعُ الفجر، قاله عليٌّ رضي الله عنه وقَتادَةُ. **والثاني**: طلوعُ الشمس، قاله الضَّحَّاكُ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: إذا امتدَّ حتى يصيرَ نهاراً بيِّناً. وجوابُ القَسَمِ في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ وما بعدَهُ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني: أنَّ القرآن نزَلَ به جبريلُ. وقد بيَّنَّا هذا في الحاقَّة[١]. ثم وَصفَ جبريلَ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ وقد شرحناه في النَّجم[٢] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ يعني: في المنزلة ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ أي: في السمواتِ تُطيعُه الملائكةُ. فَمِنْ طاعةِ الملائكة له: أنه أَمَرَ خازنَ الجنة ليلةَ المِعراج حتى فَتَحها لِمحمَّدٍ ﷺ فدَخلَها ورأى ما فيها، وأمَرَ خازنَ جهنَّمَ ففتحَ له عنها حتى نظر إليها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو حَيْوَةَ «ثُم أمين» بضمِّ الثاء. ومعنى «أمين» على وحي الله ورِسالاتِه. وقال أبو صالحٍ: أمينٌ على أنْ يدخلَ سبعين سُرادِقاً مِنْ نورٍ بغير إذنٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ يعني محمَّداً ﷺ، والخِطابُ لأهل مكَّةَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا أيضاً مِنْ جواب القَسَمِ، وذلك أنه أقسَمَ أنَّ القرآن نزلَ به جِبريلُ، وأنَّ محمَّداً ليس بمجنونٍ كما يقول أهلُ مكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قال المُفسِّرون: رأى محمَّدٌ ﷺ جِبريلَ على صورته بالأُفقِ. وقد ذكرنا هذا في سُورَةِ النَّجم[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: على خبرِ السماء الغائبِ عن أهل الأرض ﴿بِضَنِينٖ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكِسائيُّ، ورُوَيسٌ «بظنين» بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. قال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ قرأ بالظاء، فالمعنى: ما هو بمُتَّهم على ما يُخبِرُ به عن الله، ومَنْ قرأ بالضاد، فالمعنى: ليس ببَخيلٍ عليكم بعِلمِ ما غابَ عنكم مما ينفعكم. وقال غيره: ما يَكتُمه كما يكتُم الكاهِنُ لِيأخُذَ الأجرَ عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنما يجيءُ به الشيطانُ، فيُلقيه على لسانِ محمَّدٍ.

---

(١) الحاقة: ٤٠. (٢) النجم: ٦. (٣) تقدم في سورة النجم: ٧.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: فأيَّ طريقٍ تَسلُكون أبيَنَ مِنْ هذه الطريقةِ التي قد بَيَّنتُ لكم؟ قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: موعظةٌ للخَلْقِ أجمعين ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ على الحقِّ والإيمانِ. والمعنى: أنَّ القرآن إنما يَتَّعظُ به مَنِ استقامَ على الحقِّ. وقد بيَّنَّا سبيلَ الاستقامة، فمَنْ شاء أَخَذَ في تلك السبيل. ثم أعلَمَهم أنَّ المشيئة في التوفيق إليه بما بعدَ هذا، وقد بَيَّنَّا هذا في سُورَةِ الإنسان[1].

[١٥١٦] قال أبو هُريرَة: لمَّا نزلت ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمرُ إلينا، إنْ شِئنا استقَمنا، وإنْ شِئنا لم نَستَقِمْ، فنزَلَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقيلَ: القائل لذلك أبو جَهلٍ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ: «وما يشاؤون» بالياء.

فصل: وقد زَعَمَ بعضُ ناقِلي التفسير أنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وقولَه عزَّ وجلَّ في (عَبَس)[2]: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، وقولَه عزَّ وجلَّ في سُورَةِ الإنسان[3] وفي سُورَةِ المُزَّمِّل[4]: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ كلُّهُ مَنسُوخٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ولا أرى هذا القولَ صحيحاً، لأنه لو جازَ وقوعُ مشيئَتِهم مع عدمِ مشيئَتِه توجَّه النَّسخُ. فأمَّا إذْ أخبرَ أنَّ مشيئَتَهم لا تقعُ إلاَّ بعد مشيئَتِه، فليس للنَّسخِ وَجهٌ.

[١٥١٦] أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٥٣٢ عن أبي هريرة، ولم أقف على إسناده، وتفردهما به دليل وهنه. وورد عن سليمان بن موسى قوله، وهو أصح. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٧ والطبري ٣٦٥٤٩ و ٣٦٥٥٠ عن سليمان بن موسى به.

---

(١) الإنسان: ٣٠.
(٢) عبس: ١٢.
(٣) الإنسان: ٢٩.
(٤) المزمل: ١٨.

سُورَةُ الانفِطَار

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ انفِطارُها: انشِقاقُها. و ﴿انتَثَرَتْ﴾ بمعنى تَساقَطَتْ. و ﴿فُجِّرَتْ﴾ بمعنى فُتِحَ بعضُها في بعضٍ فصارت بحراً واحداً. وقال الحسَنُ: ذهب ماؤُها، و ﴿بُعْثِرَتْ﴾ بمعنى أُثِيرَتْ. قال ابنُ قُتيبةَ: قُلِبَتْ فأُخرِجَ ما فيها. يُقال: بَعْثَرتُ المَتاعَ وبَحْثَرْتُه: إذا جعلتَ أسفلَهُ أعلاهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا جوابُ الكلام. وقد شرحناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عُنِيَ به أبو الأشد[2]، وكان كافراً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. وقد ذكرنا اسمَه في المُدَّثِّر[3]. **والثاني**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرة، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنه أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنه أشار إلى كلِّ كافرٍ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ما خَدَعكَ وسَوَّلَ لكَ حتى أَضَعْتَ ما وجبَ عليكَ؟. وقال غيرُه: المعنى: ما الذي أَمَّنَكَ مِنْ عقابه وهو كريمٌ مُتجاوِزٌ إذْ لم يُعاقِبْكَ عاجلاً؟ وقيلَ

---

(١) القيامة: ٣٠.

(٢) تقدم الكلام عليه في سورة المدثر: ٣٠.

(٣) المدثر: ٣٠.

للفُضيلِ بنِ عِياضٍ: لو أقامكَ اللَّهُ سبحانه يومَ القيامة، وقال: ما غرَّكَ بربِّكَ الكريم، ماذا كنتَ تقولُ؟ قال: أقولُ: غرَّني سُتورُكَ المرخاةُ. وقال يَحيى بنُ مُعاذٍ: لو قال لي: ما غرَّكَ بي؟ قلتُ: بِرُّكَ سالِفاً وآنِفاً. وقيلَ: لمَّا ذَكرَ الصِّفَةَ التي هي الكَرمُ ها هنا دونَ سائرِ صفاتِه، كان كأنه لَقَّنَ عبدَه الجوابَ، لِيقولَ: غرَّني كَرمُ الكريم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ ولم تَكُ شيئاً ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ إنساناً تسمَعُ وتُبصِرُ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «فعدَّلك» بالتشديد. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ «فَعَدَلك» بالتخفيف. قال الفرَّاءُ: مَنْ قرأ بالتخفيف. فوَجْهُه ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ: فصوَّركَ إلى أيِّ صورةٍ ما شاءَ، إمَّا حَسَنٍ، وإمَّا قبيحٍ، وإمَّا طويلٍ، وإمَّا قصيرٍ. وقيل: في صورةِ أبٍ، في صورة عمٍّ، في صورةِ بعضِ القراباتِ تَشبيهاً. ومَنْ قرأ بالتشديد، فإنه أراد ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ: جعَلَكَ مُعتَدِلاً، مُعدَّلَ الخَلْقِ. وقال غيره: عَدَّلَ أعضاءَكَ فلم تَفضُلْ يدٌ على يدٍ، ولا رِجلٌ على رِجلٍ، وعَدَلَ بكَ أنْ يجعلكَ حيواناً بهِيماً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يجوز أنْ تكونَ «ما» زائدةً. ويجوز أنْ تكونَ بمعنى الشَّرطِ والجزاءِ، فيكون المعنى: في أيِّ صورةٍ ما شاء أنْ يُركِّبكَ فيها رَكَّبكَ. وفي معنى الآية أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: في أيِّ صُورةٍ مِنْ صُوَرِ القراباتِ رَكَّبكَ، وهو معنى قولِ مُجاهِدٍ. **والثاني**: في أيِّ صُورةٍ، مِنْ حَسَنٍ، أو قبيحٍ أو طويلٍ، أو قصيرٍ، أو ذَكَرٍ، أو أنثى، وهو معنى قولِ الفرَّاءِ. **والثالث**: إنْ شاءَ أنْ يُركِّبَكَ في غيرِ صورة الإنسان ركَّبكَ، قاله مُقاتِلٌ. وقال عِكرِمَةُ: إنْ شاء في صورةِ قِرْدٍ، وإنْ شاء في صورةِ خِنزيرٍ. **والرابع**: إنْ شاء في صُورةِ إنسانٍ بأفعالِ الخير. وإنْ شاء في صُورةِ حمارٍ بالبَلادةِ والبَلهِ، وإنْ شاء في صورةِ كلبٍ بالبُخلِ، أو خِنزيرٍ بالشرِّ، ذكره الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ بل يكذبون «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، فيَزعُمون أنه غيرُ كائنٍ. ثم أعلَمَهم أنَّ أعمالَهم محفوظةٌ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ أي: مِنَ الملائكة يَحفظون عليكم أعمالَكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربِّهم ﴿كَـٰتِبِينَ﴾ يكتبون أعمالَكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ مِن خيرٍ وشرٍّ، فيكتبونَهُ عليكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دَخلوا الجنَّةَ ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: الظَّلَمةُ. ونُقِلَ عن سُليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ أنه قال لأبي حازمٍ: يا ليتَ شِعْري ما لَنا عندَ اللهِ؟ فقال له: اعرِضْ عملَكَ على كتابِ الله، فإنكَ تعلَمُ ما لكَ عندَه، فقال: وأينَ أجِدُه؟ قال: عندَ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ قال سُليمانُ: فأينَ رَحمةُ الله؟ قال: قريبٌ مِنَ المُحسِنينَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يعني: يدخلون الجحيمَ مُقاسِيْنَ حرَّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يومَ الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي: الجحيم ﴿بِغَآئِبِينَ﴾ وهذا يدلُّ على تخليدِ الكفَّارِ. وأجازَ بعضُ العلماء أنْ تكونَ «عنها» كِنايةً عن يوم القيامة، فتكون فائدةُ الكلام تحقيقُ البَعثِ. ويشتمل هذا على الأبرارِ والفُجَّارِ. ثم عَظَّمَ ذلكَ اليومَ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ثم كَرَّرَ ذلك تفخيماً لشأنِه، وكان ابنُ السَّائبِ يقول: الخِطابُ بهذا للإنسان الكافر، لا لِرَسولِ اللهِ ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو «يوم» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزَّجّاجُ: مَنْ رَفعَ «اليوم»، فعَلَى أنه صِفةٌ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾. ويجوز أنْ يكونَ رفعه بإضمارِ «هو»، ونَصبُه على معنى: هذه الأشياءُ المذكورةُ تكون ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قال المُفسِّرون: ومعنى الآية أنه لا يَملكُ الأمرَ أحدٌ إلاّ اللّهُ ولم يُملِّكْ أحداً مِنَ الخَلْقِ شيئاً كما مَلَّكهُم في الدنيا. وكان مُقاتِلٌ يقول: لا تَملِكُ نفسٌ لِنَفسٍ كافرةٍ شيئاً مِنَ المَنفَعةِ. والقولُ على الإطلاق أصحُّ، لأنَّ مُقاتِلاً فيما أحسَبُ خاف نَفْيَ شفاعةِ المؤمنين. والشفاعةُ إنما تكون عن أمرِ الله وتمليكِه.

سُورَةُ المطفِّفين

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

وفيها ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاكُ، ويَحيى بنُ سَلام. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، إلاَّ أنَّ ابنَ عباسٍ، وقَتادَة قالاَ: فيها ثمانِ آياتٍ مكيَّةٌ، مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾(٢) إلى آخرِها. وقال مُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مكِّيَّةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾(٣). **والثالث**: أنها نزلت بين مكَّةَ، والمدينةِ، قاله جابرُ بنُ زيدٍ وابنُ السَّائبِ، وذكر هِبَةُ اللَّهِ بنُ سلامةَ المُفسِّر أنها نزلت في الهجرة بين مكَّةَ والمدينةِ، نِصفُها يقارب مكَّةَ، ونِصفُها يقارب المدينةَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾.

[١٥١٧] قال ابنُ عباسٍ: لمَّا قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ كانوا مِنْ أخبثِ الناس كَيْلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسَنُوا الكَيْلَ بعد ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وبها رجلٌ يقال له: أبو جُهَينةَ، ومعه صاعان، يكيلُ بأحدهما، ويَكتَالُ بالآخر، فأنزل اللَّهُ هذه الآيةَ(٤). وقد شرحنا معنى «الوَيْل» في البقرة(٥) قال ابنُ قُتَيبة: المُطفِّف: الذي لا يُوفِّي الكَيلَ، يقال: إناءٌ طَفَّانٌ: إذا لم يكُنْ مملوءاً. وقال الزَّجَّاجُ: إنما قيلَ: مُطفِّف،

[١٥١٧] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٧٤ وابن ماجه ٢٢٢٣ والحاكم ٢/ ٣٣ والطبري ٣٦٥٧٧ والواحدي ٨٤٨ من حديث ابن عباس، وإسناده حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن صحيح، وقد صححه السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٣٦. وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٢٦٦.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧١: سورة المطففين مدنية.
(٢) المطففين: ٢٩.
(٣) المطففين: ١٣.
(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٠ بدون إسناد عن السدي، فهو لا شيء. وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧١٨: لم أجده.
(٥) البقرة: ٧٩.

لأنه لا يكاد يَسرقُ في الميزان والمِكيالِ إلاَّ الشيءَ الطَّفِيفَ، وإنما أُخِذَ مِنْ طَفِّ الشيءِ، وهو جانبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: مِنَ الناس. فـ «على» بمعنى «من» في قول المُفسِّرين واللغويين. قال الفرَّاءُ: «على»، و «من» يَعتقبان في هذا الموضع، لأنكَ إذا قلتَ: اكْتَلتُ عليكَ، فكأنكَ قلتَ: أخذتُ ما عليكَ كيلاً، وإذا قلتَ: اكْتَلتُ منكَ كيلاً، فهو كقولكَ: استَوفَيتُ منكَ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا اكتالوا مِنَ الناس استَوفوا عليهم الكَيْلَ، وكذلك إذا اتَّزنوا، ولم يَذْكُرْ «إذا اتَّزنوا»، لأنَّ الكَيْلَ والوزنَ بهما الشراءُ والبيعُ فيما يُكَالُ ويُوزَنُ، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ أي: كَالُوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي: وَزَنوا لهم ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ أي: يُنْقِصون في الكَيلِ، والوزنِ. فعلى هذا لا يجوز أنْ يقفَ على «كالوا»، ومِنَ الناس مَنْ يجعل «هم» توكيداً لِمَا كَالُوا، ويجوز أنْ يقفَ على «كالوا» والاختيارُ الأولُ. قال الفرَّاءُ: سمعتُ أعرابيَّةً تقول:

إذا صَدَرَ الناسُ أتينا التاجرَ، فيَكِيلُنا المُدَّ والمُدَّين إلى الموسم المُقبلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾؟! قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو ظنوا أنهم يُبْعَثُون ما نَقَصُوا في الكَيلِ والوزنِ ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني به يومَ القيامة ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ اليوم منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ «مبعوثون». قال المُفسِّرون: والظَّنُّ ها هنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى يقوم الناس، أي: مِنْ قبورِهم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: لأمرِه، أو لِجزائِه وحسابه. وقيل يقومون بين يديه لِفَصْلِ القضاء.

[١٥١٨] وفي «الصحيحين» مِنْ حديث ابنِ عمرَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: في هذه الآية: «يقوم أحدُهم في رَشحِهِ إلى أنصافِ أُذنيهِ». وقال كَعْبٌ: يَقِفون ثلاثمائةَ عامٍ. قال مُقاتِلٌ: وذلك إذا أُخرِجوا مِنْ قبورِهم.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠
ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ
۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ
ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا
عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ
فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ
ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ رَدعٌ وزَجرٌ، أي: ليس الأمرُ على ما هم عليه، فَلْيَرتَدِعوا. وها هنا تمَّ الكلامُ عند كثيرٍ مِنَ العلماء. وكان أبو حاتمٍ يقول: «كلا» ابتداءٌ يتصل بما بعدَه على معنى «حقًّا» ﴿إِنَّ

[١٥١٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٨ والبغوي في «التفسير» من طريق إبراهيم بن المنذر به. وأخرجه مسلم ٢٨٦٢ من طريق معن به. وأخرجه الطبراني ٣٠/ ٩٤ من طريق مالك به. وأخرجه البخاري ٦٥٣١ ومسلم ٢٨٦٢ والترمذي ٢٤٢٢ وابن ماجه ٤٢٧٨، وأحمد ٢/ ١٠٥ و ١٢٥ وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٣٣ وابن حبان ٧٣٣١ والطبري ٣٦٥٨٥ و ٣٦٥٨٩ والبغوي ٤٢١١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٤٢ من طرق عن نافع به.

﴿كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ قال مُقاتِلٌ: إنَّ كتابَ أعمالِهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأرض السابعة، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، وابنِ زيدٍ، ومُقاتِلٍ. ورُوِيَ عن مُجاهِدٍ قال: «سجين» صخرةٌ تحت الأرض السابعة، جُعِلَ كتابُ الفاجر تحتَها، وهذه علامةٌ لِخَسارتِهم، ودلالةٌ على خَساسَةِ منزلَتِهم. **والثاني**: أن المعنى: إنَّ كتابهم لَفِي سَفالٍ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: لَفِي خَسارٍ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: لَفِي حَبْسٍ، فِعِّيل مِنَ السَّجْنِ، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾ هذا تعظيمٌ لأمرِها. وقال الزَّجَّاجُ: أي: ليس ذلك مما كنت تعلَمُه أنتَ ولا قومُكَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ أي: ذلك الكتاب الذي في سِجِّينٍ كتابٌ مَرقُومٌ، أي: مكتوبٌ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: والرَّقْمُ: الكتاب. قال ابنُ ذُؤَيبٍ[(١)]:

عَـرَفْـتُ الـدِّيَـارَ كَـرَقْـمِ الـدَّوَا ... ةِ يَـزْبُـرُه الـكَـاتِـبُ الـحِـمْـيَـرِي

وأنشده الزَّجَّاجُ: «يذْبِرها» بالذالِ المُعجَمةِ، وكسرِ الباء. قال الأصمَعيُّ: يقال: زَبَرَ: كَتَبَ، وذَبَرَ: قرأ. ورَوى أبو عمرٍو عن ثَعلَبٍ، عن ابنِ الأعرابي، قال: الصوابُ: زَبرتُ ـ بالزاي ـ كَتَبتُ. وذَبَرتُ ـ بالذال ـ أتقنتُ ما حَفِظْتُ. قال: والبيتُ يَزْبُرها، بالزاي والضمِّ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: يروى «يزبرُها» و «يذبرُها» وهو مثله، يقال: زَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه، ويَزْبِره. وذَبَره يَذْبُرُه، ويَذْبِره. وقال قَتادَةُ: رُقِمَ له بشرٌّ، كأنه أعلَم بعلامةٍ يُعرف بها أنه الكافرُ. وقيل: المعنى: إنه مُثبتٌ لهم كالرَّقْمِ في الثوب، لا يُنسى ولا يُمحى حتى يُجازَوا به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هذا منتظمٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾، وما بينهما كلامٌ معترِضٌ. وما بعده قد سبقَ بيانُه إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «بل ران» بفتح الراء مُدغمةً، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ «بل ران» مُدغمةً بكسرِ الراء. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ «بل» بإظهار اللام «ران» بفتح الراء وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بإدغام اللام بكسرِ الراء، قال اللغويون: أي: غَلَبَ على قلوبهم يقال: الخَمرُ تَرِينُ على عقلِ السَّكران. قال الزَّجَّاجُ: قُرِئت بإدغام اللام في الراء، لِقُربِ ما بين الحرفين، وإظهارُ اللام جائزٌ، لأنه مِنْ كلمةٍ، والرأسُ مِنْ كلمةٍ أخرى. ويقال: رَانَ على قلبِه الذَّنبُ يَرِينُ رَيْناً: إذا غَشِيَ على قلبِه، ويقال: غانَ يَغِيْنُ غَيْناً، والغَيْنُ كالغَيْم الرقيقِ، والرَّيْنُ كالصَّدأ يغشى على القلب. وسمعتُ شيخَنا أبا منصورٍ اللغوي يقول: الغَيْنُ يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ﴾.

[١٥١٩] وفي الحديث: «إنه لَيُغانُ على قلبي» وكذلك الرَّاية تُقال بالراء، وبالغين، والرُّمَيصاء تُكتب «بالغين»، وبالراء، لأنَّ الرَّمَصَ يُكتَبُ بهما. قال المُفسِّرون: لمَّا كَثُرت معاصيهم وذنوبُهم أحاطَتْ بقلوبهم. قال الحسَنُ: هو الذَّنبُ على الذَّنبِ حتى يَعمى القلبُ.

[١٥١٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٠٢ وأبو داود ١٥١٥ وأحمد ٤/ ٢٦٠ والنسائي في «اليوم والليلة» ٤٤٢ وابن حبان ٩٣١ من حديث الأغرّ المزني بزيادة «وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة». وانظر «تفسير القرطبي» ٥١٢.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، «ديوان الهذليين» ١/ ٦٤.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يُصدِّقون. ثم استأنف ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنهم عن النَّظرِ إلى ربِّهم يومَئذٍ لَمَحجُوبون، والمؤمنُ لا يُحجَبُ عن رؤيتِه. وقال مالكُ بنُ أنسٍ: لمَّا حَجَبَ أعداءَه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائِه حتى رَأَوه. وقال الشَّافعيُّ: لمَّا حَجَبَ قوماً بالسُّخْطِ دلَّ على أنَّ قوماً يَرَوْنه بالرِّضى[١]. وقال الزَّجَّاجُ: وهذه الآية دليلٌ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُرى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدةٌ، ولا خسَّتْ منزلةُ الكفَّارِ بأنهم يُحجَبون عن ربِّهم. ثم بعد حَجْبِهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أي: تقول خَزنةُ النارِ: ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ﴾ أي: لا يُؤمِنُ بالعذاب الذي يَصْلاه. ثم أعلَمَ أين مَحمَلُ ﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ وفيها سبعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: الجنة، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه لَوحٌ مِنْ زَبرجدة خضراءَ مُعلَّقٌ تحت العَرشِ فيه أعمالهم مكتوبةٌ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها السماء السابعة، وفيها أرواحُ المؤمنين، قاله كَعْبٌ، وهو مذهب مُجاهِدٍ، وابنِ زيدٍ. **والرابع**: أنها قائمةُ العَرشِ اليمنى، وقال مُقاتِلٌ: ساقُ العَرشِ. **والخامس**: أنه سِدْرةُ المُنتهى، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: أنه في عُلوٍ وصعودٍ إلى الله عزَّ وجلَّ قاله الحَسَنُ. وقال الفَرَّاءُ: في ارتفاعٍ بعد ارتفاعٍ. **والسابع**: أنه أعلى الأمكنةِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ هذا تعظيمٌ لشأنها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلَها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يَحضرُ المقرَّبون مِنَ الملائكة ذلك المكتوبَ، أو ذلك الكتابَ إذا صَعدَ به إلى عِلِّيين. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[٣] إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ففيه قولان: **أحدهما**: إلى ما أعطاهم اللَّهُ مِنَ الكرامة.

والثاني: إلى أعدائهم حين يُعذَّبون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، ويعقوبُ «تُعرَف» بضمِّ التاء، وفتحِ الراء «نُضرةُ» بالرفع. قال الفَرَّاءُ: بَريقُ النعيم ونَداهُ. قال المُفسِّرون: إذا رأيتَهم عرفتَ أنهم مِنْ أهل النعيم، لِمَا ترى مِنَ الحُسنِ والنُّورِ. وفي «الرَّحيق» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أيُّ الخمرِ هي على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أجوَدُ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧٤: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلّ عليه منطوق قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥: أي مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين، والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال معظماً أمره ومفخماً شأنه ﴿وما أدراك ما عِلِيُّون﴾ ثم قال مؤكداً لما كتب لهم ﴿كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ وهم الملائكة.

(٣) الانفطار: ١٣.

الخمر، قاله الخَليلُ بنُ أحمدَ. **والثانية**: الخالِصةُ مِنَ الغِشِّ، قاله الأخفَشُ. **والثالث**: الخمر البيضاءُ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: الخَمرُ العَتيقةُ، حكاه ابنُ قُتَيبةَ.

والقول الثاني: أنه عَينٌ في الجنة مَشُوبةٌ بالمِسْكِ، قاله الحَسنُ.

والثالث: أنه الشراب الذي لا غِشَّ فيه، قاله ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَمزوجٌ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: مَختومٌ على إنائِه، وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خِتامٌ، أي: عاقبةُ رِيحٍ، وتلك العاقبة هي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أي عاقِبَته. هذا قولُ أبي عُبيدَةَ.

قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ «خِتامه» بكسر الخاء، وبفتح التاء، وبألفٍ بعدهما، مرفوعةَ الميم. وقرأ الكِسَائيُّ «خَاتَمه» بخاءٍ مفتوحةٍ، بعدها ألفٌ، وبعده تاءٌ مفتوحةٌ. ورَوى الشَّيزَريُّ عنه «خاتِمه» مثلَ ذلك، إلاَّ أنه يكسر التاءَ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وعُروَةُ، وأبو العاليةِ: «خَتَمه مسك» بفتحِ الخاء والتاء وبضمِّ الميم مِنْ غيرِ ألفٍ. وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خَلطُهُ مِسكٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ خَتْمَه الذي يُخْتَمُ به الإناءِ مِسْكٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ طعمَهُ وريحَهُ مِسْكٌ، قاله عَلْقَمَةُ. **والرابع**: أنَّ آخرَ طعمِه مِسكٌ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: فَلْيَجِدُّوا في طَلَبِه، ولْيَحْرِصوا عليه بطاعة الله. والتَّنافس: كالتَّشاحِّ على الشيء، والتَّنازُعِ فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ عَينٍ في الجنة، قال ابنُ مسعودٍ: وهي عَينٌ في الجنة يشربها المُقرَّبون صِرفاً، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين. **والثاني**: أنَّ التَّسْنيمَ الماءُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال مُقاتِلٌ: وإنما سُمِّيَ تَسْنيماً، لأنه يُتَسنَّمُ عليه مِنْ جنَّة عَدْنٍ، فيَنْصبُّ عليهم انصباباً، فيشربون الخمرَ مِنْ ذلك الماء. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: إنَّ التَّسنيمَ أرفعُ شرابٍ في الجنة. ويقال: إنه يمتزج بماءٍ ينزل مِنْ تَسْنيم، أي: مِنْ عُلوٍ. وأصل هذا مِنْ سَنامِ البعير، ومِنْ تَسْنِيمِ القبور. وهذا أعجبُ إليَّ، لقولِ المُسَيَّبِ بنِ عَلَسٍ في وصف امرأةٍ:

كَـأنَّ بـريـقَـتِـهـا لِـلْـمِـزا ... ج مِـنْ ثَـلْـجِ تَـسْـنِـيـم شِـيـبَـتْ عُـقَـارَا

أراد: كأنَّ بريقتها عُقَاراً شِيبَتْ للمِزاجِ مِنْ ثَلجِ تَسْنِيم، يريد: جبلاً. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ومِزاجه مِنْ تَسْنيم عيناً تأتيهم مِنْ تَسْنيم، أي: مِنْ عُلوٍ يَتَسنَّم عليهم مِنَ الغُرَفِ. فـ «عيناً» في هذا القول منصوبةٌ، كما قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾[1]. ويجوز أنْ تكونَ «عيناً» منصوبة بقوله: يُسْقَوْن عَيناً، أي: مِنْ عينٍ. وقد بيَّنَّا معنى «يشرب بها» في «هل أتى»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾

---

(١) البلد: ١٤ ـ ١٥. (٢) الدهر: ٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ أي: أشركوا ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أصحاب رسولِ الله ﷺ، مثلَ عمَّارٍ، وبلالٍ، وخبَّابٍ وغيرهم ﴿يَضۡحَكُونَ﴾ على وجهِ الاستهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ يعني: المؤمنين ﴿بِهِمۡ﴾ أي: بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يُشيرون بالجَفْنِ والحاجب استهزاءً بهم ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ يعني: الكُفَّار ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ أي: مُتعجِّبينَ بما هم فيه يَتفكَّهون بذِكرِهم. وقرأ أبو جعفرَ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ، وعبدُ الرَّزاقِ عن ابنِ عامرٍ «فكهين» بغيرِ ألفٍ. وقد شرحنا معنى القِراءتين في «يس»[1] قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ أي: رَأَوْا أصحابَ رسول الله ﷺ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ يعني الكفَّار ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يَحفظون أعمالَهم عليهم، أي: لم يُوكَّلوا بحفظِ أعمالِهم ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ إذا رَأَوْهم يُعذَّبون في النَّارِ. قال أبو صالح: يُقال لأهل النَّارِ وهم فيها: اخْرُجوا، وتُفتحُ لهم أبوابُها، فإذا أقبَلُوا يريدون الخروجَ، غُلِّقَتْ أبوابُها دُونَهم. والمؤمنون ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٣﴾ إليهم فذلك قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مِنَ الكفَّارِ يضحكون ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٤﴾ إلى عذاب عَدُوِّهم. قال مُقاتِلٌ: لكلِّ رجلٍ مِنْ أهل الجنة ثُلْمَةٌ ينظرون إلى أعداء الله كيف يُعذَّبون، فيَحمدون الله على ما أكرَمَهم به، فهم يُكلِّمون أهلَ النار ويُكلِّمونَهم إلى أنْ تُطبِقَ النارُ على أهلها، فتُسَدُّ حِينئذٍ الكُوَى.

قوله تعالى: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وهارونُ عن أبي عمروٍ «هل ثوب» بإدغامِ اللام. أي: هل جُوزوا وأُثيبوا على استهزائِهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهامُ بمعنى التقرير.

(١) يسٓ: ٥٥.

سورة الانشقاق

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

وهي مكيَّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾ قال المُفسِّرون: انشِقاقها مِنْ علاماتِ الساعة. وقد ذُكِرَ ذلك في مواضعَ مِنَ القرآن. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعتْ وأطاعتْ في الانشقاقِ، مِنَ الإذْنِ، وهو الاستماعُ للشيء والإصْغاءُ إليه، وأنشدوا:

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ بِهِ ... وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُم أَذِنُوا[1]

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: حقَّ لها أنْ تُطيعَ ربَّها الذي خَلَقها ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تُمَدُّ مَدَّ الأدِيم، ويُزاد في سَعَتِها. وقال مُقاتِلٌ: لا يبقى جبلٌ ولا بناءٌ إلاَّ دخلَ فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى والكُنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: خَلَتْ مِنْ ذلك، فلم يَبْقَ في باطِنها شيءٌ. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكوراتِ على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَتروكٌ، لأنَّ المعنى معروفٌ قد تردَّدَ في القرآن. **والثاني**: أنه ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾، كقولِ القائل: إذا كان كذا وكذا فَيا أيُّها الناسُ تَرَوْنَ ما عَمِلتُم، فيجعل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ هو الجواب، وتُضمَرُ فيه الفاء، فكأنَّ المعنى: ترى الثوابَ والعقابَ إذا السماءُ انشقَّتْ، ذكر القولين الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: «يا أيها الإنسانُ إنكَ كادِحٌ إلى ربِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ إذا السماءُ انشقَّتْ» قاله المُبَرِّدُ. **والرابع**: أنَّ الجواب مدلولٌ عليه بقوله عزَّ وجلَّ: «فَمُلاقِيه». فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لَقِيَ الإنسانُ عملَه، قاله الزَّجّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إنكَ عاملٌ لربِّكَ عملاً، قاله ابنُ

---

(١) البيت لقعنب بن ضمرة بن أم صاحب، كما في «الاقتضاب» ٢٩٢ و«اللسان» ـ أذن ـ.

عباسٍ. **والثاني**: سَاعٍ إلى ربِّكَ سَعْياً، قاله مُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: و «الكَدْح» في اللغة: السَّعْيُ، والدَّأْبُ في العملِ بابُ الدنيا والآخرة. قال تَمِيمُ بنُ مُقبِلٍ:

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وأُخرى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قولان: **أحدهما**: عاملٌ لربِّكَ. وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إلى لقاء ربِّكَ، قاله ابنُ قُتيبة.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ قولان: **أحدهما**: فَمُلاقٍ عَمَلَكَ. **والثاني**: فمُلاقٍ ربَّكَ، ذكرهما الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو أنْ تُعرضَ عليه سيِّئاتُه، ثم يَغْفِرها الله له.

[١٥٢٠] وفي «الصَّحيحين» مِنْ حديث عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ، فقُلتُ: يا رسولَ الله، فإنَّ الله يقول: «فسَوفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً»؟! قال: ذلكَ العَرْضُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يعني: في الجنَّةِ مِنَ الحُورِ العِينِ والآدميَّاتِ ﴿مَسْرُورًا﴾ بما أُوتيَ مِنَ الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: تُغَلُّ يدُه اليمنى إلى عُنقِه، وتُجعل يدُه اليُسرى وراءَ ظهرِه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: يقول: يا وَيْلاهُ، يا ثُبوراهُ، وهذا يقوله كلُّ مَنْ وقع في هَلَكَةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافع، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ «ويُصَلَّى» بضمِّ الياء، وتشديدِ اللام. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمرو، وحمزةُ «ويَصلى» بفتح الياء خفيفةً، إلاَّ أنَّ حمزةَ والكِسائيَّ يُميلانها. وقد شرحناه في سُورَةِ النِّساء(١). قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ يعني في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ باتِّباعِ هَواهُ، وركوبِ شهواتِه ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجعَ إلى الآخرة، ولن يُبعَثَ وهذه صفةُ الكافرِ. قال اللغويون: الحَوْرُ في اللغة: الرجوع، وأنشدوا لِلَبِيدٍ:

وَمَا المَرءُ إلاَّ كالشِّهَابِ وَضَوئِهِ يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

[١٥٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٣ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢١٤ عن سعيد بن أبي مريم به. عن عائشة.
وأخرجه البخاري ٤٩٣٩ ومسلم ٢٨٧٦ ح ٧٩ والترمذي ٣٣٣٧ وأحمد ٦/٤٧ والطبري ٣٦٧٣٦ وابن حبان ٧٣٦٩ والقضاعي ٣٣٨ من طرق عن أيوب عن ابن أبي مليكة. وأخرجه البخاري ٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ والترمذي ٢٤٢٦ و ٣٣٣٧ والطبري ٣٦٧٣٩ و ٣٦٧٤٠ من طرق عن ابن أبي مليكة به.

---

(١) النساء: ١١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰٓ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: بلى لِيَحُورُون، ثم استأنفَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ قال المُفسِّرون: بصيراً به على سائرِ أحوالِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قد سبقَ بيانُه.

وأمَّا «الشَّفق» فقال ابنُ قُتيبةَ: هما شفقانِ: الأحمرُ، والأبيضُ، فالأحمرُ: مِنْ لَدُنْ غُروبِ الشمس إلى وقتِ صلاةِ العِشاء ثم يَغيبُ، ويبقى الشَّفقُ الأبيضُ إلى نصفِ الليل. وللمُفسِّرين في المراد «بالشَّفَق» هاهنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحُمرَةُ التي تبقى في الأفقِ بعدَ غُروبِ الشمس.

[١٥٢١] وقد رَوى ابنُ عمرَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشَّفَقُ: الحُمْرَةُ»، وهذا قولُ عمرَ، وابنِه، وابنِ مسعودٍ، وعُبَادَةَ، وأبي قَتادَةَ، وجابرِ بنِ عبدِ الله، وابنِ عباسٍ، وأبي هُريرَةَ، وأنسٍ، وابنِ المُسَيِّبِ، وابنِ جُبَيرٍ، وطَاوُسٍ، ومَكْحولٍ، ومالكٍ، والأوزاعي، وأبي يُوسفَ، والشَّافعي، وأبي عُبيدٍ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وابنِ قُتيبةَ، والزَّجَّاجِ. قال الفَرَّاءُ: سمعتُ بعضَ العرب يقول وعليه ثوبٌ مَصبوغٌ كأنه الشَّفَقُ، وكان أحمرَ.

والثاني: أنه النهار. **والثالث**: الشمس، رُوِيَ القولان عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنه ما بقيَ مِنَ النهار، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: السَّوادُ الذي يكون بعد ذهابِ البياضِ، قاله أبو جعفرَ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ. **والسادس**: أنه البياض، قاله عُمرُ بنُ عبد العزيزِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وما جَمَعَ وضَمَّ. وأنشدوا:

إنَّ لـنـا قَـلائِـصـاً حَـقـائِـقـا مُـسْـتَـوْسِـقَـاتٍ لـو يَـجِـدْنَ سَـائِـقَـا[١]

قال أبو عُبيدَةَ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما عَلاه فلم يُمنَعْ منه شيءٌ، فإذا جَلَّلَ الليلُ الجبالَ، والأشجارَ، والبحارَ، والأرضَ، فاجتمعتْ له، فقد وَسَقَها. وقال بعضهم: معنى: «ما وَسَق»: ما جَمعَ مما كان مُنتشراً بالنهار في تصرُّفِه إلى مأْوَاه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ قال الفَرَّاءُ: اتِّساقُه: واجتِماعُه واستِواؤهُ ليلةَ ثلاثَ عشرةَ، وأربعَ عشرةَ، إلى ستَّ عشرةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ والكِسَائيُّ «لَتركَبَن» بفتح التاء والباء جميعاً، وفي معناه قولان: **أحدهما**: أنه خطابٌ لرسول الله ﷺ. **ثم في معناه قولان**: **أحدهما**: لَتَركبنَّ سماءً بعد سماءٍ، قاله ابنُ مسعودٍ، والشَّعْبيُّ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: لَتَركبنَّ حالاً بعد حالٍ، قاله ابنُ عباسٍ، وقال: هو نبيُّكم.

والقول الثاني: أنَّ الإشارةَ إلى السماء. والمعنى: أنها تتغيرُ ضُروباً مِنَ التَّغييرِ، فتَارةً كالمُهْلِ، وتارةً كالدِّهانِ، رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أيضاً.

[١٥٢١] الصحيح موقوف. أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩ من حديث ابن عمر، وفي إسناده عتيق بن يعقوب، وهو لم يسمع من مالك. وورد من وجه آخر موقوفاً، أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩، وهو الراجح، وكذا روي عن جماعة من الصحابة موقوفاً، وهو أصح، والله أعلم.

---

(١) الرجز في «ملحق ديوان العجاج» ٨٤، وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٩١ و «اللسان» وسق.

قرأ عاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «لَتَركبنَّ» بفتح التاء وضمِّ الباء، وهو خطابٌ لسائرِ الناس ومعناه: لَتَركبنَّ حالاً بعد حالٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو الأشهَبِ «لَيركبَنَّ» بالياء، ونصبِ اللام. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ، وابنُ يَعمُرَ «ليركبُنَّ» بالياءِ، ورفعِ الباء. و «عن» بمعنى «بعد». وهذا قولُ عامَّةِ المُفسِّرين واللغويين، وأنشدوا للأقرَعِ بنِ حابِسٍ:

إنّي امْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إلى طَبَقِ

ثم في معنى الكلام خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الشدائدُ، والأهوالُ، ثم الموتُ، ثم البَعثُ، ثم العَرضُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الرَّخاءُ بعد الشدَّةِ، والشدَّةُ بعد الرَّخاءِ، والغِنى بعد الفقرِ، والفقرُ بعد الغِنى، والصحةُ بعد السَّقم، والسَّقمُ بعد الصحةِ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أنه كونُ الإنسان رضيعاً ثم فَطِيماً ثم غُلاماً ثم شاباً ثم شَيخاً، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: أنه تغيُّرُ حالِ الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع مَنْ كان وضِيعاً، ويَتَّضِعُ مَنْ كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والخامس**: أنه ركوبُ سُنَنِ مَنْ كان قبلَهم مِنَ الأوَّلين، قاله أبو عُبيدَةَ. وكان بعضُ الحكماء يقول: مَنْ كان اليوم على حالةٍ، وغداً على حالةٍ أخرى، فليَعلَمْ أنَّ تدبيرَهُ إلى سِواهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمَّدٍ والقرآن، وهو استفهامُ إنكارٍ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يُصلُّون، قاله عَطاءٌ، وابنُ السَّائبِ. **والثاني**: لا يَخضعون له، ويَستكِينُون، قاله ابنُ جَريرٍ، واختاره القاضي أبو يَعلَى. قال: وقد احتجَّ بها قومٌ على وجوبِ سجودِ التلاوةِ، وليس فيها دلالةٌ على ذلك، وإنما المعنى: لا يَخشعون، ألاَ ترى أنه أضافَ السجودَ إلى جميعِ القرآن، والسُّجودُ يختصُّ بمواضعَ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآنِ، والبَعثِ، والجزاءِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ في صدورِهم ويُضمِرون في قلوبِهم مِنَ التكذيب. قال ابنُ قُتَيبةَ: «يُوعُون»: يَجمَعون في قلوبِهم. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: أوعَيتُ المتاعَ في الوعاءِ، ووَعَيْتُ العلمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخبِرْهم بذلك. وقال الزَّجَّاجُ: اجعَلْ للكفَّارِ بدلَ البِشَارةِ للمؤمنين بالجنَّةِ والرَّحمةِ، العذابَ الأليمَ. و «المَمْنُون» عند أهل اللغة: المَقطوعُ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥١٦: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك ـ وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً ـ جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.

سُورَةُ البُرُوجِ

ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ قد ذكرنا البُروجَ في الحِجْر[1] ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ هو يوم القيامة بإجماعِهم وفي قوله: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ فيه أربعةٌ وعشرون قولاً[2]:

[١٥٢٢] أحدها: أنَّ الشَّاهِدَ: يومُ الجمعةِ، والمَشهُود: يومُ عَرفَةَ، رواه أبو هُريرَةَ عن

[١٥٢٢] ضعيف، والراجع وقفه، أخرجه الحاكم ٢/٥١٩ والبيهقي ٣/١٧٠ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف، لضعف علي بن زيد، وخالفه يونس فرواه موقوفاً، وصحح الحاكم الموقوف، ووافقه الذهبي وهو كما قالا. والموقوف أخرجه الطبري ٣٦٨٣٨، بإسناد على شرط مسلم من حديث أبي هريرة قال: ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة. وورد عند الطبري ٣٦٨٥٠ من طريق ابن حرملة عن سعيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة» وهذا مرسل، وهو معلول، فقد كرره الطبري ٣٦٨٥٣ عن سعيد قوله. وأخرجه الطبري ٣٦٨٥٢ من طريق شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الشاهد...» فذكره. وفي إسناده محمد بن إسماعيل، وهو واهٍ. وورد موقوفاً منجماً بألفاظ =

---

(١) الحجر: ١٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٨٢: قال البغوي: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة اهـ. وتوقف ابن جرير ولم يرجّح.

رسول الله ﷺ وبه قال عليٌّ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، وابنُ زيدٍ. فعَلَى هذا سُمِّيَ يومُ الجُمعة شاهِداً، لأنه يَشهد على كلِّ عاملٍ بما يعمل فيه، وسُمِّيَ يومُ عَرفَةَ مَشهوداً، لأنَّ الناس يَشهدون فيه موسمَ الحَجِّ، وتَشهده الملائكةُ. **والثاني**: أنَّ الشَّاهدَ: يومُ الجُمعةِ، والمَشهُودَ: يومُ النَّحرِ، قاله ابنُ عمرَ. **والثالث**: أنَّ الشَّاهدَ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه الوالِبِيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ الشَّاهِدَ: يومُ عَرفةَ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنَّ الشَّاهدَ: محمَّدٌ ﷺ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه يُوسفُ بنُ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ بنُ عليٍّ. **والسادس**: أنَّ الشاهدَ: يومُ القيامةِ، والمَشهودَ: الناسُ، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله. **والسابع**: أنَّ الشاهدَ: يومُ الجمعة، والمَشهودَ: يومُ القيامة، قاله الحسَنُ. **والثامن**: أنَّ الشاهدَ: يومُ التروية، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والتاسع**: أنَّ الشاهدَ: هو اللَّهُ، والمَشهودَ: بنو آدمَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والعاشر**: أنَّ الشاهدَ: محمَّدٌ، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والحادي عشر**: أنَّ الشاهدَ آدم، والمَشهودَ: يومُ القيامة، رواه ابنُ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثاني عشر**: أنَّ الشاهدَ: ابن آدمَ، والمَشهودَ: يومُ القيامة، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والثالث عشر**: أنَّ الشاهدَ: آدمُ، وذريَّته، والمَشهودَ يومُ القيامة، قاله عَطاءُ بنُ يَسارٍ. **والرابع عشر**: أنَّ الشاهدَ: الإنسانُ، والمَشهودَ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والخامس عشر**: أنَّ الشاهدَ: يومُ النَّحرِ، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله إبراهيمُ. **والسادس عشر**: أنَّ الشاهدَ: عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام، والمَشهودَ: أُمَّتُه، قاله أبو مالكٍ. ودليلُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾[1]. **والسابع عشر**: أنَّ الشاهدَ: محمَّدٌ ﷺ، والمَشهودَ: أُمَّتُه، قاله عبدُ العزيز بنُ يَحيى، وبيانُه: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[2]. **والثامن عشر**: أنَّ الشاهدَ: هذه الأُمَّةُ، والمَشهودَ: سائرُ الناس، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضلِ، ودليلُه: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3]. **والتاسع عشر**: أنَّ الشاهدَ: الحَفَظَةُ، والمَشهودَ: بنو آدمَ، قاله محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذِيُّ، وحُكِيَ عن عِكرِمَةَ نحوُه. **والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الحقُّ، والمَشهودَ: الكونُ، قاله الجُنَيدُ. **والحادي والعشرون**: أنَّ الشاهدَ، الحَجرُ الأسودُ، والمشهودَ: الحُجَّاجُ. **والثاني والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الأنبياءُ والمَشهودَ: محمَّدٌ ﷺ، وبيانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية[4]. **والثالث والعشرون**: أنَّ الشاهدَ:

= مختلفة عن جماعة من الصحابة والتابعين، وهذا الاختلاف يدل على الاضطراب الخلاصة: الحديث ضعيف بهذا اللفظ. وقد ورد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وعجزه؛ وما طلعت الشمس ولا غربت في يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، لا يستعيذ من شيء إلا أعاذه منه»، وعجزه هذا محفوظ.

أخرجه الترمذي ٣٣٣٩ والبغوي في «شرح السنة» بإثر ١٠٤٢ عن عبد بن حميد عن روح بن عبادة وعبيد الله بن موسى به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/٤٥٨ من طريق يحيى بن نصر والطبري ٣٦٨٥١ من طريق مهران كلاهما عن موسى بن عبيدة به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٦٨٣.

(١) المائدة: ١١٧.
(٢) النساء: ٤١.
(٣) البقرة: ١٤٣.
(٤) آل عمران: ٨١.

اللَّهُ عزَّ وجلَّ، والملائكةُ، وأولو العلم، والمَشهودَ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وبيانُه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[١]، حكى هذهِ الأقوالَ الثلاثةَ الثَّعلبيُّ. **والرابع والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الأنبياءُ والمَشهودَ: الأُمَمُ، حكاه شيخُنا عليُّ بنُ عُبَيدِ الله.

وفي جوابِ القَسَمِ أقوالٌ: **أحدها**: أنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قاله قَتادةُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه قولهُ تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، كما أنَّ القَسَمَ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ . . . ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حكاه الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنه مَتروكٌ، وهذا اختيارُ ابنِ جَريرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنوا. والأُخْدود: شَقٌّ يُشَقُّ في الأرض، والجمع: أخادِيدُ. وهؤلاءِ قومٌ حَفروا حفائِرَ في الأرض وأوقَدُوا فيها النارَ، وألْقوا فيها مَنْ لم يَكفُرْ.

واختلف العلماء فيهم على ستةِ أقوالٍ[٢]:

[١٥٢٣] أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحرٌ فبَعثَ إليه غلاماً يعلِّمه السِّحرَ، فكان الغلامُ يَمرُّ على راهبٍ، فأعجبَهُ أمرُه، فتبِعَهُ، فعَلِمَ به المَلِكُ، فأمَرَه أن يرجعَ عن دِيْنِه، فقال: لا أفعل، فاجتَهدَ المَلِكُ في إهلاكِه، فلم يَقْدِرْ، فقال الغلام: لستَ بقاتلي حتى تفعلَ ما آمُرُكَ به. اجمَعِ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، واصلُبني على جِذْعٍ، وارْمِني بسَهْمٍ مِنْ كِنانَتي، وقُلْ: بسم الله رَبِّ الغُلام، ففَعلَ، فماتَ الغلامُ، فقال الناس: آمَنَّا بربِّ الغلام، فَخَدَّ الأخادِيدَ، وأضرمَ فيها النارَ، وقال: فمَنْ لم يرجِعْ عن دِيْنِه فاقحِمُوه فيها، ففَعَلوا، وهذا مختصرُ الحديث، وفيه طُولٌ، وقد ذكرتُه في «المغني» و «الحدائق» بطُولِه مِنْ حديث صُهَيبٍ عن رسولِ الله ﷺ.

[١٥٢٤] والثاني: أنَّ مَلِكاً مِنَ الملوك سَكِرَ، فوقعَ على أختِه، فلمَّا أفاقَ قال لها: وَيْحَكِ: كيف المخرجُ؟ فقالت له: اجمَعْ أهلَ مملكَتِكَ فأخبرهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحَلَّ نِكاحَ الأخواتِ، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسَوهُ، خَطَبتَهُم فحَرَّمتَهُ. ففعلَ ذلك، فأبَوا أنْ يقبَلُوا ذلك منه، فبَسَطَ فيهم السَّوْطَ، ثم

[١٥٢٣] صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ وابن حبان ٨٧٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ من طريق هدبة بن خالد به. من حديث صهيب. وأخرجه الطبري ٣٦٨٧٤ من طريق حرمي بن عمارة ثنا حماد بن سلمة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وعبد الرزاق ٩٧٥١ والطبراني ٧٣١٩ من طريق معمر عن ثابت به. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٦١ وأحمد ٦/ ١٧ و ١٨ والطبراني ٧٣٢٠ من طرق عن حماد بن سلمة به.

[١٥٢٤] موقوف. أخرجه الطبري ٣٦٨٦٨ عن علي موقوفاً، وإسناده ضعيف، فيه إرسال بين ابن أبزى وبين علي.

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٩/ ٢٥٦: قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد، يؤنّسهم بذلك. وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره، قال ابن العربي: وهذا منسوخ عندنا. قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال تعالى مخبراً عن لقمان: **﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** [لقمان: ١٧] اهـ.

قلت: ذكر المصنف أقوالاً عن الصحابة والتابعين والمفسرين، والحجة في المرفوع الآتي.

جرَّدَ السيفَ، فأَبَوْا، فخَدَّ لهم أُخدُوداً، وأوقَدَ فيه النارَ، وقَذَفَ مَنْ أَبَى قبولَ ذلك، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ الله وَجهَهُ.

[١٥٢٥] **والثالث**: أنهم أناسٌ اقتَتلَ مؤمنوهم وكافروهم، فظَهرَ المؤمنون، ثم تَعاهَدوا أنْ لا يَغدِرَ بعضُهم ببعضٍ، فغَدَر الكفارُ، فأخذوهم، فقال لهم رجلٌ مِنَ المؤمنين: أوقِدُوا ناراً، واعرِضُوا عليها، فمَنْ تابَعكُم على دِينِكم، فذاكَ الذي تُحِبُّون، ومَنْ لم يُتابِعْكُم أُقحِمَ النارَ فاستَرَحتُم منه. ففَعلوا، فجعلَ المسلمون يقتَحِمونَها، ذكره قَتادَةُ.

[١٥٢٦] **والرابع**: أنَّ قوماً مِنَ المؤمنين اعتَزَلوا الناسَ في الفَترةِ، فأرسلَ إليهم جبَّارٌ مِنْ عَبَدةِ الأوثان، فعَرضَ عليهم الدخولَ في دِينِه فأبَوْا، فخَدَّ لهم أُخدُوداً، وألقاهُم فيه، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

[١٥٢٧] **والخامس**: أنَّ جماعةً آمنوا مِنْ قوم يُوسَف بن ذي نُواسٍ بعدما رُفِعَ عيسى، فخَدَّ لهم خَدًّا، وأوقدَ فيه النارَ، فأحرَقهم كلَّهم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ وهم: يُوسُفُ بنُ ذي نُواسٍ وأصحابُه، قاله مُقاتِلٌ.

والسادس: أنهم قومٌ كانوا يعبدون صَنَماً، ومعهم قومٌ يكتمون إيمانَهم، فعَلِموا بهم، فخَدُّوا لهم أُخدُوداً، وقَذفُوهم فيه، حكاه الزَّجَّاجُ.

واختلفوا في الذين أُحرِقوا على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا مِنَ الحَبشةِ، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: مِنْ بني إسرائيلَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: مِنْ أهل اليمنِ، قاله الحسَنُ. قال الضَّحَّاكُ: كانوا مِنْ نصارى اليمنِ، وذلك قبل مَبْعثِ رسول الله ﷺ بأربعينَ سنةً. **والرابع**: مِنْ أهل نَجْرانَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: مِنَ النَّبَطِ، قاله عِكرِمَةُ.

وفي عددِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اثنا عشرَ ألفاً، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: سبعونَ ألفاً، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: ثمانونَ رجلاً، وتسعُ نِسوةٍ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ هذا بدلٌ مِنَ «الأُخدُود» كأنه قال: قُتِلَ أصحابُ النارِ، و «الوَقود» مفسَّرٌ في البقرة[1] وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وأبو عبد الرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ وابنُ أبي عَبلَةَ «الوُقُود» بضمِّ الواو ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ أي: عندَ النارِ. وكان المَلِكُ وأصحابُه جلوساً على الكراسي عند الأُخدُودِ يَعرِضون المؤمنين على الكُفرِ، فمَنْ أَبَى أَلقَوْه ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ أي: حضورٌ، فأخبرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيات بقصة قومٍ بلَغَ مِنْ إيمانهم ويقينِهم أنْ صَبَروا على التَّحريقِ بالنارِ، ولم يَرْجِعوا عن دِينِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ «نقِموا» بكسر القاف. قال الزَّجَّاجُ: أي: ما

[١٥٢٥] أخرجه الطبري ٣٦٨٦٩ عن قتادة قال حُدثنا أن علياً رضي الله عنه كان يقول: «هم أناس بمزارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها. . .» فذكره. وهذا ضعيف، قتادة عن علي منقطع.

[١٥٢٦] مرسل. أخرجه الطبري ٣٦٨٧٥ عن الربيع بن أنس به.

[١٥٢٧] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم، والصحيح في ذلك حديث صهيب، وتقدم برقم ١٥٢٣.

---

(١) البقرة: ٢٤.

أنكَروا عليهم إيمانَهم. وقد شرحنا معنى «نقموا» في المائدة[١] وبراءة[٢] وشرحنا معنى ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ في البقرة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يَخْفَ عليه ما صَنَعوا، فهو شهيدٌ عليهم بما فعلوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: أحرَقُوهم، وعَذَّبوهم. كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٤] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ مِنْ شِركِهم وفعلِهم ذلك ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ بما أحرَقوا المؤمنين، وكِلا العَذابَيْن في جهنَّمَ عند الأكثرين وقد ذهب الرَّبيعُ بنُ أنسٍ في جماعةٍ إلى أنَّ النارَ ارتفعتْ إلى المَلِكِ وأصحابِهِ فأحرَقَتْهُم، فذلك عذابُ الحريقِ في الدنيا. قال الرَّبيعُ: وقَبَضَ اللَّهُ أرواحَ المؤمنين قبلَ أنْ تمسَّهم النارُ. وحكى الفَرَّاءُ أنَّ المؤمنين نَجَوْا مِنَ النار، وأنها ارتفعَتْ فأحرَقَتِ الكَفَرةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ لأنهم فازوا بالجنَّةِ. وقال بعضُ المُفسِّرين: فازوا مِنْ عذاب الكفَّارِ، وعذابِ الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنَّ أَخْذَهُ بالعذاب إذا أَخَذَ الظَّلَمَةَ والجبابرة لَشَديدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُبدِئ الخَلْقَ ويُعيدهم، قاله الجمهور. **والثاني**: يُبدِئ العذابَ في الدنيا على الكفارِ ثم يُعيده عليهم في الآخرة، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقد شرحنا في هود[٥] معنى «الودود» و «المجيد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ وقد قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم «المجيدِ» بالخَفضِ، وقرأ غيرُهم بالرفع، فمَنْ رَفَعَ «المجيدُ» جعلَه مِنْ صفات الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ كَسَرَ جعله مِنْ صفة العَرشِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ﴾ أي: قد أتاكَ حديثُ ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ وهم الذين تجنَّدوا على أولياءِ الله. ثم بَيَّنَ مَنْ هم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ لكَ وللقرآن، أي: لم يعتَبِروا بمَنْ كان قبلَهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي لا يخفى عليه شيءٌ مِنْ أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: كريمٌ، لأنه كلامُ الله، وليس كما يقولون: شِعرٌ، وكهانَةٌ، وسِحرٌ. وقرأ أبو العاليةِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ السَّمَيفَع «بل قرآن مجيد» بغير تنوينٍ وبخفْضِ «مجيد» ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ وهو اللَّوحُ المَحفوظُ، منه نُسِخَ القرآن وسائرُ الكُتُبِ، فهو محفوظٌ عند الله؛ محروسٌ به مِنَ الشياطين، ومِنَ الزيادة فيه والنُّقصان منه. وقرأ نافعٌ «محفوظٌ» رفعاً على نَعتِ القرآنِ فالمعنى: إنه مَحفوظٌ مِنَ التَّحريفِ والتَّبديلِ.

---

(١) المائدة: ٥٩. (٢) التوبة: ٧٤. (٣) البقرة: ١٢٩ و ٢٦٧.
(٤) الذاريات: ١٣. (٥) هود: ٩٠.

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الطَّارِقُ: النَّجم، سُمِّيَ بذلك، لأنه يَطرقُ، أي: يَطلعُ ليلاً، وكلُّ مَنْ أتاكَ ليلاً، فقد طَرَقَكَ، ومنه قولُ هِندِ ابنةِ عُتْبَةَ:

نَحنُ بَناتُ طارِقِ ... نَمشي على النَّمارِقِ

تريد: إنَّ أبانا نَجمٌ في شَرَفِه وعُلوِّه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ قال المُفسِّرون: وذلك أنَّ هذا الاسمَ يقع على كلِّ ما طَرَقَ ليلاً، فلم يكُنِ النبيُّ ﷺ يدري ما المرادُ به حتى تبيَّنَهُ بقوله عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ يعني: المُضيء، كما بيَّنا في الصَّافَّات[1] وفي المراد بهذا النَّجم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه زُحَلُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. ورَوى أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ قال: هو زُحَلُ، ومَسكَنُه في السماءِ السابعةِ لا يَسكُنها غيرُه مِنَ النجوم، فإذا أخذَتِ النجومُ أمكِنَتَها مِنَ السماء، هَبَطَ، فكان معها، ثم رجعَ إلى مكانِه مِنَ السماءِ السابعةِ، فهو طَارِقٌ حين ينزل، وطارِقٌ حين يَصعدُ. **والثاني**: أنه الثُّرَيَّا، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه اسمُ جنسٍ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ «إنَّ» بالتشديد «كلَّ» بالنَّصبِ ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ وحمزَةُ، وأبو حاتم عن يعقوبَ «لمَّا» بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف. قال الزَّجَّاج: هذه الآية جوابُ القَسَم، ومَنْ خَفَّفَ فالمعنى: لَعَلَيْها حافظٌ و «ما» ومَنْ شَدَّدَ، فالمعنى: إلاَّ، قال: فاستُعمِلَتْ «لما» في موضعِ «إلا» في موضعين: **أحدهما**: هذا. والآخر: في باب القَسَمِ. تقول: سألتُكَ لَمَا فعلتَ، بمعنى: إلاَّ فعلتَ. قال المُفسِّرون: المعنى: ما

(١) الصافات: ١٠.

مِنْ نَفْسٍ إلاَّ عليها حافظٌ. وفيه قولان: **أحدهما**: أنهم الحَفَظَةُ مِنَ الملائكة، قاله ابنُ عباسٍ. قال قَتَادَةُ: يَحفظون على الإنسان عملَهُ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ. **والثاني**: حافظٌ يحفظ الإنسانَ حتى حين يُسَلِّمه إلى المقاديرِ، قاله الفرَّاءُ. ثم نبَّهَ على البَعثِ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقه ربُّه؟ والمعنى: فلينْظُرْ نَظَرَ التفكرِ والاستدلالِ لِيعرفَ أنَّ الذي ابتدأَهُ مِنْ نُطفةٍ قادرٌ على إعادتِه.

قوله جلَّ جلالُه: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: معناه: مَدفُوقٍ، كقول العرب. سِرٌّ كاتِمٌ، وهَمٌّ ناصِبٌ، وليلٌ نائمٌ، وعِيشَةٌ راضِيةٌ. وأهلُ الحجاز يجعلون المفعولَ فاعلاً. قال الزَّجَّاجُ: ومذهبُ سِيبَويه وأصحابِه أنَّ معناه النَّسَبُ إلى الاندِفاقِ، والمعنى: مِنْ ماءٍ ذي انْدِفاقٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ سِيرِينَ، وابنُ السَّمَيفَعِ، وابنُ أبي عَبلَةَ «الصُّلُب» بضمِّ الصاد، واللام جميعاً. يعني: يخرج من صُلبَ الرجلِ وتَرائِبِ المرأة. قال الفَرَّاءُ: يريد يخرجُ مِنَ الصُّلبِ والتَّرائِبِ. يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي «التَّرائِب» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه موضعُ القِلادةِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال الزَّجَّاجُ: قال أهل اللغة أجمعون: التَّرائِبُ: موضعُ القِلادةِ مِنَ الصَّدْرِ، وأنشدوا لامرئِ القَيْسِ:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ

قرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي: السَّجَنْجَل: المِرآة بالرُّوميَّةِ. وقيل: هي سَبيكةُ الفِضَّةِ، وقيل: السَّجَنْجَل: الزَّعفرانُ، وقيل: ماءُ الذَّهبِ. ويُروى البيتُ: «بالسَّجَنْجَلِ». **والثاني**: أنَّ التَّرائبَ: اليَدانِ والرِّجلانِ والعَينانِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنها أربعةُ أضلاعٍ مِنْ يَمْنَةِ الصدرِ، وأربعةُ أضلاعٍ مِنْ يَسْرَةِ الصدرِ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ الهاء كنايةٌ عن الله عزَّ وجلَّ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ الرَّجْعُ: رَدُّ الشيءِ إلى أولِ حالِه.

وفي هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها تعود على الإنسان. ثم في المعنى قولانِ: **أحدهما**: أنه على إعادةِ الإنسانِ حيّاً بعد موته قادرٌ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. قال الزَّجَّاجُ: ويدل على هذا القولِ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾. **والثاني**: أنه على رَجْعِه مِنْ حالِ الكِبَرِ إلى الشباب، ومِنَ الشباب إلى الصِّبا، ومِنَ الصِّبا إلى النُّطفةِ قادرٌ، قاله الضَّحَّاكُ. **والقول الثاني**: أنها تعود على الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: رَدُّ الماء في الإِحْلِيلِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: على رَدِّهِ في الصُّلبِ، قاله عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: على حَبْسِ الماء فلا يَخرجُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ تُختبَرُ السَّرائرُ التي بين العبد وبين ربِّه حتى يظهرَ خيرُها مِنْ شرِّها، ومُؤدِّيها مِنْ مُضيِّعِها، فإنَّ الإنسانَ مَستورٌ في الدنيا، لا يُدرى أَصلَّى، أَمْ لا؟ أَتوضَّأَ، أَمْ لا؟ فإذا كان يوم القيامة أَبْدَى الله كلَّ سِرٍّ، فكان زَيْناً في الوجهِ، أو شَيْناً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تُختبَرُ سرائرُ القلوبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ أي: فما لِهذا الإنسان المُنكِرِ للبَعثِ مِنْ قوةٍ يَمتَنِعُ بها مِنْ عذابِ الله ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَنصُره.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: ذاتِ المطرِ، وسُمِّيَ المطر رَجْعاً لأنه يجيءُ ويرجعُ ويتكرَّرُ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: ذاتِ الشَّقِّ. وقيلَ لها هذا، لأنها تتصدَّعُ وتَتشقَّقُ بالنبات، هذا قولُ المُفسِّرين وأهلِ اللغة في الحرفين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ يعني به القرآن، وهذا جوابُ القَسَم. والفَصْلُ: الذي يَفصِلُ بين الحقِّ والباطلِ بالبيان عن كلِّ واحدٍ منهما ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي: باللَّعِب. والمعنى: إنه جِدٌّ، ولم يَنزلْ باللَّعِبِ. وبعضُهم يقول: الهاءُ في «إنه» كنايةٌ عن الوعيدِ المُتقدِّمِ ذِكْرُه.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ أي: يحتالون وهذا الاحتيالُ في المَكرِ برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دارِ النَّدْوَةِ. ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ أي: أُجازيهم على كَيْدِهم بأنْ أَستَدْرِجَهم مِنْ حيثُ لا يعلمون، فأنتقِمَ منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنَّارِ. ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هذا وعيدٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ لهم. ومَهِّل وأَمْهِل لُغتانِ جُمِعتا هاهنا. ومعنى الآية: مَهِّلْهُم قليلاً حتى أُهلِكَهم، ففعلَ الله ذلك ببَدْرٍ، ونُسِخَ الإمهالُ بآية السيف. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «رُوَيداً» مَهْلاً، ورُوَيدكَ. بمعنى أَمْهِلْ. قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ أي: قليلاً، فإذا لم يتقدَّمها «أَمهِلْهُم» كانت بمعنى «مَهْلاً». ولا يُتَكلَّم بها إلاَّ مُصغَّرةً ومأموراً بها، وجاءت في الشعرِ بغيرِ تصغيرٍ في غيرِ معنى الأمرِ.

قال الشاعر:

كـأنَّـهـا مِـثْـلُ مَـنْ يـمـشـي عـلـى رُوْدِ

أي: على مَهَلٍ.

سورة الأعلى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

وفي معنى ﴿سَبِّحِ﴾ خمسةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: قُلْ: سُبحانَ ربِّيَ الأعلى، قاله الجمهور. **والثاني**: عَظِّمْ. **والثالث**: صَلِّ بأمرِ ربِّكَ، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: نَزِّه ربَّكَ عن السُّوءِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: نَزِّهِ اسمَ ربِّكَ وذِكْرَكَ إيَّاهُ أن تذكرَهُ وأنتَ مُعَظِّمٌ له، خاشعٌ له، ذَكَرَهُ الثَّعلبيُّ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ ذِكرَ الاسم صِلَةٌ، كقول لَبِيدِ بنِ رَبِيعَةَ:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

والثاني: أنه أصلي، وقال الفَرَّاءُ: قوله: سَبِّحِ اسمَ ربِّكَ وسَبِّحْ باسم ربِّكَ، سواءٌ في كلام العرب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: فعَدَّلَ الخَلْقَ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في «الانفطار»[(٢)]: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ وقرأ الكِسائيُّ وحدَه «قَدَر» بالتخفيف ﴿فَهَدَىٰ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[(٣)]: **أحدها**:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٤٣: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان فكانوا إذا قرؤوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه عندهم كان معلوماً: عظم اسم ربك، ونزهه.

(٢) الانفطار: ٧.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٩٢: وقوله: **﴿والذي قدّر فهدى﴾** قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: **﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾** أي: قدّر قدراً، وهدى الخلائق إليه. اهـ.
وتوقف الطبري فلم يرجح، وقال: الخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به حجة.

قدَّرَ الشَّقاوةَ والسعادةَ، وهَدى للرُّشدِ والضَّلالةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: جَعلَ لكلِّ دابَّةٍ ما يُصلِحها وهَداها إليه، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: قَدَّر مُدَّةَ الجَنينِ في الرَّحِم ثم هداه للخروج، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: قدَّرهم ذكوراً وإناثاً، وهَدى الذكرَ لإتيانِ الأنثى، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: أنَّ المعنى: قدَّر فهَدى وأضَلَّ، فحذفَ «وأضلَّ»، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، حكاه الزَّجّاجُ. **والسادس**: قَدَّر الأرزاقَ، وهَدى إلى طَلَبِها. **والسابع**: قَدَّرَ الذُّنوبَ، وهدى إلى التوبةِ، حكاهما الثَّعلَبيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنبتَ العشبَ، وما ترعاه البهائمُ فجعله: بعد الخُضرةِ ﴿غُثَآءً﴾ قال الزَّجّاجُ، أي: جفَّفه حتى جعلَه هشِيماً جافّاً كالغُثاءِ الذي تراه فوقَ ماءِ السَّيلِ. وقد بيَّنَّا هذا في سُورةِ المؤمنون[١]. فأمّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحْوَىٰ﴾ فقال الفَرّاءُ: الأحْوَى: الذي قد اسوَدَّ مِنَ القِدَم، والعِتْقِ، ويكون أيضاً: أخرج المَرعى أحْوىً: أسودَ مِنَ الخُضرةِ، فجعله غُثاءً كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: سَنُعلِّمكَ القرآن، ونجمعه في قلبكَ فلا تنساه أبداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن، وقتادة. **والثاني**: إلاَّ ما شاء اللهُ أنْ تنساه ثم تذكره بعدُ. حكاه الزَّجّاجُ. **والثالث**: أنه استثناءٌ ألاَّ يقعَ، قال الفَرّاءُ: لم يشأْ أنْ ينسى شيئاً، فإنما هو كقولِه تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[٣]، ولا يشاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ مِنَ القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نُسهِّلُ عليكَ عملَ الخير ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ أهلَ مكَّةَ ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ وفي «إنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الشَّرطيةُ، ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: إنْ قُبِلَتْ الذِّكرى، قاله يَحيى بنُ سَلام. **والثاني**: إنْ نَفعَتْ وإنْ لم تنفع، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابُوريّ. **والثاني**: أنها بمعنى «قد»، فتقديرهُ: قد نَفعتِ الذِّكرى، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنها بمعنى «ما» فتقديره: فذَكِّرْ ما نَفعتِ الذِّكرى، حكاه المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ أي سيَتَّعِظُ بالقرآن ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنَّبُ الذِّكرى ﴿الْأَشْقَى ١١ الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾أي: العظيمةَ الفَظيعةَ لأنها أشدُّ مِنْ نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعه. وقال ابنُ جَريرٍ: تصير نفسُ أحدِهم في حَلْقِه، فلا تخرج فتفارقه فيموتَ، ولا ترجعُ إلى موضِعها مِنَ الجسم فيَحيا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: صادفَ البقاءَ الدائمَ، والفوزَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنْ تطهَّر مِنَ الشركِ بالإيمان، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ أعطى صَدقَةَ الفِطرِ، قاله أبو سعيدٍ الخُدْريُ، وعَطاءٌ، وقَتادةُ. **والثالث**: مَنْ كان عملُه زاكياً، قاله الحسَنُ، والرَّبيعُ. **والرابع**: أنها

---

(١) المؤمنون: ٤١. (٢) الرحمن: ٦٤. (٣) هود: ١٠٧.

زَكواتُ الأموال كلِّها، قاله أبو الأحْوَصِ. **والخامس**: تكثَّرَ بتقوى الله. ومعنى الزَّاكي: النَّامي الكثيرُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ قد سبق بيانُه[١]. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الصَّلواتُ الخَمسُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: صلاةُ العيدين، قاله أبو سعيدٍ الخُدْريُ. **والثالث**: صلاةُ التطوعِ، قاله أبو الأحْوَصِ. والقولُ قولُ ابنِ عباسٍ في الآيتين، فإنَّ هذه السُورةَ مكيَّةٌ بلا خلافٍ، ولم يكن بمكَّةَ زكاةٌ، ولا عِيدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ قُتَيبةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ «بل يؤثرون» بالياء، والباقون بالتاء، واختار الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ التاء، لأنها رُوِيَتْ عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: «بل أنتم تؤثرون». فإنْ أُريدَ بذلك الكفَّارُ، فالمعنى: أنهم يُؤْثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يُؤمنون بها. وإنْ أُريدَ به المسلمون، فالمعنى: يريدون الاستِكثارَ مِنَ الدنيا على الاستِكثارِ مِنَ الثواب. قال ابنُ مسعودٍ: إنَّ الدنيا عجِّلَتْ لنا، وإنَّ الآخرة نُعِتَتْ لنا، وزُوِيَتْ عنا، فأخَذْنا بالعاجِل وتَرَكنا الآجِلَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ يعني الجنة أفضلُ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: أدومُ مِنَ الدنيا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ في المُشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قاله قَتادَةُ. **والثاني**: هذه السُّورةُ، قاله عِكرمَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه لم يُرِدِ السُّورةَ، ولا ألفاظَها بعَيْنِها، وإنما أراد أنَّ الفَلاحَ لِمَنْ تزكَّى وذكَرَ اسمَ ربِّه فصلَّى، في الصُّحُفِ الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: أنه مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ قاله ابنُ جَريرٍ.

ثم بيَّنَ الصُّحُفَ الأولى ما هي، فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وقد فسَّرناها في النَّجم[٢].

---

(١) الأحزاب: ٣١.
فائدة: قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٣٨٠: الذكر حقيقته إنما هو في القلب، لأنه محمل النسيان الذي هو ضده، والضدان إنما يتضادان في المحل الواجب، فأوجب الله بهذه الآية النية في الصلاة خصوصاً، وإن كان قد اقتضاها عموماً قوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾** [البينة: ٥] وقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» والصلاة أم الأعمال ورأس العبادات، ومحل النية في الصلاة مع تكبيرة الإحرام، فإن الأفضل في كل نية بفعل أن تكون مع الفعل لا قبله، وإنما رُخّص في تقديم نية الصوم لأجل تعذر اقتران النية فيه بأول الفعل عند العجز، لوجوده والناس في غفلة، وبقيت سائر العبادات على الأصل.
وتوهم بعض القاصرين عن معرفة الحق أن تقديم النية على الصلاة جائز، بناء على ما قال علماؤنا من تجويز تقديم النية على الوضوء في الذي يمشي إلى النهر في الغسل، فإذا نسي واغتسل يجزئه ـ قال: فكذلك الصلاة. وهذا القائل ممن دخل في قوله تعالى: **﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه﴾** [الملك: ٢٢] وقد بيناه، وحققنا أن الصلاة أصل متفق عليه في وجوب النية، والوضوء فرع مختلف فيه، فكيف يقاس المتفق عليه على المختلف فيه، ويحمل الأصل على الفرع؟
وإذا قلنا: إنه الذكر باللسان المخبر عن ذكر القلب المعبر عنه بأنه مشروع في الصلاة مفتتح به في أولها باتفاق من الأئمة، لكنهم اختلفوا في تعينه، فمنهم من قال: إنه كل ذكر، منهم أبو حنيفة، وقال أبو يوسف: يجزئه «الله الكبير» والله أكبر، والله الأكبر. وقال الشافعي: يجزئه الله أكبر والله أكبر. وقال مالك: لا يجزئه إلا قوله: الله أكبر. ونعوّل الآن هنا على أن النبي ﷺ قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» وهو إنما كان يكبر ولا يتعرض لكل ذكر، فتعين التكبير بأمره باتباعه في صلاته، فهو المبين لذلك كله.
(٢) النجم: ٣٦.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

وهي مكّيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاكَ، قال قُطْرُبُ. وقال الزَّجّاجُ: المعنى: هذا لم يكُنْ مِنْ عِلمِكَ ولا مِنْ علمِ قومكَ.

وفي «الغاشية» قولان: **أحدهما**: أنها القيامةُ تغشى الناس بالأهوالِ، قاله ابنُ عباس، والضَّحّاكُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنها النارُ تغشى وجوهَ الكفارِ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرِ، والقُرَظيُّ، ومُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أي: ذَليلةٌ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها وجوهُ اليهودِ والنَّصارى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه جميعُ الكفّارِ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين عملوا ونَصِبُوا في الدنيا على غيرِ دِيْنِ الإسلام، كَعَبدةِ الأوثان، وكفّارِ أهلِ الكتاب، مثل الرُّهبانِ وغيرِهم، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الرُّهبانُ، وأصحابُ الصَّوامعِ، رواه أبو الضُّحى عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وزَيدُ بنُ أسلَمَ. **والثالث**: عامِلةٌ ناصِبةٌ في النار بمُعالجةِ السلاسلِ والأغلالِ، لأنها لم تعملْ لله في الدنيا، فأعملَها وأنصبَها في النار، ورَوى هذا المعنى العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ. وقال قَتادةُ: تكبَّرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملَها وأنصبها في النار بالانتقالِ مِنْ عذابٍ إلى عذابٍ. قال الضَّحّاكُ: يُكلَّفون ارتقاءَ جبلٍ مِنْ حديدٍ في النار. وقال ابنُ السَّائبِ: يَخِرُّون على وجوهِهم. وقال مُقاتِلٌ: عامِلَةٌ في النار تأكل مِنَ النار، ناصِبةٌ للعذاب. **والرابع**: عامِلةٌ في الدنيا بالمعاصي ناصِبةٌ في النار يومَ القيامة، قاله عِكرمَةُ والسُّدِّيُّ. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابُها. وقد بيَّنّا معنى «النَّصب» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾[(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ قرأ أهلُ البَصرةِ وعاصِمٌ إلاّ حَفصاً «تُصْلَى» بضمِّ التاء. والباقون

---

(١) الحجر: ٤٨.

بفتحِها. قال ابنُ عباسٍ: قد حَميتْ فهي تتلظَّى على أعداء الله، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: مُتناهيةٍ في الحرارة. قال الحَسنُ: قد أُوقِدَتْ عليها جهنَّم منذ خُلِقَتْ، فدُفِعوا إليها ورداً عِطاشاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه نَبتٌ ذو شَوكٍ لاطِئٍ بالأرض، وتُسمِّيه قُريشٌ «الشِّبْرِق» فإذا هاجَ سَمَّوه: ضَريعاً، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه شَجرٌ مِنْ نارٍ، رواه الوالِبيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها الحِجارة، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنه السَّلَم، قاله أبو الجَوزاءِ. **والخامس**: أنه في الدنيا: الشَّوكُ اليابسُ الذي ليس له ورَقٌ، وهو في الآخرة شَوكٌ مِنْ نارٍ، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنه طعامٌ يَضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قال المُفسِّرون: لمَّا نزلت هذه الآيةُ قال المشركون: إنَّ إبلَنا لَتسمنُ على الضَّريع، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وكُذِّبوا، فإنَّ الإبلَ إنما ترعاه ما دامَ رَطْباً، وحِينَئذٍ يسمَّى شِبْرِقاً، لا ضَريعاً، فإذا يَبِسَ وسُمِّيَ ضريعاً لم يأكله شيءٌ.

فإنْ قيلَ: إنه قد أخبر في هذه الآية: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ وفي مكانٍ آخرَ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[1] فكيف الجمعُ بينهما؟

فالجواب: أنَّ النارَ دَركاتٌ، وعلى قَدْرِ الذنوب تقع العقوباتُ، فمنهم مَنْ طَعامُهُ الزَّقُّومُ، ومنهم مَنْ طعامُه غِسْلينُ، ومنهم مَنْ شرابُه الحَميمُ، ومنهم مَنْ شَرابُهُ الصَّديدُ. قاله ابنُ قُتيبةَ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي: في نعمةٍ وكرامةٍ ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: رَضِيَتْ بثواب عملها في ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ قد فسَّرناه في «الحاقَّة»[2] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، ورُوَيسٌ «لا يُسمع» بياءٍ مضمومةٍ. «لاغيةٌ» بالرفع. وقرأ نافعٌ كذلك إلا أنه بتاءٍ مضمومةٍ، والباقون بتاءٍ مفتوحةٍ، ونَصْبِ «لاغيةً» لا تُسمع فيها كلمةُ لَغوٍ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ألواحُها مِنْ ذهبٍ مُكلَّلةٌ بالزَّبَرجَدِ، والدُّرِّ، والياقوتِ، مرتفعةٌ ما لم يجيءْ أهلُها، فإذا أراد أنْ يجلسَ عليها صاحبها، تواضعَتْ له حتى يجلسَ عليها، ثم ترتفع إلى موضِعها ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ عندهم. وقد ذكرنا «الأكواب» في الزُّخْرُف[3] ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وهي الوَسائِدُ، واحدُها: نُمْرُقَةٌ بضمِّ النون. قال الفَرَّاءُ: وسمعتُ بعضَ كَلْبٍ تقول: نِمرِقة، بكسرِ النون والراء ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ، والزَّرابيُّ: الطَّنافِسُ التي لها خَمْلٌ رقيقٌ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ كثيرةٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَبثوثةٌ كثيرةٌ مُفرَّقةٌ. قال

---

(١) الحاقة: ٣٦. (٢) الحاقة: ٢٢. (٣) الزخرف: ٧١.

المُفسِّرون: لمَّا نَعتَ اللَّهُ سبحانه وتعالى ما في الجنة، عَجِبَ مِنْ ذلك أهلُ الكفر، فذكَّرهم صُنعَهُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾.

[١٥٢٨] وقال قَتادَةُ: ذكر اللَّهُ ارتفاعَ سُرُرِ الجنة، وفُرُشَها، فقالوا: كيف نَصعَدُها، فنزلت هذه الآية. قال العلماء: وإنما خصَّ الإبلَ مِنْ غيرها لأنَّ العرب لم يَرَوْا بهيمةً قطُّ أعظمَ منها، ولم يُشاهدوا الفيلَ إلاَّ الشَّاذُّ منهم، ولأنها كانت أنفَسَ أموالِهم وأكثرَها، لا تُفارِقُهم ولا يُفارقونها، فيُلاحظون فيها العِبَرَ الدالَّةَ على قدرة الخالِق، مِنْ إخراج لَبَنِها مِنْ بين فَرْثٍ ودَم وعجيبِ خَلْقِها، وهي على عِظَمِها مُذلَّلةٌ للحَمْلِ الثقيل، وتَنقادُ للصبي الصغير، وليس في ذَواتِ الأربع ما يُحملُ عليه وِقْرُهُ وهو بارِكٌ فيُطِيق النهوضَ به سواها. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ، والأصْمَعيُّ عن أبي عمرٍو «الإبْل» بإسكانِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ، وأبو المُتوكِّلِ، والجَحْدَريُّ، وابنُ السَّمَيفَع، ويونسُ بنُ حَبيبٍ وهارونُ كلاهما عن أبي عمرٍو «الإبِلّ» بكسرِ الباء، وتشديدِ اللام. قال هارونُ: قال أبو عمرٍو «الإبِلّ» بتشديد اللام: السَّحابُ الذي يَحملُ الماءَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ «خَلَقْتُ» بفتحِ الخاء، وضمِّ التاء. وكذلك قرؤوا: «رَفعْتُ» و«نَصبْتُ» و«سَطَحْتُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ مِنَ الأرض حتى لا يَنالُها شيءٌ بغيرِ عَمَدٍ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ على الأرض لا تَزولُ ولا تتغيرُ ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بُسِطَتْ. والسَّطْح: بَسْطُ الشيءِ، وكلُّ ذلك يدلُّ على خالِقه ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فَعِظْ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعِظٌ، ولم يكُنْ حِينَئذٍ أمرٌ بغيرِ التذكيرِ، ويدلُّ عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمُسلَّطٍ، فتقتُلَهم وتُكرِهَهم على الإيمان. ثم نَسَخَتْها آيةُ السيفِ. وقرأ أبو رزينٍ، وأبو عبدِ الرحمنِ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ والحُلوانيُّ عن ابنِ عامرٍ «بمُسَيطِرٍ» بالسين. وقد سبق بيانُ «المُسَيطِر» في قوله عزَّ وجلَّ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ هذا استثناءٌ مُنقطِعٌ معناه: لكنْ مَنْ تولَّى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعمرُو بنُ العاصِ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وأبو مِجلَزٍ، وقَتادةُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ «ألا من تولَّى» بفتح الهمزة وتخفيفِ اللام ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ وهو أنْ يُدخِلَهُ جهنَّمَ، وذلك أنهم قد عُذِّبوا في الدنيا بالجوعِ، والقتلِ، والأسرِ، فكان عذابُ جهنَّمَ هو الأكبرَ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وعائشةُ، وعبدُ الرحمنِ، وأبو جعفرَ «إيَّابهم» بتشديدِ الياء، أي: رجوعُهم ومصيرُهم بعدَ الموتِ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: جزاءَهم.

[١٥٢٨] أخرجه الطبري ٣٧٠٤٣ عن قتادة قوله، فهو ضعيف.

---

(١) الطور: ٣٧.

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

وهي مكيّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ
كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ
بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الفجر: انفجارُ الظُّلمةِ عن الصُّبح، وانفجَرَ الماء: انفتَحَ. قال شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله: الفجر: ضوءُ النهار إذا انشقَّ عنه الليل، وهو مأخوذٌ مِنَ الانفجار، يقال: انفجر النهر ينفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء: ومن هذا سمي الفاجِر فاجِراً، لأنه خرجَ عن طاعةِ الله.

وللمفسِّرين في المراد بهذا الفجر ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفجر المعروفُ الذي هو بَدءُ النهار، قاله عليٌّ رضي الله عنه. ورَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: هو انفجارُ الصبحِ كلَّ يوم، وبهذا قال عِكرِمَةُ، وزَيدُ بنُ أسلَمَ، والقُرَظيُّ. **والثاني**: صلاةُ الفجر، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: النهار كلُّه، فعبَّرَ عنه بالفجر، لأنه أوَّلُه، ورَوى هذا المعنى أبو نَصر عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه فجرُ يوم النَّحرِ خاصَّةً قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه فجرُ أولِ يومٍ مِنْ ذي الحِجَّةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: أنه أولُ يوم مِنَ المُحرَّم تنفجر منه السَّنةُ قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ فيها أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه عَشرُ ذي الحِجَّةِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها العَشرُ الأواخرُ مِنْ رمضانَ، رواه أبو ظَبْيانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العَشرُ الأولُ مِنْ رمضانَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: العَشرُ الأولُ مِنَ المُحرَّمِ، قاله يَمانُ بنُ رئاب.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥٦١: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. ووافقه ابن كثير رحمه الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسَائيُ، وخَلَفٌ «والوِتْر» بكسرِ الواو، وفَتَحَها الباقون، هما لُغتانِ، قال الفَرَّاءُ الكسرُ لِقُريشٍ وتَمِيمٍ وأَسَدٍ، والفتحُ لأهلِ الحِجازِ. وللمُفسِّرين في «الشفع والوتر» عشرون قولا:

[١٥٢٩] **أحدها**: أنَّ الشَّفْعَ: يومُ عَرفةَ ويومُ الأضحى، والوَتْرَ: ليلةُ النَّحرِ، رواه أبو أيُّوبَ الأنصاريُ عن رسولِ الله ﷺ.

[١٥٣٠] **والثاني**: أنَّ الشَّفْعَ يومُ النَّحرِ، والوَتْرَ: يومُ عَرفَةَ. رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ وبه قال ابن عباس، عِكرمَةُ والضَّحَّاكُ.

[١٥٣١] **والثالث**: أنَّ الشَّفْعَ والوَتْرَ: الصلاةُ، منها الشَّفْعُ، ومنها الوَتْرُ، رواه عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال قَتَادَةُ.

والرابع: أنَّ الشَّفْعَ: الخَلْقُ كلُّه، والوَتْرَ: اللَّهُ تعالى، رَواه العَوْفيُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في روايةِ مَسْرُوقٍ، وأبو صالحٍ. **والخامس**: أنَّ الوَتْرَ: آدمُ شَفَعَ بزوجته، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: أنَّ الشَّفْعَ يومانِ بعدَ يوم النَّحرِ، وهو النَّفْرُ الأولُ، والوَتْرَ: اليومُ الثالثُ، وهو النَّفْرُ الأخيرُ، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، واستدلَّ بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾(١). **والسابع**: أنَّ الشَّفْعَ: صلاةُ الغَداةِ، والوَتْرَ: صلاةُ المَغربِ، حكاه عَطِيَّةُ. **والثامن**: أنَّ الشَّفْعَ: الركعتان مِنْ صلاة المَغربِ، والوَتْرَ: الرَّكعةُ الثالثةُ، قاله أبو العاليةِ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والتاسع**: أنَّ الشَّفْعَ والوَتْرَ: الخَلْقُ كلُّه، منه شَفْعٌ، ومنه وَتْرٌ، قاله ابنُ زيدٍ ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والعاشر**: أنه العددُ، منه شَفْعٌ، ومنه وَتْرٌ، وهذا والذي قبله مَرويَّانِ عن الحسَنِ. **والحادي عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: عشرُ ذي الحِجَّةِ، والوَتْرَ: أيام مِنَى الثلاثةُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: هو الله، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾(٢) والوَتْرَ: هو اللَّهُ، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قاله سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ.

[١٥٢٩] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الكبير» ٤٠٧٣ من حديث أبي أيوب، وقال في «المجمع» ٧/ ١٣٧ فيه واصل بن السائب وهو متروك. وانظر «تفسير القرطبي» ٦٣٢٢ بتخريجنا.

[١٥٣٠] أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ و ٦٩٢ وأحمد ٣/ ٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/ ٢٢٠ والبزار ٢٢٨٦ «كشف» من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٧: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير عياش بن عقبة، وهو ثقة اهـ. قلت: ومداره على أبي الزبير، وهو مدلس، وقد عنعن، فالإسناد ضعيف. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٠٠ رجاله لابأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم اهـ. وهو كما قال: فإن هناك روايات أخرى مرفوعة وموقوفة على خلاف ذلك، فلو صح مرفوعاً لما اختلف الصحابة والتابعون في تفسير هذه الآيات، والله أعلم.

[١٥٣١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ والحاكم ٢/ ٥٢٢ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف فيه راوٍ لم يسم، وضعفه الترمذي بقوله: غريب اهـ وقد سقط الراوي الذي لم يسم من إسناد الحاكم فجرى على ظاهره، وحكم بصحته! وسكت الذهبي! وهو من صنع أحد الرواة، ورجح ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٠٠ كونه مقوفاً، وهو كما قال. والله أعلم.

---

(١) البقرة: ٢٠٣. (٢) المجادلة: ٧.

والثالث عشر: أنَّ الشَّفْعَ: هو آدمُ وحوَّاءُ. والوَتْرَ: اللَّهُ تعالى، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والرابع عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: الأيامُ والليالي، والوَتْرَ: اليومُ الذي لا ليلةَ بعده، وهو يومُ القيامة، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والخامس عشر**: الشَّفْعُ: درجاتُ الجِنانِ، لأنها ثَمانٍ، والوَتْرُ: دَرَكاتُ النار لأنها سبعٌ، فكأنَّ الله تعالى أقسَمَ بالجنة والنار، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ. **والسادس عشر**: الشَّفْعُ: تَضادُّ أوصاف المَخلوقين بين عِزٍّ وذُلٍّ، وقُدرةٍ وعَجزٍ، وقوةٍ وضعفٍ، وعلمٍ وجَهلٍ، وموتٍ وحياةٍ. والوَتْرُ: انفرادُ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ، عزٌّ بلا ذُلٍّ، وقُدرةٌ بلا عجزٍ، وقوةٌ بلا ضعفٍ، وعلمٌ بل جهلٍ، وحياةٌ بلا موتٍ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسابع عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: الصَّفا والمَرْوَةُ، والوَتْرَ: البيتُ. **والثامن عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: مسجدُ مكَّةَ والمدينةِ، والوَتْرَ: بيتُ المَقدِسِ. **والتاسع عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: القِرانُ في الحجِّ والتَّمتُّعُ، والوَتْرَ: الإفرادُ. **والعشرون**: الشَّفْعُ: العباداتُ المتكررةُ كالصلاةِ، والصوم، والزكاةِ، والوَتْرُ: العبادة التي لا تتكرر، كالحَجِّ، حكى هذه الأقوالَ الأربعةَ الثَّعلَبيُّ.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ «يسري» بياءٍ في الوصلِ والوقفِ، وَافَقَهما في الوصلِ نافعٌ وأبو عمرٍو. وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزَةُ والكِسَائيُّ «يسر» بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ. قال الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ: الاختيار حَذْفُها لِمُشاكَلَتِها لرؤوسِ الآياتِ، ولاتِّباع المُصحفِ. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ الفعل له، فيه قولان: **أحدهما**: إذا يَسْرِي ذاهباً، قاله الجمهورُ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجِ. **والثاني**: إذا يَسْرِي مُقبلاً، قاله قَتادَةُ.

والقول الثاني: أنَّ الفعلَ لغيره، والمعنى: إذا يُسْرِي فيه، كما يُقال: ليلٌ نائمٌ، أي: يُنَامُ فيه، قاله الأخفَشُ، وابنُ قُتَيبةَ. وفي المراد بهذا الليل ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عامٌ في كلِّ ليلةٍ، وهذا الظاهر. **والثاني**: أنه ليلةُ المُزدَلِفةِ، وهي ليلةُ جَمْعٍ: قاله مُجاهِدٌ وعِكرِمَةُ. **والثالث**: ليلةُ القَدْرِ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: لِذِي عقلٍ، وسُمِّيَ العقلُ حِجراً، لأنه يَحْجُرُ صاحبه عن القبيح، وسُمِّيَ عقلاً، لأنه يَعقِلُ عمَّا لا يحسُن، وسُمِّيَ العقلُ النُّهى، لأنه يَنهى عمَّا لا يَحِلُّ. ومعنى الكلام: أنَّ مَنْ كان ذا لُبٍّ عَلِمَ أنَّ ما أقسَمَ اللَّهُ به مِنْ هذه الأشياء، فيه دلائلُ على توحيد الله وقُدرتِه، فهو حَقِيقٌ أنْ يُقسِمَ به لِدلالتِه. وجوابُ القَسم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ فاعتَرَض بين القَسَمِ، وجوابُه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ فخوَّفَ أهلَ مكَّةَ بإهلاك مَنْ كان أشدَّ منهم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمُرَ «بعادِ إرمَ» بكسرِ الدال مِنْ غير تنوينٍ على الإضافة. وفي ﴿إِرَمَ﴾ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه اسمُ بلدةٍ، قال الفَرَّاءُ. ولم

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٦٧: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها. ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمرو وزبيدٍ وحاتم طيء، وأعشى همدان، ولكنها اسم قبيلة منها، فيما أرى.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٠٢: ومن زعم أن المراد بقوله ﴿إرم ذات العماد﴾ مدينة إما دمشق، أو الاسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد﴾ إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك =

يُجَرَ «إِرَم» لأنها اسمُ بلدةٍ ثم فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها دمشقُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وعِكرمَةُ، وخالدُ الرَّبَعِي. **والثاني**: الإسكندريَّةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: أنها مدينةٌ صنعها شَدَّادُ بنُ عادٍ، وهذا قولُ كَعْبٍ. وسيأتي ذكره إنْ شاءَ اللَّهُ.

والقول الثاني: أنه اسمُ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ، ومعناه: القديمة، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه قبيلةٌ مِنْ قوم عادٍ، قاله قَتادَةُ ومُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما لم تنصرف «إِرَمَ» لأنها جُعِلَت اسماً للقبيلة ففُتِحَتْ، وهي في موضعِ خَفْضٍ. **والرابع**: أنه اسمٌ لِجَدِّ عادٍ، لأنه عادُ بنُ عَوْص بنِ إرَمَ بنِ سام بنِ نُوحٍ، قاله ابنُ إسْحاقَ. قال الفَرَّاءُ: فإنْ كان اسماً لرجلٍ على هذا القول، فإنما تُرِك إجراؤُه، لأنه كالعَجَمِيِّ، وقال أبو عُبيدَةَ: هما عادانِ، فالأولى: وهي إرَمُ، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾[1] وهل قومُ هُودٍ عادُ الأولى، أَمْ لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في النَّجم[2].

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أربعةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: لأنهم كانوا أهلَ عَمَدٍ وخيام يطلبون الكَلأَ حيثُ كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يُقيمون في موضعٍ، رَوى هذا المعنى عَطاءٌ عنَ ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ معنى ذاتِ العِمادِ: ذات الطُّولِ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: رجلٌ مُعْمَدٌ: إذا كان طويلاً. **والثالث**: ذاتِ القوةِ والشدةِ، مأخوذٌ مِنْ قوة الأعمِدَةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: ذاتِ البناءِ المُحكَمِ بالعِمادِ، قاله ابنُ زيدٍ. وقيل: إنما سُمِّيَتْ ذاتِ العِمادِ لِبناءٍ بناهُ بعضُهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ: «لم تَخْلُق» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ اللامِ «مثلُها» بنصبِ اللام. وقرأ معاذٌ القارئُ، وعمرُو بنُ دِينارٍ: «لم نَخْلُق» بنونٍ مفتوحةٍ ورفعِ اللامِ «مثلَها» بنَصبِ اللام. وفي المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: لم يُخلَقْ مثلُ تلك القبيلة في الطُّولِ والقوَّةِ، وهذا معنى قولِ الحسَنِ. **والثاني**: المدينةُ لم يُخلَقْ مثلُ مدينَتِهم ذاتِ العِمادِ، قاله عِكرِمَةُ.

= القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة وقصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنين بها، وأنها تنقل، فتارة تكون في أرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(١) النجم: ٥٠. (٢) النجم: ٥٠.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٦٨: وأشبه الأقوال في ذلك بما دل عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: عني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة، لأن المعروف من كلام العرب من العماد، ما عمد به الخيام من الخشب، والسواري التي يحمل عليها البناء ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح. وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه، وما وجد إلى ذلك سبيل، دون الأنكر، فقد وجه أهل التأويل قوله ﴿ذات العماد﴾ إلى أنه عني به طول أجسامهم. ولا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٢: وقوله: ﴿ذات العماد﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد وقال مجاهد: كانوا أهل عمود لا يقيمون، وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ﴿ذات العماد﴾ لطولهم، واختار الأول ابن جرير رحمه الله، ورد الثاني فأصاب.

وقد جاء في التفسير صفاتُ تلك المدينة. وهذه الإشارةُ إلى ذلك.

[١٥٣٢] رَوى وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ عن عبدِ الله بن قِلابَةَ أنه خرج في طلبِ إبلٍ له شَرَدَتْ، فبينما هو في صحارى عَدَنٍ وقعَ على مدينةٍ في تلك الفَلَواتِ عليها حِصْنٌ، وحولَ الحِصْنِ قصورٌ كثيرةٌ. فلمَّا دَنا منها ظنَّ أنَّ فيها أحداً يسْأله عن إبِلِه، فلم يَرَ خارِجاً ولا داخلاً، فنزلَ عن دَابَّتِه، وعَقَلَها، وسلَّ سيفه، ودخل مِنْ باب الحِصْنِ، فلما دخل الحِصْنَ إذا هو ببابين عظيمين لم يرَ أعظمَ منهما والبابانِ مُرصعَّانِ بالياقوتِ الأبيضِ والأحمرِ، فلما رأى ذلك دُهِشَ ففتَحَ أحدَ البابين، فإذا هو بمدينةٍ لم يرَ أحدٌ مثلَها، وإذا قصورٌ، كلُّ قصرٍ منها فيه غُرَفٌ وفوق الغُرَفِ غُرفٌ مبنيَّةٌ بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومَصاريعُ تلك الغُرفِ مثل مصاريعِ المدينة، يُقابل بعضُها بعضاً، مفروشةٌ كلها باللؤلؤ، وبَنادِقُ مِنْ مِسكٍ وزعفرانٍ. فلمَّا عايَنَ ذلك، ولم يرَ أحداً، هَالَهُ ذلك، ثم نظر إلى الأزِقَّةِ فإذا هو في كلِّ زقاقٍ منها شجرٌ قد أثمرَ، وتحت الشجر أنهارٌ مُطَّرِدَةٌ يجري ماؤها مِنْ قنواتٍ مِنْ فضةٍ. فقال الرجلُ: إنَّ هذه هي الجنةِ، فحَملَ معه مِنْ لؤلؤها، ومِنْ بنادِقِ المِسْكِ والزَّعفرانِ ورجعَ إلى اليَمنِ، فأظهرَ ما كان معه. وبلغَ الأمرُ إلى مُعاويةَ، فأرسلَ إليه. فقصَّ عليه ما رأى، فأرسلَ مُعاويةُ إلى كَعْبِ الأحبارِ، فلما أتاه قال له: يا أبا إسْحاقَ: هل في الدنيا مدينةٌ مِنْ ذهبٍ وفضةٍ؟ قال: نعم أُخبِرُكَ بها وبِمَنْ بناها؟ إنما بناها شَدَّادُ بنُ عادٍ، والمدينةُ: «إرَمَ ذاتِ العِماد»، قال: فحَدِّثني حديثَها، فقال: إنَّ عاداً المنسوبَ إليه عادُ الأولى، كان له وَلَدانِ: شَديدٌ، وشَدَّادٌ. فلما مات مَلَكا بعدَه، ثم مات شَديدٌ وبقي شَدَّادٌ، فمَلَكَ الأرضَ، ودَانَتْ له الملوكُ، وكان مُولَعاً بقراءة الكُتبِ، فكان إذا مَرَّ بذكرِ الجنة دَعَتْهُ نفسه إلى بناءِ مثلِها

[١٥٣٢] قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧٤٨: أخرجه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فذكره مطوّلاً. قال الحافظ: آثار الوضع لائحة عليه! وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢: وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة (إرم ذات العماد) هاهنا مطوّلة جداً، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الإعرابي فقد يكون قد اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات، ويطنزون بهم، والذي نجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية، وكنوزاً كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه الهادي للصواب.
وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» ٤/ ٥٣٠: وهذا كذب على كذب وافتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء، وفاقرة عظمى، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترؤون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة والأقاصيص المخولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وبدلوا وغيروا، وقال: ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الذي سميته «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة». اهـ. قلت: هو كتاب مطبوع متداول، وعمدة هذا الكتاب «موضوعات ابن الجوزي» و «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي.

عُتُوّاً على اللهِ تعالى؛ فأمَرَ بصُنع «إرمَ ذاتِ العِماد» فأمَّرَ على عملِها مائةَ قَهرمانٍ مع كلِّ قَهرمانٍ ألفٌ مِنَ الأعوانِ، وكتب إلى ملوكِ الأرضِ أنْ يُمِدُّوه بما في بلادهم مِنَ الجواهر، فخرج القَهارِمةُ يسيرون في الأرض لِيَجِدوا ما يُوافقه حتى وقعوا على صحراءَ عظيمةٍ نقيَّةٍ مِنَ التلال، وإذا هم بعيونٍ مُطَّرِدةٍ فقالوا: هذه صفةُ الأرض التي أمَرَ المَلِكُ أنْ يبنى بها، فوضعوا أساسَها مِنَ الجَزْع اليَمانيّ، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنةٍ، وكان عُمرُ شَدَّادٍ تسعمائة سنةٍ، فلمَّا أتَوه وقد فرغوا منها قال: انطَلِقوا، واجعَلُوا عليها حِصناً، واجعَلُوا حولَ الحِصْنِ ألفَ قصرٍ، عند كلِّ قصرٍ ألفُ عَلَم يكون في كلِّ قصرٍ مِنْ تلك القصور وزيرٌ مِنْ وزرائي، ففعلوا، فأمَرَ الوزراءَ ـ وهم ألفُ وزيرٍ ـ أنْ يتَهيؤوا للنُّقْلَة إلى «إرمَ ذاتِ العِماد»، وكان المَلِكُ وأهلُه في جَهازِهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا منها على مسيرةِ يومٍ وليلةٍ بَعثَ اللهُ عليه، وعلى مَنْ كان معه صَيحةً مِنَ السماء فأهلَكَتْهُم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ.

وروى الشَّعْبيُّ عن دَغْفَل الشَّيْباني عن علماء حِمْيَر قالوا: لمَّا هَلَكَ شَدَّادُ بنُ عادٍ ومَنْ معه مِنَ الصَّيحةِ، مَلَكَ بعده ابنُه مَرْثَدُ بنُ شَدَّادٍ، وقد كان أبوه خلَّفه بحَضْرَموتَ على مُلكِه وسلطانِه، فأمَرَ بحَمْلِ أبيه مِنْ تلك المَفازةِ إلى حَضْرَموتَ، وأمَرَ بدفنِه فَحُفِرَتْ له حُفيرةٌ في مغَارةٍ، فاستَودَعَهُ فيها على سريرٍ مِنْ ذهبٍ، وألقى عليه سبعينَ حُلَّةً منسوجَةً بقُضبانِ الذهب، ووضع عند رأسه لَوحاً عظيماً مِنْ ذهبٍ وكَتَبَ عليه:

اعـتَـبِـرْ يـا أيُّـهـا الـمَـغـ ـرورُ بـالـعُـمـرِ الـمَـديـدِ
أنـا شَـدَّادُ بـنُ عـادٍ صـاحـبُ الـحِصـنِ الـمـشـيـدِ
وأخـو الـقُـوَّةِ والـبـأ سـاءِ والـمُـلـكِ الـحَـشِـيـدِ
دانَ أهـلُ الأرضِ لـي مِـنْ خـوفِ وَعـدي ووَعِـيـدي
ومَـلَـكـتُ الـشـرقَ والـغـر بَ بـسُـلـطـانٍ شـديـدِ
وبـفَـضْـلِ الـمُـلْـكِ والـعُـدَّةِ فـيـه والـعَـديـدِ
فـأتـى هُـودُ وكـنَّـا فـي ضـلالٍ قـبـلَ هُـودِ
فـدَعـانـا لـو قَـبِـلْـنـا هُ إلـى الأمـرِ الـرَّشـيـدِ
فـعَـصَـيـنـاهُ ونـادَى مـا لـكـم هـل مـن مَـحـيـدِ
فـأَتَـتْـنـا صَـيـحَـةٌ تَـهـ ـوي مِـنَ الأُفـقِ الـبـعـيـدِ
فـتَـوافَـيـنـا كَـزَرْعٍ وَسْـطَ بـيـداءَ حَـصِـيـدِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ أي قَطَعوه ونَقَبوه. قال ابنُ إسحاقَ: والوادي: وادي القُرى. وقرأ الحسَنُ: «بالوادي» بإثباتِ الياء في الحالين ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ مُفسَّرٌ في سُورةِ صَ(١) ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ يعني: عاداً، وثَمودَ، وفِرعونَ، عمِلوا بالمعاصي، وتجبَّروا على أنبياء الله ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ القتلَ والمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: وإنَّما قال: سَوْطَ عذابٍ، لأنَّ التعذيب قد يكون بالسَّوطِ، وقال الزَّجَّاجُ: أي جعل سَوطَهُ الذي ضَربَهُم به العذابَ. ﴿إِنَّ

(١) صَ: ١٢.

رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي: يَرصدُ مَنْ كَفَرَ به بالعذاب، والمَرصَدُ: الطريقُ، وقد شرحناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[1].

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ
فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ
وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ
﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فيمَنْ عني به أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: عُتْبةُ بنُ رَبيعةَ، وأبو حُذيفةَ بنُ المُغيرةِ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه الكافر الذي لا يُؤمن بالبَعثِ، قال الزَّجَّاجُ: وابتَلاه بمعنى اختبره بالغِنى واليُسر ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بالمال ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بما وسَّعَ عليه مِنَ الإفضال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فَتَحَ ياءَ «ربيَ» «أكرمنيَ» «ربيَ» أهاننيَ» أهلُ الحِجاز، وأبو عمرو، أي: فَضَّلني بما أعطاني، ويظنُّ إنما، أعطاه مِنَ الدنيا لِكرامتِه عليه ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ «فقدَّر» بتشديدِ الدال، والمعنى: ضيَّقَ عليه بأنْ جعله على مِقدارِ البُلْغَةِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي هذا الهَوانُ منه لي حينَ أذلَّني بالفقر.

وأعلَمْ أنَّ مَنْ لا يُؤمِنُ بالبَعثِ، فالكرامةُ عنده زيادةُ الدنيا، والهَوانُ قِلَّتُها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ كما ظَنَّ. قال مُقاتِلٌ: ما أعطيتُ من أغنيت هذا الغنيَّ لِكرامتِه عليَّ، ولا أفقرتُ مَنْ أفقرتُ لِهوانِه عليَّ. وقال الفَرَّاءُ: المعنى: لم يكن ينبغي له أنْ يكونَ هكذا، إنما ينبغي أنْ يحمدَ اللّهَ على الأمرين: الفقر، والغِنى. ثم أخبر عن الكفَّارِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ قرأ أهلُ البَصرةِ «يُكرِمون» و «يَحُضُّون» و «يَأْكُلون» و «يُحِبُّون» بالياء فيهن، والباقون بالتاء. ومعنى الآية: إني أَهَنتُ مَنْ أَهَنتُ مِنْ أجل أنه لا يُكرِمُ اليتيمَ. والآية تحتملُ معنيين: **أحدهما**: أنهم كانوا لا يَبَرُّونه. **والثاني**: لا يُعطونه حَقَّه مِنَ الميراثِ، وكذلك كانت عادةُ الجاهلية لا يُوَرِّثون النساءَ ولا الصبيانَ. ويدل على المعنى الأول قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وأهلُ الكُوفةِ «تحاضون» بألِفٍ مع فتح التاء. ورَوى الشَّيزَريُّ عن الكِسَائيِّ كذلك إلاَّ أنه ضَمَّ التاءَ. والمعنى: لا يأمروه بإطعامِه لأنهم لا يَرجونَ ثوابَ الآخرة. ويدل على المعنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: التُّراث: المِيراثُ، والتاء فيه مُنقلِبةٌ عن واوٍ، كما قالوا: تُجاه، والأصل: وُجاه، وقالوا: تُخمَة، والأصل: وُخمَة. و ﴿لَّمًّا﴾ أي: شديداً، وهو مِن قولك: لَمَمْتُ بالشيء: إذا جمعته، وقال الزَّجَّاجُ: هو مِيراثُ اليتامى.

(١) النبأ: ٢١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا تُنفقونه في خيرٍ ﴿كَلَّآ﴾ أي: ما هكذا ينبغي أنْ يكونَ الأمرُ. ثم أخبر عن تَلَهُّفِهم على ما سَلَفَ منهم حينَ لا ينفعهم، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ، فتكسَّرَ كلُّ شيءٍ عليها. قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: تأتي ملائكة كلِّ سماءٍ صَفًّا على حِدةٍ، قال الضَّحَّاكُ: يكونون سبعةَ صُفوفٍ، ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾.

[١٥٣٣] روى مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بجهنَّم يَومَئذٍ لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها». قال مُقاتِلٌ: يُجاءُ بها فتُقام عن يسارِ العرشِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يُجاءُ بجهنَّم ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يتَّعظُ الكافرُ ويَتوبُ. وقال مُقاتِلٌ: هو أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ العملَ الصالحَ في الدنيا ﴿لِحَيَاتِى﴾ في الآخرة التي لا موتَ فيها ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قرأ الكِسائيُّ، ويعقوبُ، والمُفَضَّلُ «لا يعذَّب» و«لا يوثَق» بفتح الذال والثاء، والباقون بكسرِها، فمَنْ فتحَ، أراد: لا يُعذَّبُ عذابَ الكافر أحدٌ، ومَنْ كَسرَ أراد: لا يُعذِّبُ عذابَ اللهِ أحدٌ، أي كعذابِه، وهذه القراءة تختصُّ بالدنيا، والأولى تختصُّ بالآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسةِ أقوالٍ[٢]:

أحدها: في حمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ لما استشهد يومَ أُحُدٍ، قاله أبو هُريرَةَ، وبُريدَةُ الأَسْلَميُّ. **والثاني**: في عُثمانَ بنِ عَفَّانَ حين أوقف بئر رُومَةَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: في خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ لمَّا صَلبه أهلُ مكَّةَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حكاه المَاوَرديّ. **والخامس**: في جميع المؤمنين، قاله عِكرِمَةُ. وفي معنى ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المؤمنة، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: المُطمئنَّةُ بالإِيمان. **والثاني**: الرَّاضية بقضاء الله، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المُوقِنةُ بما وَعَدَ اللهُ، قاله قَتادَةُ.

واختلفوا في أيِّ حينٍ يُقال لها ذلك على قولين: **أحدهما**: عند خروجِها مِنَ الدنيا، قاله الأكثرون. **والثاني**: عند البَعثِ يُقال لها: ارْجِعي إلى صاحِبِكِ، وإلى جسدِكِ، فيأمرُ اللهُ الأرواحَ أنْ تعودَ إلى الأجساد، رواه العَوْفي عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ، وعِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ارجعي إلى صاحِبِكِ الذي كنتِ في جسدِه، وهذا المعنى في رواية العَوْفي عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ﴿ٱرْجِعِىٓ

[١٥٣٣] صحيح. أخرجه مسلم ٤/٢١٨٤، والترمذي ٢٥٧٣ من حديث ابن مسعود. وانظر «فتح القدير» ٢٧١٣.

---

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) قلت: الصواب أنها عامة كما قال القرطبي وحمزة رضي الله عنه منهم، ثم إن السورة مكية.

﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ارجِعي إلى ثوابِ رَبِّكِ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: يا أَيَّتُها النفسُ المُطمئِنَّةُ إلى الدنيا ارجِعي إلى الله تعالى بتَرْكِها، حكاه المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: في جُملةِ عبادي المُصْطَفَيْن. قال أبو صالح: يُقال لها عند الموت: ارجِعي إلى ربِّكِ، فإذا كان يوم القيامة قيلَ لها: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ وقال الفَرَّاءُ: ادْخُلي مع عبادي. وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاص، وأُبَيُّ بنُ كَعب، وابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ «في عبدي» على التوحيد. قال الزَّجَّاجُ: فعَلَى هذه القراءةِ ـ والله أعلَمُ ـ يكون المعنى: ارجِعي إلى ربِّكِ، أي: إلى صاحبِكِ الذي خَرَجْتِ منه، فادْخُلي فيه.

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

وهي مكيّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أُقسِمُ. و «لا» دخلتْ توكيداً، كقولِه عزَّ وجل ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(١)] وقرأ عِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عِمْرانَ، وأبو العاليةِ: «لأُقسِمُ» قال الزَّجَّاجُ: وهذه القراءة بعيدةٌ في العربية، وقد شرحنا هذا في أوَّلِ القيامة[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: و (البلد) هاهنا: مكة[(٣)].

أحدها: حلٌّ لكَ ما صَنعتَهُ في هذا البلد مِنْ قَتْلٍ وغيرِه، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: رجلٌ حِلٌّ، وحَلالٌ، ومُحِلٌّ، قال المُفسِّرون: والمعنى: إنَّ الله تعالى وَعَدَ نبيَّه أنْ يَفتحَ مكَّةَ على يديه بأنْ يُحِلَّها له، فيكون فيها حِلاً. **والثاني**: وأنت مُحِلٌّ بهذا البلد غيرُ مُحْرِمٍ في دخوله، يعني: عامَ الفَتح، حلالاً، قاله الحَسنُ، وعَطاءٌ. **والثالث**: وأنتَ حِلٌّ عند المشركين بهذا البلدِ يَستحِلُّونَ إخراجَكَ وقَتْلَكَ، ويُحرِّمون قتلَ الصيدِ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه آدمُ. وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة **والثاني**: أنَّ الوالدَ إبراهيمُ، وما ولد: ذريته[(٤)]، قاله أبو عِمْرانَ الجَوْنيّ.

---

(١) الحديد: ٢٩. (٢) القيامة: ١.

(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٢٠/٥٤: و ﴿البلد﴾ هي مكة، أجمعوا عليه، أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحبي لك.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٨٧: والصواب من القول في ذلك، مَا قاله الذين قالوا: إن الله أقسم بكل والد وولده. لأن الله عمّ كل والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٠٧: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة والضحاك وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحبيل بن سعيد وغيرهم: =

والثالث: أنه عامٌّ في كلّ والدٍ وما وَلَدَ، حكاه الزَّجّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذا جوابُ القَسَم. وفيمن عَنى بالإنسان خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ جنسٍ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه أبو الأشد الجُمَحيُ، وقد سبق ذِكرُه، قاله الحَسَنُ.

[١٥٣٤] **والثالث**: أنه الحارثُ بنُ عامرِ بنِ نَوْفلٍ، وذلك أنه أذنَبَ ذَنْباً، فأمره النبيُّ ﷺ بالكفَّارةِ، فقال: لقد ذهب مالي في الكفَّاراتِ، والنَّفقاتِ منذ دخلتُ في دِيْنِ محمَّدٍ، قاله مُقاتِلٌ.

والرابع: آدمُ عليه السلام، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: الوليدُ بنُ المُغِيرةِ، حكاه الثَّعلَبيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: في نَصَب، رواه الوالِبيُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو عُبيدَةَ، وأنهم قالوا: في شِدَّةٍ. قال الحسَنُ: يُكابِدُ الشُّكرَ على السَّرَّاءِ والصبرَ على الضَّرَّاء، ولا يَخلو من أحدهما، ويُكابِدُ مصائبَ الدنيا، وشدائدَ الآخرة. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: في شِدَّةٍ غلبة ومُكابَدةٍ لأمور الدنيا والآخرة، فعَلَى هذا يكون مِنْ مُكابدةِ الأمرِ، وهي مُعاناتُه. **والثاني**: أنَّ المعنى: خُلِقَ مُنتصباً يمشي على رِجلَين، وسائرُ الحيوان غيرُ مُنتصِبٍ، رواه مِقْسَمٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وعَطِيَّةُ، والفرَّاءُ، فعلى هذا يكون معنى الكَبَد: الاستِواءُ والاستِقامةُ. **والثالث**: في وَسطِ السماء، قال ابنُ زيدٍ[١]: (لقد خلقنا الإنسان) يعني: آدمَ (في كَبَدٍ) أي: في وَسطِ السماء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني الله عزَّ وجلَّ أي: أَيحسب أن لن نقدرَ على بَعثِه، وَمعاقبته؟! ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً، قال أبو عُبيدَةَ: هو فعلٌ مِنَ التَّلبُّد، وهو المالُ الكثيرُ بعضُه على بعضٍ، قال ابن قتيبة: وهو المال كان بعضه على بعض. قال الزَّجّاجُ: وهو فعلٌ للكَثْرةِ، كما يُقال: رَجلٌ حُطَمٌ: إذا كان كثيرَ الحُطَم. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعائشةُ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وقَتادةُ، وأبو العاليةِ، وأبو جعفرَ «لُبَّداً» بضمِّ اللام، وتشديدِ الباء مفتوحةً. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ «لُبْداً» برفعِ اللام وتسكينِ الباء خفيفةً. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ «لُبُداً» برفع اللام والباء وتخفيفِهما. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وأبو الجَوزاءِ «لِبَداً» بكسرِ اللام، وفتحِ الباء مخفَّفةً. وفيما قال لأجلِ ذلك قولان: **أحدهما**: أنه أراد: أهلكتُ مالاً كثيراً في عداوةِ محمَّدٍ ﷺ قاله ابنُ السَّائبِ، فكأنه استطالَ بما أنفقَ. **والثاني**: أنفقتُ في سبيل الله وفي الكفَّاراتِ مالاً كثيراً، قاله مُقاتِلٌ. فكأنه ندِمَ على ما أنفقَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يعني الله عزَّ وجلَّ. والمعنى: أَيظُنُّ أنَّ الله لم يرَ نفقتَهُ، ولم يُحْصِها؟! وكان قد ادَّعى إنفاقَ ما لم يُنفِقْ.

[١٥٣٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط، كذبه غير واحد، فهذا خبر لا شيء.

= يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

(١) اسمه عبد الرحمن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ المعنى: أَلَمْ نجعلْ به ما يدلُّ على أنَّ الله قادرٌ على بعثِه؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سبيلَ الخيرِ والشرِّ، قاله عليٌّ، والحسَنُ، والفرَّاءُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: يريد طريقَ الخيرِ والشرِّ. وقال الزَّجّاجُ: النَّجدَين: الطريقين الواضحين والنَّجْدُ: المُرتفعُ مِنَ الأرض، فالمعنى: أَلَمْ نُعرِّفه طريقَ الخيرِ والشرِّ كَتبيُّنِ الطريقين العالِيَيْنِ. **والثاني**: سبيلَ الهُدى والضَّلالِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو سبيل الشَّقاوةِ والسَّعادةِ. **والثالث**: الثَّدْيَيْنِ لِيتغذّى بلبنِهما، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال ابنُ المُسيِّبِ، والضَّحّاكُ، وقَتادةُ.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال أبو عبيدة: فلم يقتحم العقبة في الدنيا. وقال ابنُ قُتيبة: فلا هو اقتحمَ العَقَبةَ. قال الفرَّاءُ: لم يَضُمَّ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ كلاماً آخرَ فيه «لا»، والعربُ لا تكاد تُفرد «لا» في كلام حتى يُعيدوها عليه في كلام آخرَ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ومعنى: «لا» موجودٌ في آخرِ هذا الكلامِ، فاكتفى بواحدةٍ مِنَ الأخرى، ألا ترى أنه فسَّرَ اقتِحامَ العَقَبةِ، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فسَّرها بثلاثةِ أشياءَ. فكأنَّه قال في أول الكلام: فلا فَعَلَ ذا، ولا ذا ولا ذا. وذهب ابنُ زيدٍ في آخرين إلى أنَّ المعنى: أَفلا اقتَحَم العَقَبةَ؟ على وجهِ الاستفهام، والمعنى: فهلاَّ أنفقَ مالَه في فَكِّ الرِّقابِ والإطعامِ لِيُجاوزَ بذلك العَقَبةَ؟!

فأمَّا: الاقتِحامُ فقد بيَّناه في (صَ)[1]. وفي العَقَبةِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جبلٌ في جهنَّمَ، قاله ابنُ عمرَ. **والثاني**: عَقَبةٌ دونَ الجِسرِ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: سبعونَ دَرَكةً في جهنَّمَ، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: الصِّراط، قاله مُجاهِدٌ، والضَّحّاكُ والكَلْبيُّ. **والخامس**: نارٌ دونَ الجسرِ، قاله قَتادةُ. **والسادس**: طريقُ النَّجاةِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: أنَّ ذكرَ العَقَبةِ هاهنا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لِمُجاهدةِ النَّفسِ والهوى والشيطان في أعمالِ البرِّ، فجعله كالذي يتكلَّف صُعودَ العَقَبةِ. يقول: لم يحمِلْ على نفسِه المَشَقَّةَ بعِتْقِ الرَّقبةِ، والإطعامِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ قال سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ: كلُّ ما فيه «وما أدراكَ»، فقدْ أخبرَهُ به، وكلُّ ما فيه «وما يُدريكَ» فإنه لم يُخبِرْهُ به. قال المُفسِّرون: المعنى: وما أدراكَ ما اقتِحامُ العَقَبةِ؟. ثم بيَّنه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، إلاَّ عبدَ الوارثِ، والكِسائيَّ، والدّاجوني عن ابنِ ذَكْوانَ «فَكَّ» بفتحِ الكاف «رَقَبَةً» بالنصب «أو أَطْعَمَ» بفتحِ الهمزة والميم وسكونِ الطاء مِنْ غير ألِفٍ، فعلٌ ماضٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ «فَكُّ» برفعِ الكاف «رقبةٍ» بالخفض «أو إطعامٌ» بألِفٍ، ومعنى فَكِّ الرَّقبة: تخليصها مِنْ أَسْرِ الرِّقِّ، وكلُّ شيءٍ أطلَقْتَه فقد فَكَكْتَه ومَنْ قرأ «فَكُّ رقبةٍ»

---

(١) صَ: ٥٩.

على الفعلِ، فهو تفسيرُ اقتِحام العَقَبةِ بالفعل، واختاره الفَرَّاءُ، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: والمَسْغَبَةُ: المَجاعَة. يقال: سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوباً: إذا جاعَ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قَرابَةٍ[1] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا فَقْرٍ كأنه لَصِقَ بالتراب. وقال ابنُ عباس: هو المَطروحُ في التراب لا يَقِيهِ شيءٌ. ثم بيَّنَ أنَّ هذه القُرَبَ إنما تنفع مع الإيمان بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ و «ثم» هاهنا بمعنى الواو، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأَمْرِه ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي بالتَّراحُم بينهما. وقد ذكرنا أصحابَ المَيْمنةِ والمَشْأَمةِ في الواقِعة[3] قال الفَرَّاءُ: و «المُؤْصَدَة»: المُطْبَقَةُ. قالَ مُقاتِلٌ: يعني أبوابُها عليهم مُطْبَقَةٌ فلا يُفتح لها بابٌ، ولا يخرج منها غَمٌّ، ولا يدخل فيها رَوحٌ آخر الأبدِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُه: إذا أطبَقْتَه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنَّ العذاب مُطْبَقٌ عليهم. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ؛ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «مُوصَدة» بغيرِ همزةٍ هاهنا وفي «الهُمَزَة»[4]. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزَةُ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ بالهمزِ في الموضعين.

---

(١) قال ابن العربي في «الأحكام» ٤/ ٤٠٢: قوله تعالى: ﴿ذا مقربة﴾ يفيد أن الصدقة على القريب أفضل منها على البعيد، ولذلك بدأ به قبل المسكين، وذلك عند مالك بالنفل. والمتربة: الفقر البالغ الذي لا يجد صاحبه طعاماً إلا التراب، ولا فراشاً سواه. والله أعلم.

(٢) يونس: ٤٦. (٣) الواقعة: ٧، ٨. (٤) الهمزة: ٨.

سورة الشمس

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)﴾ في المراد «بضحاها» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ضَوؤها، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. والضُّحى: حينَ يَصفُو ضَوْءُ الشمس بعد طُلوعها. **والثاني**: النهارُ كلُّه، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: حَرُّها، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ قوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: إذا تَبِعَها، قاله ابنُ عباسٍ في آخرين. ثم في وقتِ اتِّباعِه لها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه في أولِ ليلةٍ مِنَ الشهر يُرى القمرُ إذا سقطَتِ الشمسُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه في الخامسَ عشرَ يطلع القمرُ مع غروبِ الشمس، حكاه المَاوَرديُ. **والثالث**: أنه في النِّصفِ الأولِ مِنَ الشهر إذا غَربَتِ الشمسُ تلاها القمرُ في الإضاءَةِ وخَلَفَها في النُّورِ، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابُوريُ.

والقول الثاني: إذا ساوَاها، قاله مُجاهِدٌ. وقال غيره: إذا استَدارَ، فتَلا الشمسَ في الضياء والنُّور، وذلك في الليالي البِيْضِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ في المُكنَّى عنها قولان: **أحدهما**: أنها الشمس، قاله مُجاهِدٌ، فيكون المعنى: والنهارِ، إذا بَيَّنَ الشمسَ، لأنها تَتبيَّنُ إذا انبسَطَ النهارُ. **والثاني**: أنها الظُّلمةُ فتكون كِناية عن غير مذكورٍ، لأنَّ المعنى معروفٌ، كما تقول: أصبحَتْ باردةً، وهَبَّتْ شِمالاً، وهذا قولُ الفرَّاءِ، واللغويين قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يغشى الشمسَ حينَ تغيبُ فتُظلِمُ الآفاقُ. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: بمعنى «مَنْ» تقديره «ومَنْ بناها»، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ. وبعضهم يجعلها بمعنى الذي. **والثاني**: أنها بمعنى المصدرِ، تقديره: وَبِناها، وهذا مذهبُ قَتادَةَ، والزَّجاج. وكذلك القولُ في «وما طحَاها» «وما سَوَّاها» وقد قرأ أبو عِمْرانَ الجَوْنيُ في آخرين «ومَنْ بناها» وَمَنْ طَحَاها» «وَمَن سَوَّاها» كلُّهُ بالنون. قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «طَحَاهَا» بَسَطَها يميناً وشِمالاً، ومِنْ كلِّ

جانبٍ، قال ابنُ قُتيبةَ: يُقَال: خَيْرٌ طَاحٍ، أي: كثيرٌ مُتَّسِعٌ.

وفي المراد «بالنَّفسِ» هاهنا قولان: **أحدهما**: آدمُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: جميعُ النفوس، قاله عَطاءٌ. وقد ذَكَرنا معنى «سَوَّاها» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾. قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الإلهام: إيقاعُ الشيءِ في النَّفسِ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أَلْزَمَها فُجورَها وتَقواها، وقال ابنُ زيدٍ: جعلَ ذلك فيها بتوفيقِه إيَّاها للتقوى، وخِذْلانِه إيَّاها للفُجورِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا جوابُ القَسَم. والمعنى: لقد أفلَحَ، ولكنَّ اللامَ حُذفت لأنَّ الكلامَ طالَ، فصار طولُه عِوَضاً منها. وقال ابنُ الأنْبَاري: جوابُه محذوفٌ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: قد أفلَحَتْ نَفسٌ زَكَّاها الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ؛ والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: قد أفلَحَ مَنْ زَكَّى نَفسَهُ بطاعةِ الله وصالحِ الأعمال، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبةَ. ومعنى ﴿زَكَّىٰهَا﴾: أصلَحَها وطَهَّرها مِنَ الذنوب. قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فيه قولان: كالذي قبلَه.

فإنْ قُلنا: إنَّ الفعلَ لله، فمعنى «دَسَّاها»: خَذَلَها، وأخمَلَها، وأخفَى مَحَلَّها بالكفر والمعصية، ولم يَشْهرْها بالطاعةِ والعملِ الصالح.

وإنْ قُلنا: الفعلُ للإنسان، فمعنى «دَسَّاها»: أخفَاها بالفُجورِ. قال الفَرَّاءُ: ويُروى أنَّ «دَسَّاها» دَسَّسَها لأنَّ البخيلَ يُخفي منزلَه ومالَه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: دَسَّى نَفْسَه، أي: أخفَاها بالفُجورِ والمعصيةِ. والأصل مِنْ دَسَّسْتُ، فقُلبت السينُ ياءً، كما قالوا: قَصَّيتُ أظفاري، أي: قَصَصْتُها. فكأنَّ النَّطِفَ بارتكابِ الفواحشِ دَسَّ نَفْسَه، وقَمَعها، ومُصْطَنِعُ المعروفِ شَهَرَ نَفْسَه ورَفَعها، وكانت أجوادُ العرب تنزلُ الرُّبا للشُّهرة. واللِّئامُ تنزلُ الأطرافَ لِتُخفي أماكِنَها. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «دَسَّاها» جَعَلَها قليلةً خَسِيسَةً.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: كذَّبتْ رسولَها بطُغيانها. والمعنى: أنَّ الطُّغيانَ حَمَلَهم على التكذيب. قال الفَرَّاءُ: أراد بطَغْواها: طُغيانَها، وهما مصدران، إلاَّ أنَّ الطَّغْوَى أشكَلُ برؤوسِ الآياتِ، فاختِيْرَ لذلك. وقيل: كَذَّبوا العذابَ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أي: انْتَدَب ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ وهو: عاقرُ النَّاقةِ يَعقِرُها ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وهو صالحٌ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: نصب الناقة على التحذير، وكلُّ تحذيرٍ فهو نَصبٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: احذَرُوا ناقةَ الله وشُرْبَها. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ذَرُوا «ناقةَ الله» وذَرُوا «سُقياها» قال المُفسِّرون: سُقياها: شُرْبُها مِنَ الماء. والمعنى: لا تَتعرَّضوا ليوم شُربِها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في تحذيره إيَّاهم العذابَ بعقْرِها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ وقد بيَّنَّا معنى «العَقْر» في الأعْرافِ[1] ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أطبَقَ عليهم العذاب. يقال: دَمْدَمتُ على الشيء: **إذا أطْبَقت فكرَّرت الإطباقَ**. وقال المُؤرِّجُ: **الدَّمْدَمةُ: إهلاكٌ باستِئصالٍ**.

(١) الأعراف: ٧٧.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ قولان: **أحدهما**: سَوَّى بينهم في الإهلاكِ، قاله السُّدِّيُّ، ويَحيى بنُ سَلام. وقيل: سَوَّى الدَّمْدمَةَ عليهم. والمعنى: أنه أهلَكَ صغيرَهم، وكبيرَهم. **والثاني**: سوَّى الأرضَ عليهم. قال مُقاتِلٌ: سوَّى بيوتَهم على قبورِهم. وكانوا قد حَفَروا قبوراً فاضطَجَعوا فيها، فلمَّا صِيحَ بهم فهَلَكوا زُلْزِلَتْ بيوتُهم فوقَعتْ على قبورِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ «فلا» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشام. وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ.

وفي المُشارِ إليه ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه الله عزَّ وجلَّ، فالمعنى: لا يخاف الله مِنْ أحدٍ تَبِعَةً في إهلاكِهم، ولا يخشى عُقْبى ما صَنَعَ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: أنه الذي عَقَرَها، فالمعنى: أنه لم يَخَفْ عُقْبى ما صَنَعَ، وهذا مذهبُ الضَّحَّاكِ والسُّدِّيّ، وابنِ السَّائبِ. فعَلَى هذا في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: إذِ انبَعَثَ أشقاها وهو لا يَخافُ عُقْباها. **والثالث**: أنه نبيُّ الله صالحٌ لم يَخَفْ عُقْباها، حكاه الزَّجَّاجُ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦١٥: قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة، وهذا القول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

وهي مكّيّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ قال ابنُ عباسٍ: يغشى بظُلمتِه النهارَ. وقال الزَّجّاجُ: يغشى الأفقَ، ويَغشى جميعَ ما بين السماء والأرض قولُه: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: بانَ وظهرَ مِنْ بين الظُّلمةِ، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ في «ما» قولان. وقد ذكرناهما عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾[1]. وفي «الذَّكر والأنثى» قولان: **أحدهما**: آدمُ وحوّاءُ، قاله ابنُ السّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه عامٌّ، ذكره الماوَرديُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جوابُ القَسَم. قال ابنُ عباسٍ: إنَّ أعمالكم لَمُختلفةٌ، عملٌ للجنة، وعملٌ للنار. وقال الزَّجّاجُ: سَعيُ المؤمن والكافر مُختلِفٌ، بينهما بُعْد. وفي سبب نُزولِ هذه السُّورةِ قولان:

[١٥٣٥] **أحدهما**: أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه اشترى بلالاً مِنْ أُميَّةَ بنِ خَلَفٍ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ بِبُرْدَةٍ وعشرةِ أَوَاقٍ، فأعتقَهُ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ يعني: سعيَ أبي بكرٍ، وأُميَّةَ وأُبَيٍّ، قاله عبدُ الله بنُ مسعودٍ.

[١٥٣٦] **والثاني**: أنَّ رجلاً كانت له نَخلةٌ فَرعُها في دارِ رجلٍ فقيرٍ ذي عِيالٍ، وكان الرجل إذا

[١٥٣٥] أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٣ عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع بين أبي إسحق السبيعي وابن مسعود.

[١٥٣٦] واهٍ. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية والواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٢ وفي «الوسيط» ٤/ ٥٠٢ من طريق حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس مطوّلاً. ولم يذكر اسم «أبو الدحداح». وإسناده واهٍ لأجل حفص بن عمر بن ميمون، ضعفه الحافظ في «التقريب» وأخرجه ابن =

---

(١) الشمس: ٥.

صَعِدَ النَّخلةَ ليأخذَ منها الثمرَ، فربما سقطَتْ الثمرةُ، فيأخذَها صبيانُ الفقير، فينزلَ الرجلُ مِنْ نخلتِه حتى يأخذَ الثمرةَ مِنْ أيديهم، فإنْ وَجَدها في فم أحدِهم أدخلَ أُصبعَهُ حتى يُخرجَها، فشكَا ذلك الرجلُ إلى النبيِّ ﷺ، فلقِيَ النبيُّ ﷺ صاحبَ النَّخلةِ، فقال: «تُعطيني نخلَتَكَ التي فَرْعُها في دارِ فُلانٍ ولكَ بها نخلَةٌ في الجنة؟» فقال الرجلُ: إنَّ لي نَخلاً وما فيه نَخلَةٌ أعجَبُ إليَّ منها، ثم ذهب الرجلُ، فقال رجلٌ ممَّنْ سمعَ ذلك الكلامَ: يا رسولَ الله أَتُعطيني نَخلَةً في الجنة إنْ أنا أخذتُها؟ قال: نعم، فذهب الرجلُ، فلقِيَ صاحبَ النَّخلةِ، فساوَمَها منه، فقال له: أما شَعَرْتَ أنَّ محمَّداً أعطاني بها نَخلَةً في الجنة؟ فقلتُ: ما ليَ نَخلَةٌ أعجَبُ إليَّ منها، فقال له: أَتُريدُ بَيْعَها؟ قال: لا، إلاَّ أنْ أُعطى بها ما لا أظنُّني أُعطى، قال: ما مَناكَ؟ قال: أربعونَ نَخلَةً، فقال: أنا أُعطيكَ أربعين نخلةً، وأَشهَدَ له ناساً، ثم ذهب إلى رسولِ الله ﷺ فقال له: إنَّ النخلةَ قد صارت في ملكِي، وهي لكَ، فذهب رسولُ الله ﷺ إلى صاحبِ الدَّارِ، فقال: النَّخلةُ لكَ ولِعيالِكَ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال عَطاءٌ: الذي اشتراها مِنَ الرجلِ أبو الدَّحْدَاحِ، أخذَها بحائطٍ له، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيات إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ أبو الدَّحْدَاحِ، وصاحبُ النَّخلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ قال ابنُ مسعودٍ: يعني: أبا بكرِ الصِّدِّيقِ وهذا قولُ الجمهورِ. وقال عَطاءٌ: هو أبو الدَّحْدَاحِ. وفي المراد بهذا العطاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعطى مِنْ فَضلِ مالِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أعطى الله الصِّدْقَ مِنْ قلبه، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أعطى حقَّ الله عليه، قاله قَتادَةُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اتَّقى الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: اتَّقى البُخلَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: اتَّقى محارمَ الله التي نَهى عنها، قاله قَتادَةُ.

وفي «الحُسنى» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاَّ الله»، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: الخَلَفُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ. **والثالث**: الجنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: نِعَمُ الله عليه، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: بوَعْدِ الله أنْ يُثِيبَهُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والسادس**: الصَّلاةُ، والزَّكاةُ، والصَّومُ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ ضمَّ أبو جعفرَ سينَ «اليُسرى» وسينَ «العُسرى» وفيه قولان: **أحدهما**: للخير، قاله ابنُ عباسٍ. والمعنى: نُيَسِّرُ ذلك عليه. **والثاني**: للجنَّةِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ.

قوله ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ قال ابنُ مسعودٍ: يعني بذلك أُميَّةَ وأُبَيَّ ابنَيْ خَلَفٍ. وقال عَطاءٌ: هو صاحبُ النَّخلةِ.

= حبان. والجمهور على أنها نزلت في أبي بكر والله أعلم.

ثم إن السورة مكية، وذاك أنصاري؟! وورد بمعناه دون ذكر نزول الآية من حديث جابر. أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٨ وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/ ١٢٧: رواه أحمد والبزار، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه كلام وقد وثق.

ـ قلت: ضعفه غير واحد لسوء حفظه، وهو غير حجة. ورواية عطاء: وفيها اسم الرجل أبو الدحداح، هي من رواية علي بن حجر عن إسحاق عن أبي نجيح عن عطاء مرسلاً، ومعلقاً، فهو لا شيء.

قال المُفسِّرون: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بالنَّفقة في الخير والصَّدَقةِ. وقال قَتادةُ: بحقِّ الله عزَّ وجلَّ، قوله: ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي عن ثوابِ الله فلم يَرغَبْ فيه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ وقد سَبقَتِ الأقوالُ فيها.

وفي «العُسرى» قولان: **أحدهما**: النَّارُ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: الشَّرُّ، قاله ابنُ عباسٍ. والمعنى: سَنَهيؤه للشَّرِّ فيؤدِّيه إلى الأمر العَسيرِ، وهو عذابُ النارِ.

ثم ذكَرَ أنَّ ما أمسَكَهُ مِنْ ماله لا ينفعه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذي يَبخلُ به عن الخير ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: إذا تردَّى في جهنَّمَ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. والمعنى: إذا سقطَ فيها. **والثاني**: إذا مات فتردَّى في قبرِه، قاله مُجاهدٌ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّ علينا أنْ نُبيِّنَ طريقَ الهدى مِنْ طريق الضَّلال. قوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: فليُطلَبا منَّا ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: تَتوقَّدُ وتتوهَّجُ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ يعني: المُشرِكَ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ الرَّسولَ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. قال أبو عُبيدَةَ: و﴿ٱلْأَشْقَى﴾ بمعنى الشَّقيِّ. والعربُ تضعُ «أفعَل» في موضع «فاعل». قال طَرَفةُ:

تَـمَـنَّـى رِجَـالٌ أَنْ أَمُـوتَ وَإِنْ أَمُـتْ ... فَـتِـلْـكَ سَـبِـيـلٌ لَـسْـتُ فِـيـهـا بِـأَوْحَـدِ

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الآيةُ هي التي مِنْ أجلِها زعَمَ أهلُ الإرجاءِ أنه لا يدخلُ النارَ إلاَّ كافرٌ، وليس كما ظنوا. هذه نارٌ موصوفةٌ بعَينِها، ولأهلِ النارِ منازلُ. فلو كان مَنْ لا يُشرِكُ لا يُعذَّبُ لم يكن في قولِه عزَّ وجلَّ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] فائدةٌ. وكان «ويغفر ما دون ذلك» كلاماً لا معنىً له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يُبْعَدُ عنها، فيُجعَلُ منها على جانبٍ ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ يعني: أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ في قولِ جميع المُفسِّرين، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يَطلبُ أنْ يكون عند الله زاكِياً، ولا يَطلُب الرِّياءَ، ولا السُّمعةَ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: لم يفعلْ ذلك مُجازاةً لِيَدٍ أُسْدِيَتْ إليه.

[١٥٣٧] وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنَّ أبا بكرٍ لمَّا اشترى بلالاً بعد أنْ كان يُعذَّبُ قال المشركون: ما فَعلَ أبو بكرٍ ذلك إلاَّ لِيَدٍ كانت لِبلالٍ عنده، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: إلاَّ طلباً لثوابِ ربِّه. قال الفَرَّاءُ: و «إلاَّ» بمعنى «لكن» ونَصبُ «ابتغاءَ» على إضمارِ إنفاقِه. فالمعنى: وما يُنفِقُ إلاَّ ابتغاءَ وَجهِ ربِّهِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: بما يُعطَى في الجنَّة مِنَ الثَّوابِ.

[١٥٣٧] ذكره الواحدي ٨٥٧ عن عطاء عن ابن عباس بدون إسناد.

---

(١) النساء: ٤٨.

سُورَةُ الضُّحَى

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

وهي مكيّةٌ بإجماعِهم

اتَّفقَ المُفسِّرون: على أنَّ هذه السورةَ نزلت بعد انقطاعِ الوحيِ مدَّةً. ثم اختلفوا في سببِ انقطاعِه على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١٥٣٨] **أحدها**: أنَّ اليهود سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذِي القَرنَيْنِ، وعن أصحاب الكَهفِ، وعن الرُّوحِ، فقال: سأُخبِرُكم غداً، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ الله، فاحتَبَسَ عنه الوحيُ.

والثاني: لِقِلَّةِ النَّظافةِ في بعضِ أصحابه. وقد ذكرنا هذين القولين في سُورَةِ مريم(١). **والثالث**: لأَجلِ جَرْوٍ كان في بيته، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ(٢).

وفي مُدَّةِ احتباسِه عنه أقوالٌ قد ذكرناها في مريم(٣).

[١٥٣٩] ورَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث جُندُبٍ قال: قالتِ امرأةٌ مِنْ قُريشٍ

[١٥٣٨] تقدم في سورة الكهف، وأنكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١٠ كون نزول الضحى، كان بسبب سؤالهم عن ذي القرنين، وقال ما معناه: الزمن بين نزول السورة، وسؤالهم إياه غير متحد، ويجوز أن يكون قريباً.

[١٥٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٠ والبغوي في «التفسير» ٢٣٤٩ بترقيمنا عن أحمد بن يونس به. من حديث جندي. وأخرجه البخاري ١١٢٥ و ١١٢٤ و ٤٩٨٣ والترمذي ٣٣٤٥ والطبري ٣٧٥٠٤ وابن حبان ٦٥٦٦ والطبراني ١٧٠٩ والبيهقي ٣/ ١٤ وفي «الدلائل» ٧/ ٥٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٠٧ وفي «أسباب النزول» ٨٥٨ من طرق عن سفيان عن الأسود بن قيس به. وأخرجه البخاري ٤٩٥١ ومسلم ١٧٩٧ ح ١١٥ =

---

(١) مريم: ٦٥، وتقدّم الحديث، وهو حديث ضعيف، والصواب ما رواه الشيخان وهو الآتي من حديث جندب البجلي.

(٢) ضعيف جداً، هو مرسل، وله علة ثانية، وهي كونه من رواية ابنه عبد الرحمن، وهو واهٍ.
وصح هذا السياق، لكن ليس فيه نزول سورة الضحى عقب ذلك. فقد أخرج مسلم ٢١٠٥ وأبو داود ٤١٥٧ والنسائي ٧/ ١٨٦ وأحمد ٦/ ٣٣٠ وأبو يعلى ٧٠٩٣ و ٧١١٢ من طريق الزهري عن ابن السباق عن ابن عباس عن ميمونة: «أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقني. أمَ والله ما أخلفني» فظل رسول الله ﷺ يومه ذاك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماءً فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني في البارحة قال: «أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب، ولا صورة». وأخرجه مسلم ٢١٠٤ وأحمد ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣ وأبو يعلى ٤٥٠٨ من حديث عائشة بنحوه.

(٣) مريم: ٦٦.

للنبيِّ ﷺ: ما أرى شيطانَكَ إلاَّ قد وَدَعَكَ، فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، جُنْدُبُ: هو ابنُ سُفيانَ، والمرأةُ: يُقال لها: أمُّ جميلٍ امرأةُ أبي لَهَبٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

وفي المراد «بالضُّحى» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ضوءُ النهارِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صَدْرُ النهارِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أولُ ساعةٍ مِنَ النهارِ إذا ترحَّلَتِ الشمسُ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: النهارُ كلُّه، قاله الفَرَّاءُ.

وفي معنى «سَجَى» خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أظلَمَ. **والثاني**: ذهبَ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أقبَلَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: سَكَنَ، قاله عَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وابنُ زيدٍ. فعلَى هذا: في معنى «سَكَنَ» قولان: **أحدهما**: استقرَّ ظلامُه، قال الفَرَّاءُ: «سَجى» يعني أظلَمَ وركَدَ في طُولِه. كما يقال: بَحْرٌ ساجٍ، ولَيْلٌ ساجٍ: إذا ركَدَ وأظلَمَ. ومعنى: ركَدَ: سَكَنَ. قال أبو عُبيدَةَ، يُقال: ليلةٌ ساجِيةٌ، وساكنةٌ، وشاكِرةٌ. قال الحادي:

يَا حَبَّذا القَمْراءُ واللَّيلُ السَّاجْ ... وطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

قال ابنُ قُتَيبَةَ: «سَجَى» بمعنى سَكَنَ، وذلك عند تَناهي ظلامِه ورُكودِه.

والثاني: سَكَنَ الخَلْقُ فيه، ذكره المَاورديُّ.

والخامس: امتدَّ ظلامُه، قاله ابنُ الأعرابي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأنسٌ، وعُروَةُ، وأبو العاليةِ، وابنُ يعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حاتم عن يعقوبَ «مَا وَدَعَكَ» بتخفيفِ الدال. وهذا جوابُ القَسَم. قال أبو عُبيدَةَ: «ما وَدَّعك» مِنَ التوديعِ كما يُوَدَّعُ المُفارَقُ، و «مَا وَدَعَكَ» مخفَّفةٌ مِنْ ودعَهُ يدعَهُ ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: أبغَضَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قال عَطاءٌ، أي خيرٌ لكَ مِنَ الدنيا. وقال غيره: الذي لكَ في الآخرة أعظمُ ممَّا أعطاكَ مِنْ كرامةِ الدنيا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرةِ مِنَ الخير ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ بما تُعطَى. قال عليٌّ

= والطبري ٣٧٥٠٥ والطبراني ١٧١٠ و ١٧١١ وأحمد ٤/ ٣١٢ والبيهقي ٣/ ١٤ من طريقين عن الأسود بن قيس به. وفي الباب أحاديث، وهذا الحديث أصحها إسناداً وأحسنها متناً.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٢٢: وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج أي ساكناً.

والحسَنُ: هو الشفاعةُ في أُمَّتِه حتى يَرضى.

[١٥٤٠] قال ابنُ عباسٍ: عُرِضَ على رسولِ الله ﷺ ما يُفْتَحُ على أُمَّتِه مِنْ بعدِه كَفْراً كَفْراً، فَسُرَّ بذلك، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: جَعلَ لكَ مأوىً إذْ ضَمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالبٍ، فكَفَاكَ المؤونَةَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: جَعلَ لكَ مأوىً لِنفسكَ أغناكَ به عن كَفالَةِ أبي طالبٍ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: ضالاً عن معالِمِ النُّبوةِ، وأحكامِ الشريعةِ، فهَداكَ إليها، قاله الجمهورُ منهم الحسَنُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه ضَلَّ وهو صبيٌّ صغيرٌ في شِعابِ مكَّةَ، فَرَدَّهُ اللَّهُ إلى جدِّهِ عبدِ المُطَّلِبِ، رواه أبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه لمَّا خرج مع مَيْسَرةَ غلامِ خديجةَ أخذَ إبليسُ بزمامِ ناقتِه، فعَدَلَ به عن الطريق، فجاء جِبريلُ، فنَفخَ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى الحَبَشةِ، وردَّهُ إلى القافلةِ، فَمَنَّ اللَّهُ عليه بذلك؛ قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والرابع**: أنَّ المعنى: ووَجدَكَ في قومٍ ضُلاَّلٍ، فهَداكَ للتوحيد والنُّبوة، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: ووَجدَكَ نَسِيا، فهَداكَ إلى الذِّكرِ. ومثلُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾(١) قاله ثَعلَبٌ. **والسادس**: ووَجدَكَ خامِلاً لا تُذْكَرُ ولا تُعرَفُ، فهَدى الناسَ إليكَ حتى عَرفُوكَ، قاله عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ.

قوله عزَّ و جلَّ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: ذا فَقْرٍ. وأنشد:

وَمَـا يَـدْرِي الـفَـقِـيـرُ مَـتـى غِـنَـاهُ ... ومـا يَـدْرِي الـغَـنِـيُّ مَـتـى يَـعِـيـلُ(٢)

أي: يفتقِرُ. قال ابنُ قُتَيبة: العائِلُ: الفقير، كان له عِيالٌ، أو لم يَكُنْ يقال: عَالَ الرجلُ: إذا افتقَرَ. وأعالَ: إذا كَثُرَ عِيالُهُ.

وفي قوله: ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ قولان: **أحدهما**: أرضاكَ بما أعطاكَ مِنَ الرِّزقِ، قاله ابنُ السَّائبِ، واختاره الفَرَّاءُ فقال: لم يكُنْ غِناهُ عن كثرةِ المال، ولكنَّ الله رَضَّاه بما آتاهُ. **والثاني**: فأغناكَ بمالِ خديجةَ عن أبي طالبٍ، قاله جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا تَحْقِرْ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تَقْهَرْهُ على مالِه، قاله الزَّجَّاجُ.

[١٥٤٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٥١٣ من طريق الأوزاعي يحدث عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، وإسناده ضعيف الأوزاعي لم يسمعه من إسماعيل كما يدل على ذلك عبارة الراوي عنه، وكرره ٣٧٥١٤ وفيه رواد بن الجراح ضعيف.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥٧٦ عن ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف فيه معاوية بن أبي العباس مجهول، والموقوف أصح من المرفوع، فالخبر لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٧٤٦ بتخريجنا.

---

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥ و «اللسان» ـ عيل ـ.

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سائِلُ البِرّ، قاله الجمهورُ. والمعنى: إذا جاءكَ السائلُ، فإمّا أنْ تُعطِيَهُ، وإمّا أنْ تَردَّه ردًّا لَيِّناً. ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تَنْهَرهُ، يقال: نَهَرهُ وانتَهَرهُ: إذا استَقبلَهُ بكلامٍ يَزجُره. **والثاني**: أنه طالبُ العِلْمِ، قاله يَحيى بنُ آدمَ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ في النِّعمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النُّبوَّة. **والثاني**: القرآن، رُويا عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنها عامَّةٌ في جميع الخيراتِ، وهذا قولُ مُقاتِلٍ.

[١٥٤١] وقد رُويَ عن مُجاهِدٍ قال: قرأتُ على ابنِ عباسٍ. فلمَّا بلغتُ «والضُّحى» قال: كَبِّرْ إذا ختمتَ كلَّ سورةٍ حتى تَخْتِمَ. وقرأتُ على أُبيِّ بنِ كَعبٍ فأمَرَني بذلك.

[١٥٤٢] قال عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابوريُّ: ويُقال: إنَّ الأصلَ في ذلك أنَّ الوحيَ لمَّا فَتَرَ عن رسولِ الله ﷺ، وقال المشركون: قد هَجَرَهُ شيطانُه ووَدَعَه، اغتمَّ لذلكَ، فلمَّا نزلَ «والضُّحى» كَبَّرَ عند ذلك رسولُ الله ﷺ فَرَحاً بنزولِ الوحي، فاتَّخذَهُ الناسُ سُنَّةً.

[١٥٤١] ضعيف جداً. وله علتان، ابن أبي بزة، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله ضعيف منكر الحديث، وشيخه عكرمة مجهول، لم يرو عنه غيره، ولم يوثقه أحد، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٧/ ١١ من غير جرح أو تعديل، حتى ابن حبان لم يدخله في الثقات. أخرجه الحاكم ٣/ ٣٠٥ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥١٤ والذهبي في «الميزان» ١/ ١٤٥/ ٥٦٤ والبغوي في «التفسير» ٢٣٦٢ بترقيمنا. كلهم من طريق أحمد البزي به. وقال الذهبي في «الميزان» في البزي: إمام في القراءة ثبت، ثم ذكر له حديثاً غير هذا فقال: قال أبو حاتم: هذا حديث باطل. وقال العقيلي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم ضعيف الحديث، لا أحدث عنه ـ وقال ابن أبي حاتم: روى حديثاً منكراً. ثم أسند الذهبي هذا الحديث، وقال: هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البزي، قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. وقال العقيلي في «الضعفاء» ١/ ١٢٧: منكر الحديث، يوصل الأحاديث.
قلت: وعكرمة بن سليمان مجهول كما تقدم، لم يوثقه أحمد، ولا روى عنه سوى البزي، وهو ضعيف، فيزيد هذا من جهالته. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٢٠: أحمد البزي ضعفه أبو حاتم، لكن ورد عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال: أحسنت، وأصبت السنة حكاه أبو شامة المقدسي، في «شرح الشاطبية»، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. كذا قال رحمه الله؟!! ولعل هذا لا يصح عن الشافعي، فإن خبراً واهياً، لا يصلح للاحتجاج به، وبخاصة إدخال شيء في الصلاة، ليس منها، والدليل على عدم صحته عن الشافعي، أنه ليس في مذهب الشافعية تكبير في الصلاة عند الانتقال من سورة إلى سورة بعد الضحى، والأشبه أن هذه السنة هي سنة عكرمة بن سليمان ذاك الشيخ المجهول، فحملها عنه البزي، ثم حملها عنه آخرون. ولو ثبت هذا عند الشافعي لرواه في المسند أو السنن أو الأم، بل لو صح هذا لرواه الأئمة الستة وغيرهم لاشتهاره، والصواب أن هذا سنة شيخ مجهول، والله أعلم.
والخلاصة: الإسناد ضعيف، والمتن منكر كما قال أبو حاتم وغيره، وهذا مما ينبغي أن يشتهر لو صح، فلما لم يرو إلا بهذا الطريق علم أنه شبه موضوع.

[١٥٤٢] تقدم أن هذا الحديث صحيح دون ذكر التكبير، انظر الحديث رقم ١٥٣٩ ولا أصل له بهذا اللفظ ـ قال ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٢١: لم يرو ذلك بإسناد وقد مضى في الذي قبله، الكلام على التكبير مما يغني عن الإعادة هنا.

سُورَةُ الشَّرْح

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشَّرْحُ: الفتحُ بإذهاب ما يَصُدُّ عن الإدراك. والله تعالى فَتَحَ صدرَ نبيِّه للهدى والمعرفة بإذهاب الشَّواغلِ التي تصدُّ[1] عن إدراك الحقِّ. ومعنى هذا الاستفهام التقريرُ، أي: فعلنا ذلك[2] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: حَطَطْنا عنكَ إثْمَكَ الذي سَلَفَ في الجاهلية، قاله ابنُ عباس، والحسَنُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ في آخرين. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنه غَفرَ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخَّر. قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل الوِزْر: ما حمله الإنسانُ على ظهره، فَشُبِّه بالحِمْلِ فجُعِلَ مكانَه. وبمعنى ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أثقلَهُ حتى سمع نقيضَه، أي: صوتَه. وهذا مَثَلٌ، يعني: أنه لو كان حملاً يُحمل لَسُمِعَ نقيضُ الظَّهْرِ منه. وذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بهذا تخفيفُ أعباءِ النُّبوة التي يُثْقِلُ القيامُ بها الظَّهْرَ، فَسَهَّلَ اللَّهُ له ذلك حتى تيسَّرَ عليه الأمر. وممن ذهب إلى هذا عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

[١٥٤٣] أحدها: ما روى أبو سعيدٍ الخُدْريُّ عن رسول الله ﷺ أنه سأل جِبريلَ عن هذه الآية،

[١٥٤٣] ضعيف. أخرجه أبو يعلى ١٣٨٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/٥١٦ من طريق ابن لهيعة به. وإسناده واهٍ، فيه =

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥: يقول تعالى: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾**، يعني أما شرحنا لك صدرك؟ أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً، كقوله: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٣٣: والصواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: التين: هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك معروف عند العرب، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون، والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، لأن دمشق هي منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون.

فقال: قال الله عزَّ وجلَّ: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي. قال قَتادَةُ: فليس خطيبٌ، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحبُ صلاةٍ إلاَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله، وهذا قولُ الجمهور.

والثاني: رَفعنا لكَ ذِكْرَكَ بالنُّبوة، قاله يَحيى بنُ سَلام. **والثالث**: رَفعنا لكَ ذِكْرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: رَفعنا لكَ ذِكْرَكَ عند الملائكة في السماء. **والخامس**: بأخذِ الميثاقِ لكَ على الأنبياء، وإلزامِهم الإيمانَ بكَ، والإقرارَ بفضلِكَ، حكاهما الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ضمَّ سينَ «العُسر» وسينَ «اليُسر» أبو جعفرَ و «العُسر» مذكورٌ في الآيتين بلفظِ التعريف. و «اليُسر» مذكورٌ بلفظِ التنكير، فدلَّ على أنَّ العُسرَ واحدٌ، واليُسرَ اثنان. قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ في هذه الآية: لن يَغلِبَ عُسْرٌ يُسْرين. قال الفَرَّاءُ: العرب إذا ذَكَرَتْ نَكِرَةً ثم أعادَتها بنكرةٍ صارت اثنتين، كقولكَ: إذا كَسبتَ دِرهماً فأنفِقْ دِرهماً، فالثاني غيرُ الأولِ، وإذا أعادَتْها معرفةً، فهي مِنْ قولكَ: إذا كَسبتَ دِرهماً فأنفِقِ الدِّرهَمَ، فالثاني هو الأول. ونحوَ هذا قال الزَّجَّاجُ: ذَكَرَ العُسْر بالألفِ واللامِ، ثم ثَنَّى ذِكْرَه، فصار المعنى: إنَّ مع العُسرِ يُسْرَين. وقال الحُسَينُ بنُ يَحيى الجُرجانيُّ ـ ويُقال له: صَاحبُ النَّظْم ـ: معنى الكلام: لا يَحزُنكَ ما يُعَيِّرُكَ به المشركون مِنَ الفقر «فإنَّ مع العُسر يُسراً» عاجلاً في الدنيا، فأنجزَه بما وَعدَه اللَّهُ، بما فَتحَ عليه، ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال: «إنَّ مع العُسر يُسراً» والدليل على ابتدائه تعرّيه من الفاء والواو، وهو وَعدٌ لجميع المؤمنين أي إنَّ مع عُسرِ المؤمنين يُسراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يَغلبَ عُسرٌ يُسْرَين: لن يَغلِبَ عُسرُ الدنيا اليُسرَ الذي وَعدَهُ اللَّهُ المؤمنين في الدنيا، واليُسرُ الذي وعدهم في الآخرة، إنما يَغلبُ أحدَهما، وهو يُسْرُ الدنيا. فأمَّا يُسْرُ الآخرة، فدائمٌ لا ينقطع، كقوله ﷺ:

[١٥٤٤] «شهرا عيدٍ لا يَنقُصان»، أي: لا يجتمعانِ في النَّقْصِ. وحُكِيَ عن العتبي قال: كنتُ ذاتَ ليلةٍ في البادية بحالةٍ مِنَ الغَمِّ، فأُلقِيَ في رَوعِي بيتٌ مِنَ الشعر، فقلتُ:

أَرَى المَوْتَ لِمَنْ أَصْبَـ ... ـحَ مَغْمُوماً لَهُ أَرْوَحْ

فلمَّا جَنَّ الليلُ سمعتُ هاتِفاً يهتِفُ:

أَلا يا أَيُّها المَرءُ الَّـ ... ـذي الهَمُّ بِهِ بَرَّحْ
وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتاً لَمْ ... يَزَلْ في فِكْرِهِ يَسْبَحْ
إذا اشتدَّ بكَ العُسْرُ ... فَفَكِّرْ في «أَلَمْ نَشْرَحْ»
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ ... إذا أَبْصَرْتَهُ فَافْرَحْ

فحفظتُ الأبياتَ وفرَّجَ اللَّهُ غمّي.

= ابن لهيعة ضعيف، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف أيضاً. وأخرجه الطبري ٣٧٥٣٢ وابن حبان ٣٣٨٢ من طريق عمرو بن الحارث عن دراج به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٤٥ وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. كذا قال؟! مع أن في إسناد أبي يعلى ابن لهيعة، ودراج.

[١٥٤٤] صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٢ ومسلم ١٠٨٩ وأبو داود ٢٣٢٣ والترمذي ٦٩٢ وابن ماجه ١٦٥٩ وأحمد ٥/ ٣٨ و ٤٧ و ٤٨ والطيالسي ٨٦٣ والطحاوي ٢/ ٥٨ وابن حبان ٣٢٥ والبيهقي ٤/ ٢٥٠ من طرق عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: فاذأَبْ في العمل، وهو مِنَ النَّصَبِ، والنَّصَبُ: التعبُ، الدُّؤوبُ في العمل. وفي معنى الكلام ستةُ أقوالٍ **أحدها**: فإذا فَرَغتَ مِنَ الفرائض فانْصَبْ في قيامِ الليل، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: فإذا فَرَغتَ مِنَ الصلاة فانْصَبْ في الدعاءِ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: فإذا فَرَغتَ مِنْ جهالةِ عدوِّكَ فانْصَبْ لعبادة ربِّكَ، قاله الحسَنُ وقَتادَةُ. **والرابع**: فإذا فَرَغتَ مِنْ أمرِ دُنياكَ فانْصَبْ في عمل آخرتِكَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: فإذا فَرَغتَ مِنَ التشهُّد فادْعُ لدُنياكَ وآخرتِكَ، قاله الشَّعْبيُّ والزُّهريُّ. **والسادس**: إذا صَحَّ بدنُكَ فاجعلْ صحتَكَ نَصباً في العبادةِ، ذكره عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ.

قوله ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ قال الزَّجَّاجُ: اجعَلْ رغبتَكَ إلى الله عزَّ وجلَّ وحدَهُ.

سورة التين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله الجمهور، منهم الحسَنُ، وعَطاءٌ. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، حكاه المَاوَرديُّ عن ابنِ عباسٍ، وقتادةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فيها سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه التينُ المعروف، والزيتونُ المعروف، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وإبراهيمُ. وذَكرَ بعضُ المفسِّرين أنه إنما أقسَمَ بالتين لأنها فاكهةٌ مُخلَّصةٌ مِنْ شائبِ التَّنغيصِ، وهو يدل على قدرةِ مَنْ هيَّأه على تلك الصفة، وجعلَ الواحدَ منه على مقدارِ اللُّقمةِ، وإنما أقسَمَ بالزيتون لِكثرةِ الانتفاعِ به. **والثاني**: أنَّ التينَ: مسجدُ نُوحٍ الذي بُني على الجُودي. والزيتونَ: بيتُ المَقدسِ، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: التينُ: المسجدُ الحرامُ، والزيتونُ: المسجدُ الأقصى، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: التينُ: مسجدُ دمشقَ، والزيتونُ: بيتُ المَقدسِ، قاله كَعْبٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنهما جبلانِ، قاله عِكرمَةُ في روايةٍ. ورُوِيَ عن قَتادةَ قال: التينُ: الجبلُ الذي عليه دمشقُ، والزيتونُ: الجبلُ الذي عليه بيتُ المَقدسِ. **والسادس**: أنَّ التينَ: مسجدُ أصحابِ الكَهفِ، والزيتونَ: مسجدُ إيلْيَاءَ، قاله القُرَظيُّ. **والسابع**: أنَّ التينَ: جبالُ ما بين حُلْوانَ إلى هَمَذانَ، والزيتونَ: جبالُ الشام، حكاه الفَرَّاءُ. فأمَّا ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فالطُّورُ: جبلٌ. وفيه قولان[2]: **أحدهما**: أنه الجبلُ الذي كَلَّمَ اللَّهُ موسى عليه، قاله كَعْبُ الأحبارِ في الأكثرين. **والثاني**: أنه جبلٌ بالشام، قاله قَتادةُ.

فأمَّا ﴿سِينِينَ﴾ فهو لُغةٌ في سَيْناءَ. وقد قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وأبو العاليةِ، وأبو مِجْلَزٍ «وطور سَيناء» ممدودةً مهموزةً، مفتوحةَ السين. وقرأ ابنُ مسعودٍ،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٣٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطول هو جبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال: معناه: حسن أو مبارك لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك.

وأبو الدَّرْداءِ، وأبو حَيْوَةَ «وطور سِيناء» مثلَهم إلاَّ أنهم كَسَروا السين. وقرأ أبو رَجاءٍ، والجَحْدَرِيُّ «سَينين» كما في القرآن، لكنَّهما فَتَحا السينَ. وقال ابنُ الأنباري: «سِينِين» هو سَيناءُ.

واختلفوا في معناه؛ فقيل: معناه: الحَسَنُ. وقيل: المُبارَكُ. وقيل: إنه اسمٌ للشجر الذي حولَه. وقد شرحنا هذا في سُورَةِ المؤمنون[١] قال الزَّجّاجُ: وقد قُرِئَ ها هنا «وطور سَيْناء» وهو أشبَهُ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾. وقال مُقاتِلٌ: كلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مثمرٌ فهو سِينِينَ، وسَيناء بلُغةِ النَّبَطِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ يعني: مكَّةَ يأمَنُ فيه الخائفُ في الجاهلية، والإسلام[٢]. قال الفَرّاءُ: ومعنى «الأمين» الآمِنُ. والعرب تقول للآمِن: أَمِينٌ.

قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمي يا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّني ... حَلَفْتُ يَميناً لا أَخُونُ أَمِيني

يريد آمِني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذا جوابُ القَسَم. وفي المراد بالإنسان ها هنا خمسةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه كَلَدَةُ بنُ أَسِيدٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الوليدُ بنُ المُغيرةِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أبو جَهلٍ بنُ هشام. **والرابع**: عُتْبةُ، وشَيْبةُ، حكاهما الماوَرديُّ. **والخامس**: أنه اسمُ جنسٍ، وهذا مذهب كثيرٍ مِنَ المُفَسِّرين، وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: في أعدَلِ خَلْقٍ. **والثاني**: مُنْتَصِبُ القامةِ، رُوِيا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: في أحسنِ صورةٍ، قاله أبو العاليةِ. **والرابع**: في شبابٍ وقوةٍ، قاله عِكرِمَةُ.

قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فيه قولان[٥][٤]: **أحدهما**: إلى أرذَلِ العُمُرِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ، وقَتادَةُ. وقال الضَّحّاكُ: إلى الهَرِمِ بعد الشباب، والضَّعفِ بعد

---

(١) المؤمنون: ٢٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٢٨: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأولى محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام والثالث: مكة: وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ.

(٣) والقول الخامس هو الصواب: أنه اسم جنس ولم يكن المراد منه إنسان باسمه.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٣٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله: ﴿أحسن تقويم﴾ إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٢٨: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي: إلى أرذل العمر. روي هذا عن ابن عباس وعكرمة، واختاره ابن جرير الطبري ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم إنما المراد ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى النار، كقوله ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذي آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

القوّة. والسّافِلُون: هم الضعفاء، والزَّمْنَى، والأطفالُ، والشيخُ الكبيرُ أسفَل هؤلاءِ جميعاً، قال الفَرّاءُ: وإنما قال: «سافِلِيْن» على الجمع، لأنَّ الإنسانَ في معنى جمعٍ. تقول: هذا أفضلُ قائم، ولا تقول: قائِمِيْن، لأنكَ تريدُ واحداً، فإذا لم تُردْ واحداً ذَكَرتَه بالتوحيد وبالجمع. **والثاني**: إلى النَّار، قاله الحسَنُ، وأبو العاليةِ، ومُجاهِدٌ. والمعنى: إنَّا نفعل هذا بكثيرٍ مِنَ الناس. تقول العرب: أنفقَ فلانٌ مالَهُ على فُلانٍ، وإنما أنفقَ بعضَه، ومثلُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[1] لم يُرِدْ كُلَّ ماله. ثم استثنى مِنَ الإنسان فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأنَّ معنى الإنسان الكثير. وللمُفسِّرين في معنى الاستثناء قولان: **أحدهما**: إلاَّ الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّونَ إلى الخَرَفِ، وأَرْذَلِ العُمرِ وإنْ عُمِّروا طويلاً، وهذا على القولِ الأولِ. قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قرأ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمرِ. وقال إبراهيمُ النَّخعيُ: إذا بَلغَ المؤمنُ مِنَ الكِبَر ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعملُ، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال ابنُ قُتَيبة: المعنى: إلاَّ الذين آمنوا في وقتِ القوّة والقدرةِ، فإنهم في حالِ الكِبَر غيرُ مَنْقوصِين وإنْ عَجِزوا عن الطاعاتِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلم أنه لو لم يَسْلُبْهُم القوَّةَ لم ينقطعوا عن أفعالِ الخير، فهو يُجري لهم أجرَ ذلك. **والثاني**: إلاَّ الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النَّارِ. وهذا على القولِ الثاني. وقد شرحنا معنى «المَمْنُون» في «نَ»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فما يُكذِّبكَ أيُّها الإنسانُ بعدَ هذه الحُجَّةِ «بالدِّين» أي: ما الذي يَجعلُكَ مُكذِّباً بالجزاء؟!، وهذا توبيخٌ للكافر، وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ. وزعم أنها نزلت في عَدِيِّ بن رَبيعَةَ. **والثاني**: فمَنْ يَقدِرُ على تكذيبِكَ بالثواب والعقاب بعدَما تبيَّنَ له خَلْقُنا الإنسانَ على ما وَصَفنا، قاله الفَرَّاءُ. فأمَّا «الدِّين» فهو الجزاءُ. والمُشارُ إليه بذكره إلى البَعثِ، كأنه استدلَّ بتَقلُّبِ الأحوال على البَعثِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: بأقضى القاضِيْن. قال مُقاتِلٌ: يحكم بينكَ وبين مُكذِّبيكَ. وذكر بعضُ المُفسِّرين: أنَّ معنى هذه الآية تسليتُه في تَرْكِهم والإعراضِ عنهم. ثم نُسِخَ هذا المعنى بآيةِ السيف.

---

(١) الليل: ١٨. (٢) نَ: ٣.

سُورَةُ العَلَق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

وتُسمَّى: سُورَة القَلَم، وسُورَة اقرأ، وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم. وهي أولُ ما نزل مِن القرآن. وقيل: إنما أُنزِلَ عليه في أولِ الوحي خمسُ آياتٍ منها، ثم نَزَلَ باقيها في أبي جَهْلٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ قرأ أبو جعفرَ بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عُبيدَة: المعنى: «اقرأ اسمَ ربِّكَ» والباءُ زائدةٌ.

وقال المُفسِّرون: المعنى: اذكر اسمَهُ مُستَفْتِحاً به قراءَتَك. وإنما قال عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ لأنَّ الكفار كانوا يعلمون أنه الخالقُ دونَ أصنامِهم. والإنسانُ هاهنا: ابنُ آدمَ. والعَلَقُ: جمعُ عَلَقَةٍ، وقد بيَّنَّاها في سُورَةِ الحَجِّ[1] قال الفَرَّاءُ: لمَّا كان الإنسانُ في معنى الجمع جمعَ العَلَقَ مع مُشاكَلَةِ رؤوسِ الآياتِ..

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ تكريرٌ للتأكيد. ثم استأنَفَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الخَطَّابيُّ: الأكرَمُ: الذي لا يُوازِيهِ كريمٌ، ولا يُعادِلُه في الكَرَم نظيرٌ. وقد يكون الأكرَمُ بمعنى الكريم، كما جاء الأعَزُّ والأَطْوَلُ، بمعنى العزيزِ والطَّويلِ. وقد سبقَ تَفسيرُ الكريم.

قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي: عَلَّمَ الإنسانَ الكتابةَ بالقلمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ مِن الخَطِّ، والصَّنائعِ، وغيرِ ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمَّدٌ ﷺ.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ أي: حقّاً. وقال مُقاتِلٌ: ﴿كَلَّا﴾ لا يعلَمُ أنَّ اللهَ عَلَّمَهُ. ثم استأنف فقال

(١) مضى في أول سورة الحج.

عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ يعني: أبا جهْلٍ. وكان إذا أصاب مالاً أشِرَ وبطِرَ في ثيابه، ومراكِبه، وطعامِه قوله: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: أنْ رأى نَفْسَه استغنى. و «الرُّجعى» المَرجعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ معنى: أرأيتَ: تَعجيبُ المُخاطَبِ، وإنما كرَّرها للتأكيد والتَّعجيبِ. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جَهلٍ.

[١٥٤٥] قال أبو هُريرَة: قال أبو جَهْلٍ: هل يُعفِّرُ محمَّدٌ وَجْهَه بين أظْهرِكم؟ قالوا: نعم. قال: فبالَّذي يَحلِفُ به لَئِنْ رأيتُه يفعلُ ذلك لأطَأنَّ على رقبتِه. فقال له: ها هو ذاكَ يُصلِّي. فانطلَقَ لِيَطَأَ على رَقبتَهُ، فما فَجأَهُم إلاّ وهو يَنْكِصُ على عَقِبَيْهِ، ويتَّقي بيديه، فأتَوْه، فقالوا: ما لكَ يا أبا الحَكَمِ؟ فقال: إنَّ بيني وبينَه خندقاً مِنْ نارٍ، وهَولاً وأجْنِحَةً. وقال نبيُّ الله ﷺ: «والذي نَفْسي بيدِه لو دَنا منِّي لاخْتَطفَتْهُ الملائكةُ عُضواً عُضواً»، فأنزلَ الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ إلى آخرِ السُّورة.

[١٥٤٦] وقال ابنُ عباسٍ: كان النبيُّ ﷺ يُصلي، فجاء أبو جَهْلٍ فقال: أَلَمْ أنْهَكَ عن هذا؟! فانصرفَ إليه النبيُّ ﷺ فَزَبَرَه[1]، فقال أبو جَهلٍ: واللهِ إنكَ لَتَعلَمُ ما بها نادٍ أكثرُ منِّي، فأنزلَ الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: واللهِ لو دَعا نادِيَهُ لأخَذَتْهُ زَبانِيَةُ اللهِ.

قال المُفسِّرون: والمراد بالعبد هاهنا: محمَّدٌ ﷺ. وقيل: كانت الصلاةُ صلاةَ الظُّهرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني المَنهِيَ وهو النبيُّ ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني: النَّاهي، وهو أبو جَهلٍ، قال الفرَّاءُ: والمعنى: أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلَّى، وهو كاذبٌ مُتولٍّ عن الذِّكرِ، وأيُّ شيءٍ أعجبُ مِنْ هذا؟! وقال ابنُ الأنباري: تقديره: أرأيتَه مُصيباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ يعني أبا جهلٍ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ذلك فيُجازيَهُ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلمُ ذلك ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن تكذيبِ محمدٍ وشَتْمِه وإيذائِه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ السَّفْعُ: الأَخْذُ، والنَّاصِيةُ: مُقدَّمُ شعرِ الرأس. قال أبو عُبيدَة: يقال: سَفَعتُ بيده، أي: أخذتُ بها. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: سَفَعتُ بالشيءِ: إذا قَبضتُ عليه وجَذَبْتُهُ جَذْباً شديداً. والمعنى: لَنَجُرَّنَّ ناصيتَه إلى النَّارِ.

[١٥٤٥] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٩٧ والبغوي في «التفسير» ٢٣٧٢ من طريق عبيد الله بن معاذ ومحمد بن الأعلى القيسي من حديث أبي هريرة.
وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٨٣ وأحمد ٢/ ٣٧٠ وابن حبان ٦٥٧١ والبيهقي ٢/ ١٩ وأبو نعيم في «الدلائل» ١٥٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٢٩ من طرق عن معتمر بن سليمان به. وأخرجه الطبري ٣٧٦٨٧ من طريق ابن ثور عن أبيه عن نعيم بن أبي هند به.
[١٥٤٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٨ وعبد الرزاق في «التفسير» ٣٦٦٠ والطبري ٣٧٦٨٩ من حديث ابن عباس.

---

(١) فزبره: نهره وأغلظ عليه. قلت: وما زالت هذه الآية التي نزلت في شأن أبي جهل مستمرة شاملة لكل من يمنع الصلاة بأي شكل من الأشكال، سواء كانت بالقوة، أو بمجرد تخويف، أو تهديد وسواء كان في الأماكن العامة أو بالأماكن الخاصة، وسواء كان مباشر، أو بصورة غير مباشرة، فهؤلاء كلهم آباء جهل وهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة إذ لا يعبدون الله، وإذا عبدوا كانوا يراؤون الناس، ومع ذلك يصدون عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. نسأل الله السلامة، وحسن الختام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي بدلٌ، فلذلك جرَّها. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: بناصِيَةٍ صاحبُها كاذبٌ خاطِئٌ، كما يُقال: نَهارُهُ صائمٌ، ولَيلُه قائمٌ، أي: هو صائمٌ في نهارِه، قائمٌ في ليلِه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي: أهلَ نادِيهِ، وهم أهلُ مجلِسه فَلْيستَنْصِرهم ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال عَطاءٌ: هم الملائكةُ الغِلاظُ الشِّدادُ، وقال مُقاتِلٌ: هم خَزَنَةُ جهنَّمَ. وقال قَتادَةُ: الزَّبانيةُ في كلام العرب: الشُّرَطُ. قال الفَرَّاءُ: كان الكِسَائيُّ يقول: لم أسمَعْ للزَّبانيةِ بواحدٍ، ثم قال بأَخَرَةٍ: واحدُ الزَّبانيةِ: زِبْنِيٌّ، فلا أدري أَقِياساً منه أو سَماعاً. وقال أبو عُبيدَةَ: واحدُ الزَّبانيَةِ: زِبْنِيَة، وهو كلُّ مُتمرِّدٍ مِنْ إنسٍ، أو جانٍ. يُقال: فلانٌ زِبْنِيَة عِفرِيَة. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهو مَأْخوذٌ مِنَ الزَّبْنِ، وهو الدَّفْعُ، كأنهم يَدفعون أهلَ النَّارِ إليها. وقال ابنُ دُرَيدٍ: الزَّبْن: الدَّفع. يقال: ناقةٌ زَبُونٌ: إذا زَبَنَتْ حالِبَها. ودَفعتْهُ بِرِجْلِها. وتَزابَنَ القومُ: تَدارَؤُوا. واشتقاقُ الزَّبانيَةِ مِنَ الزَّبْنِ. واللهُ أعلَمُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ على ما عليه أبو جَهلٍ ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في تركِ الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾ أي: صَلِّ للهِ ﴿وَٱقْتَرِب﴾ إليه بالطاعة، وهذا قولُ الجمهور أَنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱقْتَرِب﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ. وقد قيلَ: إنه خِطابٌ لأبي جَهلٍ: ثم فيه قولان: **أحدهما**: أن المعنى: اسجُدْ أنتَ يا محمَّدُ، واقترِبْ أنتَ يا أبا جَهْلٍ إلى النَّار، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والثاني**: واقترِبْ يا أبا جَهْلٍ تَهَدُّداً له، رواه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ عن بعضِ القُدَماء وهذا يشرحه حديثُ أبي هُريرَةَ الذي قدَّمناه.

[١٥٤٧] ورَوى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أقربُ ما يكون العبدُ مِنْ ربِّه وهو ساجدٌ فأَكْثِرُوا الدُّعاءَ».

[١٥٤٧] صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٢ والنسائي ٢/ ٢٢٦ وأحمد ٢/ ٤٢١ وأبو يعلى ٦٦٥٨ وابن حبان ١٩٢٨ وأبو عوانة ٢/ ١٨٠ والبيهقي ٢/ ١١٠ من طرق عن ابن وهب به. من حديث أبي هريرة. وأخرجه أبو داود ٨٧٥ عن أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو، ومحمد بن سلمة به. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٦٥٩ وفي «التفسير» ٢٣٧٣ من طريق أبي داود سليمان بن الأشعث به.

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الضَّحّاكُ، ومُقاتِلٌ. قال الماوَرديُّ: الأول قول الأكثرين. وقال الثَّعلَبيُّ: الثاني قولُ الأكثرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وذلك أنه أُنزِلَ جُملةً في تلك الليلةِ إلى بيتِ العِزَّة، وهو بيتٌ في السماء الدنيا. وقد ذَكرنا هذا الحديثَ في أولِ كتابِنا. والهاء في «إنا أنزلناه» كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ. وقال الزَّجّاجُ: قد جرى ذِكرُه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾.

فأمّا ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ففي تسمِيَتِها بذلك خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ القَدْرَ: العَظَمةُ، مِنْ قولكَ: لِفلانٍ قَدْرٌ، قاله الزُّهْريُّ. ويشهد له قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[١]. **والثاني**: أنه مِنَ الضِّيقِ، أي: هي ليلةٌ تضيقُ فيها الأرض عن الملائكةِ الذين ينزلون، قاله الخليلُ بنُ أحمدَ، ويَشهدُ له قولُه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢]. **والثالث**: أنَّ القَدْرَ: الحُكمُ كأن الأشياء يقدَّرُ فيها، قاله ابنُ قُتَيبة. **والرابع**: لأنَّ مَنْ لم يكن له قَدْرٌ صار بمُراعاتِها ذا قَدْرٍ، قاله أبو بكرٍ الوَرّاقُ. **والخامس**: لأنه نزل فيها كتابٌ ذُو قَدْرٍ، وتنزل فيها رحمةٌ ذاتُ قَدْرٍ، وملائكةٌ ذُوو قَدْرٍ، حكاه شيخنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله.

فصل[٣]: اختلف العلماء هل ليلةُ القَدْرِ باقيةٌ، أَمْ كانت في زمن النبيِّ ﷺ خاصَّةً؟ والصحيح بقاؤها.

---

(١) الأنعام: ٩١، والزمر: ٦٧. (٢) الطلاق: ٧.

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٣٣، في الصحيح فيها وترجيح سبل النظر الموصلة إلى الحق منها: أنا نقول: إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ فأفاد هذا بمطلقه، لو لم يكن كلام سواه، أنها في العام كله، لقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ فأنبأنا الله أنه أنزله في ليلة من العام، فقلنا: من يقم الحول يصب ليلة القدر، ثم نظرنا إلى قوله ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ فأفادنا ذلك أن تلك الليلة هي من شهر رمضان، ثم أخبر في الصحيح أنها في العشر الأواخر، وتواطأت روايات الصحابة على أنها في العشر الأواخر، وخبأها عن التعيين ليكون ذلك أبرك على الأمة في القيام في طلبها شهراً أو أياماً، فيحصل مع ليلة القدر ثواب غيرها، فهذه سبل النظر المجتمعة من القرآن والحديث أجمع ـ على ما سيأتي ـ فتبصروها لمماً، واسلكوها أمماً إن شاء الله.

وهل هي في جميع السَّنَةِ، أم في رمضانَ؟ وفيه قولان: **أحدهما**: في رمضانَ، قاله الجمهور **والثاني**: في جميعِ السَّنةِ، قاله ابنُ مسعودٍ.

واختلف القائلون بأنها في شهرِ رمضانَ هل تختصُّ ببعضِه دونَ بعضٍ؟ على قولين: **أحدهما**: أنها في العَشرِ الأواخرِ، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديثِ الصِّحاح تدلُّ عليه.

[١٥٤٨] وقد رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الْتَمِسُوها في العَشرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ، في تاسعةٍ تبقى، أو سابعةٍ تبقى؛ أو في خامسةٍ تبقى».

[١٥٤٩] وفي حديثِ أبي بَكْرَةَ قال: ما أنا بمُلْتَمِسها لشيءٍ سمعتُه مِنْ رسول الله ﷺ، إلاَّ في العَشرِ الأواخرِ، فإني سمعتُه يقول: «الْتَمِسُوها في تسعٍ يبقَيْنَ، أو سبعٍ يبقَيْنَ، أو خمسٍ يبقَيْنَ، أو ثلاثٍ يبقين، أو آخِرِ ليلةٍ».

والقول الثاني: أنها في جميع رمضانَ، قاله الحَسنُ البَصْريُّ.

واختلف القائلون بأنها في العَشرِ الأواخر هل تختصُّ لياليَ الوِترِ دونَ الشَّفْعِ؟ على قولين:

أحدهما: أنها تختصُّ الأفرادَ، قاله الجمهور. والأحاديثُ الصِّحاح كلُّها تدلُّ عليه.

[١٥٥٠] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدْري عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ابتغُوها في العشرِ الأواخرِ في الوِترِ منها».

والثاني: أنها تكون في الشَّفْعِ كما تكون في الوِترِ، قاله الحَسَنُ. ورُوِيَ عن الحسَنِ ومالكِ بن أنسٍ قالا: هي ليلةُ ثماني عشرةَ.

واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخصِّ الليالي بها على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الأخصَّ بها ليلةُ إحدى وعشرين.

[١٥٥١] فرَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدْري قال: اعتَكَفَ

[١٥٤٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢١ من حديث ابن عباس ولم أره بهذا اللفظ لا في الموطأ ولا في مسلم.
ـ وانظر الحديث الآتي عن أبي سعيد الخدري.

[١٥٤٩] صحيح. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ من طريق عبد الله بن حامد بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي ٧٩٤ والحاكم ١/ ٤٣٨ وأحمد ٥/ ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ وابن خزيمة ٢١٧٥ والطيالسي ٨٨١ والبيهقي في «الشعب» ٣٦٨١ من حديث أبي بكرة، وإسناده صحيح.

[١٥٥٠] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٧ وأبو داود ١٣٨٢ وابن خزيمة ٢٢٤٣ وابن حبان ٣٦٧٣ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ من طرق عن مالك به. من حديث أبي سعيد. وأخرجه البخاري ٢٠١٨ من طريق ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد به. وأخرجه مسلم ١١٦٧ ح ٢١٥ وابن خزيمة ٢١٧١ وابن حبان ٣٦٨٤ والبيهقي ٤/ ٣١٤ ـ ٣٠٥ من طريق عمارة بن غزية، عن محمد بن إبراهيم به. وأخرجه البخاري ٢٠٤٠ وأحمد ٣/ ٧ و ٢٤ والحميدي ٧٥٦ من طرق عن أبي سلمة به. وأخرجه البخاري ٦٦٩ و ٨١٣ و ٢٠١٦ ومسلم ١١٦٧ ح ٢١٦ وأحمد ٣/ ٦٠ و ٧٤ و ٩٤ والطيالسي ٣١٨٧ وعبد الرزاق ٨٦٨٥ وابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ ـ ٧٧ ـ وابن حبان ٣٦٨٥ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة. وأخرجه مالك ١/ ٣١٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٨١٩ عن يزيد بن عبد الله به.

[١٥٥١] هو الحديث المتقدم ١٥٥٠.

رسولُ الله ﷺ العشرَ الأوسطَ واعتكفنا معه، فلمَّا أصبَحنا صبيحةَ عشرينَ رَجعَ، ورَجعنا معه، وأُرِيَ ليلةَ القَدْرِ، ثم أنسِيها، فقال: «إنّي رأيتُ ليلةَ القَدْرِ، ثم أُنسِيتُها وأُرَاني أَسجُدُ في ماءٍ وطينٍ، فمَنِ اعتكَفَ فليَرْجِعْ إلى مُعتكَفِه، وهاجَتْ علينا السماءُ آخرَ تلك العَشِيَّةِ، وكان سَقْفُ المسجدِ عَرِيْشاً مِنْ جَريدٍ، فوَكَفَ المسجدُ فوَالذي هو أكرَمَه، وأنزلَ عليه الكتابَ لَرَأيْتُه يصلي بنا المَغربَ ليلةَ إحدى وعشرين، وإنَّ جبهتَه وأرْنَبَةَ أنفِه لَفِي الماءِ والطينِ، وهذا مذهبُ الشَّافعي.

والثاني: أنَّ الأخصَّ بها ليلةُ ثلاثٍ وعشرين.

[١٥٥٢] ورَوى أبو هُريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ليلةَ ثلاثٍ وعشرين: «اطلُبوها الليلةَ».

[١٥٥٣] ورَوى ابنُ عمرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ كان منكم يريدُ أنْ يقومَ مِنَ الشهر شيئاً فَلْيَقُمْ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين».

[١٥٥٤] ورَوى مسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث عبدِ الله بنِ أُنَيسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، ثم نسيتُها، وأُرَاني صبيحَتَها أسجدُ في ماءٍ وطينٍ. قال: فمُطِرْنا ليلةَ ثلاثٍ وعشرين، فصَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ فأبصرتُه وإنَّ أثرَ الماءِ والطينِ على جبهتِه وأنفِه. قال: وكان عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ يقول: ليلةَ ثلاثٍ وعشرين.

[١٥٥٥] **والثالث**: ليلةَ خمسٍ وعشرين ورَوى هذا المعنى أبو بَكْرَةَ عن النبيِّ ﷺ.

والرابع: ليلةَ سبعٍ وعشرين.

[١٥٥٦] رَوى مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: مَنْ كان مُتحرِّياً

[١٥٥٢] صحيح. أخرجه ابن ماجه ١٦٥٦ وأحمد ٢/ ٢٥١ وابن حبان ٢٥٤٨ والبيهقي ٤/ ٣١٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٤ من حديث أبي هريرة، وإسناده على شرط الشيخين.

[١٥٥٣] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠١٥ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٠٥ وابن حبان ٣٦٧٥ والبيهقي ٤/ ٣١٠ و ٣١١ من طرق عن مالك به ـ وأخرجه مالك ١/ ٣٣١ والبغوي في «شرح السنة» ١٨١٧ عن نافع به. وأخرجه البخاري ١١٥٨ وأحمد ٢/ ١٧ وعبد الرزاق ٧٦٨٨ وابن خزيمة ٢١٨٢ والبيهقي ٤/ ٣١٠ ـ ٣١١ من طريق عن نافع به. وأخرجه البخاري ٦٩٩١ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٠٧ وأحمد ٢/ ٣٧ والدارمي ٢/ ٢٨ والبيهقي ٤/ ٣١١ من طريق الزهري عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر به. وأخرجه ابن خزيمة ٢٢٢٢ من طريق حنظلة بن أبي سفيان عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر به. وأخرجه مسلم ١١٦٥ ح ٢٠٨ وأحمد ٢/ ٨ و ٣٦ وعبد الرزاق ٧٦٨١ من طرق عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

[١٥٥٤] صحيح. أخرجه مسلم ١١٦٨ وأبو داود ١٣٧٩ ومالك ١/ ٣٢٠ وأحمد ٣/ ٤٩٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٧٦٨٩ و ٧٦٩٠ و ٧٦٩٤ وابن نصر في «قيام رمضان» ٤٠ والطحاوي في «المعاني» ٣/ ٨٦ ـ ٩٠ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ من حديث عبد الله بن أنيس. وأخرجه أبو داود ١٣٨٠ وابن نصر في «قيام رمضان» ٣٩ وابن خزيمة ٢٢٠٠ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٨٢٠ وفي «التفسير» ٤/ ٥١١ من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: مرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه...». ورجاله ثقات، وابن إسحاق صرح بالتحديث. وانظر «أحكام القرآن» ٢٣٤٢ ـ ٢٣٤١.

[١٥٥٥] هو الحديث المتقدم برقم ١٥٤٩.

[١٥٥٦] صحيح. أخرجه مسلم ١١٦٥ ح ٢٠٧ وأحمد ٢/ ٢٧ من حديث ابن عمر. وانظر «فتح الباري» ٤/ ٢٦٤ ـ =

فليَتَحرَّها ليلةَ سبعٍ وعشرين، يعني: ليلةَ القَدْرِ، وهذا مذهبُ عليٍّ وأُبيِّ بنِ كَعْبٍ.

[١٥٥٧] وكان أُبيٌّ يحلفُ لا يستثني أنها ليلةُ سبعٍ وعشرين، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعائشةُ، ومُعاويةُ. واختاره أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه.

ورَوى ابنُ عباسٍ: أنه استدلَّ على ذلك بشيئين: **أحدهما**: أنه قال: إنَّ الله تعالى خلق الإنسانَ على سبعةِ أصنافٍ، يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ الآيات[١]. ثم جعل رِزقَهُ في سبعةِ أصنافٍ يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾[٢] ثم يُصلّي الجُمعَة على رأس سبعةِ أيامٍ. وجعل السمواتِ سبعاً، والأرَضِينَ سبعاً، والمثانيَ سبعاً[٣]، فلا أرى ليلةَ القَدْرِ إلاَّ ليلةَ السابعةِ.

والثاني: أنه قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ هي الكلمةُ السابعةُ والعشرون، فدلَّ على أنها كذلك.

واحتَجَّ بعضُهم فقال: ليلةُ القَدْرِ كُرِّرتْ في هذه السُّورةِ ثلاثَ مرَّاتٍ، وهي تسعةُ أحرُفٍ، والتسعةُ إذا كُرِّرتْ ثلاثاً فهي سبعٌ وعشرون، وهذا تنبيهٌ على ذلك.

والقول الخامس: أنَّ الأَوْلَى طَلَبُها في أولِ ليلةٍ مِنْ رمضانَ، قاله أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ.

ورَوى أيُّوبُ عن أبي قِلاَبَةَ أنه قال: ليلةُ القَدْرِ تنتقل في العَشرِ الأواخر.

فأمَّا الحِكمةُ في إخفائِها فِلَيتحقَّقَ اجتهادُ العبادِ في ليالي رمضانَ طَمَعاً منهم في إدراكها، كما أخفى ساعةَ الجُمعةِ، وساعةَ الليل، واسمَهُ الأعظَمَ، والصلاةَ الوسطى، والوَليَّ في الناس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم والتَّشوُّقِ إلى خيرِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: قيامُها والعملُ فيها خيرٌ مِنْ قيام ألفِ شهرٍ وصيامِها ليس فيها ليلةُ القَدْرِ، وهذا قولُ قَتادَةَ، واختيارُ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ.

[١٥٥٨] ورَوى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذُكِرَ له رجلٌ مِنْ بني إسرائيلَ حملَ السلاحَ

= وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٤٢١.

[١٥٥٧] صحيح. أخرجه مسلم ٢/ ٨٢٨ ح ٢٢٠ والحميدي ٣٧٥ وابن خزيمة ٢١٩١ وابن حبان ٣٦٨٩ والبيهقي ٤/ ٣١٢ من طرق عن سفيان بن عيينة عن عبدة بن أبي لبابة، وعاصم عن زر بن حبيش به.
وأخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٨٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٥ من طرق شعبة عن عبدة بن أبي لبابة عن زر به مختصراً. وأخرجه أبو داود ١٣٧٨ والترمذي ٧٩٣ وعبد الرزاق ٧٧٠٠ وابن خزيمة ٢١٩٣ وابن حبان ٣٦٩١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٣. وأخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ من طريق أبي خالد وعامر الشعبي عن زر به.
وأخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٧٩ وابن حبان ٣٦٩٠ من طريق الأوزاعي عن عبدة عن زر به. وهم جميعاً من حديث زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن ابن مسعود عبد الله يقول: من يقم الحول يصبها فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا. هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أنى علمت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظناها وعددناها هي والله لا تنس، قال قلنا: وما الآية؟ قال: تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع.

[١٥٥٨] ضعيف جداً. ذكره المصنف عن عطاء عن ابن عباس ولم أره عنه مسنداً.
وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٦٤ والبيهقي في «الشعب» ٣٦٦٨ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن =

---

(١) المؤمنون: ١٢. (٢) عبس: ٢٥. (٣) الفاتحة: وهي سبع آيات.

على عاتِقه في سبيل الله ألفَ شهرٍ، فعَجِبَ رسولُ الله ﷺ لذلكَ، وتمنّى أنْ يكون ذلك في أُمَّتِه، فأعطاه الله ليلةَ القَدْرِ، وقال: هي خيرٌ مِنْ ألف شهرٍ التي حملَ فيها الإسرائيليُّ السلاحَ في سبيل الله عزَّ وجلَّ. وذكر بعضُ المُفسِّرين أنه كان الرجلُ فيما مضى لا يستحِقُّ أنْ يُقالَ له: عابدٌ حتى يعبدَ الله ألفَ شهرٍ كانوا يعبدون فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] قال أبو هُريرة: الملائكة ليلةَ القَدْرِ في الأرض أكثرُ مِنْ عدد الحَصا.

وفي «الرُّوح» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جِبريلُ، قاله الأكثرون.

[١٥٥٩] وفي حديث أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانت ليلةُ القَدْرِ نزل جِبريلُ في كَبْكَبَةٍ مِنَ الملائكة يُصلُّون ويُسلِّمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يَذكُر اللَّهَ عزَّ وجلَّ.

والثاني: أنَّ الرُّوحَ: طائفةٌ مِنَ الملائكة لا تراهم الملائكةُ إلاَّ تلك الليلةَ ينزلون مِنْ لَدُنْ غروبِ الشمس إلى طلوعِ الفجر، قاله كَعْبٌ، ومُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ.

والثالث: أنه مَلَكٌ عظيمٌ يفِي بخَلْقٍ مِنَ الملائكة، قاله الوَاقِديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلةِ القَدْرِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: بما أَمَرَ به وقضاه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: بكلِّ أمرٍ. قال المُفسِّرون: يتنزَّلون بكلِّ أمرٍ قضاه الله في تلك السَّنَةِ إلى قابِلٍ. وقرأ ابنُ عُمَرَ، وابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ، وأبو عمرٍو الجَوْنيُّ «من كل امرِئٍ» بكسرِ الراء وبعدَها همزةٌ مكسورةٌ منوَّنةٌ، وبِوَصْلِ اللام مِنْ غير همزٍ.

ولهذه القراءةِ وَجهانِ: **أحدهما**: مِنْ كلِّ مَلَكٍ سَلامٌ. **والثاني**: أنْ تكونَ «من» بمعنى «على» تقديره: على كلِّ أمرٍ مِنَ المسلمين سَلامٌ مِنَ الملائكة، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ والقراءة المُوافقةُ لِخطِّ المُصحفِ هي الصواب. ويكون تمامُ الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ «من كل أمر» ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ أي: ليلةُ القَدْرِ سلامٌ.

وفي معنى السَّلام قولان: **أحدهما**: أنه لا يَحدثُ فيها داءٌ ولا يُرسَلُ فيها شيطانٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ معنى السَّلام: الخيرُ والبَرَكةُ، قاله قَتادَةُ. وكان بعض العلماء يقول: الوَقْفُ على «سَلام» على معنى تنزُّلِ الملائكةِ بالسَّلام.

= كثير» ٤/ ٥٦٧، وهذا مرسل، فهو واهٍ. وأخرجه الطبري ٣٧٧١٣ عن مجاهد موقوفاً عليه، وهو أصح. الخلاصة: المرفوع واهٍ، والصواب عن أهل التفسير. وانظر «أحكام القرآن» ٢٣٣٧.

[١٥٥٩] ضعيف جداً. أخرجه البيهقي في «الزهد» ٣٧١٧ من حديث أنس بأتم منه، وفيه صرح بن حوشب وهو متروك متهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٣٤: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ «مطلَع» بفتح اللام. وقرأ الكِسَائيُّ بكسرِها. قال الفرَّاءُ: والفتحُ أقوى في قياسِ العربية، لأنَّ المَطلَع بالفتح: الطُّلوع، وبالكسرِ: المَوضعُ الذي تَطلُع منها، إلاَّ أنَّ العرب تقول: طَلَعَتِ الشمسُ مَطْلِعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدرَ، كما تقول: أكرمتكَ كَرامةً، فتَجتزِئُ بالاسم مِنَ المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في «الكهف»[1] عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾. شرحاً كافياً، وللَّهِ الحمدُ.

(١) الكهف: ٩.

سورة البينة

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

وتسمى سُورَةُ لم يَكُن[1]. وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مكِّيَّةٌ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، واختاره يَحيى بنُ سَلاَمٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ
صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ
۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ
۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ
۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني اليهودَ والنَّصارى ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: ومِنَ المشركين، وهم عَبَدةُ الأوثان ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: مُنفصِلين وزائِلين ـ يقال: فَكَكتُ الشيءَ، فانفكَّ، أي: انفصَلَ ـ والمعنى: لم يكونوا زائِلينَ عن كُفرِهم وشِرْكِهم ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ﴾ أي: أتَتْهم، فلفظُه لفظُ المستقبل، ومعناه الماضي. و ﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ الرَّسولُ، وهو محمَّدٌ ﷺ وذلك أنه بيَّنَ لهم ضلالَهم وجَهلَهم. وهذا بيانٌ عن نعمةِ الله على مَنْ آمن مِنَ الفريقين إذْ أنقذَهم. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ معنى الآية: لم يختلفوا أنَّ الله يَبعثُ إليهم نبيًا حتى بُعِثَ فافترَقوا. وقال بعضُهم: لم يكونوا لِيُتركوا مُنفكِّينَ عن حُجَجِ الله حتى أُقيمَتْ عليهم البيِّنةُ، والوجهُ هو الأولُ. والرسولُ ها هنا محمَّدٌ ﷺ. ومعنى ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا﴾ أي: ما تضمَّنَتْهُ الصُّحفُ مِنَ المكتوبِ فيها، وهو القرآن. ويدلُّ على ذلك أنه كان يَتْلُو القرآنَ عن ظهرِ قلبه لا مِنْ كتابٍ. ومعنى «مُطهَّرة» أي: مِنَ الشِّركِ والباطلِ. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصُّحفِ ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ أي: عادِلةٌ مستقيمةٌ تُبيِّن الحقَّ مِنَ الباطلِ، وهي الآيات. قال مُقاتِلٌ: وإنما قيل لها: كُتُبٌ لِمَا جَمعَتْ مِنْ أُمورٍ شَتَّى.

---

(١) أخرج البخاري ٤٩٥٩ و ٤٩٦٠ ومسلم ٧٩٩ والترمذي ٣٧٩٢ وأحمد ٣/ ٨٥ وابن سعد ٢/ ٣٤٠ وعبد الرزاق ٢٠٤١١ وأبو يعلى ٢٩٩٥ وابن حبان ٧١٤٤ من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبيّ بن كعب: «إن الله قد أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾، قال: وسماني لك؟ قال نعم، فبكى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: مَن لم يُؤمِن منهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه محمَّدٌ ﷺ. والمعنى: لم يزالوا مُجتمِعينَ على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. **والثاني**: القرآن، قاله أبو العاليةِ. **والثالث**: ما في كُتُبِهم مِن بيانِ نُبوَّتِهِ، ذكره المَاوَرديُّ. وقال الزَّجَّاجُ: وما تَفرَّقوا في كُفرِهم بالنبيِّ إلاَّ مِنْ بعد أنْ تبيَّنوا أنه الذي وُعِدُوا به في كُتُبِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ أي: في كُتُبِهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾. أي: إلا أن يعبدوا الله. قال الفَرَّاءُ: والعرب تجعل اللامَ في موضع «أن» في الأمر والإرادة كثيراً، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[(١)]، و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾[(٢)]. وقال في الأمرِ: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: مُوحِّدين لا يَعبدون سِواه ﴿حُنَفَآءَ﴾ على دِينِ إبراهيمَ ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبةَ في أوقاتِها ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عند وجُوبِها ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الذي أُمِروا به هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي دِينُ الأمَّةِ القيِّمَةِ بالحقِّ. ويكون المعنى: ذلك الدِّينُ دِينُ المِلَّةِ المُستقيمةِ[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ ذَكْوانَ عن ابنِ عامرٍ بالهمزة في الكلمتين وقرأ الباقون بغيرِ همزٍ فيهما. قال ابنُ قُتَيبةَ: البَرِيَّة: الخَلْقُ. وأكثر العرب والقُرَّاءِ على تركِ همزِها لكثرة ما جَرَتْ عليه الألسنةُ، وهي فَعِيلَة بمعنى مَفعُولة. ومِنَ الناس مَنْ يزعم أنها مأخوذةٌ مِنْ بَرَيْتُ العُودَ، ومنهم مَنْ يزعم أنها مِنَ البَرَى وهو الترابُ أي خَلْقٌ مِنَ التراب، وقالوا: لذلك لا يهمز، وقال الزَّجَّاجُ: لو كانت مِنَ البَرَى وهو الترابُ لَمَا قُرِنتْ بالهمزِ، وإنما اشتقاقُها مِنْ بَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ، وقال الخَطَّابيُّ: أصل البَرِيَّةِ الهمزُ، إلاَّ أنهم اصطَلَحوا على تركِ الهَمزِ فيها. وما بعده ظاهر إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: رضي الله عنهم بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه. وكان بعضُ السَّلَفِ يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضى عنكَ؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ أي خافَهُ في الدنيا، وتناهى عن معاصِيه[(٤)].

---

(١) النساء: ٢٦. (٢) الصف: ٨. (٣) الأنعام: ٧١.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٤٣: وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**. قال ابن العربي رحمه الله في «الإحكام» ٤/٤٣٧: أمر الله عباده بعبادته، وهي أداء الطاعة له بصفة القربة، وذلك بإخلاص النية بتجريد العمل عن كل شيء إلا لوجهه، وذلك هو الإخلاص. وإذا ثبت هذا فالنية واجبة في التوحيد، لأنها عبادة، فدخلت تحت هذا العموم دخول الصلاة، فإن قيل: فلم خرجت عنه طهارة النجاسة، وذلك يعترض عليكم في الوضوء؟ قلنا: إزالة النجاسة معقولة المعنى، لأن الغرض منها إزالة العين لكن بمزيل مخصوص فقد جمعت عقل المعنى وضرباً من التعبد، كالعدة جمعت بين براءة الرحم والتعبد، حتى صارت على الصغيرة واليائسة اللتين تحقق براءة رحمهما قطعاً، وليس في الوضوء غرض ناجز إلا مجرد التعبد، بدليل أنه لو أكمل الوضوء وأعضاؤه تجري بالماء، وخرج منه ريح بطل وضوءه.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ، والجمهور. **والثاني**: مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعَطاءٌ وجابرٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: حُرِّكتْ حركةً شديدةً، وذلك عند قيام الساعة. وقال مُقاتِلٌ: تتزلزَلُ مِنْ شدَّةِ صوت إسرافِيلَ حتى يَنْكَسِرَ كلُّ ما عليها مِنْ شدَّةِ الزَّلزَلَةِ ولا تَسكُنُ حتى تُلقي ما على ظهرِها مِنْ جبلٍ، أو بناءٍ، أو شجرٍ، ثم تتحركُ وتضطَرِبُ، فتُخْرِج ما في جوفِها. وفي وقت هذه الزَّلزَلَةِ قولان: **أحدهما**: أنها تكون في الدنيا، وهي مِنْ أشراط الساعة، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنها زَلزَلَةُ يوم القيامة، قاله خارِجَةُ بنُ زيدٍ في آخرين. قال الفَرَّاءُ: حدَّثني محمَّدُ بنُ مروانَ، قال: قلتُ للكَلْبي: أرأيتَ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؟ فقال: هذه بمنزلة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(١) فأُضِيفَ المصدرُ إلى صاحبه. وأنتَ قائلٌ في الكلام: لأُعطينَّكَ عَطِيَّتَكَ، تريد عَطِيَّةً. والزِّلزالُ بالكسرِ المصدر، وبالفتح: الاسمُ. وقد قرأ أبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وأبو حَيْوَةَ والجَحْدَرِيُّ «زَلزالها» بفتح الزاي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ فيه قولان(٢): **أحدهما**: ما فيها مِنَ الموتى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كُنوزَها، قاله عَطِيَّةُ. وجَمَعَ الفَرَّاءُ بين القولين، فقال: لَفَظَتْ ما فيها مِنْ ذهبٍ، أو فِضَّةٍ أو مَيْتٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ جنسٍ يَعمُّ الكافرَ والمؤمنَ،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٤٣: أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه. وقال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٥٨: يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلانيته، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

(٢) نوح: ١٨.

وهذا قول مَنْ جعلها مِنْ أشراطِ الساعة، لأنها حين ابتدأتْ لم يعلَم الكلُّ أنها مِنْ أشراط الساعة، فسألَ بعضُهم بعضاً حتى أيقنوا. **والثاني**: أنه الكافر خاصَّةً، وهذا قولُ مَنْ جعلها زَلْزلَةَ القيامة، لأنَّ المؤمنَ عارِفٌ بها فلا يَسألُ عنها، والكافرُ جاحدٌ لها لأنه لا يُؤمِنُ بالبَعثِ، فلذلك يَسألُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال الزَّجّاجُ: «يومئذ» منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ﴿وَأَخْرَجَتِ﴾ ففي ذلك اليوم تُحدِّثُ بأخبارها، أي: تُخبِرُ بما عَمِلَ عليها.

[١٥٦٠] وفي حديث أبي هُريرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: أَتَدرُونَ ما أخبارُها؟ قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: فإنَّ أخبارَها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بما عمل على ظَهرِها تقول: عَمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال الفَرَّاءُ: تُحدِّثُ أخبارَها بوحي الله وإذْنِه لها. قال ابنُ عباسٍ: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأَذِنَ لها أنْ تُخبرَ بما عَمِلَ عليها. وقال أبو عُبيدَةَ: «لها» بمعنى «إليها». قال العَجّاجُ:

وَحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقفِ الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرَقاً. فأهلُ الإيمان على حِدَةٍ وأهلُ الكفرِ على حِدَةٍ ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وعائشةُ، والجَحْدَريُّ: «لِيَرَوا» بفتح الياء. قال ابنُ عباسٍ: أي لِيُرَوا جزاءَ أعمالِهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فِرَقاً لينزلوا منازلَهُم مِنَ الجنَّة والنَّار. وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: تُحَدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها لِيُروا أعمالَهم يومئذٍ يصدُرُ الناسُ أشتاتاً. فعلى هذا: يَرونَ ما عملوا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ في موقفِ العَرْضِ.

[١٥٦٠] يشبه الحسن، أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٢/ ٣٧٤ وابن حبان ٧٣٦٠ من طرق عن ابن المبارك عن يحيى بن أبي سليمان به. إسناده لين، رجاله ثقات سوى يحيى بن أبي سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي يكب حدثه، ووثقه ابن حبان والحاكم، وقال ابن عدي: هو ممن تكتب أحاديثه وإن كان بعضها غير محفوظ. وذكر له ابن عدي أحاديث فيها غرابة، وليس هذا منها، وقد روى عنه غير واحد من الثقات كشعبةَ وابن أبي ذئب وغيرهما، فالرجل غير متفق على ضعفه كما ترى، ـ وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث، ولحديثه شواهد بمعناه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٢: من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٤٢ من طريق شعبة عن يحيى به. وصححه الحاكم، وقال الذهبي: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. قلت: أخذ الذهبي رحمه الله بالأشد، فقد تفرد البخاري بجرحه، في حين خالفه أبو حاتم فلينه، وابن حبان والحاكم فوثقاه. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٢٩٦ لكنه من طريق رشدين بن سعد عن يحيى بن أبي سليمان، ورشدين واهٍ، وهذا من أوهامه كونه عن أنس، والمحفوظ عن سليمان عن سعيد عن أبي هريرة. فهذا شاهد لا يفرح به. وله شاهد من حديث ربيعة الجرشي، أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وفيه ابن لهيعة ضعيف، وربيعة مختلف في صحبته، والجمهور على أن له صحبة. ويشهد لأصل معناه حديث مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧ من حديث أبي هريرة ـ وقد ورد في تعليق ابن كثير رحمه الله السابق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض. . .» الحديث.

قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قال المُفسِّرون: مَنْ يعمل في الدنيا مِثقالَ ذَرَّةٍ مِنَ الخير أو الشرِّ يَرَهُ، وقرأ أَبانُ عن عاصِم «يُرَ» بضمِّ الياء في الحرفين. وقد بَيَّنَّا معنى «الذَّرَّة» في سُورَةِ النِّساء وفي معنى هذه الرُّؤية قولان: **أحدهُما**: أنه يراه في كتابه. **والثاني**: يرى جزاءَه.

[١٥٦١] وذكر مُقاتِلٌ: أنها نزلت في رَجُلين كانا بالمدينة، كان أحدُهما يستقِلُّ أنْ يُعطي السائلَ الكِسْرَةَ، أو التَّمرةَ، وكان الآخرُ يتهاونُ بالذَّنبِ اليسيرِ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ هذا يُرَغِّبُهم في القليل مِنَ الخير، ويُحذِّرُهم اليسيرَ مِنَ الشرِّ.

[١٥٦١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الإبلُ في الحَجِّ، قاله عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ، والقُرَظيُّ، والسُّدِّيُّ. ورُوِيَ عن عليٍّ أنه قال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ مِنْ عرفةَ إلى المُزْدَلِفةِ، ومِنَ المُزْدَلفةِ إلى مِنَى. ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال هذا في صفةِ وقعةِ بدْرٍ. قال: وما كان معنا يومَئذٍ إلاَّ فَرسٌ. وفي بعض الحديث أنه كان معهم فَرسانِ.

والثاني: أنها الخيلُ في سبيل الله، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، ومُجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وعَطِيَّةُ، والرَّبيعُ، واللغويون. وكان ابنُ عباسٍ يذهب إلى أنَّ هذا كان في سَرِيَّةٍ،

[١٥٦٢] فرَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ خيلاً، فلم يأتِه خبرُها شهراً، فنزلت ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ ضَبحَتْ بمَناخِرِها ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قَدحتْ بحوافِرِها الحجارة فأورتْ ناراً ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ صَبحتِ القومَ بغارَةٍ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أثارتْ بحوافِرِها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: صَبحتِ الحيَّ جميعاً.

[١٥٦٣] وقال مُقاتِلٌ: بَعثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً إلى حَيَّيْنِ مِنْ كِنانَةَ واستعملَ عليهم المُنذِرَ بنَ عمرٍو الأنصاري، فأبطأَ عنه خبرُها، فجعلَ اليهودُ والمنافقون إذا رَأَوا رجلاً مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ تناجَوْا، فيظنُّ الرجلُ أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه، أو عمُّه، فيَجِدُ مِنْ ذلك، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾

[١٥٦٢] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٦٥١ عن ابن عباس به، ولم أقف على إسناد، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه.

[١٥٦٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

فأخبرَ اللّهُ عزّ وجلّ كيف فعلَ بهم. قال الفرّاءُ: الضّبْحُ: أصواتُ أنفاسِ الخيلِ إذا عَدَوْنَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الضّبْحُ: صوتُ حُلوقِها إذا عَدَتْ. وقال الزّجّاجُ: ضَبْحُها: صوتُ أجوافِها إذا عَدَتْ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فيه خمسُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الخَيلُ تُورِي النارَ بحوافِرِها إذا جَرَتْ، وهذا قولُ الجمهور. قال الزّجّاجُ: إذا عَدَتِ الخيلُ بالليل، فأصابَتْ بحوافِرِها الحجارةَ، انقدَحَتْ منها النّيرانُ. **والثاني**: أنها نِيرانُ المجاهدين إذا أُوقِدَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مَكْرُ الرجال في الحرب، قاله مُجاهِدٌ، وزيدُ بنُ أسلَمَ. **والرابع**: نِيرانُ الحَجِيجِ بالمُزدَلِفَةِ، قاله القُرَظيُّ. **والخامس**: أنها الألسِنةُ إذا ظهرت بها الحُجَجُ وأُقِيمَتْ بها الدلائلُ على الحَقّ وفُضِحَ بها الباطلُ، قاله عِكرمَةُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ هي التي تُغيرُ على العَدُوّ عند الصباح، هذا قولُ الأكثرين. وقال ابنُ مسعودٍ: فالمُغِيراتِ صُبحاً حين يُفيضونَ مِنْ جمعٍ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ قال الفرّاءُ: يريد به الوادي ولم يُذكَرْ قبلَ ذلك، وهذا جائزٌ، لأنَّ الغُبارَ لا يُثارُ إلا مِنْ موضعٍ. والنّقْعُ: الغُبارُ، ويقال: التراب. وقال الزّجّاجُ: المعنى: فأثَرْنَ بمكانِ عَدْوِهِنّ، ولم يتقدّمْ ذِكرُ المكان، ولكن في الكلام دليلٌ عليه، قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال المُفسّرون: المعنى: تَوسّطْنَ جمعاً مِنَ العدوّ، فأغارَتْ عليهم. وقال ابنُ مسعودٍ: فوَسَطْنَ به جَمْعاً، يعني مُزدَلِفَةَ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جوابُ القَسَم. والإنسانُ ها هنا: الكافر. قال الضّحّاكُ: نزلت في الوليدِ بنِ المُغِيرةِ، وقال مُقاتِلٌ: نزلت في قُرط بنِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ نَوفَلٍ القُرشي وفي «الكَنُود» ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٥٦٤] **أحدها**: أنه الذي يأكلُ وحدَهُ، ويَمنَعُ رِفْدَهُ، ويضرب عبدَه، رواه أبو أُمامَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: أنه الكَفورُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضّحّاكُ. **والثالث**: لَوّامٌ لِرَبِّهِ يَعُدُّ المُصيباتِ، وينسى النّعَمَ، قاله الحسَنُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والأرض الكَنُود: التي لا تُنبِتُ شيئاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ في هاء الكناية قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله عزّ

[١٥٦٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٧٨٤٠ وكذا الطبراني ٧٧٧٨ و ٧٩٥٨ من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف جداً لضعف جعفر بن الزبير، بل هو متروك، وكذبه شعبة.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٤٥: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ يعني: ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف، وهذه كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وكقوله: ﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾، وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيء» اهـ.

وجلَّ، تقديره: وإنَّ الله على كُفره لَشهيدٌ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الإنسان، تقديره: إنَّ الإنسانَ شاهدٌ على نَفْسِه أنه كَنُودٌ، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ يعني: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾.

وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: وإنه مِنْ أجل حُبِّ المالِ لَبَخيلٌ، هذا قولُ الحسَنِ، وابنِ قُتيبةَ، والزَّجَّاج. قال أبو عُبيدَةَ: ويقال للبخيل: شديدٌ، ومُتشدِّدٌ قال طَرَفَةُ.

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفي عَقِيلَةَ مَالِ البَاخِلِ المُتَشَدِّدِ

والثاني: وإنه للخير لَشديدُ الحُبِّ، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ. قال: فكأنَّ الكلمةَ لمَّا تقدَّم فيها الحُبُّ، وكان موضعُه أنْ يُضافَ إليه «شديد»، حذف الحبَّ مِنْ آخره لمَّا جرى ذِكرُه في أوَّلِه، ولِرؤوسِ الآياتِ. ومثله: ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1] فلمَّا جرى ذِكرُ الرِّيح قبلَ اليوم طُرِحتْ مِنْ آخره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ يعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: أُثِيرَ وأُخرِجَ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: مُيِّزَ واستُخرِجَ. والتَّحصيلُ: تمييزُ ما يحصل. وقال ابنُ عباس: أبرزَ ما فيها، وقال ابنُ قُتَيبةَ: مُيِّزَ ما فيها مِنَ الخيرِ والشَّرِّ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: المعنى: لو عَلِمَ الإنسانُ الكافرُ ما له في ذلك اليوم لَزَهِدَ في الكُفرِ، وبادَرَ إلى الإسلام. ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ وقال غيره: إنَّما قُرِئتْ «إن» بالكسر لأجلِ اللام، ولولاها كانت مفتوحةً بوقوعِ العلم عليها.

فإنْ قيلَ: أليس الله خبيراً بهم في كلِّ حالٍ، فلِمَ خُصَّ ذلك اليوم؟

فالجواب أنَّ المعنى: أنه يُجازيهم على أفعالِهم يومَئذٍ، ومثله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[2]، معناه: يُجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾[3].

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٦٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلاً، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحاً، فداخلة فيما أقسم به لعموم ذلك بالظاهر.

(٢) إبراهيم: ١٨. (٣) النساء: ٦٣.

(٤) غافر: ١٦.

سورة القارعة

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

وهي مكّيّة بإجماعهم

وقد ذكرنا تفسيرَ فاتحتِها في أول «الحاقَّة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ قال الزَّجّاجُ اليوم منصوبٌ على الظَّرفِ. المعنى: يكون يومَ يكون الناسُ ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه غَوغاءُ الجَرادِ، قاله الفَرَّاءُ. قال ابنُ قُتَيبة: غَوغاءُ الجَرادِ: صِغارُه، ومنه قيل لعامَّةِ الناس: غَوغاءُ. **والثاني**: أنه طيرٌ ليس ببَعوضٍ ولا ذِبَّانٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنه ما تَهافَتَ في النار مِنَ البَعوضِ، قاله ابنُ قُتَيبة. وكذلك قال الزَّجّاجُ: الفَراشُ ما يُرىٰ كصِغارِ البَقِّ يتهافَتُ في النار. وشَبَّه الناس في وقت البَعثِ به وبالجَرادِ المُنتَشِرِ، لأنهم إذا بُعِثوا ماجَ بعضُهم في بعضٍ. وذكر الماوَرديُّ: أنَّ هذا التشبيهَ للكفار، فهم يَتهافتونَ في النار يومَ القيامة تَهافُتَ الفَراشِ.

فأمَّا «المَبْثوث» فهو المُنتَشِرُ المُتفرِّقُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ وقد شرحناه في (سأَلَ سائِلٌ)[1]، و «المَنفُوش» الذي قد نُدِفَ. قال مُقاتِلٌ: وتصيرُ الجبالُ كالصُّوفِ المَندُوفِ. فإذا رأيتَ الجبلَ قلتَ: هذا جبلٌ: فإذا مَسِسْتَهُ لم تَرَ شيئاً، وذلك مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، أي: رَجَحتْ بالحسناتِ، وقد بيَّنا هذه الآيةَ في أوَّلِ الأعْراف[2] وبيَّنّا معنى «عيشة راضية» في الحاقَّة[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، قرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ، والجَحْدَريُّ «فإمه»

---

(١) المعارج: ٩. (٢) الأعراف: ٨. (٣) الحاقة: ٢١.

بكسرِ الهمزة. فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُمُّ رأسه هاوِيَةٌ، يعني: أنه يَهوي في النارِ على رأسه، هذا قولُ عِكرِمَةَ، وأبي صالحٍ. **والثاني**: أنها كلمةٌ عربيةٌ، كان الرجل إذا وقع في أمرٍ شديدٍ قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قَتادَةُ. **والثالثُ**: أنَّ المعنى، فمَسْكنُه النارُ. وإنما قيلَ لِمَسكَنِه: أُمُّه، لأنَّ الأصلَ السُّكونُ إلى الأُمَّهاتِ. فالنَّارُ لهذا كالأُمِّ، إذْ لا مَأوى له غيرُها، هذا قولُ ابنِ زيدٍ، والفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ، ويدل على صحة هذا.

[١٥٦٥] ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا مات العبدُ تَلْقَى رُوحُه أرواحَ المؤمنين، فتقول له: ما فَعلَ فُلانٌ؟ فإذا قال: ماتَ، قالوا: ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوِيةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ، وبِئْسَتِ المُربيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ يعني: الهاوِية. قرأ حمزَةُ، ويعقوبُ «ما هي» بحذفِ الهاء الأخيرةِ في الوَصْلِ، وإثباتِها في الوَقْفِ. وقرأ الباقون بإثباتِها في الحالين. قال الزَّجَّاجُ: الهاء في «هيه» دخلتْ في الوقفِ، لِتُبيينَ فتحةَ الياء، فالوقفُ «هيه» والوصلُ هي نارٌ. والذي يجبُ اتِّباعُ المُصحفِ. والهاء فيه ثابتةٌ فيُوقَفُ عليها، ولا تُوصَلُ، قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي: حارَّةٌ قد انتهى حَرُّها.

[١٥٦٥] تفرد ابن مردويه برفعه، كما في «الدر» ٦/ ٦٥٦ وهو غير حجة فيما ينفرد به. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٣ عن الحسن مرسلاً، ومراسيل الحسن واهية. وورد من كلام أبي أيوب موقوفاً عليه كما في «الدر» ٦/ ٦٥٦، وهو أصح، والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٠٢ بتخريجنا.

سورة التكاثر

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

وفي سبب نزولها قولان:

[١٥٦٦] **أحدهما**: أنَّ اليهودَ قالوا: نحن أكثرُ مِنْ بني فُلانٍ، وبَنو فُلانٍ أكثرُ مِنْ بني فُلانٍ، فألهاهُم ذلك حتى ماتوا ضُلالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قَتادَةُ.

[١٥٦٧] **والثاني**: أنَّ حَيَّيْنِ مِنْ قُريشٍ: بني عبدِ مَنافٍ، وبَني سَهْمٍ كان بينهما لِحَاءٌ، فقال هؤلاءِ: نحنُ أكثرُ سيِّداً، وأعزُّ نَفَراً. وقال أولئكَ مثلَ هذا، فتعادُّوا السَّادَةَ والأشرافَ أيُّهم أكثرُ، فكثَّرهم بَنو عبدِ مَنافٍ، ثم قالوا: نعدُّ موتانا، فزاروا القبورَ، فعَدُّوا موتاهُم، فكثَّرهم بَنو سَهْمٍ، لأنهم كانوا أكثرَ عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا
لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ
عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وابنُ عباسٍ، والشَّعْبيُّ، وأبو العاليةِ، وابنُ عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أَأَلهاكم» بهمزتين مقصورتين على الاستفهام. وقرأ مُعاوِيةُ، وعائشةُ «آلهاكم» بهمزةٍ واحدةٍ ممدودةٍ استفهاماً أيضاً. ومعنى ألهاكُم: شَغَلكُم عن طاعةِ الله وعبادتِه.

وفي المراد بالتَّكاثُرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التَّكاثُر بالأموال والأولاد، قاله الحَسنُ. **والثاني**: التَّفاخُرُ بالقبائلِ والعشائرِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: التَّشاغُلُ بالمَعاشِ والتجارة، قاله الضَّحَّاكُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ قولان: **أحدهما**: حتى أدْرَكَكُم الموتُ على تلك الحالِ، فصِرتُم في المقابرِ زُوَّاراً ترجِعونَ منها إلى منازِلكم مِنَ الجنة أو النار، كَرُجوعِ الزائرِ إلى منزله. **والثاني**: حتى زُرتُم المقابرَ فعَدَدْتُم مَنْ فيها مِنْ موتاكم.

[١٥٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٨٦٩، ٣٧٨٧٠ عن قتادة، وليس فيه ذكر اليهود، والخبر ضعيف لإرساله، وذكر اليهود يبطل الخبر لأن المصنف نقل الإجماع على أن السورة مكية، وأخبار يهود مدنية.

[١٥٦٧] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي ومقاتل، وكلاهما ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال الزَّجَّاجُ، هي رَدعٌ وتنبيهٌ. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أنْ يكونوا عليه التَّكاثُرَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيدٌ والمعنى سوف تعلمون عاقبةَ تكاثُرِكم وتفاخُرِكم إذا نزل بكم الموتُ. وقيل: العِلْمُ الأولُ: يقع عند نزولِ الموت. والثاني: عند نزولِ القبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمرَ علماً يقيناً لشَغلَكم ما تعلمون عن التكاثُرِ، والتَّفاخُرِ. وجوابُ «لو» محذوفٌ وهو ما ذكرنا. ثم أوعَدَهم وعيداً آخَرَ فقال عزَّ وجلَّ. ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزَةُ «لَترون» «ثم لَترونها» بفتح التاء. فيها وقرأ ابنُ عامرٍ والكِسَائيُّ (لَتُرون الجحيم) بضمِّ التاء (ثم لَترونها) بفتحِ التاء، وقرأ مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وحُمَيدٌ، وابنُ أبي عَبلَةَ «لَتُرون» ثم «لَتُرونها» بضمِّ التاء فيهما مِنْ غيرِ همزٍ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: مُشاهدةً، فكان المراد بـ «عين اليقين» نَفسَه، لأنَّ عَيْنَ الشيءِ: ذاتُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عامٌّ، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه خاصٌّ للكفار، قاله الحَسنُ. **والثاني**: عامٌّ، قاله قَتادَةُ. وللمُفسِّرين في المراد بالنَّعيم عشرةُ أقوالٍ:

[١٥٦٨] **أحدها**: أنه الأمنُ والصحةُ، رواه ابنُ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ، وتارةً يأتي موقوفاً عليه، وبه قال مُجاهِدٌ والشَّعْبيُّ.

[١٥٦٩] **والثاني**: أنه الماءُ الباردُ، رواه أبو هُرَيرَةَ عن النبيِّ ﷺ.

والثالث: أنه خبزُ البُرِّ والماءُ العَذْبُ، قاله أبو أُمامَةَ. **والرابع**: أنه مَلاذُ المأكولِ والمَشروبِ، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله. **والخامس**: أنه صحةُ الأبدانِ، والأسماعِ، والأبصارِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قَتادَةُ: هو العافية. **والسادس**: أنه الغَداءُ، والعَشاءُ، قاله الحَسنُ. **والسابع**: الصحةُ والفَراغُ، قاله عِكرمَةُ. **والثامن**: كلُّ شيءٍ مِنْ لَذَّةِ الدنيا، قاله مُجاهِدٌ. **والتاسع**: أنه إنعامُ الله على الخَلْقِ بإرسال محمَّدٍ ﷺ، قاله القُرَظيُّ. **والعاشر**: أنه صُنوفُ النِّعَم، قاله مُقاتِلٌ.

والصَّحيحُ أنه عامٌّ في كلِّ نعيم، وعامٌّ في جميع الخَلْقِ، فالكافر يُسأَلُ توبيخاً إذا لم يَشكُرِ المُنعِمَ، ولم يُوحِّدْهُ. والمؤمنُ يُسأَل عَن شُكرِها.

[١٥٧٠] وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ثلاثٌ لا أسألُ عبدي عن شُكْرِهنَّ وأسألُه عمَّا سِوى ذلك، بيتٌ يُكِنُّه، وما يُقيمُ به صُلْبَهُ مِنَ الطعام، وما يُواريْ به عَورَتَهُ مِنَ اللباسِ».

[١٥٦٨] لا يصح مرفوعاً، إنما هو من كلام ابن مسعود، كذا أخرجه الطبري ٣٧٨٨٤. وورد من قول مجاهد برقم ٣٧٨٨١ و ٣٧٨٨٣ عن الشعبي من قوله، وهو الصواب والمرفوع فيه انقطاع وضعف. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٠٩.

[١٥٦٩] جيد. أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ والحاكم ٤/ ١٣٨ والطبري ٣٧٨٩٩ والبيهقي ٤٦٠٧ من طرق عن عبد الله بن العلاء بن زبر عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال البخاري سوى الضحاك بن عبد الرحمن، وهو ثقة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٧١٤.

[١٥٧٠] أخرجه البيهقي ١٠٣٦٨ بسند قوي عن الحسن مرسلاً. وله شاهد من حديث عثمان، أخرجه الترمذي ٢٤٤٤ والحاكم ٤/ ٤١٢ والطبراني ١/ ٩١، وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

سورة العصر

ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ الزُّبَيرِ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: أنه الدَّهرُ، قاله ابنُ عباسٍ، وزَيدُ بنُ أسلَمَ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. وإنما أقسَمَ بالدَّهرِ لأنَّ فيه عِبرةً للناظرِ مِنْ مرورِ الليل والنهار على تقديرٍ لا يَنخرِمُ. **والثاني**: أنه العَشِيُّ، وهو ما بين زوالِ الشمس وغُروبِها، قاله الحَسنُ وقَتادةُ. **والثالث**: صلاةُ العصرِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو جوابُ القَسَم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كَثُرَ الدِّرهَمُ في أيدي الناس تُريد الدَّراهمَ. والخُسْرُ والخُسْرانُ في معنًى واحدٍ. قال أهلُ المعاني: الخُسْرُ: هلاكُ رأسِ المال أو نَقصُه. والإنسان إذا لم يستعمل نَفْسَه وعُمرَهُ فيما يُوجِبُ له الرِّبحَ الدائمَ، فهو في خُسْرانٍ، لأنه عَمِلَ في إهلاكِ نَفْسِه وعُمرِه، وهما أكبر رأسِ مالِه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: صَدَّقوا الله ورسولَهُ، وعَمِلوا بالطاعة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد، والقرآن، واتِّباعِ الرَّسولِ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعةِ الله، والقيامِ بشريعَتِه. وقال إبراهيمُ في تفسيرِ هذه السُّورة: إنَّ الإنسانَ إذا عُمِّرَ في الدنيا لَفِي نَقْصٍ وضَعفٍ، إلاَّ المؤمنين، فإنهم يُكتَبُ لهم أُجور أعمالِهم التي كانوا يعملون في شبابِهم وصِحَّتِهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٥٧: العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر، وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشي، والمشهور الأول. وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٨٠٠: أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى ﴿والصلاة الوسطى﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله» متفق عليه، ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس على تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم.

سورة الهمزة

ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

قال هِبَةُ الله المُفَسِّرُ: وقد قيل: إنها مدنيَّةٌ. واختلف المُفسِّرون هل نزلت في حقِّ شخصٍ بعَينِه، أَمْ نزلت عامَّةً؟ على قولين: **أحدهما**: نزلت في حقِّ شخصٍ بعَيْنِه.

ثم فيه ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، وابنُ السَّائبِ. **والثاني**: العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمِيُّ، قاله عُروَةُ. **والثالث**: جميلُ بنُ عامرٍ، قاله ابنُ أبي نَجِيحٍ. **والرابع**: الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله ابنُ إسحاقَ. **والسادس**: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، حكاه المَاوَرديُّ.

والقول الثاني: أنها نزلت عامَّةً لا في شخصٍ بعَيْنِه، قاله مُجاهِدٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ اختلفوا في الهُمَزةِ واللُّمَزة هل هما [بمعنًى واحدٍ، أَمْ مختلفان؟ على قولين: **أحدهما**: أنهما مُختلفانِ.

ثم فيهما سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الهُمَزَةَ: المُغْتابُ، واللُّمَزَةَ: العَيَّابُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ الإنسانُ في وجهِه. واللُّمَزَةَ: يَلْمِزُه إذا أدبرَ عنه، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وأبو العاليةِ. **والثالث**: أنَّ الهُمزَةَ: الطعَّانُ في الناس، واللُّمَزَةَ: الطعَّانُ في أنسابِ الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ الهُمَزَةَ: بالعَينِ، واللُّمَزَةَ: باللسان، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ الناس بيده ويضربُهم، واللُّمَزَةَ: الذي يَلْمِزُهم بلسانه، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ بلسانه، واللُّمَزَةَ: الذي يَلْمِزُ بعينِه، قاله سُفيانُ الثَّوْرِيُّ. **والسابع**: أنَّ الهُمَزَةَ: المُغتابُ، واللُّمَزةَ: الطَّاعنُ على الإنسان في وجهِه، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٨٨: والصواب من القول في ذلك، أن يقال: إن الله عم بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها.

والقول الثاني: أنَّ الهُمَزةَ: العَيَّابُ الطَّعَّانُ، واللُّمَزَةَ مثله. وأصل الهَمزِ واللَّمزِ: الدَّفعُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وكذلك قال الزَّجّاجُ: الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ: الذي يَغتابُ الناسَ ويعضِهم، قال ابنُ فارسٍ: والعضيهةُ الكذبُ والبُهتانُ قال الشاعر:

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُنِي ... وإنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَة

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وروْحٌ: «جَمَّع» بالتشديد. والباقون بالتخفيف.

قوله عز وجل: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وابن يعمر بتخفيفها. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أحصى عَدَدَه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أعدَّه لِمَا يكفيهِ في السِّنين، قاله عِكرمَةُ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ «عدَّده» بالتشديد، فمعناه: عدَّده للدُّهورِ. ومَنْ قرأ «عَدَدَه» بالتخفيف، فمعناه: جَمَعَ مالاً وعَدَدَهُ. أي: وقوماً اتَّخذهم أنصاراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أخلده بمعنى يُخلِده، والمعنى: يظنُّ مالَه مانِعاً له مِنَ الموت، فهو يعمل عملَ مَنْ لا يظنُّ أنه يموت ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يُخلِدُه مالُه ولا يَبقى له ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: لَيُطْرَحَنَّ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ وهو اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّم. سُمِّيتْ بذلك لأنها تَحطمُ ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العَظْمَ بعد أكلِها اللحمَ. ويُقال للرجل الأكُولِ: إنه لَحُطَمَةٌ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لينبذانِّ» بألفٍ ممدودةٍ، وبكسرِ النون، وتشديدِها، أي: هو ومالُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: تأكل اللحمَ والجلودَ حتى تقعَ على الأفئدة فتُحرِقَها. وقال الفَرَّاءُ: يبلغُ أَلَمُها للأفئدة. والاطِّلاعُ والبلوغُ قد يكونان بمعنًى واحِدٍ، والعرب تقول: متى طَلَعتَ أرضَنا؟ أي: بلَغتَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تَطَّلِعُ على الأفئدة، أي: تَقْوى عليها وتُشرِفُ. وخَصَّ الأفئدةَ، لأنَّ الألمَ إذا صار إلى الفؤاد ماتَ صاحبُه، فأخبرَ أنهم في حالِ مَنْ يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسيرَ «المُؤصَدَة» في سُورَةِ البَلد[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى عَمَدٍ﴾ قرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وعاصِمٌ إلاَّ حَفصاً بضمِّ العينِ، وإسكانِ الميم. وقرأ الباقون بفتحِهما. قال الفَرَّاءُ وهما جِيطانٌ للعمودِ، وقرأ هارونُ عن ابنِ عمروٍ بضمِّ العينِ وإسكانِ الميم. قال المُفسِّرون: وهي أوتادُ الأطباق التي تُطبقُ على أهل النار. و«في» بمعنى الباء. والمعنى: مُطبقةٌ بعُمُدٍ. قال قَتادَةُ: وكذلك هو في قراءة عبدِالله. وقال مُقاتِلٌ: أُطبِقَتِ الأبوابُ عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ مِنْ حديدٍ، حتى يرجعَ عليهم غَمُّها وحَرُّها. و«ممدَّدة» صِفةُ العُمُدِ، أي: أنها مَمدودَةٌ مطوَّلَةٌ، وهي أرسَخُ مِنَ القصيرة. وقال قَتادَةُ: هي عُمُد يُعذَّبون بها في النار. وقال أبو صالحٍ: «عَمَد ممددة» قال: القيودُ الطِّوالُ.

---

(١) البلد: ٢٠.

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَلَمْ تُخْبَرْ، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: أَلَمْ تعْلَمْ، قاله الزَّجَاجُ. ومعنى الكلام معنى التَّعجُب. وأصحابُ الفيلِ هم الذين قصدوا تخريبَ الكَعبةِ وفي سبب قَصْدِهم لذلك قولان[1]: **أحدهما**: أنَّ أبرَهَةَ بَنَى بِيْعَةً وقال: لستُ مُنتهياً حتى أضيفَ إليها حجَّ العرب، فسَمِعَ بذلك رجلٌ مِنْ بني كِنانَةَ، فخرج، فدخلَها ليلاً، فأحدثَ فيها، فبلغَ ذلك أبرَهَةَ، فحلَفَ لَيسِرَنَّ إلى الكَعبةِ فيهدِمَها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ قوماً مِنْ قُريشٍ خرجوا في تجارةٍ إلى أرض النَّجَاشي فنزلوا في جَنْبِ بِيْعَةٍ فأوقدوا ناراً، وشَوَوْا لحماً، فلمَّا رَحلُوا هَبَّتِ الرِّيح فاضطرَمَ المكانُ ناراً، فغضبَ النَّجاشيُ لأجل البِيْعَةِ، فقال له كُبراءُ أصحابه ـ منهم حِجْرُ بنُ شَراحِيلَ، وأبو يكسوم ـ: لا تحزَنْ، فنحن نَهدِمُ الكَعبةَ، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ إسحاقَ: أبو يكسوم اسمه أَبرَهَةُ بنُ الأَشْرمِ. وقيل: كان أَبرهةُ صاحبَ جيشه وقيل: وزيره، وحِجْرٌ مِنْ قُوَّادِهِ.

ذِكرُ الإشارةِ إلى القصَّة

ذكر أهلُ التفسير أنَّ أَبرَهةَ لمَّا سار بجنوده إلى الكَعبةِ لِيَهدِمَها خرج معه بالفيل، فلمَّا دَنا مِنْ مكَّةَ أمرَ أصحابَه بالغارة على نَعَم الناس، فأصابوا إبلاً لعبدِ المُطَّلبِ، وبعَثَ بعضَ جنودِه، فقال: سَلْ عن شريفِ مكَّةَ، وأخبِرْهُ أني لم آتِ لقتالٍ، وإنما جئتُ لأَهدِمَ هذا البيتَ، فانطلَقَ حتى دخل مكَّةَ، فلَقِيَ عبدَالمُطَّلبِ بنَ هاشِمٍ، فقال: إنَّ المَلِكَ أرسَلَني إليكَ لأُخبِرَكَ أنه لم يأتِ لِقتالٍ إلاَّ أنْ تُقاتلوه، إنما جاء لِهَدْمِ هذا البيتِ، ثم يَنصَرِفُ عنكم، فقال عبدُ المُطَّلِبِ: ما لَهُ عندَنا قتالٌ، وما لنا به يَدٌ، إنَّا سَنُخلِي بينه وبين ما جاء له، فإنَّ هذا بيتُ اللهِ الحرام، وبيتُ خليلِه إبراهيمَ عليه السلام، فإنْ يَمنَعْه، فهو بيتُه

(١) انظر قصة أصحاب الفيل في «دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ٨٥ و «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٤٣ و «تفسير السمرقندي» ٣/ ٥١٢ ـ ٥١٥ و «تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٨٧ ـ ٥٩١ و «تفسير البغوي» ٤/ ٤٩٤ ـ ٤٩٧. و «الدر» ٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٦ وخبر أبرهة ومحاولته هدم الكعبة، خبر مشهور بل متواتر وشهرته تغني عن الإسناد والله تعالى أعلم.

وَحَرَمُه، وإنْ يُخلِّ بينه وبين ذلك، فَوَاللهِ ما لنا به قوَّةٌ. قال: فانطَلِقْ معي إلى المَلِكِ، فلمَّا دخل عبدُ المُطَّلِبِ على أبرَهةَ أعظمَه، وأكرَمَه، ثم قال لِتَرجُمانِه: قل له: ما حاجَتُكَ إلى المَلِكِ؟ فقال له التَّرجُمَانُ، فقال: حاجتي أنْ يَردَّ عليَّ مائتي بعيرٍ أصابها. فقال أبرَهَةُ لِتَرجُمانِه: قل له: لقد كنتَ أعجَبتَني حين رأيتُكَ، ولقد زَهِدتُ الآنَ فيك، حين جئتُ إلى بيتٍ هو دِيْنُكَ ودِيْنُ آبائكَ لأَهدِمَنَّهُ، فلم تُكلِّمني فيه، وكَلَّمتَني لإبلٍ أَصَبتُها. فقال عبدُ المُطَّلِبِ: أنا ربُّ هذه الإبلِ، ولهذا البيتِ رَبٌّ سَيمنَعُه. فأمَرَ بإبلِه فَرُدَّتْ عليه، فخرجَ، وأخبر قُريشاً، وأمَرهم أنْ يتفرَّقوا في الشِّعابِ ورؤوسِ الجبال خوفاً مِنَ مَعرَّةِ الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبدُ المُطَّلِبِ الكعبةَ، فأخذَ بحَلْقة الباب، وجعلَ يقول:

يَـا رَبِّ لاَ أَرْجُـو لـهـم سِـوَاكَـا ... يَـا رَبِّ فَـامْـنَـعْ مِـنْـهُـمُ حِـمَـاكَـا
إِنَّ عَـدُوَّ الـبـيـتِ مَـنْ عَـادَاكَـا ... إِمْـنَـعْـهُـمُ أَنْ يُـخْـرِبُـوا قُـرَاكَـا

وقال أيضاً:

لاَهُـــمَّ إِنَّ الـــمَـــرْءَ يَـــمْـــ ... ـنَعُ رَحْلَـه وحلالَـه فـامنَـعْ حلالَـكْ
لاَ يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ ... وَمِـحَـالُـهـم عَـدْواً مِـحَـالَـكْ
جَـرُّوا جـمـيـعَ بـلادِهـم ... والـفـيـلَ كـي يَـسْـبُـوا عِـيَـالَـكْ
عَـمِـدُوا حِـمَـاكَ بِـكَـيْـدِهِـم ... جَـهـلاً ومـا رَقَـبُـوا جَـلاَلَـكْ
إنْ كُـنـتَ تـارِكَـهُـم وكَـعْـ ... ـبـتَـنَـا فَـأَمْـرٌ مَـا بَـدَا لَـكْ

ثم إنَّ أبرهَةَ أصبح مُتهيئاً للدخول، فبَركَ الفيلُ، فبعثوه فأبَى، فضربوه، فأبَى، فوَجَّهوه إلى اليَمنِ راجعاً، فقام يُهرولُ، ووَجَّهوه إلى الشام ففعلَ مثلَ ذلك، وإلى المَشرِقِ ففعلَ مثلَ ذلك، فوجَّهُوه إلى الحَرَمِ، فأبَى، فأرسلَ اللهُ طيراً مِنَ البحرِ.

واختلفوا في صِفَتِها، فقال ابنُ عباس: كانت لهم خَراطِيمُ كخَراطِيم الطير، وأكُفٌّ كأكُفِّ الكلابِ. وقال عِكرمَةُ: كانت لها رؤوسٌ كرؤوس السِّباع. وقال ابنُ إسحاقَ: كانت أمثالَ الخَطاطِيفِ.

واختلفوا في ألوانِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها كانت خضراءَ، قاله عِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: سوداءُ، قاله عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والثالث**: بيضاءُ، قاله قَتادَةُ. وقال: وكان مع كلِّ طيرٍ ثلاثةُ أحجارٍ، حَجَرانِ في رِجْلَيهِ، وحجرٌ في مِنْقارِه.

واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضُهم: كانت كأمثال الحُمُّصِ والعدسِ. وقال عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ: بل كان الحجرُ كرأسِ الرجل وكالجَمَلِ، فلمَّا غَشِيَتِ القومَ أرسَلْتها عليهم، فلم تُصِبْ تلك الحجارةُ أحداً إلاَّ هَلَكَ. وكان الحجر يقع على رأسِ الرجل، فيخرج مِنْ دُبُرِه. وقيل: كان على كلِّ حجرٍ اسمُ الذي وقع عليه، فهَلَكوا ولم يدخلوا الحَرَم، وبعثَ اللهُ على أبرَهَةَ داءً في جسده، فتساقَطَتْ أنامِلُه، وانْصَدَعَ صدرُه قطعتين عن قلبه، فهَلَكَ، ورأى أهلُ مكَّةَ الطيرَ قد أقبلَتْ مِنْ ناحية البحر، فقال عبدُ المُطَّلبِ: إنَّ هذه الطير غريبةٌ. ثم إنَّ عبدَ المُطَّلبِ بعثَ ابنَه عبدَ الله على فرسٍ ينظر إلى القوم، فرجعَ يركضُ وهو يقول: هَلَكَ القومُ جميعاً، فخرجَ عبدُ المُطَّلبِ وأصحابُه فغَنِموا أموالَهم. وقيل: لم يَنْجُ مِنَ القوم إلاَّ أبو يكسوم، فسَارَ، وطائرٌ يطير على رأسِه مِنْ فوقه، ولا يشعر به، حتى دخلَ على النَّجاشِي، فأخبره بما أصابَ القومُ، فلما أتَمَّ كلامَه رَماهُ الطائرُ فمات، فأرى اللهُ تعالى النَّجاشِي كيف

كان هلاكُ أصحابِه.

واختلفوا كم كان بين مولِد رسولِ الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثةِ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ وُلِدَ عامَ الفيلِ، وهو الأصحُّ. **والثاني**: كان بينهما ثلاثٌ وعشرون سنةً، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أربعونَ سنةً، حكاه مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وهو ما أرادوا مِنْ تخريب الكَعبةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾أي: في ذهابٍ. والمعنى: أنَّ كَيدَهُم ضَلَّ عمَّا قصدوا له، فلم يَصِلوا إلى مُرادِهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

وفي «الأبابِيْل» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المُتفرِّقةُ مِنْ هاهنا وها هنا، قاله ابنُ مسعودٍ، والأَخفشُ. **والثاني**: أنها المُتابِعةُ التي يَتبعُ بعضُها بعضاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الكثيرة، قاله الحَسنُ، وطَاوسٌ. **والرابع**: أنها الجمع بعدَ الجمع، قاله عَطاءٌ، وأبو صالحٍ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ: «الأبابِيْل»: جماعاتٌ في تَفرقةٍ. **والخامس**: المختلفةُ الألوانِ، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. قال الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ: «الأبابِيْل» لا واحدَ لها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْمِيهِم﴾ وقرأ أبو عبدالرَّحمنِ السُّلَميُ وابنُ يَعمُر وَحُمَيدٌ وأبو حَنيفَةَ «يرميهم» بالياء. وقد بَيَّنَّا معنى «سِجِّيل» في هود[٢] ومعنى «العَصْف» في سُورَةِ الرَّحمن[٣] عزَّ وجلَّ.

في معنى «مأكول» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يكونَ أراد به أنه أُخِذَ ما فيه مِنَ الحَبِّ فأُكِلَ، وبقي هو لا حَبَّ فيه. **والثاني**: أنْ يكونَ أراد العَصْفَ مأكُولَ البهائم، كما يُقال للحِنطَةِ: هذا المأكُولُ ولمَّا يُؤكَلْ. وللماء: هذا المَشرُوب ولمَّا يُشرَبْ، يريد أنهما مما يُؤكَلُ ويُشرَبُ، ذكرهما ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ المأكُولَ هاهنا: الذي وقعَ فيه الأُكَالُ. فالمعنى: جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأُكِلَ: أي: وقعَ فيه الأُكَالُ، قاله الزَّجَّاجُ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «السيرة النبوية» ١/ ٢٠٣: كون رسول الله ﷺ ولد عام الفيل هو قول الجمهور. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٤٧٦. وقال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ٦٥٩: سورة الفيل: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيّب سعيهم وأضلّ عملهم وردهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثه النبي محمد ﷺ على خاتم الأنبياء.

(٢) هود: ٨٢.
(٣) الرحمن: ١٢.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

ويُقال لها: سُورَةُ لإِيلاف

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ السَّائِبِ.

واختلف القُرَّاءُ في «لإِيْلافِ»[1] فقرأ ابنُ عامرٍ «لإِلافِ» بغيرِ ياءٍ بعد الهمزة، مثل: لِعِلاف. وقرأ أبو جعفرَ بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غير همزٍ. وروى حَمَّادُ بنُ أحمدَ عن الشموني[2] بهمزتين مخففتين، الأولى: مكسورةٌ، والثانية: ساكنةٌ على وزنِ لِفعْلان. وقرأ الباقون بهمزةٍ بعدها ياءٌ ساكنةٌ، مثل لِعيلاف.

وفي لام «لإِيْلاف» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها موصولةٌ بما قبلَها، المعنى: فجَعلَهم كعَصْفٍ مأكُولٍ لإِيلافِ قُرَيشٍ، أي أهلَكَ اللهُ أصحابَ الفيل لِتبقى قُريشٌ. وما قد أَلِفُوا مِنْ رحلة الشتاء، والصيف هذا قولُ الفَرَّاءِ والجمهور. **والثاني**: أنها لامُ التعجُّب، كأنَّ المعنى: اعْجَبوا لإِيْلافِ قُريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف، وتَركِهم عبادة ربِّ هذا البيت، قاله الأعمَشُ، والكِسَائيُ. **والثالث**: أنَّ معناها مُتَّصلٌ بما بعدها. المعنى: فَلْيَعبُدْ هؤلاءِ ربَّ هذا البيت لإِيْلافِهم رحلةَ الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرِّحلتين آمِنِيْنَ، وإذا عَرَضَ لهم عارِضٌ قالوا: نحن أهلُ حَرَمِ الله فلا يُتَعرَّضُ لهم، قال الزَّجَّاجُ: وهذا الوجه قولُ النَّحويين الذي تُرتضى أقوالُهم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: بعض الناس يذهب إلى أنَّ هذه السورةَ وسورةَ الفيلِ واحدةٌ، وأكثرُ الناس على أنهما سُورَتانِ، وإنْ كانتا مُتَّصِلَتَي الألفاظ. والمعنى: أنَّ قريشاً كانت بالحَرَم آمِنةً مِنَ الأعداء. والحَرمُ وَادٍ جَدِيبٌ لا زرعَ فيه ولا شجرَ، وإنما كانت قُريشٌ تعيش فيه بالتجارة وكانتْ لهم رِحلتانِ في كلِّ سنةٍ، رحلةٌ في الشتاء، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام. ولولا هاتانِ الرِّحلتانِ لم يكن به مَقامٌ. ولولا أنهم بِمُجاورةِ البيت لم يَقدِروا على التصرُّفِ، فلما قصدَ أصحابُ الفيل هَدْمَ الكَعبِ أهلَكَهُم اللهُ لِتُقيمَ قُريشٌ بالحَرم، فذكَّرهم الله نعمتَه بالسورتين. والمعنى: أنه أهلَكَ أولئك لِيُؤلِّفَ قُريشاً هاتين الرِّحلتين اللَّتي بها مَعاشهم، ومَقامُهم بمكَّةَ. تقول: أَلِفتُ موضعَ كذا: إذا لَزِمتَهُ، وأَلِفَنيهُ اللهُ، كما تقول: لَزِمتُ موضعَ كذا وكذا، وأَلْزَمَنِيهُ اللهُ، وكرَّرَ «لإيلاف» للتوكيد، كما تقول: أعطَيتُكَ المالَ لِصيانة وجهِكَ صيانةً عن كلِّ الناس. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: أَلِفتُ المكانَ أَلِفاً، وآلَفْته إيْلافاً بمعنًى واحدٍ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٠٠: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه **﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾** بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة من آلفت الشيء أولفه إيلافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه.

(٢) في الأزهرية «محمد بن حبيب الأشموني عن أبي يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم».

وأمَّا قُريشٌ فهم وَلَدٌ لنضر بن كنانة، وكل من لم يلده النضر فليس بقُرشيٍّ. وقيل: هم وَلَدُ فِهْرِ بنَ مالكِ بنِ النَّضْرِ فمن لم يلِدْهُ فِهْرٌ فليس بقُرشيٍّ. وإنما سُمُّوا قُريشاً لتجارتهم وجمعِهم المالَ. والقَرش: الكَسبُ. يقال: هو يقرشُ لِعيالِه، وَيقتَرِشُ، أي: يكتسب. وقد سأل مُعاويةُ ابنَ عباسٍ لِمَ سُمِّيَتْ قُريشٌ قُريشاً؟ فقال ابنُ عباسٍ: بدابَّةٍ تكون في البحر يُقال لها: القَرِيشُ لا تَمُرُّ بشيءٍ مِنَ الغَثِّ والسمينِ إلاَّ أكَلَتْهُ. وأنشد:

وقُـريشٌ هـي الـتـي تَـسْـكُـنُ الـبحـ ... ـرَ بـهـا سُـمِّـيَـتْ قُـرَيْـشٌ قُـرَيْـشـاً
تـأكُـلُ الـغـثَّ والـسَّـمـيـن ولا تـتـر ... كُ فـيـه لِـذي الـجَـنـاحَـيـنِ رِيْـشـا

وقال ابنُ الأنْباري: قال قومٌ: سُمُّوا قُريشاً بالاقتِراشِ، وهو وقوعُ الرِّماحِ بعضها على بعضٍ. قال الشاعر:

ولـمَّـا دَنَـا الـرَّايـاتُ واقْـتَـرَشَ الـقَـنَـا ... وَطَـارَ مَـعَ الـقَـوْمِ الـقُـلـوبُ الـرَّواجِـفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ قرأ أبو جعفرَ وابنُ فُلَيْحٍ عن ابنِ كثيرٍ، والوليدُ بنُ عُتْبَةَ عن ابنِ عامرٍ، والثَّعلَبيُ عن ابنِ ذَكْوَانَ، عنه «إلا فهم» بهمزةٍ مكسورةٍ من غيرِ ياءٍ بعدها، مثل: عِلافِهِم. وروى الخُزاعِيُ عن ابنِ فُلَيْحٍ، وأبانُ بنُ تَغْلِبَ عن عاصِمٍ «إلْفهم» بسكونِ اللام أيضاً. ورواه الشموني إلاَّ حَمَّاداً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياءٌ ساكنةٌ، ورواه حمَّادٌ كذلك إلاَّ أنه حَذفَ الياءَ. وقرأ الباقون بهمزةٍ، بعدها ياءٌ ساكنةٌ مثل «عِيْلافهم». وجمهور العلماء على أنَّ الرِّحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشَّامِ في الصيف، وإلى اليمنِ في الشتاء لِشدَّةِ بَردِ الشام. وروى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: كانوا يُشتون بمكَّةَ، ويُصيفون بالطَّائفِ. قال الفرَّاءُ: والرحلة منصوبةٌ بإيقاع الفعل عليها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ أي: لِيُوَحِّدوه ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: بعد الجوع، كما تقول: كَسَيتُكَ مِنْ عُرْيٍ، وذلك أنَّ الله آمَنَهم بالحَرمِ، فلم يُتَعرَّضْ لهم في رحلَتِهم، وكان ذلك سبباً لإطعامِهم بعدما كانوا فيه مِنَ الجوع. وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: كانوا في ضُرٍّ ومَجاعةٍ حتى جَمَعَهُم هاشمٌ على الرِّحلتين، فكانوا يُقسِمونَ رِبحَهم بين الغنيِّ والفقيرِ حتى استَغْنَوْا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ وذلك أنهم كانوا آمِنِيْنَ بالحَرمِ، إنْ حضروا حِماهُم، وإن سافروا قيلَ: هؤلاءِ أهلُ الحَرَمِ، فلا يَعرِضُ لهم أحدٌ.

سُورَةُ الماعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

ويُقال لها: سُورَة أرأيتَ

وفيها قولان: **أحدهما**: مكّيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ. وقال هِبَةُ الله المُفسِّرُ: نزل نِصفُها بمكَّةَ في العاصِ بن وائلٍ، ونصفُها بالمدينة في عبدِالله بنِ أُبَيٍّ المنافقِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآيةُ على ستةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في رجلٍ مِنَ المنافقين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها نزلت في عمرِو بنِ عائذٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: في العاصِ بنِ وائلٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: في أبي سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسادس**: في أبي جَهْلٍ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الدِّين» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه حُكمُ الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحساب، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ. **والثالث**: الجزاء، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: القرآن، حكاه بعضُ المُفسِّرين. و﴿يَدُعُّ﴾ بمعنى يَدفَعُ. وقد ذكرناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ والمعنى: أنه يَدفَعُ اليتيمَ عن حقِّهِ دَفْعاً عنيفاً ليأخذَ مالَه. وقد بيَّنَّا فيما سبقَ أنهم كانوا لا يُوَرِّثون الصغيرَ، وقيل: يَدفَعُ اليتيمَ إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثوابَ إطعامِه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يُطعِمُه، ولا يأمرُ بإطعامِه لأنه مُكذِّبٌ بالجزاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[١] نزل هذا في المنافقين الذين

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٦٧: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق وأبو الضحى، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها =

لا يَرجُونَ لِصلاتِهم ثواباً، ولا يخافون على تَرْكِها عقاباً. فإنْ كانوا مع النبيِّ ﷺ صَلُّوا رِياءً، وإنْ لم يكونوا معه لم يُصَلُّوا، فذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ وقال ابنُ مسعودٍ: واللَّهِ ما تركوها البتَّةَ ولو تَرَكُوها البَتَّةَ كانوا كُفَّاراً، ولكنْ تَركوا المُحافظةَ على أوقاتِها. وقال ابنُ عباسٍ: يُؤَخِّرُونها عن وَقْتِها. ونُقِلَ عن أبي العاليةِ أنه قال: هو الذي لا يَدري عن كَم انصرَفَ، عن شَفْعٍ، أو عن وِترٍ. ورَدَّ هذا بعضُ العلماءِ فقال: هذا ليس بشيءٍ، لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد سَهَا في صَلاته[1]، ولأنه قال عزَّ وجلَّ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يَقُلْ: في صلاتِهم، ولأنَّ ذاك لا يكادُ يدخل تحتَ طَوْقِ ابنِ آدمَ.

قلت: ولا أظنُّ أبا العاليةِ أراد السَّهْوَ النادرَ، وإنما أراد السَّهْوَ الدائمَ، وذلك يُنبِئُنا عن الْتِفاتِ القلب عن احترام الصلاة، فيتوجه الذمُّ إلى ذلك لا إلى السَّهْوِ. وفي ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ ستةُ أقوالٍ:

[١٥٧١] **أحدها**: الإبرةُ، والماءُ، والنَّارُ، والفَأْسُ، وما يكون في البيت مِنْ هذا النحو، رواه أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ في روايةٍ. ورَوى عنه أبو صالحٍ أنه قال: المَاعُون: المعروفُ كُلُّه حتى ذَكَرَ القِدْرَ، والقَصْعَةَ، والفأسَ. وقال عِكرمَةُ: ليس الوَيْلُ لِمَنْ مَنَعَ هذا، إنما الويلُ لِمَنْ جمعهنَّ، فَرَاءَى في صلاتِه، وسَهَا عنها، ومَنَعَ هذا. قال الزَّجَّاج: والمَاعُونُ في الجاهلية: كلُّ ما كان فيه منفعةٌ كالفأسِ، والقِدْرِ، والدَّلْوِ، والقَدَّاحةِ، ونحوِ ذلك، وفي الإسلام أيضاً.

والثاني: أنه الزَّكاةُ، قاله عليٌّ، وابنُ عمرَ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنه الطاعةُ، قاله ابنُ عباسٍ في روايةٍ. **والرابع**: المال، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والزُّهريُّ. **والخامس**: المعروفُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعْبٍ. **والسادس**: الماء، ذكره الفَرَّاءُ عن بعضِ العرب قال: وأنشدني:

يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبّا

والصَّبِيرُ: السَّحابُ.

[١٥٧١] ضعيف جداً. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/١٦٨ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً لضعف عمرو بن شبيب، وفي الإسناد مجاهيل. وحسبه أن يكون من كلام أبي هريرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٢٣ بتخريجنا.

= وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

(١) قال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ٢٠/١٩٥: وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته، فضلاً عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهود في كتبهم قال ابن العربي: لأن السلامة من السهو محال. اهـ. قلت: قوله وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو، ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين، وتقدم.

سورة الكوثر

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله الحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

وفي «الكَوْثَر» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه نهرٌ في الجنة.

[١٥٧٢] رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: بَيْنا أنا أسيرُ في الجنة إذا بِنَهرٍ حافَّتاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجوَّفِ. قلتُ: ما هذا يا جِبرِيلُ؟ قال: هذا الكَوْثرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ عزَّ وجلَّ، فإذا طِينُه، أو طِينَتُه مِسْكٌ أذفَرُ.

[١٥٧٣] ورَوى مُسلِمٌ أيضاً في أفرادِه مِنْ حديث أنسٍ أيضاً قال: أغفَى رسولُ الله ﷺ إغفاءَةً، ثم رفعَ رأسَه مُتبسِّماً فقلنا له: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فقال: «إنه أُنزِلَتْ عليَّ آنفاً سُورَةٌ» فقرأ: بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتى خَتَمها. وقال: «هل تدرون ما الكَوثَرُ؟» فقالوا: الله ورسوله أعلَمُ. قال: «هو نهرٌ أعطانِيهُ الله ربِّي عزَّ وجلَّ في الجنة عليه خيرٌ كثيرٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القيامة آنِيَتُه عددُ نجومِ كواكبِ السماء، يَختَلِجُ العبدُ منهم، فأقول: يا ربِّ إنه مِنْ أُمَّتي، فيُقال لي: إنكَ لا تدري ما أحْدَثوا بعدَكَ».

والثاني: أنَّ الكَوثرَ: الخير الكثير الذي أُعطِيَ نبيُّنا ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: العلمُ والقرآنُ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: النُّبوةُ، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: أنه حَوضُ رسولِ الله ﷺ الذي يَكثُر الناسُ

[١٥٧٢] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٨٠ وأحمد ٣/ ١٩١ و ٢٨٩ وأبو يعلى ٢٨٧٦ والطبري ٣٨١٧٣ والطيالسي ٢٨١٣ من طرق عن همام عن قتادة عن أنس بن مالك به. وأخرجه أحمد ٣/ ١٠٣ وابن المبارك في «الزهد» ١٦١٢ والطبري ٣٨١٧٢ من طريق ابن أبي عدي عن حميد به. وأخرجه النسائي في «التفسير» ٧٢٦ وأحمد ٣/ ١١٥ و ٢٦٣ والآجري في «الشريعة» ٩٤٩ و ٩٥٠ وابن أبي شيبة ١١/ ٤٣٧ وابن حبان ٦٤٧٢ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٢٧ من طرق عن حميد به.

وأخرجه البخاري ٤٩٦٤ وأبو داود ٤٧٤٨ والترمذي ٣٣٥٦ و ٣٣٥٧ وأحمد ٣/ ١٦٤ و ٢٠٧ وابن ماجه ٤٣٠٥ والطبري ٣٨١٧٠ و ٣٨١٧١ من طرق عن قتادة به.

[١٥٧٣] صحيح. أخرجه مسلم ٤٠٠ والبغوي في «التفسير» ٢٤٠٣ عن أبي بكر بن أبي شيبة به عن أنس.

ـ وأخرجه النسائي ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤ وأبو عوانة ٢/ ١٢١ من طريق علي بن مسهر به.

عليه، قاله عَطاءٌ. **والسادس**: أنه كثرةُ أتباعِه، وأُمَّتِه، قاله أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وفي هذه الصلاة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها صلاة العيد. وقال قَتادَةُ: صلاةُ الأَضحى. **والثاني**: أنها صلاةُ الصُّبحِ بالمُزدَلِفَةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الصلواتُ الخَمسُ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: اذْبَحْ يومَ النَّحرِ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ ومُجاهِدٌ والجمهور. **والثاني**: وَضعُ اليُمنى على اليُسرى عند النحر في الصلاة رَواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ وهو قول عليٍّ رضي الله عنه، قال ابنُ جَريرٍ: فيكون المعنى ضَع اليُمنى على اليُسرى عند النَّحرِ في الصلاة. **والثالث**: أنه رَفعُ اليدين بالتكبير إلى النَّحرِ، قاله أبو جعفَرَ محمَّدُ بنُ عليٍّ. **والرابع**: أنَّ المعنى: صَلِّ لله، وانحرْ لله، فإنَّ ناساً يُصلُّون لغيره، ويَنحرونَ لغيره، قاله القُرَظيُّ. **والخامس**: أنه استقبالُ القِبْلَةِ بالنَّحرِ، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ اختلفوا فيمَنْ عَنى بذلك على خمسةِ أقوالٍ[2]:

أحدها: أنه العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ.

[١٥٧٤] قاله ابنُ عباسٍ: نزلت في العاصِ بنِ وائلٍ، لَقِيَ رسولَ الله ﷺ على باب المسجد فوقفَ يُحدِّثُه حتى دخلَ العاصُ المسجدَ، وفيه أناسٌ مِنْ صناديدِ قُريشٍ، فقالوا له: مَنِ الذي كنتَ تُحدِّثُ؟ قال: ذلك الأبتَرُ، يعني النبيَّ ﷺ، وكان قد تُوفِّيَ قبل ذلك عبدُ الله ابنُ رسولِ الله ﷺ، وكانوا يُسمُّونَ مَنْ ليس له ابنٌ: أبتَر، فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ هذه السورةَ. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاصِ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

والثاني: أنه أبو جَهلٍ، رُويَ عن ابنَ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أبو لَهَبٍ، قاله عَطاءٌ. **والرابع**: عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله شِمْرُ بنُ عَطِيَّةَ. **والخامس**: أنه عَنى به جماعةً مِنْ قُريشٍ، قاله عِكرمَةُ. والشَّانِئ: المُبْغِضُ، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: المُنقَطِعُ عن الخير.

[١٥٧٤] لم أره مسنداً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٧٢ عن ابن عباس بدون إسناد.
وورد بنحوه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ذكره الشوكاني في «فتح القدير» ٦١٧٤ وهذا إسناد ساقط. وكون الآية نزلت في العاص بدون هذه القصة. أخرجه الطبري ٣٨٢١٦. من مرسل سعيد بن جبير، ٣٨٢١٧ من مرسل مجاهد و ٣٨٢١٨ من مرسل قتادة. وهو الراجح.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٢٤: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرك، اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له.
وحضك به من إعطائه إياك الكوثر، قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٤: وهذا الذي قاله أبو جعفر الطبري، في غاية الحسن وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٤: يعني عدوك، وهذا يعم جميع من أنصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم. وقال الطبري رحمه الله ١٢/ ٧٢٦: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبره أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص معين.

سورة الكافرون

ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، رُوِيَ عن قَتادَةَ. ذِكْرُ سببِ نزولِها: اختلفوا على ثلاثةِ أقوالٍ[1]:

[١٥٧٥] **أحدها**: أنَّ رَهطاً مِنْ قُريشٍ منهم الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، والعاصُ بنُ وائلٍ، والأسوَدُ بنُ عبدِ يَغوثَ لَقُوا العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالوا: يا أبا الفَضْلِ: لو أنَّ ابنَ أخيكَ أسلَمَ بعضَ آلهتِنا لَصَدَّقناه بما يقول ولآمَنَّا بإلهِه، فأتاه العبَّاسُ فأخبره فنزلت هذه السورةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٥٧٦] **والثاني**: أنَّ عُتبَةَ بنَ رَبيعةَ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ لَقِيا رسولَ الله ﷺ فقالا يا محمَّدُ: لا نَدعُكَ حتى تتبعَ دِينَنا، ونَتَّبعَ دِينَكَ، فإنْ كان أمرُنا رشداً كنتَ قد أخذتَ بحظِّكَ منه، وإنْ كان أمرُكَ رشداً كنَّا قد أخَذْنا بحَظِّنا منه، فنزلت هذه السُّورةُ، قاله عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ.

[١٥٧٧] **والثالث**: أنَّ قُريشاً قالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ سَرَّكَ أنْ نتبعَ دِينَكَ عاماً، وترجعَ إلى دِينِنا عاماً، فنزلت هذه السورةُ، قاله وَهْبٌ. قال مُقاتِلٌ في آخرين: نزلت هذه السورةُ في أبي جَهْلٍ وفي المستهزئين، ولم يُؤمِنْ مِنَ الذين نزلت فيهم أحَدٌ. وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ فهو في موضعِ

[١٥٧٥] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح ليس بثقة، روى الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس تفسير ليس له أصل عنه. راجع ترجمتهما في «الميزان». وانظر ما بعده.

[١٥٧٦] عزاه المصنف لعبيد بن عمير، وهو تابعي، فهو مرسل. وأخرجه الطبري ٣٨٢٢٦ عن ابن إسحق عن سعيد بن مينا به، وهذا مرسل. ويشهد له ما بعده.

[١٥٧٧] مرسل. أخرجه عبد الرزاق ٣٧٢٧ عن وهب بن منبه مرسلاً. ويشهد له ما قبله.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٥: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية.

«مَنْ» ولكنه جُعِلَ مُقابلاً لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهي الأصنام.

وفي تكرارِ الكلام قولان[1]: **أحدهما**: أنها لتأكيدِ الأمرِ، وحَسْمِ أطماعِهم فيه، قاله الفَرَّاءُ. وقد أنعَمْنا شرحَ هذا في سُورَةِ الرَّحمن[2]. **والثاني**: أنَّ المعنى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في حالي هذه ﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾ في حالِكُم هذه، ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فيما أستَقبِلُ، وكذلك أنتم، فنفَى عنه وعنهم ذلك في الحالِ والاستقبالِ، وهذا في قوم بأعيانِهم، أعلَمَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنهم لا يُؤمنون، كما ذكرنا عن مُقاتِلٍ، فلا يكون حِينَئذٍ تكراراً، هذا قولُ ثعلَبٍ، والزَّجَّاج. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ فَتَحَ ياءَ «وليَ» نافعٌ، وحَفْصٌ، وأَبَانُ عن عاصِمٍ. وأثبَتَ ياءَ «ديني» في الحالين يعقوبُ. وهذا منسوخٌ عند المُفسِّرين بآيةِ السيف.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٧٦: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** في المستقبل قاله البخاري وقيل أن ذلك تأكيد محض. وثم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** نفي الفعل لأنها جملة فعلية **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد، فكأنه نفي الفعل ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، وهو قول حسن. واستدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: **﴿لكم دينكم ولي دين﴾** على أن الكفر كله ملة واحدة، فورث اليهود من النصارى، وبالعكس، لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان.

(٢) الرحمن: ١٣.

سُورَةُ النَّصرِ

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

[١٥٧٨] وفي أفرادِ مُسلِمٍ مِنْ حديث ابنِ عباسٍ أنها آخرُ سُورةٍ نزلتْ جميعاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَعونتُه على الأعداء. ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتحُ مكَّةَ قال الحسَنُ: لمَّا فتَحَ رسولُ الله ﷺ مكَّةَ قالت العرب: أمَا إذ ظَفِرَ محمَّدٌ بأهل الحَرَمِ، وقد أجارَهُم اللَّهُ مِنْ أصحاب الفيل، فليس لكم به يَدانِ فدَخلوا في دِيْنِ الله أفواجاً. قال أبو عُبيدَةَ: والأفواجُ: جماعاتٌ في تَفرِقةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الصلاة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التسبيحُ المعروفُ، قاله جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. قال المُفسِّرون: نُعِيَتْ إليه نفسُهُ بنزولِ هذه السُّورةِ، وأُعْلِمَ أنه قد اقتربَ أجَلُه، فأُمِرَ بالتسبيح والاستغفارِ لِيَخْتِمَ له عُمرَهُ بالزيادة في العمل الصالح(١). قال ابنُ عباسٍ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾: دَاعٍ مِنَ الله، وَوَدَاعٌ مِنَ الدنيا. قال قَتادَةُ: وعاش بعد نزولِ هذه السُّورةِ سنتين.

[١٥٧٨] صحيح، أخرجه مسلم ٣٠٢٤ والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧٣٢ والطبراني ١١٩٠٣ من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس.

سورة المسد

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

[١٥٧٩] وسببُ نزولِها ما رواه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] صَعِدَ رسولُ الله ﷺ على الصَّفا فقال: «يا صَباحَاه». فاجتمَعتْ إليه قُريشٌ، فقالوا: ما لَكَ؟ فقال: أَرَأيتُكم إنْ أخبَرتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحكُم، أو مُمَسِّيكُم، أمَا كُنتم تُصَدِّقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ». قال أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ، ألِهذا دَعوتَنا جَمْعاً؟ فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ ومعنى: تَبَّتْ خَسِرَتْ يدا أبي لَهَبٍ ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وخَسِرَ هو. قال الفَرَّاءُ: **الأول**: دُعاءٌ، **والثاني**: خبرٌ، كما يقول الرجل: أهلَكَكَ اللَّهُ وقد أهلَكَكَ، وجعلكَ اللَّهُ صالحاً وقد جَعَلَكَ. وقيل: ذَكَرَ يديه، والمراد نَفْسُه، ولكنْ هذا عادة العرب يُعبِّرون ببعضِ الشيءِ عن جميعه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[٢]. وقال مُجاهِدُ: «تبت يدا أبي لهبٍ وتَبَّ» وَلَدُ أبي لَهَبٍ. فأمَّا أبو لَهَبٍ فهو عمُّ رسولِ الله ﷺ. وقيل: إنَّ اسمَه عبدُ العُزَّى. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وحدَهُ «أبي لَهْبٍ» بإسكانِ الهاء. قال أبو عليٍّ: يشبه أن يكون كالسَّمْعِ والسَّمَعِ، والنَّهْرِ والنَّهَرِ.

فإنْ قيل: كيف كَنَّاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وفي الكُنية نوعُ تعظيم؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه إنْ صحَّ أنَّ اسمَه عبدُ العُزَّى، فكيف يَذكُره اللَّهُ بهذا الاسم وفيه معنى الشِّرْكِ؟! **والثاني**: أنَّ كثيراً مِنَ الناس اشتَهَروا بكُناهُم، ولم يُعرف لهم أسماءٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: خبَّرني غيرُ واحدٍ عن الأصمَعِي أنَّ أبا عمرِو بنَ العلاءِ، وأبا سُفْيانَ بنَ العَلاءِ إسماهُما كُناهُما، فإنْ كان اسمُ أبي لَهَبٍ كُنيَتَه، فإنما ذكره بما لا يُعرفُ إلاَّ به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾، قال ابنُ مسعودٍ:

[١٥٧٩] متفق عليه، وتقدم في سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

---

(١) الشعراء: ٢١٤. (٢) الحج: ١٠.

[١٥٨٠] لمَّا دَعا رسولُ الله ﷺ أقرَبيه إلى الله عزَّ وجلَّ قال أبو لَهب: إنْ كان ما يقول ابنُ أخي حقًّا، فإني أفتَدِي بمالي، ووَلَدي، فقال اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: و «ما» في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه مالُه وكَسْبُه أي: وَلَدُه. وكذلك قال المُفسِّرون: المراد بكَسْبه ها هنا: وَلَدُه. و «أغنى» بمعنى يُغني ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ أي: تَلتَهِبُ عليه مِنْ غير دُخانٍ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أي: سَتَصلى امرأتُه، وهي أُمُّ جميلٍ بنتُ حَرْبٍ أختُ أبي سُفيانَ. وفي هذا دلالةٌ على صحة نُبوَّة نبيِّنا محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبرَ بهذا المعنى أنه وزوجتَهُ يموتان على الكفر، فكان ذلك، إذا لو قالا بألسِنَتِهما: قد أسلَمْنا، لَوجَدَ الكفَّارُ متعلقاً في الرَّدِّ على رسول الله ﷺ، غيرَ أنَّ اللَّهَ علِمَ أنهما لا يُسلِمانِ باطناً ولا ظاهراً، فأخبرَهُ بذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها كانت تمشي بالنَّميمةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فَشبَّهوا النَّميمةَ بالحَطَبِ، والعداوةَ والشَّحناءَ بالنارِ، لأنهما يَقعَانِ بالنَّميمةِ، كما تَلتَهِبُ النارُ بالحَطَبِ. **والثاني**: أنها كانت تَحتَطِبُ الشَّوكَ، فتُلقِيه في طريق رسولِ الله ﷺ ليلاً، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنها كانت تُعيِّرُ رسولَ الله ﷺ بالفقر، وكانت تَحتَطِبُ فَعُيِّرتْ بذلك، قال قَتادَةُ. وليس بالقويّ، لأنَّ الله تعالى وَصفَهُ بالمال. وقرأ عاصِمٌ وحدَهُ ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ بالنصب.

قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصبَ «حمّالةَ» فعلى الذَّم. والمعنى: أعني: حمَّالة الحَطبِ. والجِيْدُ: العُنُق. والمَسَدُ في لغة العرب: الحَبْلُ إذا كان مِنْ ليفِ المُقْلِ. وقد يُقال لِمَا كان مِنْ أوبارِ الإبل مِنَ الحِبال: مَسَدٌ. قال الشاعر:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيانُقِ(٢)

وقال ابنُ قُتَيبةَ: المَسَدُ عند كثيرٍ مِنَ الناس: اللِّيفُ دونَ غيره، وليس كذلك، إنما المَسَدُ: كُلُّ ما ضُفِرَ وفُتِلَ مِنَ اللِّيفِ وغيره.

واختلفَ المُفسِّرون: في المراد بهذا الحَبْلِ على ثلاثةِ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنها حِبالٌ كانت تكون

[١٥٨٠] لم أقف له على إسناد، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٦٨١ بصيغه التمريض بقوله: وذكر عن ابن مسعود. والصواب في هذا الحديث المتقدم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٨١: كانت عوناً لزوجها على كفره، وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: **﴿حمالة الحطب في جيدها حبل مسد﴾** يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها يزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له.

(٢) هو صدر بيت لعمارة بن طارق وعجزه:

صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مخٍ زاهقِ

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٣٨: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير رحمه الله: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: **﴿في جيدها حبل من مسد﴾** في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها. ثم كذلك دائماً.

بمكّةَ، رواه العَوْفيُ عن ابنِ عباسٍ وقال الضَّحّاكُ: حبلٌ مِنْ شجرٍ كانت تَحتَطِبُ به. **والثاني**: أنه قِلادةٌ مِنْ وَدَعٍ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنه سِلسلةٌ مِنْ حديدٍ ذَرْعُها سبعونَ ذراعاً، قاله عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ، وقال غيره: ألمراد بهذا الحَبْل: السّلسلةُ التي ذَكَرها الله تعالى في النارِ، طُولُها سبعونَ ذراعاً. والمعنى: أنَّ تلك السّلسلةَ قد فُتِلَتْ فَتْلاً مُحْكَماً، فهي في عُنقِها تُعذَّبُ بها في النارِ.

سورة الإخلاص
ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والحَسنُ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ.

والثاني: مدنيَّةٌ، رُويَ عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاك.

[١٥٨١] وقد رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث أبي سعيدِ الخُدري أنَّ النبيّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنَّها لَتَعدِلُ ثُلُثَ القرآن».

[١٥٨٢] ورَوى مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث أبي هُريرَةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّها تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن». وفي سببِها نزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٥٨٣] **أحدها**: أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسُبْ لنا ربَّكَ، فنزلت هذه السورةُ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ.

[١٥٨٤] **والثاني**: أنَّ عامرَ بنَ الطُّفَيلِ قال لرسول الله ﷺ: إلامَ تَدْعونا يا محمَّدُ؟ قال: إلى الله عزَّ وجلَّ. قال: صِفْهُ لي، أَمِنْ ذهبٍ هو، أو مِنْ فِضَّةٍ، أَمْ مِنْ حديدٍ، فنزلت هذه السورةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٥٨٥] **والثالث**: أنَّ الذين قالوا هذا، قومٌ مِنْ أحْبارِ اليهود قالوا: مِنْ أي جنسٍ هو، ومِمَّنْ

[١٥٨١] صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ ومالك ١/ ٢٠٨ وأحمد ٣/ ٣٥ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ٢/ ١٧١ وابن حبان ٧٩١ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري. وانظر «تفسير القرطبي» ٦٥٢٢.

[١٥٨٢] صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ وأحمد ٢/ ٤٢٩ من حديث أبي هريرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٧١ بتخريجنا.

[١٥٨٣] حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٦٤ وأحمد ٥/ ١٣٤ والحاكم ٢/ ٥٤٠ والطبري ٢٨٢٩٨ والواحدي ٨٨٠ من حديث أبي العالية عن أبي بن كعب به، وإسناده لا بأس به، وله شواهد. وورد من مرسل أبي العالية: أخرجه الطبري ٣٨٣٠٠. وورد من حديث جبير: أخرجه أبو يعلى ٢٠٤٤ والطبري ٣٨٣٠١ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٨١ وفي «الوسيط» ٤/ ٥٧٠ ـ ٥٧١. وإسناده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف. وورد من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٣٨٢٩٩، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[١٥٨٤] عزاه البغوي في «التفسير» ٤/ ٥٤٤ لأبي صالح وأبي ظبيان عن ابن عباس، وأبو صالح متهم في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي ظبيان ابنه قابوس، وهو ضعيف. ولا يصح هذا الخبر، وتقدم ذكر أربد في سورة الرعد.

[١٥٨٥] لم أره عن الضحاك مسنداً، ومرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٨٣٠٣، ولا يصح هذا الخبر، فإن السورة =

وَرِثَ الدنيا، ولِمَنْ يُوَرِّثُها؟ فنزلت هذه السورةُ، قاله قَتَادَةُ، والضَّحَّاكُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ «أَحَدٌ الله» وقرأ أبو عمروٍ «أحدُ الله» بضمِّ الدال، ووَصَلَهَا باسم الله. قال الزَّجَّاجُ: هو كنايةٌ عن ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ. والمعنى: الذي سألتُم تبيينَ نَسَبِته هوَ اللهُ. و «أَحَد» مرفوعٌ على معنى: هو أحدٌ، فالمعنى: هو اللهُ، وقرئت «أحدٌ الله الصمد» بتنوين أحد، وقُرِئتْ «أحدُ الله الصمد» بتركِ التنوين، وقُرِئتْ بإسكانِ الدال «أحدْ الله» وأجودُها الرفعُ بإثباتِ التنوين، وكُسِرَ التنوينُ لسكونِه وسكونِ اللام في «الله»، ومَنْ حذف التنوينَ، فلالتِقاء الساكنين أيضاً، ومَنْ أسكنَ أراد الوقفَ ثم ابتدأ «الله الصمد» وهو أردؤها.

فأمَّا «الأَحَد» فقال ابنُ عباسٍ، وأبو عُبيدَةَ: هو الواحدُ. وفرَّقَ قومٌ بينهما. وقال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الواحد: هو المُنفردُ بالذَّاتِ، فلا يُضاهِيه أحدٌ.

والأَحَدُ: هو المُنفرِدُ بالمعنى، لا يُشاركه فيه أحدٌ. وأصل «الأَحَد» عند النَّحويين: الوَحَد، ثم أبدَلَوا عن الواوِ الهمزةَ وفي «الصَّمَد» أربعةُ أقوالٍ:

[١٥٨٦] **أحدها**: أنه السَّيدُ الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ. ورَوى عليُّ بنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدُدِه. وقال أبو عُبيدَةَ: هو السيِّدُ الذي ليس فوقه أحدٌ. والعرب تسمي أشرافَها: الصَّمَد. قال الأسديُّ:

لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي بَخَيْرِي بَنِي أَسَدْ ... بعمرِو بنِ مَسْعودٍ وبالسَّيدِ الصَّمَدِ

وقال الزَّجَاجُ: هو الذي ينتهي إليه السُّؤدُدُ، فقد صَمَدَ له كلُّ شيءٍ أي قَصدَ قَصْدَهُ. وتأويل صُمُودِ كلِّ شيءٍ له: أنَّ في كلِّ شيءٍ أثرَ صُنعِه. وقال ابنُ الأنباري: لا خلافَ بين أهل اللغة أنَّ الصَّمَدَ: السيِّدُ الذي ليس فوقه أحدٌ تَصمُدُ إليه الناسُ في أمورِهم وحوائجِهم.

والثاني: أنه الذي لا جَوفَ له، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. وقال ابنُ قُتَيبة: وكان الدالُ مِنْ هذا التفسير مبدلةً مِنْ تاءٍ، والمَصمتُ مِنْ هذا. **والثالث**: أنه الدائمُ. **والرابع**: الباقي بعد فَناءِ الخَلْقِ، حكاهما الخَطَّابيُّ وقال: أصحُّ الوجوهِ الأولُ، لأنَّ الاشتقاقَ يَشهدُ له، فإنَّ أصل الصَّمَدِ: القَصْدُ. يقال: أصمُدْ صَمْدَ فُلانٍ، أي اقصُدْ قَصْدَهُ. فالصَّمَدُ: السيِّدُ الذي يُصمَدُ إليه في الأمور، ويُقصَدُ في الحوائج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ قال مُقاتِلٌ: لم يلِدْ فيُورَّث ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيُشارَك، وذلك أنَّ مشركي العرب قالوا: الملائكةُ بناتُ الرَّحمن. وقالت اليهودُ: عُزَيرٌ ابنُ الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله، فَبَرَّأَ اللهُ نفسه مِنْ ذلك.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قرأ الأكثرون بالتثقيلِ والهمزِ. ورواه حَفصٌ بالتثقيل وقَلَبَ الهمزَ واواً. وقرأ حمزَةُ بسكونِ الفاء. والكَفء: المِثْلُ المُكافِئُ. فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: ولم يكُنْ له أحدٌ كُفُواً، فقَدَّمَ وأخَّرَ لِتتَّفِقَ رؤوسُ الآياتِ.

= مكية، وأخبار اليهود وسآلاتهم مدنية، والراجح في ذلك الحديث ١٥٨٣.

[١٥٨٦] لم أقف عليه، وتفرد المصنف بذكره دون سائر المفسرين أمارة لوهنه أو وضعه لخلوه عن كتب الحديث والأثر والتفسير، ولو صح مرفوعاً ما اختلف المفسرون في تأويل «الصمد».

سُورَةُ الفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ في آخرين. **والثاني**: أنها مكِّيَّةٌ، رواه كُرَيبٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ. والأولُ أصحُّ، ويدل عليه أنَّ رسولَ الله ﷺ سُحِرَ وهو مع عائشةَ، فنزلت عليه المُعوِّذتان.

[١٥٨٧] فذَكَرَ أهلُ التفسير في سبب نزولِهما: أنَّ غلاماً مِنَ اليهود كان يخدم رسولَ الله ﷺ، فلم يزلْ به اليهودُ حتى أخذَ مُشَاطةَ رأسِ رسول الله ﷺ، وعِدَّةَ أسنانٍ مِنْ مُشْطِه، فأعطاها اليهودَ فسَحَرُوه فيها. وكان الذي تولَّى ذلك لَبيدُ بنُ أعصَمَ اليهوديُّ. ثم دَسَّها في بئرٍ لِبَني زريقٍ، يُقال لها: بئرُ ذروان. ويقال: ذي أروان، فمرضَ رسولُ الله ﷺ، وانتَثَرَ شعرُ رأسِه، وكان يرى أنه يأتي النساءَ وما يأتيهنَّ، ويُخَيَّلُ إليه أنْ يفعلَ الشيءَ، وما يفعلُه، فبَيْنا هو ذاتَ يوم نائمٌ أتاه مَلَكانِ، فقَعَدَ أحدُهما عند رأسِه، والآخَرُ عند رِجلَيْهِ، فقال أحدُهما للآخر: ما بالُ الرجلِ؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سُحِرَ. قال: ومَنْ سَحَرهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ الأعصَم. قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بمُشْطٍ ومُشَاطةٍ. قال: وأينَ هو؟ قال: في جُفِّ طَلْعةٍ تحت راعوفةٍ في بئرِ ذروان. والجُفُّ: قِشرُ الطَّلع. والرَّاعُوفَةُ: صخرةٌ تُترَكُ في أسفلِ البئر إذا حفرَتْ. فإذا أرادوا تنقيةَ البئرِ جلس المُنَقِّي عليها، فانتَبه رسولُ الله ﷺ فقال: يا عائشةُ أما شَعَرتِ أنَّ الله أخبرني بِدَائي، ثم بَعثَ علياً، والزُّبيرَ، وعمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنَزَحوا ماءَ تلك البئرِ، ثم رفعوا الصخرةَ، وأخذوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطَةُ رأسِه، وأسنانُ مُشطِه، وإذا وَتَرٌ مُعقَدٌ فيه إحدى عشرة عُقدةً مغروزةً بالإبرةِ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ المُعَوِّذتين، فجعلَ كلَّما قرأ آيةً انحلَّتْ عُقدةٌ. ووجدَ رسولُ الله ﷺ خِفَّةً حين انحلَّتِ العُقدَةُ الأخيرةُ، وجعل جِبريلُ يقول: بسم اللهِ أَرْقِيْك مِنْ كلِّ شيءٍ يُؤذِيْك، ومِنْ حاسِدٍ وعَيْنٍ، واللهُ يَشفِيْك. فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نأخذُ الخبيثَ فنقلته؟ فقال: «أمَّا أنا فقد شَفَاني الله، وأكرَهُ أنْ أُثِيرَ على الناسِ شرّاً».

[١٥٨٧] ذكره الحافظ ابن كثير ٤/ ٦١٤ ـ ٦١٥ بأتم منه، ونسبه للثعلبي، وقال: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة. ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم. وانظر ما بعده.

[١٥٨٨] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث عائشةَ رضي الله عنها حديثَ سَحْرِ رسولِ الله ﷺ. وقد بَيَّنَّا معنى «أعوذ» في أول كتابنا. وفي ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ ستةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنه الصُّبحُ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والقُرَظي وابنُ زيدٍ، واللغويون قالوا: ويُقال: هذا أبيَنُ مِنْ: فَلَقَ الصُّبحَ وَفَرَقَ الصُّبحَ. **والثاني**: أنه الخَلْقُ كلُّه. رواه الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: العلق: الخلْق كله. **والثالث**: سِجْنٌ في جهنَّم، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وقال وَهْبٌ والسُّدِّيُّ: جُبٌّ في جهنَّم. وقال ابنُ السَّائبِ: وادٍ في جهنَّمَ. **والرابع**: شجرةٌ في النار، قاله عبدُ الله بنُ عمرَ. **والخامس**: أنه كُلُّ ما انفَلَقَ عن شيءٍ كالصبح، والحَبِّ، والنَّوى، وغيرِ ذلك، قاله الحَسَنُ. قال الزَّجَّاجُ: وإذا تأمَّلتَ الخَلْقَ بانَ لك أن أكثرَه عن انفِلاقٍ، كالأرضِ بالنباتِ، والسَّحابِ بالمطرِ. **والسادس**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ، قاله أبو عبدِ الرَّحمنِ عبدُ الله بنُ يَزيدَ الحُبُلي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمُرَ: «خُلِق» بضمِّ الخاء، وكسرِ اللام. فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عامٌّ، وهو الأظهر. **والثاني**: أنَّ شرَّ ما خُلِقَ: إبليسُ وذُرِّيَّتُه، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: جهنَّمُ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الغَاسِق» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القمر، رَوتْ عائشةُ قالت: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر، فقال:

[١٥٨٩] «استَعِيذي بالله مِنْ شرِّه فإنه الغاسِقُ إذا وَقَبَ»، رواه التِّرمِذيُّ، والنَّسائيُّ في كتابيهما. قال ابنُ قُتَيبَة: ويقال: الغاسِقُ: القمرُ إذا كُسِفَ فاسوَدَّ. ومعنى ﴿وَقَبَ﴾ دخل في الكُسُوفِ.

[١٥٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٧٥ و ٦٠٦٣ ومسلم ٢١٨٩ وابن ماجه ٣٥٤٥ وأحمد ٦/ ٦٣ وابن حبان ٦٥٨٤ عن عائشة قالت: مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذات يوم «يا عائشة إن الله تعالى أفتاني في أمرٍ استفتيته فيه، أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجليَّ والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجليّ للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب يعني مسحوراً، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيم؟ قال في جُفّ طلعة ذكره في مشط ومشاطة تحت رعوفة في بئر ذروان، فجاء النبيُّ ﷺ فقال: هذه البئر التي أريتها كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نُقاعة الحنّاء، فأمر به النبي ﷺ فأُخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، فهلا ـ تعني تنشّرت، فقال النبي ﷺ أمّا الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً، قالت: «ولبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليفٌ ليهود» لفظ البخاري بحروفه في الرواية الثانية، فعليك به، ودع الروايات الواهية والضعيفة.

[١٥٨٩] ضعيف. أخرجه أحمد ٦/ ٢٠٦ والبغوي في «شرح السنة» ١٣٦١ من طريق وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٦٦ وأحمد ٦/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢٣٧ و ٢٥٢ وأبو يعلى ٤٤٤٠ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٨١ والحاكم ٢/ ٥٤١. والطبري ٣٨٣٧٧ من طرق عن ابن أبي ذئب به.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٤٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أمر نبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ والفلق من كلام العرب: فلق الصبح.
وقال ابن كثير رحمه الله وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في «صحيحه» رحمه الله تعالى.

[١٥٩٠] **والثاني**: أنه النَّجمُ، رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثالث: أنه الليل، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والقُرَظيُّ، والفرَّاءُ، وأبو عُبَيدٍ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجاجُ. قال اللغويون: ومعنى «وَقَبَ» دخل في كلِّ شيءٍ فأظلم. و«الغَسَقُ» الظُّلمةُ. وقال الزَّجَّاجُ: الغاسِقُ: البارِدُ، وقيل لِلَّيلِ: غاسِقٌ، لأنه أبرَدُ مِنَ النهار. **والرابع**: أنه الثُّريَّا إذا سقطَتْ، وكانت الأسقامُ، والطَّواعِينُ تكثر عند وقوعِها، وترتفعُ عند طلوعِها، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمَّا ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ فقال ابنُ قُتيبةَ: هُنَّ السَّواحِرُ يَنفُثْنَ، أي: يَتفُلْنَ إذا سَحَرْنَ، ورَقَيْنَ. قال الزَّجَّاجُ: يَتفُلْنَ بلا رِيقٍ، كأنه نَفخٌ. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: تفسيرُ نَفَثَ: نَفَخَ نفخاً ليس معه رِيقٌ، ومعنى تفل: نَفَخَ نفخاً معه رِيقٌ. وقال ذُو الرُّمَّة:

ومِنْ جَوْفِ ماءٍ عَرمَضُ الحفلِ فَوْقَهُ ... متى تَحْسُ منه ماتِحُ القومِ يَتْفُلِ

وقد رَوى ابنُ أبي سُرَيج «النَّافِثات» بألِفٍ قبل الفاءِ مع كسرِ الفاء وتخفيفها. وقال بعض المُفسِّرين: المراد بالنَّفَّاثات هاهُنا: بناتُ لَبِيدِ أعصَمَ اليهودي سَحَرْنَ رسولَ الله ﷺ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ يعني: اليهود حسدوا رسولَ الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحَسدِ في البقرة. والحَسَدُ: أخَسُّ الطبائع. وأوَّلُ معصيةٍ عُصِيَ اللهُ بها في السماء حَسَدُ إبليسَ لآدمَ، وفي الأرض حَسَدُ قابيلَ لِهابِيلَ.

= وقد توبع الحارث عند أحمد في الرواية ٦/ ٢١٥، تابعه المنذر بن أبي المنذر، وهو مجهول وأخشى أن يكون أخذه الحارث عن المنذر، وهو محتمل، فالمتن غريب. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح!

قلت: والمتن غريب لأن عامة أهل التفسير والأثر على أن المراد بذلك الليل إذا دخل. أخرجه الطبري ٣٨٣٦٤ عن ابن عباس لكن سنده واهٍ، وكرره عن الحسن ٣٨٣٦٥ وكرره ٣٨٣٦٦ عن القرظي، وكرره ٣٨٣٦٨ عن مجاهد والحسن، وكرره ٣٨٣٦٩ و ٣٨٣٧٠ عن الحسن. وكرره ٣٨٣٧١ عن ابن عباس بسند رجاله ثقات لكن فيه إرسال، وهذه الروايات تتأيد بمجموعها، وهو الذي اختاره البخاري في «صحيحه». فقال ٨/ ٧٤١ «فتح»: وقال مجاهد: الفلق: الصبح، وغاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. قلت: فهذا ما عليه عامة أهل العلم، ولو ثبت الحديث عند البخاري لرواه ولو تعليقاً أو تبويباً.

[١٥٩٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٨٣٧٥ عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده ضعيف، فيه محمد بن عبد العزيز، وهو متروك، وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٩٤: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٩٣.

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها مكِّيَّةٌ، رواه أبو كُرَيْبٍ عن ابنِ عباسٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾

فإنْ قيل: لِمَ خَصَّ الناسَ هاهنا بأنه ربُّهم، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: لأنهم مُعَظَّمون مُتميِّزون على غيرهم. **والثاني**: لأنه لمَّا أمرَ بالاستعاذةِ مِنْ شرِّهم أعلَمَ أنه ربُّهم، لِيُعلَمَ أنه هو الذي يُعيذُ مِنْ شرِّهم. ولمَّا كان في الناس ملوكٌ قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ولمَّا كان فيهم مَنْ يعبدُ غيرَه قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾. و﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، وهو ﴿الْخَنَّاسِ﴾ يُوَسوِسُ في الصدور، فإذا ذُكِرَ اللهُ، خَنَسَ، أي: كَفَّ وأقصَرَ. قال الزَّجَّاجُ: الوَسْواس هاهنا: ذُو الوَسْواسِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابنُ عباسٍ: الشيطان جاثِمٌ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَها وغَفَلَ، وَسْوَسَ، فإذا ذَكَرَ اللهَ، خَنَسَ.

قوله عز وجل: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الجنَّة: الجِنُّ. وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: يُوسوِسُ في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم، فسمَّى الجِنَّ ها هنا ناساً، كما سمَّاهم رجالاً في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وسَمَّاهم نفراً بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ هذا قولُ الفرَّاءِ. وعلى هذا القول يكون الوسواسُ مُوَسوِساً للجِنِّ، كما يُوسوِسُ للإِنسِ. **والثاني**: أنَّ الوسواسَ: الذي يُوسوِسُ في صدورِ الناس، هو مِنَ الجِنَّة، وهم مِنَ الجِنِّ. والمعنى: مِنْ شرِّ الوسواسِ الذي هو مِنَ الجِنِّ. ثم عطف قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّاسِ﴾ على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ والمعنى: مِنْ شرِّ الوسواسِ، ومِنْ شرِّ الناس كأنه أُمِرَ أنْ يستعيذَ مِنَ الجِنِّ والإِنسِ[1]، وهذا قولُ الزَّجَّاجِ.

تَمَّ الكتابُ بحمدِ اللهِ ومَنِّه.

---

(١) **فائدة**: أخرج البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ وأحمد ٦/ ١٨١ و ٢٥٦ و ٢٦٣ وابن حبان ٢٩٦٣ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما.

فهذا آخرُ «زادُ المَسيرِ»، والحمدُ لله على الإنعام الغزيرِ، وإذ قد بَلَغنا بحمدِ الله مُرادَنا فيما أَمَّلْنا، فلا يَعتقِدَنَّ مَنْ رأى اختصارَنا أنّا أقلَلْنا، فقد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تَركنا وَدَلَّلْنا، فليكن الناظرُ في كتابنا متيقظاً لِمَا أغفلنا، فإنّا ضَمِنّا الاختصارَ مع نَيْلِ المراد، وقد فعلنا. ومَنْ أراد زيادَة بسطٍ في التفسير، فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير. فإنْ أراد مُختَصَراً، فعليه بكتابنا المُسمَّى بـ «تذكرةُ الأريبِ في تفسيرِ الغريبِ». والحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ، أوّلاً وآخِراً وباطناً وظاهراً وصلَواته على سيدِنا محمَّدٍ النبيِّ وآله أجمعين، وعلى أبيهِ آدمَ، وذُرِيَّتِهِ الأنبياءِ والمرسلين والأولياءِ والصالحين، وسَلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّيْنِ.

ووافقَ الفراغُ مِنْ هذا المجلَّدِ وهو آخرُ الكتاب يومَ الاثنين حاديَ والعشرين شهرِ ربيعِ الآخرِ مِنْ سنةِ ثمانٍ وثمانين وثمانِ مائةٍ على يدِ العبد الفقير إلى الله تعالى أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ خَليفَةَ غَفَرَ الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ الأحياءِ منهم والأمواتِ إنكَ قريبٌ مُجيبُ الدَّعواتِ، ونَقلَ هذا المُجلَّدَ جميعَه مِنْ أصلٍ ثم مِنْ أصلِ المُصَنِّفِ وعليه سَماعُ المُصَنِّفِ وهو الشيخُ الإمامُ العالمُ الأوحَدُ جمالُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عليّ ابنِ الجَوْزي مُصَنِّفه رضي الله عنه وأرضاه والحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

بَلَغَ مقابلَتَهُ بحَسبِ الطاقة والإمكانِ ونعوذُ بالله مِنَ الزِّيادة والنُّقصانِ.

الفهارس

١ ـ فهرس الأحاديث القدسية ٥١٥

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار النبوية ٥١٦

٣ ـ فهرس قوافي الأشعار ٥٣٣

٤ ـ فهرس أنصاف الأبيات ٥٤٩

٥ ـ المصادر والمراجع ٥٥٠

١ ـ فهرس الأحاديث القدسية

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً	٢/ ٢٧٧
ادخلوا الجنة (لأصحاب الأعراف)، فإني قد غفرت لكم	٢/ ١٢٥
إذا هَمَّ عبدي بسيئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه	٢/ ٤٢٩
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله	٤/ ٢٢٩
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	٣/ ٤٤١
أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟	٢/ ٢٧٧
أنا أبلغهم عنكم	١/ ٣٤٧
أنا أهل أن أُتقى فلا يُشرك بي غيري	٤/ ٣٦٧
أنا العزيز، فمن أراد عزَّ الدارين فليطع العزيز	٣/ ٥٠٧
أنا عند ظن عبدي بي	٤/ ٢٦٤
أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	٣/ ٤٧٠
أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟	٤/ ٢٦
أنا الملك، أين ملوك الأرض؟	٤/ ٢٦
انفخ نفخة الفزع (يقولها عز وجل لإسرائيل)	٤/ ٣٧
أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟	٤/ ٣٤٠
إني خلقت عبادي حنفاء	٣/ ٤٢٣
ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأسأله عما سوى ذلك	٤/ ٤٨٦
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	٢/ ٥٤٢
كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً	٤/ ٤٩
لِمَ تقنط عبادي؟ نبّئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم	٢/ ٥٣٦
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها	٢/ ٩٧
هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة؟!	٤/ ٢١٤
يا آدم، قم فابعث بعث النار	٣/ ٢٢١
يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني	٤/ ١٧٤
يا أهل الجنة، هل رضيتم؟	٢/ ٢٧٧
يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة	٢/ ١٠٣
يا محمد، فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟	٣/ ٥٨٢

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار النبوية

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ـ الألف ـ	
آخر آية أنزلت على النبيِّ ﷺ	١/ ١٣
آخر آية أنزلت: واتقوا	١/ ١٣
آخر آية نزلت: لقد جاءكم	١/ ١٣
آخر آية نزلت: يستفتونك	١/ ١٣
آخر سورة نزلت جميعاً: إذا جاء ١/ ١٣، ٤/ ٥٠١	
آذني أصلي عليه	٢/ ٢٨٦
آلى ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً	٣/ ٤٦٠، ٤/ ٣٠٥
الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه	١/ ٢٥٤
ائتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك	٣/ ٢٨١
ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها	٤/ ٤٧٠
أبطأت عليَّ حتى ساء ظني واشتقت إليك	٣/ ١٤٠
أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء	٢/ ٢٢٤
أبوك وأبو عائشة واليا الناس من بعدي	٤/ ٣٠٧
أتبع السيئة الحسنة تمحها	٢/ ٤٠٧
أتحلف	١/ ٢٩٧
أتدرون ما أخبارها	٤/ ٤٧٨
أتدرون ما المعيشة الضنك	٣/ ١٨٠
أتدري ما الجمعة؟	٤/ ٢٨٢
أتردين عليه حديقته؟	١/ ٢٠٣
أتركهم حتى يتوب تائبهم	٢/ ٦٥
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين	١/ ٢٥٥
أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟	١/ ٢٠٤
أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم	٣/ ٥٦٠
اتق الله	٣/ ٤٦٧
اتق الله حيثما كنت	٢/ ٤٠٧
اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله	٤/ ٢٩٨
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله	٢/ ٥٣٩
أجاز ﷺ للمحرم قتل الحية والعقرب	١/ ٥٨٥
اجتمعوا إليَّ في قتيل كان بينهم	٤/ ١١٣
اجتنبوا السبع الموبقات	١/ ٣٩٦
أجدني مغموماً	٣/ ٢٠٦
أجدني مكروباً	٣/ ٢٠٦
أجورهم: يدخلهم الجنة	١/ ٥٠٣
أحب ﷺ أن يرى جبريل على حقيقته	٤/ ١٨٤
أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود	٣/ ٥٦٣
احبسوا عليّ الركب	٢/ ٢٧٥
احترسوا من الناس بسوء الظن	٤/ ١٥١
أحسنت	١/ ٥٧٧
اختصم يهود المدينة ونصارى نجران	١/ ١٠٢
أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان	٢/ ١٦٧
أخذ ﷺ كفاً من تراب فرماهم به	٢/ ٢٤٧
اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذّن	٢/ ٢٣٢
اخرج يا أبا بكر، فهذا حين دلكت الشمس	٣/ ٤٥
اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق	٣/ ٤٨٤
اخرجوا إلى أرض المحشر	٤/ ٢٥٤

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اخرجوا إليه واكتموا	٢/ ٢٠٣
أخّرهم إلى ليلة الجمعة	٢/ ٤٧٢
ادعوا لي المقداد	١/ ٤٥٢
إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبوه	٣/ ١٤٩
إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم	٢/ ٥٢٣
إذا أخذتم الساحر فاقتلوه	٣/ ١٦٧
إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت ذنوبه	٤/ ١٤
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة	٣/ ٤٩٧
إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر منادياً	٤/ ٢٠٣
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٣/ ١٣٢
إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب	٢/ ٤٦٩
إذا ظننتم فلا تحققوا	٤/ ١٥١
إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم	١/ ٢٢
إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	٢/ ١٨٥
إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة	٤/ ٤٧٣
إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	٤/ ٤٨٤
إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة	٢/ ٥٠٠
إذن ترعد له آنف كبيرة	٤/ ٢٨٦
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله	٤/ ٣٣١
إذن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه	٤/ ٢٨٦
اذهب إلى قريش فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً	٤/ ١٢٦
اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة	٤/ ١٤٣
اذهب فاذكرها عليّ	٣/ ٤٦٨
اذهب فاطرحه في القبض	٢/ ١٨٦
اذهب فخذ سيفك	٢/ ١٨٧
اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه	٢/ ٢٧٤
أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	٤/ ٥٠٢
اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً	٢/ ١٢٩
ارجع اليه فادعه	٢/ ٤٨٨
ارفق به وأحسن إليه	٤/ ٢٥٢
أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	١/ ٤٢٣
أري ﷺ أنه يدخل مكة هو وأصحابه	٣/ ٣٤
أري ﷺ بني أمية على المنابر فساءه	٣/ ٣٥
أري ﷺ في المنام قبل خروجه الى الحديبية قائلاً يقول له: لتدخلن المسجد الحرام	٤/ ١٣٧
أريت ليلة القدر ثم أنسيتها	٤/ ٤٧١
استشار ﷺ الناس يوم خرج إلى بدر	١/ ٥٣٤
استعيذي بالله من شره، فإنه الغاسق إذا وقب	٤/ ٥٠٨
اسجدوا للرحمن	٢/ ٤٩٥
اسق ثم أرسل إلى جارك	١/ ٤٢٨
اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر	١/ ٤٢٨
اسقه عسلاً	٢/ ٥٧٠
أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً	٢/ ٣٠٢
اشهدوا	٤/ ١٩٦
أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر	٤/ ٢٢٩
اصبروا فإني لم أومر بالقتال	٣/ ٢٤٠
أضعفوا على العباس الفداء	٢/ ٢٢٦
اطلبوها الليلة (ليلة ثلاث وعشرين)	٤/ ٤٧١
اعتكف ﷺ العشر الأوسط واعتكفنا معه	٤/ ٤٧٠
أعوذ بك من دعاء لا يسمع	١/ ١١١
أقتلته بعد ما قال: آمنت!	١/ ٤٥٣
اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران	١/ ٢٤
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٤/ ٤٦٨

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اكتب: لا يستوي القاعدون...	١/ ٤٥٤
ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع والتسع	٢/ ٤٤١، ٣/ ٤١٦
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم	٣/ ١٢٩
ألا أخبركم بخير من ذلك؟	١/ ٣٢٧
ألا أخبركم لم سمّى الله إبراهيم خليله الذي وفّى	٤/ ١٩٢
ألا أراكم تضحكون؟	٢/ ٥٣٦
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم	٢/ ٢٥٨
ألا إن كلَّ رباً من ربا الجاهلية موضوع	١/ ٢٤٨
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	١/ ٣٩٧، ٣٩٨
ألا رجل صالح يحرسني الليلة	١/ ٥٦٨
ألاّ يحج بعد العام مشرك	٢/ ٢٣٢
التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	٤/ ٤٧٠
التمسوها في تسع يبقين أو سبع يبقين	٤/ ٤٧٠
الذي في عينيه بياض	٣/ ١٩٧
الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجلّ	٢/ ٣٣٧
ألست ترين أردّ عليهم ما يقولون	٤/ ٢٤٦
ألك بينة؟	١/ ٢٩٧
الله أخبرني	٢/ ٢٢٦
الله (يمنعني منك)	١/ ٥٦٨
اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً	٣/ ٤٢٧
اللهم ارزق ثعلبة مالاً	٢/ ٢٨٢
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٤/ ٣٥٤
اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف	٣/ ٢٦٨
اللهم اكفنيهما بما شئت	٢/ ٤٨٧
اللهم أنجز ما وعدتني	٢/ ١٩١
اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	١/ ٥٤٧
اللهم صلِّ على آل أبي أوفى	٣/ ٥٥١
اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير	١/ ٩٩
اللهم لا يعلون علينا	١/ ٣٢٨
اللهم هؤلاء أهلي	١/ ٢٨٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي	٣/ ٤٦٣
اللهم هل بلغت	٣/ ١٥٢
ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟ أظننتم	١/ ٣٤٢
ألم أنه عن القتال	٣/ ٤٤٤
ألم يقل الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم	٢/ ٢٠٠
إلى الله عز وجل (أدعوكم)	٤/ ٥٠٥
إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	١/ ٥٠٧
إليّ عباد الله، أنا رسول الله	١/ ٣٣٥
أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً	٤/ ٥٠٧
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم	٢/ ٢٥٢
أما إني لو قلت نعم لوجبت	١/ ٥٩١
أما ترضى أن تكون مثل نبي الله	٢/ ٢٨١
أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	٣/ ٥١٣
أما ما ظهر فالإسلام وما سوّى الله من خلقك	٣/ ٤٣٣
أما والله لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها	٤/ ١٢٦
أمر ﷺ بالصفح عنهم	١/ ١٠١
أمر ﷺ بقتل الكلاب	١/ ٥١٤
أمر ﷺ علياً أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين	٣/ ٢٨
أمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا	١/ ٦٠٤
أمسك عليك زوجك واتق الله	٣/ ٤٦٧
أمسلمة جئت؟	٤/ ٢٦٦
أن أبا لبابة ربط نفسه إلى سارية	٢/ ٢٠٣
أن إبليس جاء حواء فقال: ما يدريك	٢/ ١٧٧
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي	٤/ ٤٠
إن الإسلام لا يقال	٣/ ٢٢٥
أن الأولى كانت نسياناً من موسى	٣/ ٩٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	٣/ ٥٥
إن الله تعالى أعطاني السبع الطول مكان التوراة	٤/ ١٤١
إن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف	٤/ ١٩١
إن الله تعالى بعثني مبلغاً ولم يبعثني متعنتاً	٣/ ٤٦٠
إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة	٣/ ٢٥٤
إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها	١/ ٥١
إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب	٣/ ١١٥
إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب	٢/ ٥٠١
إن الله قد صدّقك	٤/ ٢٨٧
إن الله قد منعني أن أقبل صدقتك	٢/ ٢٨٢
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٤/ ١٩٠
إن الله كتب عليكم الحج	١/ ٥٩٠
إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً	٣/ ٥٢
إن الله لا يقبل إلا الطيب	١/ ٥٩٠
إن الله لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة	١/ ٥٦٣
إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد	١/ ١٧٩
إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً	٤/ ١٧٦
إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الناس	٢/ ١٠٣
إن الله تعالى يسلم على أهل الجنة	٣/ ٤٧١
إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة	١/ ٢٢٢
إن الله تعالى ينزل في كل ليلة ويوم	١/ ١١٠
أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله	٢/ ٥٣١
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن تزاني حليلة جارك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن تصدّق وأنت صحيح شحيح	١/ ٣٠٣
أن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم	٣/ ٥٢
أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	٢/ ٤٢٨
أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان	٢/ ٢٠٣
أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون	٢/ ٣٤٨
إن الجنة لا يدخلها العجائز	٣/ ١٩٧
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين	١/ ٢٠٩
أن داود سأل ربه أن يريه الميزان	٢/ ١٠٣
إن الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار	٤/ ٨٨
إن ربكم حيي كريم	١/ ٤٦
إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز	٣/ ٥٠٧
إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً	١/ ٥٧٤
إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي	٣/ ٣٤٣
أن زكريا كان نجاراً	٣/ ١٢٠
إن الزمان قد استدار لهيئته يوم خلق الله السموات والأرض	١/ ١٦٥، ٢/ ٢٣٤
إن شئت أنبأتك بأبواب الخير	٣/ ٤٤٠
إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو	٣/ ٨٨
إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي	٣/ ٥٧٥
أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً	٣/ ١٠٣
إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب	٤/ ١٧٨
إن فعلتُ تؤمنون؟	٤/ ١٩٦
إن فعلتُ تصدقوني؟	٢/ ٦٥
إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب	٣/ ١٩٦
إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته	٤/ ١٥٢
إن كان وسادك إذاً لعريض	١/ ١٤٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف	٢/ ٤٤٥
إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة	٤/ ٢١٦
إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما	٤/ ١٦٠
إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت	١/ ٤٩١
إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء	٢/ ٣٣٧
إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً	٤/ ٢٢٤
إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل	٣/ ٩٤
إن موسى كان رجلاً حيياً	٣/ ٤٨٦
إن هذه الآية نزلت في القدرية	٤/ ٢٠٣
إن ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم	٣/ ١١٠
أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى	١/ ٣١٠
أن يطعمها إذا طعم ويكسوها	١/ ٢٠٠
أنا أكرم ولد آدم على ربه	٢/ ٤٥١
الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور	٢/ ٧٥
أنا بين خيرتين: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٢/ ٢٨٦
إنا حاملوك على ولد الناقة	٣/ ١٩٧
أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره	٤/ ١٢٨
أنا على ملّة إبراهيم	١/ ٣٠٤
أنا فرطكم على الحوض	٣/ ١٦١
أنا المنذر	٢/ ٤٨٤
أنت صاحب هذا الكلام؟	٤/ ٢٨٦
أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد	٣/ ٥٣٠
أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي	٢/ ٤٨٤
أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت	١/ ٢٢٦
أنتم خصماء الله	٤/ ٢٠٣
أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حدّ الزاني	١/ ٥٤٧
أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين	٢/ ٥٣
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين	٤/ ١٩٦
انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى	١/ ٥٦٨
انطلق ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ	٢/ ٥٢٦، ٤/ ١١٢
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه	٢/ ٢٩٧
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ	٤/ ٢٦٦
انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود	٤/ ١٤٩
انظر في ذلك	١/ ٤٦٥
أنفقه على نفسك	١/ ١٨٠
أنفقها على خادمك	١/ ١٨٠
أنفقها على قرابتك	١/ ١٨٠
أنفقها على والديك	١/ ١٨٠
أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها	١/ ١٨٠
إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي	٢/ ٢٢٦
إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	١/ ٣١٤
إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر	٤/ ١٦٥
إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق	١/ ٤١٦
إنكن أكثر أهل النار	٢/ ٤٤٦
إنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة	٤/ ٣٠١
إنما ذلكم الله	٤/ ١٤٤
إنما سمّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء	٣/ ٩٧
إنما سمى الله البيت: العتيق، لأن الله أعتقه	٣/ ٢٣٤
إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قاله لقمان	٢/ ٤٩
إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن	٤/ ١١٢
إنه أنزلت عليّ آنفاً سورة	٤/ ٤٩٧
إنه أول من سن القتل	١/ ٥٣٦
إنه ذهب في حاجة الله ورسوله	٤/ ١٢٧
إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان	٤/ ٢٥٠

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إنه طلوع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
إنه عبد الله وروحه وكلمته إلى مريم	١/ ٢٩٢
إنه كان ذهباً وفضة	٣/ ١٠٤
إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب	١/ ٣١٦
إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة	٤/ ٣٣٦
إنه ليغان على قلبي	٤/ ٤١٥
إنه ملك كان له ساحر فبعث إليه غلاماً	٤/ ٤٢٥
إنه وادٍ في جهنم	٣/ ١٣٨
أنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها	٣/ ٥٢٤
إنها تعدل ثلث القرآن	٤/ ٥٠٥
إنها الحنظلة	٢/ ٥١٢
إنها ذات وبر وريشٍ	٣/ ٣٦٩
إنها (الزهرة) فتنت ملكين	١/ ٩٥
إنها في علم الله قليل	٣/ ٤٣٤
إنها النخلة	٢/ ٥١٠
إنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم	٢/ ١٢٣
إني أراه من شراب شربته عند سودة	٤/ ٣٠٦
إني أشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام رضى لك	٤/ ٣٠٥
إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني؟	٤/ ١١٢
إني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها	٤/ ٤٧١
إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرّج الله عنه	٣/ ٢١٠
إني لست بشاعر ولا ينبغي لي	٣/ ٥٣١
إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام	٢/ ٥٣٦
إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله	١/ ٤٩٩
أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟	١/ ٥٤٧
الأوّاه: الخاشع الدعّاء المتضرّع	٢/ ٣٠٦
أوفاهما وأطيبهما	٣/ ٣٨٢
أوفعلته؟	٤/ ٢٥١
أوليس قد بيّن الله تعالى ذلك	١/ ٥٠٤
أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة	٤/ ١٨٣

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون	٤/ ٣١٨
أول ما نزل من القرآن: اقرأ	١/ ١٢
أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس	٣/ ٣١٤
أي ذلك كتبت فهو كذلك	٢/ ٥٨٤
أي شيء تحبون؟	٢/ ٦٥
أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله	٢/ ٣٠٤
أيام الله: نعم الله	٢/ ٥٠٤
إيت بني النجار فأقرئهم مني السلام وقل	١/ ٤٥٠
أيكم أحسن عقلاً، وأروع عن محارم الله عز وجل	٢/ ٣٥٩
أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة	١/ ١٧١
أيما حلف كان في الجاهلية	١/ ٤٠١
أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل	٢/ ٢٢٦
أين ترون أن أصلي بكم	١/ ١١٠
أيها الناس، البيعة، البيعة	٤/ ١٣٣

- الباء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
بئس عبد الله	٢/ ٥٤٦
الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله	٣/ ٨٨
بخ بخ، ذاك مال رابح	١/ ٣٠٤
برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف	٤/ ٢٦٠
البرق: مخاريق يسوق بها الملك السحاب	١/ ٤٠
بالسيف	٣/ ٥٧٢
بشر الكنازين بكيّ في الجباه	٢/ ٢٥٦
بشراهم: الجنة	٢/ ٣٣٩
بعث ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم ليقيم للناس	٢/ ٢٣١
بعث ﷺ إلى بعض فراعنة العرب يدعوه	**٢/ ٤٨٧**
بعث ﷺ سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة	٤/ ١٤٥

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
بعث ﷺ غلاماً يقال له مدلج إلى عمر	٣/ ٣٠٤
بعث ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم	٤/ ١٤٦
بعثنا ﷺ في سرية، فغنمنا إبلاً	٢/ ١٨٨
البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام	٣/ ٢٧٦
البكر تستأمر في نفسها	١/ ٣٤٠
بل إلى كتاب الله	١/ ٢٦٩
بل أنا وا رأساه	٣/ ٢٠٧
بل تحسن صحبته ما بقي معنا	٤/ ٢٨٧
بلى فانكحيه فإني قد رضيته لك	٣/ ٤٦٥
بلى والله، لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم	٢/ ٣٠٥
بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها	١/ ٥٦٩
البيت المعمور: في السماء الدنيا	٤/ ١٧٥
البيت المعمور: في السماء السابعة	٤/ ١٧٥
بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوّف	٤/ ٤٩٧
بينما أنا في الحطيم (أو في الحجر)	٣/ ٨
بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون	٣/ ٣٧٠
بيني وبينكم التوراة	١/ ٢٦٩
- التاء -	
تحب ذلك؟	٢/ ٣٠٧
تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى	٣/ ٣٧٠
تخرج الدابة من شعب أجياد	٣/ ٣٧٠
تدرون أي يوم ذلك؟	٣/ ٢٢١
تسع، أعظمهن الإشراك بالله	١/ ٣٩٧
تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن	٣/ ٣٧١
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار	٣/ ٤٦
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ	٣/ ٢٧١
تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟	٤/ ٤٥٤
تقعد أيام أقرائها	١/ ١٩٨
تنزيه الله عن كل سوء	٣/ ٧
توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصلِّ	٢/ ٤٠٥
التيمم: ضربة للوجه والكفين	١/ ٤١٣
- الثاء -	
ثماني عشرة سنة	٣/ ٢٠٥
- الجيم -	
جاء الحق وزهق الباطل	٣/ ٤٩
جاء رجل فقال: حدثني يا محمد عن إلهك	٢/ ٤٨٧
جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ	٤/ ٢٤١
جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري	٤/ ٣٥٨
جبل من نار يكلف أن يصعده	٤/ ٣٦٣
جعل ﷺ البدنة عن سبعةٍ والبقرة عن سبعة	٣/ ٢٣٧
جلس في فروة بيضاء فاخضرت	٣/ ٩٧
جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب	٣/ ١١٣
الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين	٣/ ١١٣
جنتان من ذهب وجنتان من فضة	٤/ ٢١٥
- الحاء -	
حاربت يهود	٤/ ٢٥٣
الحج عرفة	١/ ١٦٤
حجي عنه	٤/ ١٩٣
حرّض ﷺ على الصف الأول فازدحموا	٢/ ٥٣٢
حرّق ﷺ نخل بني النضير وقطع	٤/ ٢٥٥
الحزن: الجوع	٣/ ٥١٣
حسدته ﷺ اليهود على مقامه بالمدينة	٣/ ٤٣
الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	٢/ ٣٤
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر	٣/ ٧٩
- الخاء -	
خالق الناس بخلق حسن	٢/ ٤٠٧

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	١/ ٣٨٢
خرج ﷺ يعود سعد بن عبادة، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ	٤/ ١٤٧
خلق الله تعالى آدم بعد العصر يوم الجمعة	١/ ٥١
خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	١/ ٥١
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد	٢/ ١٢٦، ٤/ ٤٦
خُلق فرعون في بطن أمه كافراً	٤/ ٢٩١
خُلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً	٤/ ٢٩١
خيّر ﷺ بريرة بين المقام مع زوجها وفراقه	١/ ٣٩١
خيرات الأخلاق حسان الوجوه	٤/ ٢١٦
خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	٢/ ١٠
- الدال -	
دثروني	٤/ ٣٥٩
دخل ﷺ بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء	٣/ ٨
دخل ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمئة وستون صنماً	٣/ ٤٩
دعا ﷺ على قريش بسنين كسني يوسف	٤/ ٨٩
دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى	١/ ١١٣
دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى	٤/ ١٨٥
دواب الأرض	١/ ١٢٧
- الذال -	
ذكرك أخاك بما يكره	٤/ ١٥٢
ذلك الى الله عز وجل	٣/ ٥٢
ذلك العرض	٤/ ٤٢٠
- الراء -	
رأى ﷺ إدريس في السماء الرابعة	٣/ ١٣٥
رأى ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها	٤/ ١٨٦
رأى ﷺ عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم	٢/ ٢١٤
رأى ﷺ في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء	٤/ ١٠٤
رأى ﷺ في النوم كأن قائلاً يقول له: لتدخلن المسجد الحرام	٤/ ١٢٦
رأيت ربي عز وجل فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى؟	٣/ ٥٨٢
الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له	٢/ ٣٣٨
ربح البيع يا أبا يحيى	١/ ١٧٣
رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني	٢/ ٤٥٠
رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد	٢/ ٣٩١
الركعتان قبل صلاة الفجر	٤/ ١٨٢
رمى ﷺ يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم	٢/ ١٩٦
رميتهم بالسرقة على غير بينة!	١/ ٤٦٦
الروح: جند من جند الله تعالى	٤/ ٣٩١
- الزاي -	
الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل	٢/ ٣٢٦
- السين -	
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له	٣/ ٥١١
سأخبركم غداً	٤/ ٤٥٦
سأقضي بينكما بكتاب الله	٤/ ١٨١
سأل ﷺ ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته	١/ ٢٧٠
سأل ﷺ اليهود عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره	١/ ٣٥٨
سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة	٢/ ٤٠
سبأ رجل من العرب	٣/ ٣٥٨
سبحان مقلب القلوب	٣/ ٤٦٦

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
سبى ﷺ ريحانة القرظية فلم يدن منها حتى أسلمت	٣/ ٤٧٧
سُحر رسول الله ﷺ حتى أثر فيه	٣/ ١٦٦
سدرة المنتهى فوق السماء السابعة	٤/ ١٨٧
سدرة المنتهى في السماء السادسة	٤/ ١٨٧
سقتني حفصة شربة عسل	٤/ ٣٠٥
سلاني	١/ ٢٦٦
سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم	١/ ٥٩٠
سمى ﷺ زيد الخيل: زيد الخير	٣/ ٥٧١
سنوا بهم سنة أهل الكتاب	١/ ٥١٩
سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم	٢/ ٢٨٤
سوّموا، فإن الملائكة قد سومت	١/ ٣٢١

- الشين -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
شاهت الوجوه	٢/ ١٩٥
الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة	٤/ ٤٢٣
شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة	٢/ ٤٩٤
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١/ ٢١٤
الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع ومنها الوتر	٤/ ٤٣٨
الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر	٤/ ٤٣٨
الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة	٤/ ٤٣٨
الشفق: الحمرة	٤/ ٤٢١
شهرا عيد لا ينقصان	٤/ ٤٦١
شيبتني هود وأخواتها	٢/ ٣٥٥

- الصاد -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
صالح ﷺ يهود على أرضهم وعلى الحلقة	٤/ ٢٥٥
صدق الله عز وجل: إنما أموالكم وأولادكم فتنة	٤/ ٢٩٤
صدق الله وكذب بطن أخيك	٢/ ٥٧٠
صدقة تصدّق الله بها عليكم	١/ ٤٦٠
الصراط المستقيم: الإسلام	٢/ ٣٢٥
الصراط المستقيم: كتاب الله	١/ ٢٠، ٢/ ٣٢٥
صلى ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً	١/ ١١٨
صلى ﷺ بذي قرد، فصف الناس خلفه	١/ ٤٥٩
صلى ﷺ يوم الخندق الظهر والعصر والمغرب والعشاء بعدما غاب الشفق	١/ ٢١٦
صلى ﷺ يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد	١/ ٥٢٠
الصمد: السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج	٤/ ٥٠٦
الصور: قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات	٢/ ٤٥
الصوم جنة، والصدقة تكفّر الخطيئة	٣/ ٤٤٠

- الضاد -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الضبع صيد، وفيه كبش إذا قتله المحرم	١/ ٥٨٥
ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما	٤/ ٢٥٩
ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله	٣/ ٤٩٨
ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا	٢/ ٢٣١

- الطاء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الطاء: طور سيناء، والسين الإسكندرية	٣/ ٣٣٤
طلق إحداهما	١/ ٣٩٠
الطوفان: الموت	٢/ ١٤٨، ٣/ ٤٠٢
طولها ستون ذراعاً	٣/ ٣٧٠

- العين -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
عبد سوء	٢/ ٥٤٧
عجب ربك من شاب ليست له صبوة	٣/ ٥٣٨
عرضت عليّ أمتي وأعلمت من يؤمن بي	١/ ٣٥١
عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم	٢/ ٤٢٨
علام تشتمني أنت وأصحابك؟	٤/ ٢٥٠
على ملّة إبراهيم	١/ ٢٦٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
عليّ وفاطمة وولداها	٤/ ٦٤
عليكم منازلكم، فإنما يكتب آثاركم	٣/ ٥١٩
عمداً فعلته يا عمر	١/ ٥٢٠
العيادة فواق ناقة	٣/ ٥٦٢
- الغين -	
الغاسق: النجم	٤/ ٥٠٩
غداً أخبركم بذلك	٣/ ٧٦
غراماً: دائماً	٣/ ٣٢٧
غشيها فراش من ذهب	٤/ ١٨٧
غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟	١/ ٤٧٧
- الفاء -	
فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها	١/ ٢٦٩
فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة	٤/ ٤٧٨
فأنت الحبر السمين	٢/ ٥٣
فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها	٢/ ٥٦٤
فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته	٢/ ٥٢٧
فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد	٤/ ٥٠٢
فأين أنتِ من شباب أهل مكة؟	٤/ ٢٦٦
فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء	١/ ١٣
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً	١/ ٤٥٩
فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه	٣/ ٥٠٧
فلا تعد إليه	٤/ ٢٥١
فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه	٣/ ٤٤٣
فما حملك على ما صنعت؟	٤/ ٢٦٧
فما رأيت عبقرياً يفري فري عمر	٣/ ١٢٨
فما يدريكم أنها إناث؟	٤/ ٧٥
فهلموا إلى التوراة	١/ ٢٦٩
فيؤمر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله	٤/ ٢٩١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
فيه جمع أبوك	٤/ ٢٨٢
- القاف -	
قال جبريل: ألا أراك وضعت اللأمة	٣/ ٤٥٨
قال جبريل: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب	١/ ٥١٥
قال ذو الخويصرة: اعدل يا رسول الله	٢/ ٢٦٩
قال علي: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي	٤/ ٢٤٩
قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً	١/ ١٨٣
قال عمر: لو اتخذنا من مقام إبراهيم	١/ ١٠٩
قالت اليهود: من يأتيك من الملائكة؟	١/ ٩٠
قام قيام ليلة بآية يرددها	١/ ٦٠٦
قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً	١/ ٢٦٨
قد أذنت لك	٢/ ٢٦٦
قد حرمتِ عليه	٤/ ٢٤٢
قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك	١/ ٤٨٠
قد فعلتَ	٣/ ١٣٩
قد قبلتك	٣/ ٤٦٥
قد كنت أحب أن أراك على غير جوار	٣/ ٣٢٩
القرن: أربعون سنة	٢/ ٩
القرن: مئة سنة	٢/ ١٠
قسم ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين	٤/ ٢٥٧
قضى ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار	٣/ ٢٠٣
قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة	٣/ ٣٨٨
قل له: إن رسول الله يقول: بعني كذا	٣/ ١٨٢
قلتم كذا وكذا	٢/ ٢٧٥
قم يا فلان، فإنك منافق	٣/ ٤٨٤
قم يا فلان، قم يا فلان	٤/ ٢٤٧
القنطار: اثنا عشر ألف أوقية	١/ ٢٦٤
القنطار: ألف ومئتا أوقية	١/ ٢٦٤
القنطار: ألف ومئتا دينار	١/ ٢٦٤
القوة: الرمي	٢/ ٢٢١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٣/ ٤٨١
قيام العبد من الليل	٣/ ٤٤٠
قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً	١/ ٦٩
قيل لرسول الله ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبيّ	٤/ ١٤٧

- الكاف -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
كاتب الحسنات على يمين الرجل	٤/ ١٥٩
كاد يصيبنا في خلافك بلاء	٢/ ٢٢٥
كان ﷺ إذا جلس على المنبر أذّن بلال	٤/ ٢٨٢
كان ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره	٢/ ٢٨٦
كان ﷺ إذا سئل: لمن هذا الأمر من بعدك؟ لم يخبر بشيء	٤/ ٧٩
كان ﷺ إذا صلى بالمسجد الحرام قام رجلان	٢/ ٢٠٩
كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء	٣/ ٢٥٥
كان ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس	٤/ ١٣٣
كان ثعلبة يقول: إنما يعطي محمد من يشاء	٢/ ٢٦٩
كان جبريل يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل	٤/ ١٨٤
كان (خلقه القرآن	٤/ ٣١٩
كان ذو الكفل رجلاً لا ينزع عن ذنب	٣/ ٢٠٨
كان ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه	٢/ ٢١٩
كان ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب	١/ ٥٩٤
كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم	٢/ ٤٦٥
كان ﷺ يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقاً منه حتى أنس به	٤/ ٣٥٢
كان ﷺ يتعوذ من بوار الأيم	٣/ ٣١٥
كان ﷺ يثقل عليه إذا أوحي إليه	٤/ ٣٥٣
كان يجاء بالغنيمة فيقسمها ﷺ على خمسة	٢/ ٢١١
كان ﷺ يجهز بالقراءة في الصلوات كلها	١/ ٢٦
كان ﷺ يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه	٤/ ٢٤٧
كان ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران	٤/ ٢٩٤
كان ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير	٤/ ٢٨٤
كان ﷺ يراوح بين قدميه، يقوم على رجل	٣/ ١٥٠
كان ﷺ يرفع صوته بالقرآن بمكة	٣/ ٦٠
كان ﷺ يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوج	٤/ ٢٧٢
كان (إسرائيل) يسكن البدو فاشتكى عرق النسا	١/ ٣٠٥
كان يصعد لإدريس من العمل مثلما يصعد	٣/ ١٣٥
كان ﷺ يصلي بمكة عند الصفا فجهر بالقرآن	٣/ ٦١
كان ﷺ يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة	٣/ ٤٧٩
كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه	٤/ ٣٧١
كان ﷺ يكتب: باسمك اللهم	٣/ ٦٠
كان ﷺ يمتحنهن بشهادة أن لا إله إلا الله	٤/ ٢٧٢
كان ﷺ يوماً يناجي عتبة وأبا جهل وأمية.. فجاء ابن أم مكتوم	٤/ ٣٩٩
كانا من جلد حمار ميتٍ	٣/ ١٥٣
كانت الأولى من موسى نسياناً	٣/ ٩٥
كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم	١/ ١١١
كانوا أهل قرية لئاماً	٣/ ١٠١
كانوا مئة ألف يزيدون عشرين ألفاً	٣/ ٥٥٤
الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	١/ ٣٩٧
الكبائر سبع: الإشراك بالله أولهن	١/ ٣٩٦
الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس	١/ ٣٩٧
كتب ﷺ إلى هجر يدعوهم الى الإسلام	١/ ٥٩٤
كذا أنزلت عليّ فاكتبها	٢/ ٥٥
كذب إبراهيم ثلاث كذبات	٢/ ٤٥٧، ٣/ ١٩٦
كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً	٣/ ٥٣٠
كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم	٣/ ٤١١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيي بن زكريا	١/ ٢٧٩
كل خير أرجوه من ربي	٣/ ١٩٧
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	٤/ ٢٠٤
كل مال أديت زكاته فليس بكنز	٢/ ٢٥٤
كل مولود يولد على الفطرة	٢/ ١٣، ٣/ ٤٢٢
كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم	١/ ٣٠٠
كلمة التقوى: لا إله إلا الله	٤/ ١٣٦
كلهم في الجنة	٣/ ٥١١
كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح	١/ ٢٢١
كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر	١/ ١١
كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد	٣/ ٤٤٩
الكنود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده	٤/ ٤٨٤
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	١/ ٣٢٣

- اللام -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٣/ ٣١٨
لا أجد ما أحملكم عليه	٢/ ٢٨٩، ٣/ ٢١
لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء	١/ ٣٤٣
لا إله إلا الله	٣/ ٥٥٧
لا، بل أستأني	٣/ ٣٣
لا، بل لكل من عُبِدَ من دون الله	٣/ ٢١٥
لا، بل للناس كافة	٢/ ٤٠٥
لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون	٣/ ٢٦٥
لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم	١/ ٢٤٤
لا تجالسوهم ولا تكلموهم	٢/ ٢٩٠
لا تجعلوا بيوتكم مقابر	١/ ٢٤
لا تحلفوا بآبائكم	١/ ٣٦٧
لا تذكري لعائشة ما رأيت	٤/ ٣٠٥
لا تذكريه لأحد	٤/ ٣٠٥
لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر	٤/ ١٠٠
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق	٣/ ٥٧
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	٣/ ٤١٠
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها	١/ ٥٣٧
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك	١/ ١٨١
لا تمككوا على غرمائكم	٤/ ١٣٥
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة	٣/ ٢٧٥
لا حاجة لي فيه	٤/ ٣٠٥
لا خير في دين ليس فيه ركوع	٤/ ٣٨٦
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	١/ ٢٣
لا، فإنه لا ينبغي أن يُسجد لأحد من دون الله	١/ ٢٩٨
لا نبرح حتى نناجزهم	٤/ ١٢٦
لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني	٢/ ٢٣٢
لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد	٣/ ٩٧
لا يتم بعد حلم	٢/ ٢١٢
لا يخضد شوكها	٤/ ٢٢٢
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣/ ٤٥٨
لا يضرك بأيهما بدأت	٣/ ٥٣٠
لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه	١/ ١٤٦
لا ينحني له	٢/ ٤٧٤
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٢/ ٣٠٤
لأمثلن بكذا وكذا منهم	١/ ٣٢٤
لئن ظفرت بقاتل حمزة لأمثلنّ به مُثلة	٢/ ٥٩٤
لسرادق النار أربعة جدر كثف	٣/ ٨٠
لعن ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه	١/ ٢٤٧
لعن ﷺ الزهرة وقال: إنها فتنت ملكين	١/ ٩٥

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
لعن ﷺ العاضهة والمستعضهة	٢/ ٥٤٥، ٣/ ١٦٧
لقد أنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	٣/ ٢٥٤
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	٣/ ٤٥٩
لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	٣/ ٢٥٨
لقد ذهبتم فيها عريضة	١/ ٣٢٥
لقد عجب من فعالكما أهل السماء	٤/ ٢٥٩
لقريش	٤/ ٧٩
لكن الله يدري، وسيقضي بينهما	٢/ ٢٥
لم أومر بذلك	١/ ٥٧٦
لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت	٤/ ١٢٦
لم يدخل ﷺ بيت المقدس ولم يصلّ فيه	٣/ ٨
لم يصافح ﷺ في البيعة امرأة	٤/ ٢٧٤
لم يكن رسول الله ﷺ في شك ولا سأل	٢/ ٣٥٠
لم ينظر موسى إلى الله	٤/ ٧٠
لما أراد ﷺ العمرة استنفر مَنْ حول المدينة	٤/ ١٣٠
لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر	١/ ٣٤٧
لما انصرف ﷺ من الخندق وضع عنه اللأمة واغتسل	٣/ ٤٥٨
لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعاً	١/ ٥٦٧
لما بويع رسول الله ﷺ ليله العقبة	٢/ ٢٠٤
لما تزوج ﷺ زينب دعا القوم فطعموا	٣/ ٤٧٨
لما حاصر ﷺ قريظة سألوه أن يصالحهم	٢/ ٢٠٢
لما دعا ﷺ على أهل مكة بالجرب فقحطوا	٢/ ٣٢٢
لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت	٤/ ١٨٧
لما قدم ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده سعة	٤/ ٦٤
لما كان يوم الفتح أمر ﷺ بلالاً فصعد على ظهر الكعبة فأذن	٤/ ١٥٢
لما مات النجاشي أمرهم ﷺ بالصلاة عليه	١/ ١٠٣
لما نزل عليه ﷺ القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام	٣/ ١٥٠
لما هزم الله المشركين يوم بدر	٢/ ٢٢٤
لما يئس (من أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم	٤/ ١١٣
لمن عمل بها من أمتي	٢/ ٤٠٥
لو اتبع آخرهم أولهم التهب عليهم الوادي ناراً	٤/ ٢٨٤
لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض	١/ ٣٦٣
لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة	١/ ٢٠٠
لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من وقته	٢/ ٤٥٠
لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا	١/ ١٠٦
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً	٤/ ١٩٣
لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم	١/ ٣٣٤
لو كان على أبيك دين قضيته أفكان ذلك يجزئ عنه؟	١/ ١٦٨
لولا أن بني إسرائيل استثنوا لم يعطوا	١/ ٧٧
لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته	٢/ ٥٩٤
ليت شعري ما فعل أبواي؟	١/ ١٠٦
ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم	١/ ٥٥٧
ليلة خمس وعشرين	٤/ ٤٧١
ليهنك العلم يا أبا المنذر	١/ ٢٢٩

- الميم -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة	٣/ ٤٠
ما أخت خالك منك؟	٣/ ١٩٧
ما أدري تبعاً، نبي أو غير نبي	٤/ ٩٣

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ما أردت بما أرى	٢/ ٢٩٧
ما الذي أثنى الله به عليكم؟	٢/ ٣٠٠
ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً	٢/ ٢٩٤
ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	٣/ ٥٢
ما أوحي إليّ في هذا شيء	٤/ ٢٤٢
ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا	٤/ ١٤٤
ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به	٣/ ٥٢
ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها	١/ ٣٢٦
ما ترى يا ابن الخطاب	٢/ ٢٢٤
ما توضأ عبد فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له	١/ ٥٢٣
ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل	٤/ ١٢٦
ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة	١/ ٢٣٠
ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً	١/ ١٧٩
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢/ ٢٦١
ما عليّ لو فعلتُ والله يعلم أني لكاره	٣/ ٤٢
ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة	٤/ ٢٥٩
ما عندنا اليوم شيء	٣/ ٢١
الماعون: الإبرة والماء والنار والفأس	٤/ ٤٩٦
ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية	٢/ ٥٢٧
ما لي أراك محزوناً؟	١/ ٤٣٠
ما لي أراكم سكوتاً؟	٤/ ٢٠٩
ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	٢/ ١٢١
ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة	٢/ ٤٣٠
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع	١/ ٣٥٣
ما من مسلم إلا وله في السماء بابان	٤/ ٩١
ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم	١/ ١٤٦
ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر	١/ ٥٣٤
ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة	٢/ ١٩٥
ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى	٢/ ٢٨٦
ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين	٣/ ٤٦٨
متعنا بنفسك يا أبا بكر	٤/ ٢٥١
متعها ولو بقلنسوتك	١/ ٢١٢
مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين	١/ ٤٨٩
مرا بثعلبة وبفلان	٢/ ٢٨٢
مرجت عهودهم وأماناتهم	٣/ ٣٢٤
مرحباً بمن عاتبني فيه ربي	٤/ ٣٩٩
مررت بقبر أمي فصليت ركعتين	٢/ ٣٠٣
مستقرها تحت العرش	٣/ ٥٢٤
معاذ الله، ما بذلك بعثني	١/ ٢٩٨
المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء	٢/ ١١٤
المغضوب عليهم: اليهود	١/ ٢١
مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله	٢/ ٣٧
المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ	١/ ٣٦٩
ملعون من أتى النساء في أدبارهن	١/ ١٩٣
ملك من الملائكة موكل بالسحاب	١/ ٣٩
من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ (إذا الشمس كورت)	٤/ ٤٠٥
من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني	١/ ٤٣٦
من أعطاكه؟	١/ ٥٦١
من أغلق بابه فهو آمن	٣/ ٤٤٤
من توضأ وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح	٢/ ٤٠٧
من حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً	٣/ ٦٣
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف	٣/ ٦٣
من رغب عن سنتي فليس مني	١/ ٥٧٧
من زوجك؟	٣/ ١٩٧
من سره أن يقوم له الرجال صفوناً	٣/ ٥٧١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له بها حسنة	١/ ٣٠٦
من عقر جواده	٢/ ١٣٥
من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر	٢/ ١٨٦
من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين	٤/ ٤٧١
من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين	٤/ ٤٧١
من لعن شيئاً لم يكن للعنه أهلاً رجعت	١/ ٥٦٦
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً	٣/ ٤٠٨
من مخاطبة العبد ربه	٤/ ٤٩
من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها	٣/ ١٥٤
من نوقش الحساب هلك	٤/ ٤٢٠
من هؤلاء؟	٢/ ٢٩٣
من وجد الزاد والراحلة	١/ ٣٠٨
من يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله	٤/ ٢٥٩
مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش	٤/ ٢٤٦

- النون -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة	٢/ ٢٤٧
ناولني حصيات	٢/ ٢٤٧
ناولني كفاً من حصباء	٢/ ١٩٥
نبزهم الرافضة	٤/ ١٥٠
نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة	٤/ ١٨٦
نبي ضيعه قومه	١/ ٥٣١
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	١/ ١٧٨
نحن معاشر الأنبياء لا نورث	٣/ ١١٨
النخلة لك ولعيالك	٤/ ٤٥٤
نزل ﷺ يوم بدر وبينه وبين الماء رملة	٢/ ١٩٢
نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً	١/ ٦٠٣
نزلت في المؤذنين	٤/ ٥٢
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	٢/ ٢١٥
نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر	٤/ ٢٩٤
نعم	٣/ ٤٤
نعم، (نهيت عن القتال في الشهر الحرام)	١/ ١٥٦
نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما	٣/ ٢٥١
نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم	٣/ ٥٣٣
النعيم: الأمن والصحة	٤/ ٤٨٦
النعيم: الماء البارد	٤/ ٤٨٦
نفاعاً حيثما توجهت	٣/ ١٣٠
نهى (أن تنكح المرأة على عمتها	١/ ٣٩٢
نهى (عن البول في الماء الدائم	٤/ ٣٣٩
نهى (عن قتل النساء والصبيان	١/ ٥٤٤
نهى (عن متعة النساء	١/ ٣٩٢
نور يقذفه الله في القلب فينفتح القلب	٢/ ٧٥

- الهاء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
هات المفتاح	١/ ٤٢٣
هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني	٢/ ٢٨٢
هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو	٢/ ٢٣٧
هذا ما أوحي إليّ أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود	٢/ ٨٩
هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو أن هذا الدين معلق بالثريا لتناوله رجال من فارس	٤/ ١٢٤
هذه أمتي، بالحق يأخذون ويعطون	٢/ ١٧٣
هذه لكم، وقد أعطي القوم مثلها	٢/ ١٧٣
هل أعطاك أحد شيئاً؟	١/ ٥٦١
هل تدرون ما الكوثر؟	٤/ ٤٩٧
هل تدرون ما قال ربكم؟	٤/ ٢١٤، ٢٢٩
هل تدرون مم أضحك؟	٤/ ٤٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
هل تعرف هذا الكتاب؟	٤/ ٢٦٧
هل جئتم في عهد؟	٤/ ١٣٤
هل جعل لكم أحد أماناً؟	٤/ ١٣٤
هل عندكن شيء؟	٤/ ٢٥٨
هل متعتها بشيء؟	١/ ٢١٢
هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟	٣/ ٥٠٧
هلا قلتِ: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد	٤/ ١٤٩
هلك المصرون	٢/ ٤٢٦
هم الجن، وان الشيطان لا يخبل أحداً في داره	٢/ ٢٢١
هم اليوم أربعة	٤/ ٣٣١
هم قوم هذا	١/ ٥٦٠
همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك	٤/ ٢٥٣
هو قرن ينفخ فيه	٢/ ٤٥
هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل	١/ ٩٩
هو مسجدي هذا	٢/ ٢٩٨
هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة	٤/ ٤٩٧

- الواو -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
والذي بعثني بالحق، لو فعلا لأمطر الوادي	١/ ٢٨٩
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	٤/ ٥٠٥
والذي نفسي بيده، لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً	٤/ ٤٦٧
والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها	١/ ١٧
والله لأرضينك، وإني مسر إليك سراً فاحفظيه	٤/ ٣٠٥
والله لأمثلن بسبعين منهم	٢/ ٥٩٤
والله لو باعني أو أسلفني لقضيته	٣/ ١٨٢
والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله	٤/ ٢٧١
وإليك نسعى ونحفد	٢/ ٥٧٢
وأنا اقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم	٢/ ٢٩٣
وأي شيء أقول فيه! هو عبد الله	١/ ٥٠٢
وتجعلون رزقكم، قال: شكركم	٤/ ٢٢٩
وجدني في أهل غنيمة بشق	٢/ ٥٥١
الورود: الدخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها	٣/ ١٤٣
وفّى عمل يومه بأربع ركعات في أول النهار	٤/ ١٩٢
ولا تجزي عن أحد بعدك	٢/ ٢٥٠
ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه	٣/ ٤٠٩
وما تصنع بها؟	٤/ ٢٥١
وما هي يا عبد الله؟	١/ ١٨٧
وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر	٤/ ٢٦٧
وممّ ذاك؟	٣/ ٤٦٥
ومن صاحبكم؟	١/ ٥٠٢
ويأتيك من لم تزوده بالأخبار	٣/ ٥٣١
ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير	٢/ ٢٨١
ويسعى بذمتهم أدناهم	٢/ ٢٣٩
ويل: واد في جهنم	١/ ٨٢

- الياء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام	٤/ ٤٤٤
يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب العظيم	٢/ ١٠٣، ٣/ ١١٢
يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه	٣/ ٣٣٠
يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة	٣/ ١٣٢
يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	١/ ٢٢٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يا أبا ذر، أتدري فيما انتطحتا؟	٢/ ٢٥
يا أبا ذر، تدري أين ذهبت الشمس؟	٢/ ٥٦٣
يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض	١/ ١٥٥
يا ثوبان، ما غير وجهك؟	١/ ٤٣٠
يا جابر، لا أراك ميتاً من وجعك هذا	١/ ٥٠٤
يا جبريل، لمَ اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟	١/ ٤٧٨
يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا	٣/ ١٣٩
يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر؟	٢/ ٢٦٦
يا رب، كيف أصنع؟ إنما أنا وحدي يجتمع عليَّ الناس	١/ ٥٦٨
يا رب، كيف بالغضب	٢/ ١٨١
يا رحمن يا رحيم	٣/ ٦٠
يا صباحاه	٤/ ٥٠٢
يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي	٤/ ٥٠٧
يا عبد الله، هذه مؤمنة	١/ ١٨٧
يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب	٣/ ٥٥٧
يا عماه، إن الله قد عصمني من الجن والإنس	١/ ٥٦٨
يا عمر، إن أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم	٤/ ١٠٩
يا عمر، ضع سيفك	٤/ ٩٨
يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟	١/ ٣٩٦
يا فلان، أخرج فإنك منافق	٢/ ٢٩٣
يا فلان، يا فلان، اشهدوا	٤/ ١٩٦
يا معشر الشباب، عليكم بالباءة	٣/ ٢٩٣
يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله	٣/ ٣٥٠
يا مقداد، أقتلت رجلاً قال: لا إله إلا الله	١/ ٤٥٢
يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة	٢/ ٢٨٢
يا يهودي، إن الإسلام يسبك الرجال	٣/ ٢٢٥
يأجوج أمة، وماجوج أمة	٣/ ١٠٩
يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى	٤/ ٣٧
يبسطها ويمدها مد الأديم	٢/ ٥٢٠
يتجلى لهم الرب	٤/ ١٦٤
يجزئك الثلث	٢/ ٢٠٣
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل	١/ ١١٩
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً	٣/ ٢١٧
يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره	١/ ٥٥١
يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار	٢/ ١٢١
يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة	٤/ ٢٦
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات	٤/ ٣٣١
يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً	٤/ ٢١١
يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	٤/ ٢٦
يقرّب إليه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى	٢/ ٥٠٨
يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	٤/ ٤١٤
يكشف ربنا عن ساقه	٤/ ٣٢٥
يمنعني الله منك	١/ ٥٢٥
يوضع في مسامعهم مسامير من نار	٣/ ٢١٤

٣ ـ فهرس القوافي

القافية	الشاعر	ج/ص
	ـ الألف ـ	
جزى	أبو النجم	١/ ٦٠٥
العلا	أبو النجم	١/ ٦٠٥
وإن شراً فا	....	١/ ٢٦
إلا أن تا	....	١/ ٢٦
ألا تا	....	١/ ٢٦
ألا فا	....	١/ ٢٦
السرى	....	٣/ ١٠٢
ما مضى	....	٣/ ١٥٤
اليمنى	....	٣/ ٣٨٣
يبلى	....	٣/ ٣٨٣
	ـ الهمزة ـ	
وراءَها	قيس بن الخطيم	٤/ ٢٠٤
نساءُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٦٦
السواءُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٢٩٠
بقاءُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٢٩٠
نشاءُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٤٣١
كفاءُ	حسان بن ثابت	١/ ٩١
هواءُ	حسان بن ثابت	٢/ ٥١٨
ضوضاءُ	الحارث بن حلزة	١/ ٤٣٧
مبوؤُها	إبراهيم بن هرمة	٢/ ١٣٤
الأحياءِ	عدي بن الرعلاء	١/ ٢٧١
البناءِ	....	٢/ ١٢٣
الأعداءِ	....	٢/ ٢٢٠
السواءِ	....	٢/ ٢٢٠
	ـ الباء ـ	
العَجَبْ	....	٣/ ٥٦٠
الذَّنَبْ	....	٣/ ٥٦٠
صبًا	....	٤/ ٤٩٦
مُخَضَّبا	الأعشى	٣/ ٦٤
واصبا	أبو الأسود الدؤلي	٢/ ٥٦٤
دائبا	....	٢/ ٢٦٠
طنبا	أوس بن حجر	٢/ ٥٢٧
صليبا	الهذلي	١/ ٥٠٩
قريبا	الأعشى	٢/ ١٤٥
يتذبذبُ	النابغة الذبياني	١/ ٤٤
مذهبُ	النابغة الذبياني	٢/ ٥٠٧
ومذنبُ	الكميت بن زيد	٢/ ٢٣
ومعربُ	الكميت بن زيد	٤/ ٢٩
فتصوّبوا	النابغة الجعدي	٢/ ١٧٩
يغضبوا	ابن الضريبة	٢/ ٣٦٦
وعقربُ	....	١/ ٣٣١
أرغبُ	....	٢/ ٥٠٦
والمهلَّبُ	....	٣/ ٨٣
عاتبُ	....	١/ ٣٨٦
صاحبُ	....	١/ ٣٨٦
سارِبُ	....	٢/ ٤٨٥

القافية	الشاعر	ج/ص
الأسبابُ	....	٢/٤٢٩
الطربُ	الكميت	١/٢٨٠
غضبوا	ابن قيس الرقيات	٢/٢٨٠
العربُ	ابن قيس الرقيات	٢/٢٨٠
منقضبُ	ذو الرمة	٢/٥٢٧
ولا نَدَبُ	ذو الرمة	٢/٥٣٣
الكذوبُ	ابن الزبعرى	١/٢٧
مجيبُ	كعب بن سعد الغنوي	١/٣٦ و١٤٦و٣٤٨
وقليبُ	كعب بن سعد الغنوي	٢/٢٣٨
دبيبُ	علقمة بن عبدة	١/٣٩
فصليبُ	علقمة بن عبدة	١/٢٣٢ و٢٩٠و٤٣٠و٤/٢٠٤
طبيبُ	علقمة بن عبدة	٣/٣٢٦و٤/٣٣٥
لبيبُ	المضرب بن كعب	١/٥٠٦
لغريبُ	ضابئ البرجمي	٢/٢٥٥
يصوبُ	....	١/٤٩
ذُنوبُ	....	١/١٧٥و ٢/١٣٨
طبيبُ	....	٢/١١٥
تشيبُ	....	٢/١١٥
ذَنوبُ	....	٤/١٧٤
القليبُ	....	٤/١٧٤
وغاربُهْ	أبو الغمر الكلابي	١/٤٧٠
وأخاطبُهْ	ذو الرمة	٢/٥٣٠
وملاعبُهْ	ذو الرمة	٢/٥٣٠
ثاقبُهْ	....	١/٣٦
كِذابُهْ	الأعشى	٤/٣٩٠
طلابُها	أبو ذؤيب	١/٣١٦
جوابُها	الفرزدق	١/٣٥٨و٢/٣٩٨
ثوابُها	....	١/٣٣١
أبي كعبِ	....	٣/٢١٣

القافية	الشاعر	ج/ص
الكواكبِ	بشر بن أبي خازم	٢/٥٢٧
المعذَّبِ	امرؤ القيس	٤/١٦٢
تطيَّبِ	امرؤ القيس	٤/١٦٢
تطيَّبِ	امرؤ القيس	٤/١٦٢
لِغُرَّبِ	....	٤/٣٦٦
عائبي	أبو الغول الطهوي	١/٤٠٢
العقاربِ	جرير	٢/٨٩
الكتائبِ	النابغة الذبياني	٢/٢٨٠
الكواكبِ	النابغة الذبياني	٢/٥٦٥
بالحواجبِ	القناني	٢/٣٨٥
وبالشرابِ	امرؤ القيس	٣/٢٩
بالإيابِ	امرؤ القيس	٤/١٦٤
السحابِ	....	٤/٣٥٦
نشبِ	عمرو بن معديكرب	١/٢٤٢ و٢/٣٨٢
النُّقَبِ	دريد بن الصمة	١/٥٢٧
والذَّهَبِ	مالك بن نويرة	٤/٢١٤
الذَّنَبِ	....	١/٥٥
تأويبِ	سلامة بن جندل	٣/٥١٣
بالكُوبِ	عدي بن زيد	٤/٨٣
كالزبيبِ	....	٤/٣٨٦

ـ التاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
طولتْ	....	٤/٢٩
أميثتْ	....	٤/٢٩
فكررتْ	....	٤/٢٩
ثلثتْ	....	٤/٢٩
سبعتْ	....	٤/٢٩
مقيتا	أحيحة بن الجلاح	١/٤٤١
أتيتا	....	٢/٤٢٦
هيتا	....	٢/٤٢٦

القافية	الشاعر	ج/ص
أسكتا	....	٢/٤٢٦
لهيّتا	....	٢/٤٢٦
البَغْتُ	يزيد بن ضبة	٢/٢١
ودعوتُ	قيس لبنى	٢/٥٠٣
وقضيتُ	قيس لبنى	٢/٥٠٣
سَرَيْتُ	رؤبة	٤/١٥٤
لَيْتُ	رؤبة	٤/١٥٤
ميتُ	....	١/٢٧١
واستقيتُ	....	١/٢٧١
مَشَيْتُ	....	٤/٤٠١
مقيتُ	....	١/٤٤١
برَّتِ	كثير عزة	١/١٩٦و٥٨١
تقلَّتِ	كثير عزة	٢/٢٦٧
ملَّتِ	كثير عزة	٤/٧٢
فاستقرَّتِ	العجاج	٤/٤٧٨
فاقفعلتِ	....	١/٢٣
واللاتي	....	١/٣٨١
لداتي	....	١/٣٨١
	ـ الجيم ـ	
الفَلَجْ	....	٣/٢٣١و٤/٣٢٠
بالفَرَجْ	....	٣/١٢٦و٢٣١و٤/٣٢٠
الساجْ	....	٤/٤٥٧
النساجْ	....	٤/٤٥٧
تأججا	....	٣/٣٢٩
تهملجُ	النابغة الجعدي	٣/٣٧٢
	ـ الحاء ـ	
أروخْ	....	٤/٤٦١
بَرَّخْ	....	٤/٤٦١
يسنخْ	....	٤/٤٦١
نشرخْ	....	٤/٤٦١
فافرحْ	....	٤/٤٦١
ورمحا	ابن الزبعرى	١/٥٢٢و٤/٢٢٢
الصروحا	أبو ذؤيب الهذلي	٣/٣٦٥
شِيحا	المضرس بن ربعي	٤/١٦٢
أكدحُ	تميم بن مقبل	١/٤١٦ و٣/٤٢٠و٤/٤٢٠
يبرحُ	ذو الرمة	١/٤١
أملحُ	....	١/٣٨و١٠٠
أروحُ	....	٣/٨٣
الطوائحُ	نهشل بن حري	٢/٥٢٩
الرياحُ	الهذلي	١/١٩٩
مذبوحُ	أبو ذؤيب الهذلي	٣/٨١
الريحُ	....	٢/١٣١
وأستريحُ	....	٢/١٣١
كشوحُها	النمر بن تولب	١/٣٢٣
راحِ	جرير	١/٥٠و٣/٣٠٢و٤١٤
جناحي	جرير	٣/٣٨٣
بقرواحِ	أوس بن حجر	١/٤٧٠
القماحِ	بشر بن أبي خازم	٣/٥١٨
والجناحِ	....	٣/١٥٦
رزاحِ	....	٤/٨٥
وذبائحِ	....	٢/٤٥٦
	ـ الدال ـ	
من أحدْ	منظور الوبري	١/٢٨٧
من أسدْ	منظور الوبري	١/٢٨٧
في العددْ	منظور الوبري	١/٢٨٧
الصَّمَدْ	سبرة الأسدي	٤/٥٠٦
مَعَدّ	الحارث بن دوس	٤/١٩٨
وَبَرَدْ	....	٢/٥٦٨
الممتاذ	رؤبة	١/٦٠١

القافية	الشاعر	ج/ص
تغريذُ	....	٤/ ٢٥
بإقليذ	....	٤/ ٢٥
بَرْدا	العرجي	١/ ٥٨٣و٤/ ٣٩٠
بُعْدا	....	١/ ٢٣
وَجْدا	....	١/ ٢٣
جهدا	....	١/ ٢٣
بها بُدًّا	....	١/ ٥٠٩
محمدا	الأعشى	١/ ٣٨١
مُخلدا	حطائط بن يعفر	٢/ ٣٨٣
جلمدا	الأحوص	٣/ ٣٠
جامدا	الأحوص	٣/ ٣٠
الذائدا	....	١/ ٤٦٤
واحدا	....	١/ ٤٦٤
باردا	....	١/ ٥٢٢و٤/ ٢٢٢
نَكِدا	....	٢/ ١٣٢
صَرَدا	....	٢/ ٥٥٢
بَدَدا	....	٢/ ٥٥٢
الوالدَةْ	....	٢/ ٣٤٦
جيدَها	....	٢/ ٣٩٠
والبُعْدُ	الحطيئة	١/ ٥٥٥
قَدُّوا	الحطيئة	٢/ ٢٣٨
الفَرْدُ	حسان بن ثابت	٤/ ٣٢١
يُخَلَّدُ	حسان بن ثابت	٣/ ١١٣
ويولدُ	....	٢/ ١٧١
يَبْرُدُ	....	٤/ ٣٣٧
سَبَدُ	الراعي النميري	٢/ ٢٧٠
سودُ	الأعشى	١/ ٣٢٣
بعيدُ	عروة بن حزام	٢/ ١٣٠
ومحصودُ	....	٢/ ٣٢٧و٣/ ٥٧٩
المجلودُ	....	٢/ ٤٢٠
تعودُ	....	٣/ ١٩٩

القافية	الشاعر	ج/ص
وقعودُ	....	٣/ ١٩٩
أَمَدُهْ	الطرماح	١/ ٢٧٣
عهدِ	الحكم بن عبدل	١/ ٤٧٠
العبدِ	المقنع الكندي	٢/ ١٧٨
عن خدِّ	....	٢/ ٢٠٨
أُصَدِّي	....	٢/ ٢٠٨
ضحى غدِ	عدي بن زيد	٢/ ٦٦
المتردِّدِ	عدي بن زيد	٣/ ١٥٣
متهجّدِ	النابغة الذبياني	٣/ ٤٧
يرشدِ	النابغة الذبياني	٣/ ٤٧
نَقْعُدِ	امرؤ القيس	٣/ ١٥٤
قدي	حميد الأرقط	٣/ ٥٥١
موقدِ	الحطيئة	٤/ ٧٨
يُوأَدِ	الفرزدق	٤/ ٤٠٦
[مخلدي]	طرفة	٣/ ٤٢٠
تُزَوَّدِ	طرفة	٣/ ٥٣١
بأوحدِ	طرفة	٣/ ٤٢١و٤/ ٤٥٥
المتشدِّدِ	طرفة	٤/ ٤٨٢
باليدِ	....	٢/ ٤٨٩
المتعمِّدِ	....	٣/ ١٦٤
أم خالدِ	الأشهب بن رميلة	١/ ٣٧و٤/ ١٩
الأساودِ	الأشهب بن رميلة	٤/ ٣٢٤
وتالدِ	متمم بن نويرة	١/ ٣٥١
رمادِ	حسان بن ثابت	٣/ ٣٦١
الأوتادِ	الأسود بن يعفر	٣/ ٥٦١
وغادي	....	١/ ١١٢
فَقْدِ	النابغة الذبياني	١/ ٤٧
البَرَدِ	....	٢/ ٣٩٢
شديدِ	أبو زبيد الطائي	٢/ ١٥٧
المنجودِ	أبو زبيد الطائي	٢/ ٤٤٤
بمردودِ	هانئ بن شكيم	٢/ ٤٧١

القافية	الشاعر	ج/ص
وثمودِ	....	١/ ٤١
جحودِ	....	١/ ٤١
رُودِ	....	٤/ ٤٣٠
المديدِ	....	٤/ ٤٤٢
المشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
الحشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
وعيدي	....	٤/ ٤٤٢
شديدِ	....	٤/ ٤٤٢
والعديدِ	....	٤/ ٤٤٢
هودِ	....	٤/ ٤٤٢
الرشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
محيدِ	....	٤/ ٤٤٢
البعيدِ	....	٤/ ٤٤٢
حصيدِ	....	٤/ ٤٤٢
حدادِها	الأعشى	١/ ١٥١
[فادِها]	الأعشى	١/ ٣٨٧
	ـ الراء ـ	
أو مُضَرْ	لبيد	١/ ٣٨
اعتذرْ	لبيد	٢/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٤/ ٤٣١
أَنْتَصِرْ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩ و٢/ ٥١٦
نُكُرْ	عبيدة بن همام	١/ ٢٩٨ و٤٣٧
نُسُرْ	النمر بن تولب	١/ ٥١٣
دِرَرْ	النمر بن تولب	٤/ ٢٠٧
معتصرْ	ابن أحمر	٢/ ٤٤٥
الضجرْ	....	١/ ١٧٢
الشَّجَرْ	....	٢/ ٥٥٢
ضَرَرْ	....	٢/ ٥٥٢
اعتَكَرْ	....	٤/ ٣٧٨
زَهَرْ	....	٤/ ٣٧٨
المسِيرْ	....	٤/ ٩٥
الحِيرْ	....	٤/ ٩٥
سُمْرا	الفرزدق	١/ ٣٣٥
قَذْرا	ذو الرمة	١/ ٥٠١
تمرا	....	٢/ ٢٠٩
وزبرا	....	٢/ ٢٠٩
خُضْرا	....	٤/ ٢١٧
أحمرا	امرؤ القيس	٢/ ٦٠
بيقرا	امرؤ القيس	٤/ ١٨٠
أضمرا	الفرزدق	٢/ ٣٣٥
مُسَكَّرا	الفرزدق	٣/ ٢٣
أبجرا	الأبيرد الرياحي	٣/ ٥٤١
وأقهرا	المخبل السعدي	٣/ ٥٤٥
المنَفَّرا	ليلى الأخيلية	٤/ ٣٦٠
موقَرا	....	٢/ ٤٢٩
مشارا	الأعشى	١/ ٣٤٠ و٤/ ٣٧٩
نارا	أبو دؤاد الإيادي	١/ ٤٠١
[واستنارا]	الراعي النميري	٢/ ٩٤
ووقارا	أبو عريف الكلبي	٢/ ٢٤٧
الإزارا	ابن أحمر	٢/ ٣٦٠
عقارا	المسيب بن علس	٤/ ٤١٧
إعصارا	....	١/ ٢٤٠
حمارا	....	١/ ٣٠٩
مستعارا	....	٢/ ١١٦ و٤٣٥
إكبارا	....	٢/ ٤٣٦
نفرا	الربيع بن منيع الفزاري	٣/ ٥٣٢
والقمرا	جرير	٤/ ٩٢
سَكَرا	....	٢/ ٥٦٩
كفورا	الأسود بن عامر بن جوين	١/ ٤٣٧
كبيرا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨
سريرا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨
صورا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨

القافية	الشاعر	ج/ ص
ذكورا	الأعشى	٤/ ١١٦
مستطيرا	الأعشى	٤/ ٣٧٧
والفقيرا	....	١/ ١٧٥
كسيرا	....	٣/ ٥٧١
سِتْرُ	مسكين الدارمي	١/ ٣٨
الخِدرُ	مسكين الدارمي	١/ ٣٨
وقرُ	مسكين الدارمي	١/ ٣٨
الدهرُ	حاتم الطائي	٢/ ١٣٩
الفقرُ	حاتم الطائي	٢/ ١٣٩
الصَّدْرُ	حاتم الطائي	٤/ ٢٣٠
الفَجرُ	أبو صخر الهذلي	٢/ ٤٧٠
الشُكْرُ	أبو صخر الهذلي	٣/ ٢٠٩
أَجْرُ	....	١/ ٥٥
يُعصَرُ	....	٢/ ٤٤٤
المقادرُ	ذو الرمة	٣/ ٦٤
القصائرُ	كثير عزة	٤/ ٢١٦
البحاترُ	كثير عزة	٤/ ٢١٦
عامرُ	....	٢/ ٤٢٩
الهواجرُ	....	٤/ ٣٦٤
قماطرُ	....	٤/ ٣٧٨
الصَّفَرُ	الأعشى	١/ ٢٤٦
الزفرُ	أعشى باهلة	١/ ٣١٢ و٤/ ٥٠
الغُمَرُ	أعشى باهلة	٤/ ٢٢٥
الصدورُ	العباس بن مرداس	٢/ ٣٤٥ و٣/ ٢٢٤
بُورُ	ابن الزبعرى	٣/ ٣١٥
القدورُ	....	١/ ١١٤ و٢/ ٢٣٦و٣٦٦
صُورُ	....	١/ ٢٣٦
لمغرورُ	....	١/ ٢٦٣
الصُّورُ	....	٢/ ٤٥

القافية	الشاعر	ج/ ص
لصبورُ	....	٢/ ٥١٦
كثيرُ	....	٢/ ٥٧١
قذورُ	....	٢/ ٥٧١
يضرُّهْ	النابغة الذبياني	١/ ٣٣٩ و٢/ ٣٨١
مُرُّهْ	النابغة الذبياني	٢/ ٣٨١
يَسُرُّه	النابغة الذبياني	٢/ ٣٨١
نشورُها	خالد بن زهيرالهذلي	١/ ٦٨و٣٤٠
وبُسُورُها	توبة بن الحميّر	٤/ ٣٦٣
الجَمْرِ	عمران بن حطان	١/ ١٠٦
الجُزْرِ	خرنق بنت هفان	١/ ٤٩٨
الأزرِ	خرنق بنت هفان	١/ ٤٩٨
شَهْرِ	زهير بن أبي سلمى	٢/ ٢٩٨ و٥٥٢
لا يفري	زهير بن أبي سلمى	٣/ ٢٥٨ و٤/ ٢٦٥
البحرِ	ذو الرمة	٢/ ٣١٦
الخَمْرِ	المسيب بن علس	٤/ ٣٧٩
عمرِو	عبد الرحمن المحاربي	٣/ ٢١٢
بِنُكْرِ	زيد بن عمرو بن نفيل	٣/ ٣٩٥
ضُرّ	زيد بن عمرو بن نفيل	٣/ ٣٩٥
بالغدرِ	....	١/ ٨٨
أبي بكرِ	....	١/ ٢٢٥
وذا ظُفْرِ	....	٢/ ٨٨
ولا ظفري	....	٢/ ٨٨
بني صخرِ	....	٢/ ٤٦٤
إلى وَكْرِ	....	٢/ ٥١٦
الصَّدْرِ	....	٣/ ١٤٨
والنُكْرِ	....	٤/ ٢٦٥
وحِمْيَرِ	لبيد	١/ ٢٩
المسَحَّرِ	لبيد	٣/ ٢٩
مُنْكَرِ	عبيد بن وهب العبسي	٣/ ٧٢
الحميري	أبو ذؤيب	٤/ ٤١٥

القافية	الشاعر	ج/ص
لعامرِ	الراعي النميري	١/ ٤٤
عامرِ	الراعي النميري	٣/ ٢٢٦
بالجرائرِ	الشنفرى	٢/ ٤٣
الناشرِ	الأعشى	٢/ ١٣١ و٤/ ٤٠٢
قابرِ	الأعشى	٤/ ٤٠٢
للحوافرِ	زيد الخيل	٢/ ٥٦٣
المواطرِ	....	١/ ٢٢
المقادرِ	....	١/ ٢٢
المقادرِ	....	٣/ ٢٤٦
وانتظاري	عدي بن زيد	١/ ٤٩
اعتصاري	عدي بن زيد	٢/ ٤٤٥
نهارِ	ربيع بن زياد	١/ ٢٩٣
الأسحارِ	ربيع بن زياد	١/ ٢٩٣
الساري	الأخطل	٤/ ١٧٨
إزاري	....	١/ ١٤٨
وعارِ	....	٤/ ٣٩٥
قَدَرِ	جرير	١/ ٣٨
عَوَري	ابن مقبل	٢/ ٥٢٤
دَعِرِ	ابن مقبل	٣/ ٣٨٢
بالسُّوَرِ	....	٣/ ٢٣١
منثورِ	الفرزدق	٣/ ٣٩
القدورِ	....	١/ ٢٥٩
أظفورِ	....	٢/ ٨٨
زورِ	....	٢/ ١٢٨
غدورِ	....	٢/ ٢٥٥
الأميرِ	....	٣/ ٥٦٨
دارِها	....	٤/ ٣٩٨
سرارِها	....	٤/ ٣٩٨

ـ الزاي ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الأجرازْ	....	٣/ ٦٥
عزَّ بزّا	الخنساء	١/ ٤٨٧ و٢/ ٣١٩
اللمَزَهْ	زياد الأعجم	٢/ ٢٦٩ و٤/ ٤٨٩
مبزي	رؤبة	١/ ٧٠
بالرجزِ	رؤبة	١/ ٧٠

ـ السين ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الأخماسْ	رؤبة	٢/ ٢٩
وإبلاسْ	رؤبة	٢/ ٢٩
بَسَّا	....	٤/ ٢١٩
مكرسا	العجاج	٢/ ٢٩
وأبلسا	العجاج	٢/ ٢٩
تنفسا	علقمة بن قرط	٤/ ٤٠٨
وعسعسا	علقمة بن قرط	٤/ ٤٠٨
التباسا	النابغة الجعدي	١/ ٣٦
لباسا	النابغة الجعدي	١/ ١٤٨
نحاسا	النابغة الجعدي	٤/ ٢١١
بئيسا	ذو الإصبع العدواني	٢/ ١٦٤
رأسُ	....	٣/ ٢١٣
المجلسُ	المهلهل	١/ ٨٩ و٣/ ٤٣
الجلَّسُ	....	١/ ٧٨
الفوارسُ	ذو الرمة	٣/ ٧١
نفسي	الخنساء	٤/ ٧٨
بالتأسي	الخنساء	٤/ ٧٨
حِنْدِسِ	....	٣/ ٨٢
السندسِ	....	٣/ ٨٢
الجواميسِ	جرير	٢/ ٥٦٣

ـ الشين ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
قريشا	....	٤/ ٤٩٤
ريشا	....	٤/ ٤٩٤

القافية	الشاعر	ج/ ص

ـ الصاد ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
وتبوصُ	امرؤ القيس	٣/ ٥٥٩
خميصُ	....	١/ ٣٠و١٩٢ ٢/ ١٣٦و٥٦٣ و٤/ ٢٠٤
حريصُ	....	٢/ ١٢٢

ـ الضاد ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
تقضى	رؤبة	١/ ٢٥٠
بعضا	رؤبة	١/ ٢٥٠
بالمعضَّى	رؤبة	٢/ ٥٤٤
أرضى	....	٢/ ٣٦٨
ما مضى	....	٣/ ١٥٤
بعضِ	طرفة	٣/ ١٢٢
نقضي	....	٢/ ٤١٦
عرضي	....	٢/ ٤١٦
تبيضَّضي	....	٢/ ٤٢٩

ـ الطاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
المناشطا	هميان بن قحافة	٤/ ٣٩٤
واسطا	هميان بن قحافة	٤/ ٣٩٤

ـ العين ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
خَدَعْ	سويد بن أبي كاهل	١/ ٣١
رَتَعْ	سويد بن أبي كاهل	٢/ ٤١٧
المستمعْ	....	١/ ٥٤
جَذَعْ	....	٢/ ١٤٩
أَضَعْ	....	٢/ ١٤٩
بصاعْ	....	٢/ ٤٢٩
مدفعا	امرؤ القيس	١/ ٤٣٦ و٢/ ٣٦٤
أشنعا	مقاس العائذي	٢/ ٣٩
المقنعا	جرير	١/ ٤٣٤
مصنعا	....	٢/ ٤٥٦
أطمعا	....	٢/ ٥١٧
ممنعا	....	٤/ ١٦٢
اتباعا	القطامي	٤/ ٣٤٣
ذراعا	....	٢/ ٣٨٩
قد ينعا	الأحوص أو يزيد	٢/ ٦١
مضطجعا	الأعشى	٢/ ٢٩١
والصلعا	الأعشى	٢/ ٣٨٥ و٤/ ٣٨٤
خدوعا	....	١/ ٢٩٤
رَفَعَهْ	الأضبط بن قريع	١/ ٥٦١
تدفعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٢٢٧
ترقعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٥٤٤
تُبَّعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٤/ ٤٧
يجزعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٤/ ١٧٩
الخُشَّعُ	جرير	٢/ ٤١٦
وتقطَّعُ	أوس بن حجر	٢/ ٤٦٤
أتقنَّعُ	غيلان بن سلمة	٤/ ٣٥٩
مدمعُ	....	١/ ٥٠٢
أطمعُ	....	٢/ ١٦٦
مُجمعُ	....	٢/ ٣٤١ و٣/ ١٦٦
نوازعُ	النابغة الذبياني	١/ ٤١
سابغُ	النابغة الذبياني	١/ ٥٨
الأصابعُ	النابغة الذبياني	٢/ ٤٣٤
ساطعُ	لبيد	١/ ١٧٥ و٣/ ٣٩٧و٤/ ٤٢٠
الأصابعُ	لبيد	٢/ ٥٠٧
الزعازعُ	الفرزدق	٢/ ١٥٨
الطوالعُ	الفرزدق	٤/ ٧٨
الودائعُ	بيهس العذري	٣/ ٩٥
طالعُ	عبد الله بن رواحة	٣/ ١٩٨
المضاجعُ	عبد الله بن رواحة	٣/ ١٩٨
مجاشعُ	....	٢/ ١٠٧
نافعُ	....	٤/ ٣٣٦

القافية	الشاعر	ج/ص
وجيعُ	عمرو بن معد يكرب	١/ ٤٨٧
صديعُ	عمرو بن معد يكرب	٢/ ٥٤٥
رجوعُ	قيس بن ذريح	٢/ ٣٤٣
رجوعُها	الأحوص	٣/ ٢٦٢
مصرعي	خبيب بن عدي	١/ ١٧٠
ممزّعِ	خبيب بن عدي	١/ ١٧٠
والأقرعِ	العباس بن مرداس	٣/ ٥٣٠
بجائعِ	امرأة من قشير	١/ ٣٧٣
فارعِ	مقيس بن صبابة	١/ ٤٥٠
راجعِ	مقيس بن صبابة	١/ ٤٥٠
القصاعِ	الحطيئة	١/ ٢١١
ربوعِ	الشماخ	٢/ ٩٩
القنوعِ	الشماخ	٣/ ٢٣٩

ـ الفاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
قافْ	....	١/ ٢٦و٤/ ١٥٧
[الأكفّا]	....	٢/ ٥٠٥و٥٠٦
أوجفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
فزلفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
احقوقفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
دَنَفا	العجاج	٣/ ٤٦
تزحلفا	العجاج	٣/ ٤٦
الوظيفا	الهذلي	٢/ ٥٠٦
مشرفُ	الفرزدق	١/ ٥٣٢
مجلَّفُ	الفرزدق	٣/ ١٦٤
تقصَّفُ	....	٢/ ٤٧٠
المخلَّفُ	....	٢/ ٤٧٠
وزائفُ	المزرد	٣/ ٧٨
نزاحفُ	....	١/ ٢٨٦
تحانفُ	....	١/ ٢٨٦
كاسفُ	....	٢/ ٥٠٩
الرواجفُ	....	٤/ ٤٩٤
مختلفُ	عمرو بن امرئ القيس أو المرار الأسدي	٢/ ٢٥٥ و٣/ ٥٠١ و٤/ ١٥٩
طَرَفُ	جرير	٣/ ١٩٤
تنغرفُ	قيس بن الخطيم	٣/ ٢٨٣
خلافِ	....	١/ ٣٥٣
الأعرافِ	....	٢/ ١٢٣

ـ القاف ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
المصطلقْ	....	٣/ ١٠٠
وانطلقْ	....	٣/ ١٠٠
نَطَقْ	....	٣/ ١٠١
تَلِقْ	....	٣/ ٢٨٤
طارقْ	هند بنت عتبة	٤/ ٤٢٨
النمارقْ	هند بنت عتبة	٤/ ٤٢٨
ساقْ	....	٤/ ٣٢٥
بالمضيقْ	....	٣/ ٣٣٣
السرادقا	الفرزدق	٣/ ٨٠
حقائقا	....	٤/ ٤٢١
سائقا	....	٤/ ٤٢١
دقيقا	....	١/ ١١٢
لبيقا	....	١/ ١١٢
يبرقُ	ذو الرمة	١/ ٤١
الغَرَقُ	العباس بن عبد المطلب	٣/ ٥٢٥
شَرِقُ	....	٣/ ٣٣٧
وتنطلقُ	....	٣/ ٣٣٧
تذوقُ	حميد بن ثور	٢/ ٤٩٠
إبريقُ	عدي بن زيد	٤/ ٢٢١
يذوقُ	....	١/ ٢٨١
أطيقُ	....	٣/ ٣٩٢

القافية	الشاعر	ج/ص
تُشَقَّقِ	عقفان بن قيس	٢/ ٨٨
تُفَتَّقِ	الشماخ أو المزرد	٣/ ١٧
تَبْرَقِ	طرفة	٤/ ٣٦٩
موثقِ	....	١/ ٤٢
متألقِ	....	١/ ٤٢
أيانقِ	عمارة بن طارق	٤/ ٥٠٣
شقاقِ	بشر بن أبي خازم	١/ ٥٧٠
مراقِ	عوف بن الأحوص	٢/ ٤٣
العراقِ	....	٢/ ١٢٨
مهراقِ	....	٢/ ١٢٨
طَبَقِ	الأقرع بن حابس	٤/ ٤٢٢

ـ الكاف ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
حلالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
محالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
عيالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
جلالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
بدا لكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
مَكَّا	....	٤/ ١٣٥
وعَكَّا	....	٤/ ١٣٥
عذلكا	.....	١/ ١١٦
مثلكا	......	١/ ١١٦
مباركا	أبو خالد القناني	١/ ١٦
إيثاركا	أبو خالد القناني	١/ ١٦
أنا ذلكا	خفاف بن ندبة	١/ ٢٧
عزائكا	الأعشى	١/ ١٩٨
نسائكا	الأعشى	١/ ١٩٨
مالُكا	......	١/ ٢٩٧
سواكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
حماكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
عاداكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
قراكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
الدوالكِ	ذو الرمة	٣/ ٤٦

ـ اللام ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الطفلْ	لبيد	١/ ٢٤
سألْ	لبيد	١/ ٤٩
وعَجَلْ	لبيد	٢/ ١٨٧
فاضمحلّ	لبيد	٢/ ٤٩٠
[غَفَلْ]	لبيد	٣/ ٤٧
وحائلْ	الطرماح	٢/ ٥٢٩
مقبلا	أوس بن حجر	١/ ٢٠٥
أعضلا	أوس بن حجر	١/ ٢٠٥
أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	١/ ٥٠٠
المغفلا	....	١/ ٣٨١
أرملا	....	٢/ ٤٦٧
المطافلا	....	١/ ٥٩
الأوعالا	الفرزدق	١/ ٧٨
الأبطالا	الفرزدق	٣/ ٢٣
خيالا	الأخطل	٢/ ٤٨و٤/ ١٧٩
ميكالا	جرير	١/ ٩١
أبوالا	أمية بن أبي الصلت	١/ ١٧٥
مقالا	الحطيئة	٣/ ١٢٢
الأبطالا	....	٢/ ٣٨٩
الطوالا	....	٢/ ٣٨٩
وقبالا	....	٤/ ٢٢٣
والجبالا	....	٤/ ٢٢٣
فصَلا	عدي بن زيد	١/ ٧١
يخون إلى	الأعشى	٢/ ١٣٣
حَمَلا	الأخطل	٢/ ٥٧٥
معقولا	الراعي النميري	٢/ ٤٢٠
تحويلا	ابن رواحة	٣/ ١١٣

القافية	الشاعر	ج/ص
السبيلا	....	١/ ٣٠٩
الجِبِلَّهْ	....	٣/ ٣٤٧
أمر الله	....	٤/ ٣٢٤
المغلَّهْ	....	٤/ ٣٢٤
قالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
أوعالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
أمثالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
ما لَها	الخنساء	٢/ ٤٦٤
حبالَها	الأعشى	١/ ٣١١
أطفالَها	الأعشى	٢/ ٤٦٧
إبقالَها	عامر بن جوين الطائي	٢/ ٤٤٤ و٣/ ١٤
تُغلُ	ابن همام السلولي	١/ ٢٩٤
يستهلُ	تأبط شرا	٢/ ٣٨٦
البَقْلُ	زهير بن أبي سلمى	٣/ ٢٥٩
فيستعلوا	زهير بن أبي سلمى	٤/ ٢١٧
القَتْلُ	....	١/ ٨٤
رَحْلُ	....	٤/ ٢٤٣
أَصْلُ	....	٤/ ٢٤٣
منزلُ	ورقة بن نوفل	١/ ٩٠
وأطولُ	الفرزدق	٢/ ١٥٣ و٣/ ٤٢١
أولُ	معن بن أوس	٢/ ١٨٨ و٣/ ٤٢١
لأميلُ	الأحوص	٣/ ٤٢١
العواذلُ	الهذلي	٤/ ٢٤٣
والوسائلُ	....	١/ ٥٤٤
البَطَلُ	الأعشى	١/ ٣٤
وينتعلُ	الأعشى	٢/ ١٢٢
عَجَلُ	الأعشى	٤/ ١٧٦
ما يَئلُ	الأعشى	٣/ ٩٣
هَطِلُ	الأعشى	٣/ ٤١٨
الأُصُلُ	الأعشى	٣/ ٤١٨
الأَمَلُ	الراعي النميري	٣/ ٣٧٩
الزَّلَلُ	القطامي	٤/ ٣٦
حملوا	....	٢/ ٤٦٤
الإبلُ	....	٢/ ٤٦٤
معازيلُ	عبدة بن الطبيب	٢/ ١٧٩
يعيلُ	أحيحة بن الجلاح	٢/ ٢٤٩ و٤/ ٤٥٨
طويلُ	مجنون ليلى	٢/ ٤٩٠
أقولُ	....	١/ ١١١ و٢/ ١٤١
قليلُ	....	١/ ٢٣٩
جزيلُ	....	٢/ ٣٢٧
فمطيلُ	....	٢/ ٣٢٧
أو كلُّه	....	٢/ ١١٣
فلا أُحلُّه	....	٢/ ١١٣
آجلُهْ	توبة بن مضرس	١/ ٥٣٩
كاهلُهْ	ابن ميادة	٢/ ٥١
أناملُهْ	ضابئ البرجمي	٢/ ٤٨٩
[حلائلُهْ]	ضابئ البرجمي	٣/ ١٥٤
حواصلُهْ	....	٢/ ٥٦٨
نواصلُهْ	....	٣/ ٢٦٢
يستبيلُها	الفرزدق	١/ ٥٥
قبيلُها	الأعشى	٣/ ٥٤
والأهلِ	المنخل	٢/ ٤١٦
قبلي	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ٥٠٦
بالمهْلِ	ذو الرمة	٣/ ٣١٦
رِسْلِ	....	١/ ٨١ و٣/ ٢٤٦
لا أَقْلي	....	٣/ ٨٥
التبقلِ	أبو النجم	١/ ٧١
ونهشلِ	أبو النجم	١/ ٧١
مقتَلِ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩
بكلكلِ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩

القافية	الشاعر	ج/ص
يفعلِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٤٣
تنجلي	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٨
مُرَحَّلِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٨
تَنسُلِ	امرؤ القيس	٤/ ٣٦٠
كالسجنجلِ	امرؤ القيس	٤/ ٤٢٩
ممحلِ	عبد قيس بن خفاف	١/ ٢٧٩
فانزلِ	عبد قيس بن خفاف	١/ ٢٧٩
الأعزلِ	لبيد	٢/ ٢٧٠
بهيضلِ	أبو كبير الهذلي	٢/ ٥٢٢
فانزلِ	عنترة العبسي	٣/ ١٨٠
المتحوّلِ	هدبة بن خشرم	٣/ ٣٩٢
يَتْفُلِ	ذو الرمة	٤/ ٥٠٩
ذائلِ	النابغة الذبياني	١/ ٩٣
عواملِ	الهذلي	١/ ٤٦٤
بالأصائلِ	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ١٨٤
حابلِ	......	١/ ٣٢٥
والأغلالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٣٤
الأذيالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٥٩
إسرالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٥٩
العقالِ	أمية بن أبي الصلت	٢/ ٥٢٤
أمثالي	امرؤ القيس	١/ ٢١٠
ميَّالِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٢٦
إذلالِ	امرؤ القيس	١/ ٢٧٦ و٢/ ٣٢٦
وأوصالي	امرؤ القيس	١/ ٥٣٨ و٢/ ٤٦٤
أغوالِ	امرؤ القيس	٣/ ٥٤٣
مالي	زيد الخيل	٢/ ٣٨٣
دلالِ	أمية بن عائذ الهذلي	٢/ ١٨١
الهلالِ	جرير	٢/ ٤١٦ و٣/ ٣٣٥
المحالِ	الأعشى	٢/ ٤٨٨
يبالي	الأعشى	٢/ ٤٨٨
هلالِ	لبيد	٢/ ٥٣٠

القافية	الشاعر	ج/ص
[بالرجالِ]	عدي بن زيد	٣/ ٥٣٨
بخيالِ	تميم بن مقبل	٤/ ٢٨
الذليلِ	سري السقطي	١/ ١٧٩
وقيلِ	سري السقطي	١/ ١٧٩
القتيلِ	عنترة الطائي	٢/ ٢٠٨
عقيلِ	الراعي	٣/ ١٠١
برسولِ	كثير عزة	٣/ ٣٣٦
بالعقولِ	....	٢/ ١١٦
قُلَلِهْ	جميل بن معمر	٢/ ٤٣٥
برجلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
هزلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
مثلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
خليلِهِ	ابن رواحة	٣/ ٢٢٢

ـ الميم ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
إبرهمْ	عبد المطلب	١/ ١٠٧
ينتقمْ	الأعشى	١/ ٢٩٦
حُرِمْ	الأعشى	٢/ ٣٤٧
حُطَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
غَنَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
وَضَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
لم يَنَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
كالزَّلَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
القَدَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
من صَمَمْ	المثقب العبدي	٢/ ١٨
كَمْ وَكَمْ	....	١/ ١٦٣ و٤/ ٢٠٨
القومْ	....	٣/ ١٩٦
اليومْ	....	٣/ ١٩٦
سلّما	وضاح اليمن	١/ ٢٧٧ و٣/ ٥٦٧
أينما	النمر بن تولب	١/ ٤٣٦
مبهما	حاتم الطائي	١/ ٥١٤

القافية	الشاعر	ج/ص
بمنطقها فما	حميد بن ثور	١/٢٥٩ و٣/٣٥٥
موشّما	حميد بن ثور	٢/١٠٩
لها ابنما	المتلمس	٢/٢٥٣
ميسما	المتلمس	٣/٥٦
لصمّما	المتلمس	٣/١٦٥
وأزنما	العوام بن شوذب	٤/٢٨٨
وتمما	....	١/١٨
يتندما	....	١/٣١٨
درهما	....	٢/٤٠١
الدما	....	٢/٤٠١
راهما	هند بنت عتبة	٣/٥٦٧
عرواهما	هند بنت عتبة	٣/٥٦٧
حماهما	هند بنت عتبة	٣/٥٦٧
تراهما	هند بنت عتبة	٣/٥٦٧
غنماهما	أبو أسيدة الدبيري	٤/٣٣٠
سلاما	جرير	١/٧٨
لماما	جرير	٢/١٠٩
غراما	بشر بن أبي خازم	٣/٣٢٨
ألاما	أم عمير الحنفي	٣/٥٥٢
الطعاما	....	١/٥٨
[السناما]	....	٣/٨٥
ولا ذمما	....	٢/٢٣٨و٢٣٩
هامَهْ	يزيد بن مفرغ	١/٤٣٢
غمامَهْ	يزيد بن مفرغ	٤/٩٢
طَعْمُ	....	٣/١٦٩
عُقْمُ	....	٣/٢٤٦
منظمُ	....	١/٢٣٩
يقدمُ	....	٢/٥١٤
جاحمُ	الأعشى	١/١٠٦
راغمُ	الأعشى	٢/٣٤٦
إبراهمُ	عبد المطلب	١/١٠٧
قائمُ	عبد المطلب	١/١٠٧
رواغمُ	....	١/٤٤٥
والغلامُ	أوس بن غلفاء	١/٢٨٠
السلامُ	المثقب العبدي	٢/٥٥٢
أثامُ	بلعاء بن قيس	٣/٣٢٩
الحَمَامُ	....	١/٢٥٩
السلامُ	....	٢/٩٦
السَّقَمُ	العرجي	٢/٤٦٤
والرُّحُمُ	....	٣/١٠٣
والحَرَمُ	....	٤/٧٨
مذؤومُ	حسان بن ثابت	٢/١٠٧
يتيمُ	....	١/٨٤
حكيمُ	....	٢/٢١٩
والحُتُومُ	....	٢/٤٦٩
محرومُ	....	٣/١٤٢
سِمُهْ	رؤبة	١/١٦
مقدّمُهْ	....	١/١٦
سِمُهْ	....	١/١٦
حمامُها	لبيد	٤/٣٦
عقيمُها	كثير عزة	٢/٥٢٩
نسيمُها	....	٢/١٣١
هَمِّي	رؤبة	١/٣٦
غمِّي	رؤبة	١/٣٦
عِكَمِ	الحطيئة	١/٢٩٨
الرجَمِ	النابغة الجعدي	١/١٣٢ و٣/٢٣
أم الهيثمِ	عنترة العبسي	١/٦٥
مَخْرَمِ	عنترة العبسي	٢/٢٣٣ و٣٢٤ و٣/١٤٢
لم تحرمِ	عنترة العبسي	٣/٥٦٨
مكلمي	عنترة العبسي	٤/٢٤٢

القافية	الشاعر	ج/ص
بمحرَّمِ	عنترة العبسي	٤/٣٥٩
المذمّمِ	الأعشى	١/١٧٢
من الدمِ	الأعشى	٢/٤١٧
التكلمِ	زهير بن أبي سلمى	١/٣٣١
المرجَّمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/٧٤
المتخيَّمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/١٤٣
مَجْثَمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/٣٢٧
زهدمِ	سحيم بن وثيل	٢/٤٩٦
مُطْعِمِ	أبو وجزة السعدي	٣/٥٥٩
بمعظمِ	....	١/١١٩
وأنعمي	....	١/٢٢٧
لمأثمِ	....	١/٣٣١
لم تُكَلَّمِ	....	٣/٩٣
النواسمِ	ذو الرمة	١/٣٣
أم القاسمِ	ابن الرقاع	١/٧٠ و٤٣٤
جاسمِ	ابن الرقاع	١/٢٢٩
بنائمِ	ابن الرقاع	١/٢٢٩
بنائمِ	جرير	٢/٣٤٠ و٣/٥٠٠
بدارمِ	الفرزدق	٤/٨٥
والأداهمِ	....	٢/١٣٧
سلامِ	الحطيئة	١/٩٣
شمامِ	الفرزدق	١/١٦٣
بالسهامِ	لبيد	١/٣٥٠
النعامِ	حسان بن ثابت	٢/٢٣٩
الأيامِ	جرير	٣/٢٥
أقوامِ	....	١/١٣٨
لأقوامِ	....	١/١٩٥
أحلامِ	....	١/١٩٥
الأقدامِ	....	٤/٣٢٧
الرحيمِ	جرير	١/١٢٠ و٢/٣١٣

ـ النون ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
شَزَنْ	الأعشى	١/٢٤١
أنكرَنْ	الأعشى	١/٢٦٧
يأتيَنْ	الأعشى	١/٢٦٧
قد عَدَنْ	الأعشى	٢/٢٧٧
الجمعينْ	....	٢/٤٥
النقعينْ	....	٢/٤٥
الصورينْ	....	٢/٤٥
ومينا	عدي بن زيد	١/٦٥
أين أينا	عبيد بن الأبرص	١/١٦٣ و٤/٢٠٨
لَحْنا	مالك بن أسماء	٤/١٢١
عريانا	سوار بن المضرب	٢/١١٠
ومسانا	أمية بن أبي الصلت	٢/٢٦٨
عمرانا	....	٢/٣٤٦
أحيانا	....	٤/٧٤
العالمينا	الحطيئة	١/١٨
سبعينا	لبيد	١/١٩
الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	١/٣٥
لاعبينا	عمرو بن كلثوم	١/٤٠
جنينا	عمرو بن كلثوم	١/٤٣٨
العيونا	عمرو بن كلثوم	٣/١٢٧
مأمونا	عمران بن حطان	١/٩٠
لينا	تميم بن مقيل	١/٣١٣
سجّينا	تميم بن مقبل	٢/٣٩٣
شجينا	المسيب بن زيد مناة	١/٤٣٠ و٣/٢٢٤ و٤/٢٠٤
دفينا	أبوطالب	٢/١٩
عيونا	أبو طالب	٢/١٩
دينا	أبو طالب	٢/١٩
مبينا	أبو طالب	٢/١٩
جنونا	حسان بن ثابت	٢/٢٥٥

القافية	الشاعر	ج/ص
آمينا	....	١/ ٢٣
لما جينا	....	١/ ٥٩
إسرائينا	....	١/ ٥٩
تشكونا	....	١/ ٨٤
يوصينا	....	١/ ٨٤
جافونا	....	١/ ٨٤
لما جينا	....	١/ ١١٠
اسماعينا	....	١/ ١١٠
متينا	....	١/ ٣١١
القرينا	....	٣/ ٥٥٩
والعيونا	....	٤/ ٢٢٢
إنَّهْ	ابن قيس الرقيات	٣/ ١٦٥
المباينُ	المعطل الهذلي	٢/ ٤٣٦
المساكنُ	....	٢/ ٣٤٦
دانوا	الفند الزماني	١/ ٢٥٠
أذنوا	قعنب بن أم صاحب	١/ ٥٨٧ و٤/ ٤١٩
دفنوا	قعنب بن أم صاحب	٢/ ١٤١ و٣/ ٥٠٦
رهينُ	النابغة الذبياني	١/ ٣٤
الظنونُ	النابغة الذبياني	٢/ ٣٨٠
فيهونُ	كثير عزة	٢/ ١٠٢
ميزانُه	....	٢/ ١٠٣
بِشَنّْ	النابغة الذبياني	٢/ ٢١٧ و٤/ ١٧٠
الفرقدانِ	عمرو بن معد يكرب	١/ ٤٤٨
طهيانِ	الأحول الكندي	١/ ٥٩٨ و٣/ ٧٠
والشَّبَهانِ	الأحول الكندي	٣/ ٢٣١
بأرسانِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٢
رماني	ابن أحمر	٤/ ١٥٩
الأركانِ	....	٢/ ٣٩١
باني	....	٢/ ٣٩١

القافية	الشاعر	ج/ص
حقّانِ	....	٢/ ٤٠٤
بالإحسانِ	....	٣/ ١٠١
الكُثْبانِ	....	٤/ ٢٢١
والحَزَنِ	....	٤/ ٢٣٧
لم يَكُنِ	....	٤/ ٢٣٧
اللعينِ	الشماخ	١/ ١٢٧
الوتينِ	الشماخ	٤/ ٣٣٣
يليني	المثقب العبدي	١/ ١٤٠و٣١٦ و٢/ ٣٦٧و٥٧٦ و٣/ ٥١٨
يبتغيني	المثقب العبدي	١/ ١٤٠و٣١٦
الحزينِ	المثقب العبدي	٢/ ٣٠٦
والزيتونِ	أبو طالب	٢/ ٦٠
تخوفيني	أبو حية النميري	٣/ ٣٩٥
تَسْتَتْليني	....	٢/ ٣٢٩
أميني	....	٤/ ٤٦٤

ـ الهاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
فشفاها	ليلى الأخيلية	١/ ٢٠٦
سقاها	ليلى الأخيلية	١/ ٢٠٦و٢٨٠ و٣/ ٩٩
قلاها	....	١/ ٣١٣
[عيناها]	....	١/ ٥٢٢
ابتناها	....	٣/ ٤٠٧
حاديها	طفيل الغنوي	١/ ٦٠
لاقيها	حسان بن ثابت	٢/ ٣٦٤
نبنيها	....	٢/ ١٧١
المدَّهِ	رؤبة	١/ ١٦
تألهي	رؤبة	١/ ١٦
ولُهْلُهِ	رؤبة	١/ ٣٥
مَهْمَهِ	رؤبة	١/ ٣٥
العُمَّهِ	رؤبة	١/ ٣٥

القافية	الشاعر	ج/ص
ـ الياء ـ		
بدا ليا	عبد الله بن معاوية	١/ ٣٢٩
باقيا	النابغة الجعدي	٢/ ٢٠٩
الخواليا	عنترة العبسي	٢/ ٣٥٨
ذا ليا	عنترة العبسي	٢/ ٣٥٨
لجاميا	الفرزدق	٢/ ٤٣٠
ورائيا	سوار بن المضرب	٢/ ٤٦٨و٥٠٧
ضاحيا	أمية بن أبي الصلت	٣/ ٥٥٣
ناهيا	....	٣/ ٥٣٠
شفائيا	....	٤/ ٣٩٠
معاويَهْ	علي بن أبي طالب	٢/ ٨٩
الحاويَهْ	علي بن أبي طالب	٢/ ٨٩
أنجيَهْ	سحيم بن وثيل	٢/ ٤٦١
كالأرشيَهْ	سحيم بن وثيل	٢/ ٤٦١
قنسريُّ	العجاج	١/ ٤٨
دواريُّ	العجاج	١/ ٤٨
غنيُّ	....	٢/ ١٣٩

٤ ـ أنصاف الأبيات التي لم تعرف قوافيها

	الشاعر	الجزء/ الصفحة
لمن الظعائن سيرهن تزحف	الأعشى	٢/ ١٩٤
وشر المنايا ميت بين أهله	....	١/ ٨٩
فقتلاً بتقتيلٍ وضرباً بضربكم	....	١/ ١٦٥
كلوا في نصف بطنكم تعيشوا	....	١/ ١٩٢و٢/ ١٣٦و٤/ ٢٠٤
تخاطأت إليك أحشاؤه	....	٣/ ٢٢
وإن شئتم تعاودنا عوادا	....	٤/ ٣٤٣
يمجُّ صبيرة الماعون صبا	....	٤/ ٤٩٦

٥ ـ المصادر والمراجع

أهم المراجع والمصادر في التخريج:

١ ـ صحيح البخاري. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار المعرفة.

٢ ـ صحيح مسلم. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي.

٣ ـ سنن أبي داود. بترقيم محيي الدين عبد الحميد، طبع دار إحياء السنة النبوية.

٤ ـ سنن الترمذي. بترقيم أحمد شاكر ثم فؤاد عبد الباقي ثم إبراهيم عطوة عوض، طبع دار إحياء التراث العربي.

٥ ـ سنن النسائي جزء وصفحة، طبع دار القلم.

٦ ـ سنن ابن ماجة. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار الفكر.

٧ ـ سنن الدارمي جزء وصفحة، طبع دار صادر.

٩ ـ مسند الطيالسي. بترقيم دار الباز، طبع دار المعرفة.

١٠ ـ صحيح ابن حبان. بترقيم شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة.

١١ ـ مستدرك الحاكم جزء وصفحة، طبع دار المعرفة.

١٢ ـ سنن الدارقطني. طبع مكتبة المتنبي.

١٣ ـ سنن البيهقي. طبع دار الفكر.

١٤ ـ موطأ الإمام مالك. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار الكتب العلمية.

١٥ ـ مسند الشافعي. طبع دار الكتب العلمية.

١٦ ـ مجمع الزوائد. طبع دار الكتاب العربي.

١٧ ـ مسند الفردوس للديلمي. طبع دار الكتب العلمية.

١٨ ـ الكامل لابن عدي. طبع دار الفكر.

١٩ ـ العلل المتناهية لابن الجوزي. طبع دار الكتب العلمية.

٢٠ ـ سيرة ابن هشام. طبع دار المكتبة التوقيفية.

٢١ ـ المنتقى لابن الجارود. بترقيم عبد الله عمر البارودي، طبع دار الجنان.

٢٢ ـ المطالب العالية لابن حجر. بترقيم حبيب الرحمن الأعظمي، طبع دار المعرفة.

المراجع اللغوية المعتمدة في هذا العمل:

١ ـ لسان العرب، طبع دار بيروت

٢ ـ القاموس المحيط. طبع دار الفكر.

٣ ـ مختار الصحاح للرازي. طبع دار الكتاب العربي.

٤ ـ المغرب للمطرّزي. طبع مكتبة أسامة بن زيد.
٥ ـ المصباح المنير للفيومي. طبع دار الفكر.

كتب الرجال المعتمدة:

١ ـ الجرح والتعديل، للرازي.
٢ ـ الكامل في الضعفاء، لابن عدي.
٣ ـ الضعفاء، للعقيلي.
٤ ـ المجروحون، لابن حبان.
٥ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي.
٦ ـ لسان الميزان، لابن حجر.
٧ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر.
٨ ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي.
٩ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان.
١٠ ـ الوافي بالوفيات، للصفدي.
١١ ـ الديباج المذهب، لابن فرحون.
١٢ ـ جذوة الاقتباس، لابن القاضي.
١٣ ـ تذكرة الحفاظ، للذهبي.
١٤ ـ بغية الملتمس، لابن عميرة الضبي.

الكتب المعتمدة في الحكم على الحديث:

١ ـ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للإمام الحافظ جمال الدين الزيلعي رحمه الله.
٢ ـ الدراية في تلخيص نصب الراية، لابن حجر.
٣ ـ تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير، لابن حجر.
٤ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي.
٥ ـ العلل، لابن أبي حاتم الرازي.